


الحمقى يموتون

رواية

581

تأليف : ماريو بوزو

ترجمة : سليم عبد الأمير حمدان

المجلس الأعلى للثقافة

أتظن أن بمقدور رجل أن يحب امرأة حقا ويخونها باستمرار؟ لا عليك بالناحية الجسدية، ولكن يخونها فى ذهنه، فى « شعر روحه» بالذات. حسنًا، ليس ذلك يسيرًا، ولكن الرجال يفعلونه باستمرار.

أتريد أن تعرف كيف للنساء أن يحببنك، يطعمنك ذلك الحب عمدًا ليسممن جسدك وذهنك ببساطة لكى يحطمنك؟ وبسبب الحب العاطفى يخترن ألا يحببنك أبدًا بعد؟ وفى الوقت نفسه يربكنك بنشوة أبله؟ مستحيل؟ ذلك هو الجزء الهين.

ولكن لا تهرب : فهذه ليست قصة حب . سأجعلك تشعر بالجمال المؤلم لطفل، الصلابة الحيوانية للذكر المراهق، الكآبة المتلهفة الانتحارية للأنثى الشابة. وعندئذ (وهنا الجزء الصعب) أريك كيف يدير الزمن الرجل والمرأة حول دائرة تامة، وقد جرى تبادلهما فى الجسد والروح.

التمثال للفنان: أحمد عسقلانى

تصميم الغلاف: هند سمير

المشروع القومى للترجمة

الحمقى يموتون

رواية

تأليف : ماريو بوزو

ترجمة : سليم عبد الأمير حمدان



٢٠٠٣

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٥٨١
- الحمقى يموتون
- ماريو بوزو
- سليم عبد الأمير حمدان
- الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م

هذه ترجمة كتاب

Fools Die
by : Mario Puzo

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤
El., Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo.
Tel. : 7352396 Fax : 7358084.

إلى إريكا

الفصل الأول

- ١ -

استمع لى. سأخبرك الحقيقة عن حياة إنسان. سأخبرك الحقيقة عن حبه للنساء. إنه لم يكرههن قط. إنك منذ الآن تظنني على الطريق الخطأ. ابق معى. حقا - إننى أستاذ فى السحر.

أتظن أن بمقدور رجل أن يحب امرأة حقا ويخونها باستمرار؟ لا عليك بالناحية الجسدية، ولكن يخونها فى ذهنه، فى "شِعر روحه" بالذات. حسنًا، ليس ذلك يسيراً، ولكن الرجال يفعلونه باستمرار.

أتريد أن تعرف كيف يمكن للنساء أن يحببنك، يطعمنك ذلك الحب عمداً ليسممن جسدك وذهنك ببساطة لكى يحطمنك؟ وبسبب الحب العاطفى يخترن ألا يحببنك أبداً بعد؟ وفى الوقت نفسه يربكنك بنشوة أبله؟ مستحيل؟ ذلك هو الجزء الهين.

ولكن لا تهرب. فهذه ليست قصة حب.

سأجعلك تشعر بالجمال المؤلم لطفل، الصلابة الحيوانية للذكر المراهق، الكآبة المتلهفة الانتحارية للأنثى الشابة. وعندئذ (وهنا الجزء الصعب) أريك كيف يدير الزمن الرجل والمرأة حول دائرة تامة، وقد جرى تبادلهما فى الجسد والروح.

وثمة بالطبع الحب الحقيقى. لا تبتعد! إنه موجود أو إننى أجعله موجوداً. فأنا لست أستاذاً فى السحر عبثًا. أهو يستحق ما يتكلفه؟ وماذا عن الإخلاص الجنسى؟ أهو ناجح؟ أهو الحب؟ أهو حتى إنسانى، ذلك الهوى المنحرف لأن يكون المرء مع شخص واحد معين فقط؟ وإن لم ينجح ذلك، أفيبقى عندك بعدئذ مجال للمحاولة؟ أفيمكن أن ينجح على النحوين؟ بالطبع لا، ذلك يسير. ومع ذلك...

إن الحياة أمر هازل. وليس ثمة أكثر إضحاكًا من الحب ماراً عبر العصور. ولكن أستاذ سحر حقيقيا يمكن أن يجعل مشاهديه يضحكون ويبكون فى الوقت عينه. الموت مسألة أخرى. لن أقوم بالمزاح مع الموت. إنه خارج طاقتى. فى موازاة الموت، الحب شأن متعب، طفولى، مع أن الرجال يؤمنون بالحب أكثر منهم بالموت.

أنا متيقظ دائمًا للموت. إنه لا يضللنى. إننى أميزه للتو. إنه يحب أن يأتى فى ذراع تطويله الريفى التنكرى، وهى ثؤلولة هزلية تنمو وتنمو فجأة؛ خالٌ مشعر يمد جذوره حتى العظم ذاته؛ أو يختفى وراء تورد لطيف خفيف لحُمَّى. ثم فجأة تظهر تلك الجمجمة المكشرة لتفاجئ الضحية. ولكن ليس أنا قطعًا. فأنا أنتظره. إننى أتخذ احتياطاتى.

النساء قصة أخرى. إن لهنَّ سرا قويا. إنهن لا يأخذن الحب جديًّا، ولم يأخذنه قط.

ولكن مرة أخرى، لا تبتعد. مرة أخرى، ليست هذه قصة حب. انس الحب. سأريك كل امتدادات القوة. أولاً حياة كاتب فقير مكافح. حساس. موهوب. وربما عبقرى نوعًا ما حتى. سأريك الفنان يُركل عنيفًا حتى الإعياء من أجل فنه. ولماذا يستحق ذلك حقا؟ ثم سأعرضه مجرمًا ماكرًا وعنده كل وقت الدنيا. آه، أى بهجة يجدها الفنان الحقيقى عندما يصير، أخيرًا، محتالاً. إنها مكشوفة فى العراء الآن، كل طبيعته الجوهرية. لا مزيد من المزاح هنا وهناك عن شرفه. إن ابن العاهرة مخادع. متواطئ. عدو للمجتمع على المكشوف تمامًا بدلاً من الاختفاء وراء أشيائه العهرية المدعوة فنًّا. أية راحة. أية متعة. يا للبهجة الماكرة. ثم، كيف صار إنسانًا شريفًا مرة أخرى. إن كون المرء محتالاً لإجهادٌ مرعب.

ولكنه يساعدك على قبول المجتمع والغفران لإخوتك البشر. ما إن يتم عمل ذلك لن يكون أحد محتالاً ما لم يكن محتاجًا إلى المال حقا.

ثم، إلى واحدة من أكثر قصص النجاح فى تاريخ الأدب إثارة للدهشة. بواطن حيوات عمالقة ثقافتنا. ونغل واحد منهم بشكل خاص. العالم الراقى. وهكذا. فعندنا

الآن العالم الفقير العبقرى المكافح، والعالم الملتوى وعالم الأدب الراقى. كل هذا ملفوف بكثير من الجنس، ببعض الأفكار المعقدة التى لن تنضرب على رأسك بها والتى قد تجدها حتى مثيرة للاهتمام. وأخيراً، إلى نهاية منتهية بكامل طاقتها فى هوليوود مع بطلنا وهو يزدرد كل جوائزها، مالها وشهرتها ونسائها الجميلات. و... لا تبتعد ، لا تبتعد ، كيف تستحيل جميعًا إلى رماد ؟

ليس هذا كافيًا؟ لقد سمعت بذلك كله من قبل؟ ولكن تذكر أننى أستاذ فى السحر. يمكننى أن أسوق هؤلاء البشر جميعًا أحياء. أستطيع أن أريك ما الذى يفكرون فيه حقا ويشعرون. ستبكى من أجلهم، من أجلهم جميعًا، أعدك بهذا. أو ستضحك فقط. على أية حال، سننال قسطًا كبيراً من المرح. ونتعلم شيئًا عن الحياة. الأمر الذى لا فائدة كبيرة فيه.

آه، أعرف بمَ تفكر: ذلك النغل المتملق يحاول أن يجعلنا نقلب الصفحة. ولكن انتظر، إنها مجرد حكاية أريد أن أحكيها. ما الأذى؟ حتى لو كنت آخذها جديًّا، ليس عليك أن تفعل. تمتع فقط.

أريد أن أخبرك بقصة، لا مكرمة أخرى عندى. أنا لا أرغب فى النجاح أو الشهرة أو المال. ولكن ذلك هيّن، فإن أغلب الرجال، وأغلب النساء، لا يريدون، لا يريدون حقا. وحتى أفضل من ذلك، أنا لا أريد الحب. عندما كنت شابا، أخبرتنى بعض النساء أنهن يحببنى من أجل أهدابى الطويلة. وقد صدقت. وبعدئذ كان السبب ظرفى. ثم قوتى ومالى. ثم موهبتى. ثم عقلى ؛ عميق. حسنًا، يمكننى أن أعالج ذلك كله. إن المرأة الوحيدة التى تخيفنى هى التى تحبنى من أجل نفسى فقط. عندى خطط لها. عندى سموم وخناجر وقبور مظلمة فى كهوف لإخفاء رأسها. لا يمكن السماح لها بالحياة. خاصة إذا ما كانت مخلصة جنسيا ولا تكذب قط وتضعنى دائمًا أمام كل شىء وكل شخص.

سيكون ثمة الكثير عن الحب فى هذا الكتاب، ولكنه ليس كتاب حب. إنه كتاب حرب. الحرب القديمة بين الرجال الذين هم أصدقاء حقيقيون. الحرب العظيمة

"الجديدة" بين الرجال والنساء. هى قصة قديمة بالتأكيد، ولكنها معروضة بشكل مكشوف الآن. يظن المحاربون من أجل (حرية المرأة) أن عندهم شيئًا جديداً، ولكنها مجرد جيوشهم العائدة من تلال غوريلاتهم. لقد كانت النساء الحلوات يصطدن الرجال بالكمائن دائمًا: عند مهودهن وفى المطبخ وغرفة النوم وعند قبور أطفالهن، أفضل مكان لعدم سماع التماس الرحمة.

آه، حسنًا، إنك تظن أن عندى شكوى ضد النساء. ولكننى لم أكرههن قط. وسيظهرن، بشراً، خيراً من الرجال، سترى. ولكن الحقيقة هى أن النساء فقط تمكنَّ أن يجعلننى غير سعيد، وقد فعلن ذلك منذ المهد فما بعد. ولكن بمقدور بعض الرجال أن يقولوا ذلك. ولا يوجد ما يمكن فعله.

يا للهدف الذى أعطيته هنا. أدرى - أدرى - كم يبدو عصيًّا على المقاومة. ولكن الزم الحذر. إننى راوى قصص ذو حيل، لست مجرد واحد من فنانيك سريعى العطب الحساسين. ولقد اتخذت احتياطاتى. ومازالت عندى بعض المفاجآت مخبوءة.

ولكن يكفى. دعنى أشرع بالعمل. دعنى أبدأ ودعنى أنتهى.



الفصل الثانى

- ٢ -

فى أكثر أيام جوردان هاولى سعداً خان أصدقاءه الثلاثة الأفضلون. ولكنه تجول خلال زاوية الزهر فى كازينو القمار الضخمة فى فندق كسانادو - إذ لم يكن قد علم بعد بما فعل - متسائلاً أية لعبة يلعبها بعد. مع أن الوقت كان لايزال عصراً مبكراً، فقد كان رابحاً عشرة آلاف دولار. ولكنه كان متعباً من الزهر الأحمر البراق وهو يتدحرج عبر اللباد الأخضر.

تحرك خارجاً من الزاوية، والسجادة الأرجوانية تغوص تحت قدميه، وتحرك نحو العجلة المهسهسة لمائدة الروليت، اللطيفة بصناديقها الحمراء والسوداء، وبالصفر والصفر المضاعف القاسيين الأخضرين. قام ببعض المراهنات المتهورة، فخسر وانتقل إلى زاوية "البلاك جاك"(*) .

كانت موائد البلاك جاك الصغيرة التى على شكل حدوات تمتد إلى أسفل فى صف ثنائى. سار بينهما كما يسير أسيرٌ بين صفى جنود بالهراوات. كانت أوراق لعب زرقاء الأظهُر تشع على كل جانب. عبر بأمان ووصل إلى الأبواب الزجاجية الضخمة المؤدية خارجاً إلى شوارع مدينة لاس فيجاس. من هنا كان بمقدوره أن يرى إلى أسفل "الشريط" المخفور بالفنادق الباذخة.

تحت شمس نيفادا اللاهبة كانت دزينة من فنادق كسانادو تشع بلوحات نيون ذات مليون وات. كانت الفنادق تبدو وكأنها تذوب فى سديم ذهبى وامض، سراب لا يمكن بلوغه. حُبس جوردان هاولى داخل الكازينو المكيفة الهواء مع ربحه. سيكون من الجنون الخروج إلى حيث لم يكن ينتظره غير كازينوهات أخرى، بحظوظها المجهولة الغريبة.

(*) لعبة ورق .

هنا كان رابحًا، وسيرى صديقيه عما قريب. هنا هو محروس من الصحراء الصفراء الحارقة.

استدار جوردان هاولى مبتعدًا عن الباب الزجاجى وجلس عند أقرب مائدة بلاك جاك. وخشخشت فى يديه رقاقات مائة دولار سوداء: شموس نصف مطفأة دقيقة. راقب موزعًا يستل أوراقًا من قاعدته التى جهزت حديثًا؛ وهى الصندوق الخشبى المستطيل الذى يحتوى الأوراق.

راهن جوردان بمبالغ كبيرة على كل واحدة من دائرتين صغيرتين، لاعبًا يدين. كان حظه جيدًا. لعب حتى خلت القاعدة. غالبًا ما أفلس الموزع، وعندما كان يخلط انتقل جوردان إلى مكان آخر. كانت جيوبه منتفخة بالرقاقات كلها. ولكن ذلك لم يكن يبعث على القلق لأنه كان يرتدى جاكتة ألعاب (ساى ديفور لرابحى فيجاس) مفصلة خصيصًا. كان لها سجاف قرمزى أحمر على قماش أزرق سماوى وجيوب - واسعة بتفاؤل - تسد بسحّابات. وكان داخل الجاكتة يضم أيضًا تجاويف ذات سحّابات من العمق بحيث لا يتمكن أى نشال من بلوغها. كانت مكاسب جوردان فى أمان، وكان عنده المكان لمزيد منها. لم يسبق أن ملأ أحد جيوب جاكتة رابحى فيجاس.

كان للكازينو، المنارة بثريات ضخمة عديدة، بريق مزرق: نيون تعكسه سجادة أرجوانية داكنة. سار جوردان خارجًا من هذا الضوء ودخل المنطقة المظلمة لردهة المقصف بسقفها الواطئ ومنصتها الصغيرة لمقدمي الوصلات. من مجلسه عند طاولة صغيرة، كان بمقدوره أن يتطلع إلى الكازينو مثل مشاهد على مسرح منار.

راقب، منوَّمًا مغناطيسيا، مقامرى ما بعد الظهر يندفعون فى أنماط راقصة معقدة من منضدة إلى أخرى. ومثل قوس قزح يشع فى سماء زرقاء صافية، لمعت عجلة روليت بأرقامها الحمراء والسوداء المتطابقة مع تصميم المائدة. انزلقت أوراق لعب بيضاء الأظهر عبر موائد اللباد الأخضر. وكان زهر مربع أحمر منقط بالأبيض يبهر

الأبصار كسمكة طيارة فوق موائد "الكرابس"(*) المعدة على شكل حوت. وإلى البعيد، أدنى صفوف موائد البلاك جاك، كان الموزعون المنصرفون من الخدمة يغسلون أيديهم، رافعين إياها عاليًا فى الهواء ليبينوا أنهم لا يضمون بين أصابعهم رقاقات.

بدأ مسرح الكازينو يحتشد بممثلين أكثر: عُبّاد شمس يتسكعون من المسبح الخارجى، وآخرين من ملاعب التنس وملاعب الجولف، قيلولات ومضاجعات ما بعد الظهر، المجانية ومدفوعة الأجر، فى غرف كسانادو الألف. شخَّص جوردان جاكتة رابحى فيجاس أخرى تتقدم عبر أرضية الكازينو. كان ميرلين. ميرلين الطفل. لوح ميرلين فيما اجتاز عجلة الروليت، نقطة ضعفه. مع أنه كان نادرًا ما يلعب لأنه كان يعرف استقطاعها الضخم البالغ خمسة ونصف بالمائة مثل سيف حاد. لوح جوردان من الظلمة ذراعًا مقلمًا بالأحمر، وواصل ميرلين خطوه ثانية كما لو كان يجتاز لهيبًا، فعبر المسرح المضاء لأرضية الكازينو وجلس. لم تكن جيوب ميرلين المسدودة بالسحابات منتفخة بالرقاقات، ولم يكن فى يده أى منها.

جلسا هناك بلا كلام، على طبيعتيهما مع أحدهما الآخر. كان ميرلين يبدو مثل رياضى ضخم الجسم فى جاكتته القرمزية والزرقاء. كان أفتى من جوردان بما لا يقل عن عشر سنوات، وشعره أسود كالكهرمان. وكان أيضًا يبدو أسعد، أكثر لهفة على المعركة القادمة ضد النصيب، ليلة المقامرة.

ثم من زاوية الباكاراه فى الزاوية البعيدة للكازينو شاهدا كولى كروس وديان يسيران خلال "الدرابزون" الأنيق الرمادى المائل للأرجوانى وينتقلان على أرضية الكازينو وهما يجيئان نحوهما. كان كولى أيضًا يلبس جاكتة رابحى فيجاس . وكانت ديان فى ثوب صيفى أبيض، بارد مقور الصدر ليوم عملها، وقد رُشَّ أعلى ثدييها ببياض لؤلؤى. لوح ميرلين، فتقدما عبر موائد الكازينو بدون انحراف. وعندما جلسا، طلب جوردان المشروبات. كان يعرف ما يريدون.

(*) لعبة قمار تُلعب بنردين أو زهرين.

لاحظ كولى جيوب جوردان المنتفخة، فقال:

ـ هَيْ، لقد ذهبت فأصابك الحظ من دوننا؟. فابتسم جوردان:

ـ قليلاً.

نظروا إليه جميعاً بفضول فيما دفع ثمن المشروبات ونفح نادلة الكوكتيل برقاقة حمراء من ذوات الدولارات الخمسة. لاحظ نظراتهم. لم يكن يدرى لماذا كانوا ينظرون إليه بهذا الاستغراب. لقد مضى على جوردان فى فيجاس ثلاثة أسابيع ولقد تبدل بشكل مخيف في تلك الأسابيع الثلاثة. كان قد فقد عشرين رطلاً. وقد طال شعره الأشقر ـ الرمادى وازداد بياضاً. وكان وجهه، مع أنه لايزال وسيماً، الآن، نافراً؛ فقد اكتسى الجلد مسحة رمادية. كان يبدو مستنزفاً. ولكنه لم يكن يعى ذلك لأنه كان يحس نفسه على خير ما يرام. وكان يتعجب ـ ببراءة ـ من هؤلاء الأشخاص الثلاثة، أصدقائه منذ ثلاثة أسابيع الذين صاروا الآن أفضل أصدقاء عنده فى العالم.

كان الذى يحبه جوردان أكثر هو الطفل، ميرلين. كان ميرلين يعتز بكونه مقامراً غير متأثر. كان يحاول ألا يظهر أية مشاعر عندما يخسر أو يربح، وكان عادة ما ينجح. فيما عدا أن أثر خسارة بالغة السوء كان يضفى عليه هيئة ذهول مفاجئة كانت تسر جوردان.

لم يكن ميرلين الطفل يقول الكثير. كان يكتفى بمراقبة كل إنسان. كان جوردان يعرف أن ميرلين الطفل يركز آذاناً على كل ما يفعل، محاولاً أن يفهمه. الأمر الذى كان يسلى جوردان أيضاً. كان يجعل الطفل زائغاً. كان الطفل يبحث عن أشياء معقدة ولم يصدق قط أنه، جوردان، هو ما يعرضه عن نفسه للعالم. ولكن جوردان كان يحب أن يكون معه ومع الآخرين. كانوا يخففون وحدته. ولأن ميرلين كان يبدو أكثر تلهفاً وأكثر عاطفية، فى مقامرته، فقد أسماه كولى بالطفل.

أما كولى نفسه فكان الأفتى: فى التاسعة والعشرين فقط، ولكنه كان يبدو، بمنتهى الغرابة، قائد المجموعة. لقد تقابلوا قبل ثلاثة أسابيع فى لاس فيجاس، فى هذه

الكازينو، وكان بينهم شيء مشترك واحد. كانوا مقامرين مرضى بهوس القمار. كان انغماسهم المستديم ثلاثة أسابيع يعتبر استثنائيا لأن نسبة الكازينو كان ينبغي أن تدفنهم في رمال صحراء نيفادا في أيامهم القلائل الأولى.

كان جوردان يعرف أن الآخرين: كولي "العد التنازلي" وكروس وديان، كانا أيضًا فضوليين بشأنه، ولكنه لم يكن يبالي. كان يحس فضولاً قليلاً جدا بشأن أي منهما. كان الطفل يبدو فتيًا وأذكى من أن يكون مقامرًا مرَضيا، ولكن جوردان لم يحاول أن يكتشف لماذا. كان الأمر لا يثير اهتمامه حقا.

لم يكن كولي شيئًا يثير التساؤل، أو هكذا كان يبدو. كان يقامر كالمريض الكلاسيكي ذي المهارات. كان يمكنه أن يعد الأوراق نزولاً في صندوق البلاك جاك رباعي الشدّات. كان خبيرًا في كل أنواع نسب المقامرات. ولم يكن الطفل كذلك. كان جوردان مقامرًا باردًا غير مبال بينما كان الطفل عاطفيا. وكولي محترفًا. ولكن لم تكن لدى جوردان أوهام عن نفسه. في هذه اللحظة، كان في صفهما، مقامرًا مريضًا. يعني: رجلاً يقامر لمجرد أن يقامر فلابد من أن يخسر. كما أن البطل الذي يذهب إلى الحرب يجب أن يموت. أرني مقامرًا وسأريك خاسرًا، أرني بطلاً وسأريك جنازة. هكذا كان جوردان يفكر.

كانوا جميعًا عند أواخر أرصدتهم، كان سيتعين عليهم جميعًا أن ينتقلوا إلى مكان آخر سريعًا، فيما عدا، ربما، كولي. كان كولي نصف قواد ونصف مسرِّب أخبار نتائج. يسعى دائمًا إلى أن يتملق ليحصل على أفضلية على الكازينوهات. وكان يحصل في بعض الأحيان على موزع يشاركه ضد المحل، وهي لعبة خطرة.

أما الفتاة، ديان، فكانت حقا خارجية. كانت تعمل شريكَ طُعم(*) للمحل وكانت تتمتع باستراحتها من مائدة الباكاراه. وهي معهم، لأنها كانت تحس أنهم الرجال الوحيدون في فيجاس الذين يهتمون لأمرها.

(*) لاعبة تستخدم لملء الشواغر لاستدراج لاعبين.

بوصفها شريكًا ـ طَعمًا كانت تلعب بمال الكازينو، تخسر وتكسب مال الكازينو. لم تكن عرضة للنصيب ، وإنما للراتب الأسبوعي الثابت الذي تتسلمه من الكازينو. ولم يكن وجودها ضروريا لمائدة الباكاراه إلا في ساعات الفتور ؛ لأن المقامرين كانوا ينفرون من المائدة الفارغة. كانت ورق الذباب للذباب. لذلك كانت تلبس بشكل مثير. كان لها شعر أسود كالكهرمان طويل تستخدمه كسوط، وفم ممتلئ شهواني وجسد طويل الساقين يكاد يكون كاملاً. كان صدرها من الحجم الصغير، ولكنه كان يناسبها. وكان رئيس زاوية الباكاراه يعطيها أرقام هواتف منازل كبار اللاعبين. وفي بعض الأحيان كان رئيس الزاوية أو المراقب يهمس بأن أحد اللاعبين يود أن يراها في غرفته. كان يحق لها أن ترفض، ولكن ذلك خيار يتعين عليها أن تستعمله بحذر. وعندما كانت تقبل، لم يكن العميل يدفع لها مباشرة. كان رئيس الزاوية يعطيها مذكرة خاصة ذات خمسين أو مائة دولار يمكنها أن تصرفها من صندوق الكازينو. وكانت تكره أن تقوم بذلك. ولهذا كانت تدفع للفتيات الشريكات الأخريات خمسة دولارات ليصرفن لها مذكراتها. وعندما سمع كولي بهذا، صار صديقها. كان يحب النسوة الحساسات، كان بمقدوره أن يعالجهن.

أشار جوردان لنادلة الكوكتيل كي تجلب لهم مزيداً من الشراب. كان يحس راحة. كان يمنح جوردان إحساسَ فضيلة كونه محظوظًا جدا وفي وقت بهذا التبكير من النهار كما لو أن إلهًا غريبًا قد أحبه، وجده طيبًا فكان يكافئه على التضحيات التي كان قدمها للعالم الذي خلفه وراءه. وكان عنده هذا الإحساس من الرفقة مع كولي وميرلين.

كانوا يفطرون معًا. ويتناولون دائمًا شراب العصر المتأخر هذا قبل بدء عملهم القماري الكبير الذي سيخرب الأمسية. كانوا يتناولون أحيانًا وجبة خفيفة عند منتصف الليل للاحتفال بربح، حين يجمع الرجل المحظوظ ماله ويشتري بطاقات "كينو"(*) للمائدة. وخلال الأسابيع الثلاثة الماضية صاروا رفاقًا متلازمين، مع أنه ما كان بينهم

(*) لعبة قمار.

شيء مشترك على الإطلاق وأن صداقتهم ستموت مع شهوتهم إلى القمار. ولكن الآن، وهم لم يطردوا بعد، كانوا يحسون عاطفة غريبة نحو أحدهم الآخر. بعد أن خرج من يوم رابح، أخذ ميرلين الطفل ثلاثتهم إلى معرض الملابس فى الفندق واشترى جواكت رابحى فيجاس القرمزية والزرقاء. فى ذلك اليوم، كانوا جميعًا رابحين وقد لبسوا جواكتهم، مؤمنين بالخرافات، منذئذ.

وقد قابل جوردان ديان فى ليلة أعمق إذلال لها، فى الليلة ذاتها التى التقى فيها ميرلين. فى اليوم التالى بعد مقابلتها اشترى لها قهوة فى إحدى استراحاتها، وكانا قد تحدثا لكنه لم يسمع ما كانت تقول. أحست بقلة اهتمامه، وانزعجت. وهكذا، لم يكن ثمة فعل. وأحس أسفًا فيما بعد، تلك الليلة فى غرفته المزينة المنمقة، حيث كان وحيداً عاجزًا عن النوم. كما كان عاجزًا عن النوم فى كل ليلة. كان قد جرب الأقراص المنومة، ولكنها كانت تعطيه كوابيس وتسبب له الرعب.

سرعان ما ستأتى فرقة الجاز، امتلأت الردهة. لاحظ جوردان النظرة التى ألقوها عليه عندما نفح النادلة برقاقة حمراء من ذوات الدولارات الخمسة. تصوروه كريمًا. ولكن كل ما هنالك أنه لم يكن يريد أن ينشغل بالتفكير فى مقدار النفحة. كان يسليه أن يرى كيف تبدلت قيمه. لقد كان شديد التدقيق فى التفاصيل وعادلاً دائمًا ولكنه لم يكن كريمًا بتهور قط. فى وقت ما كان طرفه من العالم قد وزن وزرع. كان كل امرئ يستحق جوائز. وأخيرًا لم ينجح ذلك. وقد دهش الآن من سخف إقامة حياته ذات يوم على مثل هذه المحاسبات.

كانت الفرقة تشق الظلام صاعدة المسرح. سرعان ما سيعزفون بصوت أعلى مما يسمح لأى كائن بالكلام، وكان هذا دائمًا علامة للرجال الثلاثة كى يبدأوا قمارهم الجدى.

- "الليلة ليلة سعدى". قال كولى "عندى ثلاث عشرة نقلة فى ذراعى الأيمن".

ابتسم جوردان. كان دائمًا يستجيب لحماس كولى. كان جوردان لا يعرفه إلا باسم كولى العد التنازلى؛ الاسم الذى اكتسبه على موائد البلاك جاك. وكان جوردان يحب

كولى لأن الرجل لم يكن يكف عن الكلام وكان كلامه نادراً ما يتطلب أجوبة. الأمر الذى جعله ضروريا للجماعة، لأن جوردان وميرلين الطفل لم يكونا يتكلمان كثيراً قط. وديان، شريكة الباكاراه، كانت تبتسم كثيراً، ولكنها لم تكن تتكلم كثيراً، هى أيضاً.

كان وجه كولى صغير الملامح، الداكن، الأملس، يشع ثقة:

- "سأمسك بالزهر ساعة". قال "سألقى مائة رقم بلا سبعات. اسبقونى يا شباب".

قدمت فرقة الجاز مقطعها المنمق الافتتاحى كما لو ليدعم كولى.

كان كولى يحب الكرابس، مع أن مهارته الفضلى كانت فى البلاك جاك حيث كان بمقدوره أن يعد الصندوق تنازليا. وكان جوردان يعشق الباكاراه لأنه لم يكن فيها لا مهارة ولا حساب قط. أما ميرلين فكان يحب الروليت لأنها كانت بالنسبة إليه اللعبة الأكثر غموضاً وسحراً. ولكن كولى قد أعلن نجاحه المؤكد فى الكرابس الليلة وسيترتب عليهما أن يلعبا معه، يركبا حظه. كانا صديقيه، ما كانا ليستطيعا أن ينحساه. نهضوا ليذهبوا إلى زاوية الزهر ويراهنوا مع كولى، وكولى يمطّى ذراعه الأيمن القوى الذى كان يخفى سحريا ثلاث عشرة نقلة.

تكلمت ديان للمرة الأولى:

- كانت لجوردى بداية محظوظة على الباكاراه. ربما كان يتعين عليكما أن تراهنا عليه.

فقال ميرلين لجوردان:

- لا تبدو لى محظوظاً.

كانت مخالفة للقواعد منها أن تذكر حظ جوردان الطيب للمقامرين الآخرين. إذ قد يأخذون منه مالاً عن قرض أو أنه قد يحس نفسه منحوساً. ولكن ديان قد عرفت جوردان فى هذه الأثناء جيداً بما يكفى لتحس بأنه ما كان يبالى أيا من وساوس المقامرين الخرافية الاعتيادية.

هز كولى العد التنازلى رأسه:

- "عندى الإحساس.."، لوّح ذراعه الأيمن، هازًّا زهرًا متخيَّلاً.

دوّت الموسيقى؛ ما عاد بمقدورهم أن يسمع أحدهم الآخر عندما يتكلم. ساقتهم خارج مأمنهم فى الظلام إلى المسرح المشع الذى هو أرض الكازينو. كان ثمة عديد من اللاعبين الآخرين الآن، ولكن كان بمقدورهم أن يسيروا بيسر. عادت ديان، وقد انتهت فترة شربها القهوة، إلى مائدة الباكاراه لتراهن بمال المحل، لتملأ الفرا غ. ولكن بلا عاطفة. بوصفها شريكة لعب مؤسسة، تربح وتخسر مال المؤسسة، كانت أبدية بشكل مضجر. وهكذا، كانت تسير أبطأ من الآخرين.

قاد كولى الطريق. كان الفرسان الثلاثة بجواكت رابحى فيجاس الرياضية القرمزية والزرقاء. كان متلهفًا وواثقًا. وكان ميرلين يتبعه باللهفة نفسها تقريبًا، وقد ارتفع دمه المقامر. وتبعهما جوردان ببطء أكثر، وأرباحه الضخمة تجعله يبدو أثقل من الاثنين الآخرين. كان كولى يحاول أن يتنسم طاولة ساخنة، وهو ما تكونه إحدى المعالم عندما تكون صفوف رقاقات المؤسسة واطئة. وأخيرًا قادهم إلى "درابزون" مفتوح فاصطف الثلاثة على نحو يتمكن معه كولى من أن يجعل الزهر يأتى أولاً حول المنسِّق. قاموا بمراهنات صغيرة حتى حصل كولى أخيرًا على المكعبين الأحمرين فى يديه المحبتين الماسحتين.

وضع الطفل عشرين أمام الأنظار. ووضع جوردان مائتين. وكولى العد التنازلى خمسين. رمى ستة. سحبوا جميعًا رهاناتهم واشتروا كل الأرقام. تناول كولى زهرًا، واثقًا بشكل انفعالى، ورماه بقوة إلى الجانب الآخر من المائدة. ثم حدق غير مصدق. كانت أسوأ الكوارث. سبعة مجردة. ممسوحة. حتى من دون أن تمس أى رقم آخر. خسر الطفل مائة وأربعين، وكولى ثلاثمائة وخمسين كبيرة. وألقى جوردان فى البالوعة بألف وأربعمائة دولار.

همهم كولى بشىء ما وسار مبتعداً. كان الآن ملتزماً، وقد اهتز كليا، بلعب بلاك جاك حذراً جدا. كان عليه أن يعد كل ورقة من الصندوق كى يحظى بأرجحية على الموزع. وكان ذلك ينجح أحياناً، ولكنه كان يتباطأ طويلاً. كان فى بعض الأحيان يتذكر كل ورقة بشكل كامل، ويحسب ما تبقى فى الصندوق، ويحظى بأرجحية بعشرة بالمائة على الموزع ويراهن بركام كبير من الرقاقات. وحتى عندئذ، بأرجحية العشرة فى المائة الكبيرة تلك، كان يسوء حظه ويخسر. ثم يعد تنازليا صندوقًا آخر. وهكذا الآن، وقد خذله ذراعه الأيمن الخرافى، فقد تجرد كولى إلى مال الصندوق. كانت الليلة أمامه كدحاً. كان عليه أن يقامر بشطارة تامة ومع ذلك ألا يكون سيئ الحظ.

وتجول ميرلين الطفل مبتعداً أيضاً، متجرداً هو الآخر إلى مال صندوقه، ولكن بلا مهارات تسند لعبه. إن عليه أن يكون محظوظًا.

جاس جوردان وحيداً حول الكازينو. كان يعشق شعور كونه منفرداً فى زحمة الناس وهمهمة المقامرات. أن يكون بمفرده دون أن يكون وحيداً. أن يصادق غرباء لمدة ساعة ثم لا يراهم بعد ذلك أبداً. قعقعة زهر.

تجوّل عبر زاوية البلاك جاك، الموائد الحدوية فى صفوف مستقيمة. كان يصغى لسماع التكتكة، لسماع حركة الورقة الثانية. كان كولى قد علمه وميرلين هذه الحيلة. إن موزعاً محتالاً سريع اليدين يستحيل تحديده بالعين. ولكن لو أنك أصغيت بانتباه تام، فبإمكانك أن تسمع التكتكة التى تصرِف خفيفًا عندما يستل الورقة الثانية من تحت الورقة العليا فى شدّته. لأن الورقة العليا هى الورقة التى يحتاجها الموزع ليجعل يده جيدة.

كان صف طويل يتشكل لاستعراض العشاء مع أن الساعة لم تبلغ إلا السابعة. لم يكن ثمة عمل حقيقى فى الكازينو. لا مراهنون كبار. لا رابحون كبار. طقطق جوردان الرقاقات السود فى يده، متفكراً. ثم توجه إلى مائدة كرابس شبه فارغة وتناول الزهر البرّاق الأحمر.

فك جوردان سحاب الجيب الخارجى لسترة رابحى فيجاس، وكوم رقاقات مائة دولار على حاجز مائدته. راهن بمائتين على الحظ، وأسند رقمه ثم اشترى كل الأرقام بخمسمائة دولار للواحد. أمسك بالزهر طوال ساعة تقريباً . بعد الدقائق الخمس عشرة الأولى سرت كهرباء يده الحارة عبر الكازينو واكتظت المائدة ملأى. دفع رهاناته إلى حد خمسمائة دولار الأقصى، وواصلت الأرقام السحرية تدحرجها خارجة من يده. فى ذهنه كان نفى السبعة المشئومة إلى الجحيم. منعها من الظهور. امتلأ حاجز مائدته حتى الفيض بالرقاقات السود. انتفخت جيوب جاكتته إلى أقصاها. وأخيراً لم يعد ذهنه قادراً على مواصلة تركيزه، لم يعد قادراً على نفى السبعة المشئومة، وعبر الزهر من يده إلى اللاعب التالى. حياه المقامرون على المائدة. أعطاه رئيس الزاوية رفوفًا معدنية يحمل بها الرقاقات إلى صندوق الكازينو. ظهر ميرلين وكولى. ابتسم جوردان لهما.

- هل نزلت على رميتى؟، سأل.

فهز كولى رأسه:

- دخلت فى الدقائق العشر الأخيرة. قال: أبليتُ حسنًا قليلاً.

وضحك ميرلين:

- لم أومن بحظك ؛ بقيت خارجًا.

رافق ميرلين وكولى جوردان إلى صندوق الصراف ليساعداه فى التصريف. دهش جوردان عندما بلغ مجموع الصفوف المعدنية أكثر من خمسين ألف دولار. وكانت جيوبه لاتزال منتفخة بمزيد من الرقاقات.

أصيب ميرلين وكولى بالرعب. قال كولى جادا:

- يا جوردى، هذا وقت مغادرتك المدينة. ابق هنا وسيستردونه.

فضحك جوردان:

- لاتزال الليلة فتية بعد.

كان مما يسليه أن صديقيه يعتبران الأمر كبيراً جدا. ولكن النبرة كانت تفضحه. كان يحس تعباً هائلاً. قال:

- أنا ذاهب إلى غرفتي لإغفاءة. سأقابلكما أيها الصحاب وأشترى عشاءً كبيراً ربما فى حوالى منتصف الليل. حسنا؟.

كان أمين الصندوق قد انتهى من العد وقال لجوردان:

- يا سيدى، أتريد نقداً أم صكًّا؟ أو أنك تريد منا الاحتفاظ لك به هنا فى الصندوق؟

فقال ميرلين:

- خذ صكًّا.

وقطب كولى بجشع متفكر، ثم لاحظ أن جيوب جوردان السرية الداخلية لاتزال منتفخة بالرقاقات، فابتسم وقال:

- الصك آمَن.

انتظر ثلاثتهم، وكولى وميرلين يحيطان بجوردان، الذى كان ينظر من ورائهم إلى زوايا الكازينو البراقة. وأخيراً عاد الصراف للظهور بالصك الأصفر المسنن كما أسنان المنشار ، فسلمه إلى جوردان.

استدار الرجال الثلاثة معًا فى بِرْوِتّة (*) غير واعية؛ برقت جواكتهم حمرة وزرقة تحت مصابيح لوحة "الكينو" فوقهم. ثم أخذ ميرلين وكولى جوردان من مرفقيه ودفعاه إلى واحد من الممرات التى تشبه الدرجات نحو غرفته.

غرفة وثيرة، ثمينة، مبهرجة، ستائر ذهبية مترفة، سرير فخم مضرَّب بالفضة، مناسب بالضبط لمقامرة. أخذ جوردان حماماً ساخناً ثم حاول أن يقرأ. لم يستطع أن

(*) Pirouette استدارة فى رقص الباليه .

ينام. عبر النوافذ كانت أنوار شريط فيجاس النيونية ترسل ومضات من لون قوس قزح، تخطط جدران غرفته. سحب الستائر إلى بعضها بإحكام أشد ولكنه كان لايزال يسمع في ذهنه الهدير الخابي الذي كان ينتشر عبر الكازينو الضخم مثل أمواج متكسرة على ساحل بعيد. ثم أطفأ الأنوار في الغرفة ودخل الفراش. كان ذلك تظاهراً جيداً، ولكن ذهنه رفض أن يُخدع. ما كان بمقدوره أن يغفو.

ثم أحس جوردان الخوف المألوف والقلق الرهيب. لو أنه غفا نائماً، سيموت. كان يريد بيأس أن ينام، ومع ذلك لم يكن يقدر. كان خائفًا جدا، مرتعبًا جدا. ولكنه لم يستطع قط أن يفهم لماذا كان مرتعباً بهذا الشكل الرهيب.

أُغرى بأن يستعمل الحبوب المنومة ثانية؛ كان قد فعل ذلك سابقًا خلال الشهر وقد نام حينئذ فعلاً، ولكن مع كوابيس لم يستطع تحمُّلها. وكانت تتركه مكتئبًا في اليوم التالي. كان يفضل أن يبقى بلا نوم، كما الآن. فرقع جوردان النور مضيئًا إياه، خرج من الفراش وارتدى ملابسه. أفرغ كل جيوبه ومحفظته. فك سحابات كل الجيوب الخارجية والداخلية لجاكتة رياضة رابحي فيجاس وهزها قالبًا إياها بحيث تساقطت كل الرقاقات السوداء والخضراء والحمراء على الملاءة الحرير. شكلت أوراق مائة الدولار كومة هائلة، فيما كانت السوداء والحمراء تشكل لوالب غريبة وأشكالاً ذوات مربعات. لكي يُمر الوقت بدأ يعد المال ويصنف الرقاقات. وقد استغرقه ذلك نحو ساعة.

كان عنده أكثر من خمسة آلاف دولار نقداً. كان عنده ثمانية آلاف دولار في رقاقات مائة دولار سوداء وستة آلاف دولار أخرى في خضراوات ذوات خمسة وعشرين دولاراً، ونحو ألف دولار في حمراوات ذوات خمسة دولارات. دهش. أخرج صك فندق كسانادو الكبير ذا الحافة المثلَّمة من محفظته وتمعن في الخط الأسود والأحمر والمبلغ المرقوم بالأخضر. خمسون ألف دولار. درسه بإمعان. كانت ثمة ثلاثة توقيعات على الصك. وقد لاحظ أحد التوقيعات خصوصاً لأنه كان كبيراً جدا وكتابته واضحة جدا. ألفريد غرونيفيلت.

ومع ذلك كان محتاراً. تذكر أنه دفع بعض الرقاقات لتسلم النقد بضع مرات أثناء النهار، ولكنه لم يكن قد أدرك أنها كانت أكثر من خمسة آلاف. تقلب على السرير فانهارت الكومات المرصوفة بعناية على إحداها الأخرى.

وهو الآن مسرور. كان سعيداً لأن عنده مالاً يكفيه للبقاء فى فيجاس، لأنه لن يتعين عليه أن يمضى إلى لوس أنجلوس ليبدأ عمله الجديد. يبدأ حياته الجديدة، زوجته الجديدة، وربما عائلة جديدة. عدَّ كل المال ثانية وأضاف الصك. كان يساوى واحداً وسبعين ألف دولار. إن بإمكانه أن يقامر إلى الأبد.

أطفأ مصباح السرير الجانبى بحيث يمكنه أن يتمدد هناك فى الظلام مع ماله يحيط به ويلامس جسده. حاول أن ينام ليحارب الرعب الذى كان يستولى عليه دائمًا فى هذه الغرفة المظلمة، كان يمكنه أن يسمع قلبه يدق أسرع وأسرع حتى اضطر أخيراً إلى إشعال النور والنهوض من سريره.

عالياً فوق المدينة فى جناحه الكائن فى الشقة فوق السطح (*)، رفع مالك الفندق، ألفريد غرونيفيلت، الهاتف. طلب زاوية الزهر وسأل كم كان جوردان متقدماً. أُخبر أن جوردان قد قتل أرباح المائدة لتلك الليلة. ثم اتصل بعاملة البدالة ثانية وطلب منها أن تنادى على كسانادو خمسة. واحتفظ بالسماعة. ستمر بضع دقائق حتى يغطى النداء كل مناطق الفندق وينفذ إلى أذهان اللاعبين. حدق متشاغلاً إلى خارج نافذة شقة السطح فكان بمقدوره أن يرى أفعوان النيون العظيم السميك الأحمر والأخضر الذى يلتف هابطاً شريط لاس فيجاس. وأبعد إلى أمام، جبال الصحراء المظلمة التى تطوق، معه، آلاف المقامرين الذين يحاولون أن يغلبوا المؤسسة، يعرقون من أجل هذه الملايين من الدولارات ذوات الظهور الخضراء النائمة متحدية إلى هذا الحد فى صناديق الصرافة. على مدى السنين، كان هؤلاء المقامرون قد تركوا عظامهم على ذلك الشريط النيونى المبهرج.

(*) Penthouse – شقة فخمة تشغل كل مساحة سطح بناية، فى العادة، وقد يتوفر فيها مسبح وحديقة مغطاة، فتكون قصراً باذخاً.

ثم سمع صوت كولى يأتى على الهاتف. كان كولى هو كسانادو خمسة. (كان غرونيفيلت كسانادو واحد).

- يا كولى، لقد ضربنا رفيقك شديداً. أأنت متأكد أنه نظيف اللعب؟.

كان صوت كولى واطئًا:

- نعم، يا سيد غرونيفيلت. إنه صديقى وهو نزيه. سيفرغه قبل أن يرحل...

فقال غرونيفيلت:

- كل ما يريد، ارمه عليه. لا تتركه يذهب متسكعًا على الشريط، معطيًا مالنا للبيوت الأخرى. سلط عليه امرأة جيدة.

- "لا تقلق"، قال كولى. ولكن غرونيفيلت أحس شيئًا غريبًا فى صوته. تساءل لحظة عن كولى. كان كولى جاسوسه، يدقق اشتغال الكازينو وينقل التقارير عن موزعى البلاك جاك الذين كانوا قد يشاركون معه لهزيمة المؤسسة. كانت عنده خطط كبيرة لكولى عندما تنتهى هذه العملية. ولكنه كان يتساءل الآن.

- ماذا عن ذلك الشاب الآخر فى عصبتكم، الطفل؟، قال غرونيفيلت. ما مشكلته، ما الذى يفعل هنا ثلاثة أسابيع بحق الشيطان؟.

- إنه فكة صغيرة، قال كولى: ولكنه طفل طيب. لا تقلق، يا سيد غرونيفيلت. أعرف ما أناله وأنا مبحر معك.

- حسنًا، قال غرونيفيلت. وعندما وضع سماعة الهاتف، كان يبتسم. لم يكن كولى يدرى أن رؤساء الزوايا قد اشتكوا من أن كولى سُمح له بدخول الكازينو لأنه كان فنانًا فى العد التنازلى. وأن مدير الفندق اشتكى من أن ميرلين وجوردان سمح لهما بالاحتفاظ بغرفتين تقوم إليهما حاجة ماسة منذ مدة طويلة رغم وجود مقامرين مملوئين جدد يأتون كل نهاية أسبوع. والأمر الذى لم يكن يعرفه أحد هو أن غرونيفيلت كان مشدوداً إلى صداقة الرجال الثلاثة؛ ستكون طريقة انتهائها اختبار كولى الحقيقى.

حارب جوردان، فى غرفته، نزوة النزول عائداً إلى الكازينو. جلس على أحد الكراسى ذات المساند المنجّدة ، أشعل سيجارة. كان كل شىء حسناً الآن. إن عنده أصدقاء، وقد كان محظوظاً، وكان حرا. كان مجرد تعب. كان بحاجة إلى راحة طويلة فى مكان بعيد.

فكر. كولى وديان وميرلين. أفضل أصدقائه الثلاثة الآن، وابتسم لذلك.

كانوا يعرفون أشياء كثيرة عنه. لقد قضوا جميعًا ساعات فى بهو الكازينو معًا، يثرثرون، يرتاحون بين جولات المقامرة. لم يكن جوردان متكتماً قط. كان يجيب على أى سؤال، مع أنه لم يكن يلقى سؤالاً قط. وكان الطفل يلقى أسئلة بجدية، باهتمام واضح للغاية، بحيث لم يكن جوردان يحس إساءة أو إهانة.

ولمجرد أن يقوم بشىء، أخرج حقيبة ملابسه من الصوان ليحزمها. كان أول شىء لفت نظره المسدس الصغير الذى سبق أن اشتراه فى مدينته. لم يحدث أصدقاءه قط عن المسدس. لقد تركته زوجته وأخذت الأطفال. تركته من أجل رجل آخر، وكان رد فعله الأول هو أن يقتل الرجل الآخر. وهو رد فعل من البعد عن طبيعته الحقيقية بحيث إنه متعجب حتى الآن. طبيعى أنه لم يفعل شيئاً. كانت المشكلة هى التخلص من المسدس. كان أفضل ما يُفعل هو أن يفككه ويرميه بعيداً قطعة قطعة. لم يكن يريد أن يصير مسئولاً عن إصابة أى إنسان بأذى منه. ولكنه وضعه الآن فى جانب ورمى بضع قطع ملابس فى الحقيبة، ثم جلس مرة أخرى.

لم يكن متأكداً كثيراً من أنه يريد مغادرة فيجاس، كهف كازينوه المضاء بإشعاع. كان مرتاحاً هناك. كان فى أمان هناك. كانت عدم مبالاته حقا بالربح أو الخسارة هى عباءته السحرية ضد النصيب. وأكثر من كل شىء، أن كهف كازينوه أغلق كل آلام ومصائد الحياة، الأخرى، نفسها.

ابتسم ثانية، مفكراً فى قلق كولى بشأن أرباحه. فبعد كل شىء، ما الذى سيفعله بالمال؟ إن أفضل شىء يفعله هو أن يرسله إلى زوجته. كانت امرأة جيدة، أُمًّا جيدة،

امرأة ذات مكانة وشخصية. إن حقيقة كونها تركته بعد عشرين سنة لتتزوج عشيقها لا تغير، لا يمكن أن تغير، هذه الحقائق. لأنه في هذه اللحظة، الآن بعد أن مضت الأشهر، كان جوردان يرى بوضوح عدالة قرارها. إن لها الحق في أن تسعد، أن تحيا حياتها إلى أبعد مداها. ولقد كانت تختنق وهي تعيش معه. لا لأنه كان زوجًا سيئًا، مجرد زوج غير مناسب. كان أبًا جيداً. كان يؤدي واجبه بكل طريقة. كانت غلطته الوحيدة أنه لم يعد، بعد عشرين سنة، يسعد زوجته.

كان أصدقاؤه يعرفون قصته. بدت الأسابيع الثلاثة التي قضاها معهم في فيجاس كالسنوات، وكان بمقدوره أن يتحدث إليهم كما لم يستطع أن يتحدث إلى أيٍّ كان في مدينته. وقد تحقق ذلك على الشرب في الردهة، بعد وجبات منتصف الليل في المقهى.

كان يدري أنهم يعتبرونه بارد الدم. عندما سأله ميرلين كيف كانت شروط التزاور مع أطفاله، هز جوردان كتفيه. سأل ميرلين إن كان سيرى زوجته وأطفاله أساسًا مرة أخرى، فحاول جوردان أن يجيب بصدق:

- لا أظن ذلك. قال : إنهم بخير.

فأطلق ميرلين الطفل، رادًّا عليه:

- وأنت، أأنت بخير؟.

وضحك جوردان دون أن يوارب، ضاحكًا على الطريقة التي انقض بها ميرلين الطفل عليه. وقال، وهو لايزال يضحك:

- إي، أنا بخير. ثم سدد للطفل حسابه مرة واحدة على كونه فضوليًّا لهذا الحد. نظر باستقامة في عينيه وقال ببرود:

- ليس ثمة المزيد مما يُرى. ما تراه هو كل شيء. لا شيء معقد. ليس الناس بهذه الأهمية بالنسبة للآخرين. عندما تتقدم في السن، هكذا تكون الحال.

رد ميرلين نظرته وخفض عينيه ثم قال برقة بالغة:

- ذلك فقط لأنك لا تستطيع النوم ليلاً، صح؟.

فقال جوردان:

- هذا صحيح.

وقال كولى نافد الصبر:

- لا أحد ينام فى هذه المدينة. خذ لك فقط زوج حبوب منومة.

- إنها تسبب لى كوابيس، قال جوردان.

- لا، لا، قال كولى: إننى أقصدهن، وأشار إلى ثلاث صيادات زبائن جالسات حول طاولة، يتناولن الشراب. فضحك جوردان. كانت المرة الأولى التى يسمع فيها مصطلح فيجاس. لقد فهم الآن لماذا كان يقطع كولى المقامرة أحيانًا معلنًا أنه ذاهب ليأخذ زوج حبوب منومة.

لو كان ثمة وقت لحبوب نزهة منومة، فقد كان الليلة، ولكن جوردان كان قد جرب ذلك فى الأسبوع الأول فى فيجاس. كان بمقدوره أن يفعل ذلك دائمًا، ولكنه لم يشعر أبدًا حقا بالانفراج من التوتر فيما بعد. ذات ليلة أقنعته صيادة، وهى صديقة لكولى، بالـ"توائم" ؛ أن تجلب معها صديقتها. مجرد خمسين أخرى وستفعلان الأعاجيب حقا لأنه كان فتى لطيفًا. وقد قال حسنًا. وكان ذلك بهيجًا ومريحًا نوعًا ما.

وقد أعطاهما مائة إضافية. وقد ظنتا أن السبب كونهما جيدتين، ولكن السبب الحقيقى كان تلك الابتسامة الماكرة الخفية ، تلك الخيانة المريحة؛ الخيانة التى تؤكد الظنون بحلاوة. ومع ذلك فإن الفتاة المتمددة على ظهرها فى آخر رجفات ذروتها اليهودائية قد مدت يدها بعمى من أجل قبضة جوردان، ولقد تأثر حتى البكاء.

ولقد حاولت كل الحبوب المنومة المشاّءة أفضل فنونهن من أجله. كنَّ قشدة البلاد، هؤلاء الفتيات. إنهن يمنحنك محبة، إنهن يمسكن يدك، إنهن يذهبن إلى العشاء وإلى استعراض، إنهن يقامرن بقليل من مالك، ولا يخدعنك أو يلعبن عليك قط. إنهن يتظاهرن بأنهن مهتمات حقًا، ويضاجعنك حتى يطرن صوابك. كل ذلك من أجل ورقة مائة دولار منفردة، من أجل زنبور عسل مفرد حسب عبارة كولى. إنهن لصفقة! آه، يا للمسيح، لقد كن صفقة. ولكن لم يكن بمقدوره قط أن يترك نفسه يخدع حتى للحظة الجولة الصغيرة. كن يغسلنه حتى التفريغ قبل أن يغادرنه: مريضًا، رجلاً مريضًا على سرير مستشفى. حسنًا، كن أفضل من الحبوب المنومة الاعتيادية، فهن لا يسببن له الكوابيس. ولكن لم يكن بمقدورهن أن ينمنه هن أيضًا. لم يكن قد نام حقًا طوال ثلاثة أسابيع.

ارتخى جوردان منهكًا على اللوحة الرأسية لسريره. لم يتذكر تركه الكرسى. عليه أن يطفئ الأنوار ويحاول النوم. ولكن الرعب سيعود. ليس خوفًا ذهنيا، بل فزع مادى لا يمكن لجسده أن يحاربه حتى مع وقوف ذهنه إلى جانبه سائلاً ما الذى كان يجرى. لم يكن ثمة خيار. عليه أن يهبط عائدًا إلى الكازينو. ألقى بصك الخمسين ألفًا إلى الحقيبة. لن يقامر بغير النقد والرقاقات.

جرف جوردان كل شيء عن السرير وحشا جيوبه. خرج من الغرفة وهبط من الصالة إلى الكازينو. كان المقامرون الحقيقيون على الموائد الآن، فى ساعات الصباح الباكر هذه. لقد أتموا صفقاتهم التجارية، أتموا تناول عشاءاتهم فى غرف خبراء الطعام والشراب، أخذوا زوجاتهم إلى الاستعراضات ثم وضعوهن فى الأسرَّة أو زودوهن برقاقات من ذوات الدولار الواحد عند عجلة الروليت. بعيدًا عن الزحام. أو قد ارتاحوا نتيجة مضاجعة، أو حضروا وظيفة اجتماعية ضرورية. كلهم جاهزون الآن ليحاربوا النصيب. المال فى أيديهم، كانوا يقفون فى الصف الأمامى عند موائد

الكرابس. كان رؤساء أركان الألعاب ينتظرون مع عدادات خالية أن تنفد رقاقاتهم حتى يتمكنوا أن يوقّعوا فى طلب ألف دولار آخر أو ألفين أو ثلاثة آلاف. أثناء الساعات المظلمة التالية سيوقع الرجال ثروات مضيعة. لا يعرفون قط لماذا. نظر جوردان بعيداً نحو الطرف الأقصى من الكازينو.

كانت حظيرة مسيجة بدرابزون أنيق باللون الرمادى الملكى تؤوى مائدة الباكاراه البيضاوية الطويلة حاجزة إياها عن أرضية الكازينو الرئيسية. كان حارس أمن مسلح يقف عند البوابة لأن مائدة الباكاراه تتعامل على الأغلب بالنقد، لا بالرقاقات. وكان يحرس مائدة اللباد الأخضر من كل طرف كرسى عالى الظهر. كان يجلس على هذين الكرسيين مراقبان، يدققان مديرى الألعاب والمدفوعات، لا يستر تركيزهما الصقرى إلا قليلاً لباس السهرة الذى كان يلبسه كل مستخدمى الكازينو فى محوطة الباكاراه. كان المراقبان يراقبان كل حركة من المديرين الثلاثة ورئيس الزاوية الذين يديرون الشغل. بدأ جوردان يسير نحوهم حتى صار بمقدوره أن يرى الأشباح المميزة للمديرين فى لباس سهرتهم الرسمى.

أربعة قديسين فى أربطة عنق سوداء، كانوا يغنون صيحات التهليل للرابحين والترانيم الجنائزية للخاسرين. رجال وسيمون، حركاتهم سريعة، سحرهم قارّ، كانوا يباركون اللعبة التى يحكمونها. ولكن قبل أن يتمكن جوردان من عبور البوابة الرمادية الملكية، خطا كولى وميرلين أمامه.

قال كولى برقة:

- ليس أمامهم غير خمس عشرة دقيقة يلعبون فيها. ابق خارجاً. كانت الباكاراه تنتهى فى الثالثة صباحاً.

ثم نادى واحد من القديسين اللابسين أربطة سوداء على جوردان:

- إننا نقوم بإعداد الحاوية الأخيرة، حاوية السيد جَيْ. أ، وضحك.

كان بمقدور جوردان أن يرى الأوراق ملقاة مركومة كلها على المائدة، زرقاء الأظهر، ثم جرفها ليصفَّها قبل الخلط، وأوجهها البيضاء الشاحبة تُرى. قال جوردان:

- ماذا لو دخلتما أيها الشابان معي؟ سأضع أنا المال وسنراهن بالمبلغ المحدود لكل كرسي، الأمر الذى كان يعنى أن جوردان سيقامر بستة آلاف على كل يد، مادام الحد ألفين.

- أأنت مجنون؟، قال كولى: يمكنك أن تذهب إلى الجحيم.

- اجلس هناك فقط، قال جوردان: سأعطيك عشرة بالمائة من كل ما يكسبه كرسيك.

- لا، قال كولى وسار بعيداً عنه ومال على درابزون الباكاراه.

فقال جوردان:

- يا ميرلين، تقعد فى الكرسى من أجلى؟.

ابتسم ميرلين الطفل له وقال بهدوء:

- نعم، سأقعد فى الكرسى.

- تحصل على عشرة بالمائة، قال جوردان.

- نعم، حسنًا، قال ميرلين. سارا معًا عبر البوابة وجلسا. كان لدى ديان الحاوية المعدّة حديثًا، وجلس جوردان فى الكرسى جنبها بحيث يمكنه أن يحوز الحاوية تاليًا. حنت ديان رأسها له.

- لا تقامر بعد، يا جوردى، قالت.

لم يقامر على يدها فيما كانت توزع أوراقًا زرقاء من الحاوية.

خسرت ديان، خسرت العشرين دولار التى تخص المؤسسة وخسرت مركز الموزع ومررت الحاوية إلى جوردان.

كان جوردان مشغولاً بتفريغ كل الجيوب الخارجية فى سترة رابحى فيجاس الرياضية. رقاقات: سوداء وخضراء، وأوراق نقد فئة مائة دولار. وضع مقدارًا من أوراق النقد أمام كرسى ميرلين السادس. ثم أخذ الحاوية ووضع عشرين رقاقة سوداء فى شق مدير اللعبة.

- أنت أيضًا، قال لميرلين.

عدَّ ميرلين عشرين ورقة من فئة مائة الدولار من الكدس الذى أمامه ووضعها فى شقه: شق مدير اللعبة.

رفع جامع الأموال راحة يد عاليًا كى يمنع توزيع جوردان. تطلع حول المائدة ليرى إن كان الجميع قد قاموا برهاناتهم. ثم سقطت راحته إلى يدٍ مؤشرةٍ، وغنى لجوردان:

- ورقة للاعب.

وزع جوردان الورق. واحدة لجامع المال، وواحدة لنفسه. ثم واحدة أخرى لجامع المال وأخرى لنفسه. تطلع الجامع حول المائدة ثم رمى ورقتيه إلى الرجل الذى كان يراهن بأعلى مبلغ على اللاعب. اختلس الرجل نظرات حذرة من ورقه ثم ابتسم ورمى ورقتيه مكشوفتين. كان عنده تسعة طبيعية، لا تُقهر. قذف جوردان ورقتيه، الوجه إلى أعلى، حتى من دون أن ينظر إليهما. كان عنده ورقتا صورة. صِفْر. احترق. مرر جوردان الحاوية إلى ميرلين. ومرر ميرلين الحاوية إلى اللاعب التالى. للحظة، حاول جوردان أن يوقف الحاوية، ولكن شيئًا فى وجه ميرلين أوقفه. لم يتكلم أى منهما.

اتخذ الصندوق البنى، المائل إلى الذهبى، طريقه ببطء حول المائدة. كان يغير اتجاهه بسرعة. ربح مدير اللعبة. ثم اللاعب. لا ربحان متتاليان لأى منهما. جوردان

قامر مدير اللعبة طوال الطريق، ضاغطًا، خسر أكثر من عشرة آلاف دولار من كومته هو، إذ كان ميرلين لايزال يرفض أن يراهن. وأخيرًا صارت الحاوية عند جوردان ثانية.

قام برهانه، حد ألفى دولار. مدَّ يده إلى مال ميرلين وانتزع رزمة من الأوراق ورماها إلى شق المدير. لاحظ بشكل عابر أن ديان لم تعد إلى جانبه. ثم كان مستعدًا. أحس جيشانًا هائلاً من القوة، أن بمقدوره أن يريد من الورق أن يخرج من الحاوية كما يريد له هو.

ضرب جوردان بهدوء وبلا عاطفة أربعة وعشرين نقلة مباشرة. عند النقلة الثامنة كان الدرابزون حول مائدة الباكاراه مزدحمًا وكان كل لاعب على المائدة يراهن على المدير، راكبًا مع الحظ. وعند النقلة العاشرة مال جامع المال فى شق المال إلى أسفل وسحب رقاقات الخمسمائة دولار الخاصة. كانت باللون الجميل الأبيض المائل إلى لون القشدة تتخللها خيوط ذهبية.

كان كولى مضغوطًا على الدرابزون. ديان واقفة معه. لوّح لهما جوردان تلويحة صغيرة. كان منفعلاً للمرة الأولى. عند الطرف الآخر من المائدة، إلى الأسفل، صاح مقامر من أمريكا الجنوبية: أستاذ، فيما رمى جوردان نقلته الثالثة عشرة. ثم صارت المائدة صامتة بشكل غريب عندما واصل جوردان الضغط.

وزع بلا جهد من الحاوية، وبدا كما لو أن يديه تفيضان. لم يحدث قط ولا مرة أن تعثرت ورقة أو زلقت فيما كان يخرجها من مخبئها فى الصندوق الخشبى. ولم يكشف عرضًا الوجه الأبيض الشاحب لورقة ما. قلب أوراقه بالحركة الموقعة ذاتها فى كل مرة، بدون النظر، تاركًا رئيس الجامعين ينادى الأرقام والمكاسب. وعندما قال جامع المال: ورقة للاعب، زلقها جوردان بسهولة دون التأكيد ليجعلها جيدة أو سيئة. وعندما نادى الجامع: ورقة لمدير اللعبة، زلقها جوردان مرة أخرى بنعومة وخفة، بدون عاطفة.

وأخيراً، عندما كان ماضياً إلى النقلة الخامسة والعشرين خسر لصالح اللاعب، وكان جامع المال يلعب يد اللاعب لأن الجميع كانوا يراهنون على المدير.

مرر جوردان الحاوية إلى ميرلين، الذى رفضها ومررها إلى الكرسى التالى. كان لدى ميرلين أيضاً أكداس من رقاقات الخمسمائة دولار الذهبية أمامه. ماداما ربحا على مدير اللعبة، كان عليهما أن يدفعا خمسة بالمائة عمولة المؤسسة. عد الجامع لوحات العمولة مقابل رقمى مقعديهما. كانت أكثر من خمسة آلاف دولار. الأمر الذى كان يعنى أن جوردان قد ربح مائة ألف دولار فى تلك اليد الساخنة بمفردها. وقد كفل كل مقامر حول المائدة.

كان كلا المراقبين على الهواتف، من فوق مقعديهما العاليين، يتصلان بمدير الكازينو وصاحب الفندق ليبلغاهما الأخبار السيئة. إن ليلة سيئة الحظ على مائدة الباكاراه كانت إحدى المخاطر الجدية القليلة على هامش ربح الكازينو. ليس معنى ذلك أنها تعنى شيئًا ما على المدى الطويل، ولكن الكوارث الطبيعية ينبغى مراقبتها. نزل غرونيفيلت ذاته من جناحه على السطح ودخل بهدوء إلى محوطة الباكاراه، ليقف فى الزاوية مع رئيس الركن، مراقبًا. رآه جوردان من زاوية عينه وعرف من هو، فقد كان ميرلين أشّر له عليه ذات يوم.

انتقلت الحاوية حول المائدة وبقيت، بحياء، حاوية مدير لعبة. حقق جوردان مالاً قليلاً. ثم صارت الحاوية فى يده مرة أخرى.

هذه المرة بلا جهد وبيسر، حققت يداه اللتان تشبهان يدى راقص باليه، كل حلم يحلم به لاعب الباكاراه. أتمت الحاوية النقلات. لم تعد فيها أوراق. وكان أمام جوردان كدس فوق كدس من الرقاقات الذهبية البيضاء.

رمى جوردان أربعًا من الرقاقات الذهبية والبيضاء إلى رئيس الجامعين. لك، أيها السيد، قال.

قال رئيس الركن:

ـ يا سيد جوردان، لم لا تلزم مكانك وسنحول نحن كل هذا المال إلى صك؟.

حشر جوردان لفيفة أوراق المائة دولار الضخمة في جاكتته، ثم رقاقات المائة دولار السوداء، تاركًا أكداسًا لا نهاية لها من الرقاقات الذهبية والبيضاء ذوات الخمسمائة دولار على المائدة:

ـ يمكنك أن تعدها لي، قال لرئيس الركن. وقف ليمطّي رجليه، ثم قال عرضًا:

ـ أيمكنك أن تُعد حاوية أخرى؟.

تردد رئيس الركن واستدار إلى مدير الكازينو الواقف مع غرونيفيلت. هز مدير الكازينو رأسه بمعنى: لا. لقد دُمغ جوردان عنده بوصفه مقامرًا مريضًا. سيبقى جوردان في فيجاس بالتأكيد حتى يخسر. ولكن الليلة ليلته الساخنة. ولماذا يعارضونه في ليلته الساخنة؟ سينقلب الورق غدًا. لا يمكنه أن يكون محظوظًا إلى الأبد، ثم ستكون نهايته سريعة. كان مدير الكازينو قد شاهد كل ذلك قبلاً. إن أمام الكازينو ما لا نهاية له من الليالي ولكل منها الأرجحية، النسبة المئوية. قال مدير الكازينو:

ـ أغلق المائدة.

حنى جوردان رأسه. استدار لينظر إلى ميرلين وقال:

ـ دقِّق العد، إنك تحصل على عشرة بالمائة من ربح مقعدك، وكان ما أدهشه أنه شاهد نظرة أسى تقريبًا في عيني ميرلين، وقال ميرلين:

ـ لا.

كان جامعو المال يعدون رقاقات جوردان الذهبية ويصفُّونها حتى يتمكن المراقب، رئيس الركن ومدير الكازينو أيضًا من تدقيق عدِّهم. وانتهوا أخيرًا. نظر رئيس الركن إلى أعلى وقال بخشوع:

ـ عندك مائتان وتسعون ألف دولار هنا، يا سيد جَيْ. أتريدها كلها في صك؟.

هز جوردان رأسه موافقًا. كانت جيوبه الداخلية لاتزال مثقلة برقاقات أخرى، وأوراق نقدية. لم يكن يريد أن يودعها.

كان المقامرون الآخرون قد تركوا المائدة والمحوطة عندما قال مدير الكازينو إنه لن يكون ثمة حاوية أخرى. ومع ذلك، كان رئيس الركن لايزال يهمس. كان كولي قد جاء عبر الدرابزون ووقف إلى جانب جوردان، كما كان ميرلين يفعل، وكان ثلاثتهم يبدون مثل أعضاء في واحدة من عصابات الشوارع في جواكت فيجاس الرياضية للرابحين.

كان جوردان متعبًا حقًا الآن، أكثر تعبًا من أن يتحمل الإجهاد البدني للكرابس والروليت. وكان الـ بلاك جاك بطيئًا جدا بحده البالغ خمسمائة دولار. قال كولي:

ـ إنك لن تلعب المزيد. يا للمسيح، أنا لم أرَ قط شيئًا كهذا. لا يمكن إلا أن تُهزم. لا يمكنك أن تكون بذلك السعد مرة أخرى. فهز جوردان رأسه موافقًا.

أخذ حارس الأمن صينيات فيها رقاقات جوردان والإيصالات الموقعة من رئيس الركن إلى صندوق الصراف. انضمت ديان إلى مجموعتهم وقبلت جوردان. كانوا جميعهم منفعلين بشكل هائل. أحس جوردان في تلك اللحظة أنه سعيد. بيسر بالغ. بمجرد المراهنة بمبلغ عظيم من المال على دورة الورق. ويربح.

كان عليهم أن ينتظروا مجيء الصك من صندوق الصراف. قال ميرلين ساخرًا لجوردان:

ـ أنت غني، يمكنك أن تفعل ما تريد. فقال كولي:

ـ عليه أن يترك فيجاس.

كانت ديان تهصر يد جوردان. ولكن جوردان كان يحدق إلى غرونيفيلت، الواقف مع مدير الكازينو والمراقبين اللذين هبطا عن مقعديهما. كان الرجال الأربعة يتهامسون. قال جوردان فجأة:

ـ يا كسانادو واحد، ما رأيك في توزيع حاوية؟.

سـار غرونيـفيلت مـبتـعداً عن بقيـة الرجال، وصـار وجـهه فـجأة فى كـامل وهج الضـيـاء. صـار بمسـتطـاع جـوردان أن يرى أنـه أكـبـر ممـا كـان يظنه. ربما فى نـحـو السبـعين، مع أنه مـورد البـشـرة وسـالم. له شـعـر رمـادى بلون الحـديد، كث وممشط بترتيب. وكان وجهه ملوّحًا مائلاً إلى الحمرة. وكانت هيئته شديدة، لم تهتز بفعل السن بعد. ولاحظ جوردان أن رد فعله كان بسيطًا جدا على خطابه إياه برمز هاتفه.

ابتسم غرونيفيلت له. لم يكن غاضبًا. ولكن شيئًا فيه استجاب للتحدى، استعاد شبابه، عندما كان مقامراً مريضًا. الآن وقد أمّن عالمه، كانت حياته تحت السيطرة. كانت عنده مسرات عدة، وواجبات كثيرة، وبعض المخاطر ولكن نادرًا جدا من الإثارة الخالصة. سيكون حلوًا أن يتذوق واحدة مرة أخرى، وإضافة إلى ذلك كان يريد أن يرى كيف سيحتمل جوردان، ما الذى يجعله يتك.

قال غرونيفيلت برقة:

ـ عندك صك بمائتين وتسعين ألف دولار سيأتيك من الصندوق، صحيح؟.

هزّ جوردان رأسه.

قال غرونيفيلت:

ـ سأجعلهم يعدون الحاوية. نلعب يدًا واحدة. الضعف أو لا شيء. ولكن عليك أن تراهن على اللاعب، لا على مدير اللعبة.

بدا كل شخص فى محوطة الباكاراه مذهولاً. نظر جامعو المال إلى غرونيفيلت فى دهشة. لم يكن يجازف بمبلغ ضخم من المال فقط، على الضد من قوانين الكازينو، بل كان يجازف أيضًا بجواز كازينوه إذا ما عرفت هيئة ألعاب الولاية بهذا الرهان. ابتسم له غرونيفيلت:

ـ اخلط هذه الأوراق، قال: أعدّ هذه الحاوية.

فى هذه اللحظة جاء رئيس الركن عبر بوابة المحوطة وسلم جوردان قطعة الورق الصفراء المستطيلة ذات الحاشية المخرومة التى كانت الصك. نظر جوردان إليها لحظة واحدة فقط، ثم وضعها على شق اللاعب وقال لغرونيفيلت مبتسمًا:

- لقد حصلت على رهانك.

رأى جوردان ميرلين يتراجع ويتكئ على الدرابزون الرمادى - البنفسجى. كان ميرلين يدرس بتركيز ثانية. قطعت ديان بضع خطوات جانبًا فى ذهول. كان جوردان مسرورًا بدهشتهم. كان الشىء الوحيد الذى لا يحبه هو الرهان ضد حظه بالذات. لقد كره فكرة توزيع الورق من الحاوية والمراهنة ضد يده. التفت إلى كولى، وقال:

- يا كولى، وزع الأوراق عنى.

ولكن كولى انكمش مبتعدًا، مرعوبًا. ثم رمق كولى جامع المال، الذى كان قد أسقط الورق من العُلَيبة تحت المائدة وكان يكدسه للخلط. بدا كولى وكأنه ارتجف قبل أن يستدير ليواجه جوردان.

- يا جوردى، إنه رهان فظيع، قال برقة كما لو لم يكن يريد أحدًا أن يسمع. ألقى نظرة خاطفة على غرونيفيلت، الذى كان يحدق إليه. ولكنه واصل:

- اسمع، يا جوردى، إن لمجمَّع المال أرجحية بواقع اثنين ونصف بالمائة على اللاعب دائمًا. كل يد توزَّع. ولهذا فالشخص الذى يراهن على المجمع عليه أن يدفع خمسة بالمائة عمولة. ولكن المؤسسة عندها الآن مجمع المال. فى رهان كهذا لا تعنى العمولة شيئًا. من الأفضل الحصول على أرجحية الاثنين والنصف بالمائة فى الأرقام المفردة على كيفية ظهور اليد. هل تفهم ذلك، يا جوردى؟ حافظ كولى على صوته فى نبرة مستوية. كما لو كان ينصح طفلاً.

ولكن جوردان ضحك:

ـ أعرف ذلك، قال. أوشك أن يقول إنه كان يعتمد على ذلك، ولكن لم يكن ذلك صحيحًا. ماذا عن ذلك، يا كولي؟ وزع الورق عني. لا أريد أن أمضي ضد حظي.

وزع جامع المال حزمة الورق الضخمة إلى أقسام، ثم وضعها جميعًا معًا. مدَّ البطاقة البلاستيكية الصفراء الخالية إلى جوردان ليقطع. نظر جوردان إلى كولي. تراجع كولي من دون كلمة أخرى. مد جوردان يده وقطع الحزمة. تقدم الجميع الآن نحو حافة المائدة. حاول المقامرون الذين كانوا خارج المحوطة، وقد رأوا الحاوية الجديدة، أن يدخلوا فمنعهم حارس الأمن. بدأوا يحتجون. ولكنهم سرعان ما خيَّم عليهم السكون. تجمهروا خارج الدرابزون. قلب جامع المال الورقة الأولى التي سحبها من الحاوية. كانت سبعة. سحب سبع ورقات من الحاوية، دافنًا إياها في الشق. ثم دفع الحاوية عبر المائدة إلى جوردان. بقي جوردان جالسًا في كرسيه. وفجأة تكلم غرونيفيلت، قال:

ـ يد واحدة فقط.

رفع جامع المال يده وقال بعناية:

ـ يا سيد جي، إنك تراهن على اللاعب، أتفهم؟ إن اليد التي أقلبها ستكون اليد التي تراهن عليها. واليد التي تقلبها أنت بوصفها يد مدير اللعبة ستكون اليد التي تراهن ضدها.

فابتسم جوردان:

ـ أفهم ذلك.

تردد جامع المال ثم قال:

ـ إن كنت تفضل، فبإمكاني أن أوزع من الحاوية.

ـ كلا، قال جوردان: لا بأس بهذا. كان منفعلاً حقًا. لا من أجل المال فقط، بل بسبب القوة التي كانت تفيض منه لتغطي الناس والكازينو.

قال جامع المال وهو يمسك:

- ورقة واحدة لي، وورقة لك. ثم واحدة لي وواحدة لك، من فضلك. وتوقف على نحو دراماتيكي، ومدَّ يده الأقرب إلى جوردان قائلاً:

- ورقة للاعب.

استل جوردان بسرعة وبلا عناء الورق أزرق الظهر من الحاوية ذات الشقوق. لم تتردد يداه، اللتان كانتا مباركتين بشكل استثنائي مرة أخرى. انتقلتا المسافة المضبوطة عبر اللباد الأخضر إلى يدي جامع المال المنتظرتين، الذي سرعان ما نقفهما فجعل وجههما إلى أعلى ثم وقف وقد أذهلته التسعة التي لا تُغلب. لا يمكن أن يخسر جوردان. وندَّ عن كولي خلفه زئير:

- تسعة طبيعية.

لأول مرة نظر جوردان إلى ورقتيه قبل أن يسلمهما. كان عمليا يلعب يد غرونيفيلت وهكذا يأمل بالأوراق الخاسرة. ابتسم الآن وسلم أوراق مدير اللعبة. قال:

- تسعة طبيعية. وذلك ما كانت. كان الرهان مؤجّلاً. تساويا. ضحك جوردان، وقال:

- أنا محظوظ جدا.

ونظر جوردان إلى غرونيفيلت:

- مجدداً؟.

فهز غرونيفيلت رأسه، وقال:

- كلا. ثم قال لجامع المال ورئيس الركن والمراقبين:

- أغلقوا المائدة. وسار غرونيفيلت خارجًا من المحوطة. لقد استمتع بالرهان،

ولكنه كان يعرف ما يكفي لأن لا يمط الحياة إلى حد خطر. إثارة واحدة كل مرة. سيتعين عليه غداً أن يسوِّى أمر الرهان غير الملتزم بالقواعد مع هيئة القمار. وسيتعين عليه أن يجرى حديثاً مطوّلاً مع كولى فى اليوم التالى. ربما كان مخطئاً بشأن كولى.

مثل حرس شخصى، أحاط كولى وميرلين وديان بجوردان وساقوه إلى خارج محوطة الباكاره. تناول كولى الصك الأصفر ذا الحواشى المخرمة من على المائدة اللبادية الخضراء وحشاه فى جيب صدر جوردان الأيسر، وسحب سحابته ليجعله فى أمان. كان جوردان يضحك مسروراً. نظر إلى ساعته. كانت الرابعة صباحاً. كانت الليلة على وشك أن تنتهى. قال:

ـ لنتناول القهوة والإفطار. وقادهم إلى المقهى بحجيراته المنجدة بالأصفر.

عندما استقروا جالسين، قال كولى:

ـ حسناً، لقد حصل على نحو أربعمائة ألف دولار. علينا أن نخرجه من هنا.

ـ يا جوردى، عليك أن تغادر فيجاس. إنك ثرى. يمكنك أن تفعل ما تشاء. لاحظ جوردان أن ميرلين كان يراقبه بإمعان. اللعنة، كان ذلك يزداد إهاجة.

لامست ديان جوردان على ذراعه وقالت:

ـ لا تلعب بعد قط، أرجوك. كانت عيناها تشعان. وأدرك جوردان فجأة أنهم يتصرفون كما لو كان قد هرب، أو كان أعفى من نوع ما من النفى. أحس سعادتهم له، ولكى يرد عليها قال:

ـ الآن، دعونى أقويكم ماليا يا شباب، وأنت أيضاً يا ديان. عشرين ألف دولار للواحد.

أحسوا ذهولاً خفيفاً جميعهم. ثم قال ميرلين:

- سأخذ المال عندما تكون على تلك الطائرة التى تغادر فيجاس. وقالت ديان:

- هذا هو الاتفاق، عليك أن تركب الطائرة، عليك أن تغادر هنا. صحيح يا كولى؟.

لم يكن كولى بذلك الحماس. ما الخطأ فى أخذ عشرين ألف دولار الآن، ثم وضعه على الطائرة؟ لقد انتهى القمار. ما كان بمقدورهم أن ينحسوه. ولكن كان لكولى وجدان يحس الذنب فلم يستطع أن يقول ما يدور فى ذهنه. وكان يعرف أن هذا ربما سيكون الإشارة الرومانتيكية الأخيرة فى حياته. أن يُظهر صداقة حقيقية، كهذين الحمارين ميرلين وديان. أفلم يكونا يدريان أن جوردان كان مجنونًا؟ أنه يمكن أن ينسل منهم ويخسر الثروة بأكملها؟

قال كولى:

- اسمعا، يجب أن نبقيه بعيدًا عن الموائد. علينا أن نحميه ونربط قدميه حتى تغادر تلك الطائرة غدًا إلى لوس أنجلوس.

هز جوردان رأسه:

- لست ذاهبًا إلى لوس أنجلوس. يجب أن يكون أبعد من ذلك. أى مكان فى العالم. وابتسم لهم:

- لم يسبق لى أن خرجت من الولايات المتحدة.

- نحتاج إلى خارطة، قالت ديان: سأهتف لرئيس خدم الفندق. يمكنه أن يدبر لنا خارطة العالم. يمكن لرؤساء الخدم أن يفعلوا كل شىء. والتقطت الهاتف الموضوع على رف الحجيرة وأجرت الاتصال. كان رئيس الخدم قد دبَّر لها مرة إجهاضًا خلال عشر دقائق.

تغطت المائدة بصحون الطعام: بيض، لحم خنزير مقدد، فطائر حلوة وشرائح لحم إفطار صغيرة. كان كولى قد طلب أكل أمراء.

فيما كانوا يأكلون، قال ميرلين:

- أأنت مرسلُ الصكوك إلى أطفالك؟. لم ينظر إلى جوردان، الذى درسه بهدوء، ثم هز كتفيه.

لم يكن قد فكر فى ذلك حقًا. ولسبب ما غضب على ميرلين لأنه سأل السؤال، ولكن للحظة واحدة فقط.

- ولماذا عليه أن يعطى المال لأطفاله؟، قال كولى: إنه يعتنى بهم جيداً حقًا. الأمر التالى الذى ستقوله إن عليه أن يرسل الصكوك إلى زوجته، وضحك كما لو كان ذلك خارج مملكة الممكن، ومرة أخرى أحس جوردان بغضب قليل. لقد سبق أن قدم صورة خاطئة عن زوجته. لقد كانت خيراً من ذلك.

أشعلت ديان سيجارة. كانت تكتفى بشرب القهوة، وكانت ثمة ابتسامة متأملة خفيفة على وجهها. لمجرد ثانية واحدة مسحت يداها كمَّ جوردان فى عملية تواطؤ أو تفاهم ما، كما لو أنه كان هو أيضًا امرأة وأنها كانت تتحالف معه. فى تلك اللحظة جاء رئيس الخدم شخصيا ومعه أطلس. مد جوردان يده إلى جيبه وأعطاه ورقة مائة دولار. وكان رئيس الخدم كالهارب تقريبًا فى انصرافه قبل أن يتمكن كولى، المستشاط غضباً، من قول شىء. بدأت ديان تفتح الأطلس.

كان ميرلين الطفل لايزال مركزًا على جوردان، وسأل:

- كيف هو الشعور؟. فقال جوردان:

- عظيم. وابتسم مسروراً لنوبة انفعالهم.

قال كولى:

- اقترب من مائدة كرابس وسنتسلق جميعنا عليك. لا مزاح، وضرب يده على المائدة. لا مزيد.

نشرت ديان الخارطة فوق المائدة، مغطية أطباق الطعام نصف المأكول المتسم بالفوضى. انكبوا عليها، فيما عدا جوردان. عثر ميرلين على مدينة فى أفريقيا. قال جوردان بهدوء إنه لا يريد الذهاب إلى أفريقيا.

كان ميرلين متراجعًا إلى الخلف، لا يدرس الخارطة مع الآخرين. كان يراقب جوردان. وفاجأهم كولى جميعًا عندما قال:

- ثمة مدينة أعرفها فى البرتغال: ميرسيداس. لقد فوجئوا لأنهم لم يكونوا، لسبب ما، قد فكروا قط في أنه عاش فى أى مكان عدا فيجاس. وها هو فجأة يعرف مدينة فى البرتغال.

- نعم. ميرسيداس، قال كولى: لطيفة ودافئة. ساحل عظيم. فيها كازينو صغيرة بحد رهانٍ أعلى يبلغ خمسة وعشرين دولارًا ولا تفتح الكازينو إلا ست ساعات فى الليلة. يمكنك أن تقامر مثل شخص عظيم الشأن ولا يصيبك حتى مجرد أدنى أذى. كيف يبدو لك ذلك. يا جوردان؟ ماذا تقول بميرسيداس؟.

- حسنًا، قال جوردان.

وبدأت ديان تخطط للسفرة.

- لوس أنجلوس فوق القطب الشمالى إلى لندن. ثم طيران إلى لشبونة. ثم، أظنك تذهب بالسيارة إلى ميرسيداس.

- كلا، قال كولى: ثمة طائرات إلى مدينة كبيرة ما قريبًا منها، نسيت أية مدينة. وتأكدوا من مغادرته لندن بسرعة. إن نوادى قمارها قتالة.

قال جوردان:

- يجب أن أنال قسطًا من النوم. فنظر إليه كولى:

ـ يا للمسيح، إى، إى، إنك تبدو كالخراء. اصعد إلى غرفتك وادخل فى فراشك. سنقوم بكل الترتيبات. سنوقظك قبل أن تغادر طائرتُك. ولا تحاول العودة إلى الكازينو. سنقوم أنا والطفل بحراسة المكان.

وقالت ديان:

ـ يا جوردان، سيتعين عليك أن تعطينى بعض المال للتذاكر. فأخذ جوردان لفيفة ضخمة من أوراق المائة دولار من جيبه ووضعها على المائدة. عدَّت ديان ثلاثين منها بعناية.

ـ لا يمكن أن تكلف أكثر من ثلاثة آلاف دولار على الدرجة الأولى للطريق كله، أيمكن؟، تساءلت.

هزّ كولى رأسه نفيًا:

ـ فوقها ألفان، قال كولى: احجزى فنادقه أيضًا. وتناول باقى الأوراق عن المائدة وحشرها فى جيب جوردان ثانية.

نهض جوردان وقال، محاولاً للمرة الأخيرة:

ـ أيمكننى أن أدعمكم الآن؟.

فقال ميرلين على عجل:

ـ كلا. إنه نحس، ليس قبل أن تصير على الطائرة. رأى جوردان نظرة الشفقة والمحبة على وجه ميرلين. ثم قال ميرلين:

ـ خذ بعض النوم. عندما نناديك، سنساعدك فى الحزم.

ـ حسنًا، قال جوردان وترك المقهى ومضى نازلاً الدهليز الذى يؤدى إلى غرفته. كان يدرى أن كولى وميرلين قد تبعاه إلى حيث يبدأ الدهليز، ليتأكدا من أنه لن يتوقف

ليقامر. تذكر بغموض ديان تقبله مودعة، وحتى كولى أمسك بكتفه بمحبة. من كان يظن أن رجلاً مثل كولى كان ذات يوم فى البرتغال.

عندما دخل جوردان غرفته أرتج الباب مثنى ووضع السلسلة الداخلية. إنه الآن فى أمان مطلق. جلس على حافة السرير، وفجأة أحس غضبًا فظيعًا. لقد أصابه صداع وكان جسده يرتجف بشكل لا يمكن السيطرة عليه.

كيف يجرؤون على الشعور بمحبة نحوه؟ كيف يجرؤون على إظهار تعلقهم به؟ لم يكن لديهم من سبب ـ لا سبب. لم يسبق أن اشتكى قط. إنه لم يسع إلى محبتهم قط. لم يشجع أى حب منهم. لم يكن يرغب فيه. كان يقرفه.

سقط على ظهره على الوسائد، متعبًا بحيث لم يستطع خلع ملابسه. كانت الجاكتة، الثقيلة بالرقاقات والمال، غير مريحة، فتململ خارجًا منها وتركها تسقط على الأرضية المفروشة بالسجاد. أغمض عينيه وفكر بأنه سينام على الفور، ولكن مرة أخرى كهرب الرعب الغامض جسده، مجبرًا إياه على النهوض. لم يكن بمقدوره السيطرة على الارتعاش العنيف لساقيه وذراعيه.

بدأت ظلمة الغرفة تجرى مع أشباح الفجر الدقيقة. فكر جوردان فى أن يتلفن لزوجته ويخبرها بالثروة التى كسبها. ولكنه كان يعرف أنه لا يستطيع. ولا يستطيع أن يخبر أطفاله. أو أيا من أصدقائه القدامى. فى آخر مزَق هذه الليلة الرمادية لم يكن ثمة شخص فى العالم يريد أن يبهره بحظه الطيب. لم يكن ثمة شخص واحد فى العالم يشاطره فرحته فى ربح تلك الثروة الكبيرة.

نهض عن الفراش ليحزم حقائبه. كان ثريا ويجب أن يذهب إلى ميرسيداس. بدأ يبكى؛ أغرق أسى وغضب طاغيان كل شىء. رأى المسدس مطروحًا فى الحقيبة فارتبك ذهنه. تراكضت كل المقامرات التى قام بها أثناء الست عشرة ساعة الأخيرة عبر دماغه، الزهر يشع الأرقام الرابحة، موائد البلاك جاك بأيديها الرابحة، مائدة الباكاراه

المستطيلة بالوجوه البيضاء الشاحبة للورق الميت المقلوب. وكان يظلل هذه الأوراق جامع مال، فى رباط عنق أسود وقميص أبيض مبهر، يمسك راحته عاليًا، مناديًا برقة:

- ورقة للاعب .

فى حركة واحدة رقيقة سحب جوردان المسدس عاليًا فى يده اليمنى. ذهنه صاف كالثلج. ثم، بالثقة والسرعة اللتين وزع بهما أيديه الأربع والعشرين الخرافية فى الباكاراه، أدار الفوهة عاليًا إلى الخط اللين لرقبته وسحب الزناد. أحس فى تلك الثانية الأبدية انفلاتًا حلوًا من الرعب. وكانت فكرته الواعية الأخيرة هى أنه لن يذهب قط إلى ميرسيداس .

- ٣ -

خرج ميرلين الطفل من أبواب الكازينو الزجاجية. كان يحب أن يراقب الشمس الطالعة فيما هى لا تزال قرصًا ذهبيا أصفر، وأن يحس هواء الصحراء البارد يهب رقيقًا من جبال تطوق المدينة الصحراوية. كان ذلك الوقت الوحيد من النهار الذى يخطو فيه إلى خارج الكازينو المكيفة الهواء. كانوا غالبًا ما يخططون لرحلة إلى تلك الجبال. وقد ظهرت ديان يومًا ومعها سلة غداء. ولكن كولى وجوردان رفضا مغادرة الكازينو.

أشعل سيجارة، استمتع بها بأنفاس طويلة بطيئة، مع أنه كان نادرًا ما يدخن. كانت الشمس قد بدأت تشع أحمر قليلاً، شواء مدورًا موصَّلاً بقابس فى مجرة لا محدودة من النيون. استدار ميرلين ليعود إلى الكازينو، وفيما اجتاز الأبواب الزجاجية، أمكنه أن يرى كولى فى سترة رياضة رابحى فيجاس مسرعًا عبر ركن الزهر، على نحو يتضح منه أنه كان يبحث عنه. تقابلا أمام محوطة الباكاراه. اتكأ كولى على أحد المقاعد العالية. كان وجهه الأعجف الداكن يتلوى كراهية وخوفًا وصدمة.

- ابن القحبة ذاك، جوردان، قال كولى: لقد خدعنا بسلبنا عشرين ألف دولارنا. ثم ضحك: لقد فجَّر رأسه. لقد جعل المؤسسة تخسر أكثر من أربعمائة ألف دولار وفجَّر رأسه اللعين.

لم يبدُ على ميرلين أنه تفاجأ أصلاً. استند بظهره متعبًا على محوطة البكاراه، وانزلقت السيجارة من يده.

- أوه، خراء، قال: لم يبدُ عليه قط أنه محظوظ.

ـ من الأفضل أن ننتظر هنا ونلتقى ديان عندما تعود من المطار، قال كولى: يمكننا أن نتقاسم المال المسترجع من التذكرة.

نظر ميرلين إليه، غير مندهش، ولكن بفضول. أكان كولى على هذا القدر من انعدام الإحساس؟ لم يظن ذلك. رأى الابتسامة المريضة على وجه كولى، وجه يحاول أن يكون قاسيًا ولكنه ملىء بالفزع القريب من الرعب. جلس ميرلين على مائدة الباكاراه المغلقة. أحس قليلاً من الدوار بسبب قلة النوم وبسبب الإرهاق. مثل كولى، كان يحس غضبًا، ولكن لسبب مختلف. كان قد ساقه بمكر إلى رواية قصته، قصة حياته. كان قد أحس أن جوردان ما كان يريد مغادرة لاس فيجاس. أنه كان ثمة شىء خطأ فيه. لم يكن جوردان قد أخبره بالمسدس قط. ولقد تصرف جوردان دائمًا على أكمل ما يكون عندما كان يرى ميرلين يراقبه. أدرك ميرلين أن جوردان قد ضلله. فى كل مرة لعينة. لقد ضللهم. وما كان يجعل ميرلين مشوش الذهن هو أنه قد شخّص جوردان على نحو كامل طيلة الوقت الذى عرف فيه أحدهما الآخر فى فيجاس. لقد وضع كل الأجزاء معًا ولكنه فشل، ببساطة، بسبب قلة المعلومات فى رؤية الصورة كاملة. لأن ميرلين، بالطبع، الآن وقد مات جوردان، كان يعرف أنه لم يكن ممكنًا أن تكون ثمة نهاية أخرى. منذ البداية كان لابد من أن يموت جوردان فى لاس فيجاس.

غرونيفيلت وحده كان مندهشًا. فعاليًا فى شقته فوق السطح، لم يتأمل قط ليلة طويلة بعد ليلة خلال السنين، الشر المتوارى فى قلب الإنسان. كان يخطط ضده. عميقًا تحت صندوق صرّافه كان يختفى مليون دولار نقداً يتآمر العالم كله لسرقته، وكان هو يتمدد مستيقظًا ليلة بعد ليلة، يعد الرقى والتعاويذ لإحباط هذه المخططات. وإذ صار يعرف كل الشر المقرف، يتملى فى بعض ساعات الليل فى خفايا أخرى وكان أشد خشية من الخير فى روح الإنسان. كان ذلك خطرًا أكبر على عالمه وحتى عليه شخصيا.

عندما أبلغت شرطة الأمن عن الطلقة، هتف غرونيفيلت فورًا لمكتب الشريف وسمح لهم بدخول الغرفة عنوة. ولكن بحضور رجاله هو. من أجل كشف نزيه. كان ثمة اثنان من صكوك الكازينو بمبلغ ثلاثمائة وأربعين ألف دولار. وكان ثمة قريب من مائة ألف فى هيئة أوراق نقدية ورقاقات محشوة فى تلك الجاكتة التى تشبه المئزر، الكتانية،

المضحكة التى كان جوردان يرتديها. كانت جيوبها مسدودة السحابات تمنع الرقاقات من السقوط على الفراش.

نظر غرونيفيلت إلى خارج شبابيك شقته فوق السطح، إلى شمس الصحراء المحمرّة تتسلق صاعدة الجبال الرملية. تنهد. لن يخسر جوردان أرباحه قط، لقد فقدت الكازينو إلى الأبد تلك المدفوعات. حسنًا، كانت تلك الطريقة الوحيدة التى يمكن بها لمقامر مريض أن يحتفظ بربحه المحظوظ. الطريقة الوحيدة.

ولكن على غرونيفيلت أن ينصرف إلى العمل الآن. ينبغى جعل الصحف تلزم الصمت عن الانتحار. كم كان سيبدو سيئًا: رابح أربعمائة ألف دولار يفجر دماغه. كما أنه لم يكن يريد أن تنتشر شائعات من أنه كانت ثمة جريمة قتل كى تتمكن الكازينو من استعادة خسائرها. كان لابد من اتخاذ خطوات. أجرى المكالمات الضرورية مع مكاتبه فى الشرق. جرى إخبار عضو سابق فى مجلس شيوخ الولايات المتحدة، رجل ذو استقامة لا يمسها انتقاص، لينقل الأخبار الحزينة إلى المترملة حديثًا. وليخبرها بأن زوجها قد خلّف ثروة على هيئة أرباح يمكنها أن تستحصلها كتركة عندما تأخذ الجثة. سيكون الجميع كتومين، لن يقوم أحد بخداع، وتنفذ العدالة. وستصير أخيراً مجرد حكاية يرويها المقامرون أحدهم للآخر فى الليالى الفاشلة، فى المقاهى على شريط فيجاس النيونى. ولكنها لم تكن بتلك الإثارة لغرونيفيلت حقًا. لقد توقف عن محاولة فهم المقامرين منذ زمن طويل.

كان التشييع بسيطًا، والدفن فى المقبرة البروتستانتية المطوَّقة بالصحراء الذهبية. طارت أرملة جوردان إلى هناك كى تعتنى بكل شىء. وقدم لها غرونيفيلت وموظفوه تقريراً عما ربحه جوردان. وتم صرف كل سنت بدقة. سُلِّم الصكان لها، وكل النقد الذى وجد مع الجثة. وتم السكوت عن الانتحار، بتعاون السلطات والصحافة. كان سيصير سيئًا لصورة لاس فيجاس، أن يُعثر على رابح أربعمائة ألف دولار ميتًا. وقَّعت أرملة جوردان إيصالاً بالصكين والمال. وطلب غرونيفيلت صمتها ولكنه ما كان قلقًا من ذلك الجانب؛ فإذا كانت هذه المرأة الحسناء تدفن زوجها فى فيجاس، ولا تعود به إلى

مـوطنـهـمـا، ولا تدع أطفـال جـوردان يـأتون للجنازة، فـلابد من أن عنـدها بعض الجوكرات للإخفاء.

رافق غـرونيـفـيلت والسناتور السـابق والمحـامـون الأرملة خـارج الكازينو إلى ليموزينها المنتظرة (مـجاملة كسانادو، إذ كان كل شيء مجاملة من الفندق). تقدمهم الطفل، الذى كـان ينتظرهـا. قـال للمـرأة الحـسناء: اسـمى مـيـرلين، كنا أنا وزوجك صديقين. أنا آسف.

لاحظت الأرملة أنه كان يراقبـها مركزًا، يدرسـها. أدركت على الفور أنه لم يكن عنده دافع خفى، أنه كان مـخلصًا. ولكنه كان يبدو مـهتمًا أكثر مما ينبغى. كانت قد شاهدته فى مصلى الجنازة مع شابة انتفخ وجهها من البكاء. وتساءلت لمَ لم يقترب منها حينذاك. ربما لأن الشابة كانت فتاة جوردان.

قالت بهدوء:

- يسرنى أنه كان له صديق هنا. كـانت تتسلى برؤية الشـاب يحدق إليـها. كانت تعرف أن لديها صفات خاصة تجتذب الرجال، ليس جمالها بقدر ما هو الذكاء الذى يفرض ذاته على ذلك الجمـال الذى سبق أن أخبرهـا عديد من الرجـال أنه كان تركيبًا نادرًا جدا. لأنهـا سبق أن خـانت زوجـها عدة مرات قبل أن تجد الرجل الوحيد الذى قررت أنهـا ستـعيش مـعه. وتسـاءلت ما إذا كان هـذا الفتى، ميـرلين، يعلم عنـها وعن جوردان، ومـا جـرى فى تلك الليلة النهائية. ولكنها لم تكن مـعنية، لم تكن تحس ذنبًا. وكانت تعلم كمـا لا يعلم أى أحد آخر أن موته لم يكن عمل إرادة شـخصـية واختيار شخصى. لقد كان عمل حقد من جانب سيد مهذب.

أحست قليلاً من الغرور للانغماس، للانجذاب الواضح الذى كان الفتى يحدق به إليها. لم تكن تستطيع أن تعرف أنه لم يكن يرى البشرة البيضـاء فقط، وإنما العظام الكاملـة تحتـها، الفم الأحمـر الحسى المُشتـهى، ورأى وسيـرى وجـهها بوصـفه قناعًا لملاك الموت.

- ٤ -

عندما أخبرتُ أرملة جوردان بأن اسمي ميرلين، منحتني تحديقة باردة ودية، بلا ذنب أو حزن. ميزت فيها امرأة لها سيطرة تامة على حياتها، لا من ميزات العواهر أو إطلاقها العنان لأهوائها وشهواتها، وإنما من الذكاء. فهمت لماذا لم يقل جوردان قط كلمة فظة ضدها. كانت امرأة خاصة جدا، من النوع الذي يحبه كثير من الرجال. ولكنني لم أشأ أن أعرفها. لقد كنت إلى جانب جوردان أكثر مما ينبغي، مع أنني كنت أحس برودته دائمًا، رفضه لنا جميعًا تحت مجاملته وظهوره بمظهر الصداقة.

بمجرد أن قابلت جوردان أول مرة عرفت أن به شيئًا خاصًا. كان يومي الثاني في فيجاس وكنت قد أصبت حظا بلعب البلاك جاك على النسب، ولذلك فقد اختلست فرصة من أجل محاولة على مائدة الباكاراه. إن الباكاراه لعبة حظ مطلق، بحد أدنى يبلغ عشرين دولارًا. يصير المرء فيه كليًّا في أيدي القدر، وقد كنت أكره دائمًا ذلك الإحساس. لقد كنت أحس دائمًا أن بمقدوري التحكم بمصيري لو أنني حاولت بما يكفي.

جلست إلى مائدة الباكاراه البيضاوية، ولاحظت جوردان عند الطرف الآخر. كان رجلاً وسيمًا في نحو الأربعين، وربما الخامسة والأربعين. كان عنده ذلك الشعر الكث الأبيض، ولكنه ليس أبيض بفعل العمر. بياض ولد به، من جين أمهق (*) ما. كنا أنا وهو ولاعب آخر فقط، إضافة إلى ثلاث شريكات لعب لملء الفراغات. كانت إحدى الشريكات ديان، تجلس على كرسي يبعد بكرسيين أدنى من جوردان، لابسة كي تعلن أنها في الشغل، ولكنني وجدت نفسي أراقب جوردان.

(*) أبيض البشرة قرنفلي العينين .

بدا لى ذلك اليوم مقامراً محبوباً. لم يكن يظهر ابتهاجاً أبداً عندما يربح. لم يكن يظهر يأساً أبداً عندما يخسر. عندما كان يعالج الحاوية، كان يفعل ذلك مثل خبير، يداه أنيقتان، بيضاوان جدا. ولكن فيما كنت أراقبه يصنع أكداساً من أوراق المائة دولار، اتضح لى فجأة أنه لا يبالى حقًا ما إذا كان يربح أو يخسر.

وكان اللاعب الثالث على المائدة غالٍ، مقامر سيئ يطارد الرهانات الخاسرة. كان ضئيلاً ونحيلاً ويكاد يكون أصلع لولا أن شعره الأسود الفاحم كان ممدوداً بعناية عبر قمة رأسه. كانت طاقة هائلة مصرورة فى جسده. كانت كل حركة يقوم بها عنيفة، الطريقة التى يلقى بها ماله للرهان، الطريقة التى يرفع بها يداً رابحة، الطريقة التى يعد بها ورق النقد أمامه ويدعكه بغضب فى كومة ليبين أنه كان يخسر. إذ يعالج الحاوية، كان يعالجها بلا سيطرة بحيث كانت ورقة ما غالبًا ما تنقلب إلى فوق أو تطير عابرة يد الجامع الممدودة. ولكن جامع النقد الذى كان يدير المائدة كان جامداً، ولياقته لا تتفاوت قط. عامت ورقة لاعب فى الهواء، مائلة إلى جانب. حاول الرجل خبيث المظهر أن يضيف رقاقة سوداء أخرى من ذوات المائة دولار على رهانه. قال الجامع:

ـ آسف، يا سيد أ.، لا يمكنك أن تفعل ذلك.

صار فم السيد أ. أكثر خبثًا:

ـ اللعنة، لم أوزع غير ورقة واحدة. من يقول إننى لا أستطيع؟.

رفع الجامع نظره إلى المراقب على يمينه، ذاك الجالس عاليًا فوق جوردان. قام المراقب بهزة رأس موافقة بسيطة، فقال الجامع بأدب:

ـ يا سيد أ.، لك رهانك.

ولتضبيط الأمور، كانت الورقة الأولى للاعب ورقة أربعة، ورقة رديئة. ولكن السيد أ. كان يخسر على كل حال عندما يسحب اللاعب ضده. مرت الحاوية إلى ديان.

راهن السيد أ. بمقام اللاعب ضد إدارة ديان. ألقيت نظرى عبر المائدة إلى جوردان. كان رأسه الأبيض محنيًا، كان لا يبالى بالسيد أ. وضع السيد أ. خمس أوراق من فئة مائة دولار على ورق اللاعب. وزعت ديان الأوراق بآلية. حصل السيد أ. على أوراق اللاعب. عصرها ثم رمى اليد بعنف. ورقتان نواتا صور. لا شيء. كان لدى ديان ورقتان مجموعهما خمسة. نادى الجامع:

- ورقة للاعب. أعطت ديان ورقة أخرى للسيد أ. كانت صورة أخرى. لا شيء. وغنى الجامع:

- المدير يربح.

كان جوردان قد راهن على الإدارة. كنت على وشك أن أراهن على اللاعب، ولكن السيد أ. نفَّرنى ولهذا راهنت على الإدارة. رأيت السيد أ. يطرح ألف دولار على يد اللاعب. تركنا، أنا وجوردان، مالنا يركب مع الإدارة.

ربحت ديان اليد الثانية بتسعة طبيعية على سبعة السيد أ. ألقى السيد أ. تحديقة حاقدة على ديان كما لو ليخيفها فيمنعها من الربح. كان سلوك الفتاة خاليًا من العيب.

كانت محايدة بانتباه شديد، غير مساهمة بعناية تامة، مؤدية وظيفتها بآلية وتركيز كبير. ولكن على رغم هذا كله، فعندما راهن السيد أ. بألف دولار على يد اللاعب ورمت ديان تسعة طبيعية فائزة، ضرب السيد أ. بجمع يده على المائدة ونظر إليها بكراهية. وقف جامع المال الذى كان يدير اللعبة منتصبًا، دون أن تتغير عضلة واحدة فى وجهه. انحنى المراقب إلى أمام مثل رب يدلِّى رأسه خارج السماء. كان ثمة الآن بعض التوتر على المائدة.

كنت أراقب ديان. كان وجهها مغضنًا قليلاً. كدس جوردان ماله كما لو لم يحس بما كان يجرى. نهض السيد أ. ومضى إلى رئيس الركن عند الطاولة المستعملة لكتابة طلبات التصريف. همس. هز رئيس الركن رأسه إيجابًا. نهض جميع من كانوا على

المائدة ليمطوا سيقانهم بينما كانت حاوية أخرى تُهيأ. رأيت السيد أ. يغادر من خلال البوابة الرمادية المائلة إلى الأرجوانى باتجاه الممرات المؤدية إلى غرف الفندق. رئيس الركن يمضى إلى ديان ويكلمها، وعندئذ غادرت هى الأخرى محوطة الباكاراه. لم يكن فهم ما يجرى صعبًا. كانت ديان ماضية لتلعب حيلة مع السيد أ. فتقلب حظه.

لزم جامع المال نحو خمس دقائق ليعدوا حاوية جديدة. انطلقت خارجًا لأقوم ببعض المراهنات على الروليت. وعندما عدت، كانت الحاوية تدور. كان جوردان لايزال فى المقعد ذاته، وكان ثمة شريكان ـ صيادان على المائدة.

دارت الحاوية ثلاث مرات فقط حول المائدة متقلبة قبل أن تعود ديان. كانت تبدو فظيعة: فمها مرتخ، وجهها كله يبدو كما لو أنه سيسقط متفككًا، على رغم حقيقة أنه جُددت زينته حديثًا. اتخذت مقعدًا بينى وبين أحد جامعى المال. ولاحظ هو أيضًا شيئًا أعوج. أحنى رأسه لحظة وسمعته يهمس:

ـ أأنت بخير يا ديان؟. كانت تلك المرة الأولى التى أسمع فيها اسمها.

هزت رأسها إيجابًا. مددت لها الحاوية. ولكن يديها اللتين كانتا تسحبان الورق من الحاوية كانتا ترتجفان. أبقت رأسها مطأطأً لتخفى الدموع التى كانت تلمع فى عينيها، كان وجهها كله ملطخًا بالخزى، لم أستطع أن أعثر على كلمة أخرى لوصف ذلك. مهما كان السيد أ. قد فعل لها فى غرفته، فإن ذلك كان بالتأكيد عقابًا على حظها ضده. أشار جامع المال إشارة خفيفة لرئيس الركن، فجاء ونقر ديان على ذراعها. غادرت مقعدها على المائدة واحتل مكانها شريك ـ صياد. جلست ديان على أحد المقاعد الموضوعة على طول الدرابزون، مع شريكة ـ صيادة أخرى.

كانت الحاوية لاتزال تنتقل من المدير إلى اللاعب إلى المدير إلى اللاعب. كنت أحاول أن أنقل مراهناتى فى الوقت المناسب لألحق بإيقاع القفز. عاد السيد أ. إلى المائدة، إلى المقعد ذاته الذى كان قد ترك عنده ماله وسجائره وولاعته.

كان يبدو وكأنه رجل جديد. لقد استحم ومشط شعره. حتى إنه حلق وجهه. لم يعد يبدو على تلك الوضاعة بعد. كان قد ارتدى قميصًا وبنطالاً جديدين، وقد نُزحت منه بعض طاقته المسعورة. لم يكن قد ارتخى قط، ولكنه في الأقل لم يعد يشغل المكان مثل واحد من تلك الأعاصير الحلزونية المدومة التى يراها المرء فى المسلسلات الهزلية.

بينما كان يجلس، لاحظ ديان جالسة عند الدرابزون فشعت عيناه. أعطاها تكشيرة حاقدة، مذكِّرة. فأدارت ديان رأسها.

ولكن مهما كان ما فعله، مهما كان رهيبًا، فإنه لم يغير مزاجه فقط وإنما حظه أيضًا. راهن على اللاعب وأخذ يربح على الدوام. فى هذه الأثناء، كان رجال لطيفون مثل جوردان ومثلى يجرى اغتيالهم. وقد نفَّرنى ذلك، أو الشفقة التى أحسستها تجاه ديان، وهكذا فقد خربت عامداً يوم السيد أ.

الآن، ثمة رجال يسرك أن تقامر معهم حول مائدة كازينو ورجال هم وجع فى الإست. على مائدة الباكاراه يكون أكبر وجع فى الإست هو الرجل الذى، سواء كان مديراً أو لاعبًا، عندما يأخذ ورقتيه الأوليين يأخذ دقيقة طويلة ممطوطة ليعصرهما فيما المائدة تنتظر، بنفاد صبر، تقرير مصيرهما.

وهذا ما بدأت أفعله للسيد أ. كان فى المقعد رقم اثنين وأنا فى المقعد خمسة. وهكذا كنا فى النصف نفسه من المائدة، وكان بمقدور كل منا أن ينظر على نحو ما فى عينى الآخر. وها أنا أطول من السيد أ. بنحو رأس وأمتن منه بنيانًا. كنت أبدو فى الحادية والعشرين من عمرى. ما كان لأحد أن يحزر أننى فوق الثلاثين وأن عندى ثلاثة أطفال وزوجة هناك فى نيويورك هربت منهم. وهكذا، كنت ظاهريا لمسة ناعمة تمامًا لرجل مثل السيد أ. ربما كنت أقوى جسديا، بالتأكيد، ولكنه كان شريراً رسميا له شهرة واضحة فى فيجاس. كنت مجرد طفل مغفل أتحول إلى مقامر مريض.

مثل جوردان، كنت ألعب دائمًا مع المدير فى الباكاراه. ولكن عندما حصل السيد أ. على الحاوية، مضيت رأسًا لرأس ضده وراهنت على اللاعب. وعندما أخذت ورقتى

اللاعب، هصرتهما باهتمام فريد قبل أن أكشفهما. نقّل السيد أ. بدنه دائرًا في مقعده؛ لقد ربح، ولكنه لم يستطع السيطرة على نفسه. وعند اليد الثانية قال:

ـ تعال، يا أحمق، أسرع.

بقيت ورقتاى مقلوبتين على المائدة ونظرت إليه ببرود. لسبب ما لمحت عيناى جوردان عند الطرف الآخر من المائدة. كان يراهن على المدير مع السيد أ.، ولكنه كان يبتسم. هصرت ورقتيّ ببطء شديد.

قال الجامع:

ـ يا سيد م.، إنك تؤخر اللعبة. لا تستطيع المائدة أن تحقق أي مال، ووجه إليّ ابتسامة مشرقة، بود.

ـ إنها لن تتغير مهما هصرت بشدة.

ـ بالتأكيد.

قلت ورميت الورقتين ووجهيهما إلى أعلى وأنا أتخذ تعبير اشمئزاز الخاسرين.

مرة أخرى ابتسم السيد أ. بالانتظار. ثم، عندما رأى ورقتيَّ، ذُهل. كان عندي التسعة الطبيعية التي لا تخسر.

قال السيد أ :

ـ اللعنة.

ـ هل رميت ورقتي بالسرعة الكافية؟، قلت بأدب.

رماني بنظرة قاتلة وخلط ماله. كان لايزال لم يدرك. نظرت إلى أدنى نحو الطرف الثاني من المائدة وكان جوردان يبتسم، ابتسامة مسرورة حقًا، مع أنه هو أيضًا قد خسر للعبه مع السيد أ. وناورت السيد أ. طيلة الساعة التالية.

كان بمقدورى أن أرى أن للسيد أ. شأنًا فى الكازينو. لقد تركه المراقب ينجو بحيلتين أو ثلاث من حيل مدَّعى الحقوق. وكان جامعو المال يعاملونه بمجاملة حذرة. فقد كان هذا الرجل يقوم برهانات بخمسمائة وألف دولار. وكنت أنا أراهن بعشرينات فى الأغلب. وهكذا، فإن قامت أية مشكلة، سأكون أنا من تطرده المؤسسة.

ولكننى كنت ألعب الدور بشكل صحيح. كان الرجل قد دعانى أحمق ولم أغضب أو أُظهر خشونة. وعندما طلب منى جامع المال أن أكشف ورقى أسرع فعلت ذلك بوداعة بالغة. إن واقع كون السيد أ. يغلى الآن كانت غلطته كمقامر. لا يمكنهم أن يجعلوا السيد أ. ينفذ بجلده إن قام بأى شىء شائن لأن ذلك سيذلهم كما يذلنى. بوصفى مقامراً مسالمًا كنت، بمعنى ما، ضيفهم، أستحق حماية المؤسسة.

رأيت الآن المراقب المقابل لى يمد يده نحو أسفل جانب مقعده إلى الهاتف المربوط به، أجرى مكالمتين. بينما كنت أراقبه، فاتتنى الرهان عندما حصل السيد أ. على الحاوية. توقفت عن الرهان برهة واكتفيت بالارتخاء فى مقعدى. كانت مقاعد الباكاراه وثيرة ومريحة للغاية. يمكن للمرء الجلوس فيها اثنتى عشرة ساعة، وكان كثير من الناس يفعلون ذلك.

ارتخى التوتر على المائدة عندما رفضت أن أراهن حاوية السيد أ. لقد حسبوا أننى كنت متبصراً فى عواقب الأمور أو جباناً لا حيلة له. واصلت الحاوية النط. لاحظت رجلين ضخمين جدا يرتديان بدلتين وربطتى عنق يأتيان خلال بوابة الباكاراه. ذهبا إلى رئيس الركن، الذى كان من الواضح أنه أخبرهما أن الحرارة قد خفت وأن بمقدورهما أن يرتخيا، لأنه كان بمقدورى أن أسمعهما يرويان النكات ويضحكان.

وفى المرة التالية التى حصل فيها السيد أ. على الحاوية، دخلت برهان عشرين دولار على يد اللاعب. ثم، لدهشتى، لم يقذف جامع المال الذى تلقى ورقتى اللاعب الورقتين إلىَّ بل إلى الطرف الآخر من المائدة، قريباً من جوردان. كانت تلك المرة الأولى التى أرى فيها كولى.

كان لكولى ذلك الوجه الهندى الداكن الأعجف، الدمث مع ذلك بسبب أنفه الغليظ بشكل غير مألوف. ابتسم عبر المائدة لى وللسيد أ. لاحظت أنه راهن بأربعين دولار على اللاعب. تفوق رهانه على عشريني، وهكذا فقد حصل على ورقتى اللاعب ليكشفهما. وقلبهما كولى على الفور. ورقتان رديئتان، وغلبه السيد أ. ولاحظ السيد أ. كولى للمرة الأولى فابتسم ابتسامة عريضة.

- هَىْ، يا كولى، ما الذى تفعله بلعب الباكاراه، أنت فنان العد التنازلى اللعين؟.

ابتسم كولى:

- إننى فقط أريح قدمىَّ.

فقال السيد أ:

- راهنِّى، أيها الأحمق المهزوز. إن هذه الحاوية على وشك أن تصير مديرة لعبة.

اكتفى كولى بالضحك. ولكننى لاحظت أنه كان يراقبنى. وضعت رهانى العشرينى على يد اللاعب. فوضع كولى للتو أربعين على يد اللاعب ليضمن أن يأخذ الورق. ومرة أخرى كشف ورقتيه للتو، ومرة أخرى غلبه السيد أ.

هتف السيد أ:

- ذاك هو الولد الطيب، يا كولى، أنت سحرى المحظوظ. واصل الرهان ضدى.

دفع جامع المال لشقوق مدير اللعبة ثم قال باحترام:

- يا سيد أ، لقد بلغت الحد.

تأمل السيد أ. لحظة، ثم قال:

- دع اللعبة تكتمل.

كنت أدرى أننى يجب أن أكون بالغ العناية. أبقيت وجهى غير متأثر. رفع جامع المال، الذى كان يدير اللعبة، راحة يده ليوقف توزيع الحاوية حتى تتم جميع المراهنات. رمقنى متسائلاً. لم أقم بحركة. نظر الجامع إلى طرف المائدة الآخر. راهن جوردان على يد المدير، منطلقًا مع السيد أ. ووضع كولى رهان مائة دولار على يد اللاعب، مراقباً إياى طيلة الوقت.

ترك جامع مال الشق يده تسقط، ولكن قبل أن يتمكن السيد أ. من أخذ ورقة من الحاوية ألقيت كدس الأوراق النقدية أمامى على يد اللاعب. سكتت غمغمة أصوات رئيس الركن وصديقيه ورائى. وفى مقابلى دلّى المراقب رأسه من السماوات.

- النقود لاعبة، قلت. وكان ذلك يعنى أنه لا يمكن للجامع أن يعدها إلا بعد أن يتقرر الرهان. يجب أن تأتينى أوراق اللاعب.

وزعها السيد أ. إلى جامع الشق. رمى جامع الشق الورقتين عبر اللباد الأخضر ووجهاهما إلى أسفل. هصرتهما هصرة سريعة وتركتهما. لم يستطع غير السيد أ. أن يرى كيف جعلت وجهى يسقط قليلاً كما لو كان عندى ورق ردىء. ولكن ما قلبته كان تسعة طبيعية. عدّ الجامع مالى. كنت راهنت بألف ومائتى دولار وربحت.

تراجع السيد أ. إلى الوراء فى مقعده وأشعل سيجارة. كان يغلى حقًا. كان يمكننى أن أحس كراهيته. ابتسمت نحوه قائلاً: آسف. بالضبط مثل فتى صغير لطيف. فحملق مغضباً بى.

عند الطرف الآخر من المائدة نهض كولى عرضيا وسار الهوينى هابطًا إلى جانبى من الطاولة. جلس على أحد المقاعد بينى وبين السيد أ.، بحيث يحصل على الحاوية. صفق كولى الصندوق وقال:

- هَىْ، يا تشيتش، أبحر معى. أحسنى محظوظًا. عندى سبع نقلات فى ذراعى الأيمن.

وهكذا فقد كان السيد أ. تشيتش. اسمًا ذا رنين مشئوم. ولكن كان واضحًا أن تشيتش يحب كولى، كما كان بالوضوح نفسه أن كولى كان رجلاً يصنع علِمًا من جعل نفسه محبوبًا. لأنه قد استدار الآن نحوى فيما راهن تشيتش على يد المدير. قال:

- تعال، يا طفل، دعنا نحطم معًا هذه الكازينو اللعينة. أبحر معى.

- أتحس نفسك محظوظًا حقًا؟، سألت، وقد اتسعت عيناى قليلاً. فقال كولى:

- قد أستنفد الحاوية. يمكننى أن أضمن ذلك، ولكننى قد أستنفد الحاوية.

- فلنذهب، قلت. وضعت عشرين على يد المدير. كنا جميعًا نبحر معًا. أنا وتشيتش وكولى وجوردان إلى أدنى فى الجهة الأخرى من المائدة. تعين على أحد الشركاء - المصائد أن يأخذ يد اللاعب ويقلبها فورًا لتظهر ستة باردة. قلب كولى ورقتىْ صورة وعلى ورقته حصل على صورة أخرى لقاء مجموع من لا أشياء، صفر، أسوأ يد فى الباكاراه. لقد خسر تشيتش ألفًا. وقد خسر كولى مائة. وقد خسر جوردان خمسمائة. وقد خسرت عشرين تافهةً. وكنت الوحيد الذى عنَّفت كولى. هززت رأسى بكآبة:

- جى..، قلت: ها قد ذهبت عشرينى. فكشر كولى ومرَّر الحاوية لى. وأنا أنظر عبره، كان بمقدورى أن أرى وجه تشيتش يسودُّ غضبًا: طفل أحمق خسر عشرين، يجرؤ على الشكوى. كان بمقدورى أن أقرأ ذهنه كما لو كان شَدَّة ورق مكشوف الوجوه على اللباد الأخضر.

راهنت بعشرين على مديريتى، وانتظرت حتى أستل الأوراق خارجًا. كان جامع المال فى الشق الشاب الوسيم الذى سبق أن سأل ديان إن كانت بخير. كان يضع خاتم ماس فى اليد التى كان يرفعها ليوقف توزيعى حتى تتم المراهنات. رأيت جوردان يضع رهانه. على المدير كالعادة. كان يبحر معى.

رمى كولى عشرين على المدير، استدار نحو تشيتش وقال:

- تعال، أبحر معنا. يبدو هذا الطفل محظوظًا .

- يبدو كما لو كان لايزال يرتعش خوفًا، قال تشيتش.

كان يمكنني أن أرى جميع الجامعين ينظرون إليَّ. كان المراقب الجالس عاليًا على مقعده ساكنًا ومستقيمًا جدا. كنت أبدو كبيرًا وقويا؛ كانوا مجرد خائبين قليلاً معى.

وضع تشيتش ثلاثمائة على يد اللاعب. وزعت وربحت. بقيت أرمى رميات وواصل تشيتش يصعد رهانه ضدى. طلب ورقة طلب مال. حسنًا، لم يكن قد بقى الكثير فى الحاوية، ولكننى استنفدتها بسلوكٍ قمارى أصيل، بلا هصر للورق، بلا أصوات تعجب فرحة. كنت فخوراً بنفسى. أفرغ الجامعون العليبات وجمعوا الورق من أجل حاوية جديدة. دفع الجميع عمولاتهم. نهض جوردان ليمطِّى ساقيه. وهكذا فعل تشيتش، وكذلك فعل كولى. حشوت مكاسبى فى جيبى. جلب رئيس الركن ورقة طلب المال لتشيتش كى يوقعها. كان كل شىء بديعًا. كانت اللحظة الكاملة.

- هَىْ، يا تشيتش، قلت: أنا أحمق؟، ضحكت. ثم بدأت أسير حول المائدة لأغادر ركن الباكاراه وأتأكد من أن أمرَّ على كثب منه. لم يعد يمكنه الإمساك عن الاستدارة إلىَّ بقدر ما يمكن لجامع مال غير نزيه أن يمسك عن تغطية رقاقة مائة دولار شاردة.

ونلته بارداً. أو أننى ظننت أننى فعلت. ولكن كولى والسفاحين الضخمين جاءوا، بشكل يشبه المعجزات، بيننا. أمسك سفاح بقبضة تشيتش بيده الكبيرة كما لو كانت كرة دقيقة. ودفع كولى كتفه بى، مربكًا خُطاى.

كان تشيتش يصرخ على الرجل الضخم:

- يا ابن القحبة. أتدرى من أنا؟ أتعرف من أنا؟.

لدهشتى، ترك السفاح الكبير يد تشيتش طليقة وتراجع إلى الوراء. كان قد أدى الغرض منه. كان قوة مانعة، لا قوة معاقِبة. فى هذه الأثناء، لم يكن أحد يراقبنى. كان

سعار تشيتش الحاقد قد روعهم، جميعهم غير الجامع الشاب ذا الخاتم الماسى. قال بهدوء:

- يا سيد أ، إنك خارج الصف.

بسعار كسعار صيادى الكلاب، لا يصدق، ضرب تشيتش فأصاب الجامع الشاب ضربة عنيفة مستقيمة على الأنف. تعثر الجامع إلى الوراء. نفر الدم متموجًا إلى مقدمة قميصه الأبيض ذى الأهداب ثم اختفى فى الأسود المزرق لبدلته التوكسيدو. ركضت متجاوزًا كولى والسفاحين وضربت تشيتش لكمة أصابته فى الصدغ وجعلته ينشمر عن الأرض. وقفز إلى أعلى ثانية. دهشت. كان الأمر كله يستحيل جِدِّيًّا. إن هذا الرجل يجرى فوق غلٍّ نووى.

ثم نزل المراقب عن كرسيه العالى، وكان بمقدورى أن أراه بوضوح تحت مصباح مائدة الباكاراه الساطع، كان وجهه ذا ندوب وشاحبًا كالرِّق كما لو أن الدم قد تجمد مبيضًا بفعل سنوات لا تعد من تكييف الهواء. رفع يدًا شبحية وقال بهدوء:

- قف.

توقف الجميع. أشار المراقب بأصبع طويل نحيف وقال:

- يا تشيتش، لا تتحرك. إنك لفى ورطة كبيرة جدا. صدقنى. وكان صوته رسميا بهدوء.

كان كولى يقتادنى عبر البوابة، وكنت أكثر من راغب فى الذهاب. ولكننى كنت محتارًا حقًّا إزاء بعض ردود الأفعال. كان ثمة شىء يذكِّر بالموت يتعلق بوجه جامع المال الشاب حتى مع سيلان الدم من أنفه. لم يكن مرتعبًا، أو مرتبكًا، أو متأذيًا بشكل سيئ يمنعه من الرد. ولكنه لم يرفع أبدًا يدًا. وكذلك، فإن زملاءه الجامعين لم يخفوا إلى مساعدته. لقد نظروا إلى تشيتش بنوع من الفزع المرعوب الذى لم يكن خوفًا، وإنما شفقة.

كان كولى يدفعنى عبر الكازينو خلال الدوى الذى يشبه الموج لمئات المقامرين المتمتمين لعناتهم وأورادهم السحرية على الزهر، البلاك جاك، وعجلة الروليت الدوارة. وأخيراً، صرنا فى الهدوء النسبى للمقهى الضخم.

كنت أحب المقهى، بمقاعده وطاولاته الخضراء والصفراء. كانت النادلات شابات وجميلات يرتدين بدلات ذهبية قصيرة رائعة. كانت الجدران زجاجًا كلها، يمكنك أن ترى العالم الخارجى المكون من حشيش أخضر كثيف، والمسبح الذى بزرقة السماء، والنخل الضخم المزروع خصيصًا. قادنى كولى إلى إحدى الحجيرات الخاصة الواسعة: طاولة من الكبر بحيث تكفى ستة أشخاص، مزودة بهواتف. كان يعامل الحجيرة باعتبارها حقًا طبيعيا له.

فيما كنا نشرب القهوة، جاء جوردان يمشى إلى جانبنا. قفز كولى فجأة وأمسكه من ذراعه:

- هَىْ، يا صاح، قال: تناول القهوة مع زميلك فى الباكاراه. فهز جوردان رأسه رافضًا وعندئذ رآنى جالسًا فى الحجيرة. وجه لى بسمة غريبة، متسليًا بى لسبب ما، وغيَّر رأيه. انسل إلى الحجيرة.

وعلى ذلك النحو كان لقاؤنا الأول: جوردان، كولى وأنا. فى ذلك اليوم فى فيجاس عندما رأيت جوردان أول مرة، لم يبدُ عليه سوء الحال رغم شعره الأبيض. كان ثمة جو عصى على النفاذ تقريبًا من التحفظ حوله يرعبنى، ولكن كولى لم يلاحظه. كان كولى أحد أولئك الرجال الذين لا مانع عندهم من جرِّ البابا من أجل فنجان قهوة.

كنت ما أزال أمثل دور الطفل البرىء. قلت:

- ما الذى يغضب تشيتش بحق الجحيم؟ يا للمسيح، كنت أظننا جميعًا نتسلى.

استدار رأس جوردان خاطفًا، ولأول مرة بدا أنه منتبه لما يدور من حوله. وكان يبتسم أيضًا، كما لو على طفل يحاول أن يصير شاطرًا أكثر من عمره. ولكن كولى لم يفتتن إلى ذلك الحد. قال:

ـ اسمع، يا طفل. كان المراقب سيخف إليك خلال ثانيتين. لماذا تظنه يجلس عاليًا هناك؟ ليخرج المخاط اليابس اللعين من أنفه؟ ليراقب هرة تمشى من هناك؟. فقلت:

ـ نعم، حسنًا. ولكن أحدًا لا يستطيع أن يقول إنه تقصيرى. لقد خرج تشيتش عن الطريق. أنا كنت مهذبًا. عليك أن تقرً بذلك. ليس للفندق والكازينو أى شكوى ضدى.

ابتسم كولى ابتسامة ودية:

ـ نعم، لقد لعبت ذلك جيدًا جدا. كنت حاذقًا تمامًا. لم يدرك تشيتش فوقع فى الفخ مباشرة. ولكن هناك شيئًا لم تفهمه. إن تشيتش رجل خطر. وهكذا، فإن عملى الآن هو أن أرزمك وأضعك على الطائرة. أى نوع لعين من الأسماء هو ذاك على أية حال؟ ميرلين!.

لم أجبه. سحبت قميصى الرياضى عاليًا وأريته المقدمة العارية من صدر وبطن. كان عندى جرح طويل، أرجوانى قبيح للغاية، عليها. كشرت بوجه كولى وقلت له:

ـ أتدرى ما ذاك؟.

كان حذرًا الآن، متيقظًا. وجهه كالصقر حقًا.

وأعطيته إياه ببطء، قلت:

ـ لقد كنت فى الحرب. أصابتنى طلقات بندقية آلية فتعين عليهم أن يخيطونى كما لو كنت دجاجة. أفتظننى أهتم لك أو لتشيتش معًا قيد شعرة؟.

لم يتأثر كولى. ولكن جوردان كان لايزال يبتسم. لم يكن كل ما قلته صحيحًا. لقد كنت فى الحرب، وشاركت فى القتال. ولكننى لم أصب أبدًا. وما كنت أريه لكولى إنما كان عملية لمرارتى. لقد جربوا طريقة جديدة فى القص هى التى خلفت هذا الجرح المؤثر للغاية.

تنهد كولى وقال:

ـ أيها الطفل، قد تكون أشد مما يبدو عليك، ولكنك مع ذلك لست من الشدة بحيث تبقى هنا مع تشيتش.

تذكرت تشيتش يقفز منتصبًا من اللكمة بسرعة بالغة فبدأت أقلق. ولقد فكرت للحظة حتى بأن أدع كولى يضعنى على طائرة. ولكننى هززت رأسى رافضًا.

ـ اسمع، إننى أحاول أن أساعد، قال كولى: بعد ما حدث سيبحث تشيتش عنك، وأنت لست فى مصاف تشيتش، صدقنى.

ـ لماذا؟، سأل جوردان.

فأجابه كولى سريعًا جدا:

ـ لأن الطفل إنسان وليس تشيتش إنسانًا.

غريب كيف تبدأ الصداقات. فى تلك النقطة لم نكن ندرى أننا سنصير أصدقاء فيجاسيين وثيقين. كنا، فى الحقيقة، نصير منطوين نوعًا ما مع أحدنا الآخر. قال كولى:

ـ سأقود بك السيارة إلى المطار. فقلت:

ـ إنك إنسان لطيف للغاية. إننى أحبك. كنا زملاء على الباكاراه. ولكن إذا كررت القول بأنك ستقود بى إلى المطار فستستيقظ فى المستشفى.

فضحك كولى بجذل، وقال:

ـ هيا. لقد ضربت تشيتش ضربة نظيفة فقفز ناهضًا. إنك لست رجلاً شديدًا. واجه الأمر.

عندئذ تعين علىَّ أن أضحك لأن ذلك كان صحيحًا. كنت خارج شخصيتى الطبيعية. وواصل كولى:

ـ إنك ترينى حيث أصابك الرصاص، ولكن ذلك لا يجعلك رجلاً شديداً. ذلك يجعلك ضحية لرجل شديد. الآن، لو كنت أريتنى رجلاً فيه جراح بسبب رصاص أدخلته أنت فيه، لكنت سأتأثر. ولو لم يقفز تشيتش بتلك السرعة عندما ضربته، لكنت سأتأثر. هيا، إننى أقوم لك بمعروف. بلا مزاح.

حسنًا، كان محقًا حتى الآخر. ولكن ذلك لم يغير شيئًا. لم أحس ميلاً للذهاب إلى البيت ، إلى زوجتى وإلى أطفالى الثلاثة وفشل حياتى. كانت فيجاس تناسبنى. كانت الكازينو تناسبنى. وكانت المقامرة تنير دربى. يمكنك أن تكون بمفردك دون أن تحس بالوحدة. وكان شىء ما يحدث دائمًا كما الآن تماما. لم أكن شديداً، ولكن ما فات كولى هو أنه ما من شىء قط، حرفيا تقريبًا، كان يمكن أن يخيفنى لأنه فى هذا الوقت بالذات من عمرى لم أكن أبالى شيئًا قط.

وهكذا فقد قلت لكولى:

ـ نعم، أنت محق. ولكننى لا أستطيع الرحيل قبل بضعة أيام.

الآن نظر إلى متفحصًا حقًا. ثم هزَّ كتفيه. تناول القائمة ووقعها ونهض عن المائدة:

ـ أراكم يا جماعة لاحقًا، قال. وتركنى بمفردى مع جوردان.

كنا كلانا مرتبكين. لم يكن أى منا يريد أن يكون مع الآخر. أحسست أن كلينا كنا نستخدم فيجاس لغرض مشابه: لنختفى عن العالم الحقيقى. ولكننا لم نكن نريد أن نكون فظين: جوردان لأنه كان أساسًا رجلاً هائل التهذيب، أما أنا، فمع أننى لم أكن أجد فى العادة صعوبة فى الابتعاد عن الناس، إلا أن شيئًا كان فى جوردان أحببته غريزيا، وكان ذلك نادراً ما يقع بحيث لم أشأ أن أجرح مشاعره بأن أتركه بمفرده. ثم قال جوردان:

ـ كيف تتهجى اسمك؟.

تهجيته له. أم - إى - آر - أل - واى - إن. كان بمقدورى أن أرى أنه فقد الاهتمام بى، فكشرت نحوه، وقلت:

- تلك إحدى التهجيات المهجورة.

فهم مباشرة وأعطانى بسمته الحلوة، وسأل:

- كان أبواك يعتقدان أنك ستكبر لتصير ساحرًا (*)؟ وذلك ما كنت تحاول فعله على مائدة الباكاراه؟.

- كلا، قلت: ميرلين اسم عائلتى. لقد بدلته. لم أكن أريد أن أكون الملك آرثر، كما لم أكن أريد أن أكون لانسلاو. فقال جوردان:

- كانت لميرلين متاعبه.

- نعم، قلت: ولكنه لم يمت قط.

وعلى هذا النحو صرت وجوردان صديقين، أو بدأنا صداقتنا بنوع من ثقة صبيان المدارس العاطفية.

فى الصباح التالى لعراكى مع تشيتش، كتبت رسالتى اليومية القصيرة إلى زوجتى مخبراً إياها أننى سأعود إلى البيت خلال بضعة أيام. ثم تجولت خلال الكازينو ورأيت جوردان على مائدة كرابس. كان يبدو جموحًا. لمسته على الذراع، فاستدار ومنحنى تلك الابتسامة الحلوة التى كانت تؤثر فىَّ على الدوام. ربما لأننى كنت الوحيد الذى يبتسم له بتلك السهولة. لنتناول الإفطار، قلت. كنت أريده أن ينال قسطًا من الراحة. كان واضحًا أنه كان يقامر طوال الليل. تناول جوردان، بلا كلمة، رقاقاته ومضى معى إلى المقهى. كنت ما أزال أحمل رسالتى بيدى. نظر إليها فقلت:

(*) سيتضح من الحوار التالى أن ميرلين كان ساحر فرسان المائدة المستديرة .

- إننى أكتب لزوجتى يوميا.

أومأ جوردان برأسه متفهمًا، وطلب الإفطار. أمر بوجبة كاملة، على طراز فيجاس: بطيخ، وبيض ولحم خنزير مقدد، وخبز محمص مع القهوة. ولكنه أكل قليلاً، بضع عضات، ثم القهوة. أخذت أنا شريحة لحم بقر نصف منضجة، كنت أحبه فى الصباح ولكننى لم أتناوله أبدًا إلا فى فيجاس.

بينما كنا نأكل، جاء كولى مندفعًا بسرعة، ويده اليمنى ملآى برقاقات الخمسة دولارات.

- استخرجت نفقاتى لهذا اليوم، قال مليئًا بالثقة. عددت تنازليا على حاوية ولحقت برهانى النسبوى على مائة. وجلس معنا وطلب بطيخًا وقهوة.

- يا ميرلين، عندى أخبار طيبة لك، قال: ليس عليك أن تغادر المدينة. فقد ارتكب تشيتش غلطة كبيرة ليلة أمس.

الآن، لسبب ما خوّفنى ذلك. كان لايزال يواصل ذلك الموضوع. كان يشبه زوجتى، التى توالى إخبارى بأن علىَّ أن أنضبط. ليس علىَّ أن أفعل شيئًا. ولكننى تركته يتكلم. ولم يقل جوردان، كالعادة، ولا كلمة، بقى يراقبنى فقط لمدة دقيقة. أحسست أنه كان بمقدوره أن يقرأ أفكارى.

كانت لكولى طريقة عصبية سريعة فى الأكل والكلام. كانت عنده كمية كبيرة من الطاقة، مثل تشيتش تمامًا. كل ما هنالك أن طاقته كانت تبدو مشحونة بالإرادة الطيبة، لجعل العالم يسير أسهل:

- أتعرف جامع المال الذى لكمه تشيتش فى أنفه وذلك الدم كله؟ أتلف قميص الصبى. حسنًا، إن ذلك الصبى هو ابن الأخت المفضل لنائب رئيس شرطة لاس فيجاس.

فى ذلك الوقت، لم يكن عندى إحساس بالقيم. كان تشيتش رجلاً فظًا أصيلاً، قاتلاً، مقامرًا كبيرًا، وربما أحد السفاحين الذين يساعدون فى إدارة فيجاس. فماذا

يكون ابن أخت نائب رئيس شرطة؟ وأنفه التافه الدامي؟ وقلت هذا أو شيئًا بمعناه. ابتهج كولى لفرصة التعليم هذه. قال:

- عليك أن تفهم أن نائب رئيس الشرطة فى لاس فيجاس هو ما كانه الملوك السابقون. إنه رجل ضخم سمين يرتدى قبعة عريضة وجرابًا ويحمل مسدس خمسة وأربعين. لقد أقامت عائلته فى نيفادا منذ الأيام الأولى، ينتخبه الناس كل سنة. كلمته قانون. يدفع له كل فندق فى هذه المدينة، يتوسل كل كازينو لكى يشتغل ابن الأخت عنده ويدفع له أعلى مال جامع نقود باكاراه. إنه يجمع بقدر ما يجمع المراقب. والآن، عليك أن تفهم أن الرئيس يعتبر دستور الولايات المتحدة ولائحة الحقوق مجرد تضليل للمشارقة المخانيث. على سبيل المثال، أى زائر له أى نوع من السجل الإجرامى عليه أن يسجل نفسه ما إن يصل إلى المدينة. وصدقنى أن من الخير له أن يفعل. ورئيسنا أيضًا لا يحب الخنافس. أتلاحظ أنه لا يوجد صبيان طوال الشعر فى هذه المدينة؟ والسود، إنه ليس مجنونًا بحبهم. أو المتبطلين أو الشحاذين. إنه يحب الفتيات، جيدات لشغل الكازينوهات، ولكنه لا يحب القوادين. إنه لا يبالى بوسيط يعيش على خداع صديقته أو على شىء مثل هذا. ولكن، إذا ما أنشأ رجل شاطر قافلة من البنات، فلينتبه. والبغايا دائمًا يشنقن أنفسهن فى زنزاناتهن، أو يشرطن معاصمهن. المقامرون المطرودون لإفلاسهم ينتحرون فى السجن. القتلة المدانون، مختلسو المصارف. إن عددًا كبيرًا من السجناء هم الذين يدخلون أنفسهم. ولكن أسمعت طيلة عمرك بقواد ينتحر؟ حسنًا، تسجل فيجاس الرقم القياسى. لقد انتحر ثلاثة قوادين فى سجن رئيسنا. هل تستوعب الصورة؟.

- إذن، فما الذى جرى لتشيتش؟، قلت: أهو فى السجن؟.

فابتسم كولى:

- لم يصل قط إلى هناك. حاول أن يحصل على معونة غرونيفيلت.

فتمتم جوردان:

- كسانادو رقم واحد؟.

فنظر إليه كولي، متحيراً قليلاً.

ابتسم جوردان:

- أنا أتسمَّع إلى الاستدعاءات الهاتفية عندما لا أقامر.

لمجرد دقيقة بدا كولي غير مرتاح. ثم واصل كلامه:

- طلب تشيتش من غرونيفيلت أن يغطيه ويخرجه من المدينة. فسألت:

- ومن هو غرونيفيلت؟.

- إنه يمتلك الفندق، قال كولي: ودعني أقل لك، لقد كانت مؤخرته معلقة. فلم يكن تشيتش بمفرده، لو كنت تعلم.

نظرت إليه. لم أكن أعلم ما كان ذلك يعنيه. فقال كولي بشكل موحٍ:

- تشيتش، ذو ارتباطات. ومع ذلك، كان على غرونيفيلت أن يسلمه للرئيس. وهكذا فتشيتش الآن في مستشفى الكوميونيتي. عنده كسر جمجمة، وإصابات داخلية، وسيحتاج إلى جراحة تجميلية.

- يا للمسيح، قلت. فقال كولي:

- قاوم الاعتقال! ذاك رئيسنا. وعندما يشفى تشيتش، فإنه ممنوع من فيجاس إلى الأبد. ليس ذلك فقط، بل فُصل رئيس ركن الباكاراه. كان مسئولاً عن الاهتمام بشئون ابن الأخت. إن الرئيس يلومه. والآن، لا يستطيع رئيس الركن ذاك أن يعمل في فيجاس. سيتعين عليه أن يبحث عن شغل في البحر الكاريبي. فسألت:

- لن يستخدمه شخص آخر؟.

- ذاك هو الأمر، قال كولي: كان ثمة رئيس ركن آخر تسلل إلى المدينة وحصل على شغل آخر. وصادف أن دخل الرئيس إلى هناك وجرجره فقط إلى خارج الكازينو. ضربه حتى جعله يخرأ. وفهم الجميع الرسالة. فقلت:

- كيف يمكنه بحق الجحيم أن ينجو بهذا الخراء؟.

- لأنه ممثل للشعب معيَّن بشكل أصولي، قال كولي. وللمرة الأولى ضحك جوردان. كانت له ضحكة عظيمة. إنها تغسل البعد والبرودة اللتين تحس بهما يصدران عنه دائمًا.

وفي وقت متأخر من تلك الليلة جلب كولي ديان إلى البهو حيث كنا جوردان وأنا نرتاح من القمار. كانت قد تعافت مما كان تشيتش فعله بها الليلة الماضية. كان واضحًا أنها تعرف كولي جيدًا جدا. وصار واضحًا أن كولي كان يقدمها طعمًا لي ولجوردان. كان بمقدورنا أن نأخذها إلى الفراش في أي وقت نشاء.

قام كولي بمداعبات صغيرة عند ثدييها وساقيها وفمها، كم هي لطيفة كلها، كيف تستعمل عرفها من الشعر الأسود الفاحم كسوط. ولكن تعليقات رزينة عن شخصيتها الطيبة كانت مخلوطة بالإطراءات الفجة، بأشياء مثل: هذه واحدة من الفتيات في هذه المدينة التي لا تخدعك وإنها لا تخدع قط من أجل رهان مجاني. إنها طفلة طيبة، هي لا تنتمي إلى هذه المدينة. ثم، لكي يظهر إخلاصه، مد راحة يده لديان كي تنفض رماد سيجارتها فيها كي لا تتضايق بأن تمد يدها إلى المنفضة. كانت تلك فروسية بدائية، المعادل الفيجاسي لتقبيل يد دوقة.

كانت ديان هادئة جداً، ولقد تضايقتُ قليلاً لأنها كانت مهتمة بجوردان أكثر مني. فبعد كل شيء، ألم أنتقم لها كالفارس الشهم الذي كنته؟ أفلم أذل تشيتش الرهيب؟ ولكن عندما انصرفت لجولتها من واجب إحماء مائدة الباكاراه، مالت وقبلت خدي ثم قالت، وهي تبتسم حزينة قليلاً:

- يسعدني أنك بخير. كنت قلقة بشأنك. ولكن ما كان عليك أن تكون بذلك الحمق.

ثم ذهبت.

فى الأسابيع التى تلت قصَّ كل منا قصته على الآخر وصرنا نعرف بعضنا. وصار تناول شراب بعد الظهر طقسًا، وكنا نتناول العشاء فى الأغلب معًا فى الواحدة صباحًا، عندما تنهى ديان نوبتها على مائدة الباكاراه. ولكن الأمر كله كان يتوقف على أنماط مقامراتنا. لو أن أحدًا منا حمى، فإنه كان يترك الأكل حتى يتبدل حظه. وكان ذلك يحدث غالبًا مع جوردان.

ولكن كانت ثمة أيضًا عصارى طويلة كنا نجلس فيها عند حوض السباحة متحدثين تحت شمس الصحراء المحرقة. أو نقوم بالمشى فى منتصف الليل على امتداد الشريط الغارق بالنيون، والفنادق المتلألئة مزروعة مثل سرابات فى الصحراء المحيطة. وهكذا أخبر كلٌ منا الآخرين بحياته.

بدت قصة جوردان الأبسط والأكثر ابتذالاً، وكان هو يبدو الشخص الأكثر طبيعية فى المجموعة. كانت عنده حياة سعيدة تمامًا ومستقبل مألوف، اعتيادى. كان نوعًا من عبقرى إدارى، وصارت عنده فى سن الخامسة والثلاثين شركته الخاصة التى تتعامل بشراء وبيع الفولاذ. كان نوعًا من وسيط، وكان ذلك يحقق له حياة حلوة. تزوج امرأة جميلة، وصار لهما ثلاثة أطفال وبيت كبير وكل ما كانا يريدان: مال، وأصدقاء، وشغل وحب حقيقى. ودام ذلك عشرين سنة. ثم، كما يصف جوردان الأمر، تجاوزته زوجته. كان قد ركز كل طاقاته على جعل عائلته مأمونة من مخاوف اقتصاد الغاب. وقد استنفد ذلك كل إرادته وكل طاقاته. وكانت زوجته قد قامت بواجبها زوجة وأما. كانت امرأة ذكية، ومحبة للاستطلاع، وجيدة القراءة. كانت تلتهم الروايات والمسرحيات، وتذهب إلى المتاحف، وتشارك فى مجموعات المدينة الثقافية، وكانت تشاطر متطوعة كل شىء مع جوردان. فأحبها أكثر. حتى اليوم الذى أخبرته فيه بأنها تريد الطلاق. فكف عن حبها وكف عن حب أطفاله وعائلته وشغله. كان قد فعل كل شىء فى العالم من أجل عائلته النووية. لقد حرسهم من كل مخاطر العالم الخارجى، بنى قلعة من المال والقوة، غير حالم أبدًا بأن الأبواب ستفتح من الداخل.

لم يروِ ذلك على هذا النحو، بل سمعته أنا على هذا النحو. هو قال ببساطة تامة إنه لم ينم مع زوجته. إنه كان منغمسًا جدا في شغله بحيث لم يولِ اهتمامًا مناسبًا لعائلته. إنه لم يلمها قط عندما طلقته لتتزوج أحد أصدقائه. لأن ذلك الصديق كان مثلها تمامًا: كانت لهما الأذواق نفسها، نوع الذكاء ذاته، الميل عينه للتمتع بالحياة.

وهكذا، فقد وافق على كل ما أرادت زوجته. باع شركته وأعطاها كل المال. أخبره محاميه بأنه كان يظهر كرمًا أكثر من اللازم، وأنه سيندم على ذلك فيما بعد. ولكن جوردان قال إن ذلك لم يكن كرمًا حقًا لأن بمقدوره أن يجمع المزيد جدا من المال بينما لا تستطيع زوجته وزوجها أن يفعلا. قال جوردان:

- إنكم لا تتصورون ذلك عندما تراقبونني وأنا أقامر، ولكنني يفترض أن أكون رجل أعمال عظيمًا. إنني أتلقى عروض عمل من جميع أنحاء البلاد. لو أن طائرتي لم تحط في فيجاس، لكنت الآن في طريقي إلى جمع مليون دولاري الأول في لوس أنجلوس.

كانت قصة جيدة، ولكن كان فيها طابع زائف بالنسبة لي. لقد كان رجلاً لطيفًا جدا. كان الأمر كله متحضراً جدا.

كان أحد الأمور الخطأ في القصة أنني كنت أعرف أنه لم يكن ينام لياليه قط. في كل صباح كنت أذهب إلى الكازينو كي أثير شهيتي إلى الإفطار عن طريق رمي الزهر، كنت أجد جوردان عند مائدة الكرابس. كان واضحًا أنه كان يقامر طوال الليل. وأحيانًا عندما كان يتعب، يكون في ركني الروليت أو البلاك جاك. وفيما كانت الأيام تكر، كان يبدو أسوأ فأسوأ. فقدَ وزنًا وبدت عيناه مليئتين بصديد أحمر. ولكنه كان رقيقًا دومًا، متماسكًا جدا. ولم يقل كلمة قط ضد زوجته.

في بعض الأحيان، عندما كنا كولي وأنا وحدنا في البهو أو على الغداء، كان يقول:

- أتصدق ذلك الجوردان اللعين؟ أتصدق أن رجلاً يترك امرأة تجرده من فرصته على هذا النحو؟ وهل تصدق كيف يتحدث عنها وكأنها أعظم فرج بُنِيَ؟. فقلت:

- لم تكن امرأة. كانت زوجته لكثير من السنين. كانت أم أطفاله. كانت صخرة إيمانه. إنه طُهراني (*) من النمط القديم حصل على كرة بِلْية ترمى عليه.

كان جوردان هو من جعلني أبدأ الكلام. قال ذات يوم:

إنك تسأل الكثير من الأسئلة، ولكنك لا تقول الكثير. وتوقف برهة كما لو كان يتأمل ما إذا كان مهتمًا حقًا بما يكفي لطرح السؤال. ثم قال: لماذا أنت هنا في فيجاس لمدة بهذا الطول؟.

- أنا كاتب، أخبرته. وانطلقت من هناك. وقد أثرت حقيقة كوني نشرت رواية فيهما معًا، وكان رد الفعل ذاك يسليني دومًا. ولكن ما أدهشهما حقًا هو أنني كنت في الحادية والثلاثين وأنني كنت هاربًا من زوجة وثلاثة أطفال.

- تصورتك لا تتجاوز الخامسة والعشرين، قال كولي: كما أنك لا تلبس خاتم زواج. فقلت:

- لم ألبس خاتم زواج أبداً.

وقال جوردان مازحًا:

- إنك لا تحتاج إلى خاتم، فأنت تبدو مذنبًا بدونه. لسبب ما لم أستطع أن أتصوره يقوم بذلك النوع من المزاح بينما كان متزوجًا ويقيم في أوهايو. ثم أحس بأن ذلك كان فظًا. أو أن ذهنه لم يكن بذلك التحرر. أو ربما كان ذلك شيئًا كانت زوجته ستقوله ويتركها تقوله وتكتفي بالجلوس والاستمتاع به ، لأن بمقدورها أن تنفذ بجلدها به وهو

(*) Puritan .

ربما لا يستطيع ذلك. كان ذلك يناسبنى. على أية حال، أخبرتهما بقصة زواجى، وأثناء العملية ظهر أن الجرح على بطنى الذى أريتهما إياه كان جرح عملية مرارة، لا جرح حرب. فى تلك النقطة من القصة ضحك كولى وقال:

- يا فنان الأكاذيب.

هززت كتفى، ابتسمت، واستأنفت قصتى.

- ٥ -

ليس لى تاريخ. لا أبوان أتذكرهما. ليس عندى أعمام، ولا أبناء عمومة، لا حى أو مدينة. عندى فقط أخ واحد، أكبر منى بسنتين. فى الثالثة، عندما كان أخى - آرتى - فى الخامسة، تُركنا معًا فى ميتم خارج نيويورك. تركتنا أمنا. لا ذكرى عندى عنها.

لم أخبر كولى وجوردان وديان بهذا. لم أكن أتكلم قط عن هذه الأمور. حتى ولا لأخى، آرتى، الذى هو الأقرب إلىَّ فى العالم كله.

لا أتكلم عنها لأنها تبدو محزنة للغاية، وهى ليست كذلك حقًا. كان الميتم رائعًا، مكانًا مبهجًا مرتبًا ، له نظام مدرسى جيد ومدير ألمعى حصيف. كان وضعى حسنًا إلى أن غادرنا أنا وآرتى. كان فى الثامنة عشرة وقد وجد عملاً وشقة. هربت للانضمام إليه. بعد بضعة أشهر تركته هو أيضًا، كذبت بشأن عمرى، والتحقت بالجيش كى أحارب فى الحرب العالمية الثانية. والآن هنا فى فيجاس بعد ستة عشر عامًا أخبرت جوردان وكولى وديان عن الحرب وعن حياتى لاحقًا.

كان أول ما فعلت بعد الحرب هو التسجيل فى دورات لتعليم الكتابة فى (المدرسة الجديدة للبحث الاجتماعى). كان كل امرئ حينذاك يريد أن يصير كاتبًا، كما صار كل امرئ يأمل بعد عشرين سنة أن يصير صانع أفلام.

وجدت من الصعوبة أن أحقق صداقات فى الجيش. كان ذلك أسهل فى المدرسة. ولقد قابلت زوجتى المقبلة هناك أيضًا. لأنه لم تكن عندى عائلة، فيما عدا أخى الأكبر، كنت أقضى وقتًا طويلاً فى المدرسة، متعطلاً فى الكافتريا مفضلاً ذلك على العودة إلى الغرف الخالية فى شارع (غروف). كان ذلك مسليًا. بين آن وآخر كان يؤاتينى

الحظ فأقنع فتاة بالعيش معى بضعة أسابيع. وكان الشبان الذين صادقتهم، وكلهم أنهوا الخدمة العسكرية ويريدون الذهاب إلى المدرسة بموجب لائحة الجنود التلاميذ، يتحدثون لغتى. كانت المشكلة أنهم كانوا جميعًا مهتمين بالحياة الأدبية ولم أكن أنا كذلك. كنت أريد أن أصير كاتبًا لا لشىء إلا لأننى كنت أحلم دائمًا بقصص. مغامرات خيالية تعزلنى عن العالم.

اكتشفت أننى قرأت أكثر من أى إنسان آخر، حتى من أولئك المستعدين لدراسة الدكتوراه فى الإنجليزية. لم يكن عندى فى الواقع الكثير غير ذلك مما أفعله، مع أننى كنت أقامر دائمًا. وجدت وكيل مراهنات على الجانب الشرقى قرب الشارع العاشر وأراهن كل يوم على ألعاب الكرة: كرة القدم وكرة السلة والبيسبول. كتبت بعض القصص القصيرة وشرعت فى رواية عن الحرب. قابلت زوجتى فى أحد فصول القصة القصيرة.

كانت فتاة أيرلندية - إسكتلندية دقيقة لها جذع ضخم وعينان زرقاوان واسعتان وهى جدية بشأن كل شىء. كانت تنقد قصص الآخرين بحذر، بأدب، ولكن بصرامة بالغة. لم تتح لها أبدًا الفرصة للحكم علىَّ لأننى لم أكن قد قدمت بعد قصة إلى الفصل. قرأت إحدى قصصها. وقد دهشتُ لأن القصة كانت جيدة جدا وظريفة جدا. كانت عن أعمام أيرلنديين جميعهم سكارى.

وهكذا فعندما انتهت القصة تقافز عليها الفصل كله لدعمها الإكليشة الزاعمة بأن كل الأيرلنديين يشربون الخمرة. تلوى وجهها القسيم فى دهشة متألمة. وأخيرًا، أعطيت الفرصة لتجيب.

كان صوتها ناعمًا جميلاً، وقالت بكآبة:

- ولكننى ترعرعت مع الأيرلنديين. جميعهم يشربون. أليس ذلك صحيحًا؟، قالت للمعلم، الذى كان، من باب الصدفة، أيرلنديا هو الآخر. كان اسمه (مالونى) وكان صديقًا طيبًا لى. مع أنه لم يكن يبدو عليه، إلا أنه كان سكرانًا فى تلك اللحظة بالذات.

تراجع مالونى فى كرسيه وقال بوقار:

- لا أدرى، فأنا نفسى إسكنديناڤى.

ضحكنا جميعًا وأحنت (فاليرى) المسكينة رأسها، وهى لاتزال مرتبكة. دافعت عنها لأننى كنت أعرف، مع أنها كانت قصة جيدة، أنها لن تصير كاتبة حقيقية قط. كان كل من فى الفصل موهوبًا، ولكن قلة صغيرة كانت عندها الطاقة والرغبة للمضى شوطًا بعيدًا، للتخلى عن حياتها من أجل الكتابة. كنت واحدًا منها. وأحسست أنها لم تكن كذلك. كان السر بسيطًا. فالكتابة كانت الأمر الوحيد الذى أريد أن أفعله.

قريبًا من نهاية الفصل قدمت أخيرًا قصة. أحبها الجميع. بعد انتهاء الحصة جاءتنى فاليرى وقالت:

- كيف هذا: أنا جدية ولكن كل شىء أكتبه ينتهى مضحكًا جدا؟ وأنت تتنكَّت دائمًا وتتصرف كما لو كنت غير جاد بينما تجعلنى قصتك أبكى؟.

كانت جادة، كالعادة. ما كانت لتتراخى. وهكذا، فقد أخذتها لتناول القهوة. كان اسمها (فاليرى أوغرايدى)، وهو اسم كانت تكرهه بسبب أيرلنديته. أظن أحيانًا أنها إنما تزوجتنى لتتخلص من الـ (أوغرايدى). وجعلتنى أناديها (فالى). ولقد أدهشنى أن يتطلب أخذها إلى الفراش أسبوعين. لم تكن فتاة ريفية حرة اللعب، وكانت تريد أن تتأكد من أننى أفهم ذلك. وقد تعين أن نجتاز كل اللعبة التمثيلية من حملى إياها على السكر أولاً كى تتمكن من من أن تتهمنى باستغلال نقطة ضعف قومية أو عرقية. ولكنها فى الفراش أدهشتنى.

لم أكن مجنونًا بها جدا من قبل. ولكنها فى الفراش كانت عظيمة. أتصور أن ثمة ناسًا يتناسبون جنسيا، يستجيب أحدهم للآخر على مستوى جنسى أولى. بالنسبة لنا، أظننا كنا خجولين جداً، منطويين جدا على نفسينا، أننا لم نكن نستطيع أن نتحلل جنسيا مع شركاء آخرين. وأننا نستجيب أحدنا للآخر لسبب غامض ما ينبع من ذلك

الخجل المتبادل. على أية حال، بعد الليلة الأولى فى الفراش لم نعد نفترق. ذهبنا إلى كل دور السينما الصغيرة فى القرية وشاهدنا جميع الأفلام الخارجية. وكنا نتناول طعامًا إيطاليًا أو صينيًا ونعود إلى غرفتى فنمارس الحب، وفى حوالى منتصف الليل أرافقها سيرًا إلى قطار الأنفاق الكهربائى كى تتمكن من العودة إلى بيت العائلة فى (كوينز). كانت لا تزال تعوزها الشجاعة لمبيت الليلة. حتى لم تتمكن، فى إحدى نهايات الأسبوع، أن تقاوم. كانت تريد أن تكون موجودة يوم الأحد لتعد لى الإفطار وتقرأ معى صحف الأحد فى الصباح. وهكذا فقد روت أكاذيب البنات المعتادة لأبويها وبقيت. كانت نهاية أسبوع جميلة. ولكن عندما وصلت إلى البيت وقعت فى عراك العشيرة النارى. لقد قفزت كل عائلتها عليها. وعندما رأيتها ليلة الاثنين، كانت تبكى، فقلت:

ـ اللعنة، هيا نتزوج. فقالت فى اندهاش:

ـ لست حبلى، وازداد اندهاشها عندما انفجرت ضاحكًا. لم يكن عندها حقًا حس نكتة، إلا عندما تكتب.

وأخيرًا أقنعتها أننى كنت أعنى ما أقول. أننى كنت أريد حقًا أن أتزوجها، فاحمرت خجلاً ثم بدأت تبكى.

وهكذا، ففى عطلة نهاية الأسبوع التالية ذهبت إلى بيت أهلها فى كوينز من أجل غداء الأحد. كانت عائلة كبيرة: أب، وأم، وثلاثة إخوة وثلاث أخوات، جميعهم أصغر من فالى. كان أبوها عاملاً قديمًا فى قاعة تامانية (*) ويكسب معيشته بنوع من العمل السياسى. وكان هناك بعض الأعمام سكروا كلهم. ولكن بطريقة مهملة مرحة. سكروا كما يملأ بعض الناس بطونهم بالطعام فى حفل عشاء كبير. لم تكن أكثر هجومية من ذلك. ومع أننى لا أشرب عادة، فقد تناولت بعض الشراب واستمتعنا جميعًا.

(*) Tammany : منظمة ديمقراطية سياسية فى نيويورك ، أنشئت عام ١٧٨٩ كجمعية خيرية فيدرالية .

كان للأم عينان بنيتان راقصتان. وكان واضحاً أن فالى أخذت اندفاعها الجنسى من الأم وقلة المرح من أبيها. كان بمقدورى أن أرى الأب والأعمام يراقبوننى بعيون سكرانة متقلصة، محاولين أن يحكموا ما إذا كنت مجرد وقح ينكح (فاليهم) المحبوبة، يضحك عليها بحديث الزواج.

أخيراً، طرق السيد أوغرايدى الموضوع:

- متى تريدان أن ترتبطا، حسب تخطيطكما؟.

كنت أعرف أننى لو أعطيت الجواب الخطأ فسأتلقى لكمة فى الفم من أب وثلاثة أعمام فى تلك اللحظة وذلك الزمان بالضبط. كنت أستطيع أن أرى الأب يكرهنى بسبب نكاحى ابنته الصغيرة قبل الزواج منها. ولكننى كنت أفهمه. كان ذلك يسيراً. وأيضاً، أنا لم أكن أحتال. أنا لا أخادع الناس قط، أو هكذا كنت أظن. وهكذا فقد ضحكت وقلت:

- صباح غد.

ضحكت لأننى كنت أدرى أنه جواب سيطمئنهم، ولكنه جواب لا يمكنهم أن يقبلوه. لم يكن يمكنهم أن يقبلوه لأن كل أصدقائهم سيتصورون أن فالى كانت حبلى. اتفقنا أخيراً على تاريخ بعد شهرين، لكى تتم إعلانات شكلية ويكون زواجاً عائلياً حقيقياً. وكان ذلك يناسبنى أيضاً. لا أدرى إن كنت مغرماً. كنت سعيداً وكان ذلك كافياً. لم أعد وحيداً بعد، كان بمقدورى أن أبدأ تاريخى الحقيقى. ستمتد حياتى خارجيا، ستصير لى عائلة، وزوجة، وأطفال، ستكون عائلة زوجتى عائلتى. سأستقر فى جزء من المدينة سيكون لى. لن أكون بعد فى وحدة وحيدة مفردة. يمكن الاحتفال بالعطلات وأيام الآحاد. باختصار، سأكون "طبيعيا" للمرة الأولى فى حياتى. إن الجيش لا يهم حقاً. وطوال السنوات العشر التالية عملت على ترسيخ نفسى فى العالم.

كان الناس الوحيدون الذين أعرفهم لدعوتهم إلى الزواج أخى، آرتى، وبعض الشباب من المدرسة الجديدة. ولكن كانت ثمة مشكلة. كان علىَّ أن أشرح لفالى أن

اسمي الحقيقي لم يكن ميرلين. أو بالأحرى أن اسمي الأصلي لم يكن ميرلين. بعد الحرب، غيرت اسمي قانونيا. تعيَّن عليِ أن أشرح للقاضي أنني كاتب وأن ميرلين هو الاسم الذي أريد أن أكتب به. وأعطيته مارك توين مثلاً. هز القاضي رأسه كما لو كان يعرف مائة كاتب ممن فعلوا الشيء ذاته.

الحقيقة هي أنني أحسست إحساساً غامضاً ذلك الوقت بشأن الكتابة. أردت أن أكون نقيا، غير ملوث. كنت أخاف أن تثبط عزيمتي لو عرف أحد شيئًا عني ومن كنت حقا. كنت أريد أن أكتب شخصيات عالمية. (كان كتابي الأول كثيف الرمزية). كنت أريد أن أكون هويتين مستقلتين تماماً.

وعبر روابط السيد أوغرايدي السياسية حصلت على عمل كمستخدم في الخدمة المدنية الفيدرالية. صرت كاتبًا من الدرجة السادسة في إدارة وحدات احتياطي الجيش.

بعد مجيء الأطفال، صارت الحياة الزوجية باهتة يعوزها البريق ولكن بقيت سعيدة. لم نكن أنا وفالي نخرج أبداً. في العطلات كنا نتناول العشاء مع عائلتها أو في بيت أخي آرتي. وعندما كنت أعمل ليلاً، كانت تتزاور هي وصديقاتها في البيت متعدد الشقق. كانت تنشئ صداقات عدة. في عطلات نهاية الأسبوع كانت تزور شقق صديقاتها عندما يقمن حفلة صغيرة ، وكنت أنا أبقى في شقتنا لأرعى الأطفال وأشتغل على كتبي. ما كنت أذهب أبداً. وعندما يجيء دورها للاستضافة، كنت أكره ذلك، وأظنني لم أكن أخفي ذلك جيداً جدا. وكانت فالي تستاء من ذلك. أتذكر مرة أنني ذهبت إلى غرفة النوم لأطل على الأطفال وبقيت هناك أقرأ بعض صفحات المخطوط. تركت فالي ضيوفنا وجاءت تبحث عني. لن أنسى نظرة الألم عندما وجدتني أقرأ، مما يتضح معه أنني كنت راغبًا عن العودة إليها وإلى صديقاتها. وكان بعد أحد تلك المواقف الصغيرة أن مرضتُ لأول مرة. استيقظت في الثانية صباحًا وأحسست ألمًا معذبًا تعذيبًا شديداً في معدتي وعلى ظهري كله.

لم أكن أستطيع تحمُّل نفقات الطبيب فذهبت في اليوم التالي إلى مستشفى إدارة المحاربين القدماء، فأخذوا كل أنواع الصور الشعاعية وقاموا باختبارات أخرى طوال

مدة أسبوع. لم يستطيعوا أن يجدوا شيئًا، ولكننى تلقيت هجومًا جديدًا فشخصوا من الأعراض مرارة مريضة.

بعد أسبوع عدت إلى المستشفى بحملة جديدة فحقنونى حتى الامتلاء بالمورفين. كان علىّ أن أتخلف عن يومى عمل. ثم قبل عيد الميلاد بنحو أسبوع، عندما كنت على وشك أن أنهى عملى فى شغلى الليلى، تلقيت هجومًا ما أشد فظاعته. (لم أذكر أننى كنت أشتغل ليلاً فى أحد المصارف لأحصل على مال إضافى من أجل عيد الميلاد). كان الألم مبرحًا. ولكننى تصورت أن بمقدورى الوصول إلى مستشفى إدارة المحاربين القدماء فى الشارع الثالث والعشرين. أخذت سيارة أجرة أنزلتنى على بعد نحو نصف مبنى من المدخل. كان الوقت بعد منتصف الليل. وعندما ابتعدت السيارة، ضربنى الألم ضربة موجعة فى رأس المعدة. سقطت على ركبتىً فى الشارع المظلم. انتشر الألم على ظهرى كله. انبسطت على الرصيف البارد كالثلج. لم يكن ثمة مخلوق هناك، لا أحد يمكن أن يساعدنى. كان مدخل المستشفى على مبعدة مائة قدم. كان الألم قد شلّنى بحيث لم أكن أستطيع حراكًا. لم أكن حتى خائفًا. فى الواقع، كنت أتمنى أن أموت فقط، لكى يزول الألم. لم أبالِ أبدًا بزوجتى أو أطفالى أو أخى. أردت الفراغ فقط. فكرت لحظة بميرلين الأسطورى. حسنًا، أنا لم أكن ساحرًا لعينًا. أتذكر تقلبى ذات مرة لإيقاف الألم ، ثم التقلب مبتعدًا عن إفريز الرصيف حتى سقطت إلى قناة التصريف. صارت حافة حجارة الرصيف وسادة لرأسى.

وكان بمقدورى الآن أن أرى مصابيح عيد الميلاد تزين مخزنًا قريبًا. خف الألم قليلاً. تمددت هناك مفكرًا بأننى حيوان نكّاح. ها أنا فنان، نشرت كتابًا وسمانى أحد النقاد بالعبقرى، أحد آمال الأدب الأمريكى، وكنت أموت كالكلب فى القناة. وليس بسبب غلطة منى. لمجرد أننى لم أكن أملك مالاً فى المصرف. لمجرد أنه لم يكن لى من يهتم حقًا فيما إذا كنت أحيا أم لا. تلك كانت حقيقة الأمر كله. كان رثاء الذات جيدًا جودة المورفين تقريبًا.

لا أدرى كم استـغرقنى الزحف من القناة. لا أدرى كم استـغرقنى الزحف إلى مـدخل المستـشفى، ولكننى كنت أخيراً فى قوس ضـياء. أتذكر ناسًا يضـعوننى فى كرسى متحرك ويأخذوننى إلى غرفة الطوارئ، وأننى أجبت على أسئلة ثم أننى صرت بسحر ساحر فى فراش أبيض دافئ أحس نعاسًا سعيداً، بلا ألم، فعلمت أنهم حقنونى بالمورفين.

عندما استيقظت، كان طبيب شاب يفحص نبضى. كان قد عالجنى المرة السابقة وكنت أعرف أن اسمه (كون). كشَّر لى وقال:

- لقد تلفنوا لزوجتك، ستأتى لزيارتك عندما يذهب الأطفال إلى المدرسة.

فهززت رأسى إيجابًا وقلت:

- لا أظن أن بمقدورى الانتظار حتى عيد الميلاد لتلك العملية.

بدا الدكتور كون مفكراً قليلاً ثم قال بمرح:

- حسنًا، لقد تحملت إلى هذا الحد، فلم لا تنتظر حتى عيد الميلاد؟ سأُجَدْوِلها لليوم السابع والعشرين. يمكنك أن تأتى ليلة يوم الميلاد وسنقوم بتحضيرك.

فقلت: حسنًا. كنت أثق به. كان قد أقنع المستشفى بمعاملتى كمريض خارجى. كان الرجل الوحيد الذى يبدو أنه يفهم عندما أقول إننى لا أريد العملية حتى عيد الميلاد. أتذكره يقول: لا أدرى ماذا تحاول أن تفعل، ولكننى معك. لم أستطع أن أشرح أنه كان علىَّ أن أشتغل فى العملين حتى عيد الميلاد كى يحصل أطفالى على اللُعَب ويبقون يؤمنون ببابا نويل. إننى كنت مسئولاً كليًا عن عائلتى وسعادتها، لقد كانت الشىء الوحيد الذى أمتلكه.

سأتذكر دائمًا ذلك الطبيب الشاب. كان يبدو مثل طبيبك الممثل السينمائى عدا أنه كان غير متظاهر جدا، ويسيراً. أرسلنى إلى البيت معبأ بالمورفين. ولكن كانت عنده

أسبابه. بعد العملية ببضعة أيام أخبرني، ولقد لاحظت كم أسعده أنه أخبرني: اسمع، إنك أفتى من أن تكون عندك مشكلة مرارة ولم تظهر التحليلات أى شيء. لقد ماشينا أعراضك. ولكن ذلك ما كانته: مشكلة مرارة، حصيات كبيرة. ولكنني أريدك أن تعرف أنه لم يكن ثمة شيء أخر. لقد ألقيت نظرة جيدة. عندما تذهب إلى بيتك، لا تقلق. ستكون بجودة الجديد.

وفى ذلك الوقت لم أفهم حقًا ما كان يعني. فى نمطى الاعتيادى لم يخطر لى إلا بعد سنة أنه كان خائفًا من رؤية السرطان. ولذلك لم يكن يريد أن يجرى العملية قبل عيد الميلاد بينما لم يكن الفاصل يتجاوز أسبوعًا.

- ٦ -

أخبرت جوردان وكولى وديان كيف كان أخى، آرتى، وزوجتى، فالى، يجيئان لرؤيتى كل يوم. وكيف كان آرتى يحلق وجهى ويعود بفالى بالسيارة ويجلبها إلى المستشفى بينما كانت زوجة آرتى تعنى بأطفالى. ورأيت كولى يبتسم بخبث. فقلت:

- حسنًا. إن ذلك الجرح الذى أريته لكم كان جرح مرارتى. لا بندقية آلية. لو كان عندك أى دماغ لعين لأدركت أننى ما كنت لأعيش أبدًا لو أننى أصبت على ذلك النحو.

كان كولى لايزال يبتسم. قال:

- هل خطر لك قط أنه عندما كان أخوك وزوجتك يغادران المستشفى فلربما كانا يتناكحان قبل الذهاب إلى البيت؟ ألهذا السبب تركتها؟.

فضحكت مدويًا، وعرفت أن علىَّ أن أخبرهم عن آرتى. فقلت:

- إنه فتى وسيم جدا. نبدو متشابهين، ولكنه أكبر. الحقيقة أننى نوع من تخطيط بالفحم عن أخى، آرتى. فمى غليظ جدا. محجرا عينى عميقان جدا. أنفى كبير جداً. وأبدو غريبًا جدا، ولكن على المرء أن يرى آرتى. وأخبرتهم أن سبب زواجى من فالى كونها الوحيدة من بين صديقاتى التى لم تعشق أخى.

أخى، آرتى، وسيم بشكل لا يصدق بمقياس دقيق. عيناه تشبهان العيون فى التماثيل الإغريقية. أتذكر عندما كنا أعزبين كلانا كيف كانت الفتيات يقعن فى غرامه، يبكين عليه، يهددن بقتل أنفسهن بشأنه. وكيف كان يحس الضيق بشأن ذلك. لأنه لم يكن يدرى حقًا ما كان سبب ذلك كله. لم يكن يستطيع أن يرى وسامته. كان واعيًا

قليلاً لكونه صغير الحجم، وكانت يداه وقدماه دقيقة. مثل أطراف طفل بالضبط، كانت إحدى الفتيات قد قالت ذلك متعبدة.

ولكن ما كان يكرب آرتى هو السلطة التى يمتلكها عليهن. حتى بلغ به الأمر أن كرهها. آه، كم كنت سأحب ذلك؛ لم تقع البنات فى حبى على ذلك النحو. كم كنت أحبه الآن، ذلك الوقوع عديم الوعى الصرف فى حب المظاهر الخارجية، الحب الذى لا تكسبه ميزات الطيبة، والشخصية، والذكاء، والظرف، والفتنة، وقوة الحياة. باختصار، كيف أحب أن أُعشق بطريقة لم أعمل لأجلها بحيث لا يتعين علىَّ أن أواصل كسبها أو أن أعمل من أجلها؟ إننى أحب ذلك الحب بالطريقة التى أحب بها المال الذى أكسبه عندما أكون محظوظًا فى القمار.

ولكن آرتى اعتاد أن يلجأ إلى ارتداء ملابس لا تناسبه. كان يلبس بصورة محافظة بطريقة لا تنسجم ومظهره. كان يحاول عمدًا أن يخفى فتنته. كان لا يمكنه أن يرتاح ويكون ذاته الطبيعية إلا مع الناس الذين يهتم بهم حقًا ويحس الأمان معهم. وإلا فقد كان يبدى شخصية عديمة اللون تبقى كل شخص، بطريقة غير مزعجة، على مبعدة. ولكن حتى مع هذا بقى يقع فى المشكلات. وهكذا فقد تزوج مبكرًا وربما كان الزوج المخلص الوحيد فى مدينة نيويورك.

فى شغله كباحث كيميائى لدى إدارة الغذاء والدواء الفيدرالية، كانت زميلاته ومساعداته يقعن فى حبه. وحازت صديقة زوجته وزوجها على ثقته، وقامت بينهم صداقة عظيمة لمدة أربع سنوات أو خمس. تخلى آرتى عن احتراسه. لقد وثق بهما. كان ذاته الطبيعية. عشقته صديقة الزوجة المفضلة وحطمت زواجها وأعلنت حبها للعالم، مسببة قدرًا كبيرًا من المشكلات وشكًا لدى زوجة آرتى. وكانت تلك أول مرة أراه فيها غاضبًا عليها. وكان غضبه قاتلاً. لقد اتهمته بتشجيع الهيام. قال لها بأبرد لحن سمعت أى رجل يستخدمه مع امرأة:

- إن كنت تؤمنين بهذا، فاخرجي إلى الجحيم من حياتي. الأمر الذى كان من غير الطبيعي بالنسبة له بحيث أوشكت زوجته أن تصاب بانهيار بسبب الندم. وإننى لأظن فى الحقيقة أنها كانت ترجو أن يكون مذنباً كى تكون لها اليد الطولى عليه. لأنها كانت بالكامل تحت نفوذ قوته.

كانت تعرف شيئًا عنه أعرفه أنا ولا يعرفه إلا قليل من الناس. لم يكن يحتمل أن يوقع ألمًا، على أى شخص أو أى شيء. ما كان يقدر أن يعنِّف أحداً قط. ولهذا السبب كان يكره أن تعشقه النساء. أظنه كان إنسانًا شهوانيًا، كان يمكن أن يعشق كثيراً جداً من النساء بيسر ويستمتع بذلك، ولكنه ما كان ليحتمل الصدامات. لقد قالت زوجته، فى الحقيقة، إن الشيء الوحيد الذى تفتقده فى علاقتهما هو أن تتمكن من استخدام عراك أو اثنين. ليس الأمر أنها لم تعارك أرتى أبداً. فبعد كل شيء كانا متزوجين. ولكنها قالت إن كل معاركهما كانت مسألة لكمة واحدة، على سبيل التشبيه طبعا. كانت ستعارك وتعارك وتعارك، وكان يمسحها بتعليق بارد تبلغ قوة تدميره حد جعلها تنفجر باكية وتتوقف.

ولكنه معى كان مختلفًا؛ كان أكبر وكان يعاملنى معاملة الأخ الطفل. وكان يعرفنى، كان بمقدوره أن يقرأنى خيراً من زوجتى. وهو لم يغضب علىَّ قط.

احتجت إلى أسبوعين حتى شفيت من العملية قبل أن أصير جيداً بما يكفى لأعود إلى البيت. وفى اليوم الأخير ودعت الدكتور كون وتمنى هو لى حظا طيباً.

جلبت الممرضة ملابسى وأخبرتنى أنه سيتعين علىّ أن أوقّع بعض الأوراق قبل أن أتمكن من مغادرة المستشفى. رافقتنى إلى المكتب. ولقد أحسست إحساساً خرائيا حقا لأن أحداً لم يأت لاصطحابى إلى البيت. لا أحد من أصدقائى. لا أحد من عائلتى. أرتى. مؤكد أنهم لم يكونوا يعرفون أننى كنت سأذهب بمفردى إلى البيت. كنت أشعر مثل طفل صغير، لا أحد يحبنى. أكان صحيحًا أن علىَّ أن أذهب إلى البيت بعد عملية

خطيرة، وحيداً، فى قطار الأنفاق؟ ماذا لو أصابنى الضعف؟ أو أغمى علىَّ. يا للمسيح، ثم انفجرت ضاحكًا. لأننى كنت حقا مليئًا بالخراء.

الحقيقة أن آرتى سأل من الذى سيأخذنى إلى البيت، وقد قلت فاليرى. كانت فاليرى قد قالت إنها ستأتى إلى المستشفى، وقلت لها إن الأمر بسيط، سآخذ سيارة أجرة إن لم يستطع آرتى المجيء. وهكذا فقد حسبتْ أننى أخبرت آرتى. وقد حسب أصدقائى، بالطبع، أن شخصًا من عائلتى سيأخذنى إلى البيت. إن حقيقة الأمر هى أننى كنت أريد أن أضمر شكوى بطريقة غريبة ما. ضد أى كائن.

فيما عدا أنه كان لابد من أن يعرف أحد ما. لقد كنت أفخر دائمًا باعتبارى مكتفيًا ذاتيا. إننى لا أحتاج أبدًا إلى أى شخص للعناية بى. إن بمقدورى أن أعيش وحيدًا تمامًا وفى داخل نفسى. ولكن هذه المرة كنت أريد فيها بعض العاطفة الفائضة التى يمنحها العالم بمثل هذه الغزارة.

وهكذا فعندما عدت إلى الردهة ووجدت آرتى يحمل حقيبة ملابسى، أوشكت أن أنفجر باكيًا. ارتفعت معنوياتى وعانقته، وكانت تلك إحدى المرات القليلة التى أفعل فيها ذلك. ثم سألت سعيداً:

- كيف عرفت بحق الجحيم أننى مغادر المستشفى اليوم؟.

وجَّه آرتى إلىَّ ابتسامة حزينة، متعبة:

- أيها الخراء. لقد تلفنت لفاليرى. قالت إنها تظننى سأقلك، فذلك ما قلته لها. قلت:

- لم أخبرها بذلك أبدًا. فقال آرتى:

- أوه، هيا. وأخذ ذراعى، قائدًا إياى إلى خارج الردهة: إننى أعرف أسلوبك. ولكنه ليس عادلاً للناس الذين يهتمون لأمرك. إن ما تفعله غير عادل لهم.

لم أقل شيئًا حتى خرجنا من المستشفى وصرنا فى سيارته، قلت:

- أخبرت فالى أنك قد تأتى. لم أكن أريدها أن تنشغل.

كان آرتى يقود خلال الزحام الآن، ولهذا لم يستطع أن ينظر إلىَّ. تكلم بهدوء، وبتعقل:

- لا يمكنك أن تفعل ما تفعله مع فالى. يمكنك أن تفعله معى. ولكن لا يمكنك أن تفعله مع فالى.

كان يعرفنى كما لا يعرفنى أحد آخر أبدًا. ما كان علىَّ أن أشرح له كيف كنت أحس مثل خاسر لعين. أن عدم نجاحى كفنان قد يهلكنى، والخجل من خيبتى فى العناية بزوجتى وأطفالى قد أهلكنى. لم أكن أستطيع أن أطلب من أحد أن يفعل لى شيئًا. ما كنت أستطيع، حرفيا، أن أطلب من أحد أن يأخذنى من المستشفى للبيت. حتى من زوجتى.

عندما وصلنا البيت، كانت فالى تنتظرنى. كانت لها نظرة مرتبكة، خائفة، على وجهها عندما قبلتنى. تناولنا نحن الثلاثة قهوة فى المطبخ. جلست فالى قربى ولامستنى. قالت:

- لا أستطيع أن أفهم. لمَ لم تستطع أن تخبرنى؟.

- لأنه كان يريد أن يصير بطلاً، قال آرتى. ولكنه قال ذلك كى يضللها. كان يعرف أننى لم أكن أريدها أن تعرف كم كنت مرهقا ذهنيًا حقًا. أظنه كان يظن أنه سيكون سيئًا لها أن تعرف ذلك. وبالإضافة إلى ذلك، كان يؤمن بى. كان يعرف أننى كنت سأقفز مرتدًا. أننى سأكون على ما يرام. يصير كل امرئ ضعيفًا نوعًا ما بين آونة وأخرى. وماذا فى ذلك. حتى الأبطال يتعبون.

بعد القهوة، انصرف آرتى. شكرته فمنحنى بسمته التهكمية، ولكن كان بمقدورى أن أرى أنه كان قلقًا بشأنى. كان ثمة، فيما لاحظت، نظرة إجهاد على وجهه. كانت الحياة قد بدأت تُبليه. عندما صار خارج البيت، جعلتنى فالى أذهب إلى الفراش وأرتاح. ساعدتنى فى خلع ملابسى وتمددت فى السرير إلى جانبى، عارية هى الأخرى.

استغرقت في النوم للتو. كنت في سلام. ملامسة جسدها الدافئ، ويديها اللتين أثق فيهما، وفمها وعيناها غير الخائنة وشعرها ، جعلت جميعها النوم الملاذ الحلو الذى لا يمكن أن يكونه بكل أدوية علم الصيدلة المعقدة. وعندما استيقظت، كانت قد انصرفت. كان بمقدورى أن أسمع صوتها في المطبخ وأصوات الأطفال عائدين من المدرسة. بدا كل شيء جديراً .

كانت النساء، لى، ملاذاً، يستخدمن بأنانية، هذا صحيح، ولكن يجعلن كل شيء آخر يمكن تحمله. كيف يمكنني، أو أى رجل، أن أعانى كل هزائم الحياة اليومية دون ذلك الملاذ؟ يا للمسيح، كنت سأعود إلى البيت كارهاً اليوم الذى باشرت فيه عملى، قلقاً حتى الموت بشأن المال الذى كنت مديناً به، متأكداً من هزيمتى النهائية في الحياة لأننى لن أكون أبداً كاتباً ناجحاً. وكل الألم سيتلاشى لأننى سأتناول العشاء مع عائلتى. سأقص على الأطفال قصصاً وفى الليل سأمارس حباً واثقاً ومطمئناً تماماً مع زوجتى. وسيبدو ذلك معجزة. وكانت المعجزة الحقيقية، بالطبع، أننا لم نكن مجرد فالى وأنا ولكن ملايين أخرى لا تعد ولا تحصى من الرجال مع زوجاتهم وأطفالهم. وطوال آلاف السنين. عندما يذهب ذلك كله، ما الذى سيبقى الناس معاً؟ دعك من أنه لم يكن حباً كله وأنه كان فى بعض الأحيان كراهية خالصة. إن لى تاريخاً الآن.

ثم إن ذلك سيمضى بعيداً على أية حال.

فى فيجاس رويت كل ذلك مجزأ، أحياناً أثناء الشراب فى البهو، وأحياناً على عشاء ما بعد منتصف الليل فى المقهى. وعندما انتهيت، قال كولى:

ـ مازلنا لا نعرف لماذا تركت زوجتك. فنظر إليه جوردان باحتقار خفيف. كان جوردان قد قام مسبقاً ببقية الرحلة وتجاوزنى كثيراً . قلت:

ـ لم أترك زوجتى وأطفالى. إننى مجرد آخذ إجازة. إننى أكتب لها كل يوم. ذات صباح سأحس الرغبة فى الذهاب إلى البيت فلا أفعل غير أن أركب الطائرة.

ـ فقط هكذا؟، سأل جوردان، من دون تهكم. كان يريد حقًا أن يعرف.

لم تكن ديان قد قالت شيئًا، ونادرًا ما كانت تفعل. ولكنها الآن ربتت على ركبتى وقالت:

ـ إننى أصدقك.

فقال لها كولى:

ـ كيف جرى أنك تصدقين أى رجل؟. فقالت ديان:

ـ أغلب الرجال خرائيون. ولكن ميرلين ليس كذلك؛ لم يصر بعد على أية حال. فقلت:

ـ شكرًا. وقالت ديان ببرود:

ـ ستصل إلى هناك.

لم أستطع أن أقاوم:

ـ وماذا عن جوردان؟. كنت أدرى أنها مغرمة بجوردان. وكذلك كولى. ولم يكن جوردان يدرى لأنه لم يكن يريد أن يدرى ولم يكن يبالى. ولكنه أدار الآن وجهًا مستفهمًا نحو ديان كما لو كان مهتما لرأيها. فى تلك الليلة كان يبدو كالجحيم حقًا. كانت عظام وجهه بدأت تظهر من تحت الجلد فى سطوح بيضاء مريضة.

ـ كلا، ليس بعد، قالت له. وأشاح جوردان برأسه بعيدًا عنها. لم يكن يريد أن يسمع ذلك.

كان كولى، غير المتحفظ والودود للغاية، آخر من روى قصته، ثم، شأنه شأننا جميعًا، أمسك الجزء الأهم، الذى لم أكتشفه قبل مرور سنوات. فى هذه الأثناء، أعطانا صورة صادقة عن شخصيته الحقيقية، أو ما بدا كذلك. كنا نعرف جميعًا أنه كانت له بعض الارتباطات الغامضة مع الفندق وصاحبه، غرونيفيلت. ولكن كان صحيحًا أيضًا أنه كان مقامرًا مريضًا وتافهًا عموميا. لم يكن كولى يسلى جوردان، ولكن علىَّ أن

أعـــتـــرف أننى أنا كنت قـــد تسليت. إن كل شىء يخـــتلف عن المألوف أو الأنماط الكاريكاتيرية كان يثير اهتمامى آليا. لم أكن أقدم أية أحكام أخلاقية. كنت أحسنى فوق ذلك. بقيت أستمع فقط.

كان كولى تعليمًا. وإلهامًا. ما كان لأحد أن يهلكه. هو الذى سيهلكهم. كانت عنده غريزة للبقاء. تلذذ بالحياة، قائم على عدم مراعاة كاملة للأخلاق. ومع ذلك كان يُحَب بشكل هائل. كان بمقدوره أن يصير مسليًا. كان يهتم بكل شىء، وكان بمقدوره أن يتواصل مع النساء بالطريقة غير العاطفية تمامًا، الواقعية تمامًا، التى تحبها النساء.

رغم حقيقة كونه دائمًا يفتقر إلى المال، كان بمقدوره أن يدخل إلى الفراش مع أى من فتيات الاستعراض العاملات فى الفندق بالكلام الرومانسى العذب. وإذا ما رفضت الإذعان، فقد كان يلعب لعبة معطف الفراء خاصته.

كانت لعبة ماكرة: كان يأخذها إلى محل فراء بعيد أسفل الشريط. كان صاحب المحل صديقه، ولكن الفتاة لا تعرف ذلك. كان كولى يجعل صاحب المحل يعرض للفتاة خزينة من الفراء، كان فى الواقع يجعل الرجل يبسط كل جلوده على الأرض ليتمكن هو والفتاة من اختيار الأبدع. وبعد أن يقوما بالاختيار، كان بائع الفراء يأخذ مقاييس الفتاة ويخبرها أن المعطف سيكون جاهزًا خلال أسبوعين. ثم كان كولى يكتب صكًا بمبلغ ألفين أو ثلاثة آلاف دولار كمقدمة للثمن ويُبلغ البائع أن يعطى الفتاة المعطف ويرسل له القائمة. وكان يعطى الإيصال للفتاة.

فى تلك الليلة، كان كولى يخرج بالفتاة للعشاء. وبعد العشاء كان يدعها تراهن ببضعة دولارات على الروليت، ثم يأخذها إلى غرفته، حيث - كما يقول - كان عليها أن تستجيب لأنها كانت تضع صكا بقيمة بضعة آلاف دولار فى محفظتها. وبما أن كولى كان عاشقًا بجنون لها، فكيف يمكنها ألا تستجيب؟ فمجرد معطف الفراء وحده قد لا يفعلها. ولكن ضعهما معًا وسيكون لديك، كما يشرح كولى، سلسلة مراهنات جشعة أنانية هى الرابحة فى كل مرة.

طبيعى أن الفتاة ما كانت لتحصل على معطف الفراء أبداً. فأثناء غرام الأسبوعين، سيفتعل كولى شجاراً وينفصلان. وقال كولى إنه لم يحدث مرة، ولا مرة واحدة، أن أعادت الفتاة له إيصال معطف الفراء. فى كل الحالات كانت تنطلق نازلة إلى مخزن الفراء وتحاول أن تأخذ مقدمة الثمن أو حتى المعطف. ولكن صاحب المحل كان، بالطبع، يخبرهن جميعاً أن كولى قد سحب قبلاً وديعته وألغى الطلب. وكانت مكافأته بعض مرفوضات كولى.

وكانت لدى كولى حيلة أخرى للمبتزات الرقيقات فى مجموعة الكورس. كان يشرب معهن كأساً بضع ليال متتالية، يصغى إلى مصاعبهن بانتباه ويصير بالغ التعاطف. لا يقوم بحركة سيئة أو استعجال. ثم ربما كان يخرج فى الليلة الثالثة ورقة مائة دولار أمامهن، يضعها فى مظروف ويضع المظروف فى الجيب الداخلى لجاكتته. ثم كان يقول:

- اسمعى، إننى لا أفعل هذا عادة، ولكننى أودك حقًا. فلنرتح فى غرفتى وسأعطيك هذا أجرة لسيارة عودتك إلى البيت.

كانت الفتاة تحتج قليلاً. لقد كانت تريد ورقة المائة. ولكنها لم تكن تريد أن تُحسب مبتزة أو سارقة. وكان كولى يقدم سحره، كان يقول:

- اسمعى، سيكون الوقت متأخراً عندما تنصرفين. لماذا يتعين عليك أن تدفعى أجرة العودة بالسيارة؟ ذلك أقل ما يمكننى أن أفعل. وأنا أستلطفك حقًا. فما الضرر؟.
وكان يخرج المظروف ويعطيها إياه، وكانت تدسه فى محفظة نقودها. كان يصحبها على التو إلى غرفته وينكحها ساعات قبل أن يدعها تذهب إلى بيتها. ثم - كما يقول - يأتى القسم المضحك. كانت الفتاة، فى طريق نزولها بالمصعد، تفض المظروف لتأخذ ورقتها ذات المائة فتجد ورقة عشرة دولارات. لأنه كان لدى كولى، بالطبع، مظروفان فى جاكتته.

فى الغالب كانت الفتاة تصعد عائدة وتبدأ تدق باب كولى. كان يدخل الحمام ويفتح ماء المغطس كى يكتم الضوضاء، ويحلق وجهه بتكاسل وينتظرها حتى تنصرف. أو،

إذا كانت أكثر حياء وأقل تجربة، كانت تتلفن له من تليفون الصالة وتشرح له أنه ربما يكون قد أخطأ، وأنه لم يكن فى المظروف غير ورقة بعشرة دولارات.

كان كولى يحب هذا . كان يقول:

- نعم، صحيح. ماذا يمكن أن تكون أجرة السيارة، دولاران؟ ثلاثة؟ ولكننى كنت أريد أن أطمئن فقط، وهكذا فقد أعطيتك عشراً.

كانت الفتاة تقول:

- رأيتك تضع مائة دولار فى المظروف.

فكان كولى يصير ساخطًا حقًا. كان يقول:

- مائة دولار أجرة سيارة؟ ما أنت بحق الجحيم؟ متلاعبة لعينة؟ لم يسبق لى أن دفعت لعاهرة طوال حياتى. اسمعى، ظننتك فتاة لطيفة. وقد وددتك حقا. وها أنت تشهرين هذا الخراء. اسمعى، لا تتلفنى لى بعد ذلك قط.

أو أحيانًا، إن كان يتصور أنه يمكنه النجاح فى ذلك:

- أوه، كلا، يا حبيبتى. أنت على خطأ. وكان يخدعها للمجىء إلى محاولة أخرى. كانت بعض الفتيات يتصورن أنها غلطة حقا، أو أنهن كن مضطرات - كما كان كولى من الذكاء بحيث يشير إلى ذلك - ليجعلنه يعتقد أنهن ارتكبن غلطة كى لا يبدين حمقاوات. وكان بعضهن يتواعدن ثانية ليبرهنّ على أنهن لسن عاهرات، إنهن لم يشاركنه الفراش من أجل مائة دولار.

ومع ذلك، فإن ذلك لم يكن من أجل توفير المال، فقد كان كولى يقامر بماله متلفًا إياه. كان إحساس القوة، أن بمقدوره أن "يوقع" بفتاة حسناء. وكان يحس تحدياً خاصا إذا كانت الفتاة معروفة بأنها لا تستجيب إلا للرجال الذين تستلطفهم حقيقة.

وإذا كانت الفتيات مستقيمات حقا، كان كولى يصير أكثر تعقيداً. كان يحاول الدخول إلى أدمغتهن، يمنحهن إطراءات سخية. يشكو عجزه هو عن الاستثارة جنسيا

ما لم يكن له اهتمام خاص بالفتاة أو معرفة حقيقية بها. ثم كان يرسل لهن هدايا صغيرة، يعطيهن أوراقًا من فئة عشرين دولارًا لأجرة السيارة. ولكن مع ذلك، كانت بعض الفتيات الذكيات لا يسمحن له أن يضع رجله داخل الباب. فكان يسوطهن. كان يبدأ الحديث عن صديق، رجل ثرى هو أفضل رجل فى العالم. يهتم بالبنات بدافع الصداقة، وليس عليهن حتى أن يسلمن أنفسهن. سينضم إليهما هذا الصديق لتناول مشروب، ويكون صديقًا ثريا حقا من أصدقاء كولى، عادة يكون مقامرًا له تجارة ملابس كبيرة فى نيويورك أو وكالة سيارات فى شيكاغو. كان كولى يقنع الفتاة بالذهاب إلى العشاء مع صديقه، بعد أن يكون الصديق قد تلقى تقريرًا جيدًا عن الموقف. ليس لدى الفتاة ما تفقده. عشاء مجانى مع رجل لطيف، ثرى.

كانا يتناولان العشاء. كان الرجل يطرح عليها اثنتين من ذوات المائة أو يرسل لها هدية ثمينة فى اليوم التالى. كان الرجل يكون فاتنًا طوال الوقت، لا يستعجل أبدًا. ولكن ثمة هدايا من معاطف وفراء، وسيارات، وخواتم ماس ذوات عدة قراريط يؤمل وصولها مستقبلاً. كانت الفتاة ستذهب إلى الفراش مع الصديق الثرى. وبعد أن ينتقل الصديق الثرى، فإن الفتاة التى لم يكن التأثير عليها ممكنًا، تقع فى حضن كولى من أجل أجرة سيارة.

لم يكن لكولى أى إحساس ندم. كان موقفه هو أن النساء غير المتزوجات كن جميعًا محتالات ناعمات، خارجات ليسرقنك بحيلة بارعة ما أو أخرى، بما فى ذلك الحب الحقيقى، وأنك تكون لذلك ضمن حقوقك الطبيعية فى أن ترد عليهن المكر. كانت المرة الوحيدة التى يظهر فيها بعض الشفقة هى عندما لا تدق الفتيات على بابه أو لا يتلفنَّ له من البهو. كان يعرف عندئذ أن الفتاة مستقيمة، أهينت لأنه احتيل عليها. وفى بعض الأحيان كان يعتنى بهن، وإن كنَّ يحتجن إلى مال للإيجار أو لتسيير أمورهن حتى آخر الشهر كان يخبرهن أن الأمر كان مزحة، وكان يدس لهن مائة أو مائتين.

وكان الأمر مزحة لكولى حقا. شيئًا يرويه لزملائه فى اللصوصية والاحتيال والمقامرة. كانوا يضحكون جميعًا ويهنئونه لأنه لم يُسرق. كان هؤلاء النصابون جميعًا

يدركون جازمين أن النساء عدوات، حقا، إنهن عدوات عندهن ثمار ضرورية للرجال، ولكنهم كانوا ساخطين على دفع سعرٍ لصوصي، الذى يعنى المال، الوقت والعاطفة. كانوا يحتاجون إلى صحبة النساء، كانوا يحتاجون إلى نعومة النساء حولهم. كانوا يدفعون أجور سفر جوى بالآلاف ليأخذوا معهم الفتيات من فيجاس إلى لندن لمجرد أن يكنَّ معهم. ولكن ذلك كان لا بأس به. فبعد كل شيء، على الطفلة المسكينة أن تحزم متاعها وتسافر. كانت تكسب المال. وعليها أن تكون مستعدة فى كل وقت لنكاح سريع أو قبل الغداء، من دون المقدمات أو المجاملات المألوفة. لا مشاجرات. فوق كل شيء، لا مشاجرات. لا تهتمى بهل تحبنى. لا تهتمى بأن دعنا نأكل أولاً. لا تهتمى بأننى أريد أن أتفرج على المشاهد أولاً. لا تهتمى بقيلولة قصيرة، فيما بعد، ليس الآن، غداً، الأسبوع التالى، اليوم التالى لعيد الميلاد. الآن: خدمة سريعة فى أى وقت على طول الخط. مقامرون كبار، إنهم يريدون الدرجة الأولى.

بدا تودد كولى، لى، حقوداً بشكل عميق، ولكن النساء كن يحببنه أشد كثيراً مما يحببن الرجال الآخرين. كما لو أنهن كن يفهمنه، يعرفن ما ستجر إليه كل حيله ولكنهن كن مسرورات لأنه يتحمل كل هذا العناء. وصارت بعض الفتيات اللائى احتال عليهن صديقات جيدات، مستعدات دائماً لمناكحته عندما يعانى الوحدة. ويا للمسيح، ما إن يصاب بمرض، حتى يكون ثمة فوج كامل من الـ (نايتنغيلات)(*) العواهر، يروح ويجيء إلى غرفته فى الفندق، للاطمئنان إلى كونه مرتاحًا بما يكفى لينال نومة ليلة طيبة. نادراً ما كان كولى يغضب من فتاة، وعندئذ كان يقول باحتقار عال مميت حقا: "امش"، ويكون للكلمة تأثير مدمر. ربما كان هو الانتقال من التعاطف التام والاحترام الذى يظهره لهن قبل أن يصير قبيحًا، وربما كان لأنه لم يكن ثمة، بالنسبة للفتاة، ما يوجب صيرورته قبيحًا. أو لأنه كان يستعملها بقسوة تامة ليصدم عندما لم يكن السحر ينفع.

(*) Nightinfale(s) : نسبة إلى فلورنس نايتنغيل (١٨٢٠-١٩١٠) ، التى تعتبر مؤسسة علم التمريض ، بعد إنشائها وحدة ميدان لإسعاف جرحى القرم ، ثم نشرها تقريراً عن نشاطها التمريضى سنة ١٨٥٨

ومع هذا، فمع أخذ كل ذلك بعين الاعتبار، أثر فيه موت جوردان. غضب بفظاعة على جوردان. أخذ الانتحار وكأنه تحد شخصى. شكا بشأن عدم أخذ العشرين ألف، ولكن كان بمقدورى أن أحس أن ذلك لم يسؤه حقيقة. بعد بضعة أيام دخلت الكازينو فوجدته يوزع البلاك جاك لحساب المؤسسة. لقد أخذ شغلاً، لقد ترك المقامرة. لم أستطع أن أعتقد بأنه كان جاداً، ولكنه كان كذلك. كان كما لو أنه دخل سلك الكهنوت بقدر تعلق الأمر بى.

- ٧ -

بعد وفاة جوردان بأسبوع غادرت فيجاس، إلى الأبد كما ظننت، واتجهت عائداً إلى نيويورك. أخذنى كولى إلى الطائرة وتناولنا القهوة فى الصالون بينما كنت أنتظر الصعود إلى الطائرة. وقد دهشت لرؤية كولى متأثراً حقا لرحيلى. قال:

ـ ستعود. الكل يعودون إلى فيجاس. وسأكون هنا. سنستمتع كثيراً. وقلت:

ـ المسكين جوردان. فقال كولى:

ـ إى.. لن أتمكن فى حياتى كلها أن أفهم ذلك. لماذا فعلها؟ لماذا بحق الجحيم فعلها؟. قلت:

ـ لم يبدُ عليه أبداً أنه محظوظ.

تصافحنا عندما جرى الإعلان عن ركوب مسافرى رحلتي. وقال كولى:

ـ إذا ما انحشرت فى مأزق فى موطنك، تلفن لى. نحن رفاق سلاح. سأرحب بك. حتى إنه عانقنى، وقال:

ـ إنك رجل عمل. ستكون فى عمل دائماً. ولهذا ستقع فى مشاكل دائماً. تلفن لى.

لم أعتقد حقا أنه كان مخلصاً. وبعد أربع سنوات حقق نجاحاً كبيراً. ووقعت أنا فى ورطة كبيرة إذ كان علىَّ الحضور أمام هيئة محلفين كبرى (*) تنظر فى أمر توجيه اتهام لى رسميا. وعندما تلفنت لكولى، طار إلى نيويورك ليساعدنى.

(*) Grand Jury : هيئة تدرس ما إذا كان ثمة أساس يبرر إحالة متهم ما إلى محاكمة أمام هيئة محلفين صغرى Petit Jury .

- ٨ -

هاربة من ضوء نهار الغرب، انسلت النفاثة الضخمة إلى الظلمة المتسعة لمناطق التوقيت الشرقى. كنت أرهب اللحظة التى ستحط فيها الطائرة ويكون علىَّ أن أواجه أرتى ويقوم بتوصيلى إلى بيتى فى مشروع إسكان البرونكس (*) حيث كانت زوجتى وأطفالى ينتظرون. ببراعة هيأت لهم هدايا: مكائن شقيَّة مصغرة، ولفاليرى خاتماً مطعَّماً بلؤلؤة كلفنى مائتى دولار. طلبت الفتاة فى حانوت هدايا فندق كسانادو خمسمائة دولار ولكن كولى تحصَّل عنوة خصماً خاصاً.

ولكننى لا أريد التفكير فى اللحظة التى سيتعين علىَّ فيها أن أمشى داخلاً باب بيتى وأقابل وجوه زوجتى وأطفالى الثلاثة. كنت أحس ذنباً كبيراً. كنت أرهب المشهد الذى كنت سأمر به مع فاليرى. وهكذا فقد فكرت فيما جرى لى فى فيجاس.

فكرت فى جوردان. لم يكربنى موته. ليس الآن على كل حال. فبعد كل شىء، أنا لم أكن قد عرفته لأكثر من ثلاثة أسابيع، ولم أعرفه حقا. ولكن، كنت أتساءل، ما الذى كان مؤثراً فى حزنه؟ حزن لم أحس به وكنت أرجو ألا أحس. لقد كنت أشك فيه دوماً، ولقد درسته كما أدرس قضية فى الشطرنج. هنا كان رجل عاش حياة اعتيادية سعيدة. طفولة سعيدة. وقد تكلم أحياناً عن مدى سعادته عندما كان طفلاً. زواج سعيد. حياة رخية. كان كل شىء يمضى صحيحاً بالنسبة له حتى السنة الأخيرة. لماذا لم يشْفَ؟ تغير أو مت، هكذا قال مرة. ذلك كان ما تعنيه الحياة. ولم يكن، ببساطة، يستطيع التغير. كان الخطأ خطأه.

(*) Bronx مجلة فى نيويورك .

أثناء تلك الأسابيع الثلاثة صار وجهه أكثر نحولاً كما لو كانت العظام تدفع نفسها إلى الخارج لتوجه إنذارًا من نوع ما. وبدأ جسده يتقلص بشكل مخيف خلال وقت قصير جدا. ولكن لم يفضحه ويفضح رغبته شىء آخر. عندما أراجع تلك الأيام، فإن بمقدورى الآن أن أرى أن كل ما قاله وكل ما فعله إنما كان ليضللنى عن الأثر. عندما رفضت عرضه ليدعمنى وكولى وديان ماليا، فإنما كان ذلك ببساطة لأبين أن شعورى نحوه كان صادقًا. كنت أظن أن ذلك قد يساعده. ولكنه كان قد فقد القدرة على ما كانت جين أوستن (*) تسميه "بركة المحبة".

أظنه كان يعتبر فشله، أو أى شىء كان، مخزيًا. كان أمريكيًا حقيقيا، كان يشينه أن يحس أن بقاءه حيًا أمر لا معنى له.

لقد قتلته زوجته. بسيط جدا. طفولته، أمه، أبوه، أنسباؤه؟ حتى إذا التأمت جروح الطفولة، فإنك لا تكبر على كونك غير حصين. ليس العمر حصنًا ضد الصدمات.

شأنى شأن جوردان، كنت قد ذهبت إلى فيجاس بسبب إحساس طفولى بالخيانة. كانت زوجتى قد تحملتنى خمس سنوات فيما كنت أكتب كتابًا، ولم تشتك أبدًا. لم تكن سعيدة جدا بشأنه، ولكن ما المهم؟ كنت موجوداً فى البيت ليلاً. عندما رُفضت روايتى الأولى وكنت كسير الفؤاد، قالت بمرارة:

ـ كنت أدرى أنك لن تبيعها أبداً.

ولقد صُعقت! أفلم تكن تدرى ما أحس؟ كان ذلك واحداً من أكثر أيام حياتى فظاعة، وأنا أحبها أكثر من أى شخص فى العالم. حاولت أن أشرح. كان الكتاب كتاباً جيداً. كل ما هنالك أن نهايته مأساوية وأن الناشر كان يريد نهاية سعيدة ولكننى رفضت. (كم كنت مزهواً بذلك. وكم كنت على حق. لقد كنت دائمًا على حق بشأن كتبى، حقيقة). كنت أظن زوجتى ستفتخر بى. الأمر الذى يبين كم الكتّاب مغفلون. لقد سخطت. كنا نعيش ببؤس شديد، كنت مدينًا بمبالغ كبيرة من المال، فمن أكون أنا اللعين، من أظن نفسى المبعوصة، بحق المسيح؟ (ليست تلك الكلمات، فهى لم تستخدم

طوال حياتها كلمة مبعوص.) كانت غاضبة جدا بحيث إنها أخذت الأطفال وتركت البيت ولم تعد حتى حان وقت إعداد العشاء. وكانت قد أرادت أن تكون كاتبة ذات يوم!

وقد ساعدنا حماى. ولكنه صادفنى ذات يوم خارجًا من حانوت الكتب المستعملة ومعى حمل كتب فغضب. كان يومًا ربيعيًا جميلاً، صفرة شمس مشرقة. كان قد خرج لتوه من مكتبه، وكان يبدو ذاويًا ومجهدًا. وها أنا أسير بطولى، مكشرًا فى توقع التهام الطيبات التى أحملها. قال:

- يا للمسيح. كنت أظنك تكتب كتابًا. إنك مجرد تعبث.

بعد سنتين طبع الكتاب كما أردته، وجرى استعراضه عروضًا عظيمة ولكنه لم يحقق غير بضعة آلاف دولار. قال حماى، بدلاً من تهنئتى:

- حسنًا، إنه لم يحقق أى مال. عمل خمس سنوات. ركز الآن على إعالة عائلتك.

عندما كنت أقامر فى فيجاس، فكرت فى الأمر. لماذا يتعين عليهم، بحق الجحيم، أن يتعاطفوا؟ لماذا يبالون ولو إلى أتفه حد بغرابة الأطوار الحمقاء هذه التى عندى حول خلق الفن؟ لماذا يبالون أصلاً؟ لقد كانوا على حق تمامًا. ولكننى لم أعد أفكر فيهم بالطريقة ذاتها أبدًا.

كان الشخص الوحيد الذى فهمنى أخى، آرتى، وحتى هو - كما شعرت - كان يحس خيبة ما نحوى طوال السنة الماضية، مع أنه لم يظهر ذلك أبدًا. وكان هو المخلوق الأقرب إلىَّ فى حياتى. أو كان كذلك حتى تزوج.

مرة أخرى أجفل ذهنى من الذهاب إلى البيت وفكرت فى فيجاس. لم يكن كولى قد تكلم عن نفسه أبدًا، مع أننى ألقيت عليه أسئلة. كان يخبرنى عن حياته الراهنة، ولكنه نادرًا ما قال شيئًا عن نفسه قبل فيجاس. وكان الشىء المضحك أننى كنت الوحيد الذى ينتابنى الفضول بهذا الشأن. فنادرًا ما كان كولى وجوردان يلقيان أية أسئلة. وإن كانا يفعلان، فلربما كنت سأخبرهما المزيد.

مع أنني وأرتي نشأنا يتيمين، في ميتم، إلا أن ذلك لم يكن أسوأ وربما كان أفضل كثيراً من المدارس العسكرية والمدارس الداخلية الفاخرة التي كان الناس يشحنون إليها أطفالهم لمجرد إبعادهم عن طريقهم. كان آرتي أخي الأكبر، ولكنني كنت دائمًا أضخم وأقوى؛ جسديا على أية حال. ذهبنا، كان عنيداً كالجحيم وأكثر مني استقامة. كان مفتونًا بالعلم فيما كنت أحب الخيال. درس كتب الكيمياء والحساب وحل مسائل الشطرنج. علمني الشطرنج، ولكنني كنت نافد الصبر دائمًا، فهي لم تكن لعبة مقامرة. وكنت أقرأ روايات، دوما وديكنز وساباتيني، وهمينجواي، وفيتزجيرالد وأخيراً جويس وكافكا وستويفسكي [*] .

أؤكد أن كوني يتيمًا لم يكن له أي تأثير في شخصيتي. كنت مثل أي طفل آخر بالضبط. ما كان أحد ليعرف بعد تقدمنا في العمر أننا لم نعرف أبداً أمنا أو أبانا. كان التأثير غير الطبيعي أو الانحراف الوحيد أننا بدلاً من أن نصير أخوين، كنا آرتي وأنا أمًّا وأبًا أحدنا للآخر. على أية حال، غادرنا الملجأ في مراهقتنا، إذ حصل آرتي على شغل وذهبت أنا كي أعيش معه. ثم وقع آرتي في حب فتاة فآن أوان رحيلي. انضممت إلى الجيش كي أحارب الحرب الكبيرة، الحرب العالمية الثانية. وعندما خرجت بعد خمس سنوات، تحولت وآرتي مرة أخرى إلى أخوين. كان هو ربُّ عائلة، وكنت أنا محاربًا قديمًا. وهذا كل ما في الأمر. كانت المرة الوحيدة التي فكرت فيها بنا بوصفنا يتيمين هي عندما بقينا أنا وآرتي إلى وقت متأخر في بيته وتعبت زوجته فذهبت إلى الفراش. قبلت آرتي وتمنت له ليلة سعيدة وتركتنا. وفكرتُ أننا وآرتي كنا متميزين. فعندما كنا طفلين لم يقبلنا أحد أبداً متمنيًا لنا ليلة سعيدة.

ولكننا لم نعش حقا في الميتم أبداً. لقد هربنا معًا خلال الكتب. كان كتابي المفضل قصة الملك آرثر[**] ومائدته المستديرة. قرأت كل الروايات، وكل التحويرات الشعبية،

(*) Alexandre, Dumas، المعروف بالأب (١٨٠٢ - ١٨٧٠) أو ابنه (١٨٢٤ - ١٨٩٥)؛
Fitzgerald, Francis Scott Joyce. - Hemingway, Ernest -Sabatini, Rafael -Dickens, Charles Destoevski, Feodor Mikhailovich -Kafka, Franz -James

(**) King Arthur

ونص مالورى (*) الأصلى. وأتصور أن من الواضح أننى فكرت فى الملك آرثر بوصفه أخى، آرتى. كان لهما الاسم نفسه، ووجدتهما فى عقلى الطفولى متشابهين جدا فى عذوبة شخصيتيهما. ولكننى لم أتماهَ قط مع أى من الفرسان الشجعان مثل لانسلو (**) . لسبب ما كانوا يصدموننى بوصفهم حمقى. وحتى كطفل، لم أشعر باهتمام بالعشاء المقدس. إذ لم أكن أريد أن أكون جلعاد(***).

ولكننى عشقت ميرلين (****) ، بسحره البارع، وتحويله نفسه إلى صقر أو أى حيوان. باختفائه وعودته إلى الظهور. غياباته الطويلة. وعشقت بشكل خاص إخباره الملك آرثر بأنه لم يعد بمقدوره أن يكون ذراع الملك اليمنى. والسبب، أن ميرلين أحب فتاة وعلمها سحره. وأنها تخون ميرلين وتستخدم رقاه السحرية ذاتها ضده. وهكذا يتم حبسه فى كهف لآلاف السنين قبل أن تبلى الرقية. ثم أنه سيعود إلى الدنيا ثانية. ياه، لقد كان ذلك عاشقًا حقا، كان ذلك ساحرًا حقيقيا. سيحيا بعدهم جميعًا. وهكذا فقد حاولت، عندما كنت طفلاً، أن أصير ميرلين لأخى، آرتى. وعندما تركنا الملجأ، غيَّرنا اسم عائلتنا إلى ميرلين. ولم نعاود الحديث أبدًا عن كوننا يتيمين. سواء فيما بيننا أو لأى شخص آخر.

كانت الطائرة تغطس هابطة. لقد كانت فيجاس (كاميلوت) (*****) ، وهى سخرية كان ميرلين العظيم سيتمكن من إيضاحها بسهولة. إننى أعود إلى الواقع الآن. إن عندى بعض الإيضاح أقدمه لأخى ولزوجتى. جمعت رزم هداياى معًا بينما كانت الطائرة تقاد إلى حظيرتها.

. Malory, Sir Thomas (*)

. Lancelot (**)

. Galahad (***)

. Merlin (****)

. Camelot (*****)

- ٩ -

وقد اتضح أن ذلك كله سهل يسير. لم يطرح عليّ أرتى أسئلة عن سبب هربى من فاليرى والأطفال. كانت عنده سيارة جديدة، (ستايشن) كبيرة، وأخبرنى أن زوجته كانت حبلى مرة أخرى. سيصير ذلك الطفل الرابع. هنأته على صيرورته أبًا. سجلت ملاحظة فى دماغى كى أرسل لزوجته زهورًا خلال بضعة أيام. ثم ألغيت الفكرة. إذ لا يمكن للمرء أن يرسل زهورًا إلى زوجة رجل يدين له بآلاف الدولارات. وقد يلجأ إلى استدانة مزيد من المال منه فى المستقبل. لن يزعج ذلك أرتى، ولكن زوجته قد تجده مضحكًا.

فى الطريق إلى مشروع إسكان الـ (برونكس) الذى كنت أقيم فيه سألت أرتى السؤال المهم: كيف تشعر فالى بصددى؟.

- إنها تتفهم، قال أرتى: ليست غاضبة. ستسر لرؤيتك. انظر، إنك لست بذلك العسر على الفهم. ولقد كنت تكتب كل يوم. ولقد تلفنت لها بضع مرات. كل ما هنالك أنك احتجت إلى فاصلة. جعل الأمر يبدو طبيعيا. ولكن كان يمكننى أن أرى أن هروبى لمدة شهر قد أرعبه بشأنى. كان قلقًا حقا.

ثم ها نحن نقود خلال المشروع السكنى الذى كان يغمّنى دائمًا. كان منطقة ضخمة من البنايات المبنية فى سداسيات عالية، أقامتها الحكومة للفقراء. كانت عندى شقة ذات خمس غرف بخمسين دولارًا شهريا، بما فيها المنافع. ولقد كانت لا بأس بها فى السنوات القلائل الأولى. بنيت بمال الحكومة ثم جرت عمليات غربلة. كان المقيمون الأصليون هم الفقراء الكادحون المطيعون للقانون. ولكنهم ارتقوا بمناقبهم فى السلم الاقتصادى فانتقلوا إلى بيوت خاصة. والآن صار يجىء إلينا الفقراء المدقعون الذين

لا يمكنهم قط أن يعيشوا حياة شريفة أو لا يريدون ذلك. مدمنو مخدرات، ومدمنو خمرة، عوائل بلا آباء تعتمد على المعونة الاجتماعية نظراً لأن الأب كان قد رحل. كان أغلب هؤلاء الواصلين الجدد سوداً، وهكذا فقد كانت فالي تشعر أنه ليس بمقدورها أن تشكو إذ سيظنها الناس عنصرية. ولكننى كنت أدرى أنه سرعان ما سيتعين علينا الانتقال من هناك، أنه يتعين علينا الانتقال إلى منطقة بيضاء. لم أكن أريد أن أنغرز فى ملجأ آخر. لم أكن أبالى قيد شعرة إن كان أحد سيعتبر ذلك عنصريا. كل ما كنت أعرفه هو أننى كنت أزداد ضياعًا بين عدد متزايد من ناس لا يحبون لون بشرتى وليس لديهم إلا القليل جدا ليخسروه مهما فعلوا. كان العقل السليم يخبرنى أن ذلك كان وضعًا خطيراً. وأنه سيزداد سوءًا. أنا لا أحب البيض كثيراً، فلماذا إذن يتعين أن أحب السود؟ ومن الطبيعى، أن أبا فالى وأمها سيدفعان مقدمة ثمن البيت عنا. ولكننى ما كنت لآخذ منهما مالاً. لن آخذ مالاً إلا من أخى، آرتى. يا لسعدك يا آرتى!

كانت السيارة قد توقفت. قلت:

- اصعد، وخذ قسطًا من الراحة واشرب بعض القهوة.

- علىَّ أن أذهب إلى البيت، قال آرتى: وإضافة إلى ذلك، لا أريد أن أرى ذلك المشهد. اذهب خذ حصتك مثل رجل.

مددت يدى إلى المقعد الخلفى وشمرت حقيبتى إلى خارج السيارة. وقلت:

- حسنًا. أشكرك على توصيلى. سأمرُّ لأراك خلال بضعة أيام. فقال آرتى:

- حسنًا. أأنت مطمئن أن عندك بعض المال؟. فقلت:

- أخبرتك أننى عدت رابحًا. قال:

- ميرلين الساحر. وضحكنا معًا. سرت مبتعداً عنه هابطًا الممشى الذى يؤدى إلى باب مبنى شقتى. كنت أنتظر همهمة محركه إذ يدور، ولكننى أظنه كان يراقبنى حتى أدخل البيت. لم أنظر إلى ورائى. كان عندى مفتاح، ولكننى قرعت. لا أدرى لماذا.

كما لو لم يكن لى الحق باستخدام المفتاح. عندما فتحت فالى الباب، انتظرتنى حتى أدخل وأضع حقيبتى فى المطبخ قبل أن تعانقنى. كانت هادئة جدا، وشاحبة جدا، ومقهورة جدا. قبَّل أحدنا الآخر بطبيعية تامة كما لو لم يكن أمراً كبيراً أننا انفصلنا للمرة الأولى خلال عشر سنوات. قالت فالى:

ـ أراد الأطفال أن يبقوا مستيقظين، ولكن الوقت متأخر. يمكنهم رؤيتك فى الصباح قبل الذهاب إلى المدرسة. فقلت:

ـ حسنًا. كنت أريد أن أذهب إلى غرفهم لأراهم، ولكننى كنت أخشى أن أوقظهم فيبقوا صاحين ويتعبوا فالى. كانت تبدو الآن متعبة جدا.

سحبتُ الحقيبة إلى غرفة نومنا وتبعتنى. بدأت تفك الحقيبة وجلست أنا على السرير. أراقبها. كانت قديرة جدا. صنفت العلب التى كانت تعرف أنها هدايا ووضعتها على الخزانة. وصنفت الملابس الوسخة إلى كومتين من أجل الغسيل والتنظيف الجاف. ثم أخذت الملابس الوسخة إلى الحمام لتلفها فى السبَت. لم تخرج، وهكذا فقد لحقت بها إلى هناك. كانت مستندة إلى الجدار، تبكى. قالت:

ـ لقد هجرتنى. فضحكت. لأن ذلك لم يكن صحيحاً ولأنه لم يكن صحيحاً منها أن تقوله. كان يمكنها أن تكون ظريفة أو شديدة الحساسية أو ذكية. ولكنها قد أخبرتنى ببساطة بما كانت تحس، من دون فن. كما كانت تكتب قصصها فى المدرسة الجديدة. ولأنها كانت مستقيمة جدا، فقد ضحكتُ. وأظننى ضحكت لأننى كنت أعرف الآن أن بمقدورى أن أعالجها وأعالج الموقف كله. يمكننى أن أكون ظريفًا ومرحًا ورقيقًا وأجعلها تشعر بأنها على ما يرام. يمكننى أن أريها أنه لم يكن يعنى شيئًا أبداً: تركها والأطفال. قلت:

ـ كنت أكتب لك كل يوم. وقد تلفنت لك ما لا يقل عن أربع مرات أو خمس. فدفنت وجهها بين ذراعىَّ وقالت:

ـ أدرى. فقط لم أعرف أبداً إن كنت ستعود. إننى لا أبالى بأى شىء، أنا أحبك فقط. فقط أريدك معى. فقلت:

- وأنا أيضًا. كانت أبسط طريقة لقولها.

أرادت أن تعد لي شيئًا آكله فرفضت. أخذت حمامًا سريعًا وكانت تنتظرني في الفراش. كانت دائمًا تلبس منامة عند الذهاب إلى الفراش حتى عندما نكون سنمارس الحب وسيتعين عليَّ أن أخلعها. كانت تلك طفولتها الكاثوليكية وكنت أحبها. كانت تضفي احتفالية معينة على ممارستنا الحب. وإذ رأيتها تتمدد هناك، تنتظرني، أسعدني أنني كنت مخلصًا لها. إن لدي كثيرًا من الذنوب الأخرى التي عليَّ أن أعالجها، ولكن ذلك على الأقل لن يكون عليَّ. ولقد كان جديرًا بشيء ما، في ذلك الوقت والمكان. لا أدري إن كان ذلك ينفعها في شيء.

فيما الأنوار مطفأة، حذرين ألا نحدث ضجة كي لا نوقظ الأطفال، مارسنا الحب كما كنا نفعل طيلة المدة التي تتجاوز عشر سنوات التي عرف فيها أحدنا الآخر، وأنجبنا أطفالاً معًا، و- أظن - أحببنا أحدنا الآخر. كان لها جسد رائع، ونهدان لطيفان، وكانت تبلغ الذروة طبيعيًا وببراعة. كانت كل أجزاء جسدها مستجيبة للمس وكانت عاطفية بشكل محسوس. كانت ممارستنا الحب مرضية دائمًا تقريبًا، وهكذا كانت الليلة. وبعدها غرقتُ في نوم عميق، ويدها ممسكة بيدي حتى انقلبت إلى جانبها فانقطع الاتصال.

ولكنني، وساعتي البيولوجية، قد طرنا ثلاث ساعات أسرع في الزمن. الآن وقد صرت في أمان في البيت مع زوجتي وأطفالي لم أستطع أن أتصور لماذا هربت، لماذا بقيت نحو شهر في فيجاس، معزولاً جدا ومنعزلاً. أحسست ارتخاء حيوان وصل المأوى. كنت سعيدًا لأنني فقير ومحجوز في الزواج ومثقل بالأطفال. كنت سعيدًا لكوني غير ناجح مادمت أستطيع أن أتمدد في الفراش إلى جانب زوجتي، التي تحبني وستدعمني ضد العالم. ثم فكرت، لابد من أن جوردان هكذا كان يشعر قبل أن يسمع الأخبار السيئة. ولكنني لم أكن جوردان. كنت ميرلين الساحر، سأجعلها جميعًا تخرج على نحو صحيح.

إن الحيلة هى أن تتذكر كل الأشياء الجيدة، وكل الأوقات الطيبة. كنت أغلب السنوات العشر سعيداً. فى الحقيقة، زعلت مرة لأننى كنت سعيداً أكثر من المعقول بالنسبة لمواردى وظروفى وطموحاتى. فكرت بالكازينو تحترق مشعة فى الصحراء، وديان تقامر كشريكة طعم بدون أى أمل فى الربح والخسارة، وفى أن تكون سعيدة أو غير سعيدة. وكولى وراء المائدة بصدريته الخضراء، يوزع نيابة عن المؤسسة. وجوردان ميتًا.

ولكن وأنا ممدد فى سريرى، والعائلة التى أنشأتها تتنفس حولى، أحسست قوة رهيبة. سأؤمنهم ضد العالم وحتى ضد نفسى.

كنت متأكداً أن بمقدورى أن أكتب كتاباً آخر وأثرى. كنت متأكداً أننى وفالى سنكون سعيدين إلى الأبد، وأن المنطقة المحايدة الغريبة التى كانت تفصلنا ستتحطم؛ لن أخونها أو أستخدم سحرى لأنام ألف سنة. لن أكون جوردان آخر قط.

- ١٠ -

في جناح شقة غرونيفيلت السطحية، حدق كولي عبر النوافذ الضخمة. كان الشريط الأفعواني النيوني الأخضر والأحمر يمتد إلى جبال الصحراء السوداء. لم يكن كولي يفكر في ميرلين أو جوردان أو ديان. كان ينتظر بعصبية أن يخرج غرونيفيلت من غرفة النوم، ويهيئ أجوبته، إذ كان يعرف أن مستقبله على المحك.

كان جناحاً فخماً، له مقصف مبني في غرفة المعيشة، ومطبخ كبير لخدمة غرفة الطعام الرسمية؛ كلها مفتوحة على الصحراء والجبال المحيطة بها. وفيما انتقل كولي بعصبية إلى نافذة أخرى، خرج غرونيفيلت من تحت قوس الممر المؤدي إلى غرفة النوم.

كان غرونيفيلت مرتدياً ملابسه وحالقاً بلا نقص، مع أن الوقت كان بعد منتصف الليل. ذهب إلى المقصف وسأل كولي: أتريد شراباً؟. كانت لهجته الشرقية لهجة نيويورك أو بوسطن أو فيلادلفيا. حول غرفة المعيشة كانت رفوف ملآى بالكتب. تساءل كولي إن كان غرونيفيلت قد قرأها حقاً. إن مراسلي الصحف الذين كتبوا عن غرونيفيلت سيدهشون إن ظنوا ذلك.

عبر كولي إلى المقصف وأشار له غرونيفيلت أن يخدم نفسه. أخذ كولي كأساً وصب فيه بعض الويسكي. ولاحظ أن غرونيفيلت كان يشرب صودا المؤسسة الصرف. قال غرونيفيلت:

- إنك تقوم بعمل جيد. ولكنك ساعدت ذلك الرجل جوردان على مائدة الباكاراه. لقد سرت ضدي. إنك تأخذ مالي وتمضي ضدي. فقال كولي:

- لقد كان صديقي. ولم يكن ذلك بالأمر الكبير. ولقد كنت أعرف أنه من نوع الرجال الذي سيعني بي جيداً لو أنه ربح. فسأل غرونيفيلت:

ـ هل أعطاك شيئًا، قبل أن يطيح بنفسه؟.

ـ كان سيعطينا كلنا عشرين ألف، أنا والطفل الآخر الذى تعلق بنا وديان، شريكة الباكاراه الطعم ذات الشعر الأفحم.

كان بمقدور كولى أن يرى أن غرونيفيلت كان مهتما، ولم يبدُ عليه غضب كبير لكونه ساعد جوردان.

مشى غرونيفيلت إلى النافذة الضخمة ويحلق فى جبال الصحراء التى تشع سوداء فى ضوء القمر.

ـ ولكنك لم تحصل على المال قط، قال غرونيفيلت. فقال كولى:

ـ كنت أحمق. قال الطفل إنه سينتظر حتى نضع جوردان على الطائرة، وهكذا قلت وديان إننا سننتظر كذلك. تلك غلطة لن أرتكبها ثانية. فقال غرونيفيلت بهدوء:

ـ الجميع يرتكبون الأخطاء. ذلك ليس مهمًّا ما لم تكن الغلطة مميتة. سترتكب أكثر. وأنهى مشروبه:

ـ أتدرى لماذا فعلها ذلك الرجل جوردان؟. فهز كولى كتفيه:

ـ لقد تركته زوجته. جردته من كل ما كان يملك، فيما أظن. ولكن ربما كانت عنده مشكلة ما جسديا، ربما كان مصابًا بالسرطان. لقد كان يبدو كالجحيم فى الأيام الأواخر الماضية.

فهز غرونيفيلت رأسه مؤيدًا:

ـ شريكة الباكاراه تلك، أهى نكاح جيد؟.

فهز كولى كتفيه:

ـ لا بأس بها.

فى تلك اللحظة دهش كولى لرؤية فتاة صغيرة تخرج من منطقة غرفة النوم إلى غرفة المعيشة. كانت متزينة تماماً ولابسة للخروج. كانت تضع حقيبتها معلقة بانطلاق على كتفها. شخصها كولى بوصفها واحدة من أشباه العاريات فى عرض الفندق المسرحى. ليست راقصة بل فتاة استعراض. كانت جميلة وقد تذكر أن نهديها العاريين على المسرح كانا مثيرين.

منحت هذه الفتاة غرونيفيلت قبلة على الشفتين. تجاهلت كولى، ولم يعرِّفها غرونيفيلت. سار بها إلى الباب ورآه كولى يتناول مِشبك نقوده ويستل منه ورقة مائة دولار. أمسك بيد الفتاة فيما فتح الباب واختفت ورقة المائة دولار. عندما انصرفت، عاد غرونيفيلت إلى الغرفة وجلس على واحدة من الأريكتين. ومرة أخرى أشار، فجلس كولى على أحد المقاعد المحشوة المواجهة له.

- أعرف كل شىء عنك، قال غرونيفيلت: إنك فنان فى العد التنازلى. وإنك لاختصاصى جيد مع شدة ورق. من العمل الذى قمت به لى أدرى أنك بارع. ولقد أخضعتك لفحص شامل من جميع الوجوه.

فهز كولى رأسه وبقى ينتظر.

- أنت مقامر، ولكن لست مريضاً بحب القمار. إنك، فى الحقيقة، تسبق اللعبة. ولكن، كما تدرى، كل فنانى العد التنازلى يُمنعون من الكازينوهات. لقد أراد رؤساء الأركان هنا أن يلقوا بك خارجاً منذ زمن. لكننى منعتهم. أنت تعرف ذلك.

اكتفى كولى بالانتظار.

كان غرونيفيلت يحملق بابتسامة فى عينيه:

- لقد فهمتك فيما عدا شىء واحد: علاقتك تلك بجوردان والطريقة التى تصرفت بها معه ومع ذلك الطفل الآخر. الفتاة، أدرى أنك لا تباليها قيد أنملة. وهكذا، فقبل أن نبتعد عن هنا، اشرح لى ذلك.

لم يستعجل كولى وكان شديد الحذر. قال:

- إنك تدرى أننى نصاب. كان جوردان نوعًا أحمق غريبًا من الرجال. كان عندى هاجس أن بمقدورى أن أنشئ حساباً معه. ولقد ملأ الطفل والفتاة الصورة. فقال غرونيفيلت:

- ذاك الطفل، من هو بحق الجحيم. تلك البهلوانيات التى أثارها مع تشيتش، كان ذلك خطيراً. فهز كولى كتفيه:

- فتى لطيف.

وقال غرونيفيلت بلطف تقريبًا:

- لقد أحببتَه. إنك أحببته حقًا هو وجوردان وإلا ما كنت لتقف معهما ضدى.

فجأة أحس كولى حدسا. كان يحدق إلى مئات الكتب المصفوفة حول الغرفة:

- نعم، أحببتهما. لقد ألَّف الطفل كتاباً، لم يحقق كثيراً من المال. لا يمكنك المضى فى الحياة دون أن تحب شخصًا ما. كانا حقا رجلين عذبين. لا يوجد أدنى عظم مخادع فى أى منهما. كان يمكنك الاطمئنان إليهما. ما كان ليمكنهما أن يحتالا عليك. لقد حسبت أن ذلك سيكون تجربة جديدة لى.

فضحك غرونيفيلت. قدَّر الظُرف. وثار اهتمامه. مع أن قليلاً من الناس فقط يعرفون، إلا أن غرونيفيلت كان جيد القراءة. كان يعامل ذلك بوصفه عيبًا مخجلاً. سأل عرضيا، ولكنه كان مهتما حقا:

- ما اسم الطفل؟ ما اسم الكتاب؟. فقال كولى:

- اسمه جون ميرلين. لا أعرف الكتاب.

وقال غرونيفيلت:

- لم أسمع به قط. اسم غريب. استغرق قليلاً، مفكرًا فى الأمر:

- أهو اسمه الحقيقى؟. فقال كولى:

- إى.

حل صمت طويل كما لو أن غرونيفيلت كان يتأمل شيئًا ما، ثم تنهد أخيرًا وقال لكولى:

- سأعطيك حظ حياتك. إذا قمت بعملك كما أقول لك، وإذا أبقيت فمك مسدودًا، فستكون أمامك فرصة طيبة لكسب مبلغ كبير من المال وتصير تنفيذيا فى هذا الفندق. إننى أحبك وسأقامر عليك. ولكن تذكر، لو أنك غششتنى، فستقع فى ورطة كبيرة. وأنا أعنى ورطة كبيرة. ألديك فكرة عامة عما أتحدث؟. فقال كولى:

- عندى. ذلك لا يخيفنى. أنت تعرف أننى نصاب. ولكننى ذكى بما يكفى لأن أكون نزيهًا عندما يتعين أن أكون كذلك. فهز غرونيفيلت رأسه:

- إن أهم شىء فى الأمر هو الفم المطبق، وفيما قال هذا تجول ذهنه عائدًا إلى أول المساء الذى قضاه مع فتاة الاستعراض. فم مطبق. يبدو أن ذلك كان الشىء الوحيد الذى يساعده هذه الأيام. أحس لبرهة إحساس الضجر والملل، وإخفاقًا لقواه. كان يبدو أنه صار أكثر وقوعًا خلال السنة المنصرمة. ولكنه كان يدرى أنه سيجدد نشاطه بالنزول إلى أسفل والسير فى كازينوه. مثل عملاق أسطورى ما، كان يستمد قوته من كونه مزروعًا على الأرض مانحة الحياة لطابق الكازينو عنده، من كل الناس العاملين معه، من كل الناس الذين كان يعرفهم، أغنياء ومشهورين وأقوياء، الذين كانوا يُستحثون بزهره وورقه، الذين كانوا يعاقبون أنفسهم على لباد موائده الأخضر. ولكنه كان قد أمسك طويلا جدا، ورأى كولى يراقبه عن كثب، بفضول واستعلام فاعل. كان يعطى مستخدمه الجديد هذا فرصة للفهم. كرر غرونيفيلت:

- فم مطبق. وعليك أن تتخلى عن كل الخداع الرخيص، خاصة مع النساء. ماذا فى الأمر؟ إنهن يردن هدايا؟ ماذا يحصل لو أنهن جززنك من أجل مائة هنا وألف هناك؟ تذكر إذن أنهن يُدفع لهن. وإن حسابكما خالصا. لست بحاجة إلى أن تكون

مديناً لامرأة بأى شىء. أى شىء. إنك ينبغى دائماً أن يكون حسابك خالصاً مع النساء. ما لم تكن قواداً أو أحمق. تذكر ذلك. أعطهن نحلة عسل. فسأل كولى ممازحاً:

ـ مائة دولار؟ ألا يمكن أن تكون خمسين؟ أنا لا أملك كازينو. فابتسم غرونيفيلت قليلاً:

ـ استخدم تقديرك الخاص. ولكن: إن عندها شىء، مهما كان، حى، اجعلها نحلة عسل.

هز كولى رأسه موافقاً وراح ينتظر. حتى الآن كان هذا كله هراء. على غرونيفيلت أن ينتقل إلى اللب الحقيقى. وقد فعل غرونيفيلت. قال:

ـ إن مشكلتى الكبرى الآن بالضبط هى الدوس على الضرائب. تعرف أنه لا يمكنك أن تثرى إلا فى الظلام. إن بعض أصحاب الفنادق الآخرين ينزعون القشدة فى غرفة العد مع شركائهم. حمقى. سيكشفهم الاتحاديون (*) أخيراً. يتكلم شخص ما، فيصابون بحمى شديدة. سخونة عالية. إن الشىء الوحيد الذى لا أحبه هو السخونة. ولكن نزع القشدة هو حيث يستقر المال الحقيقى. وذاك هو الحقل الذى ستساعد فيه. فسأل كولى:

ـ سأشتغل فى غرفة العد؟. فهز غرونيفيلت رأسه نفياً بنفاد صبر. قال:

ـ ستقوم بالتوزيع. على الأقل لفترة محدودة. وإذا ما نجحت، فستنتقل لتصير مساعدى الشخصى. ذلك وعد. ولكن عليك أن تثبت نفسك لى. على طول الخط. أتفهم ما أعنى؟.

فقال كولى:

ـ بالتأكيد. أية مخاطر؟.

ـ من نفسك فقط، قال غرونيفيلت، وكان فجأة يحدق بهدوء وعمق إلى كولى كما لو كان يقول بلا كلمات شيئاً كان يريد أن يفهمه كولى. نظر كولى فى عينيه فارتخى وجه غرونيفيلت قليلاً بتعبير ضجر نفور، وفجأة فهم كولى. لو أنه لم يثبت نفسه، لو أنه عبث

(*) المقصود بهم أعضاء مكتب التحقيقات الاتحادى (الفيدرالى) .

بالشغل، فثمة أمل كبير فى أن يدفن فى الصحراء. كان يعرف أن هذا ينفِّر غرونيفيلت. وأحس برباط غريب بالرجل. أراد أن يطمئنه. فقال:

- لا تحمل همًّا، يا سيد غرونيفيلت. لن أعبث. إننى أقدر ما تفعله لى. لن أخيب ظنك.

هز غرونيفيلت رأسه مؤيداً ببطء. كان ظهره مداراً إلى كولى، وكان يحدق خارج النافذة الضخمة إلى الصحراء والجبال وراءها. قال:

- لا تعنى الكلمات شيئًا. إننى أعتمد على كونك ذكيا. تعال لرؤيتى غدا عند الظهر وسأوضح كل شىء، وشىء آخر!.

جعل كولى نفسه يبدو متيقظًا. فقال غرونيفيلت بفظاظة:

- تخلص من تلك الجاكتة اللعينة التى كنت وصديقاك تلبسونها دائمًا. هراء رابح فيجاس تلك. لا تدرى كم كانت تلك الجاكتة تزعجنى عندما كنت أراكم أنتم الأصحاب الثلاثة تسيرون خلال كازينوى وأنتم تلبسونها. وذلك أول شىء يمكنك أن تذكرنى به. أخبر صاحب الحانوت اللعين ألا يطلب مزيداً من هذه الجاكتات. فقال كولى:

- حسنًا. وقال غرونيفيلت:

- لنشرب كأسًا أخرى ثم يمكنك أن تذهب. علىَّ أن أتفحص الكازينو بعد قليل.

تناولا شرابًا آخر، وقد دهش كولى حين قرع غرونيفيلت كأسيهما معًا كما لو كان يحتفل بعلاقتهما الجديدة. وقد شجعه ذلك ليسأل عما حل بتشيتش.

هز غرونيفيلت رأسه بحزن:

- ربما كان الأفضل أن أعطيك حقائق الحياة فى هذه المدينة. أنت تعرف أن تشيتش فى المستشفى. رسميا، صدمته سيارة. سيشفى. ولكنك لن تراه فى فيجاس ثانية حتى يصير عندنا نائب رئيس شرطة جديد. فقال كولى:

- كنت أظن لتشيتش ارتباطات. ورشف شرابه. كان متيقظًا. كان يريد أن يعرف كيف تجرى الأمور على مستوى غرونيفيلت. قال غرونيفيلت:

ـ إن له ارتباطات كبيرة جدا فى المشرق. لقد أراد أصدقاء تشيتش فى الواقع مساعدته فى الخروج من فيجاس. فأخبرتهم أنه لا خيار لى. فقال كولى:

ـ لا أفهم الأمر. إن لك قوة أكثر من نائب رئيس الشرطة.

ارتخى غرونيفيلت مستريحًا وأخذ يشرب ببطء. بوصفه رجلاً أكبر وأحكم، كان يجد دائمًا من المبهج أن يعلم الشبان. وحتى عندما كان يفعل ذلك، كان يعرف أن كولى كان يتملق غروره، أن كولى ربما كان يمتلك الأجوبة كلها. فقال:

ـ انظر، إن بإمكاننا دائمًا أن نعالج المشاكل مع الحكومة الاتحادية بوساطة محامينا والمحاكم؛ إن لدينا قضاة وإن لدينا ساسة. يمكننا أن نتدبر الأمور بطريقة أو بأخرى مع الحاكم أو مع هيئة الرقابة على القمار. إن مكتب الشريف يدير المدينة على النحو الذى نريده نحن. يمكننى أن أرفع سماعة الهاتف وأجعل أى شخص تقريبًا يُطرد من المدينة. إننا نبنى صورة عن فيجاس بوصفها مكانًا مطلق الأمن للمقامرين. لا يمكننا أن نفعل ذلك من دون نائب رئيس شرطة. والآن، من أجل ممارسة تلك السلطة عليه أن يمتلكها وعلينا أن نعطيها إياه. علينا أن نبقيه مسرورًا. ويتعين أيضًا أن يكون نوعًا خاصًا من رجل بالغ الشدة ذى قيم معينة. لا يمكن أن يدع سفاحًا مثل تشيتش يلكم ابن أخته ثم ينجو من ذلك. عليه أن يكسر رجليه. وعلينا أن نسمح له بذلك. علىَّ أن أسمح له. على تشيتش أن يسمح له. والناس الموجودون هناك فى نيويورك عليهم أن يسمحوا له. ثمن بسيط لابد من دفعه.

فسأل كولى:

ـ هل النائب بتلك القوة؟. قال غرونيفيلت:

ـ يجب أن يكون. إنها الطريقة الوحيدة التى يمكننا بها أن نجعل المدينة تُدار. وهو رجل ذكى. سياسى جيد. سيبقى نائب رئيس شرطة للسنوات العشر القادمة. فسأل كولى:

ـ ولماذا عشر فقط؟.

ابتسم غرونيفيلت، وقال:

ـ سيكون أغنى من أن يعمل. وإنه لعمل صعب جدا.

بعد أن انصرف كولى، تهيأ غرونيفيلت للنزول إلى طابق الكازينو. كانت الساعة حوالى الثانية صباحًا. أجرى اتصاله الهاتفى الخاص مع مهندس المبنى ليضخ أوكسجينًا نقيا عبر شبكة تكييف هواء الكازينو ليبعد النعاس عن المقامرين. وقرر أن يغير قميصه. لسبب ما صار رطبًا ولزجًا أثناء حديثه مع كولى. وفيما كان يبدل، فكر بكولى تفكيراً عميقًا.

كان يعتقد أن بمقدوره أن يقرأ الرجل. لقد اعتقد كولى أن الحادثة مع جوردان كانت علامة ضده عند غرونيفيلت. على العكس، لقد ابتهج غرونيفيلت عندما ساند كولى جوردان على مائدة الباكاراه. لقد برهن ذلك على أن كولى لم يكن مجرد مخادع حديث الوصول، مخادع المرة الواحدة، وأنه لم يكن واحداً من هؤلاء المتلاعبين الزائفين، الأميل للشحاذة، المعوجين. لقد برهن ذلك على أنه كان محتالاً فى قلب قلوبه.

لأن غرونيفيلت كان محتالاً مخلصًا طوال حياته. لقد كان يعرف أن المحتال الحقيقى يمكن أن يعود إلى العلامة ذاتها ويخدعه مرتين، ثلاث مرات، أربعًا، خمسًا وستًا ويبقى يعتبر صديقًا. إن المحتال الذى يستنفد علامة فى ضربة واحدة لهو زائف، هاو، مبذر لموهبته. وكان غرونيفيلت يعرف أن المحتال الحقيقى لابد من أن يمتلك شعلته الخاصة من الإنسانية، شعوره الصادق بالتعاطف مع إخوته البشر، وحتى شفقته على إخوته البشر. إن عبقرية المحتال الحقيقية أن يحب علامته بإخلاص. على المحتال الحقيقى أن يكون كريمًا، مساعداً بتعاطف وصديقًا جيداً. ليس هذا تناقضًا. إن كل هذه القيم أساسية للمحتال. أن يشيد مصداقيته التى تشبه الصخرة تقريبًا. وكان يجرى استخدامها جميعًا من أجل الغرض الأقصى. عندما يكون قد كشف، كصديق، علامة تلك الكنوز التى خبأها هو، المحتال، أو كان يريدها من أجل حياته هو. ولم يكن الأمر بتلك البساطة. فى بعض الأحيان كان ذلك من أجل المال. وفى بعض الأحيان كان

من أجل الاستحواذ على قوة الرجل الآخر أو، ببساطة، النفوذ الذى كانت قوة الرجل الآخر تولده. طبيعى أن المحتال لابد من أن يكون ماكراً متحجر القلب، ولكنه ليس شيئاً، إنه شفاف، هو رابح فى ضربة واحدة، إلا إذا كان عنده قلب. كان لكولى قلب. ولقد كشف ذلك عندما وقف إلى جانب جوردان على مائدة الباكاراه وتحدى غرونيفيلت.

ولكن اللغز كان بالنسبة لغرونيفيلت الآن هو: هل تصرف كولى بإخلاص أم بدهاء؟ لقد كان يحس بأن كولى كان ذكيا جدا. فى الحقيقة، كان من الذكاء بحيث إن غرونيفيلت كان يعرف أنه لا يتعين عليه أن يخضع كولى لسيطرة ما لفترة معينة. سيكون كولى مخلصًا ونزيهًا بشكل مطلق طوال السنوات الثلاث القادمة. ربما سيقصقص بعض الزوايا الصغيرة لأنه كان يعرف أن حريات كهذه هى جائزة على أدائه عمله جيداً. ولكن لا أكثر من ذلك. نعم، سيكون كولى خلال بضع السنوات القادمة يده اليمنى على مستوى عملياتى، هكذا فكر غرونيفيلت. ولكنه بعد ذلك سيتعين عليه أن يفرض مراقبة على كولى مهما عمل كولى بجد ليبين النزاهة والإخلاص والولاء وحتى حبه الحقيقى لسيده. سيكون ذلك الفخ الأكبر. لأنه محتال حقيقى، سيتعين على كولى أن يخونه عندما يحين الوقت. كان غرونيفيلت يعرف ذلك ويعرف أنه سيكون شاقا جدا أن يهيئ نفسه ضد ذلك.

الفصل الثالث

- ١١ -

دبر أبو فاليرى الأمر بحيث لا أفقد عملى. احتُسب غيابى عطلة ووقت مرض، وهكذا حتى إننى تلقيت أجرًا عن شهر حماقتى فى فيجاس. ولكن عندما عدت، كان الرائد العسكرى الدائمى، رئيسى، غاضبًا قليلاً. لم أهتم كثيرًا لذلك: فإذا كنت فى الخدمة الاتحادية للولايات المتحدة الأمريكية ولم تكن طموحًا ولم تكن تبالى بقليل من المهانة، فليس لرئيسك قوة.

اشتغلت موظفًا من الدرجة السادسة كمساعد إدارى لوحدات الجيش الاحتياطية. ولما كانت الوحدات لا تجتمع إلا مرة واحدة فى الأسبوع للتدريب، فقد كنت مسئولاً عن كل العمل الإدارى للوحدات الثلاث الموكول أمرها إلىّ. كان شغل مهنة مضمونة. كان عندى ما مجموعه ستمائة رجل لترتيب شئونهم؛ أعدُّ جداول مرتباتهم، وأستنسخ كتيبات تعليماتهم، وكل ذلك الهذر. كان علىّ أن أدقق العمل الإدارى للوحدات الذى تقوم به إدارة الاحتياط. كانت تعد تقارير صباحية عن اجتماعاتها، وتقسم أوامر الترقية، وتهيئ المأموريات. ولم يكن هذا كله حقا بالحجم الذى يبدو عليه. لما كانت الوحدات تذهب إلى معسكر التدريب الصيفى لمدة أسبوعين. عندئذ كنت أشتغل.

كان مكتبنا مكتبًا وديًا. كان ثمة مدنى آخر اسمه فرانك ألكور، كان أسنّ منى وينتمى إلى وحدة احتياطية يشتغل فيها كإدارى. أقنعنى فرانك، بمنطق لا عيب فيه، بالتلاعب. لقد اشتغلت إلى جانبه سنتين دون أن أدرى أنه كان يبتز. لم أكتشف ذلك إلا بعد عودتى من فيجاس.

كان جيش الولايات المتحدة بقرة حلوبًا للأنصار والمحاسيب. لمجرد مجيئك إلى اجتماع لمدة ساعتين أسبوعيا، تتقاضى أجرة يوم كامل. يمكن للضابط أن يأخذ أكثر

من عشرين دولاراً. ولرجل مجند من الدرجة الأولى، ذى أقدمية، عشرة دولارات. إضافة إلى حقوق التقاعد. وخلال الساعتين ما عليك إلا أن تحضر اجتماعات التعليمات أو تنام على فيلم.

كان أغلب الإداريين المدنيين ينضمون إلى احتياطى الجيش. فيما عداى. تنبأت قبعة الساحر خاصتى تطور الأحداث الذى كان متوقعًا بنسبة واحد إلى ألف: أن تقوم حرب أخرى فتكون وحدات الاحتياط أول من يُدعى إلى الجيش النظامى.

كان الجميع يظنون أننى مجنون. توسل إلىّ فرانك ألكور أن أشاركه. لقد كنت جنديا فى الحرب العالمية الثانية لمدة ثلاث سنوات، ولكنه أخبرنى أن بمقدوره أن يجعلنى أعيَّن عريف فوج على أساس خبرتى المدنية كإدارى فى وحدات الجيش. لقد كانت حفلة راقصة: أن تؤدى واجبك الوطنى وتتقاضى ضعف الأجر. ولكننى كنت أكره فكرة تلقى الأوامر ثانية حتى لو كان ذلك لمدة عشر ساعات أسبوعيا ولأسبوعين فى الصيف فقط. بوصفى شغيلاً عاملاً كنت أتبع تعليمات من فوقى: ولكن ثمة فارقًا كبيراً بين الأوامر والتعليمات.

فى كل مرة كنت أقرأ تقارير صحفية عن قوة احتياطى بلادنا الجيدة التدريب كنت أهز رأسى. أكثر من مليون رجل لا يفعلون غير أن يعبثوا. كنت أتساءل لماذا لا يُلغى الأمر كله. ولكن كثيراً من المدن الصغيرة كانت تعتمد على مرتبات احتياطى الجيش لتمشية اقتصاداتها. وكان عدد كبير من السياسيين فى هيئات الولايات التشريعية وفى الكونجرس ضباط احتياط كبار الرتب جدا وكانوا يكسبون رزمة لطيفة.

ثم وقع شىء غيّر حياتى كلها. غيرها لمدة قصيرة فقط، ولكنه غيرها إلى الأفضل اقتصاديا وماديا على السواء. لقد صرت محتالاً. بفضل التركيب العسكرى للولايات المتحدة.

بعد عودتى من فيجاس بقليل صار شبان الولايات المتحدة يدركون أن التسجيل فى برنامج الخدمة الفعالة الذى يستغرق ستة أشهر، المشرع حديثًا، سوف ينعم عليهم

بالتنعم بحرية ثمانية عشر شهراً. إن شاباً مرشحاً للقرعة يسجل نفسه ببساطة فى برنامج احتياطى الجيش ويخدم مدة ستة أشهر فى الخدمة النظامية فى الولايات المتحدة. وبعد ذلك يخدم خمس سنوات ونصف فى احتياطى الجيش. وكان ذلك يعنى أن يذهب إلى لقاء واحد مدته ساعتان أسبوعيا وواجب فعلى فى معسكر صيفى لمدة أسبوعين. بينما لو أنه انتظر وظهر فى القرعة، فسيخدم سنتين كاملتين، وربما فى كوريا.

ولكن لم يكن ثمة إلا فرص محدودة فى احتياطى الجيش. كان مئات من الصبية يتقدمون لكل شاغر وكان لواشنطن نظام حصص مطبقًا. كانت الوحدات التى أديرها تتلقى حصة من ثلاثين شهريا، يقبل فيها أولاً من يسجل اسمه أولاً.

أخيراً صارت عندى قائمة تضم نحو ألف اسم. كنت أسيطر على القائمة إداريا، وكنت عادلاً فى ذلك. كان لرئيسىَّ: الرائد النظامى المشاور، والمقدم الاحتياط الذى كان يقود الوحدات، السلطة الرسمية. وكانا أحيانًا يدفعان اسمًا موصى به إلى أعلى. وعندما كانا يسألانى أن أفعل ذلك، لم أعترض أبداً. ولماذا أهتم أصلاً ؟ كنت أشتغل على كتابى. كان الوقت الذى أصرفه على الشغل إنما للحصول على صك المرتب.

بدأت الأمور تشتد. كان مزيد من الشباب يجرى سوقهم. كانت كوبا وفيتنام بعيدتين فى الأفق. لاحظت قريبًا من هذا الوقت شيئًا مريبًا يجرى. ولابد من أنه كان مريبًا جدا بحيث لاحظته أنا، إذ إننى لم أكن معنيا على الإطلاق بعملى أو محيطه.

كان فرانك ألكور أسن، ومتزوجًا وعنده طفلان. كانت له الدرجة الوظيفية المدنية ذاتها، وكنا نعمل مستقلين، إذ كانت له وحداته ولدىَّ وحداتى. كنا نوفر الدخل نفسه، نحو مائة دولار أسبوعيا. ولكنه كان منتميًا إلى وحدته العسكرية الاحتياطية كرأس عرفاء ويتقاضى ألف دولار سنويا، إضافة. ومع ذلك، فقد كان يأتى إلى العمل بسيارة (بويك) جديدة ويوقفها فى المرآب المجاور مما يكلف ثلاثة دولارات يوميا. وكان يراهن

فى جميع الألعاب: كرة القدم وكرة السلة والبيسبول، وكنت أدرى كم يكلف ذلك كله. كنت أتساءل من أين يأتى بالدراهم بحق الجحيم. كنت أمازحه فكان يغمز ويخبرنى أن بمقدوره حقًا أن يسلبهم. كان يقتل صاحب مكتب مراهناته. حسنًا، كانت تلك حرفتى، لقد كان على أرضى ـ وكنت أعرف أنه يكذب بلا حساب. ثم ذات يوم أخذنى إلى الغداء فى مطعم إيطالى جيد على الجادة التاسعة وكشف لى كل ورقه.

عندما كنا نشرب القهوة، سألنى:

ـ كم رجلاً تسجل يا ميرلين شهريا لوحداتك؟ وما الحصة التى تتسلمها من واشنطن؟. فقلت:

ـ فى الشهر الماضى ثلاثين. إنها تتراوح بين عشرين وأربعين تبعًا لعدد الرجال الذين نفقدهم.

فقال فرانك:

ـ إن مواقع التسجيل هذه تستحق مالاً. يمكنك أن تكسب رزمة لطيفة.

لم أجب. فواصل :

ـ دعنى فقط أستعمل خمسًا من مواقعك شهريا، وسأعطيك مائة دولار عن الموقع.

لم أحس إغراءً. إن خمسمائة دولار شهريا هى قفزة دخل بواقع مائة فى المائة لى. ولكننى اكتفيت بهز رأسى وقلت له أن ينسى الأمر. كان غرورى إلى هذا القدر. لم يسبق أن قمت بعمل غير شريف فى حياتى البالغة. كان أدنى منى أن أصير مرتشيًا عاديا. فبعد كل شىء، أنا فنان. روائى عظيم أنتظر أن أشتهر. أن أكون غير شريف يعنى أن أكون جلفًا حقيرًا. كنت سألوث بالوحل صورتى النرجسية عن نفسى. لا يهم أن زوجتى وأطفالى يعيشون على حافة الفقر. لا يهم أن علىَّ أن أقوم بعمل إضافى مساء كى أجعل طرفى الحزام يلتقيان. لقد كنت بطلاً بالولادة. مع أن فكرة كون الصبيان يدفعون لدخول الجيش تبهجنى.

لم يستسلم فرانك. قال:

ـ لن تتحمل مخاطرة. هذه القوائم يمكن تزويرها. لا توجد قائمة رئيسية. ليس عليك أن تأخذ المال من الفتية أو تجرى الصفقات. سأقوم أنا بذلك كله. ليس عليك إلا أن تسجلهم عندما أقول لك افعل. ثم سينتقل المال من يدى إلى يدك.

حسنًا، إذا كان سيعطينى مائة، فلابد من أنه كان يأخذ مائتين. وأن لديه نحو خمسة عشر مركزًا تخصه عليه أن يسجلها، وبسعر مائتين لواحد فقد كان ذلك ثلاثة آلاف دولار شهريا. وما لم أدركه أنه لم يكن بمقدوره أن يستخدم الخمسة عشر مركزًا لنفسه. إن لدى الضباط الآخرين لوحداته أناسًا لابد من الاهتمام بأمرهم؛ كان الرؤساء السياسيون، وأعضاء الكونجرس، والشيوخ، يرسلون صبيانهم ليدوسوا على القرعة. لقد كانوا يسرقون الخبز من فم فرانك فكان ساخطًا بما يتناسب وذلك. لم يكن يستطيع أن يبيع أكثر من خمسة مراكز شهريا. ولكن مع ذلك، ألف دولار فى الشهر بلا ضريبة؟ ومع ذلك، قلت لا.

ثمة جميع الأنواع من الأعذار يمكن للمرء أن يتذرع بها لصيرورته محتالاً فى النهاية. لقد كانت عندى صورة معينة عن نفسى. إننى شريف ولن أكذب أبدًا أو أخدع إخوانى البشر. إننى لن أفعل أبدًا شيئًا أعوج من أجل المال. كنت أظننى مثل أخى، آرتى. ولكن آرتى كان شريفًا إلى أبعد حد. لم يكن ثمة احتمال أبدًا لأن يصير محتالاً. لقد اعتاد أن يروى لى حكايات عن الضغوط التى كانت تمارس عليه فى عمله. لقد كان، بوصفه مهندسًا كيمياويا يختبر الأدوية الجديدة لإدارة الأغذية والأدوية الاتحادية، فى مركز قوة. كان يكسب مالاً جيدًا، ولكن عندما كان يجرى فحوصه، كان يحكم على عدد من الأدوية ـ التى كان كيمياويون اتحاديون آخرون يقبلونها ـ بعدم الصلاح. ثم كان يفاتح من جانب شركات الأدوية الكبرى ويجرى إفهامه بأن لديها أعمالاً توفر أجورًا تزيد كثيرًا عما يمكنه أن يكسب فى أى وقت. لو أنه كان أكثر مرونة، فبإمكانه أن يترقى فى العالم. وكان آرتى لا يبالى بهم. ثم قُبل أحد الأدوية الذى سبق أن اعترض عليه من فوق رأسه. بعد سنة تعين أن يسحب الدواء ويمنع بسبب التأثيرات السمية على المرضى، الذين مات بعضهم. وقد انتقل الموضوع كله إلى الصحف، وصار آرتى

بطلاً زمنًا. بل إنه رقِّى إلى أعلى درجة فى الخدمة المدنية. ولكن جرى إفهامه أنه لا يمكن ترقيته أعلى من ذلك. إنه لن يصير أبدًا رئيس الوكالة بسبب قلة فهمه لضرورات عمله السياسية. لم يبالِ بذلك، وكنت فخورًا به.

كنت أريد أن أعيش حياة شريفة، كان ذلك إصرارى الكبير. كنت أزهو بكونى واقعيا، وهكذا فلم أنتظر أن أكون كاملاً. ولكن عندما كنت أقوم بعمل سيئ، لم أكن أرضى عنه أو أخادع نفسى، وكنت عادة أكف عن القيام بالعمل السيئ نفسه مرة أخرى. ولكننى كنت غالبًا ما يخيب ظنى بنفسى مادام كان ثمة هذا العدد الكبير من أنواع الأعمال السيئة التى يمكن أن يفعلها المرء، وهكذا كنت أفاجأ دومًا.

والآن، علىَّ أن أبيع لنفسى فكرة التحول إلى صيرورتى محتالاً. كنت أريد أن أكون شريفًا لأننى كنت أحس قول الصدق أكثر راحة من الكذب. كنت أحس، وأنا برىء، ارتياحًا أكبر مما لو كنت مذنبًا. لقد فكرت فى الأمر. كانت رغبة عملية، لا رومانسية. لو أننى شعرت ارتياحًا أكبر بكونى كذابًا أو لصا، لكنت قمت بذلك. وكنت لذلك متسامحًا مع من يتصرفون كذلك. كان ذلك، فيما أظن، حقل اختصاصهم، وليس بالضرورة اختيارًا أخلاقيا. كنت أزعم أن ليس للأخلاق علاقة بذلك. ولكننى لم أكن أومن بذلك حقا. كنت، من حيث الجوهر، أومن بالخير والشر كقيمتين.

ثم لو قيلت الحقيقة، كنت دائمًا فى منافسة آخرين. ولهذا، كنت أريد أن أكون إنسانًا أفضل، شخصًا أفضل. كان يمنحنى الرضا ألا أكون جشعًا بالنسبة للمال حين يحقِّر آخرون أنفسهم من أجله، وأن أترفع عن المجد، وأن أكون صادقًا مع النساء، وأن أكون بريئًا باختيارى. كان يمنحنى السرور ألا أشك بدوافع الآخرين وأن أثق فى كل شىء تقريبًا. كانت الحقيقة أننى لم أثق بنفسى أبدًا. أن تكون شريفًا أمر، ولكن أن تكون متهورًا وطائشًا شىء آخر.

باختصار، كنت أفضل أن أُخدع على أن أخدع شخصًا، أن أُغشَّ على أن أغش؛ كنت أرضى بسرور أن يجرى ابتزازى مادمت لم أصر محتالاً. كنت أفضل أن يتم التزوير علىَّ من أن أكون فنان تزوير. ولقد فهمت أن هذا كان درعًا أحمى به نفسى،

أنه لم يكن باهراً حقًا. لا يستطيع العالم أن يؤذينى إن لم يستطع أن يجعلنى أحس بالذنب. لو كنت أفكر جيداً بنفسى، فماذا يهم لو فكر الآخرون بسوء عنى؟ طبيعى أن ذلك لم يكن ينجح دائمًا. إن للدرع شقوقًا. ولقد قمت ببعض الهفوات على امتداد السنين.

ومع ذلك ـ مع ذلك ـ كنت أحس أنه حتى هذا، مستقيمًا باعتداد كما يبدو، كان ـ بطريقة غريبة ـ أدنى نوع من المكر. إن أخلاقيتى تقوم على أساس من صخر بارد. إنه، ببساطة، لم يكن ثمة فى الحياة ما أرغب فيه كثيراً بحيث يمكن أن يفسدنى. كان الشىء الوحيد الذى أردت أن أفعله هو أن أخلق عملاً فنيا عظيمًا. ولكن لا الشهرة أو المال أو القوة، أو هكذا ظننت. ببساطة تامة: أن أنفع البشرية. آه. ما إن صرت مراهقًا، يكتنفنى إحساس الذنب ومشاعر عدم الجدارة، على خصام بشكل يائس مع العالم، حتى عثرت على رواية دستويفسكى (الإخوة كارامازوف). غيَّر الكتاب حياتى. منحنى القوة. جعلنى أرى الجمال القابل للعطب لكل الناس دون أن يهمنى كم كانوا يبدون جديرين بالازدراء ظاهريًا. وإننى أتذكر دائمًا اليوم الذى تخليت فيه تمامًا عن الكتاب، أعدته إلى مكتبة الملجأ ثم خرجت ماشيًا إلى ضوء شمس ليمونى لنهار خريفى. كان عندى شعور سمو.

وهكذا كان كل ما أتمناه هو أن أكتب كتابًا يجعل الناس يحسون كما كنت أحس ذلك اليوم. كان بالنسبة لى الممارسة القصوى للسلطة. والأنقى. وهكذا فعندما صدرت روايتى الأولى، الرواية التى عملت عليها خمس سنوات، الرواية التى عانيت صعوبات جمة كى أنشرها بدون أية مساومة فنية، فإن أول عرض لها قرأته سماها قذرة، ومنحطة، وكتابًا ما كان ليكتب قط ومادام قد كتب فقد كان ينبغى ألا ينشر أبداً.

حقق الكتاب مالاً قليلاً. نلت بعض عروض الكتب المغالية. كان متفقًا عليه أننى أبدعت عملاً فنيًا أصيلاً، ولقد حققت، فى الحقيقة، إلى حد ما بعض طموحى. كتب بعض الناس لى رسائل كنت سأكتبها إلى دستويفسكى. وجدت أن تعزية هذه الرسائل لا تعوض عن شعور النبذ الذى أعطانيه فشلى التجارى.

كانت عندى فكرة أخرى لرواية عظيمة حقا، رواية (الجريمة والعقاب) خاصتى. ولكن ناشرى ما كان يرضى أن يعطينى دفعة مقدمة. ما كان أى ناشر ليفعل. توقفت عن الكتابة. تراكمت الديون. عاشت عائلتى فى فقر. لم يكن لدى أطفالى أى شىء مما عند بقية الأطفال. وكانت زوجتى، مسئوليتى، محرومة من كل المتع المادية للمجتمع، وإلخ، وإلخ. ولقد ذهبت إلى فيجاس. وهكذا فإننى لم أستطع الكتابة. صار الأمر واضحًا الآن. من أجل أن أكون الفنان والرجل الطيب الذى كنت أتحرق لأكونه، كان علىَّ أن أرتشى زمنًا. يمكنك أن تقنع نفسك بكل شىء.

ومع ذلك، فقد اقتضى مارك ألكور ستة شهور ليروضنى، ثم كان لابد من أن يكون محظوظًا. لقد أثار فرانك رغبتى لأنه كان المقامر الكامل. عندما كان يشترى لزوجته هدية، كانت دائمًا من النوع الذى يمكنه أن يضعه فى دكان الرهون إن أعوزه النقد. وما كنت أحبه هو طريقته فى استعمال دفتر صكوكه.

فى أيام السبت، كان فرانك يخرج ليقوم بالتبضع للعائلة. كان كل باعة الجوار يعرفونه وكانوا يصرفون صكوكه. لدى القصاب كان يشترى أبدع قطع لحم العجل والبقر فينفق أربعين دولارًا كاملة. كان يعطى القصاب صكا بمائة ويتسلم فرق الستين دولار. والقصة نفسها عند البقال وبائع الخضروات. حتى مخزن المشروبات. ظهيرة السبت كان يصير عنده نحو مائتى دولار من فكة تبضعه، وكان يستخدم ذلك ليقوم برهاناته على ألعاب البيسبول. وما كان فى حساب صكوكه سنت واحد يغطيه. إذا ما خسر يوم السبت، يستدين من صاحب مكتب قماره ليراهن على ألعاب الأحد، مضاعفًا المراهنات. فإذا ما ربح، كان سيندفع إلى المصرف صباح الاثنين لتغطية صكوكه، أما إذا خسر، فكان يترك الصكوك ترجع. ثم أثناء الأسبوع كان يبتز رشاوى لتجنيد المتهربين من القرعة الشبان فى برنامج الستة أشهر ليغطى الصكوك عندما تعود مرة أخرى.

كان فرانك يأخذنى إلى ألعاب الكرة المسائية وكان يدفع عن كل شىء، بما فى ذلك المقانق. كان رجلاً سخيا بطبيعته، وعندما كنت أحاول أن أدفع، كان يزيح يدى جانبًا

ويقول شيئًا من قبيل: لا يتحمل النزيهون أن يكونوا أريحيين. كنت دائمًا أستمتع معه، حتى في العمل. أثناء ساعة الغداء كنا نلعب الـ "جن" (*) وكنت أغلبه عادة ، بضعة دولارات، لا لأنني كنت ألعب الورق أفضل وإنما لأن ذهنه كان منصبًّا على أعمال مراهناته.

إن لكل امرئ عذرًا لانهياره من حيث الفضيلة. لكن الحقيقة أن المرء ينهار عندما يكون مستعدًا للانهيار.

جئت إلى العمل ذات صباح عندما كانت الصالة خارج مكتبي مزدحمة بشبان ينبغي قيدهم في برنامج الجيش ذي الستة أشهر. كان مخزن السلاح كله، في الحقيقة، غاصًّا. كانت كل الوحدات مشغولة بالتسجيل في الطوابق الثمانية جميعًا. وكان المخزن إحدى تلك البنايات القديمة التي بنيت لإيواء كل الكتائب لتقوم بالخطو العسكري فيها. الآن فقط عُزل كل طابق لإيجاد مخازن، وفصول تعليم ومكاتبنا الإدارية.

كان مراجعي الأول عجوزًا صغير الحجم جلب معه فتى في نحو الحادية والعشرين ليسجله. كان إلى تحت بعيدًا في قائمتي. قلت:

ـ أنا أسف، لن نستدعيك لستة أشهر على الأقل.

كان للعجوز عينان غريبتا الزرقة تشعان قوة وثقة. قال:

ـ من الأفضل أن تتأكد من رئيسك.

في تلك اللحظة رأيت رئيسي، رائد الجيش النظامي يؤشر لي مسعورًا من وراء عازله الزجاجي. قمت وذهبت إلى مكتبه. كان الرائد مقاتلاً في الحرب الكورية وفي الحرب العالمية الثانية، وتغطي الأشرطة صدره. ولكنه كان متعرقًا وعصبيا. قلت:

ـ اسمع، قال لي ذلك العجوز إنني ينبغي أن أكلمك. إنه يريد أن يتقدم ابنه على كل شخص في القائمة. لقد أخبرته أنني لا أستطيع القيام بذلك.

(*) gin : لعبة ورق .

فقال الرائد مغضباً:

- أعطه ما يريد. إن ذلك العجوز نائب فى المجلس. فقلت:

- وماذا بشأن القائمة؟. فقال الرائد:

- أهمل القائمة.

عدت إلى منضدتى حيث كان عضو المجلس ومحميه الشاب يجلسان. بدأت أعد قسائم التسجيل. ميزت اسم الفتى الآن. سيكون مساوياً لأكثر من مائة مليون دولار ذات يوم. كانت عائلته واحدة من قصص النجاح الكبرى فى التاريخ الأمريكى. وهاهو فى مكتبى يسجل فى برنامج الستة أشهر ليتجنب الخدمة الفعالة التى تستغرق سنتين.

كان عضو المجلس يتصرف على نحو لائق تماماً. لم يفرض الأمر علىَّ، لم يذكر أن قوته جعلتنى أحطم القواعد. كان يتكلم بهدوء، وديًّا، مستخدمًا الإيقاع الصحيح بالضبط. إن المرء ليعجب بالطريقة التى تداولنى فيها. أرادنى أن أشعر أننى أؤدى له خدمة وذكر أنه إن كان ثمة أى شىء يمكنه أن يصنعه لى، فعلىَّ أن أراجع مكتبه. وأبقى الفتى فمه مطبقًا فيما عدا عند الإجابة على أسئلتى عندما كنت أطبع قسيمة تسجيله.

ولكننى غضبت قليلاً. لا أدرى لماذا. لم يكن عندى اعتراض أخلاقى على استعمالات السلطة وعدم عدالة هذه الاستعمالات. كان لأنهما قد دهسانى بشكل ما وما كان ثمة ما يمكننى القيام به حول الأمر. أو لمجرد كون الفتى غنيا مفرط الغنى، فلماذا لا يمكنه أداء خدمته سنتين فى الجيش للبلاد التى فعلت هذا الخير كله لعائلته؟

ولهذا فقد دسست عنصر أزيز صغيراً لا يمكنهم اكتشافه. أعطيت الفتى توصية (ت.م.ع.) حرجة. والـ ت م ع مختصر (تخصص مهنى عسكرى)، وهو الشغل العسكرى الذى سيتم تدريبه عليه. أوصيت به لأحد الاختصاصات الإلكترونية القليلة فى وحدتنا. كنت، عمليا، أتاكد من أن هذا الفتى سيكون أحد أوائل الرجال الذين يتم استدعاؤهم للخدمة الفعالة فى حالة قيام أى نوع من الطوارئ الوطنية. كان ذلك رهانًا لا يتوقع كسبه، ولكن ليكن ما يكون.

خرج الرائد وتلقى قسَمَ الفتى، جاعلاً إياه يكرر القسَم الذى ينطوى على حقيقة أنه لا ينتمى إلى الحزب الشيوعى أو إحدى جهاته. ثم تصافح الجميع مع الجميع. وتمالك الفتى نفسه حتى بدأ عضو المجلس يغادر مكتبى. ثم وجَّه الفتى ابتسامة صغيرة لعضو المجلس.

الآن، كانت تلك الابتسامة بسمة طفل عندما يفرض شيئًا على أبويه وغيرهما من الكبار. إن رؤيتها على وجوه الأطفال غير مرضية. وكانت أكثر من ذلك الآن. كنت أفهم أن الابتسامة لا تجعله حقا فتى سيئًا، ولكن تلك الابتسامة برأتنى من كل ذنب إذ أعطيته فخ الـ ت م ع الخبيث.

كان فرانك ألكور يراقب الأمر كله من منضدته على الجانب الآخر من الغرفة، لم يضع أى وقت. سأل:

ـ حتى متى ستبقى أحمق؟ لقد أخذ عضو المجلس ذاك مائة دولار من جيبك. ويعلم الله ما الذى حصل عليه هو لقاء ذلك. ألوفًا. لو كان ذلك الفتى قد جاء إلينا، لكان بمقدورى أن أحلبه بما لا يقل عن خمسمائة. كان ساخطًا. الأمر الذى جعلنى أضحك. فقال فرانك:

ـ آه، إنك لا تأخذ الأمور بما يكفى من جدية. يمكنك أن تحصل على قفزة كبيرة فى المال، يمكنك أن تعالج قدرًا كبيرًا من مشكلاتك لو أنك تصغى فقط. فقلت:

ـ إنه ليس لى. قال فرانك:

ـ حسنًا، حسنًا. ولكن عليك أن تسدى لى معروفًا. أريد بإلحاح موقعًا شاغرًا. ألاحظت ذلك الفتى أحمر الشعر عند منضدتى؟ سيدفع خمسمائة. إنه يتوقع تسلم إشعار قرعته فى أى يوم. ما إن يتلقى الإشعار، حتى لا يعود ممكنًا تسجيله فى برنامج الستة أشهر. ذلك ضد التعليمات. وهكذا، ينبغى أن أسجله اليوم. وليس ثمة موقع فى وحداتى. أريدك أن تسجله فى وحداتك وسأقتسم الدراهم معك. هذه المرة فقط.

كان يبدو يائسًا، ولهذا قلت:

- حسنًا. أرسل الرجل لمقابلتي. ولكن احتفظ بالمال لنفسك. فأنا لا أريده. فهز فرانك رأسه:

- شكرًا. سأحتفظ بحصتك. فلربما غيَّرت رأيك.

في تلك الليلة، عندما ذهبت إلى البيت، أعطتني فالي العشاء ولعبتُ مع الأطفال قبل أن ينصرفوا للنوم. وقالت فالي فيما بعد إنها ستحتاج إلى مائة دولار لملابس الأطفال وأحذيتهم لعيد الفصح. ولم تقل شيئًا عن ملابس لنفسها، مع أن شراء لباس جديد لعيد الفصح كان بالنسبة لها - شأنها شأن جميع الكاثوليك - التزامًا دينيا تقريبًا.

في الصباح التالي ذهبت إلى المكتب وقلت لفرانك:

- اسمع، غيَّرت رأيي. سآخذ نصفي.

ربت فرانك على كتفي، وقال:

- ذاك هو الفتي!. وأخذني إلى خصوصية غرفة الرجال وعدَّ خمس ورقات من ذوات الخمسين دولارًا وسلمها لي:

- سيكون عندي زبون آخر قبل نهاية الأسبوع. فلم أجبه.

كانت تلك المرة الأولى في حياتي التي أقوم فيها بأمر غير نزيه حقا. ولم أحس هذا القدر من الفظاعة. ومما أدهشني أنني أحسست إحساسًا طيبًا جدا. كنت مرحًا بما لا يحد، وفي الطريق إلى البيت اشتريت هدايا لفالي والأطفال. عندما وصلت هناك وأعطيت فالي مائة دولار لملابس الأطفال، كان يمكنني أن أرى أنها ارتاحت لأنه لن يترتب عليها أن تطلب المال من أبيها. ولقد نمت تلك الليلة خيرًا مما فعلت طوال سنوات.

ودخلت العمل لحسابي، من دون فرانك. بدأت شخصيتي كلها تتبدل. إن صيرورة المرء محتالاً أمر فاتن. لقد كشفت خير ما عندي. تخليت عن القمار وتخليت حتى عن الكتابة؛ في الحقيقة، فقدت كل اهتمام بالرواية الجديدة التي كنت أعمل عليها. ركزت على عملي الحكومي لأول مرة في حياتي.

بدأت أدرس المجلدات الضخمة للتعليمات العسكرية، باحثًا عن كل الثغرات القانونية التي يمكن عن طريقها لضحايا القرعة أن يتهربوا من الجيش. كان أحد أول الأمور التي تعلمتها أن المعايير الطبية كانت تخفض وترفع تعسفيا. إن فتى لا يتمكن من اجتياز الشهر الحقيقي ويرفض قرعته يمكن أن يجتاز بسهولة الستة أشهر لاحقًا. كل ذلك يعتمد على حصص القرعة المحددة في واشنطن. وربما اعتمدت حتى على تخصيصات الميزانية. كانت ثمة فقرات تنص على أن كل من تلقى معالجات بالصدمة الكهربائية عن اضطرابات عقلية غير أهل لأن يساق بالقرعة. وكذلك اللواطيين. وكذلك إن كان في نوع ما من العمل الفني في الصناعة الخصوصية مما يجعله أغلى من أن يُستخدم كجندي.

ثم درست زبائني. كانوا يتراوحون في السن ما بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين، وكانت الفقرات الساخنة عادة في نحو الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين، متخرجين لتوهم من الكلية ويحسون فزعًا من تضييع سنتين في جيش الولايات المتحدة. كانوا مسعورين للتسجيل في الاحتياطي والقيام بمجرد خدمة فعالة من ستة أشهر.

كان لدى كل هؤلاء الفتية مال أو كانوا يتحدرون من عوائل ذات أموال. كانوا جميعهم قد تدربوا لدخول مهنة ما. سيكونون ذات يوم الطبقة المتوسطة العليا، والأغنياء، والقادة في أقسام مختلفة كثيرة من الحياة الأمريكية. في زمن الحرب كانوا سيكافحون من أجل دخول مدرسة مرشحي الضباط. إنهم راغبون الآن في القبول بأن يصيروا خبازين واختصاصيين في تصليح البدلات أو شغيلة صيانة شاحنات. كان لأحدهم، وهو في الخامسة والعشرين مقعداً في بورصة نيويورك؛ وكان آخر اختصاصي سندات مالية. في ذلك الوقت كان وول ستريت حيًّا بأسهم جديدة تصعد عشر نقاط ما إن تصدر، وكان هؤلاء الفتيان يزدادون غنى. كان المال يصب. كانوا يدفعون لي، وكنت أنا أسدد لأخي، آرتي، بضعة الآلاف التي كنت مدينًا بها له. كان مندهشًا ومحبًا للاستطلاع نوعًا ما. أخبرته أنني كنت أصيب حظا في القمار. كنت

أكثر خجلاً من أن أخبره الحقيقة، وكانت تلك إحدى المرات القلائل التى كذبت فيها عليه.

صار فرانك مستشارى. قال:

- احذر هؤلاء الصبية، إنهم محتالون حقيقيون. لوِّعهم وسيحترمونك أكثر.

هززت كتفى. لم أكن أفهم تمييزاته الأخلاقية الدقيقة. قال فرانك:

- إنهم جميعًا مجموعة لعينة من الأطفال البكَّائين. لمَ لا يستطيعون أن يذهبوا ويؤدوا خدمة سنتيهم لبلادهم بدلاً من اللعب فى روث الستة أشهر هذا؟ أنت وأنا، نحن قاتلنا فى الحرب، حاربنا فى سبيل بلادنا ونحن لا خراء لدينا. نحن فقراء. هؤلاء الرجال، لقد أبلى البلد معهم حسنًا. عائلاتهم موسرة. إن عندهم أعمالاً جيدة، ومستقبلاً زاهرًا. والسفلة حتى لا يقومون بخدمتهم الإلزامية.

فوجئت بغضبه، لقد كان عادة رجلاً مباليًا، دون كلمة سوء لأى كان. وكنت أدرى أن وطنيته حقيقية. كان حى الضمير بضراوة كعريف فوج احتياطى، لم يكن محتالاً إلا بوصفه موظفًا مدنيا.

فى الأشهر التالية لم أواجه صعوبة فى تجميع الزبائن. أعددت قائمتين: واحدة كانت جدول الانتظار الرسمى، والأخرى قائمتى الخاصة للراشين. كنت أحاذر كى لا أصير جشعًا. كنت أستخدم عشرة مواقع دفع وعشرة مواقع من القوائم الرسمية. وكنت أكسب ألفى الشهرى بمثل عمل الساعة. فى الحقيقة، بدأ زبائنى يزايدون، وسرعان ما صار سعرى الجارى ثلاثمائة دولار. كنت أحس بالذنب عندما دخل فتى فقير ذات يوم وعرفت أنه لن يشق طريقه على القائمة الرسمية قبل أن تصيبه القرعة. ولقد آلمنى ذلك كثيرًا بحيث إننى أخيرًا أهملت القائمة الرسمية كليًّا. صرت أجعل عشرة رجال يدفعون شهريًا، وعشرة رجال محظوظين يدخلون مجانًا. باختصار، مارست السلطة، الأمر الذى كنت أظن دائمًا أننى لن أفعله. لم يكن سيئًا.

لم أكن أعــرف ذلك، ولكننى كنت أنشئ رابطة من الأصــدقــاء فى وحــداتى ستساعدنى على إنقاذ جلدى فيما بعد. وكذلك، وضعت قاعدة أخرى. كل من كان فنانًا: كاتبًا، ممثلاً أو مخرجًا مسرحيا تافهًا كان يدخل مجانًا. كان ذلك ضريبتى لأننى لم أعد أكتب، ما كان عندى دافع للكتابة، وكنت أحس بالذنب بسبب ذلك أيضًا. كنت، فى الحقيقة، أراكِم الذنوب بالسرعة التى كنت أجمع بها المال. وأحاول أن أكفِّر عن ذنوبى بطريقة أمريكية كلاسيكية: بأن أؤدى أعمالاً طيبة.

ويَّخنى فرانك على ضعف غريزتى العملية. كنت رجلاً أرق مما ينبغى، وكان ينبغى أن أصير أشد وإلا فسيستغلنى الجميع. ولكنه كان على خطأ. لم أكن رقيقًا كما كان هو، أو الباقون، يتصورون.

لأننى كنت أنظر إلى أمام. بمجرد استخدام أى نوع من الذكاء الاعتيادى. كنت أعرف أن هذه المهنة ستنفجر ذات يوم. كان ثمة كثير من الناس متورطين. مئات من المدنيين لهم أشغال مثل شغلى كانوا يرتشون. وكان آلاف من الاحتياطيين لا يسجلون على قوائم برنامج الستة أشهر إلا بعد أن يدفعوا رسم دخول كبيراً. كان ذلك شيئًا مايزال يسلينى، الجميع يدفع للدخول إلى الجيش!

ذات يوم جاء رجل فى نحو الخمسين مع ابنه. كان رجل أعمال غنيا، وكان ابنه محامياً بدأ الممارسة لتوه. كانت لدى الأب حزمة رسائل من سياسيين. تكلم إلى رائد الجيش النظامى، ثم جاء ثانية عشية اجتماع الوحدة وقابل المقدم الاحتياط. كانا مؤدبين جدا معه ولكنهما أحالاه إلىَّ مع الهراء المألوف عن الحصة. وهكذا جاء الأبَ مع ابنه إلى منضدتى كى يسجل اسم الفتى على قائمة الانتظار الرسمية. كان اسمه (هيلر) وكان اسم ابنه (جيريمى).

كان السيد هيلر يعمل يعمل فى تجارة السيارات، وكانت عنده وكالة كاديلاك. جعلت ابنه يملأ الاستعلام ورحنا نثرثر.

لم يقل الصبى شيئًا، بدا مرتبكًا. قال السيد هيلر:

- كم عليه أن ينتظر على هذه القائمة؟.

تراجعت فى مقعدى وأعطيته الجواب المألوف، قلت:

- ستة أشهر. فقال السيد هيلر:

- سوف يساق بالقرعة قبل ذلك. إن استطعت أن تفعل له شيئًا فساقدِّر لك ذلك.

أعطيته جوابى الاعتيادى، قلت:

- إننى مجرد كاتب. إن الأشخاص الوحيدين الذين يمكنهم مساعدتك هما الضابطان اللذان تحدثت إليهما توا. وإلا فيمكنك أن تحاول مع ممثلك فى المجلس.

ألقى علىَّ نظرة طويلة، وقاسية، ثم أخرج بطاقة عمله:

- إذا ما نويت شراء سيارة، تعال لرؤيتى. سأدبرها لك بسعر الكلفة.

نظرت إلى بطاقته وضحكت. قلت:

- فى اليوم الذى أستطيع فيه شراء كاديلاك لن أكون مضطرا للعمل هنا بعد.

منحنى السيد هيلر ابتسامة ودية لطيفة، وقال:

- أظن ذلك صحيحًا. ولكن إن استطعت مساعدتى، فإننى سأقدر ذلك حقا.

فى اليوم التالى تلقيت مكالمة من السيد هيلر. كانت عنده روح الصداقة الصنعية لرجل المبيعات المتضلع فى فنه. سأل عن صحتى، وكيف كانت أمورى تجرى، وعلق على حلاوة اليوم. ثم قال كم إنه تأثر بلياقتى، الأمر غير المألوف تمامًا لدى موظف حكومى يتعامل مع الجمهور. تأثر كثيرًا وانغمر بعرفان الجميل بحيث إنه عندما سمع بعرض سيارة دودج عمرها سنة للبيع، اشتراها وهو يرغب فى بيعها لى بسعر الكلفة. أأقابله على الغداء لنناقش الأمر؟

أخبرت السيد هيلر أننى لا أستطيع مقابلته على الغداء ولكننى سأمر على محل سياراته فى طريقى إلى البيت من العمل. كان يستقر فى (روزلن)، بلونج أيلاند،

التى لم تكن تبعد أكثر من نصف ساعة عن مشروع سكننا فى البرونكس. وكانت الدنيا لا تزال منيرة عندما وصلت إلى هناك. أوقفت سيارتى وتجولت فى الأنحاء متفرجًا على سيارات الكاديلاك، ولقد تمكن منى طمع الطبقة الوسطى. كانت سيارات الكاديلاك جميلة؛ وطويلة، وصقيلة وثقيلة؛ بعضها ذهبى براق، وأخرى بيضاء كالقشدة، وزرقاء غامقة، وحمراء كسيارة مطافئ. تطلعت إلى دواخلها فرأيت السجاد المترف، والمقاعد ثرية المظهر. لم يسبق قط أن اهتممت إلى هذا القدر بالسيارات، ولكننى فى تلك اللحظة أحسست نهمًا إلى كاديلاك.

سرت باتجاه المبنى الآجرى الطويل واجتزت دودج زرقاء كبيضة أنثى أبو الحناء (*). كانت سيارة لطيفة جدا كنت سأعشقها قبل مسيرى خلال هذه الأميال من سيارات الكاديلاك اللعينة. نظرت إلى داخلها. كان التنجيد مريحًا عند النظر ولكنه غير ثرى. اللعنة.

باختصار، كنت أتصرف بأسلوب اللص محدث الثراء (**) الكلاسيكى. لقد حدث لى شىء غريب جدا فى الشهور الأخيرة. كنت حزينًا جدا عندما أخذت رشوتى الأولى. لقد فكرت أن علىَّ أن أفكر أقل بنفسى، لقد زهوت كثيراً بنفسى بشأن عدم كذبى قط. ثم لماذا كنت أستمتع كثيراً بدورى كمرتش ومحتال تافه لا أخلاقى؟

الحقيقة أننى صرت إنسانًا سعيداً لأننى صرت خائنًا للمجتمع. أحببت أخذ المال عن خيانتى الأمانة بوصفى مستخدمًا حكوميا. أحببت الاحتيال على الصبيان الذين كانوا يأتون لرؤيتى. خدعت وواربت لغرض الخداع بتلذذ متمطق لمزارع متلهف على القرش. فى بعض الليالى كنت، وأنا متمدد يقظًا أفكر فى مشاريع جديدة، أتأمل مندهشًا هذا التغير فى نفسى. ولقد اكتشفت أننى كنت أنتقم لكونى رُفضت كفنان، أننى كنت أعوض عن إرثى عديم القيمة كيتيم. عن الانعدام التام لنجاحى فى الدنيا. ولامنفعتى العامة فى مجمل مخطط الأمور. لقد وجدت أخيراً شيئًا أستطيع أن أفعله

(*) robin : طائر صغير أحمر الصدر مصفره ، يكون بيضه أزرق اللون .

(**) بالفرنسية فى الأصل .

على نحو جيد، لقد نجحت أخيراً كمعيل لزوجتى وأطفالى. ولقد صرت ـ الأمر الغريب للغاية ـ زوجًا وأبًا أفضل. صرت أساعد الأطفال فى تكاليفهم البيتية. ولأننى قد توقفت عن الكتاب الآن، صار عندى وقت أطول لفالى. صرنا نخرج إلى السينما، وكان يمكننى أن أتحمل نفقات جليسة أطفال وثمن التذاكر. اشتريت لها هدايا. حتى إننى حصلت على مأموريتين لمجلة فانجزت العملين بيسر. وأخبرت فالى أننى حصلت على كل هذا المال الجديد من شغل المجلة.

كنت لصًّا سعيداً سعيداً، ولكن فى مؤخرة دماغى كنت أعرف أن يوم الحساب قادم. وهكذا فقد تخليت عن كل أفكار شراء كاديلاك واستقريت على الدودج الزرقاء كبيضة أنثى أبو الحناء.

كان للسيد هيلر مكتب واسع حيث صور زوجته وأولاده على منضدته. لم تكن ثمة سكرتيرة، فكنت أرجو أن ذلك بسبب حذقه الزائد إذ تخلص منها كى لا ترانى. لقد كنت أحب التعامل مع الأذكياء. كنت أخشى الحمقى.

جعلنى السيد هيلر أجلس وأتناول سيجاراً. استفسر مرة أخرى عن صحتى. ثم استقر على صلب الموضوع:

- أرأيت تلك الدودج الزرقاء؟ سيارة لطيفة. حالة رائعة. يمكننى أن أعطيك صفقة حقيقية فيها. ماذا تقود الآن؟. فقلت:

- فورد ١٩٥٠ . فقال السيد هيلر:

- سأجعلك تستخدمها فى المقايضة. يمكنك أن تأخذ الدودج لقاء خمسمائة دولار وسيارتك.

أبقيت وجهى فى خط مستقيم. وقلت وأنا آخذ خمسمائة دولار من جيبى:

- موافق.

بدا على السيد هيلر أنه فوجئ قليلاً:

- سيمكنك أن تساعد ابنى، أنت تفهم. كان خائفًا قليلاً حقا من أننى لم أفهم الأمر. كنت أدرى أن بمقدورى أن أروِّعه لأبتز المزيد.

ومرة أخرى عجبت كم كنت أستمتع بهذه الصفقات الصغيرة. كان يمكننى أخذ الدودج لقاء إعطائه سيارتى الفورد فقط. لقد كنت أوفر حقا نحو ألف دولار فى هذه الصفقة حتى وأنا أدفع له الخمسمائة دولار. ولكننى لم أكن أومن بمحتال يجرى صفقات مجحفة. كنت لا أزال أحتفظ بشىء من روبن هود فى داخلى. كنت لا أزال أفكر بنفسى كرجل لا يأخذ المال من الأغنياء إلا لقاء إعطائهم ما يستحقه مالهم. ولكن ما كان يبهجنى أكثر من غيره كان القلق على وجهه من أننى لم أفهم أن هذه كانت رشوة. وهكذا فقد قلت بهدوء بالغ، بدون ابتسامة، بطبيعية تامة:

- سيسجل ابنك على برنامج الستة أشهر خلال أسبوع.

لاح الارتياح واحترام جديد على وجه السيد هيلر. قال:

- سننظم الأوراق الليلة، وسأتولى أمر أرقام الإجازة. كل الأمور مهيأة للشروع. ومال إلى أمام كى يصافحنى، وقال: لقد سمعت قصصًا عنك. يتحدث الجميع عنك بشكل جيد.

كنت مسروراً. طبيعى أننى كنت أعرف ما كان يعنى. أن لى سمعة طيبة كمحتال نزيه. لقد كان ذلك بعد كل شىء، أمراً. كان إنجازًا.

فيما كانت الأوراق تنظم من جانب الجهاز الإدارى، راح السيد هيلر يثرثر على نحو مستطلع. كان يحاول أن يكتشف ما إذا كنت أعمل بشكل منفرد أو أن الرائد والمقدم كانا ضمن العملية. كان شاطراً، إنه تدريبه المهنى فيما أظن. أطرانى أولاً على مدى حذقى، وكيفية إدراكى السريع لكل شىء. ثم بدأ يطرح علىَّ أسئلة. كان قلقًا من أن الضابطين سيتذكران ابنه. أفليس عليهما أن يحلِّفا ابنه للدخول إلى برنامج الستة أشهر للاحتياط؟ فقلت، نعم إن هذا صحيح. قال السيد هيلر:

- أفلن يتذكراه؟ أفلن يتساءلا كيف قفز بهذه السرعة إلى أعلى القائمة؟.

كانت عنده نقطة، ولكن ليست مهمة جدا، فقلت:

- هل سألتك أية أسئلة عن الدودج؟.

فابتسم السيد هيلر نحوى بحرارة، وقال:

- أنت تعرف عملك بالطبع. ولكنه ابنى. لا أريد أن أراه يقع فى ورطة عن شىء فعلته أنا.

بدأ ذهنى يتجول. كنت أفكر كم ستكون فالى مسرورة عندما ترى الدودج الزرقاء: كان الأزرق لونها المفضل، وكانت تكره الفورد القديمة التعبى.

أجبرت نفسى على التفكير فى سؤال السيد هيلر. تذكرت أن جيريميّه كان طويل الشعر وكان يرتدى بدلة جيدة التفصيل مع صديرى، وقميصاً وربطة عنق. فقلت له:

- قل لجيريمى أن يقصر شعره ويرتدى ملابس رياضية عندما أستدعيه إلى المكتب. لن يتذكراه.

بدا السيد هيلر مرتاباً، قال:

- سيكره جيريمى ذلك. فقلت:

- إذن ليس عليه أن يفعل. أنا لا أومن بأمر الناس أن يفعلوا ما لا يحبون أن يفعلوه. سأهتم أنا بالموضوع. كنت مجرد نافد الصبر قليلاً. فقال السيد هيلر:

- حسناً. سأترك الأمر بين يديك.

عندما قدت السيارة الجديدة عائداً إلى البيت، ابتهجت فالى فأخذتها والأطفال فى نزهة. كانت الدودج تسير مثل حلم وقد أدرنا المذياع. لم يكن فى فوردى القديمة مذياع. لقد توقفنا فى الطريق وتناولنا البيتزا والصودا، الأمر الذى صار عاديا عندنا الآن ولكننا كنا نادراً ما نفعله قبلاً فى حياتنا الزوجية لأنه كان علينا أن نراقب كل

سنت. ثم توقفنا فى حانوت حلويات وتناولنا صودا بالمثلجات واشتريت دمية لابنتى ولعبتين حربيتين لولدىَّ. واشتريت لفالى علبة من شوكولا شْرافْت. كنت رياضيا حقيقيا، أنفق المال مثل أمير. غنيت أغنيات فى السيارة ونحن نسوق باتجاه البيت، وبعد أن صار الأطفال فى أسرتهم مارست فالى الحب معى كما لو كنت آغاخان وأننى قد أعطيتها للتو ماسة بحجم الريتز (*) .

تذكرت اليوم الذى رهنت فيه آلتى الطابعة لنجتاز الأسبوع. ولكن ذلك قد حصل قبل فرارى إلى فيجاس. لقد تبدل حظى منذئذ. لا مزيد من شغلين؛ عشرون ألف دولار مخبوءة جانبًا فى ملفات مخطوطتى القديمة على أرضية صوان الملابس. شغل مزدهر كان يمكن أن يحقق ثروة ما لم ينفجر المشروع كله أو حدثت تسوية ما على المستوى العالمى تجعل القوى العظمى تكف عن إنفاق مثل هذه الأموال على جيوشها. للمرة الأولى فهمت كيف يشعر أقطاب الصناعة الحربية والصناعيون وجنرالات الجيش. إن التهديد بعالم مستقر يمكن أن يعود بى ثانية إلى الفقر. ليس الأمر أننى كنت أريد حربًا أخرى، ولكننى لم أكن أستطيع الامتناع عن الضحك عندما أدركت أن كل مواقفى المسماة بالليبرالية كانت تنوب على أمل ألا تصير روسيا والولايات المتحدة متوادتين جدا، أو ليس لفترة قصيرة قادمة على الأقل.

كانت فالى تشخر قليلاً، الأمر الذى لم يكن يزعجنى. كانت تكدح مع الأطفال وفى العناية بالمنزل وبى. ولكن كان غريبًا أننى أبقى دائمًا ساهرًا ليلاً مهما بلغت من إرهاقى لنفسى. كانت دائمًا تغفو قبل أن أغفو أنا. وكنت أستيقظ أحيانًا وأشتغل على روايتى فى المطبخ وأطبخ لنفسى شيئًا لآكله ولا أعود إلى السرير حتى الثالثة أو الرابعة صباحًا. ولكننى الآن لم أكن أعمل على رواية، وهكذا فلم يكن عندى عمل. فكرت بغموض فى أننى يجب أن أعاود الكتابة. فبعد كل شىء، كان عندى الوقت والمال. ولكن الحقيقة أننى وجدت حياتى أكثر إثارة بالنصب والارتشاء، وإنفاق المال للمرة الأولى على أشياء صغيرة حمقاء.

(*) Ritz : الفندق الشهير فى نيويورك .

ولكن المعضلة الكبرى كانت أين أخفى مالى النقدى بشكل دائم. لم أكن أستطيع أن أحتفظ به فى البيت. فكرت فى أخى، أرتى. كان يمكنه أن يحفظه لى فى المصرف. وكان سيفعل لو أننى سألته أن يفعله. ولكن لم يكن يمكننى ذلك. لقد كان نزيهًا بشكل مؤلم جدا. ولسوف يسألنى من أين حصلت على الدراهم وسيتعين علىّ أن أخبره. لم يكن قد قام بأى عمل غير شريف لنفسه أو لزوجته وأطفاله. لقد كان عنده استقامة حقيقية. سيقوم بذلك من أجلى، ولكنه لن يبقى يشعر تجاهى كما يفعل الآن. ولن أستطيع أن أتحمل ذلك. ثمة أمور لا يمكنك، أو لا ينبغى لك، أن تفعلها. وكان سؤال أرتى أن يحتفظ لى بنقودى واحدًا منها. لن يكون ذلك عمل أخ أو صديق.

طبيعى أن ثمة إخوة لا يمكن للمرء أن يسألهم لأنهم سيسرقون المال. وذلك ما جلب كولى إلى ذهنى. سأسأله عن أفضل طريقة لإخفاء المال فى المرة التالية التى يأتى فيها إلى المدينة، كان ذلك جوابى. سيعرف كولى، كان ذلك حقل اختصاصه. وكان علىّ أن أحل المعضلة. كان عندى إحساس أن المال سيتدفق أسرع وأسرع.

فى الأسبوع التالى أدخلت جيريمى هيلر إلى الاحتياطى بدون أية مشكلة، وكان السيد هيلر من الامتنان بحيث دعانى للمجىء إلى وكالته من أجل طاقم إطارات جديد لدودجى الزرقاء. طبيعى أننى ظننت ذلك للتعبير عن الشكر، ولقد سررت لكونه رجلاً بذلك اللطف. لقد نسيت أنه رجل أعمال. فيما كان الميكانيكى يركِّب الإطارات الجديدة لسيارتى، أعطانى السيد هيلر فى مكتبه اقتراحًا جديدًا.

بدأ بإغداق لمسات لطيفة. أخبرنى بابتسامة إعجاب كم كنت ذكيا، وكم كنت نزيهًا، وكيف يمكن الاعتماد علىّ تمامًا. كان التعامل معى أمرًا مبهجًا، وأننى إن تركت العمل الحكومى، فإنه سيحصل لى على عمل جيد. ابتلعت ذلك كله، لقد حظيت بإطراء قليل فى حياتى، أكثره من أخى، أرتى، وبعض مستعرضى الكتب المغمورين. ما كنت حتى لأخمن ما كان قادمًا.

قال السيد هيلر:

ـ ثمة صديق يحتاج إلى مساعدتك حاجة ماسة. إن له ابنًا يحتاج بشكل يائس للدخول إلى برنامج الستة أشهر للاحتياط. فقلت:

ـ بالطبع. أرسل الفتى ليراني ودعه يذكر اسمك. فقال السيد هيلر:

ـ ثمة مشكلة عويصة. لقد تلقى هذا الفتى أصلاً إشعار قرعته. فهززت كتفي:

ـ إذن فهو معدوم الحظ تمامًا. قل لأهله أن يقبلُوه مودعين لمدة سنتين. فابتسم السيد هيلر:

ـ أأنت واثق من أنه لا يوجد شيء يمكن لشاب ذكي مثلك أن يفعله؟ إنه يمكن أن يساوي مقدارًا كبيرًا من المال. إن أباه رجل مهم للغاية. فقلت:

ـ لا يوجد شيء. إن تعليمات الجيش محددة. ما إن يتسلم رجل إشعار قرعته حتى لا يعود ممكنًا تسجيله في برنامج الستة أشهر لاحتياطي الجيش. إن أولئك الناس في واشنطن ليسوا على ذلك القدر من الغباء. وإلا لكان كل امرئ ينتظر إشعار قرعته قبل أن يسجل اسمه.

فقال السيد هيلر:

ـ إن هذا الرجل يريد أن يراك. إنه راغب في فعل أي شيء، تعلم ما أقول؟. فقلت:

ـ لا فائدة في ذلك. لا أستطيع أن أساعده.

عندئذ مال السيد هيلر عليّ قليلاً، وقال:

ـ اذهب لرؤيته من أجلي فقط. وفهمت. لو أنني ذهبت فقط لرؤية هذا الرجل، حتى إذا رددت طلبه، فإن السيد هيلر سيصير بطلاً. حسنًا، من أجل أربعة إطارات جديدة يمكنني أن أقضي نصف ساعة مع رجل ثري. فقلت:

ـ حسنًا.

كتب السيد هيلر على قصاصة ورق وسلمها لي. نظرت إليها. كان الاسم هو: إيلي حمصي، وكان ثمة رقم هاتف. عرفت الاسم. لقد كان إيلي حمصي أكبر رجل في

صناعة الملابس، له مشاكل مع الاتحادات، ومتورطًا مع العصابات الإجرامية. ولكنه كان أيضًا أحد أنوار المدينة الاجتماعية. شارٍ للسياسيين، وعمود إسناد لقضايا الإحسان، وإلخ. لو أنه كان يتعامل مع أشخاص على هذا الكبر، فلماذا يتعين عليه أن يأتى إلىَّ؟ ألقيت ذلك السؤال على السيد هيلر. فقال السيد هيلر:

- لأنه شاطر. إنه من اليهود الشرقيين (*). إنهم أذكى اليهود. إن فيهم دماء إيطالية وإسبانية وعربية، وإن تلك الخلطة تجعلهم قتلة حقيقيين، إضافة إلى كونهم أذكياء. إنه لا يريد ابنه رهينة لسياسى ما يمكن أن يطالبه بمعروف كبير. إن مجيئه إليك أرخص كثيرًا وأقل خطرًا بما لا يقاس. وإضافة إلى ذلك، فلقد أخبرته كم كان عملك جيدًا. ولكى أكون صريحًا تمامًا، فالآن بالذات أنت الشخص الوحيد الذى يمكنه مساعدته. إن هؤلاء الكبار لا يجرؤون على أن يدوسوا على شىء مثل القرعة. إنه حساس جدا. إن السياسيين يخشونه حتى الموت.

فكرت فى عضو المجلس الذى جاء إلى مكتبى. لقد كان شجاعًا إذن. أو ربما كان فى نهاية حياته السياسية، وما كان ليبالى أبدًا. كان السيد هيلر يراقبنى بانتباه. قال:

- لا تفهمنى خطأ. أنا نفسى يهودى. ولكن الشرقيين عليك أن تكون حذرًا معهم وإلا فإنهم لابد من أن يخدعوك. وهكذا، فعندما تذهب لرؤيته عليك أن تستعمل مخك حتمًا، وتوقف ثم سأل قلقًا:

- إنك لست يهوديا، ها؟. فقلت:

- لست أدرى. وفكرت عندئذ كيف كنت أشعر عن الأيتام. إننا جميعًا استثنائيون. لا نعرف أباءنا، لم نكن نقلق أبدًا بشأن اليهود أو السود، مهما كان.

فى اليوم التالى تلفنت للسيد إيلى حمصى فى مكتبه، مثل المتزوجين الذين عندهم علاقة غرامية، كان آباء زبائنى لا يعطونى غير أرقام هواتف مكاتبهم. ولكنهم يطلبون

(*) Sephardim ، المقصود بهم من تبنوا الطقس الإسباني اليهودى تمييزًا عن الأشكنازيم Askenazom الذين تبنوا الطقس الجرماني .

رقم هاتف منزلى، فلربما احتاجوا إلى الاتصال بى فجأة. لقد كنت أتلقى أصلاً عدداً كبيراً من الاتصالات مما جعل فالى تتعجب. ولقد أخبرتها أنها اتصالات بشأن المقامرات وعمل المجلة.

طلب منى السيد حمصى أن أهبط إلى مكتبه أثناء ساعة غدائى فذهبت. كانت إحدى بنايات مركز الملابس فى الجادة السابعة على مبعدة عشر دقائق فقط من مستودع السلاح. تمشٍ صغير حلو فى هواء الربيع. تفاديت رجالاً يدفعون عربات يدوية محملة بحوامل ثياب وتأملت باعتداد قليل كم يشتغلون بكد من أجل أجورهم التافهة فيما كنت أجمع المئات فى عمل ورقى قذر قليل عند المفرق. كان أغلب الرجال سوداً. لماذا لم يكونوا، بحق الجحيم، خارجين للسطو على الناس كما يفترض بهم أن يكونوا؟ آه، لو كان عندهم أدنى تعليم، لكانوا يسرقون مثلى، بدون إيذاء الناس.

فى المبنى قادتنى موظفة الاستقبال عبر واجهات تعرض الموديلات الجديدة للفصول القادمة. ثم أدخلت عبر باب حقير صغير إلى جناح مكتب السيد حمصى. ولقد دهشت حقا كم كان مترفًا، فقد كان باقى المبنى حقيراً. سلمتنى فتاة الاستقبال إلى سكرتيرة السيد حمصى، وهى سيدة لا تقبل هراء فى منتصف العمر، ولكنها ترتدى ملابس بشكل لا عيب فيه، ولقد أخذتنى إلى الجناح الخاص الداخلى.

كان السيد حمصى رجلاً كبيراً ضخمًا يمكن أن يبدو مثل قزاقى لولا بدلته رائعة التفصيل، قميصه الأبيض مترف المظهر وربطة عنقه الحمراء الداكنة. كان وجهه قاسى التجاعيد كثيرها وعليه نظرة كئيبة. كان يبدو نبيلاً تقريبًا ونزيهًا بالتأكيد. نهض عن المكتب وأمسك يدىَّ بكلتا يديه ليحيينى. نظر عميقًا فى عينىَّ. كان قريبًا جدا منى بحيث كان بمقدورى أن أرى عبر الشعر الرمادى اللزج الكث. قال بوقار:

- إن صديقى محق، إن لك قلبًا طيبًا، أعرف أنك ستساعدنى. فقلت:

- فى الحقيقة لا أستطيع أن أساعدك. إننى أود. ولكننى لا أستطيع. وشرحت له كل شىء عن مسألة لائحة القرعة كما سبق أن شرحتها للسيد هيلر. كنت أبرد مما قصدت أن أكون. فأنا لا أحب أن ينظر الناس عميقًا فى عينى.

كان يكتفى بالجلوس هناك هازًا رأسه بوقار. ثم، كما لو أنه لم يسمع كلمة مما قلت، واصل كلامه فقط، وقد صار صوته كئيبًا حقا الآن:

- زوجتى، المرأة المسكينة، إنها فى وضع صحى سيئ: سيقتلها فقدان ابنها الآن. إنه الشىء الوحيد الذى تعيش من أجله. سيقتلها إن ابتعد سنتين. يا سيد ميرلين، يجب أن تساعدنى. لو فعلت هذا لى، سأجعلك سعيدًا لما تبقى من حياتك.

ليس الموضوع أنه أقنعنى. ليس الأمر أننى صدقت كلمة واحدة مما قال. ولكن تلك العبارة الأخيرة أثرت بى. الملوك والأباطرة فقط يمكنهم أن يقولوا لإنسان ما سأجعلك سعيدًا لما تبقى من حياتك. أية ثقة كانت له فى سلطاته. ولكننى مع ذلك، كنت أدرك بالطبع أنه يتكلم عن المال. قلت:

- دعنى أفكر فيها، فلربما استطعت الخروج بشىء.

كان السيد حمصى يهز رأسه إلى أعلى وإلى أسفل بوقار تام. وقال:

- أعرف أنك ستفعل، أعرف أن عندك رأسًا جيدًا وقلبًا طيبًا. ألديك أطفال؟. فقلت:

- نعم. سألنى عن عددهم وعن أعمارهم وعن جنسهم. وسأل عن زوجتى وكم سنها. كان مثل عم. ثم سألنى عن عنوان منزلى ورقم هاتفى لكى يتصل بى إن كان ذلك ضروريا.

عندما غادرته، سار بى إلى المصعد بنفسه. وتصورت أننى قمت بعملى. لم تكن عندى فكرة عن الطريقة التى أخلص بها ابنه من خطاف هيئة القرعة. وكان السيد حمصى على حق، لقد كان عندى قلب طيب، كان عندى قلب طيب بما يكفى ألا أحاول خداعه ومخاوف امرأته ثم لا أسلّم. وكان عندى عقل جيد بما يكفى لكى لا أتورط مع ضحية من ضحايا هيئة القرعة. لقد تلقى الفتى إشعاره وسيكون فى الجيش النظامى خلال شهر. سيتعين على أمه أن تحيا بدونه.

فى اليوم التالى بالضبط تلفنت لى فالى فى الشغل. كان صوتها بالغ الانفعال. أخبرتنى أنها تلقت لتوها خدمة تسليم خاصة من نحو خمس علب ملابس. ملابس

للأطفال جميعًا، ملزومات شتاء وخريف، ولقد كانت جميلة. وكانت ثمة علبة ملابس لها. وجميعها أغلى مما يمكننا أن نشترى. قالت:

- ثمة بطاقة. من سيد حمصى ما. من هو؟ يا ميرلين، إنها جميلة ولا شىء آخر. لماذا يمكن أن يعطيك إياها أصلاً؟. فقلت:

- لقد كتبت كراسًا لتجارته. لم أحقق مالاً كثيرًا منه، ولكنه كان قد وعد بأن يرسل للأطفال بعض المواد. ولكننى فكرت بأنه كان يعنى مجرد أشياء قليلة.

كان بمقدورى أن أسمع السعادة فى صوت فالى:

- لابد من أنه رجل لطيف. لابد من أن ثمة ما قيمته أكثر من ألف دولار من الملابس فى العلب. فقلت:

- هذا عظيم. سأكلمك فى الأمر الليلة.

بعد أن أغلقت الهاتف، أخبرت فرانك بما جرى وعن السيد هيلر، وكيل السيارات.

نظر فرانك إلىَّ شزرًا، وقال:

- أنت على الشص. إن ذلك الرجل يتوقع الآن أن تفعل له شيئًا. كيف ستتصرف؟. فقلت:

- لا أستطيع أن أفهم حتى لماذا وافقت على الذهاب لرؤيته. فقال فرانك:

- إنها سيارات الكاديلاك تلك التى رأيتها فى محل هيلر. إنك تشبه أولئك الملونين. إنهم يقبلون أن يعودوا إلى تلك الأكواخ فى أفريقيا لو أمكنهم التجول وهم يقودون كاديلاك.

لاحظت شيئًا من الوقف المفاجئ فى كلامه. لقد أوشك أن يقول الزنوج ولكنه تحول إلى الملونين. وتساءلت إن كان ذلك لأنه خجل من استخدام الكلمة القبيحة أو لأنه ظن أننى يمكن أن أُجرح. أما بالنسبة لمحبة فتيان هارلم لسيارات الكاديلاك فلقد طالما تعجبت من سخط الناس بشأن ذلك. ألأنهم لا يستطيعون شراءها؟ أم لأنهم لا يمكنهم الاستدانة من أجل شىء غير مفيد؟ ولكنه كان محقا فى أن سيارات الكاديلاك تلك هى

التى وضعتنى على الشص. ذلك ما جعلنى أوافق على رؤية حمصى، وأن أقدم معروفًا لهيلر. كنت فى مؤخرة دماغى أمل باصطياد واحدة من هذه السيارات الملساء الصقيلة المرفهة.

فى تلك الليلة، عندما وصلت إلى البيت، أقامت فالى عرض أزياء لى منها ومن الأطفال. كانت قد ذكرت خمس علب، ولكنها لم تكن قد ذكرت حجمها. كانت هائلة، ولقد كان لكل من فالى والأطفال نحو عشرة أطقم. كانت فالى أكثر انفعالاً مما سبق أن رأيتها منذ مدة طويلة. وكان الأطفال مسرورين، ولكنهم لا يهتمون كثيراً بالملابس فى تلك السن، ولا حتى ابنتى. وبرقت فكرة أننى قد أكون محظوظًا فأجد صانع لعب تفادى ابنه القرعة.

ولكن فالى أشارت عندئذ إلى أنه سيتعين عليها أن تشترى أحذية جديدة لتتماشى مع الملابس. طلبت منها أن تنتظر قليلاً وأخذت ملاحظة بأن أضع عينًا على ابن صانع أحذية.

الشىء الغريب الآن أننى سأجس أن السيد حمصى كان يتفضل علىَّ لو أن الملابس كانت من نوعية اعتيادية. كانت المسألة ستكون فيها لمسة الفقير الذى يتلقى أغراض الغنى المستعملة. ولكن هذه المواد كانت من الدرجة الممتازة، بضائع راقية ما كنت لأستطيع شراءها مهما يكن مقدار مبالغ الرشاوى التى جمعتها. خمسة آلاف دولار، لا ألف. ألقيت نظرة على البطاقة المرفقة. كانت بطاقة عمل، مطبوعًا عليها اسم حمصى وعنوانه كرنيس واسم الشركة وعنوانها ورقم تليفونها. لم يكن ثمة شىء مكتوبًا، لا رسالة من أى نوع. لقد كان السيد حمصى ماهرًا تمامًا. لم يكن ثمة دليل مباشر على أنه قد أرسل المواد، وليس عندى شىء أستطيع أن أدينه به.

فى المكتب فكرت فى أننى ربما أمكننى أن أعيد إرسال المواد إلى السيد حمصى. ولكن بعد رؤية مدى سعادة فالى، عرفت أن ذلك غير ممكن. تمددت مستيقظًا حتى الثالثة صباحًا، باحثًا عن الطرق التى يمكن بها لابن السيد حمصى أن يتفادى القرعة.

فى اليوم التالى، عندما دخلت المكتب، اتخذت قرارًا واحدًا: لن أفعل على الورق شيئًا يمكن أن يقود إلىَّ بعد سنة أو اثنتين. قد يكون هذا أمرًا شائكًا. أن تأخذ مالاً

لتدخل رجلاً فى أعلى قائمة من برنامج الستة أشهر شيء، ولكن إخراجه من القرعة شيء آخر، خاصة وقد تلقى إشعار خضوعه للخدمة.

وهكذا كان الأمر الأول الذى فعلته هو أن تلفنت لهيئة قرعة حمصى. كلمت واحداً من الكُتّاب هناك، فتى مثلى تماماً، عرّفت نفسى ورويت له القصة التى فكرت فيها. أخبرته أن بول حمصى كان على قائمتى لبرنامج الستة أشهر وأننى كنت أنوى تسجيله قبل أسبوعين ولكننى أرسلت رسالته إلى العنوان الخطأ. إن الأمر كله كان غلطتى، وإننى أشعر بالذنب بشأنه وإننى ربما سأقع فى ورطة فى عملى لو أن عائلة الصبى بدأت بالشكوى. سألته إن كان لهيئة القرعة أن تلغى إشعار القرعة لكى يمكننى أن أسجله. وعندئذ سأرسل إلى هيئة القرعة الاستمارة الرسمية الاعتيادية، التى تبين أن بول حمصى كان فى برنامج الستة أشهر لاحتياطى الجيش، وأن بمقدورها شطبه من كشف قرعتها. واستخدمت النغم الذى ظننته مناسباً بالضبط، من دون لهفة زائدة. مجرد رجل لطيف يحاول أن يصحح خطأ. وفيما كنت أفعل هذا، ذكرت عرضاً أن الفتى لو صنع لى هذا الجميل فبإمكانى أن أساعده لوضع أحد أصدقائه فى برنامج الستة أشهر.

وسيلة التحايل الأخيرة التى فكرت فيها عندما كنت أتمدد مستيقظاً فى الليلة السابقة. لقد كنت أتصور أن الكُتّاب فى هيئة القرعة ربما كان يجرى الاتصال بهم من جانب فتيان على شفا هاوية، على وشك أن يساقوا، وأن كتاب هيئة القرعة ربما كانوا يتلقون اقتراحات كبيرة. وكنت أتصور لو أن كاتباً فى هيئة القرعة يمكنه أن يضع أحد زبائنه فى برنامج الستة أشهر فإن ذلك يستحق ألف دولار.

ولكن الرجل فى هيئة القرعة كان غير مبال تماماً وخدوماً. حتى إننى لا أظن أنه قد أدرك أننى كنت أقترح إرشاءه. قال نعم، سيسحب إشعار الإخضاع، إن الأمر لا مشكلة فيه فتولد عندى الانطباع فوراً بأن رجالاً أذكى منى لجأوا إلى هذه الحيلة من قبل. على كل حال، فى اليوم التالى تلقيت الرسالة اللازمة من هيئة القرعة وتلفنت للسيد حمصى وطلبت منه أن يرسل ابنه إلى مكتبى كى يتم قيده.

سار الأمر كله دون تعقيد. كان بول حمصى صبيا عذب الكلام، وخجولاً جداً، ومتحفظًا جدا، أو هكذا بدا لى. حلّفته، وخبأت أوراقه حتى تلقى أوامر خدمته الفعالة. وسحبت له بنفسى مواد تجهيزاته، وعندما غادر إلى خدمته الفعالة ذات الستة أشهر، لم يره أحد فى تجهيزاته. لقد حولته إلى شبح.

ولكننى كنت أدرك الآن أن كل هذا العمل كان يسخن جدا وكان يشمل ناسًا أقوياء. ولكننى لم أكن ميرلين الساحر بلا سبب. ارتديت قبعتى المرصعة بالنجوم وبدأت تقليب الأمر على وجوهه. سينفجر ذات يوم. وإننى قد غطيت نفسى جيداً فيما عدا بالنسبة للنقد المخبوء فى بيتى. إن على أن أخفى ذلك النقد. كان ذلك أول شىء. ثم إن على أن أظهر دخلاً آخر حتى أتمكن من أن أنفق المال علانية.

يمكننى أن أخبئ نقودى مع كولى فى لاس فيجاس. ولكن ماذا لو أن كولى أعجبه أن يتذاكى أو قُتل؟ أما فيما يخص جعل المال شرعيا، فقد كانت عندى طلبات للقيام بعروض كتب وأعمال فى مجلات إلا أننى كنت أردها دومًا. كنت قصّاصًا خالصًا، وكاتب خيال. إن كتابة شىء آخر يبدو وكأنه يحط من منزلتى ومنزلة فنى. ولكن ما المشكلة، لقد كنت محتالاً، لم يكن ثمة شىء أدنى منى الآن.

دعانى فرانك للذهاب معه إلى الغداء فوافقت. كان فرانك فى وضع ممتاز. متكلاً على الحظ، سيد الدنيا. كان له أسبوع حافل بالأرباح من اللعب وكان المال يتدفق. من دون إحساس بما يمكن أن يجىء به المستقبل، كان يتصور أنه سيظل يربح، وأن مزحة الرشوة كلها ستبقى إلى الأبد. حتى دون أن يفكر بنفسه كساحر، كان يفكر فى عالم سحرى.

- ١٢ -

كان بعد ذلك بنحو أسبوعين أن رتب وكيلى موعداً لى مع رئيس تحرير مجلات (إفرى داى). وكانت هذه مجموعة مطبوعات تغرق الرأى العام الأمريكى بالمعلومات، وشبه المعلومات، الجنس وشبه الجنس، الثقافة والفلسفة العميقين: مجلات سينما، ومجلات مغامرات للعمال ذوى الياقات الزرق، شهرية رياضية، وهزليات للصيد وصيد الأسماك. وكانت قائدة "طبقتها"، مجلة الصدارة قد مالت إلى العزاب المتأرجحين ذوى الميل إلى الأدب والسينما الطليعية.

بوصفها مائدة شطائر حقيقية، كانت إفرى داى تختطف الكتّاب المستقلين لأنه كان عليهم أن ينشروا نصف مليون كلمة شهريا. أخبرنى وكيلى أن رئيس التحرير يعرف أخى، آرتى، وأن آرتى قد تلفن له ليمهد الطريق.

فى مجلات إفرى داى كان كل الناس يبدون فى غير أماكنهم. لم يكن يبدو على أحد أنه ينتمى إلى هناك. مع ذلك كانوا يصدرون مجلات مريحة. غريب، ولكننا فى الحكومة الاتحادية كنا نبدو جميعًا مناسبين، وكان الجميع سعداء ومع ذلك كنا نؤدى عملاً وضيعاً.

كان رئيس التحرير، (إدى لانسر)، قد درس مع أخى فى جامعة (ميسورى)، وكان أخى هو الذى ذكر العمل أولاً لوكيلى. طبيعى أن لانسر عرف أننى غير مؤهل تماماً للعمل بعد دقيقتين من المقابلة. وكذلك عرفت أنا. اللعنة، لم أكن أعلم ما هو الفناء الخلفى لمجلة. ولكن مع لانسر، كان هذا نقطة إيجابية. لم يكن يبالى قط بالتجربة. ما كان يتطلع إليه لانسر هو رجال فيهم لمسة شيزوفرينيا. وقد أخبرنى فيما بعد أننى كنت مؤهلاً بمستوى عالٍ على ذلك الصعيد.

وكان إدى لانسر روائيًا أيضـا، كان قد نشر كتابًا عجيبًا أحببته قبل سنة بالضبط. كان يعرف عن روايتى وقال إنه أحبها وإن ذلك كان له دور كبير فى الحصول على العمل. على لوحة نشرته كان ثمة عنوان صحفى مشقوق من (التايمز) الصباحية:

وول ستريت يعتبر حرب القنبلة الذرية سيئة.

رآنى أحدق إلى القصاصة فقال: أتظن أن بمقدورك أن تكتب قطعة قصصية قصيرة عن شخص ينزعج لذلك؟. فقلت:

- بالتأكيد. وقد فعلت. كتبت عن مدير شاب يقلق على انخفاض قيمة أسهمه بعد سقوط القنبلة الذرية. لم أرتكب غلطة أن أصب السخرية على الرجل أو أن أكون أخلاقيا. كتبتها مستقيمًا. لو أنك تقبل الفكرة الأساسية، فإنك تقبل الرجل. إن لم تقبل الفكرة الأساسية، فلقد كان ذلك تهكمًا غريبًا.

سرَّ لانسر بها. قال:

- إنك مفصَّل على مجلتنا. إن الفكرة كلها هى إمكان النظر إلى الأمر من الطرفين. البلهى يحبونها والأذكياء يحبونها أيضًا. ممتازة، وتوقف لحظة: إنك تختلف كثيرًا عن أخيك، آرتى. فقلت:

- نعم، أدرى. وأنت أيضًا.

فكشر لانسر بوجهى:

- كنا أفضل الأصدقاء فى الكلية. إنه أكثر الرجال الذين قابلتهم استقامة. تدرى أنه عندما طلب منى إجراء المقابلة لك، دهشت. إنها المرة الأولى التى أجده فيها يطلب معروفًا. فقلت:

- إنه لا يفعل ذلك إلا لى. وقال لانسر:

- أكثر الرجال الذين عرفتهم فى حياتى استقامة. فقلت:

- سيكون ذلك موته، وضحكنا.

كنت ولانسر نعرف أننا من الصامدين. الأمر الذى كان يعنى أننا لم نكن مستقيمين، وأننا كنا محتالين إلى درجة ما. وكان عذرنا أن عندنا كتبًا نكتبها. وهكذا علينا أن نبقى. إن لكل امرئ عذره الخاص والنافذ.

ومما أدهشنى (ولكن لم يدهش لانسر) أننى تكشفت عن كاتب مجلة ممتاز. كان بمقدورى أن أكتب المغامرة الخشنة وقصص الحرب. كان يمكننى أن أكتب قصص الحب ذات الإباحية الخفيفة للمجلة الرئيسية. كان يمكننى أن أكتب استعراض فيلم مبهرجًا، شامخًا ، واستعراض كتاب صاحيًا، شامخًا. أو أستدير إلى الجانب الآخر فأكتب استعراضًا حماسيًا يجعل الناس يريدون أن يخرجوا فيشاهدوا أو يقرأوا بأنفسهم ما هو جيد. ولم أوقع قط باسمى الحقيقى على أى من هذه المواد. بل كنت أخجل منها. كنت أعرف أنها هذر فارغ، ولكننى كنت أحبها مع ذلك. كنت أحبها لأننى لم أمتلك طيلة حياتى مهارة أفخر بها. لقد كنت جنديا فاشلاً، ومقامرًا خاسرًا. لم تكن عندى هواية، ولا مهارات ميكانيكية. لم أكن أستطيع تصليح سيارة، لم أكن أقدر أن أربى نبتة. كنت ضاربًا أخرق على الآلة الطابعة، ولست كاتبًا حكوميا مرتشيًا من الدرجة الأولى حقيقيا. صحيح أننى كنت فنانًا، ولكن ذلك لم يكن شيئًا أباهى به. ذلك مجرد ديانة أو هواية. ولكن الآن عندى هواية حقا، كنت كاتب هذر خبيرًا، وكنت أحب ذلك. خاصة مادمت أكسب معيشة طيبة للمرة الأولى فى حياتى. شرعيا.

كان المال المتحقق عن القصص يبلغ ما معدله أربعمائة دولار شهريًا، ومع شغلى النظامى فى احتياطى الجيش يصل بى إلى نحو مائتى دولار أسبوعيا. وكما لو أن العمل يشع طاقة إضافية، وجدت نفسى أبدأ روايتى الثانية. وكان إدى لانسر يشتغل على كتاب جديد أيضًا، فكنا نقضى أغلب أوقات عملنا معًا نتحدث عن روايتينا أكثر مما نتحدث عن المقالات للمجلة.

ولقد صرنا أخيراً صديقين جيدين بحيث إنه عرض عليَّ، بعد ستة أشهر من العمل المستقل، مركز محرر مجلة. ولكنني لم أكن أريد أن أتخلى عن رشوة ألفين أو ثلاثة آلاف دولار شهريا التي كنت لا أزال أحققها من شغلي في احتياطي الجيش. كانت مأدبة الارتشاء جارية لمدة سنتين بدون أي نوع من العراقيل. صار عندي الآن موقف فرانك عينه. لم أكن أظن أن شيئًا أبدًا يمكن أن يقع. وكذلك، كانت الحقيقة أنني كنت أحب الإثارة والتحفيز في كوني لصاً.

استقرت حياتي على روتين سعيد. كانت كتابتي تسير حسنًا، وفي كل يوم أحد كنت آخذ فالي والأطفال لجولات بالسيارة في (لونج أيلاند)، حيث كانت المنازل العائلية تنتشر كالأعشاب الضارة، ونتفحص النماذج. لقد انتخبنا بيتنا. أربع غرف نوم، حمامان ومجرد عشرة بالمائة دفعة على الحساب من السعر البالغ ستة وعشرين ألف دولار، مع فترة سماح من اثنى عشر شهراً. في الحقيقة، حان الآن أن أطلب من إدي لانسر معروفًا صغيراً. قلت لإدي:

- لقد طالما أحببت لاس فيجاس. أود أن أكتب قطعة عنها. قال:

- بالتأكيد. متى تشاء. تأكد فقط أن تضع فيها شيئًا عن العاهرات. ورتب أمر النفقات. ثم تحدثنا عن الصورة الملونة للقصة. كنا نفعل ذلك معًا دائمًا لأنه أمر لطيف جدا، وكنا نضحك كثيراً. وكالعادة، جاء إدي أخيراً بالفكرة الفعالة. فتاة رائعة الجمال في زي فاضح تؤدي رقصة أرداف وحشية. ومن سرتها يتدحرج زهر أحمر يبين رقم أحد عشر المحظوظ. وسيكون عنوان الغلاف أصب حظًّا مع فتيات لاس فيجاس.

كان ينبغي أن تُنجز مأمورية معينة أولاً. كانت مأمورية ممتازة. كنت سأجري مقابلة مع كاتب أمريكا الأشهر، (أوزانو).

أعطاني إدي لانسر المأمورية لمجلته القائدة، (إفري داي لايف)، المجلة الراقية في السلسلة. بعد تلك، بمقدوري تنفيذ قطعة لاس فيجاس والسفرة.

كان إدي لانسر يعتبر أوزانو أعظم كاتب في أمريكا، ولكنه كان مرعوباً أكثر مما ينبغي ليقوم بإجراء المقابلة بنفسه. وكنت أنا الوحيد من بين الهيئة غير المتأثر بأوزانو.

لم أكن أعتقد أن أوزانو كان بتلك الجودة. وأيضـًا، لم أكن أثق بأى كاتب انبساطى [*] .
ولقد ظهر أوزانو على التليفزيون مائة مرة، صار حكمًا فى مهرجان كان السينمائى،
وأوقف لقيادته متظاهرين فى احتجاجات مهما كان الأمر الذى يحتجون عليه. وأعطى
مدائح مبالغًا فيها لكل رواية جديدة كتبها واحد من أصدقائه.

ثم إنه قد صعد بالطريق اليسيرة. جعلته روايته الأولى، التى صدرت عندما كان
فى الخامسة والعشرين، مشهورًا عالميا. كان له أبوان ثريان، وشهادة حقوق من جامعة
(يال). لم يعرف أبدًا ما معنى أن يكافح من أجل فنه. وفوق كل شىء، كنت قد أرسلت
له أول رواية نشرت لى، آملاً فى التعريف بها، ولكنه لم يشعرنى بتسلمها أبدًا.

عندما ذهبت لإجراء المقابلة مع أوزانو، كانت أسهمه ككاتب مع المحررين عالية
أصلاً. كان لا يزال بمقدوره أن ينال دفعة مقدمة ضخمة على كتاب، وكان لا يزال
يُرهِب النقاد. ولكن أغلب كتبه لم تكن قصصية. لم يتمكن من إتمام كتاب قصصى
واحد خلال السنوات العشر الأخيرة.

كان يشتغل على رائعته، رواية طويلة ستكون أعظم شىء منذ (الحرب والسلام).
جميع النقاد اتفقوا على ذلك. وكذلك كان أوزانو. دفعت له إحدى دور النشر أكثر من
مائة ألف دولار وكانت لا تزال تطالب، دون طائل، بمالها والكتاب بعد عشر سنوات. فى
هذه الأثناء، كتب كتبًا غير قصصية عن موضوعات ساخنة ادعى بعض النقاد أنها
كانت خيرًا من أكثر الروايات. كان يصدرها خلال شهرين ويتلقى صكا سمينًا. ولكن
كل كتاب كان مبيعه أقل. لقد استنفد جمهوره. وهكذا، فقد قبل أخيرًا عرضًا لأن يصير
رئيس تحرير أكثر أقسام عروض الكتب ليوم الأحد نفوذًا فى البلاد.

بقى المحرر قبل أوزانو عشرين سنة فى الشغل. وهو رجل له أوراق اعتماد
عظيمة: جميع أنواع الشهادات، وأفضل الكليات، وعائلة مثقفة، وثرية. ومتقلب
لا يوثق به طيلة حياته. الأمر الذى كان لا بأس به عدا أنه فيما كان يشيخ، كان يصير

(*) يتجه اهتمامه و/أو أشواقه إلى ما هو خارج ذاته .

أكثر شناعة. ذات عصر مشمس مثير للشهوات قبض عليه وهو يلاعب صبى مكتبه خلف حامل كتب بارتفاع السقف كان قد أقامه كحاجز فى غرفته. لو أن صبى المكتب كان كاتبًا إنجليزيا مشهورًا، فلربما لم يكن ليحدث شيء. ولو أن الكتب التى استخدمها لإقامة ذلك الجدار كانت عُرضت، ما كان الأمر ليصير بهذا السوء. ولكن الكتب التى استخدمت لإقامة الجدار لم توزع على جهاز قراءته أو العارضين المستقلين. وهكذا فقد تقاعد ليصير محررًا فخريا.

مع أوزانو، كانت الإدارة تعرف أنها مطمئنة. لقد كان أوزانو موضع ثقة على طول الخط. كان يحب النساء، من جميع الأحجام والأشكال، وفى أى سن. كانت رائحة الفرج تحركه كالمدمن. كان ينكح النساء بالإخلاص الذى يتناول به مدمن الهروين حصته. إن لم يكن أوزانو يحصل على من يركبها ذلك اليوم، أو من تقوم له بالمداعبة على الأقل، كان يصاب بالجنون. ولكنه لم يكن إظهاريا (*). كان يقفل دائمًا باب مكتبه. بعض الأحيان يصطاد الطارئات الصغيرات. فى أحيان أخرى امرأة مجتمع تعتبره أعظم كاتب أمريكى حى. أو روائية جائعة تحتاج إلى بضعة كتب كى تعرضها لتحفظ الجسد والغرور معًا. كان بلا انشغالات: كونه مرشحًا لجائزة نوبل فى الأدب. كان يقول إن جائزة نوبل هى ما كانت توقع السيدات المثقفات حقا. وطوال السنوات الثلاث الأخيرة كان قد شن حملة مسعورة من أجل نوبل بمساعدة كل أصدقائه الأدباء، وكان يمكنه أن يرى هاته السيدات مقالات فى مجلات فصلية راقية ترشحه للجائزة.

من الغريب حقا أن أوزانو لم يكن عنده غرور عن سحره الجسدى - مغناطيسيته الشخصية. كان يلبس حسنًا، ينفق مالاً كبيرًا على ملابسه، ومع ذلك فقد كان صحيحًا أنه لم يكن جذابًا جسديً. كان وجهه كله عظمًا غير متناسب، وعيناه خضراوين شاحبتين مختلستين. ولكنه أهمل النشاط المتقد النابض بالحياة الذى كان جذابًا لكل الناس. فى الحقيقة، كان جزء كبير من شهرته لا يستقر على إنجازه الأدبى وإنما على شخصيته، التى تشمل ذكاءً لامعًا سريعًا ، إنه جذاب للرجال كما للنساء.

(*) محبًا لعرض عورته أو نشاطه الجنسى .

ولكن النساء يصيبهن الجنون عليه، بنات كلية لامعات، وعقيلات مجتمع جيدات القراءة، ومكافحات (حركة تحرير المرأة) اللائى كن يشتمنه ثم يحاولن أن يوقعن به كى يقيِّدنها ضده، فيما يقال، كما كان الرجال يفعلون مع النساء فى العصر الفيكتورى. وكانت إحدى ألاعيبه هى التوجه حقا إلى النساء فى كتبه.

لم أحب إنتاجه أبداً، ولم أتوقع أن أحبه هو. إن العمل هو الرجل. فيما عدا أنه اتضح أن هذا غير صحيح. فبعد كل شىء، ثمة بعض الأطباء المتعاطفين، والمعلمون المحبون للاستطلاع، وبعض المحامين النزيهون، والسياسيون المثاليون، ثمة نساء فاضلات، ممثلون سليمو العقول، وكتاب حكماء. وهكذا فإن أوزانو، رغم أسلوبه البذىء، والضغينة فى عمله، كان فى الواقع رجلاً عظيماً يتسكع المرء معه وليس وجعًا كبيراً فى العجيزة أن يستمع له المرء، حتى عندما يتحدث عن كتابته.

على أية حال، كانت عنده إمبراطورية حقا بوصفه محرر عروض الكتب: سكرتيرتان، وعشرون قارئ دائم، وحشد كبير من النقاد المستقلين من كتّاب صدور القوائم إلى شعراء جوعى، وروائيين فاشلين، وأساتذة كليات ومثقفين قساة متدفقين. كان يستخدمهم جميعًا ويكرههم جميعًا. وكان يدير الاستعراضات مثل مجنون.

إن الصفحة الأولى من استعراض الأحد شىء يقتل الكاتب نفسه من أجله. وكان أوزانو يعرف ذلك. كان ينال الصفحة الأولى آليا عندما يصدر له كتاب، فى كل عروض الكتب فى البلاد. ولكنه كان يكره معظم كتاب القصة، كان يغار منهم. أو يكون له ضغينة ضد ناشر الكتاب. وهكذا كان يأخذ سيرة لنابليون أو كاترين العظمى فيجعل أستاذ كلية من الوزن الثقيل يكتب عنها ويضع ذلك فى الصفحة الأولى. كان الكتاب وعرضه عادة لا يُقرآن على السواء، ولكن أوزانو كان يسعد. لقد أغاظ الجميع.

فى المرة الأولى التى رأيت فيها أوزانو كان مصداقًا لكل قصص المجتمع الأدبى، وكل الثرثرة، وكل الصور الشعبية التى سبق له أن خلقها. لقد لعب دور الكاتب العظيم لى، باستمتاع طبيعى. ولقد كانت عنده المستلزمات لمطابقة الخرافة.

خرجت إلى الهامبتونز، حيث اتخذ أوزانو منزلاً صيفيا، ووجدته محتجبًا (وتلك كلمته) مثل سلطان قديم. فى سن الخمسين كان عنده ستة أطفال من أربع زيجات مختلفة، وفى ذلك الوقت لم يكن قد بلغ علامته الخامسة، والسادسة ثم السابعة النهائية. كان يرتدى سروال تنس أزرق طويلاً وجاكتة تنس مفصلة خصيصًا لتخفى بطنه، التى كبرتها الجعة، البارزة. كان وجهه مؤثرًا شديد التجاعيد أصلاً. وعلى الرغم من عينيه الخضراوين، كان يمكنه أن يصير عذبًا بشكل طبيعى. اليوم، كان عذبًا. مادام رئيس أقوى مجلة عرض أدبية ليوم الأحد، كان الجميع يلحسون مؤخرته بأقصى إخلاص فى كل مرة ينشر فيها. لم يكن يدرى أننى قادم لأقتله، لأننى كنت كاتبًا غير ناجح له رواية واحدة نشرت والثانية تلقى صعوبة فى الصدور. صحيح، لقد كتب رواية كبيرة تكاد تكون عظيمة. ولكن باقى عمله كان روثًا، ولو أن إفرى داى لايف كانت تسمح لى، فسأبين للعالم ممَّ كان هذا الرجل يتكون حقا.

كتبت المقالة على ما يرام، وأمسكت به فى مقتل. ولكن إدى لانسر رفضها. كانوا يريدون لأوزانو أن يصير قصة سياسية كبيرة، وما كانوا ليريدون أن يغضب. وهكذا، كان ذلك يومًا مضيعًا. فيما عدا أنه لم يكن كذلك حقا. لأن أوزانو تلفن لى بعد سنتين وعرض علىَّ شغلاً أن أعمل مساعدًا له فى مجلة عرض كتب كبيرة جديدة. تذكرنى أوزانو، قرأ المقالة التى قتلتها المجلة، وأحب شجاعتى، أو أن هذا ما قاله. قال إن ذلك بسبب كونى كاتبًا جيدًا وأُحبُ فى عمله الأشياء ذاتها التى يحبها هو.

فى ذلك اليوم الأول جلسنا فى حديقته نراقب أطفاله يلعبون التنس. ولابد من أن أقول الآن بالضبط إنه كان يحب أطفاله حقا، وإنه كان جيدًا تمامًا معهم. ربما لأنه كان هو نفسه طفلاً إلى حد كبير. على كل حال، جعلته يتحدث عن النساء وحركة تحرر النساء والجنس. وكان يلقى مع حديثه حبًّا. كان مسليا إلى حد كبير. ومع أنه كان فى كتاباته يساريا عظيمًا لكل الأزمان، فقد كان بمقدوره أن يصير شوفينيًّا تكساسيًّا. قال، وهو يتحدث عن الحب، إنه ما إن يقع فى حب فتاة، كان يكف دائمًا عن الغيرة من زوجته. ثم اتخذ نظرة الكاتب ، ورجل الدولة الكبير خاصته، وقال : لا يسمح لأى رجل

أبدًا أن يغار من أكثر من امرأة فى كل مرة ، ما لم يكن من أهالى بورتوريكو. كان يشعر أن بمقدوره أن يروى النكات عن أهالى بورتوريكو لأن سجله الراديكالى كانت خلوًا من أى نقص.

خرجت مدبرة المنزل لتصيح على الأطفال الذين كانوا يتعاركون على لعبة فى ساحة التنس. كانت مدبرة منزل مترئسة إلى حد كبير ومتكبرة إلى حد كبير مع الأطفال، كما لو كانت أمهم. وكانت أيضًا امرأة أنيقة بالنسبة لسنها، الذى كان يقارب سن أوزانو. تعجبتُ للحظة. خاصة عندما رمقتنا معًا بنظرة محتجرة قبل أن تدخل المنزل مرة أخرى.

جعلته يتحدث عن النساء، الأمر الذى كان يسيرًا. اتخذ وضع المتهكم، وهو وضع عظيم دائمًا يتخذه المرء عندما لا يكون شغوفًا بسيدة معينة. كان تسلطيا جدا، كما يناسب كاتبًا كتبت عنه شائعات أكثر مما كتب عن روائى منذ همينجواى. قال:

- اسمع أيها الطفل، الحب مثل عربة اللعب الحمراء التى تأخذها فى عيد الميلاد عند بلوغك السادسة من العمر. إنها تجعلك سعيدًا باهتياج ولا يعود يمكنك أبدًا أن تتركها. ولكن عاجلاً أم آجلاً ستنتزع العجلات. عندئذ تتركها فى زاوية وتنساها. أن تقع فى الحب عظيم. أما أن تكون فى الحب فكارثة.

فقلت، وأنا أسأل بهدوء وبالاحترام الذى كان يظن نفسه يستحقه:

- وماذا عن النساء، أتظن أنهن يفكرن بالطريقة ذاتها ما دمن يزعمن أنهن يفكرن كما يفكر الرجال؟.

فعرض علىَّ نظرة سريعة من تينك العينين الخضراوين بشكل مدهش. كان قد أحس بما أريد. ولكن ذلك كان لا بأس به. كان ذلك أحد الأشياء العظيمة بخصوص أوزانو حتى عند ذاك. وهكذا فقد استمر:

- تظن حركة تحرير النساء أن عندنا القوة والسيطرة على حيواتهن. إن هذه الفكرة لسخيفة، على طريقتها، سخافة تفكير رجل ما بأن النساء أنقى جنسيا من الرجال. إن النساء يمكن أن ينكحن أيًّا كان، فى أى وقت، فى أى مكان، إلا أنهن

يخشين الكلام. وثرثرات حركة تحرير النساء الفارغة عن جزء في المائة من الرجال الذين لديهم القوة. إن هؤلاء الأشخاص ليسوا رجالاً. إنهم حتى ليسوا بشراً. إن ذلك من يتعين على النساء أن يأخذن مكانه. إنهن لا يعرفن أنه يتعين عليك أن تقتل كي تصل إلى هناك. فقاطعته:

- إنك واحد من أولئك الرجال. أشار أوزانو برأسه مؤيداً:

- نعم، ومجازًا تعين عليَّ أن أقتل. إن ما ستناله النساء هو ما متوفر عند الرجال، الذي هو، القرحات، والسكتات القلبية. إضافة إلى عدد من الأعمال الحقيرة التي يكره الرجال أن يؤدوها. ولكنني مناصر كليًّا للمساواة. سأقتل هذه الفروج عندئذ. اسمع، إنني أدفع نفقة لأربع نساء سليمات يمكنهن أن يكسبن قوتهن. كل ذلك لأنهن لسن مساويات. فقلت:

- إن أمورك مع النساء شهيرة شهرة كتبك تقريبًا. كيف تعالج النساء؟، فكشر أوزانو نحوي:

- إنك لست مهتما بكيفية كتابتي الكتب.

فقلت متملقًا:

- إن كتبك تتحدث عن نفسها. فألقى عليَّ نظرة أخرى طويلة متنكرة، ثم واصل:

- لا تعامل امرأة قط على نحو جيد أكثر مما ينبغي. إن النساء يلتصقن بالسكارى، والمقامرين، وأسياد العواهر، وحتى بالمؤذين ضربًا. إنهن لا يمكن أن يتحملن فتى طيبًا عذبًا. أتدري لماذا؟ إنهن يسأمن. إنهن لا يردن أن يكنَّ سعيدات. فذلك ممل. فسألته:

- هل تؤمن في أن تكون مخلصًا؟.

- بالتأكيد أومن. اسمع، أن تكون محبا يعني أن تجعل شخصًا آخر الشيء المركزي في حياتك. عندما لا يعود ذلك موجوداً، فإنه لا يعود حبًّا بعد. إنه شيء آخر. ربما شيء أفضل، أكثر عملية. إن الحب أساسًا علاقة غير عادلة، وغير ثابتة، وممسوسة بجنون العظمة. والرجال فيها أسوأ من النساء. يمكن للمرأة أن تنكح مائة مرة،

من دون أن تحب ذلك مرة واحدة، ويمسك الرجل ذلك ضدها . ولكن من الصحيح حقا أن الخطوة الأولى على المنحدر هى حين لا تعود تريد أن تنكح عندما تريد أنت ذلك. اسمع، لا يوجد عذر. لا تبال الصراعات. لا هذر. ما إن تبدأ امرأة برفضك فى الفراش حتى يكون انتهى كل شىء. ابدأ البحث عما يسندك. لا تقبل عذراً.

سألته عن النسوة اللائى يشعرن بهزة الجماع ، اللواتى يمكن أن تتحقق لهن عشر هزات مقابل واحدة للرجل. فهز رأسه رافضاً ذلك، قال:

- النساء لا يبلغن الذروة كالرجال. بالنسبة لهن هى نفخة صغيرة، لا تشبه ذروة الرجل. إن الرجال ينسفون حقًا مخاخهم مع عقولهن. لقد كان فرويد قريبًا، ولكنه أضاع الأمر. إن الرجال ينكحون حقًا. ولا تفعل النساء.

حسنًا، لم يكن يؤمن بذلك على طول الخط، ولكننى كنت أدرى ما كان يقول. كان نمطه هو المبالغة.

نقلته إلى الطائرات السمتية. كانت عنده هذه النظرية القائلة إن السيارة ستكون عاطلة خلال عشرين سنة، وإن كل امرئ ستكون لديه مروحيته الخاصة. كل ما كانت تحتاجه هو بعض التحسينات الفنية حيث تمكِّن موجهة القوة الآلية والمكابحُ كلَّ امرأة من القيادة فتعطل السكك الحديدية. قال:

- نعم، ذلك واضح. وما كان واضحًا أيضًا أنه كان هذا الصباح منصبًّا على النساء، وهكذا فقد انتقل عائداً:

- إن الفتيان اليوم هم على الطريق الصحيح. يقولون لصاحباتهم: صحيح، يمكنك أن تنكحى أى رجل تريدين، وسأبقى أحبك. إنهم مليئون بالهراء على هذا النحو. اسمع، إن كل رجل يعرف أن المرأة ستنكح الغرباء سيفكر فيها على أنها متلاعبة.

لقد استفزنى التشبيه وتعجبت.. أوزانو العظيم، الذى تشعر النساء خصوصًا جنونًا نحو كتاباته. أذكى عقل فى الأدب الأمريكى. الذهن الأكثر انفتاحًا. إما أننى

كنت أضيع النقطة التى يريد إثارتها أو أنه كان مليئًا بالهراء. رأيت مدبرة منزله تصفع بعض الأطفال الصغار من حولها. فقلت:

ـ لابد من أنك تمنح مدبرة منزلك مقدارًا كبيرًا من السلطة.

الآن صار حادًا جدا بحيث أدرك كل شىء دون حتى أن يجرب. كان يعرف بالضبط كيف كنت أشعر بصدد ما كان يقول. ربما كان هذا هو السبب فى كونه يقول لى الحق، القصة كلها عن مدبرة منزله. لمجرد أن ينخسنى. قال:

ـ إنها زوجتى الأولى. إنها أم أكبر ثلاثة من أطفالى.

وضحك عندما رأى النظرة على وجهى:

ـ كلا، أنا لا أنكحها. ونحن نتفاهم على نحو جيد. إننى أعطيها مرتبًا جيدًا، لكننى لا أعطيها نفقة. إنها الزوجة الوحيدة التى لا أدفع لها نفقة.

كان واضحًا أنه يريدنى أن أسأل عن السبب. ففعلت.

ـ لأننى عندما كتبت كتابى الأول وصرت ثريا، دخلت المسألة رأسها. غارت منى لأننى صرت شهيرًا وأنال قدرًا كبيرًا من الاهتمام. كانت هى تريد الاهتمام. وهكذا فقد أعطاها شاب، أحد المعجبين بعملى، العمل، فانخدعت بذلك. كانت تكبره بخمس سنوات، ولكنها كانت امرأة محبة للجنس على الدوام. لقد عشقت حقا. إننى أقر لها بهذا. وما لم تدركه أنه ما كان ينكحها إلا ليذل الروائى العظيم أوزانو. وهكذا فقد طلبت الطلاق ونصف المال الذى حققه كتابى. كان ذلك مناسبًا لى. أرادت الأطفال، ولكننى لم أكن أريد أن يكون أطفالى على مقربة من ذلك التافه الذى كانت تعشقه. وهكذا، فقد أخبرتها أنها عندما تتزوج الرجل، ستحصل على الأطفال. حسنًا، لقد ظل ينكحها سنتين مطيحًا بعقلها وأطار كل دراهمها. ونسيت هى ما يتعلق بالأطفال. كانت امرأة شابة مرة أخرى. كانت، بالطبع، تأتى لرؤيتهم كثيرًا، ولكنها كانت مشغولة بالسفر إلى جميع أنحاء العالم بدراهمى ومضغ إحليل الشاب ممزقة إياه. عندما ينفد المال، يُقلع. تعود وتطلب الأطفال. ولكن عند هذه المرحلة لم تكن عندها قضية. كانت

هجرتهم لسنتين. وهى تفتعل مشهداً كبيراً عن كيف أنها لا تستطيع العيش بدونهم. وهكذا، فقد أعطيتها عملاً كمدبرة منزل.

قلت له ببرود:

ـ ربما كان ذلك أسوأ شيء أسمع به على الإطلاق.

توهجت العينان الخضراوان المدهشتان لحظة. ولكنه ابتسم عندئذ وقال متأملاً:

ـ أظنها تبدو على هذا النحو. ولكن ضع نفسك مكانى. إننى أحب أن يكون أطفالى من حولى. لماذا لا يحصل الأب على الأطفال قط؟ أى نوع من الروث هذا؟ أتدرى أن الرجال لا يشفون أبداً من هذا الروث؟ إن الزوجة يصيبها التعب من كونها متزوجة، وهكذا يفقد الرجال أطفالهم. وصمد الرجال للمسألة لأن خصاهم تكون قد اقتطعت. حسنًا، أنا لم أصمد لها. احتفظت بالأطفال وتزوجت ثانية مباشرة. وعندما بدأت تلك الزوجة تهيج الروث، تخلصت منها هى الأخرى.

فقلت بهدوء:

ـ ماذا عن أطفالها؟ كيف يشعرون إزاء كون أمهم مدبرة منزل؟.

فتوهجت العينان الخضراوان مرة أخرى:

ـ أوه.. إننى لا أحط من شأنها. إنها مجرد مدبرة منزلى بين الزوجات؛ وفيما عدا ذلك هى أشبه ما تكون بمربية مستقلة. إن لها بيتها الخاص. أنا المالك. اسمع، لقد فكرت بإعطائها مالاً أكثر، بشراء بيت لها وجعلها مستقلة. ولكنها فرج أحمق مثلهن جميعًا. ستصير بغيضة مرة أخرى. ستسقط فى البلاليع. وهو أمر لا بأس به ولكنها ستسبب لى مزيداً من الإزعاج وإن عندى كتبًا أكتبها. وهكذا، فأنا أسيطر على مالها. إن لها حياة جيدة حقا منى. وهى تعرف أنها إن شذت عن الطريق، ستقع على عجيزتها وتقعد تفرك من أجل معيشتها. ذلك ناجح.

قلت وأنا أبتسم:

- أيمكن أن تكون مضادا للمرأة؟، فضحك:

- إنك تقول: هذا الرجل تزوج أربع مرات، وهو ليس مضطرا حتى لإنكار ذلك. ولكن حسنًا. إننى ضد حركة تحرر المرأة بمعنى ما. لأن أغلب النساء الآن مجرد مليئات بالهراء. ربما لم تكن تلك غلطتهن. اسمع، أية امرأة لا تريد أن تنكح ليومين متتالين، تخلص منها. ما لم تكن مضطرة للذهاب إلى المستشفى فى سيارة إسعاف. حتى إن كانت لها أربعون غرزة فى فرجها. أنا لا أبالى إن كانت تستمتع بالأمر أم لا. فى بعض الأحيان، لا أستمتع به وإنما أفعله ويتعين أن يكون عندى انتصاب. ذلك شغلك إن كنت تحب أحدًا، إن عليك أن تنكحهن حتى الخبال. يا للمسيح، لست أدرى لماذا أبقى أتزوج. لقد أقسمت ألا أفعلها ثانية، ولكننى أنخدع دومًا. إننى أعتقد دائمًا أنه ليس الزواج ما يجعلهن غير سعيدات. إنهن مليئات جدا بالهراء.

- مع توفر الظروف المناسبة، ألا تظن أن النساء يمكن أن يكن مساويات؟.

هز أوزانو رأسه سلبًا:

- إنهن ينسين أنهن يشخن على نحو أسوأ من الرجال. إن رجلاً فى الخمسين يمكن أن يحصل على الكثير من النسوة الشابات. لكن امرأة فى الخمسين تجد ذلك صعبًا. بالتأكيد، عندما يحصلن على القوة السياسية سيشرعن قانونًا يحمل الرجال فى سن الأربعين أو الخمسين على إجراء عملية جراحية كى يبدوا أسن فيساوين الأمور. هذه كيفية عمل الديمقراطية. وذلك ملىء بالخراء أيضًا. اسمع، إن النساء نصيبهن جيد. ليس لهن أن يشتكين.

فى الأيام الخوالى لم يكنَّ يعرفن أن لهن حقوقًا فى الزواج. لم يكن يمكن فصلهن مهما كانت حقارة العمل الذى يقمن به. حقارة فى الفراش. حقارة فى المطبخ. ومن الذى يتمتع مع زوجته بعد مرور بضع سنوات؟ وإن تمتع، فإنها لفرج. والآن يردن أن يكنَّ مساويات. أطلقنى عليهن. سأمنحهن المساواة. إننى أعرف عمَّ أتكلم، فلقد تزوجت أربع مرات. ولقد كلفنى ذلك كل قرش كسبته.

لقد كان أوزانو يكره النساء حقا ذلك اليوم. بعد شهر تناولت صحيفة الصباح فقرأت أنه تزوج للمرة الخامسة. ممثلة فى فرقة مسرحية صغيرة. كانت فى نصف عمره. كثيراً جدا على شعور أبرز رجل فى الأدب الأمريكى. لم أحلم قط أننى سأعمل له ذات يوم وأكون معه حتى يموت، أعزب بشكل يشبه المعجزة ولكن لا يزال عاشقًا لامرأة، للنساء.

لقد فهمت ذلك اليوم عبر كل الهراء. كان مجنونًا بالنساء. تلك كانت نقطة ضعفه. وكان يكرهها.

- ١٣ -

صرت أخيرًا جاهزًا لسفرتى إلى لاس فيجاس كى أرى كولى ثانية. ستكون تلك المرة الأولى فى أكثر من ثلاث سنوات، ثلاث سنوات منذ أن نسف جوردان نفسه فى غرفته، رابح الأربعمائة ألف دولار.

كنت وكولى قد حافظنا على اتصالنا. كان يتلفن لى بضع مرات شهريا ويرسل هدايا عيد الميلاد لى ولزوجتى وأطفالى، أشياء كنت أميز أنها قادمة من محل هدايا فندق كسانادو، حيث أعرف أنه يحصل عليها مقابل جزء من أسعار بيعها أو، لكونى أعرف كولى، حتى لقاء لا شىء. ولكن مع ذلك، كان لطيفًا منه أن يفعل ذلك. كنت قد أخبرت فالى عن كولى، ولكننى لم أخبرها قط عن جوردان.

كنت أعرف أن لكولى عملاً جيدًا فى الفندق، لأن سكرتيرته كانت تجيب على الهاتف بلقب مساعد الرئيس. وكنت أتساءل كيف تمكن أن يتسلق خلال بضع سنوات إلى هذا الارتفاع. تبدل صوته وطريقة تكلمه فى الهاتف، كان يتكلم بنغمة أوطأ، كان أكثر صدقًا، وأكثر أدبًا، وأدفأ. ممثلاً يمثل دورًا مختلفًا. على الهاتف، كانت مجرد ثرثرة فارغة ولغو عن الرابحين الكبار وكبار الخاسرين والقصص المسلية عن أشخاص ينزلون الفندق. ولكن لا شىء أبدًا عن نفسه. وكان أحدنا يذكر جوردان أخيرًا، عادة قرب انتهاء المكالمة، أو ربما كان ذكر جوردان هو ما ينهى المكالمة. كان محكّنا.

حزمت فالى حقيبة ملابس. كنت ماضيًا فى عطلة نهاية الأسبوع، وهكذا لن أضيع أكثر من يوم عمل واحد فى شغلى باحتياطى الجيش. وفى المستقبل البعيد، كما كنت أرى، ستعطينى قصة المجلة الغطاء الذى سأقدمه للشرطة عن سبب سفرتى إلى فيجاس.

كان الأطفال فى الفراش عندما كانت فالى تحزم حقيبتى لأننى كنت أغادر باكراً غداً. منحتنى ابتسامة صغيرة:

- يا الله، كانت المرة الأخيرة التى ذهبت فيها رهيبة. ظننتك لن ترجع. فقلت:

- كنت مجرد مضطر للابتعاد حينئذ. كانت الأمور تمضى سيئة. فقالت فالى متأملة:

- لقد تغير كل شىء منذ ذلك الحين. قبل ثلاث سنوات لم يكن عندنا مال قط. ياه، كنا من الإفلاس بحيث كنت أضطر أن أسأل أبى بعض المال وكنت أخشى أن تكتشف. وكنت تتصرف وكأنك ما عدت تحبنى. لقد غيرت تلك الرحلة كل شىء. كنت مختلفاً عندما عدت. لم تعد تغضب علىَّ بعد، وكنت أكثر حلماً مع الأطفال. وحصلت على عمل مع المجلات. فابتسمت لها:

- تذكرى، عدت رابحاً. بضعة آلاف دولار إضافية. ربما لو كنت قد عدت خاسراً، لكانت تلك قصة مغايرة تماماً.

طقطقت فالى الحقيبة مغلقة إياها، وقالت:

- لا. كنت مختلفاً. كنت أسعد، أسعد مع الأطفال ومعى. فقلت:

- اكتشفت ما كان يعوزنى. قالت:

- آه، نعم. مع كل هاتيك الصيادات فى فيجاس. فقلت:

- إنهن يكلفن كثيراً. كنت أحتاج إلى مالى لأقامر.

كان ذلك مزاحاً كله، ولكن جزءاً منه كان جديًّا. لو أننى أخبرتها الحقيقة، أننى لم أنظر أبداً إلى امرأة أخرى، ما كانت لتصدقنى. ولكن بمقدورى أن أقدم أسباباً جيدة. لقد أحسست بالذنب كثيراً لكونى زوجاً وأباً بهذه الحقارة بحيث لا يستطيع أن يقدم لعائلته شيئاً، لا يستطيع حتى أن يوفر لها حياة كريمة، فما كنت لأستطيع أن أضيف إلى ذلك إثم ألا أكون مخلصاً لها. وكانت الحقيقة القاطعة أننا كنا محظوظين جداً فى

الفراش معًا. لقد كانت حقا كل ما أريد، كاملة بالنسبة لى. وأظننى كنت كاملاً بالنسبة لها. سألتْ:

- ألن تشتغل الليلة؟. كانت فى الواقع تسأل ما إذا كنا سنمارس الحب أولاً لكى تتهيأ. ثم، بعد أن نكون قد مارسنا الحب، كنت عادة أنهض وأشتغل على كتابتى وتستغرق هى فى نوم من العمق بحيث لا تتحرك حتى الصباح. كانت نؤومًا عظيمة. وكنت متخلفًا فى ذلك. قلت:

- نعم. أريد أن أعمل. إننى متهيج جدا بصدد الرحلة بحيث لا أستطيع النوم على أية حال.

كان الوقت قريبًا من منتصف الليل، ولكنها ذهبت إلى المطبخ لتعد لى وعاء قهوة طازجًا وبعض الشطائر. كنت سأشتغل حتى الثالثة أو الرابعة صباحًا ثم أستيقظ مع ذلك قبلها فى الصباح.

كان أسوأ شىء فى كون المرء كاتبًا، بالنسبة لى على الأقل عندما كنت أعمل جيداً، هو عدم التمكن من النوم: ممددًا فى الفراش، ما كنت أستطيع أبدًا إطفاء الماكينة فى دماغى، التى كانت تواصل التفكير فى الرواية التى كنت أشتغل عليها. فيما كنت أتمدد فى الظلام، كانت الشخصيات تصير من الحقيقية بالنسبة لى بحيث كنت أنسى زوجتى وأطفالى والحياة اليومية. ولكن هذه الليلة كان عندى سبب أقل أدبية. كنت أريد أن تنام فالى لكى أتمكن من أن آخذ مخبوئى الكبير من مال الرشوة من مكمنه.

من صوان غرفة النوم امتداداً إلى أظلم زاوية فيه أخذت جاكتة رياضيى لاس فيجاس الرابحين خاصتى وحملتها إلى المطبخ. لم أكن قد لبستها أبدًا منذ عدت إلى البيت من لاس فيجاس قبل ثلاث سنوات. كانت ألوانها البراقة قد خبت فى ظلمة الصوان، ولكنها لا تزال مبهرجة جدا. لبستها ودخلت إلى المطبخ. ألقت فالى نظرة عليها وقالت:

- يا ميرلين، إنك لا تريد أن تلبس هذه!. فقلت:

ـ جاكتة حظى. وإضافة إلى ذلك فهى مريحة لركوب الطائرة. كنت أدرى أنها قد خبأتها فى الصوان كى لا أراها ولا أفكر فى ارتدائها أبداً. لم تكن تجرؤ على رميها بعيداً. ستكون الجاكتة نافعة الآن. تنهدت فالى:

ـ إنك لكثير الإيمان بالخرافات.

كانت على خطأ. كنت نادراً ما أومن بالخرافات حتى مع كونى أظننى ساحراً، وليس ذلك، والحق يقال، الشىء ذاته.

بعد أن قبلتنى فالى قبلة المساء وآوت إلى الفراش، تناولت بعض القهوة وألقيت نظرة على المخطوطة التى كنت أخرجتها من طاولتى فى غرفة النوم. انصب عملى على مجرد التحرير نحو ساعة. ألقيت نظرة متلصصة على غرفة النوم فرأيت فالى غارقة فى نوم عميق. قبلتها قبلة خفيفة جدا. لم تتحرك. الآن أحببت كونها قبلتنى قبلة المساء، القبلة البسيطة، قبلة الواجب، الزوجية التى تبدو وكأنها تحمينا من كل الوحدة وروح الخيانة للعالم الخارجى. وغالبًا ما كنت، وأنا منطرح فى الفراش، فى ساعات الصباح المبكرة، وفالى نائمة وأنا عاجز عن النوم، أقبلها على نحو خفيف جدا على الفم، راجيًا أن تستيقظ وتجعلنى أحسنى أقل وحدة بممارسة الحب. ولكننى كنت أدرك هذه المرة أننى أعطيتها قبلة يهودا، جزئيا على سبيل الحب، ولكن فى الحقيقة لأطمئن إلى أنها لن تستيقظ عندما أستخرج المال المخبوء.

أغلقت باب غرفة النوم ثم ذهبت إلى صوان الصالة الذى كان يضم الحقيبة الكبيرة التى كانت تحوى كل مخطوطاتى، نسخ الكاربون من روايتى والمخطوطة الأصلية من الكتاب الذى اشتغلت عليه خمس سنوات وكسب لى ثلاثة آلاف دولار. كانت كمية كبيرة حد اللعنة من الأوراق، كل التنقيحات والنسخ الكاربونية، والأوراق التى كنت تصورت أنها ستجعلنى غنيا وشهيراً ومكرمًا. نقَّبت إلى أسفل حتى المحفظة الحمراء الكبيرة بغلافها الليفى. سحبتها وجلبتها إلى المطبخ. وأنا أرشف القهوة، عددت المال. أكثر قليلاً من أربعين ألف دولار. كان المال ينهمر سريعًا جدا مؤخراً. كنت

قد صرت رائد المرتشين، بزبائن أثرياء واثقين. نوات العشرين، التى بلغ مجموعها نحو سبعة آلاف دولار، تركتها فى الظرف. كان ثمة ثلاثة وثلاثون ألفًا من نوات المائة، وضعت هذه فى خمسة أظرف طويلة كنت قد جلبتها من طاولتى. ثم حشرت الأظرف المليئة مالا فى الجيوب المختلفة من جاكتة رياضيى فيجاس الرابحين. سددت سحابات الجيوب وعلقت الجاكتة على ظهر مقعدى.

فى الصباح، عندما تعانقنى فالى مودعة، ستحس شيئًا فى الجيوب، ولكننى سأخبرها أنها بعض الملاحظات للمقالة، آخذها معى إلى فيجاس.

- ١٤ -

عندما هبطت من الطائرة، كان كولى ينتظرنى عند باب الخروج. كان المطار لا ليزال صغيراً جدا بحيث تعين علىّ أن أمشى من الطائرة، ولكن أعمال البناء كانت قائمة لإنشاء جناح جديد لمحطة الركوب والنزول - كانت فيجاس تكبر. وكذلك كان كولى.

كان يبدو مختلفًا، أطول وأنحف. وكان يلبس بأناقة بدلة ساى ديفور(*) وقميصًا رياضيا. كان لشعره تسريحة مختلفة. ولقد دهشت عندما عانقنى وقال:

- ميرلين القديم ذاته. ضحك على جاكتة رياضيى فيجاس الرابحين وأخبرنى أن علىّ أن أتخلص منها.

كان قد أخذ لى جناحًا كبيرًا فى الفندق فيه مقصف مملوء بالمسكرات وزهور على الطاولات. قلت:

- لابد من أن عندك كثيراً من الموارد. فقال كولى:

- إننى أكسب جيداً. لقد تركت القمار. أنا على الجانب الآخر من الموائد، كما تعرف. قلت:

- إى. لقد أحسست بشىء غريب فى كولى الآن، لقد كان يبدو مختلفًا جدا. لم أدر ما إذا كان ينبغى أن أواصل خطتى الأصلية وأثق به. خلال ثلاث سنوات، يمكن لإنسان أن يتغير. وبعد كل شىء، لم يكن أحدنا قد عرف الآخر لأكثر من بضعة أسابيع.

فيما كنا نشرب معًا، قال بإخلاص حقيقى:

(*) Sy Devore .

ـ أيها الطفل، إننى سعيد حقًا برؤيتك. أتفكر فى جوردان أصلاً؟ أى شىء. فقلت:

ـ دائمًا. قال كولى:

ـ مسكين جوردان. لقد خرج رابحًا أربعمائة ألف دولار. ذلك ما جعلنى أترك القمار. وهل تعلم؟ منذ أن مات، كان لى حظ هائل. لو أننى ألعب ورقى جيدًا، فلربما سأنتهى رجل القمة فى هذا الفندق. فقلت:

ـ أكيد. ماذا عن غرونيفيلت؟. فقال كولى:

ـ أنا صبيه رقم واحد. إنه يثق بى فى أمور كثيرة. إنه يثق بى كما أثق بك. ولما كنا بصدد ذلك، فبإمكانى استخدام مساعد. متى ما أردت نقل عائلتك إلى فيجاس، ثمة شغل جيد لك معى. قلت:

ـ شكرًا. لقد تأثرت حقا. وفى الوقت ذاته تساءلت عن محبته لى. كنت أعرف أنه ليس امرءًا يهتم لأى كائن بيسر. قلت:

ـ بشأن العمل لا يمكننى أن أجيبك الآن. ولكننى جئت إلى هنا من أجل معروف. إن لم يكن بمقدورك أن تفعله لى، فسأتفهم. فقط أخبرنى بصراحة، ومهما كان الجواب، فإننا سنقضى فى الأقل بضعة أيام معًا ونتمتع بوقتنا. فقال كولى:

ـ لقد حصلت عليه، مهما يكن. فضحكت، وقلت:

ـ انتظر حتى تسمع.

للحظة، بدا كولى غاضبًا:

ـ لا أبالى أبدًا ما هو. لقد حصلت عليه. إن أمكننى أن أفعله، فقد صار لك.

أخبرته عن كل عملية الابتزاز. وأننى كنت أرتشى وأن عندى ثلاثة وثلاثين ألف دولار فى جاكتتى علىَّ أن أخبئها تحسبًا لتفجر العملية كلها. أصغى كولى لى مركّزًا، ومراقبًا وجهى. وفى النهاية كان يبتسم ابتسامة عريضة. فقلت:

- على أى شيء تبتسم بحق الجحيم؟. وضحك كولى:

- إنك تشبه رجلاً يعترف لقسيس بأنه ارتكب جريمة قتل، إن ما تفعله يفعله كل إنسان آخر إن أتيحت له الفرصة. ولكن عليَّ أن أعترف بأننى فوجئت. لا يمكننى أن أتصورك تأمر شخصًا بأن عليه أن يدفع ابتزازًا.

كان بمقدورى أن أحس وجهى يحمر. قلت:

- إننى لم أطلب أبدًا من هؤلاء الرجال مالاً. إنهم يأتون إلى دائمًا. وأنا لا آخذ المال بالإجبار أبدًا. بعد أن أقوم بالعمل لهم، يمكنهم أن يدفعوا لى ما وعدوا أو بإمكانهم أن يحرمونى منه. أنا لا أبالى قط. وكشرت نحوه: إننى محتال رقيق، لست خطّافًا.

فقال كولى:

- وأى محتال! قبل كل شيء، أحسبك قلقًا جدا. إنها تبدو من نوع العمليات التى يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية. وحتى إذا ما فرقعت، فأسوأ ما يمكن أن يقع لك هو أن تفقد عملك وتنال حكمًا مع وقف التنفيذ. ولكنك على حق، عليك أن تخبئ المال فى مكان جيد. إن أولئك الاتحاديين كلاب صيد هاربة حقيقيون، وعندما يجدونه سيأخذونه كله منك.

لفت انتباهى الجزء الأول مما قال. كان أحد كوابيسى أننى أمضى إلى السجن فتصير فالى والأطفال بدونى. وكان هذا هو السبب فى إبقائى كل شيء مكتومًا عن زوجتى. لم أكن أريد لها أن تقلق. كما أننى لم أكن أريدها أن تعتبرنى واطئًا. كانت عندها صورة عنى، باعتبارى الفنان النقى، والعصى على الفساد. سألت كولى:

- ما الذى يجعلك تفكر أننى لن أسجن إن ألقى عليَّ القبض؟. فقال كولى:

- إنها جريمة من جرائم ذوى الياقات البيض. اللعنة! إنك لم تحتلَّ مصرفًا لغرض السرقة أو تطلق النار على نغل مسكين من أصحاب الحوانيت أو تخدع أرملة ما لتسرقها. كل ما هنالك أنك أخذت دراهم من بعض المخانيث الشبان الذين كانوا

يحاولون أن يستفيدوا فيقلصوا مدة خدمتهم العسكرية. يا للمسيح، إن تلك لحيلة لا تصدَّق. رجال يدفعون ليدخلوا الجيش. لن يصدق أحد ذلك. سيُضحك أعضاء هيئة المحلفين حتى يمرضوا. فقلت:

ـ نعم، إنها تبدو مضحكة لي أيضًا.

فجأة، صار كولي كله عملاً:

ـ حسنًا، خبرني ما تريدني أن أفعل الآن بالضبط. وقد تم. وإذا ما اعتقلك الاتحاديون، عدني أن تتلفن لي مباشرة. سأخرجك. حسنًا؟. وابتسم لي بمحبة.

أخبرته بخطتي. إنني سأحول مالي إلى فيش بألف دولار لكل مرة وأقامر ولكن برهانات صغيرة. سأقوم بذلك في كل كازينوهات فيجاس، ثم، عندما أكون قد حولت فيشي إلى نقد، سأكتفي بأن آخذ إيصالاً وأترك المال في صناديق الأمناء بوصفه اعتمادًا للمقامرة. لن يفكر مكتب التحقيقات الفيدرالية أبدًا في البحث في الكازينوهات. وسأخبئ إيصالات النقد لدى كولي وآخذها حينما أحتاج إلى بعض المال الجاهز.

ابتسم لي كولي:

ـ لمَ لا تدعني أحتفظ بمالك؟ ألا تثق بي؟.

كنت أعرف أنه كان يمزح، ولكنني عالجت المزحة جديًّا. قلت:

ـ لقد فكرت في ذلك. ولكن ماذا لو أن أمرًا وقع لك؟ مثل تحطم طائرة. أو أن تنشأ لك نغزة قمارك؟ إنني أثق بك الآن. ولكن كيف لي أن أعرف أنك لن تجن غدًا أو بعد سنة؟.

هز كولي رأسه مؤيدًا. ثم سأل:

ـ وماذا عن أخيك، آرتي؟ أنت وهو وثيقان جدا. أفلا يمكنه أن يحتفظ لك بالمال. فقلت:

ـ لا يمكنني أن أطلب منه ذلك. فهز كولي رأسه ثانية:

ـ صحيح. أعتقد أنه لا يمكنك. إنه أنزه مما يجب، صحيح؟. فقلت:

ـ صحيح. لم أكن أريد المضى فى مزيد من الشرح لكيفية شعورى:

ـ ما العيب فى خطتى؟ أفلا تظنها جيدة ؟.

نهض كولى وبدأ يذرع الغرفة. قال:

ـ إنها ليست سيئة. ولكنك لست مضطراً لأن يكون عندك اعتماد فى كل الكازينوهات. فذلك يبدو مريبًا. خاصة إذا ما بقى المال هناك وقتًا طويلاً. هذا مريب حقا. إن الناس لا يتركون مالهم فى الصندوق إلا إلى أن يقامروا به أو يغادروا فيجاس. هاك ما تفعل. اشتر رقاقات فى جميع الكازينوهات وحولها بصكوك إلى صندوقنا هنا. تعرف: حوِّل إلى نقد ثلاث أو أربع مرات كل يوم لبضعة آلاف وخذ إيصالاً. وهكذا ستكون كل إيصالات نقودك فى صندوقنا. والآن، إذا ما تحرى الاتحاديون هنا أو كتبوا للفندق يسألون، فإن هذا يمرُّ علىّ. وسأغطيك.

كنت قلقًا عليه. سألته:

ـ ألن يوقعك ذلك فى متاعب؟.

تنهد كولى بصبر:

ـ إننى أقوم بهذا النوع من العمل دائمًا. إننا نتلقى عدداً كبيراً من الاستفسارات من ضريبة الدخل. عن مقدار ما خسر أشخاص معينون. إننى أكتفى بأن أرسل لهم ملفات قديمة. ليس هناك أى احتمال بأن يتحروا عنى. إننى أراقب أن لا توجد ملفات يمكن أن تساعدهم. فقلت:

ـ يا للمسيح، إننى لا أريد لسجلى فى الصندوق أن يختفى. لن أكون قادراً على استحصال مال إيصالاتى.

فضحك كولى، وقال:

- هيا، يا ميرلين. إنك مجرد مرتش صغير. إن الاتحاديين لا يأتون إلى هنا مع عصبة مدققين قانونيين من أجلك. إنهم يرسلون رسالة أو مذكرة إحضار. الأمر الذى حتى لن يفكروا بأن يفعلوه، على فكرة. أو انظر إلى الأمر على نحو آخر. لو أنك أنفقت الدراهم ووجدوا أن دخلك يتجاوز ما تناله من راتبك، يمكنك أن تقول إنك كسبته فى المقامرة. إنهم لا يستطيعون أن يبرهنوا على العكس. فقلت:

- ولا أستطيع أنا أن أثبت أننى فعلت. فقال كولى:

- بالتأكيد تستطيع. سأشهد لك، وكذلك سيفعل رئيس ركن ومراقب على مائدة الكرابس أنه كانت لك ضربة زهر هائلة. وهكذا، فلا تقلق بشأن العملية، كيفما كانت النتيجة. إن مشكلتك الوحيدة هى أين تخفى إيصالات صندوق الكازينو.

فكرنا بذلك معًا بعض الوقت. ثم طلع كولى بجواب. سأل:

- هل عندك محام؟. قلت:

- كلا. ولكن لأخى آرتى صديقًا، هو محام. فقال كولى:

- إذن فاكتب وصيتك. فى وصيتك اذكر أن عندك ودائع نقدية فى هذا الفندق بقيمة ثلاثة وثلاثين ألف دولار وأنك تتركها لزوجتك. كلا، انس محامى أخيك. سنستخدم محاميًا أعرفه هنا فى فيجاس يمكننا أن نثق به. ثم سيرسل المحامى نسختك من الوصية بالبريد إلى آرتى فى ظرف مختوم بطريقة قانونية خاصة. اطلب من آرتى ألا يفتحها. على ذلك النحو لن يعرف شيئًا ولن يكون متورطًا. إنه لن يعرف قط. كل ما عليك أن تطلبه منه هو ألا يفتح المظروف وأن يحتفظ لك به. وسيرسل المحامى رسالة بهذا المضمون أيضًا. ما من سبيل لأن يتورط آرتى بأى شكل كما أنه لن يعرف شيئًا. احلم لك فقط بقصة عن سبب رغبتك فى أن يحتفظ هو بالوصية. قلت:

- إن آرتى لن يطلب منى قصة. سيفعل ذلك فقط ولن يسأل سؤالاً. فقال كولى:

- ذاك أخ جيد عندك هناك. ولكن ما الذى تفعله بالإيصالات الآن؟ سيتشمم الاتحاديون الخزانة المصرفية إن اتخذت واحدة. لمَ لا تدفنها مع مخطوطاتك القديمة

كما فعلت مع النقد؟ حتى إن حصلوا على إذن تفتيش، فإنهم لن يلاحظوا قطع الورق هذه. قلت:

ـ لا يمكنني المجازفة. دعني أقلق بشأن الإيصالات. ماذا يحصل إن أنا فقدتها؟.

لم يفهم كولى الفكرة، أو تظاهر بأنه لم يفعل. قال:

ـ ستكون عندنا سجلات في ملفنا. إننا نجعلك توقع فقط إيصالاً يشهد بأنك قد فقدت إيصالاتك عندما تأخذ مالك. إنك لا توقع إلا عندما تقبض نقدك.

طبيعي أنه كان يعرف ما كنت فاعلاً. إنني سأمزق الإيصالات ولكنني لن أخبره كي لا يكون متأكداً قط، وذلك كي لا يستطيع التلاعب بسجلات الكازينو التي تدين لي بالمال. كان ذلك يعني أنني لا أثق به تماماً، ولقد قبل ذلك بيسر.

قال كولى:

ـ لقد أعددت لوليمة عشاء كبيرة الليلة لك مع بعض الأصدقاء. اثنتين من أجمل سيدات الاستعراض. فقلت:

ـ لا امرأة لي.

دهش كولى:

ـ يا للمسيح، ألم تتعب من نكاح زوجتك وحدها كل هذه السنوات. فقلت:

ـ كلا. لم أتعب. فقال كولى:

ـ أتظن أنك ستبقى مخلصاً لها طيلة حياتك؟. وقلت، ضاحكاً:

ـ إي .

هز كولى رأسه ضاحكاً أيضاً:

ـ ستكون إذن ميرلين الساحر حقا، وقلت:

- ذلك أنا.

وهكذا ذهبنا إلى العشاء، نحن الاثنين فقط، ثم جاء كولى معى نتجول فى كل الكازينوهات فى فيجاس، فيما اشتريت رقاقات بمبلغ ألف دولار فى كل واحدة. كانت جاكتة رياضيى فيجاس الرابحين خاصتى نافعة حقا. فى الكازينوهات المختلفة تناولنا مشروبات مع رؤساء أركان ومديرى نوبات فى الكازينوهات وفتيات من الاستعراضات. ولقد عاملوا كولى جميعهم بوصفه رجلاً مهماً، وكان عندهم جميعًا قصص عظيمة يروونها عن فيجاس. كان ذلك مبهجًا. عندما عدنا إلى الكسانادو، دفعت رقاقاتى إلى صندوق الأمين وحصلت على إيصال بخمسة عشر ألف دولار. أدخلته فى جيبى. لم أكن قامرت قط طوال الليلة. كان كولى مخيّمًا على تمامًا. قلت:

- ينبغى أن أقوم ببعض المقامرة. فابتسم كولى بخبث:

- بالتأكيد، بالتأكيد. ما إن تخسر خمسمائة دولار حتى أكسر ذراعك.

على مائدة الكرابس سحبت خمسة أوراق من ذوات مائة دولار وصرفتها إلى رقاقات. قمت بمراهنات بخمسة دولارات وراهنت على كل الأرقام. ربحت وخسرت. انتقلت إلى أنماطى القمارية القديمة، متنقلاً من الكرابس إلى البلاك جاك والروليت. مقامرة هادئة، يسيرة، حالمة، مراهنًا بمبالغ قليلة، رابحًا وخاسرًا، لاعبًا على النسب السائبة. كانت الساعة الواحدة صباحًا عندما مددت يدى إلى جيبى وأخرجت ألفى دولار واشتريت رقاقات. لم يقل كولى شيئًا.

وضعت الرقاقات فى جيب جاكتتى، ومشيت إلى صندوق الصراف فحولتها إلى إيصال نقد آخر. كان كولى متكئًا على مائدة كرابس شاغرة، يراقبنى. هز رأسه مؤيداً. قال:

- إذن فقد جعلتها تمضى مسرعة. فقلت:

- ميرلين الساحر، ليس واحداً من مقامريك المرضى التافهين. وكان ذلك صحيحاً. لم أكن قد شعرت أبداً بأنى بالانفعال السابق. لم يكن ثمة حافز على خوض مغامرة. كان عندى مال كاف لأن أشترى بيتًا لعائلتى وغطاء مصرفى للطوارئ. كانت عندى

مصادر دخل جيدة. كنت سعيداً مرة أخرى. كنت أحب زوجتى، وأشتغل على رواية. كانت المقامرة مسلية، هذا كل ما هناك. لم أكن قد خسرت غير مائتى دولار طيلة الليلة.

أخذنى كولى إلى المقهى من أجل شراب ما قبل النوم من الحليب وتناول شطائر الهمبورجر. قال:

- علىَّ أن أشتغل أثناء النهار. هل أستطيع الاطمئنان إلى أنك لن تقامر؟. فقلت:

- لا تقلق. سأكون مشغولاً بتحويل النقد إلى رقاقات فى جميع أنحاء المدينة. سأهبط إلى مشتريات بخمسمائة دولار كى لا أكون ملحوظًا جدا. فقال كولى:

- تلك فكرة جيدة. إن فى هذه المدينة من عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالى أكثر مما فيها من اللاعبين. ثم توقف لحظة:

- أأنت متأكد أنك لا تريد شريكة نوم؟ إن عندى بعض الحسناوات. ورفع أحد الهواتف الداخلية عن رفٍّ مقصورتنا. فقلت:

- إننى متعب جدا، وكان ذلك صحيحًا. كان الوقت يتجاوز الواحدة صباحًا هنا فى فيجاس، ولكن وقت نيويورك كان الرابعة صباحًا، وكنت لا أزال على توقيت نيويورك. قال:

- إن احتجت إلى أى شىء، ما عليك إلا أن تأتى إلى مكتبى فقط، حتى إن كنت لا تريد غير قتل الوقت والثرثرة. فقلت:

- حسنًا، سأفعل.

فى اليوم التالى استيقظت حوالى الظهر وتلفنت لفالى. لم يكن ثمة جواب. كانت الساعة الثالثة بعد الظهر حسب توقيت نيويورك، واليوم هو السبت. ربما تكون فالى قد أخذت الأطفال إلى بيت أمها وأبيها فى لونج آيلاند. وهكذا فقد تلفنت إلى هناك فحصلت على أبيها. ألقى بعض الأسئلة المرتابة عما كنت أفعل فى فيجاس. أوضحت أننى كنت أقوم بأعمال بحث بشأن مقالة. لم يبدُ عليه الاقتناع الكامل، وأخيرًا تناولت فالى الهاتف. أخبرتها أننى سألحق بطائرة الاثنين العائدة وأننى سآخذ سيارة أجرة من المطار.

تبادلنا الحديث الهرائى الاعتيادى لرجل وزوجته فى أمثال هذه المخابرات. كنت أكره الهاتف. أخبرتها أننى لن أتلفن مرة أخرى ما دام ذلك مضيعة للوقت والمال، فوافقت. كنت أعرف أنها ستكون فى بيت أهلها فى اليوم التالى أيضًا، ولم أرد أن أتلفن لها هناك. وقد أدركت أيضًا أن ذهابها إلى هناك يغضبنى، غيرة طفولية. لقد كانت فالى والأطفال عائلتى. إنهم يخصوننى؛ إنهم العائلة الوحيدة التى أمتلكها فيما عدا أرتى. ولم أشأ أن أشاركهم مع جديهم. كنت أدرى أن ذلك سخيف، ولكن مع ذلك، لن أتلفن ثانية. إلى الجحيم، ليس ثمة غير يومين ويمكنها دائمًا أن تتلفن.

قضيت النهار فى الذهاب إلى كل كازينوهات المدينة على الشريط والمحلات الصغيرة فى مركز المدينة. هناك بادلت نقدى برقاقات بمبالغ مائتين وثلاثمائة دولار. ومرة أخرى رحت أقامر برهانات دولارية صغيرة قبل الانتقال إلى كازينو آخر.

كنت أحب حرارة فيجاس الجافة، الحارقة، ووهكذا فقد رحت أسير من كازينو إلى كازينو. تناولت غداء فى أواخر العصر فى الـ (ساندس) على مائدة مومسات حسناوات يتناولن وجبتهن لما قبل الذهاب إلى العمل. كن فتيات وجميلات ومرتفعات المعنويات. كانت اثنتان منهما فى ملابس الركوب. كن يضحكن ويروين قصصًا كالمراهقات. لم يهتممن لشأنى أبدًا، ورحت آكل غدائى وكأننى لا أباليهن. ولكننى حاولت أن أصغى إلى حديثهن. وأظننى سمعت مرة اسم كولى يذكر.

أخذت سيارة أجرة عائدًا إلى الكسانادو. إن سائقى سيارات أجرة فيجاس ودودون ومحبون للعون. ولقد سألنى هذا السائق إن كنت أريد بعض المرح فأخبرته أن لا. عندما تركت السيارة، تمنى لى يومًا بهيجًا وأخبرنى باسم المطعم الذى يوجد فيه طعام صينى جيد.

فى كازينو الكسانادو حولت رقاقات الكازينوهات إلى إيصال نقدى، دسسته فى جيبى. صار عندى الآن تسعة إيصالات ومالاً يتجاوز العشرة آلاف من النقد الذى ينبغى أن أحوله. أفرغت النقد من جاكتة رياضيى فيجاس الرابحين خاصتى ووضعته

فى جاكتة بدلة اعتيادية. كان جميعه من نوات المائة، وقد استقر فى ظرفين نظاميين أبيضين طويلين. ثم طويت جاكتة رياضيى فيجاس الرابحين على ذراعى ومضيت إلى مكتب كولى.

كان ثمة جناح كامل من الفندق متخذ للإدارة فقط. اجتزت الممر واتخذت ممراً فرعيا عليه علامة المكاتب التنفيذية. وصلت إلى إحدى اللوحات الخشبية التى تحمل رقعة المساعد التنفيذى للرئيس. فى المكتب الخارجى كانت ثمة سكرتيرة شابة بالغة الجمال. أعطيتها اسمى، فرنت جرس المكتب الداخلى وأعلنت مجيئى. جاء كولى يثب خارجًا بمصافحة كبيرة وعناق. إن شخصيته الجديدة هذه لا تزال تضللنى. إنها تظاهرية جدا، ومنبسطة جدا، ليس ما كنّاه سابقًا.

كان له جناح أنيق حقًا مع أريكة وكراسى لينة ذات مساند وإنارة خفيفة وصور على الجدار، رسوم زيتية حقيقية. لم يكن بمقدورى أن أحكم ما إذا كانت جيدة أم لا. وكان عنده كذلك ثلاث شاشات تليفزيونية تعمل. كانت إحداها تُرى أحد ممرات الفندق. وتُظهر الثانية إحدى موائد الكرابس فى الكازينو أثناء العمل. وتبين الشاشة الثالثة مائدة الباكاراه. فيما كنت أتفرج على الشاشة الأولى، أمكننى أن أرى رجلاً يفتح باب غرفته الفندقية فى الممر ويقود إلى الداخل فتاة شابة واضعًا يده على عجيزتها. قلت:

- برنامج أفضل مما عندى فى نيويورك. فهز كولى رأسه مؤيداً، وقال:

- علىَّ أن أراقب كل شىء فى هذا الفندق. ضغط أزرارًا على نضد فوق مكتبه، فتغيرت الصور الثلاث على التليفزيونات. صرنا الآن نرى مشهداً من موقف سيارات الفندق، مائدة بلاك جاك تعمل والصراف فى المقهى يرن المال.

رميت جاكتة رياضيى فيجاس الرابحين على مكتب كولى قائلاً:

- تستطيع أن تأخذها الآن.

حدق كولى إلى الجاكتة برهة طويلة، ثم سأل مشغول الذهن:

- أحولت كل نقدك؟، فقلت:

- معظمه. لم أعد بحاجة إلى الجاكتة بعد الآن ، وضحكت:

- لقد كرهتها زوجتى بقدر ما تكرهها أنت.

التقط كولى الجاكتة، وقال:

- أنا لا أكرهها. غرونيفيلت لا يحب أن يراها فى الأنحاء. ماذا تظن جرى لجاكتة جوردان؟. فهززت كتفى:

- ربما أعطت زوجته ملابسه لجيش الخلاص (*) .

كان كولى يزن الجاكتة فى يده. قال:

- خفيفة. ولكنها تجلب الحظ. لقد ربح جوردان أربعمائة ألف دولار وهو يلبسها. ثم إذا به يقتل نفسه. النغل المغفل اللعين. وقلت:

- أحمق.

وضع كولى الجاكتة برقة على مكتبه. ثم جلس وزحزح نفسه إلى الوراء فى مقعده:

- أتدرى؟ لقد ظننتك مجنونًا لرفضك عشرين ألف دولاره. ولقد غضبت حقا عندما أقنعتنى بعدم أخذ عشرين ألفى. ولكن ربما كان ذلك الشىء الأكثر حظا الذى وقع لى. كنت سأقامر به، ثم كنت سأشعر بالضيق. ولكن أتعرف؟ بعد أن قتل جوردان نفسه ولم أكن قد أخذت ذلك المال أصابنى بعض الزهو. لا أدرى كيف أشرح ذلك. ولكننى شعرت أننى لم أخنه. ولم تفعل أنت. ولم تفعل ديان. كنا جميعًا غرباء ونحن الثلاثة فقط كنا اهتممنا قليلاً بجوردان. ليس بما يكفى، فيما أظن. أو أن ذلك لم يكن يعنى الكثير إلى ذلك الحد بالنسبة له. ولكنه كان، أخيراً، يعنى شيئًا لى. ألا تحس أنت على هذا النحو؟. فقلت:

(*) Salvation Army: منظمة مسيحية عالمية ، شبه عسكرية، لنشر الدين ومساعدة المعوزين . تأسست وصار مقرها ، فى لندن ، ولكنها ازدهرت فى الولايات المتحدة .

ـ كلا. كل ما هنالك أننى لم أرد ماله اللعين. كنت أعرف أنه سيقتل نفسه.

وقد أجفل ذلك كولى:

ـ عرفت كروث الثور! ميرلين الساحر! فقلت:

ـ ليس عن وعى. وإنما بعيداً تحت. لم أفاجأ عندما أخبرتنى، أتذكر؟. فقال كولى:

ـ نعم. إنك لم تبالِ حتى قدر قلامة ظفر.

تركت ذلك يمر:

ـ وماذا عن ديان؟. فقال كولى:

ـ لقد تلقته بصعوبة حقيقية. كانت تحب جوردان. أتدرى أننى نكحتها فى يوم الجنازة؟ النكاح الأكثر شؤماً الذى مارسته قط. كانت متوحشة كالمجانين وتبكى وهى ترهز. أخافتنى حتى أوشكت أن أخرأ. وتنهد:

ـ قضت بضعة الأشهر التالية تسكر وتبكى على كتفى. ثم قابلت هذا الشبه المليونير المحافظ، وهى الآن سيدة مستقيمة فى مكان ما فى منيسوتا. فسألته:

ـ ما الذى ستفعله بالجاكتة إذن؟.

فجأة كان كولى يكشر:

ـ سأعطيها لغرونيفيلت. تعال، أريدك أن تلقاه على أية حال. نهض عن مقعده وأمسك بالجاكتة وخرج من المكتب. تبعته. اجتزنا الممر إلى أدناه لنصل جناحاً آخر من المكاتب. ورنت السكرتيرة الجرس لتعلن اسمينا إلى داخل مكتب غرونيفيلت الخصوصى الضخم.

نهض غرونيفيلت عن كرسيه. كان يبدو أسن مما أتذكره. فكرت أنه لابد من أن يكون فى أواخر سبعينياته. كان لابساً على نحو لا نقص فيه. وشعره الأبيض يجعله مثل نجم سينمائى فى دور شخصية ما. قدمنى كولى له.

صافحنى غرونيفيلت ثم قال بهدوء:

- لقد قرأت كتابك. واصله. ستكون رجلاً كبيراً ذات يوم. إنه جيد جدا.

دهشت. إن غرونيفيلت عريق فى شغل القمار، ولقد كان إنسانًا بالغ السوء يومًا، وهو لا يزال يُخشى منه فى فيجاس. ولسبب ما لم أظن أبداً أنه رجل يقرأ الكتب. وذلك تنميط إكليشى آخر.

كنت أدرى أن أيام السبت والأحد أيام مزدحمة بالشغل لرجال كغرونيفيلت وكولى، يديرون فنادق فيجاسية كبيرة مثل الكسانادو. إن عندهم أصدقاء زبائن من كل أنحاء الولايات المتحدة يطيرون إليهم من أجل عطلات أسبوعية من المقامرة ولابد من إمتاعهم بطرق متنوعة عدة. وهكذا فقد تصورت أننى سأحيى غرونيفيلت فقط وأنصرف.

ولكن كولى ألقى جاكتة رياضيى فيجاس الرابحين الحمراء- الزرقاء البراقة على مكتب غرونيفيلت الضخم وقال:

- هذه هى الأخيرة. لقد تخلى عنها ميرلين أخيراً.

لاحظت أن كولى كان يكشر. ابن الأخ المدلل يماحك العم ضيق الخلق الذى يعرف كيف يعامله. ولاحظت أيضًا أن غرونيفيلت لعب دوره جيداً. العم الذى يمازح ابن أخيه الأكثر شقاوة ولكن الأكثر موهبة على المدى البعيد والأكثر مدعاة للاعتماد. ابن الأخ الذى سيرث.

ضغط غرونيفيلث جرس استدعاء سكرتيرته، وعندما دخلت قال لها:

- اجلبى لى مقصًّا كبيراً. ولقد تعجبت من أين بحق الجحيم ستحصل سكرتيرة لرئيس فندق كسانادو على مقص فى الساعة السادسة مساء فى ليلة سبت. لكنها عادت حاملة إياه خلال دقيقتين من غير زيادة أو نقصان. أخذ غرونيفيلت المقص وبدأ يقص جاكتة رياضيى فيجاس الرابحين خاصتى. نظر إلىَّ بوجه خلو من التعبير وقال:

- إنك لا تدرى كم كرهتكم أنتم الثلاثة وأنتم تسيرون عبر كازينوهى تلبسون هذه الجاكتات اللعينة، خاصة تلك الليلة عندما ربح جوردان كل المال.

راقبته يحول جاكتتى إلى كومة ضخمة من القطع المشققة على مكتبه، ثم أدركت أنه كان ينتظر أن أرد عليه. فقلت:

ـ إنك لا تبالى حقًا بالرابحين، أليس كذلك؟. فقال غرونيفيلت:

ـ لا يتعلق ذلك بربح المال. كان ذلك محزنًا جدا. كولى هذا يلبس تلك الجاكتة وهو مقامر مريض فى قلبه. إنه لا يزال كذلك وسيبقى كذلك أيضاً. إنه فى حالة مراجعة.

قام كولى بإشارة احتجاج، وقال:

ـ إننى رجل أعمال، ولكن غرونيفيلت أشار بيده مزيحًا كلامه، فلزم كولى الصمت، مراقبًا قطع الجاكتة المقصوصة على المكتب. وقال غرونيفيلت:

ـ يمكننى أن أعيش مع الحظ. ولكننى لا أستطيع أن أتحمل المهارة والمكر.

كان غرونيفيلت يحاول مع بطانة الحرير الاصناعى الباهتة للجاكتة، قاصا إياها إلى شرائط، ولكن ذلك كان لمجرد إبقاء يديه مشغولتين بينما هو يتكلم. وتكلم إلى مباشرة:

ـ وأنت يا ميرلين، إنك واحد من أسوأ المقامرين البائسين الذين سبق لى أن رأيتهم، وأنا فى هذا الشغل لأكثر من خمسين سنة. إنك أسوأ من مريض بالقمار. إنك مقامر رومانسى. إنك تظن نفسك واحداً من تلك الشخصيات مثل رواية فيربر تلك التى بطلها ذلك المقامر التافه. إنك تقامر مثل الأبله. تذهب أحيانًا مع النسب، وتنساق أحيانًا مع الأحاسيس الداخلية. وفى مرة أخرى تمضى مع نظام، ثم تنتقل إلى الطعن فى الهواء الرقيق، أو أنك تتحرك على نحو متعرج. اسمع، إنك واحد من قلة من الناس فى هذا العالم ممن أريد أن أخبرهم بالكف عن المقامرة كليًا، ثم وضع مقصه جانبًا ومنحنى ابتسامة ودية حقا:

ـ ولكن ماذا يهم؟ فذلك يناسبك.

كنت فى الحقيقة قد تألمت قليلاً، وقد لاحظ ذلك. كنت أظن نفسى مقامرًا بارعًا، إذ أخلط المنطق بالسحر. بدا غرونيفيلت وكأنه يقرأ أفكارى، إذ قال:

- ميرلين، أحب هذا الاسم. إنه يناسبك نوعًا ما. مما قرأت، لا أجد أنه كان ساحرًا عظيمًا جدا، ولست أنت كذلك أيضًا. ورفع المقص وبدأ يقص ثانية:

- ولكن لماذا إذن بحق الجحيم تعمدت ذلك العراك مع ذلك الضارب (*) السيئ؟ فهززت كتفي:

- إنني لم أتعمد عراكًا حقًا. ولكنك تعرف كيف تجرى الأمور. كنت أحس الوضاعة بشأن تركي عائلتي. كان كل شيء يسير سيئًا. كنت مجرد راغب في تصريف ذلك على شخص ما. فقال غرونيفيلت:

- لقد اخترت الرجل الخطأ. أنقذ كولي عجيزتك! مع قليل من العون مني. فقلت:

- شكرًا.

- لقد عرضت عليه العمل، ولكنه لا يريده، قال كولي.

فاجأني ذلك. كان واضحًا أن كولي تكلم في الموضوع مع غرونيفيلت قبل أن يعرض على العمل. ثم أدركت فجأة أن كولي يتعين عليه أن يخبر غرونيفيلت بكل شيء عني. وكيف سيغطيني الفندق لو أن الاتحاديين جاءوا يبحثون. قال غرونيفيلت:

- بعد أن قرأت كتابك، فكرت أن بمقدورنا استخدامك كرجل علاقات عامة.. كاتب جيد مثلك.

لم أخبره أن ذينك كانا أمرين مختلفين تمامًا. قلت:

- لن تترك زوجتي نيويورك، إن عائلتها هناك. ولكن شكرًا على العرض. فهز غرونيفيلت رأسه متفهمًا:

- بالطريقة التي تقامر بها ربما كان الأفضل ألا تعيش في فيجاس. في المرة التالية التي تأتي فيها إلى المدينة، لنتعش معًا. فاعتبرنا ذلك إيذانًا لنا، وانصرفنا.

كان عند كولي موعد عشاء مع بعض مسيّري الأمور الرفيعين من كاليفورنيا لا يستطيع نكثه، وهكذا فقد كنت طليقًا. كان قد ترك لي حجزًا على استعراض عشاء الفندق تلك

الليلة، ولهذا ذهبت. كان نشاط فيجاس الاعتيادى مع فتيات كورس عاريات تقريبًا، وأعمال رقص، وغناء نجمة، وبعض فصول المنوعات. كان الشيء الوحيد الذى أثّر فىَّ هو عمل دب مدرَّب.

ظهرت امرأة حسناء على المسرح مع ستة دببة ضخمة، ومارست معها جميع أنوا ع الألاعيب. بعد أن كان كل دب ينهى اللعبة، كانت المرأة تقبله فى فمه وكان الدب يتهادى عائدًا إلى مكانه فى آخر الصف. كانت الدببة مكسوة بفراء كثيف جدا يجعلها تبدو عديمة الجنس كالدمى. ولكن لماذا جعلت المرأة القبلة إحدى علامات أمرها؟ إن الدببة لا تقبِّل، بقدر ما أعلم. ثم أدركت أن القبلة كانت للجمهور، نوعًا من الحركة على المتفرجين. ثم تساءلت إن كانت المرأة قد فعلت ذلك عن وعى، علامة على احتقارها، إهانة ماكرة. كنت دائمًا أكره السيرك وأرفض أن آخذ أطفالى لمشاهدته. وهكذا، فأنا لم أحب حقيقة أفعال الحيوانات أبدًا. ولكن هذه اللعبة فتنتنى بما يكفى لأشاهدها حتى النهاية. فلربما سيقدم أحد الدببة مفاجأة.

بعد أن انتهى العرض، تجولت فى قسم الكازينو لأحول باقى مالى إلى رقاقات ثم أحول الرقاقات إلى إيصالات نقد. كان الوقت حوالى الحادية عشرة مساء.

بدأت بالكرابس، وبدلاً من أن أراهن بمبالغ صغيرة لأبقى خسائرى طفيفة، كنت فجأة أقوم بمراهنات بخمسين ومائة دولار. كنت خسرت نحو ثلاثة آلاف دولار عندما جاء كولى إلى ورائى، قائدًا مسيِّرى الأمور الرفيعين إلى المائدة وفاتحًا اعتمادهم. ألقى نظرة تهكمية واحدة على رقاقاتى الخضر ذوات الخمسة وعشرين دولارًا ومراهناتى على اللباد الأخضر أمامى. قال لى:

- إنك لست مضطرا للمراهنة بعد، ها؟. أحسست كالأحمق، وعندما جاء الزهر بسبعة، أخذت باقى رقاقاتى إلى صندوق الصراف وحوَّلتها إلى إيصالات. عندما استدرت، وجدت كولى ينتظرنى. قال:

- لنذهب فنتناول شرابًا، وقادنى إلى صالة الشرب حيث اعتدنا على تناول الشرب مع جوردان وديان. من تلك المنطقة المظلمة نظرنا خارجًا إلى الكازينو المنارة بشكل باهر. عندما جلسنا، ميزت نادلة الكوكتيل كولى فجاءت على الفور. قال كولى:

- إذن فقد سقطت عن العربة! ذلك القمار اللعين، إنه كالملاريا، يعود دائمًا. فسألت:

- أنت أيضًا؟. وقال كولى:

- بضع مرات. لكننى لا أتأذى أبدًا مع ذلك. كم خسرت؟ فقلت:

- مجرد حوالى ألفى دولار. لقد حولت معظم المال إلى إيصالات. سأنهيه الليلة. قال كولى:

- غدًا الأحد. إن المحامى صديقى متوفر، وهكذا يمكنك إعداد وصيتك فى الصباح الباكر وتدبير إرسالها إلى أخيك. ولهذا فسألتصق بك كالغراء حتى أضعك على طائرة العصر المغادرة إلى نيويورك. فقلت مازحًا:

- لقد حاولنا شيئًا مثل ذلك ذات مرة مع جوردان. فتنهد كولى:

- لماذا فعلها؟ كان حظه يتبدل. كان سيصير رابحًا. كل ما كان عليه أن يفعله هو أن يلتصق هناك. فقلت:

- ربما لم يرد أن يدفع حظه. لابد من أننى كنت أمزح، كما قال كولى.

فى الصباح التالى تلفن كولى لغرفتى، وتناولنا الإفطار معًا. بعد ذلك قاد بى السيارة عبر شريط فيجاس إلى مكتب محام، حيث قام بتحرير وصيتى وتثبيت الشهادة عليها. كررت بضع مرات على ضرورة إيراد نسخة من الوصية إلى أخى، أرتى، حتى قاطع كولى أخيرًا بنفاد صبر، قائلاً:

- لقد تم شرح ذلك كله. لا تقلق. سيتم القيام بكل شىء على نحو صحيح بالضبط.

عندما تركنا المكتب، قاد كولى السيارة بى حول المدينة وأرانى البناء الحديث الجارى. كان المبنى البرجى لفندق ساندز يشع ذهبيا جديدًا فى فضاء الصحراء. قال كولى:

- ستنمو هذه المدينة وتنمو.

كانت الصحراء اللامتناهية تمتد إلى الجبال النائية بعيدًا. قلت:

ـ إن فيها سعة كبيرة. فضحك كولي، وقال:

ـ سترى. القمار هو الشغل القادم.

تناولنا غداء خفيفًا، ثم نزلنا إلى الساندز، من أجل الأيام الخوالي، وتشاركنا بمائتي دولار لكل منا وهاجمنا موائد الكرابس. قال كولي هازئًا من نفسه:

ـ عندي عشر حركات ناجحة في ذراعي الأيمن، وهكذا فقد تركته يرمي الزهر. كان من سوء الحظ كما هو دائمًا، ولكنني لاحظت أنه لم يضع قلبه في اللعب. لم يستمتع بالمقامرة. لقد تغير حقا. ذهبنا إلى المطار، وبقي ينتظر معي عند البوابة حتى وقت الصعود إلى الطائرة. قال كولي:

ـ تلفن لي إن وقعت في أية مشكلة. والمرة التالية التي ستأتي فيها إلى هنا سنتناول العشاء مع غرونيفيلت. إنه يحبك، وإنه لرجل جيد من المفيد أن يكون إلى جانبك.

هززت رأسي مؤيدًا. ثم أخرجت إيصالات النقد من جيبي. الإيصالات المساوية لأربعين ألف دولار في صندوق كازينو فندق كسانادو. كانت نفقات رحلتي، ومقامرتي وأجور سفري قد بلغت نحو ثلاثة آلاف دولار. سلمت الإيصالات إلى كولي. قلت:

ـ احتفظ لي بهذه. كنت قد غيرت رأيي.

عد كولي القصاصات البيضاء. كان ثمة اثنا عشر منها. دقق المبالغ. سأل:

ـ إنك تأتمني على رصيدك المصرفي، إن ثلاثين ألف دولار رقم كبير. قلت:

ـ عليَّ أن أثق بشخص ما. وإضافة إلى ذلك، فقد رأيتك ترفض عشرين ألفًا من جوردان عندما كنت قاعدًا مسطحًا على عجيزتك. فقال كولي:

ـ فقط لأنك دفعتني خجلاً للقيام بذلك. حسنًا، سأهتم بهذا الأمر. وإذا ما سخنت الأمور حقا، يمكنني أن أقرضك النقد من رصيدي وأستخدم هذه كتأمين. لمجرد أن لا تترك آثارًا. فقلت:

ـ شكرًا يا كولي. شكرًا على غرفة الفندق والوجبات وكل شيء. وشكرًا على مساعدتي في إيجاد مخرج. شعرت بموجة حب حقيقي له. كان واحدًا من أصدقائي القلة. ومع ذلك فقد دهشت عندما عانقني مودعًا قبل أن أصعد إلى الطائرة.

وعلى النفاثة المندفعة عبر المنطقة المضيئة إلى مناطق الزمن الأكثر ظلمة فى الشرق، هاربة بهذه السرعة من الشمس الهابطة فى الغرب، دخلنا فجأة فى الظلام، فكرت فى الود الذى يكنه لى كولى. كنا لا نعرف إلا القليل عن أحدنا الآخر. وتصورت أن ذلك بسبب أنه كان عندنا نحن الاثنين قليل من الناس جدا مما كان يمكن حقا أن يتعين علينا معرفتهم. مثل جوردان. ولقد تقاسمنا هزيمة جوردان واستسلامه الذى استحال موتًا.

تلفنت من المطار لأخبر فالى أننى عدت يومًا أبكر. لم يكن ثمة جواب. لم أشأ أن أتلفن لها إلى بيت أبيها، وهكذا فقد اكتفيت بأخذ سيارة أجرة إلى البرونكس. كانت فالى لا تزال غير موجودة فى البيت. شعرت بالغيرة الاعتيادية المستثارة من أنها أخذت الأطفال لزيارة جدهم وجدتهم فى لونج آيلاند. ولكننى فكرت عندئذ: ثم ماذا؟! لماذا يتعين أن تقضى الأحد وحيدة فى شقة المشروع خاصتنا حين يمكنها أن تحظى برفقة عائلتها الأيرلندية المحظوظة: إخوانها وأخواتها وأصدقائهم، حيث يمكن للأطفال أن يخرجوا ويلعبوا فى الهواء الطلق وعلى عشب الريف؟

سأنتظرها. سيتعين عليها أن تأتى سريعًا. وفيما كنت أنتظر، تلفنت لآرتى. جاءت زوجته على الهاتف وقالت إن آرتى قد ذهب إلى النوم مبكرًا لأنه لم يكن على ما يرام. طلبت منها ألا توقظه، فليس الأمر بالمهم. وبإحساس قليل من الفزع سألتها مم كان آرتى يشكو. قالت إنه كان يحس تعبًا فقط، وإنه قد كان يعمل بإرهاق. ليس أمرًا يستحق حتى رؤية الطبيب بشأنه. أخبرتها أننى سأتلفن لآرتى فى عمله فى اليوم التالى، ثم أغلقت الهاتف.

- ١٥ -

كانت السنة التالية أسعد أوقات حياتى. كنت أنتظر أن يُبنى بيتى. ستكون تلك المرة الأولى التى أمتلك فيها بيتًا لنفسى، وكان عندى شعور غريب إزاء هذا. أننى سأكون أخيرًا مثل أى امرئ آخر. سأكون منفصلاً وغير معتمد بعد على المجتمع والناس الآخرين.

أعتقد أن هذا نشأ من كراهيتى المتزايدة للمشروع السكنى الذى كنت أقيم فيه. كان السود والبيض يتحركون صاعدين، بواسطة مواصفاتهم الاجتماعية الجيدة، فى الميزان الاقتصادى، ويفقدون أهليتهم للبقاء فى المشروع السكنى ماداموا يكسبون مالاً أكثر. وعندما كانوا ينتقلون، كانت محلاتهم يأخذها من هم ليسوا فى وضع حسن. كان السود والبيض القادمون هم الذين سيعيشون هناك إلى الأبد: باعة خردة، ومدمنو خمر، وقوادون هواة، ولصوص صغار ومغتصبون بلا تخطيط.

قبل هذا الاجتياح الجديد سجلت شرطة المشروع السكنى تراجعًا إستراتيجيا. كان الأطفال الجدد أكثر وحشية وبدأوا يفككون كل شىء. توقفت المصاعد عن العمل؛ وتحطمت نوافذ البهو ولم يتم تصليحها أبدًا. عندما كنت أعود إلى البيت من العمل، كنت أرى زجاجات ويسكى فارغة فى مدخل البهو وبعض الرجال جالسين سكارى على المصطبات خارج المبانى. كانت ثمة حفلات صاخبة تجلب الشرطة المدنية النظامية. كانت فالى تحرص على أن تتسلم الأطفال عند موقف الحافلة عندما يعودون من المدرسة. بل إنها سألتنى مرة إن لم يكن ينبغى أن ننتقل إلى بيت أبيها حتى يصير بيتنا جاهزًا. كان ذلك بعد أن جرى اغتصاب بنت سوداء فى العاشرة من عمرها وألقيت من سطح أحد مبانى المشروع.

رفضت، علينا أن نتحملها. سنبقى. كنت أدرى ما الذى كانت فالى تفكر فيه، ولكنها كانت تخجل من أن تقوله بصوت عال. كانت تخاف السود. لأنها كانت قد تربت وأعدت كليبرالية معتقدة بالمساواة، ما كانت تستطيع أن تجعل نفسها تقبل حقيقة كونها تخشى الناس السود يتحركون فيما حولها.

كانت عندى وجهة نظر أخرى. كنت واقعيا، فيما كنت أظن، لا متعصبًا. إن ما كان يجرى هو أن مدينة نيويورك كانت تحول مشاريعها السكنية إلى أحياء سود، منشئة أحياء منغلقة جديدة، عازلة السود عن بقية المجتمع الأبيض. مستخدمة، عمليا، المشروعات السكنية كـ شريط صحى (*) ، هارلمات (**) صغيرة جدا مبيّضة بالليبرالية المدنية. وكل الحثالات الاقتصادية للطبقة العاملة البيضاء كانت تعزل هنا، أولئك الذين كان تعليمهم أسوأ كثيرًا من أن يتمكنوا من كسب معيشة، سيئو التوافق جدا بحيث لا يمكنهم الإبقاء على تركيب عائلة متماسكة. إن أولئك الناس الذين عندهم شىء صغير ما من الشجاعة سيهربون، من أجل العيش، إلى الضواحى أو البيوت الخصوصية أو الشقق التجارية فى المدينة. ولكن توازن القوى لم يتحول بعد. لا يزال البيض يتجاوزون عدديا السود بنسبة اثنين إلى واحد. وكان لا يزال للعائلات ذات التوجه الاجتماعى، سوداء وبيضاء، أغلبية ضئيلة. قدرت أن المشروع السكنى كان مأمونًا على الأقل للاثنى عشر شهرًا التى سيتعين علينا أن نقيمها فيه. لم أكن أبالى فى الحقيقة قيد أنملة بأى شىء آخر. كان عندى، فيما أظن، احتقارًا لكل هؤلاء الناس. كانوا كالحيوانات، من دون إرادة حرة، راضين أن يعيشوا من يوم إلى آخر بالمشروب والمخدرات والنكاح لمجرد أن يقتلوا الوقت حيثما وجدوه. لقد كان يتحول إلى ملجأ أيتام لعين آخر. ولكن ما السبب فى كونى لا أزال هناك إذن؟ ماذا كنت؟

كانت تعيش فى طابقنا شابة سوداء لها أربعة أطفال. كانت متينة البنية، شهوانية المظهر، ملأى بمزاج حسن نابض بالحياة ومعنويات عالية. كان زوجها قد تركها قبل أن

(*) بالفرنسية فى الأصل.

(**) جمع هارلم ، حى السود فى نيويورك.

تنتقل إلى المشروع، فلم أره أبداً. كانت المرأة أُما جيدة أثناء النهار: كان الأطفال مرتبين دائمًا، مرسلين دائمًا إلى المدرسة وتقوم بملاقاتهم عند موقف الحافلة. ولكن الأم لم تكن إلى ذلك الحد من الانضباط مساء. فبعد العشاء كنا نراها مرتدية على أتم حال، خارجة في موعد، فيما الأطفال متروكون فى المنزل وحدهم. كان أكبر أطفالها فى مجرد العاشرة. كانت فالى تهز رأسها عادة، وقد أخبرتها أن الأمر لا يعنيها.

ولكن ذات ليلة، فى وقت متأخر، عندما كنا فى الفراش، سمعنا زعيق مكائن الإطفاء. وكان بمقدورنا أن نشم الدخان فى شقتنا. كانت نافذة غرفة نومنا تطل مباشرة على شقة المرأة السوداء فى مقابلنا، ومثل لوحة فى فيلم، كان يمكننا أن نرى الشعلات تتراقص فى تلك الشقة والأطفال الصغار يتراكضون فيها. قفزت فالى فى رداء نومها، انتزعت البطانية عن السرير وركضت خارجة من باب شقتنا. تبعتها. وصلنا فى الوقت المناسب بالضبط لنرى باب الشقة الأخرى يفتح على الممشى ويندفع الأطفال الأربعة راكضين. كان يمكننا أن نرى وراءهم شعلات لهب فى الشقة. كانت فالى تركض هابطة الممشى وراءهم، ولقد تساءلت ما الذى كانت تفعله بحق الجحيم. كانت تركض مسعورة، فى يدها بطانية تُجَرُّ على الأرضية. ثم رأيت ما رأته هى. كانت البنت الكبرى، وقد خرجت أخيراً، مخرجة الأطفال الصغار أمامها، قد بدأت تسقط. كان ظهرها مشتعلاً. ثم صارت مشعلاً من شعلة حمراء غامقة. سقطت. فيما كانت تتلوى على أرض الشقة فى صراع، قفزت فالى عليها ولفتها بالبطانية. ارتفع دخان رمادى قذر فوقهما فيما انصب رجال الإطفاء إلى المدخل مع خراطيم الماء.

تولى رجال الإطفاء الموقف، وعادت فالى معى إلى الشقة. كانت سيارات الإسعاف تشق الطريق إلى المماشى الداخلية للمشروع. ثم رأينا فجأة الأم فى الشقة المواجهة لنا. كانت تضرب على الزجاج بكلتا يدها وتصرخ عاليًا. كان الدم ينصب على ملابسها المبهرجة. لم أعرف ما كانت تفعل، ثم أدركت أنها كانت تحاول أن تقتل نفسها بالتخوزق على كِسَر الزجاج. جاء رجال إطفاء خلفها، خارج الدخان المتصاعد من

الشعلات الميتة، والأثاث المتفحم. سحبوها فأبعدوها عن النافذة، ثم رأيناها ممددة مشدودة على نقالة تحمل إلى سيارة الإسعاف.

مرة أخرى صارت مشاريع إسكان ذوى الدخل المنخفض هذه، المبنية بدون أية فكرة فى الربح، قد جعلت بشكل يجعل النار لا تنتشر أو يصير الدخان خطرًا بأسرع مما يجب للنزلاء الآخرين. الشقة الواحدة فقط احترقت. والطفلة التى احترقت ستشفى، كما قالوا، مع أنها ستكون مصابة بحروق شديدة. لقد خرجت الأم منذ الآن من المستشفى.

فى عصر السبت، بعد أسبوع، أخذت فالى الأطفال إلى بيت أبيها كى أتمكن من العمل على كتابى بهدوء. كنت أشتغل جيداً جدا عندما سمعت قرعًا على باب الشقة. كان قرعاً خجولاً لم أكد أسمعه من حيث كنت أشتغل على طاولة المطبخ.

عندما فتحت الباب، كان ثمة هذا الرجل الأسود المعْظِم، الذى بلون الشوكولا بالقشدة، على الباب. همهم ذاكرًا اسمه فلم أفهمه، ولكننى هززت رأسى إيجابًا. ثم قال:

- أردت فقط أن أشكرك وزوجتك على ما فعلتما لطفلتى. وفهمت أنه كان أبا العائلة فى أدنى الصالة، العائلة التى ضربتها النار.

سألته إن كان يريد الدخول ليشرب شيئًا. كان يمكننى أن أرى أنه كان يوشك أن يكون قريبًا من البكاء، مهانًا خجلاً لكونه يقدم شكره. أخبرته أن زوجتى كانت فى الخارج، ولكننى سأخبرها بأنه قد جاء. خطا إلى القدر الذى يجعله فقط داخل بابى، ليرينى أنه لن يهيننى برفض دخول بيتى، ولكنه لم يأخذ شرابًا.

لقد حاولت ما أمكننى، ولكن لابد من أنه كان واضحًا علىَّ أننى كنت أكرهه حقا. إننى كنت أكرهه منذ ليلة الحريق. كان أحد الرجال السود الذين يتركون زوجاتهم وأطفالهم على ذمة الرعاية الاجتماعية كى يخرجوا ويتسلوا، ليعيشوا حياتهم الخاصة. لقد قرأت الكتابات عن البيوت المحطمة للعائلات السوداء فى نيويورك. وكيف يجعل تنظيم المجتمع وعذاباته هؤلاء الرجال يتركون زوجاتهم وأطفالهم. وكنت أفهم ذلك فكريا، ولكن عاطفيا كان لى رد فعل ضده. من هم بحق الجحيم لكى يعيشوا حياتهم الخاصة. أنا لم أكن أحيا حياتى.

ولكننى رأيت عندئذ الدموع تجرى نازلة على تلك البشرة الشوكولا - حليبية. ولاحظت أن له رموشًا طويلة على عينين قهوائيتين ناعستين. ثم تمكنت أن أسمع كلماته. قال:

- أوه، أيها الرجل. لقد ماتت ابنتى الصغيرة صباح اليوم. ماتت فى ذلك المستشفى. وبدأ ينهار فأمسكت به، وقال:

- كان يفترض أن تتحسن، لم تكن الحروق بذلك السوء، ولكنها مع ذلك ماتت. جئت لزيارتها وقد كان كل امرئ فى ذلك المستشفى ينظر إلىَّ. أتدرى؟ أنت أبوها؟ أين كنت؟ ماذا كنت أفعل؟ كما لو كانوا يلوموننى. أتعرف؟.

كانت فالى تحتفظ بقنينة من ويسكى الجاودار فى غرفة المعيشة لأبيها وإخوتها عندما يأتون للزيارة. لم أكن، لا أنا ولا فالى، نشرب فى العادة. ولكننى لم أكن أدرى وحق الجحيم أين كانت تحتفظ بالزجاجة.

- انتظر دقيقة، قلت للرجل الباكى أمامى:

- إنك بحاجة إلى شراب. وجدت الزجاجة فى صوان المطبخ وهيأت كأسين. شربناهما معًا صرفًا، وتمكنت أن أرى أنه صار أفضل، لقد تمالك نفسه.

وأدركت، وأنا أراقبه، أنه لم يكن قد جاء ليقدم شكره لمنقذى ابنته المؤمَّلين. لقد جاء ليجد شخصًا يصب عليه حزنه وإثمه. وهكذا فقد أصغيت وتعجبت لأنه لم ير حكمى عليه فى وجهى.

أفرغ كأسه، وصببت له مزيدًا من الويسكى. ارتخى إلى وراء على الكنبة متعبًا.

- أتدرى، لم أكن أريد أبدًا أن أترك زوجتى وأطفالى. ولكنها مفعمة حيوية وقوية جدا. لقد اشتغلتُ بجد. إننى أشتغل شغلين وأوفر مالى. أريد أن أشترى بيتًا وأربى أطفالى على نحو صحيح. ولكنها تريد المرح، تريد وقتًا طيبًا. إنها أقوى مما ينبغى فتعين علىَّ أن أرحل. لقد حاولت أن أرى أطفالى أكثر، ولكنها ما كانت لتسمح. لو أعطيتها

مـالاً زائداً، كـانت تنفقـه على نفسـها لا علـى الأطفـال. ثم، تعـرف، ازداد انعزالنا عن أحدنا الآخر ووجدت امرأة تحب أن تحيا بالطريقة التى أعيشـها فصـرت غريبًا على أطفالى بالذات. وسيلومنى الآن كل إنسان لأن طفلتى الصغيرة ماتت. كما لو كنت أحد أولئك المتأنقين المنفلتين، الذين يتركون نساعهم لمجرد أن يلحقوا أنوفهم. فقلت:

ـ إن امرأتك هى من ترتهم وحدهم. فتنهد الرجل:

ـ لا أسـتطيـع أن ألومـها. إنهـا تجـن لو بقيت فى البـيت كل ليلة. وليس عندهـا مـال تدفعه لجليسة أطفال. كان يمكننى أن أتحملها أو كان يمكن أن أقتلها، هذا أو ذاك.

لم أستطـع أن أقـول شيـئًا، ولكننى راقبته وراقبنى ورأيت إذلاله فى قص ذلك كله على غريب، وغريب أبيض. ثم أدركت أننى كنت الشـخص الوحيد الذى كان يمكنه أن يعرض عليه خجله. لأننى لم أكن ذا شـأن حقـا، ولأن فـالى قد أخـمدت الشـعلات التى كانت تحرق ابنته. قلت:

ـ لقد أوشكت أن تقتل نفسها تلك الليلة. فانفجر باكيًا مرة أخرى، وقال:

ـ أوه. إنهـا تحب أطفالهـا. إن تركهم لوحدهـم لا يعنى شيـئًا. إنهـا تحبهـم جميعًا. وهى لن تغفر لنفسـها أبدًا، وذلك ما أخشـاه. إن تلك المرأة ستشرب حتى تقتل نفسـها، إنها تنحدر، يا رجل. لا أدرى ما الذى أفعله لها.

لم يكن ثمـة مـا أقـوله جـوابًا على هـذا. فى مـؤخـرة رأسى كنت أفكر: ضـاع يوم عمل، لم أكد حتى أتصفح ملاحظاتى. ولكننى قدمت له شيـئًا يأكله. أنهى شرابه ونهض لينصرف. مرة أخرى نظرة الخجل والإذلال فى وجهه وهو يشكرنى وزوجتى على ما كنا فعلناه لابنته. ثم انصرف.

عندما عادت فالى إلى البيت مع الأطفال تلك الليلة، أخبرتها بما جرى، فذهبت إلى غرفـة النوم وراحت تبكى بينمـا أعددت العشـاء للأطفال. وفكرت كيف أننى حكمت على الرجل حتى قبل أن أقابله أو أعرف عنه أى شىء. كيف وضعته فى خانة هيـأتها الكتب

التى كان علىَّ أن أقرأها، والسكارى ومتناولو المخدرات الذين جاءوا ليسكنوا فى المجمَّع معنا. فكرت فيه يهرب من قومه بالذات إلى عالم آخر ليس إلى ذلك الحد من الفقر والسواد، يهرب من الدائرة المشئومة التى سبق أن ولد فيها. وترك ابنته تموت بالنار. لن يغفر لنفسه أبداً، وسيكون حكمه على نفسه أقسى بكثير من الحكم الذى حكمت، فى جهلى، به عليه.

ثم بعد أسبوع تشاجر زوجان محبان وديعان عبر الردهة فقطع عنقها. كانا أبيضين. كان عندها عشيق إضافة إليه رفض أن يبقى جانباً. ولكن ذلك لم يكن مميتاً، وكانت الزوجة الضالة تبدو رومانسية بشكل مسرحى فى لفافات عنقها البيضاء الكبيرة عندما كانت تأخذ أطفالها الصغار إلى حافلة المدرسة.

كنت أعرف أننا خارجون فى الوقت الصحيح.

- ١٦ -

في مكتب احتياطي الجيش في مخزن الأسلحة كان شغل الرشوة يزدهر. ولأول مرة في تاريخ خدمتي المدنية تلقيت تصنيف ممتاز. بسبب نشاطات رشوتي، كنت قد درست كل التعليمات الجديدة المعقدة، وصرت أخيراً كاتباً كفئاً، اختصاصيا من الدرجة الأولى في هذا المضمار.

وبسبب من هذه المعرفة الخاصة، كنت قد أعددت نظاماً مكوكيا للزبائن. عندما ينهون خدمتهم الفعالة ذات الستة أشهر ويعودون إلى وحدتي الاحتياطية من أجل اللقاءات والمعسكر الصيفي لمدة أسبوعين، كنت أغيِّبهم. أعددت نظاماً قانونيا تماماً لهم ليتخلصوا من ذلك. كنت أستطيع أن أقدم لهم صفقة يصيرون بموجبها، بعد أن ينهوا خدمتهم الفعالة لمدة ستة أشهر، أسماء على جداول خدمة احتياطي الجيش غير الفعال لا يستدعون إلا في حالة الحرب. لا مزيد من اللقاءات الأسبوعية، ولا مزيد من مخيمات الصيف السنوية. وارتفع سعري. ومنفعة أخرى: كنت أتخلص منهم، فكان ذلك يفتح مواقع ثمينة.

ذات صباح فتحت الـ"ديلي نيوز"، وهناك على الصفحة الأولى صورة فوتوغرافية لثلاثة شبان. كان اثنان منهم رجلين سجلتهما في اليوم السابق بالذات. مائتي دولار للواحد. قفز فؤادي قفزة كبيرة وأحسست غثياناً بسيطاً. ماذا يمكن أن يكون الأمر غير فضح للنشاط كله؟ لقد انفجرت اللعبة. جعلت نفسي أقرأ التعليق. كان الفتى في الوسط ابن أكبر سياسي في ولاية نيويورك. حيًّا التعليقُ التسجيلَ الوطني لابن السياسي في احتياطي الجيش. كان ذلك كل ما هناك.

مع ذلك، أرعبتني صورة الجريدة. تراءت لي صور عن الذهاب إلى السجن، وترك فالي والأطفال وحيدين. طبيعي أني كنت أدري أن أباها وأمها سيعنون بهم، ولكنني لن

أكون هناك. سأفقد عائلتى. ولكن عندئذ، عندما وصلت إلى المكتب وأخبرت فرانك، ضحك وفكر أن ذلك أمر عظيم: اثنان من زبائننى الدافعين على الصفحة الأولى من الديلى نيوز. مجرد عظيم. قص الصورة ووضعها على لوحة النشرة لوحدته الخاصة باحتياطى الجيش. وكانت مزحة داخلية عظيمة لنا. واعتقد الرائد أنها علقت فى اللوحة لرفع معنويات الوحدة.

وقد ضللنى الخوف الزائف بطريقة ما. فمثل فرانك، بدأت أفكر أن العمل يمكن أن يمضى إلى الأبد. وربما كان سيمضى فعلاً، لو لم تقع أزمة برلين، التى جعلت الرئيس كينيدى يستدعى مئات الألوف من قوات الاحتياطى. الأمر الذى اتضح أنه تعيس جدا.

صار مخزن الأسلحة دار مجانين عندما انتشرت الأخبار بأن وحداتنا من احتياطى الجيش تم استدعاؤها إلى الجيش لتخدم لمدة سنة. جنَّ المتهربون من القرعة الذين سبق أن تواطأوا ودفعوا ليسجلوا على برنامج الستة أشهر. غضبوا كثيراً. وما كان أكثر إيذاءً أنهم هاهم هنا، أدهى الشبان فى البلاد: محامون مزدهرون، وعاملون ناجحون فى وول ستريت، وعبقريات إعلانية، وقد تفوق على ذكائهم أغبى المخلوقات: جيش الولايات المتحدة. لقد خدعهم برنامج الستة أشهر، احتال عليهم، لعب عليهم، وراوغهم، وباعهم، ودون مراعاة للجزء الصغير الوحيد: أن يتم استدعاؤهم إلى الخدمة الفعالة ويعودون إلى الجيش ثانية. فتيان المدينة المتحذلقون وقد غلبهم الريفيون الخرقى. ولم أكن أنا الآخر مسروراً من ذلك، مع أننى هنأت نفسى على كونى لم أصر أبداً عضواً فى الاحتياطى من أجل المال اليسير. ومع ذلك، كان نشاطى قد انقذف إلى الجحيم. لا مزيد من دخل الألف دولار شهريا المعفى من الضرائب. وكنت على وشك الانتقال سريعًا جدا إلى بيتى الجديد فى لونج آيلاند. ولكن مع ذلك، لم أدرك أن هذا سيجلب الكارثة التى طالما تنبأت بها. كنت مشغولاً جدا فى تصريف العمل المكتبى الهائل الذى انطوى عليه وضع وحدتى رسميا فى الخدمة الفعالة.

كان ثمة تجهيزات وبدلات ينبغى طلبها، وجميع أنواع أوامر التدريب التى يجب إصدارها. ثم كان هناك الهجوم المذعور الوحشى للتخلص من استدعاء السنة الواحدة.

كان الجميع يعرفون أن للجيش تعليمات لحالات الشدة. لقد صعق بشكل خاص أولئك الذين كانوا فى برنامج الاحتياطى طوال السنوات الثلاث أو الأربع الماضية، وقد أوشكوا على إتمام قيدهم. أثناء هذه السنوات كانت أعمالهم قد ازدهرت، كانوا قد تزوجوا، وصار لهم أطفال. كانت لهم مكانة سادة حرب أمريكا. ثم صار ذلك كله وهمًا.

ولكن تذكَّر، لقد كان هؤلاء أحدً فتيان أمريكا ذهنًا: عمالقة تجارة المستقبل وقضاته ونجوم شغل استعراضاته. إنهم لا يتلقون الأمر منبطحين. لقد جعل شاب معين، وهو شريك فى مقعد أبيه فى بورصة وول ستريت، زوجته تدخل عيادة نفسانية، ثم تقدم بأوراق طلب سماح مصاعب على أساس أن زوجته تعانى من انهيار عصبى. قدمت الوثائق كاملة مع رسائل رسمية من أطباء ومن المستشفى، لم ينفع. كانت واشنطن قد تلقت آلاف الحالات واتخذت موقفًا بألا يتخلص أحد على أساس الصعوبات. وعادت رسالة تقول إن الزوج المسكين سيستدعى إلى الخدمة الفعالة ثم سيقوم الصليب الأحمر بالتحقيق فى ادعاء الصعوبة. ولابد من أن الصليب الأحمر قام بعمل جيد، لأنه بعد شهر، عندما كانت وحدة الفتى قد شحنت إلى (فورت لى) فى فرجينيا، جاءت الزوجة ذات الانهيار العصبى إلى مكتبى تطلب الأوراق اللازمة للانضمام إليه فى المعسكر. كانت مرحة، وظاهرًا أنها تتمتع بصحة جيدة. فى صحة من الجودة بحيث إنها لم تستطع مسايرة اللعبة والبقاء فى المستشفى. أو ربما لم يرض الأطباء أن يستمروا إلى حد المضى زمنًا لمواصلة الخداع.

تلفن لى السيد هيلر بشأن ابنه، جيريمى. أخبرته أنه لم يكن ثمة ما أستطيع أن أفعله. ضغط على وضغط، فقلت مازحًا لو أن ابنه كان لواطيا، فلربما سيعفى من احتياطى الجيش ولا يستدعى للخدمة الفعالة. كان هناك توقف طويل على الجانب الآخر من الهاتف، ثم شكرنى ووضع السماعة. وبالتأكيد، جاء جيريمى بعد أسبوعين وملأ الأوراق اللازمة للخروج من الجيش على أساس أنه كان لواطيا. أخبرته أن ذلك سيبقى فى ملفه دائمًا. أنه فى وقت متأخر ما من حياته سيأسف على أن يكون له مثل هذا الملف الرسمى. كان يمكننى أن أرى أنه كان مترددًا، ثم قال أخيرًا: يقول أبى إن ذلك خير من أن أقتل فى حرب.

فمررت الأوراق. وقد أعيدت من غوفرنرز آيلاند، مقر الجيش الأول. بعد أن يلتحق (الجندى المكلف) هيلر، سيتم تقويم حالته من قبل هيئة فى الجيش النظامى. لطمة أخرى.

أدهشنى أن إيلى حمصى لم يتلفن لى. ولم يُظهر ابن صانع الملابس، بول، حتى وجهه فى مخزن الأسلحة منذ صدور أوامر الاستدعاء إلى الخدمة الفعالة. ولكن تم حل هذا الغموض عندما تلقيت أوراقًا بالبريد من طبيب اشتُهر بسبب كتبه المنشورة عن العلاج النفسانى. كانت هذه الأوراق تشهد على أن بول حمصى قد تلقى معالجات بالصدمة الكهربائية بسبب حالة عصبية طيلة الأشهر الثلاثة الماضية، ولا يمكن استدعاؤه للخدمة الفعالة، إذ ستكون مدمرة لصحته. استعرضت تعليمات الجيش المتعلقة بالموضوع. مؤكد أن السيد حمصى قد وجد طريقًا للخروج من الجيش. لابد من أنه كان يتلقى المشورة من ناس أعلى منى بكثير. حولت الأوراق إلى غوفرنرز آيلاند. وبالتأكيد، عادت أخيراً. ومعها أوامر خاصة بتسريح بول حمصى من احتياطى جيش الولايات المتحدة. تساءلت كم كلفت تلك الصفقة السيد حمصى.

حاولت أن أساعد كل شخص يتقدم بطلب تسريح بسبب المصاعب. كنت أتأكد من وصول الوثائق إلى مقر غوفرنرز آيلاند وأجرى مكالمات هاتفية خاصة لمتابعتها. بكلمات أخرى، كنت متعاونًا إلى أقصى حد ممكن مع زبائنى. ولكن فرانك ألكور كان النقيض.

كان فرانك قد استدعى مع وحدته إلى الخدمة الفعالة. وقد اعتبر ذهابه مسألة شرف. لم يقم بمجهود من أجل الحصول على تسريح بذريعة المصاعب، مع أنه كانت عنده حالة صالحة لذلك تماماً مع زوجته وأطفاله وأبويه العجوزين. وكان عنده تعاطف قليل جدا مع كل من يحاول من وحداته الخروج من استدعاء السنة الواحدة. بوصفه الضابط الإدارى الرئيس لكتيبته، سواء كمدنى وعريف وحدة للكتيبة، فقد بحث كل طلبات التسريح بسبب المصاعب. جعل الأمر أصعب ما يمكن عليهم جميعاً. لم يتملص أى من رجاله من الاستدعاء إلى الخدمة الفعالة ولا حتى أولئك الذين كانت لديهم أسس شرعية. وكان كثيرون من أولئك الرجال الذين درس طلباتهم رجالاً قد دفعوا له دولارات عليا لشراء قيدهم فى مشروع الستة أشهر. وعندما حل وقت مغادرة فرانك ووحداته مخزن الأسلحة وتم شحنهم إلى فورت لى، كان ثمة الكثير من الضغينة.

كانت تجرى ممازحتى لأننى لم أقع فى فخ برنامج احتياطى الجيش، من أننى كنت أعرف شيئًا ما. ولكن مع ذلك المزاح كان ثمة احترام. كنت الرجل الوحيد فى مخزن الأسلحة الذى لم ينخدع بالمال اليسير وغياب الخطر. كنت فخوراً بنفسى نوعًا ما. كنت قد فكرت فى الأمر متمعنًا منذ سنوات. لم تكن المكافآت المالية كافية للتعويض عن النسبة الدنيا من الخطر القائم. كانت الاحتمالات ألفًا لواحد ضد الاستدعاء إلى الخدمة الفعالة، ولكننى مع ذلك قاومت. أو ربما أننى كنت أنظر إلى المستقبل. وكانت السخرية أن عدداً كبيراً من جنود الحرب العالمية الثانية قد وقعوا فى المصيدة. وما كانوا ليصدقوا الأمر. هاهم، رجال سبق أن حاربوا ثلاث سنوات أو أربع فى الحرب القديمة، الآن ثانية فى ملابس القتال الخضراء. صحيح، إن أغلب القدماء لن يروا معارك أو يصيروا فى خطر، ولكنهم مع ذلك، غضبوا. لم يكن الأمر يبدو عادلاً. فرانك ألكور وحده لم يكن يبدو عليه الانزعاج. قال: لقد أخذت الدسم. وعلىَّ الآن أن أدفع مقابله. وابتسم لى: يا ميرلين، لقد كنت طالما أعتبرك غبيا. ولكنك تبدو منذ الآن ذكيا جدا.

فى نهاية الشهر، عندما تم إرسال الجميع إلى مراكزهم، اشتريت هدية لفرانك. كانت ساعة معصم فيها كل الأنواع على وجهها كى تبين اتجاهات البوصلة ووقت النهار. مقاومة تمامًا للصدمات. كلفتنى مائتى دولار، ولكننى كنت أحب فرانك حقا. وأظننى كنت أحسنى مذنبًا نوعًا ما لأنه ذاهب بينما لست أنا ذاهبًا. ولقد تأثر بالهدية وطوقنى فى شبه عناق ودود. قلت:

- يمكنك دائمًا أن ترهنها عندما يتراجع حظك. وضحكنا كلانا.

طيلة الشهرين التاليين كان مخزن الأسلحة خاليًا وهادئًا بشكل غريب. كان نصف الوحدات قد ذهب إلى الخدمة الفعالة فى برنامج الاستدعاء. ومات برنامج الستة أشهر؛ لم يعد يبدو صفقة جيدة بعد. كنت بلا عمل، بقدر ما يتعلق العمل بنشاطى. ما كان ثمة ما أفعله، وهكذا فقد صرت أشتغل على روايتى فى المكتب. كان الرائد كثيراً ما يخرج، وكذلك كان عريف الجيش النظامى. ولما كان فرانك فى الخدمة الفعالة، فقد

كنت وحيداً في المكتب أغلب الوقت. في أحد هذه الأيام دخل شاب وجلس إلى مكتبي. سألته عما يمكنني أن أفعله له. سألني إن كنت أتذكره. وكنت أتذكره، بغموض، ثم ذكر اسمه: موراي نادلسون:

ـ لقد خدمتني في عمل معروف. كانت زوجتي مصابة بالسرطان.

ثم تذكرت المشهد. لقد وقع قبل نحو سنتين. كان أحد زبائني السعداء قد رتب لي لقاء مع موراي نادلسون. تغدينا نحن الثلاثة معًا. كان الزبون دلاَّلاً كالدبور من دلاَّلي وول ستريت جيد الرماية يدعى بودي ستوف. بائعًا ممتازًا يبيع بيسر تام. ولقد أخبرني بالمشكلة. كانت زوجة موراي نادلسون مصابة بالسرطان. كان علاجها مكلفًا، ولم يكن موراي يستطيع أن يتحمل دفع كلفة دخوله إلى احتياطي الجيش. وكذلك، كان يرتعب حتى الموت من أن يجنَّد لسنتين ويرسل إلى ما وراء البحار. سألت لماذا لا يطلب تأجيل شدَّة على أساس صحة زوجته. لقد حاول ذلك، وقد رفض طلبه.

لم يكن ذلك يبدو صحيحًا، ولكنني تركته يمر. شرح بودي ستوف أن إحدى الجاذبيات الكبيرة لبرنامج الستة أشهر في الخدمة الفعالة هي أن الخدمة تؤدى في الولايات المتحدة، وأنه سيكون بمقدور موراي نادلسون أن يجلب زوجته لتقيم خارج أية قاعدة تدريب يكون قد أرسل إليها. وبعد أشهره الستة، كانا يريدان أيضًا الصفقة التي يمكن بوساطتها أن ينقل إلى مجموعة السيطرة لكي لا يضطر إلى المجيء إلى اللقاءات. لقد كان عليه البقاء مع زوجته حقا أطول وقت ممكن.

هززت رأسي إيجابًا. حسنًا، سأفعلها. ثم ألقى بودي ستوف الكرة المنحرفة. لقد كان يريد أن يتم الأمر كله مجانًا. بلا مصاريف. لا يمكن لصديقه، موراي، أن ينفق سنتًا واحدًا.

في هذه الأثناء، لم يكن موراي يستطيع أن ينظر في عينيَّ. أبقى رأسه مطأطأ. تصورت ذلك خداعًا ولكنني لم أستطع أن أتصور أي إنسان يتذرع في ذلك بزوجته، قائلاً إنها مصابة بالسرطان، لمجرد أن يتخلص من دفع بعض المال. ثم كانت لي رؤية.

ماذا لو أن الأمر كله انفجر ذات يوم وأن الصحف ذكرت أننى جعلت رجلاً امرأته مصابة بالسرطان يدفع رشوة لكى أدبر أمره؟ سأبدو مثل أسوأ نذل فى البلاد، حتى لنفسى. وهكذا فقد قلت نعم، بالتأكيد، حسناً، وقلت شيئًا لموراى عن أننى أرجو أن تتحسن زوجته. وقد اختتم ذلك الكلام الغداء.

كنت قد أحسست قليلاً من السخط فقط. كنت جعلت من سياستى أن أقيد فى برنامج الستة أشهر كل شخص يقول إنه لا يستطيع الدفع. وقد وقع ذلك عدداً كثيراً جداً من المرات. كنت أحمّل ذلك على الإرادة الطيبة. ولكن النقل إلى مجموعة سيطرة والتملص من خمس سنوات ونصف من خدمة الاحتياط صفقة تساوى مبلغًا كبيراً من المال. كانت هذه المرة الأولى التى يطلب فيها إلىَّ أن أتنازل عن ذلك مجانًا. كان بودى ستوف نفسه قد دفع خمسمائة دولار عن ذلك المعروف الخصوصى، إضافة إلى مائتى دولاره عن تسجيله.

على أية حال، جعلت كل ما هو لازم يجرى بيسر وعلى نحو كفء. خدم موراى نادلسون أشهره الستة؛ ثم ضممته إلى مجموعة السيطرة، حيث يمكنه أن يكون مجرد اسم على جدول الخدمة. فماذا كان موراى يفعل الآن عند مكتبى بحق الجحيم؟ صافحته وانتظرت. قال موراى:

- تلقيت مكالمة من بودى ستوف. لقد استدعى من مجموعة السيطرة. إنهم يحتاجون إلى اختصاصه فى إحدى الوحدات التى ذهبت إلى الخدمة الفعالة. فقلت:

- يا لسوء حظ بودى. لم يكن صوتى متعاطفًا جدا. لم أشأ أن يتكون عنده انطباع بأننى سأقدم عونًا.

ولكن موراى نادلسون كان ينظر مستقيمًا فى عينى كما لو كان يهيئ الأعصاب ليقول شيئًا يجد صعوبة فى قوله. وهكذا فقد استرخيت فى مقعدى ودفعته إلى الوراء وقلت:

ـ لا يمكنني أن أفعل له شيئًا.

فهز نادلسون رأسه بتصميم:

ـ إنه يعرف ذلك. وتوقف لحظة: تعرف أنني لم أشكرك كما يجب على كل الأشياء التي فعلتها لي. لقد كنت الوحيد الذي قدم العون. كنت أريد فقط أن أخبرك بذلك ذات مرة. لن أنسى ما فعلت لي. ذلك هو سبب وجودي هنا. ربما أمكنني أن أساعدك.

ارتبكت الآن. لم أكن أريده أن يقدم المال في هذا التاريخ المتأخر. فما فات فات. ولقد كنت أحب فكرة أن يكون لي عمل طيب في السجلات التي أحتفظ بها عن نفسي. فقلت:

ـ انس الأمر. كنت لا أزال محترسًا. لم أشأ أن أسأله كيف كانت زوجته، فأنا لم أكن صدقت تلك القصة أبداً. ولقد أحسست عدم ارتياح، لامتنانه الشديد من تعاطفي بينما لم تكن غير مسألة علاقات عامة. قال نادلسون:

ـ طلب مني بودي أن أجيء لرؤيتك. أراد أن يحذرك أن ثمة رجالاً من مكتب التحقيقات الاتحادي في كل أرجاء فورت لي يستجوبون الرجال في الوحدات. تعرف، عن دفعهم لدخول البرنامج. إنهم يطرحون أسئلة عنك وعن فرانك ألكور. ويبدو أن صديقك ألكور في مشكلة عويصة. لقد قدم نحو عشرين من الرجال شهادات بأنهم دفعوا له. يقول بودي إن هيئة محلفين كبرى (*) ستنعقد في نيويورك لمقاضاته خلال بضعة أشهر. ولكنه لا يعرف عنك. أرادني أن أحذرك بأن تتيقظ بشأن كل ما تقول أو تفعل. وأنك إن احتجت إلى محام، فسيحصل لك على واحد.

لبرهة لم أستطع حتى أن أراه. لقد أظلم العالم، حرفيا. شعرت مرضًا شديداً بحيث إن موجة من الغثيان أوشكت أن تجعلني أتقيأ. تقدم مقعدي إلى أمام. تهيأت لي رؤى عن الفضيحة، عن إلقاء القبض عليَّ. فالي مرتعبة، وأبوها غاضب، وعار أخي آرتي وخيبة أمله فيَّ. لم يعد قُبَّرة سعيدة بعد، انتقامي ضد المجتمع. ولكن نادلسون كان ينتظر أن أقول شيئًا. قلت:

(*) الهيئة التي تقرر إن كان العمل المبحوث يشكل جريمة ويستأهل محاكمة أم لا.

- يا ليسوع المسيح. كيف وصلوا إليها؟ لم يكن ثمة عمل منذ الاستدعاء. ما الذى هداهم إلى الآثار؟.

بدا نادلسون شاعراً بالذنب نوعًا ما بالنيابة عن زملائه الراشين:

- كان بعضهم شديدى السخط لأنه تم استدعاؤهم، بحيث إنهم كتبوا رسائل غفلاً إلى مكتب التحقيقات الاتحادى عن دفع مال كى يسجلوا فى مشروع الستة أشهر. كانوا يريدون أن يلقوا ألكور فى المصاعب. فهم يلومونه. وكان بعضهم ساخطًا لأنه حاربهم عندما حاولوا أن يزوغوا من الاستدعاء. ثم هناك فى المعسكر هو رأس عرفاء متشدد جداً، وهم لا يحبون ذلك. وهكذا فقد أرادوا إيقاعه فى مشكل، وقد فعلوا.

كان ذهنى يتسابق. لقد مضت سنة تقريبًا منذ رأيت كولى فى فيجاس وخبأت مالى. فى هذه الأثناء، جمعت نحو خمسة عشر ألف دولار أخرى. وكذلك، كنت على وشك الانتقال إلى بيتى فى لونج آيلاند قريبًا جدا. كان كل شىء يتداعى فى أسوأ وقت ممكن. وإذا ما كان مكتب التحقيقات الاتحادى يتحدث إلى كل امرئ فى فورت لى، فلقد تحدث مع ما لا يقل عن مائة رجل أخذت منهم مالاً. كم منهم سيعترفون بأنهم أعطونى؟. وسألت نادلسون:

- هل ستوف متأكد من أن هيئة محلفين كبرى ستنعقد من أجل ذلك؟. فقال موراى:

- لابد من أن تنعقد. ما لم تتستر الحكومة على الأمر كله، تعرف: ترفسه إلى تحت السجادة!. فقلت:

- أثمة أمل فى ذلك؟. فهز موراى نادلسون رأسه نفيًا:

- كلا. ولكن يبدو أن بودى يعتقد أن بمقدورك أن تجتاز الأمر. فجميع الرجال الذين تعاملت معهم يعتبرونك فتى طيبًا. إنك لم تضغط من أجل المال، كما كان ألكور يفعل. ما من أحد يريد توريطك فى مصاعب، وإن بودى ينشر هناك كلمة مفادها ألا يورطنك أحد. فقلت:

- اشكره نيابة عنى.

نهض نادلسون وصافحني، وقال:

ـ إنني لا أريد إلا أن أشكرك ثانية. إن كنت تريد شاهد حسن أخلاق ليشهد لصالحك، أو كنت تريد أن تحيل مكتب التحقيقات الاتحادى إلىَّ، فسأكون بالانتظار وأفعل خير ما أستطيع.

صافحته، وأحسست بالامتنان حقا. قلت:

ـ هل ثمة شيء أستطيع أن أفعله لك؟ أثمة احتمال بأن يتم استدعاؤك من مجموعة السيطرة؟. فقال نادلسون:

ـ كلا. إن عندى طفلاً، ألا تذكر؟ وقد توفيت زوجتى منذ شهرين. وهكذا فأنا فى أمان.

لن أنسى وجهه عندما قال ذلك أبداً. كان صوته ذاته مليئًا باشمئزاز من الذات مرير. وكان وجهه مكتسيًا بمسحة خجل وكراهية. كان يلوم نفسه على كونه حيا. ومع ذلك فلم يكن ثمة شيء يمكنه أن يفعله غير أن يتابع المسار الذى وضعته الحياة أمامه. أن يعنى بطفله، وأن يذهب إلى عمله فى الصباح، وأن يطيع رجاء صديق ويأتى إلى هنا ليحذرنى وليقدم شكرًا لى على شيء كنت فعلته له وأحس أنه كان مهمًّا له فى وقته وهو لا يعنى له شيئًا الآن حقا. قلت إننى أسف بشأن زوجته، ولقد صرت الآن مؤمنًا، لقد كان بهلولاً حقيقيا. أحسست سوءًا بالغًا لسوء ظنى به. ولربما كان قد وفر ذلك إلى الآخر لأنه، قبل سنوات، عندما أبقى رأسه مطأطأ فيما كان بودى يرجونى، لا شك كان يدرى أننى كنت أظنهما يكذبان كلاهما. لقد كان ذلك انتقامًا صغيرًا، وكان من حقه تمامًا أن يأخذه.

قضيت أسبوعًا شديد النرفزة قبل أن تقع الفأس أخيرًا. كان ذلك يوم اثنين، ولقد دهشت لمجيء الرائد إلى المكتب متألقًا ومبكرًا، بالنسبة له، فى يوم اثنين. ألقى علىَّ نظرة غريبة ثم دخل إلى مكتبه الخاص.

فى الساعة العاشرة بالضبط دخل رجلان وسألا عن الرائد. عرفت من كانا للتو. كانا بالضبط تقريبًا كما تصورهم الأدبيات والأفلام، يلبسون بشكل محافظ: بدلات

وأربطة عنق، ويعتمرون قبعات لباد زنبورية كبيرة. كان الأكبر منهما في حوالى الخامسة والأربعين له وجه مغضن يبدو ضجراً بهدوء. أما الآخر فكان مجرد خارج الزمن قليلاً. كان أفتى أكثر وله البنية الطويلة النحيلة مفتولة العضل لغير الرياضيين. تحت بدلته المبطنة المحافظة كان ثمة هيكل نحيل جدا. وكان وجهه أملط نوعًا ما ولكن وسيماً بطريقة طيبة السريرة جدا. أدخلتهما إلى غرفة الرائد. بقيا معه نحو ثلاثين دقيقة، ثم خرجا ووقفا أمام منضدتي. وسأل الأكبر رسميا:

- أأنت جون ميرلين؟، فقلت:

- نعم.

- أيمكننا التحدث إليك في غرفة خاصة؟ لقد أخذنا موافقة ضابطك.

نهضت وقدتهما إلى واحدة من الغرف التي كانت تستعمل مقرا للوحدة الاحتياطية في ليالي اللقاءات. نتر كلاهما جزدانيهما ففتحاهما ليريا بطاقتي هوية خضراوين. وقدم الأكبر نفسه:

- أنا جيمس والاس من مكتب التحقيقات الاتحادي. وهذا توم هانون.

رماني الرجل المدعو هانون بابتسامة ودية:

- نريد أن نسألك بعض الأسئلة. ولكنك لست ملزماً بالإجابة عليها من دون استشارة محام. ولكن إن أجبتنا، فكل ما ستقوله يمكن أن يستعمل ضدك. واضح؟. فقلت:

- حسنًا.

جلست عند جانب من المنضدة، وجلسا، كل واحد عند جانب من المنضدة بحيث صرت محصوراً.

سأل الأكبر، والاس:

- أعندك أدنى فكرى عن سبب وجودنا هنا؟. فقلت:

ـ كلا.

كنت قد صممت ألا أتطوع حتى ولا بكلمة واحدة، ألا أقوم بأية براعات. ألا أتصنع التمثيل. سيعرفان أنه كان عندى فكرة عن سبب وجودهما، ثم ماذا؟ قال هانون:

ـ هل عندك من معرفتك الشخصية أية معلومات يمكنك أن تعطينا إياها عن أخذ فرانك ألكور رشاوى من الاحتياطيين لأى سبب مهما كان؟. فقلت:

ـ كلا. لم يمكن ثمة أى تعبير على وجهى. كنت قد عزمت على ألا أكون ممثلاً. لا إجفالات دهشة، ولا ابتسامات، ولا شيء مما يمكن أن يستحث أسئلة أو هجمات إضافية. دعهما يظنان أننى أتستر على صديق. سيكون ذلك اعتياديا حتى إن لم أكن مذنبًا. قال هانون:

ـ هل أخذت قط مالاً من أى احتياطى لأى سبب كان؟. فقلت:

ـ لا.

وقال والاس ببطء شديد، وبتروٍّ شديد:

ـ أنت تعرف كل شيء عن الأمر. لم تسجلا فتيانًا خاضعين للقرعة إلا عندما كانوا يدفعون لكما مبالغ معينة من المال للقيام بذلك. تعرف أنك وفرانك ألكور تلاعبتما بتلك القوائم. إن أنكرت ذلك، فإنك تكذب على ضابط اتحادى، وتلك جريمة. والآن، إننى أسألك مرة أخرى، هل أخذت قط مالاً أو أى حافز آخر لتحابى تسجيل شخص ما على آخر؟. فقلت:

ـ لا.

ضحك هانون فجأة:

ـ لقد ظفرنا بصاحبك فرانك ألكور مسمَّرًا. عندنا شهادات بأنكما أنتما الاثنان كنتما شريكين. وأنكما ربما كنتما فى عصبة مع موظفين مدنيين آخرين أو حتى ضباط

فى هذا المبنى لأخذ رشاوى. إذا ما تحدثت إلينا وأخبرتنا بكل ما تعرف، فيمكن أن يكون ذلك أفضل لك بكثير.

لم يكن ثمة سؤال، وهكذا فقد اكتفيت بالنظر إليهما ولم أجب.

فجأة، قال والاس بصوته الهادئ الرتيب:

- إننا نعرف أنك الشخص القيادى لهذه العملية. وعندئذ حطمت قواعدى للمرة الأولى. ضحكت. كانت ضحكة بالغة الطبيعية بحيث إنهما لم يستطيعا أن يغتاظا. فى الحقيقة، رأيت هانون يبتسم قليلاً.

كان سبب ضحكى هو كلمة الشخص القيادى. للمرة الأولى صدمنى الأمر كله باعتباره شيئًا مأخوذًا تمامًا من فيلم من الدرجة الثانية، وقد ضحكت لأننى كنت أتوقع أن يقول هانون شيئًا من ذلك القبيل، فقد كان غرًّا بما يكفى. لقد تصورت والاس الرجل الخطير، ربما لأنه كان واضحًا أنه هو المسئول.

ولقد ضحكت لأننى كنت أعرف الآن أنهما كانا على الطريق الخطأ جدا. كانا يبحثان عن مؤامرة معقدة حقا، حلقة منظمة لها عقل مدبر. وإلا ما كانت لتكون جديرة بوقت هؤلاء الصيادين ذوى الوزن الثقيل من مكتب التحقيقات الاتحادى. لم يكونا يعرفان أنها كانت مجرد مجموعة من كتّاب صغار ينصبون ليكسبوا دولارًا إضافيا. لقد نسيا ولم يفهما أن هذه كانت نيويورك، حيث يكسر كل امرئ قانونًا كل يوم بهذا الشكل أو ذاك. لم يكن بمقدورهما أن يتصورا فكرة أن يكون لكل امرئ جرأة أن يصير أعوج ذاتيا. ولكننى لم أشأ أن أجعلهما يغضبان بشأن ضحكى، وهكذا فقد نظرت إلى والاس فى عينه مباشرة، وقلت بحزن:

- أتمنى لو كنت شخصًا قياديا لشىء ما، بدلاً من كاتب تافه.

نظر إلىَّ والاس متأملاً، ثم قال لهانون:

- أعندك شىء آخر. فهز هانون رأسه. نهض والاس:

- أشكرك على إجابة أسئلتنا. وفى اللحظة ذاتها نهض هانون، فوقفت أنا أيضاً. صرنا لبرهة نحن الثلاثة واقفين قريبين من أحدنا الآخر، وبدون أن أفكر فى الأمر مددت يدى فصافحها والاس. فعلت الشىء نفسه مع هانون. ثم سرنا خارجين من الغرفة معًا وهبطنا الصالة إلى مكتبى. هزا رأسيهما مودعين فيما واصلا السير إلى السلالم التى ستقودهما إلى الطابق الأدنى وخارج المبنى، ومضيت أنا إلى منضدتى.

كنت هادئًا بشكل مطلق، لا عصبيا. ولا حتى قليلاً. تأملت فى عرضى للمصافحة. أعتقد أن ذلك العمل كان ما حطم التوتر فى داخلى. ولكن لماذا فعلته؟ أظن ذلك بسبب نوع ما من الامتنان، أنهما لم يحاولا إذلالى أو إرهابى بالصراخ. أنهما أبقيا الاستجواب ضمن حدود متمدنة. ولقد شخصت أنهما كانا يحسان شفقة معينة لى. كان واضحًا أننى مذنب، ولكن على نطاق صغير جدا. كاتب تافه مسكين ينصب من أجل بضعة دولارات. صحيح أنهما سيضعاننى فى السجن إن استطاعا، ولكن فؤاديهما ما كانا يهويان ذلك. أو ربما كان الأمر مجرد تفاهة بالنسبة لهما فما كانا ليجهدا نفسيهما. أو ربما لأنهما لم يكونا يستطيعان الامتناع عن الضحك على الجريمة ذاتها. رجال يدفعون ليدخلوا الجيش. ثم ضحكت. إن خمسة وأربعين ألف دولار لم تكن بضعة دولارات تافهة. كنت أترك الشفقة للذات تحملنى بعيداً.

ما إن عدت إلى منضدتى حتى ظهر الرائد فى فتحة باب المكتب الداخلى وأشار لى أن ألحق به. كان الرائد يضع كل أوسمته على بزته. كان قد قاتل فى الحرب العالمية الثانية وفى كوريا، وكان على صدره ما لا يقل عن عشرين شريطا. سأل:

- كيف تدبرت أمرك؟، كان يبتسم قليلاً. فهززت كتفى:

- حسنًا، فيما أتصور.

هز الرائد رأسه فى تعجب:

- أخبرانى أن الأمر يجرى منذ سنوات. كيف بحق الجحيم تفعلونه يا جماعة؟. وهز رأسه فى إعجاب. قلت:

- أظن أنه هذر سخيف. أنا لم أرَ فرانك يأخذ دايمًا (*) من أى شخص أبدًا. إنهم مجرد بعض الرجال وقد سخطوا على استدعائهم إلى الخدمة الفعالة. فقال الرائد:

- إى. ولكن هناك فى فورت لى إصدار أوامر لتطيير مائة من أولئك الرجال إلى نيويورك ليشهدوا أمام هيئة محلفين كبرى. ذلك ليس هذرًا سخيفًا، وحدق إلىَّ مبتسمًا برهة:

- فى أى كتيبة كنت ضد الألمان؟. فقلت:

- المدرعة الرابعة. قال الرائد:

- لقد حصلت على نجمة برونزية فى صحيفتك. ليست أمرًا كبيرًا ولكنها شىء ما. كان عنده هو نجمة فضية وقلب أرجوانى من بين الأشرطة على صدره. قلت:

- لا، ليست أمرًا كبيرًا. قمت بإخلاء مدنيين فرنسيين تحت نيران القذائف. لا أظننى قتلت ألمانيًّا أبدًا. هز الرائد رأسه مؤيدًا وقال:

- ليست أمرًا كبيرًا. ولكنها أكثر مما فعل هؤلاء الفتية أبدًا. وهكذا، فإن كان بمقدورى مساعدتك، دعنى أعرف، حسنًا؟. فقلت:

- شكرًا.

وفيما نهضت لأنصرف، قال الرائد غاضبًا، لنفسه تقريبًا:

- بدأ ذانك النغلان يسألاننى أسئلة، فأمرتهما أن يذهبا وينبعصا. كانا يظناننى مشتركًا فى ذلك الهراء، وهز رأسه قائلاً:

- حسنًا، راقب مؤخرتك.

إن كون المرء مجرمًا هاويًا أمر لا يجدى حقا. بدأت ردود أفعالى على الأمور تشبه قاتلا فى فيلم يعرض عذابات الجريمة النفسانية. فى كل مرة كان جرس باب شقتى يرن فى وقت غير اعتيادى كان فؤادى يقفز حقًا. كنت أظنهم رجال الشرطة أو مكتب

(*) Dime: قطعة نقدية فلزية قيمتها عشرة سنتات.

التحقيقات الاتحادى. وطبيعى أنه كان مجرد أحد الجيران، أو إحدى صديقات فالى، تمر لتثرثر أو تستعير شيئًا . فى المكتب كان عملاء مكتب التحقيقات الاتحادى يمرون مرتين أسبوعيا، مصطحبين عادة شابًا ما كان واضحًا أنهم يريدون منه تشخيصى. كنت أعرف أنه أحد الاحتياطيين الذين شقوا طريقهم إلى مشروع الستة أشهر بدفع المال. وفى إحدى المرات جاء هانون ليثرثر، وقد نزلت إلى أسفل إلى مطعم الغداء لأجلب قهوة وشطائر لنا وللرائد. فيما كنا جالسين نثرثر، قال لى هانون بألطف طريقة يمكن تصورها:

- إنك رجل طيب يا ميرلين، إننى أكره حقا فكرة إرسالك إلى السجن. ولكن تعرف، لقد أرسلت الكثير من الرجال اللطيفين إلى السجن. إننى أفكر دائمًا: يا للعار. لو أنهم مجرد ساعدوا أنفسهم قليلاً.

ارتخى الرائد إلى وراء فى مقعده ليراقب رد فعلى. اكتفيت بأن هززت كتفى ورحت آكل شطيرتى. كان موقفى أنه لا معنى فى الإجابة على تعليقات كهذه. إذ إن ذلك يؤدى إلى نقاش عام حول كل مسألة الرشوة. فى أية مناقشة عامة قد أقول شيئًا يمكن أن يساعد، بطريقة ما، التحقيق. وهكذا، فلم أقل شيئًا . سألت الرائد إن كان بمقدورى أن آخذ إجازة لبضعة أيام كى أساعد زوجتى بالتبضع للعيد. لم يكن هناك الكثير من العمل حقا، وكان عندنا مدنى جديد فى المكتب ليحل محل فرانك ألكور، وبإمكانه أن يعنى بالمخزن أثناء غيابى. قال الرائد إن نعم. وكذلك هانون كان مغفلاً. كان تعليقه عن إرسال عديد من الرجال اللطفاء إلى السجن غبيا. قيدته على أنه مبتدئ، مبتدئ لطيف، ولكنه ليس الرجل الذى سيرسلنى إلى السجن. وإن فعل، فسأكون أول شخص يرسله.

ثرثرنا قليلاً ثم غادر هانون. كان الرائد ينظر إلىَّ باحترام جديد. ثم قال:

- حتى إن لم يستطيعوا أن يثبتوا أى شىء عليك، فإننى أقترح أن تبحث عن عمل جديد.

كان عيد الميلاد دائمًا شيئًا كبيرًا لفالى. كانت تحب تبضع الهدايا لأمها وأبيها وللأطفال ولى ولإخوتها وأخواتها. وفى عيد الميلاد هذا بالذات، كان عندها للصرف مال أكثر مما كان عندها فى أى عيد قبلاً. كان للولدين دراجتان فى خوانيهما تنتظرانهما. وقد أخذت كنزة صوفية مزررة، أيرلندية عظيمة مستوردة، لأبيها، وشالاً مخرَّمًا بالغلاء ذاته لأمها. لا أدرى ماذا أخذت لى. كانت تبقى ذلك سرا دائمًا. وكان علىَّ أيضًا أن أبقى هديتى سرا عليها. لم تكن هديتى لها مشكلة. لقد اشتريت، نقدًا، خاتمًا ماسيًّا صغيرًا، القطعة الأولى من المجوهرات الحقيقية التى أعطيها إياها. لم أكن قد أعطيتها حتى خاتم خطوبة. فى تلك السنوات القديمة المنصرمة لم يكن أى منا يؤمن بذلك النوع من الهراء البورجوازى. لكنها بعد عشر سنوات تغيرت، ولم أكن أنا أبالى حقا أن أشترى أو لا. كنت أعرف أن ذلك سيسعدها.

وهكذا، ففى عشية عيد الميلاد ساعدها الأطفال فى تزيين الشجرة فيما قمت أنا ببعض العمل فى المطبخ. كانت فالى لا تزال بلا فكرة عن المشكلة التى كنت فيها فى شغلى. كتبت بضع صفحات من روايتى ثم ذهبت لأتفرج على الشجرة. كانت فضة كلها مع أجراس حمراء وزرقاء وذهبية مموهة بضفائر فضية خشنة. وفى القمة كانت ثمة نجمة مضيئة. لم تكن فالى تستخدم مصابيح كهربائية أبدًا. كانت تكرهها على شجرة عيد الميلاد.

كان الأطفال جميعًا منفعلين، وقد استغرقنا وقتًا طويلاً لنأخذهم إلى الفراش ولنبقيهم هناك. بقوا ينسلون خارجين، ولم نجرؤ على أن نكون فظين معهم، ليس فى عشية الميلاد. أخيرًا أرهقوا وسقطوا نائمين. تأكدت منهم فى مراقبة أخيرة. كانوا يلبسون بيجاماتهم الجديدة لاستقبال بابا نويل، وكانوا قد استحموا جميعًا وفرَّشوا شعورهم. كانوا يبدون جميلين جدا بحيث لم أستطع أن أصدق أنهم أبناؤنا، أنهم يعودون إلى. فى تلك اللحظة، أحببت فالى حقا. شعرت أننى كنت محظوظًا حقا.

عدت إلى غرفة المعيشة. كانت فالى تكدس رزم عيد براقة ملفوفة بشكل مبهرج بأختام الميلاد تحت الشجرة. كان يبدو ثمة عدد كبير منها. ذهبت وجلبت رزمتى لها ووضعتها تحت الشجرة. قلت بخبث:

ـ لم أستطع أن آخذ لك الكثير. مجرد هدية واحدة صغيرة، كنت أعرف أنها لن تتصور قط أنها ستنال خاتم ماس حقيقيا.

ابتسمت لى ومنحتنى قبلة. لم تكن تبالى أبدًا حقا ما الذى تحصل عليه فى عيد الميلاد، كانت تحب شراء الهدايا للآخرين، للأطفال خاصة ثم لى ولعائلتها. أبيها وأمها وإخوتها وأخواتها. حصل الأطفال على أربع هدايا أو خمس. وكان ثمة دراجة هوائية شديدة التعقيد أسفتُ لأنها اشترتها. كانت دراجة بعجلتين لابنى الأكبر، وكنت آسفًا لأنه سيتعين علىَّ أن أركِّبها. ولم تكن لدى أدنى فكرة كيف.

فتحت فالى زجاجة نبيذ، وأعدت بعض الشطائر. فتحت العلبة الضخمة وأمسكت قطع الدراجة المختلفة. نشرت كل شىء على أرضية غرفة المعيشة، إضافة إلى ثلاث صفحات من التعليمات المطبوعة والمخططات. ألقيت نظرة واحدة وقلت:

ـ إننى أستسلم. فقالت فالى:

ـ لا تكن سخيفًا. جلست متصالبة الساقين على الأرض، راشفة النبيذ ودارسة المخططات. ثم بدأت العمل. وكنت أنا المساعد الأبله. ذهبت وجلبت مفك البراغى ومفتاح الربط وأمسكت الأجزاء اللازمة كى تتمكن من شدها معًا. كانت الساعة حوالى الثالثة صباحًا قبل أن جعلنا الشىء اللعين كاملاً. وخلال ذلك الوقت كنا قد أنهينا النبيذ وصرنا حطامًا عصبيا. وكنا نعرف أن الأطفال سيقفزون خارجين من الفراش بمجرد أن يستيقظوا. كانت أمامنا أربع ساعات نوم فقط تقريبًا. وعندئذ سيكون علينا أن نذهب إلى بيت أهل فالى من أجل يوم طويل من الاحتفال والابتهاج. قلت:

ـ يستحسن أن نذهب إلى السرير.

تمددت فالى على الأرضية، وقالت:

ـ أظننى سأكتفى بالنوم هنا.

تمددت إلى جانبها، ثم انقلبنا على جانبينا لنتمكن من معانقة أحدنا الآخر بقوة. تمددنا هنا متعبين وراضيين بمنتهى السعادة. فى تلك اللحظة كانت ثمة دقة عالية على الباب. نهضت فالى مسرعة، وعلى وجهها نظرة دهشة، ورمقتنى متسائلة.

خلال جزء من ثانية بنى ذهنى المذنب سيناريو كاملاً. كانوا، بالطبع، رجال مكتب التحقيقات. كانوا قد انتظروا عامدين حتى ليلة عيد الميلاد، حتى صرت، ماديا، عديم الحذر. كانوا هنا ومعهم أمر تفتيش واعتقال. سيجدون الخمسة عشر ألف دولار التى أخفيتها فى البيت ويقتادوننى إلى السجن. سيعرضون أن يتركوننى أقضى عيد الميلاد مع زوجتى وأطفالى إن أنا اعترفت. وإلا فسيتم إذلالى: ستكرهنى فالى على اعتقالى فى عيد الميلاد. سيبكى الأطفال، سيصابون بأذى مقيم إلى الأبد.

لابد من أننى بدوت مريضاً لأن فالى قالت لى:

- ما المشكلة؟. مرة أخرى كان ثمة دق عال على الباب. خرجت فالى من غرفة المعيشة واجتازت الصالة لترد عليه. كان بمقدورى أن أسمعها تحدث أحداً، وخرجت لأتناول دوائى. كانت عائدة خلال الصالة مستديرة نحو المطبخ. كان فى يديها أربع زجاجات حليب. قالت:

- كان بائع الحليب. لقد وزع مبكراً كى يتمكن من العودة إلى عائلته قبل أن يستيقظ أطفاله. رأى أنوارنا من تحت الباب، فدق الباب كى يتمنى لنا عيد ميلاد سعيداً. إنه رجل لطيف. وذهبت إلى المطبخ.

تبعتها، وجلست ضعيفاً فى أحد الكراسى. جلست فالى فى حضنى. قالت:

- أراهن أنك ظننته جاراً مجنوناً ما أو لصا. إنك تفكر دائماً بحدوث الأسوأ. وقبلتنى بولع:

- لنذهب إلى الفراش. منحتنى قبلة أكثر بطئاً، وهكذا ذهبنا إلى السرير. مارسنا الحب ثم همست:

ـ أحبك.

ـ وأنا أيضًا، قلت.

ثم ابتسمت في الظلام.

ولكن بعد عيد الميلاد بأربعة أيام دخل رجل غريب إلى مكتبي وسأل إن كان اسمي جون ميرلين. عندما قلت نعم، سلمني رسالة في حافظة. فيما فتحتها خرج. كان على الرسالة حروف رصينة مطبوعة بالإنجليزية القديمة:

المحكمة المنطقية للولايات المتحدة

ثم في طباعة بحرف عادي كبير:

المنطقة الجنوبية من نيويورك

ثم في سطور كبيرة الحروف اسمي وعنواني، وبعيدًا عند الجانب البعيد: تحية، في حروف كبيرة.

ثم النص:

نأمركم، بترك كل عمل مفرد وأعذار، بأن تظهروا أنتم وكل واحد منكم وتحضروا أمام الهيئة العظيمة لهيئة شعب الولايات المتحدة الأمريكية ، ثم استمرت لتعطى أوقاتًا ومكانًا وانتهت هكذا: المخالفة المدَّعاة: العنوان ١٨، القانون الأمريكي. وواصلت لتقول إنني إن لم أظهر فسأعتبر محتقرًا للمحكمة وأصير عرضة لعقوبات القانون.

حسنًا، لقد عرفت الآن أي قانون خرقت. العنوان ١٨، القانون الأمريكي. لم أكن قد سمعت به أبدًا. قرأتها مرة أخرى. سحرتني الجملة الأولى. بوصفي كاتبًا، أحببت طريقة صياغتها. لابد من أنهم أخذوها من القانون الإنجليزي القديم. وإنه لغريب كم يمكن لرجال القانون أن يكونوا دقيقين عندما يريدون أن يكونوا، لا مجال لإساءة الفهم. قرأت الجملة ثانية: نأمركم، بترك كل عمل مفرد وأعذار، بأن تظهروا أنتم وكل واحد منكم وتحضروا أمام الهيئة العظيمة لهيئة شعب الولايات المتحدة الأمريكية.

كان ذلك عظيمًا. قد يكون شكسبير كتبه. والآن وقد وقع الأمر أخيرًا أدهشني أنني كنت أحس نوعًا من الابتهاج، إلحاح على الانتهاء منه، رابحًا أو خاسرًا. في نهاية يوم العمل، تلفنت إلى لاس فيجاس وحصلت على كولى فى مكتبه. أخبرته بما جرى وأننى سأظهر خلال أسبوع أمام هيئة محلفين كبرى. أمرنى أن أحافظ على رباطة جأشى، ألا أقلق. سيطير إلى نيويورك فى اليوم التالى وسيتلفن إلى بيتى من فندقه فى نيويورك.

الفصل الرابع

- ١٧ -

خلال السنوات الأربع منذ وفاة جوردان، جعل كولى نفسه ذراع غرونيفيلت اليمنى. فبعد أن لم يعد فنانًا فى العد التنازلى، إلا فى قلبه، كان نادراً ما يقامر. كان الناس ينادونه باسمه الحقيقى، كولى كروس. كان رمز مناداته الهاتفى هو كسانادو اثنين. وكان أهم شىء على الإطلاق، أن كولى كان له الآن "القلم"، تلك السلطة الأكثر إثارة للاشتهاء فى لاس فيجاس. بخربشة الحروف الأولى من اسمه، كان بمقدوره أن يمنح غرفًا مجانية، وطعامًا مجانيًا وشرابًا مجانيًا إلى زبائنه المفضلين وأصدقائه. لم يكن عنده تفويض مطلق لاستخدام الـ"قلم"، الحق الملكى المحفوظ لمالكى الفندق ومدراء الكازينو - الأقوى - ولكن ذلك أيضًا سيأتى.

كان كولى قد تلقى مكالمة ميرلين فى طابق الكازينو، فى ركن البلاك جاك، حيث كانت المائدة رقم ثلاثة موضع ريبة. لقد وعد ميرلين بأنه سيجىء إلى نيويورك ويساعده. ثم عاد ليراقب المائدة ثلاثة.

كانت المائدة تخسر المال يوميا طوال الأسابيع الثلاثة الماضية. وفقًا لقانون نسب غرونيفيلت كان هذا غير ممكن، لابد من أن ثمة خداعًا. كان كولى قد راقب من عيون خفية، أعاد تشغيل أشرطة الفيديو التى تراقب المائدة، وراقب شخصيا، ولكنه لم يتمكن بعد من تشخيص ما الذى كان يجرى. ولم يكن يريد تقديم تقرير لغرونيفيلت حتى يكون قد حل الإشكال. كان يحس أن المائدة كانت تمر بدورة من الحظ السيئ، ولكنه كان يعرف أن غرونيفيلت لن يقبل ذلك التفسير. لقد كان غرونيفيلت يؤمن بأن المؤسسة ما كان ممكنًا أن تخسر على المدى الطويل، وبأن قوانين النسبة ليست عرضة للمصادفة. كما يؤمن المقامرون بشكل غامض بحظوظهم، كان غرونيفيلت يؤمن بالنسب. لا يمكن أن تخسر موائده أبدًا.

بعد تلقى مكالمة ميرلين، ذهب كولى إلى المائدة الثالثة ثانية. لما كان خبيراً فى كل أنواع الحيل، اتخذ قراراً نهائيًا بأن النسب، ببساطة، قد جنّت. سيقدم تقريراً كاملاً لغرونيفيلت ويدعه يتخذ القرار فيما إذا كان سيستبدل العاملين أم سيفصلهم.

ترك كولى الكازينو الضخم وسلك السلم عن طريق المقهى إلى الطابق الثانى الذى كان يؤدى إلى الأجنحة الإدارية. تفحص مكتبه ليرى إن كانت ثمة رسائل ثم ذهب إلى مكتب غرونيفيلت. أخبرته السكرتيرة أن غرونيفيلت قد ذهب إلى جناحه السكنى فى الفندق. جعل السكرتيرة تهاتف غرونيفيلت ليرى ما إذا كان لا يوجد مانع من ذهابه إلى هناك، ثم ذهب.

كان يتساءل دائمًا عن سبب إقامة غرونيفيلت لنفسه منزلاً هناك بالذات فى فندق الكسانادو. على الطابق الثانى كان ثمة جناح زاوية هائل، ولكن من أجل الدخول إليه، لابد من أن يرن المرء جرساً إلى شرفة خارجية ضخمة فيها حوض سباحة ومرج من حشيش اصطناعى أخضر براق، خضرة من اللمعان بحيث إنك تعرف أنها لن تدوم أبداً أكثر من أسبوع فى شمس فيجاس الصحراوية.

كان غرونيفيلت وحده. كان يرتدى بدلة بيضاء وقميصاً مفتوحاً . كان الرجل يبدو معافى وفتيا بشكل مدهش بالنسبة لسنواته التى تتجاوز السبعين. كان غرونيفيلت يقرأ . كان كتابه ملقى مفتوحاً على الكنبة السمراء المائلة للصفرة المخملية. قال كولى:

ـ تلك المائدة الخاسرة فى ركن البلاك جاك نظيفة. على الأقل، بقدر ما أستطيع أن أرى. قال غرونيفيلت:

ـ غير ممكن. لقد تعلمتَ الكثير خلال السنوات الأربع المنصرمة، ولكن الشىء الوحيد الذى ترفض أن تقبله هو قانون النسب. من غير الممكن للمائدة أن تخسر ذلك المقدار من المال على امتداد فترة ثلاثة أسابيع من دون جريان شىء مريب. فهز كولى كتفيه:

ـ ماذا أفعل إذن؟. فقال غرونيفيلت بهدوء:

ـ سـأصـدر الأمـر لمدير الكازينو بأن يفـصل الموزعـين. إنه يريد نقلهم إلى مـائدة أخرى ويرى ما الذى يحدث. أعرف ما الذى سيحدث. من الأفضل فصلهم مباشرة. فقال كولى:

ـ حسنًا. أنت الرئيس. وأخذ رشفة من شرابه:

ـ أنت تذكر صديقى ميرلين، الرجل الذى يكتب كتبًا؟. فهز غرونيفيلت رأسه، وقال:

ـ فتى لطيف.

وضع كولى كأسه على الطاولة. لم يكن حقا يحب المشروب، ولكن غرونيفيلت كان يكره أن يشرب وحيداً. قال:

ـ لقد تفـجرت الذروق التى هو مـتورط فيـها. إنه يـحتـاج إلى مـسـاعـدتى. علىّ أن أطير إلى نيويورك الأسبوع القادم لأرى الناس الذين يجمعون لنا، وهكذا فقد فكرت بأن أذهب أبكر فقط، فأغادر غداً إن كنت لا تمانع. فقال غرونيفيلت:

ـ بالتـأكيد. إن كان ثمـة مـا أستطيع أن أفعله، أعلمنـى. إنه كاتب جيد. قـال هذه الجملة الأخيرة كما لو كان يجب أن يكون عنده عذر للمساعدة. ثم أضاف:

ـ يمكننا دائمًا أن نقدم له عملاً هنا. فقال كولى:

ـ شكراً. قبل أن تطرد هؤلاء الموزعين، أعطنى ملاحظة مفيدة واحدة إضافية. إذا كنت تقول إن الأمـر تحـايل، إذن فـهـو كذلك. إنه يغـضـبنى فـقط أننى لا أستـطيع أن أكشفه. فضحك غرونيفيلت، وقال:

ـ حسنًا. لو أننى كنت فى سنك، سأكـون مـحـبًا للاستطلاع أنا أيضًا. انظر ما تفعل، اطلب إرسال أشرطة الفيديو إلى هنا وسنشاهدها معًا فنراجع بعض الأشياء. ثم يمكنك اللحاق بالطائرة المغادرة إلى نيويورك بعقل جديد. حسن؟ اجعلهم يرسلون فـقط أشـرطة النوبات المسائية، التى تغطى من السـاعـة الثـامنة مسـاء حـتى الثـانية صباحًا، لكى نغطى الأوقات المزدحمة بعد فاصل الاستعراضات.

فسأل كولى:

ـ لماذا تشخص هذه الأوقات؟. فقال غرونيفيلت:

ـ لابد من أن يكون فيها.

وعندما رفع كولى سماعة الهاتف، قال غرونيفيلت:

ـ اطلب خدمة الغرف واطلب لنا شيئًا نأكله.

فيما كانا يأكلان، أخذا يشاهدان أفلام الفيديو للمائدة الخاسرة. لم يستطع كولى أن يستمتع بوجبته، فقد كان منكبًا جدا على الفيلم. ولكن غرونيفيلت كان يكاد لا يبدو أنه يرمق الشاشة على الحامل. كان يأكل بهدوء، يتلذذ بنصف زجاجة النبيذ الأحمر التى جاءت مع شريحة لحمه. توقف الفيلم فجأة لما ضغط غرونيفيلت زر الإطفاء على لوحة حامله. سأل غرونيفيلت:

ـ هل رأيته؟. فقال كولى:

ـ لا. قال غرونيفيلت:

ـ سأعطيك إشارة. رئيس الموقع نظيف. ولكن ليس ناظر المنطقة كذلك. أحد الموزعين على المائدة نظيف، ولكن الاثنين الآخرين ليسا كذلك. وهى جميعًا تقع بعد فواصل استعراض العشاء. وشىء آخر. إن الموزعين المنحرفين يعطيان الكثير من فيش الخمسة دولارات الحمراء كفكة أو مدفوعات. فى كثير من الأوقات حين يمكن أن يعطوا فيش خمسة وعشرين دولارًا. أترى الأمر الآن؟.

فهز كولى رأسه نفيًا:

ـ التصوير سيكشف.

تراجع غرونيفيلت وأشعل أخيرًا واحدًا من سيجار هافانا الضخمة. كان مسموحًا له بواحد فى اليوم، فكان يدخنه دائمًا بعد العشاء عندما يستطيع. قال:

ـ لم نره لأنه بسيط جدا.

تلفن غرونيفيلت إلى تحت، حيث مدير الكازينو. ثم نقر زر الفيديو مشغلاً إياه ليعرض مائدة البلاك جاك المشبوهة أثناء العمل. كان بمقدور كولى أن يرى مدير الكازينو يأتى إلى وراء الموزع. كان مدير الكازينو محفوفًا برجلى أمن يرتديان الملابس المدنية، حارسين غير مسلحين.

على الشاشة غمس مدير الكازينو يده فى صحون مال الموزع وأخرج كدسًا من فيش الخمسة دولارات. نقر غرونيفيلت زر الشاشة مطفئًا.

بعد عشر دقائق دخل مدير الكازينو الجناح. ألقى كدسًا من فيش الخمسة دولارات على طاولة غرونيفيلت. وكان مبعث دهشة كولى أن كدس الفيش لم يتفكك.

قال مدير الكازينو لغرونيفيلت:

ـ كنتَ على صواب.

رفع كولى الأسطوانة الحمراء المدورة. كانت تبدو مثل كدس فيش من ذات الخمسة دولارات، ولكنها كانت فى الواقع أسطوانة بحجم فيشة الخمسة دولارات مع غمد أجوف. فى القعر كانت القاعدة تتحرك إلى الداخل على نوابض. تعابث كولى بالقاعدة وانتزعها بالمقص الذى سلمه غرونيفيلت إياه. قاءت الأسطوانة الحمراء المجوفة، التى كانت تبدو ككدس فيش الخمسة دولارات الحمراء، خمس فيش سوداء من ذوات المائة دولار. قال غرونيفيلت:

ـ أترى كيف تعمل؟ يدخل صاحبٌ إلى اللعبة ويسلم كدسة من الخمسات ويأخذ البدل. يضعه الموزع فى رف مقابل المئات، يضغطه، فيبتلع القعر ذوات المائة. بعد قليل يقوم بالتصريف للرجل نفسه فيتخلص من خمسمائة دولار. مرتين فى الليلة، ألف دولار يوميا معفاة من الضرائب. إنهم يثرون فى الظلام!

فقال كولى:

- يا مسيح. إننى لن ألحق أبداً بهؤلاء الرجال. وقال غرونيفيلت:

- لا تقلق بشأن الأمر. اذهب إلى نيويورك وساعد صاحبك وأنجز عملنا هناك. ستقوم بتسليم بعض المال، فتعال إذن لتراني قبل موعد الطائرة بساعة. ثم، عندما تعود إلى هنا، عندى أخبار طيبة لك. ستنال أخيراً قطعة صغيرة من العمل، تقابل بعض الأشخاص ذوى الأهمية.

فضحك كولى:

- لم أستطع أن أفك ذاك التحايل الصغير على البلاك جاك وأنال ترقية؟. فقال غرونيفيلت:

- بالتأكيد. إنك لا تحتاج إلا إلى مزيد من بعض التجربة الأكثر وقلب أقسى.

- ١٨ -

على طائرة المساء إلى نيويورك جلس كولى فى قسم الدرجة الأولى، يرتشف صودا النوادى صرفًا. كانت على حضنه حقيبة أوراق معدنية مغلفة بالجلد ومزودة بجهاز إقفال معقد. مادام كولى ممسكًا بالحقيبة، ما كان يمكن أن يحدث شيء للمليون دولار فى داخلها. ولكنه هو نفسه لم يكن يستطيع أن يفتحها.

فى فيجاس، كان غرونيفيلت قد عد المال بحضور كولى، صافًّا الحقيبة بعناية وترتيب قبل أن يقفلها ويسلمها إلى كولى. لم يكن الناس فى نيويورك يعرفون أبدًا كيف ومتى ستأتى. كان غرونيفيلت وحده الذى يقرر. ولكن مع ذلك، كان كولى عصبيا. وهو يتشبث بالحقيبة إلى جانبه، راح يفكر فى السنتين الأخيرتين. لقد قطع طريقًا طويلاً، لقد تعلم كثيراً وسيمضى أكثر ويتعلم المزيد. ولكنه كان يعرف أنه كان يعيش حياة خطرة، مقامرًا على رهانات كبيرة.

لماذا اختاره غرونيفيلت؟ ما الذى رآه غرونيفيلت؟ ما الذى تنبأ به؟ حاول كولى كروس، والحقيبة المعدنية مشدودة بإحكام إلى حضنه، أن يتكهن بمصيره. فيما كان يعد فى الماضى الأوراق تنازليا فى حاوية البلاك جاك، فيما كان ينتظر سريان القوة فى ذراعه الأيمن القوى ليرمى رميات لا تعد بزهره، كان يستخدم الآن كل قوى ذاكرته وبديهته ليقرأ ما آلت إليه كل فرصة فى حياته وماذا يمكن أن يكون قد بقى فى الحاوية.

قبل نحو أربع سنوات، بدأ غرونيفيلت يصيِّر كولى ساعده الأيمن. كان كولى قد صار مسبقًا جاسوسه فى فندق الكسانادو قبل أن يصل ميرلين وجوردان بوقت طويل، وكان قد أدى عمله جيداً. خاب رجاء غرونيفيلت فيه قليلاً عندما تصادق مع ميرلين وجوردان. وغضب قليلاً عندما التزم كولى جانب جوردان فى عرض مائدة الباكاراه

الذى صار شهيراً الآن. كان كولى قد ظن أن شغله قضى عليه، ولكن الغريب أن غرونيفيلت أعطاه، بعد تلك الواقعة، شغلاً حقيقيا. لقد طالما فكر كولى بذلك.

فى السنة الأولى جعل غرونيفيلت كولى موزعًا على البلاك جاك، مما بدا أنه سيكون أمامه طريق طويل حد اللعنة ليبدأ عمل المساعد الأول. كان كولى يشك أنه سيتم استخدامه جاسوساً مرة أخرى. ولكن غرونيفيلت كان عنده هدف أكثر تحديداً فى ذهنه. لقد انتخب كولى محركًا رئيسيا فى عملية استخلاص القشدة من الفندق.

كان غرونيفيلت يشعر أن أصحاب الفنادق الذين يقشدون المال فى غرفة عد الكازينو كانوا حمقى، وأن مكتب التحقيقات الاتحادى سيظفر بهم عاجلاً أم آجلاً. كان قشد غرفة العد واضحًا جدا. إن كون المالكين أو ممثليهم يجتمعون هناك شخصيا فيأخذ كل منهم رزمة من المال قبل أن يرفعوا تقريراً إلى هيئة قمار نيفادا، يفاجئه بوصفه أمراً طائشاً. خاصة حين كان ثمة خمسة أو ستة مالكين يتشاجرون حول المبلغ الذى ينبغى قشده عن السطح. كان غرونيفيلت قد أقام ما كان يعتبره نظاماً أكثر تفوقًا بكثير. أو كان هذا ما أخبر به كولى.

كان يعرف أن كولى كان "ميكانيكيا" . ليس ميكانيكيا من الطراز الأعلى وإنما ميكانيكيا يمكنه ببساطة أن يوزع الثوانى. ذلك يعنى أنه كان بمقدور كولى أن يبقى الورقة العليا لنفسه ويوزع الورقة الثانية من فوق. وهكذا، فقبل ساعة من نوبته القبرية من منتصف الليل إلى الصباح كان كولى يقدم إلى جناح غرونيفيلت تقريراً ويتلقى التعليمات. عند وقت معين، إما فى الواحدة صباحًا أو فى الرابعة صباحًا، كان لاعب بلاك جاك يرتدى بدلة بلون معين يقوم بعدد معين من المراهنات المتتالية بادئًا برهان مائة دولار، ثم خمسمائة، ثم خمسة وعشرين. سيعرف هذا الزبونَ المحظوظ، الذى سيربح عشرة آلاف أو عشرين ألف دولار فى رهان بضع ساعات. كان الرجل يلعب وأوراقه مكشوفة، وكان بمقدور كولى أن يوفر ورقة جيدة للزبون بتوزيعه الثوانى على المائدة. لم يكن كولى يدرى كيف كان المال يعود ثانية إلى غرونيفيلت وشركاه. كان يقوم بعمله فقط من دون إلقاء أسئلة. ولم يكن يفتح فمه أبداً.

ولكن بما أنه كان يمكنه أن يعد تنازليا كل ورقة فى الحاوية، فقد كان يتابع بيسر مسار أرباح اللاعب المصنوعة هذه، وعلى مدار السنة حسب أنه كان يخسر ما معدله عشرة آلاف دولار أسبوعيا على لاعبى غرونيفيلت هؤلاء. على مدار السنة التى اشتغل فيها موزعًا كان يعرف قريبًا من الرقم المضبوط. كان قريبًا من نصف مليون دولار، أضف أو اطرح منه عشرة آلاف دولار. احتيال جميل بلا عضة ضريبة وبدون اقتسامه مع المساهمين الرسميين بالنقاط فى الفندق والكازينو. لقد كان غرونيفيلت يقشد أيضًا بعض شركائه.

ولصيانة الخسائر من أن تكتشف، كان غرونيفيلت يجعل كولى يتنقّل بين الموائد المختلفة كل ليلة. وكان فى بعض الأحيان يبدل أوقات نوباته. ومع ذلك، ظل كولى قلقًا بشأن احتمال أن يكشف مدير الكازينو الأمر كله. إلا إذا كان غرونيفيلت قد حذر، ربما، مدير الكازينو ليبتعد.

وهكذا، فلكى يغطى كولى خسائره، استخدم مهارته الميكانيكية ليمسح اللاعبين المستقيمين. قام بذلك طوال ثلاثة أسابيع ثم تلقى ذات يوم مكالمة هاتفية تستدعيه إلى جناح غرونيفيلت.

كالعادة، جعله غرونيفيلت يجلس وأعطاه شرابًا. ثم قال:

ـ يا كولى، اقطع هذا الروث. لا تخدع الزبائن. فقال كولى:

ـ كنت أظن ذلك ما تريده، من دون أن تقول لى. فابتسم غرونيفيلت:

ـ فكرة ذكية جيدة. ولكن ذلك ليس ضروريا. إن خسائرك تغطى بالعمل المكتبى. لن يُقتفى أثرك. وإن جرى ذلك، فسأحتجز الكلاب. وتوقف لحظة:

ـ وزع فقط لعبة نظيفة مع المغفلين. وعندئذ لن نقع فى مشكلة لا نستطيع معالجتها. وسأل كولى:

ـ هل يظهر شغل الورق الثانى على الأفلام؟.

فهز غرونيفيلت رأسه:

- كلا. إنك جيد جدا. ليست تلك هى المشكلة. ولكن صبيان هيئة قمار نيفادا قد يرسلون لاعبًا يمكنه أن يسمع التكتكة فيربطها بكنسك المائدة. والآن، من الصحيح أنه يمكن أن يقع ذلك عندما توزع لأحد زبائنى، ولكنهم سيتصورون فقط إنك تغش الفندق. وهكذا، فأنا نظيف. وكذلك تكون فكرة جيدة جدا عندما ترسل هيئة القمار أحد جماعتها. ولهذا أعطيك أوقاتًا معينة تختزن فيها المال. ولكن عندما تشتغل لحسابك الخاص، لا أستطيع أن أحميك. ثم إنك تغش الزبون لصالح الفندق. فارق كبير. إن رجال هيئة القمار هؤلاء لا يسخنون كثيرًا عندما ننضرب نحن، ولكن المغفلين المستقيمين قصة أخرى. إن تدبير ذلك ليكلف كثيراً من حيث الدفوعات السياسية. قال كولى:

- حسنًا. ولكن كيف تعرفه؟. فقال غرونيفيلت بحلم:

- النسب المئوية. إن النسب لا تكذب أبدًا. لقد أنشأنا كل هذه الفنادق على أساس النسب المئوية. إننا نبقى أغنياء على أساس النسب. وهكذا، ففجأة تبين صفحة الموزعين خاصتك أنك تكسب المال عندما تخزن لى. ولا يمكن أن يقع هذا إلا إذا كنت الموزع الأكثر حظا فى تاريخ فيجاس.

أطاع كولى الأوامر، ولكنه تساءل عن كيفية عمل الأمر كله. لماذا تحمل غرونيفيلت كل هذه المشقة؟ لم يكتشف التفاصيل إلا فيما بعد، عندما صار كسانادو رقم اثنين. إن غرونيفيلت كان يقشد لا ليهزم الحكومة فقط ولكن فى الأغلب أصحاب النقاط فى الكازينو. ولم يعرف إلا بعد سنوات أن الزبائن الرابحين كان يرسلهم من نيويورك شريك غرونيفيلت السرى، وهو رجل يدعى (سانتاديو). وأن هؤلاء الزبائن كانوا يظنونه هو، كولى، موزعًا محتالاً ثبّته شريك نيويورك. وأن هؤلاء الزبائن كانوا يظنون أنفسهم يذبحون غرونيفيلت. وأن غرونيفيلت وفندقه المحبوب كانت تتم تغطيتهما بعشر طرق.

كان غرونيفيلت قد ابتدأ حرفة المقامرة فى (ستوبينفيل)، ولاية (أوهايو)، تحت حماية عصابة (كليفلاند) (*) الشهيرة بسيطرتها على السياسات المحلية. كان قد أدار

(*) Cleveland .

المحلات غير القانونية ثم شق طريقه أخيرًا إلى نيفادا . ولكن كانت عنده وطنية إقليمية. كان كل شاب يطلب شغل توزيع أو مدير لعبة فى فيجاس يأتى إلى غرونيفيلت. إن لم يكن يستطيع أن يضعه فى كازينوه هو، كان يضعه فى كازينو آخر. كان بمقدورك أن تجده فى ستويبنفيل، وأوهايو، خريجًا فى جزر (البهاما)، وبورتوريكو، وعلى الريفيرا الفرنسية وحتى فى لندن. فى (رينو) و(فيجاس) كان بمقدورك أن تعدهم بالمئات. كان كثيرون من مدراء كازينوهات ورؤساء أركان. كان غرونيفيلت عازف المزمار السحرى، مزمار من لباد أخضر.

كان يمكن لغرونيفيلت أن ينتخب جاسوسه من هؤلاء المئات، بل إن مدير الكازينو فى الكسانادو كان، فى الحقيقة، من ستويبنفيل. لماذا إذن اختار غرونيفيلت كولى، غريب بالمقارنة ومن جزء آخر من البلاد؟ كان كولى غالبًا ما يتعجب لذلك. وطبيعى أنه، فيما بعد، عندما صار يعرف تعقيدات نقاط السيطرة المتعددة، فهم أن مدير الكازينو لابد من أنه كان مشاركًا فيها. ولقد صعق الأمر كولى بكامل قوته. لقد تم اختياره لأنه كان يمكن الاستغناء عنه لو أن أى شىء سار على نحو خاطئ. سيتحمل هو المسئولية على هذا النحو أو ذاك.

لأن غرونيفيلت، على رغم ولعه بالكتب، كان قد خرج من كليفلاند إلى فيجاس بسمعة مرعبة. كان رجلاً لا يجوز العبث معه، أو الخداع أو التزوير. ولقد أظهر ذلك لكولى فى السنوات الأخيرة، مرة بطريقة جدية وأخرى بخفة ظل تامة، نوعًا خصوصيا من ظُرف قمار فيجاس.

بعد سنة أعطى كولى المكتب المجاور لغرونيفيلت وسمى مساعده الخاص. وكان هذا المنصب يشمل قيادة السيارة لغرونيفيلت فى جولاته بالمدينة ومرافقته إلى طابق الكازينو ليلاً عندما يقوم غرونيفيلت بجولاته ليحيى أصدقاءه وزبائنه القدامى، خاصة القادمين من خارج المدينة. وجعل غرونيفيلت كولى أيضًا معاونًا لمدير الكازينو لكى يتمكن من أن يتعلم قواعد الكازينو. كان على كولى أن يعرف كل رؤساء النوبات، ورؤساء الأركان، والمراقبين، والموزعين ومديرى الألعاب فى كل الأركان جيداً .

فى كل صباح كان كولى يتناول الإفطار فى نحو العاشرة فى جناح مكتب غرونيفيلت. قبل الصعود، كان يأخذ أرقام الربح ، والخسارة للكازينو فى الأربع والعشرين ساعة السابقة من اللعب، من رئيس صندوق الصرافة. كان يعطى غرونيفيلت قصاصة الورق الصغيرة فيما يجلسان لتناول الفطور، وكان غرونيفيلت يدرس الأرقام فيما كان يبتلع العضة الأولى من قطعة بطيخة.

كانت القصاصة منظمة بشكل بسيط للغاية:

ركن الزهر ٤٠٠٠٠ دولار خسارة ٦٠٠٠ دولار حصة

ركن البلاك جاك ٢٠٠٠٠ دولار خسارة ٤٠٠٠ دولار حصة

الروليت ١٠٠٠٠ دولار خسارة ٤٠٠٠ دولار حصة

غيرها (عجلة الحظ، الكينو (*) ، مدخلة فى أعلاه).

كانت الماكينات الثقبية لا تُحسب إلا مرة في الأسبوع، وكانت تلك الأرقام تعطى إلى غرونيفيلت من قبل مدير الكازينو فى تقرير خاص. كانت الثقوب تجلب فائدة تقرب من مائة ألف دولار أسبوعيا. ربما كان هذا حقيقيا. ما كان يمكن أن تكون الكازينو سيئة الحظ فى الثقوب أبداً. كانت مالاً مؤكداً لأن الماكينات كانت منصوبة بحيث لا تمنح إلا نسبة مئوية معينة من المال المعبأ فيها للعب. وعندما تغيب الأرقام على الثقوب، فلابد من أن تحايلاً ما كان يجرى.

لكن هذا لا ينطبق على الألعاب الأخرى، كالكرابس، والبلاك جاك و- خاصة - الباكاراه. فى هذه الألعاب كانت المؤسسة تقرر أن تقبض عن ستة عشر بالمائة من الخسارة. ولكن حتى المؤسسة يمكن أن تكون سيئة الحظ، خاصة فى الباكاراه، حيث يندفع المقامرون ذوو الوزن الثقيل أحياناً وينالون سلسلة محظوظة.

للباكاراه تذبذبات عنيفة. كانت ثمة ليالى خسرت فيها مائدة الباكاراه ما يكفى من المال ليمسح أرباح كل الأعمال الأخرى فى الكازينو لذلك اليوم. ولكن تكون ثمة أسابيع

(*) لعبة قمار تشبه اليانصيب .

تربح فيها مائدة الباكاراه مبالغ هائلة. كان كولى واثقًا من أن غرونيفيلت كان عنده قشد يجرى على مائدة الباكاراه، ولكنه لم يستطع أن يكتشف كيف يدور. ثم لاحظ ذات ليلة عندما خلت مائدة الباكاراه من بعض اللاعبين ذوى الوزن الثقيل من أمريكا الجنوبية لكن أرقام اليوم التالى على القصاصة كانت أقل مما كان يفترض أن تكون.

إنه لكابوس كل كازينو أن يحصل اللاعبون على سلسلة ساخنة. فى تاريخ لاس فيجاس كانت ثمة أوقات أصبحت فيها موائد الكرابس ساخنة لأسابيع وكانت الكازينو محظوظة إذ تخرج متعادلة ولو ليوم واحد. فى بعض الأحيان كان حتى لاعبو البلاك جاك يصيرون حاذقين فيهزمون المؤسسة لثلاثة أيام أو أربعة متتالية. فى الروليت كان نادرًا للغاية أن يكون ثمة حتى يوم واحد خاسر فى الشهر. وكانت عجلة الحظ والكينو عمليتى تفليس مستقيمتين، حيث يجلس اللاعبون كالقدر للكازينو.

ولكن هذه كلها كانت الأمور الميكانيكية التى ينبغى معرفتها عن إدارة كازينو قمار. الأمور التى يمكنك أن تتعلمها من المكتب والتى يمكن لكل امرئ أن يتعلمها إن أعطى التدريب الصحيح والوقت الكافى. تحت توجيه غرونيفيلت، تعلم كولى أكثر من ذلك بكثير.

كان غرونيفيلت قد جعل كل امرئ يعرف أنه لا يؤمن بالحظ. إن إلهه الحقيقى والمعصوم عن الخطأ كان النسبة المئوية. وكان يعضدها. ففى كل مرة كانت لعبة كينو الكازينو توفق إلى الجائزة الكبرى البالغة خمسة وعشرين ألف دولار، كان غرونيفيلت يفصل كل العاملين فى عملية الكينو. بعد مرور سنتين على بدء اشتغال فندق الكسانادو، صار سيئ الحظ جدا. طوال ثلاثة أسابيع لم ترَ الكازينو يومًا واحدًا رابحًا فخسرت نحو مليون دولار. فصل غرونيفيلت كل امرئ عدا مدير الكازينو ابن ستويبنفيل.

وبدا ذلك ناجحًا. بعد عمليات الفصل، بدأت الفوائد، كان مسلسل الخسارة ينتهى. كان الكازينو يحقق خمسين ألفًا يوميا فى أرباح للفندق كى يتعادل. وحسب

معلومات كولى فإن الكساناو لم يشهد أبدًا سنة خاسرة. حتى وغرونيفيلت يقشد الطبقة العليا.

فى السنة التى كان فيها يوزع ويقشد لغرونيفيلت، لم يقع كولى أبدًا فريسة إغراء الغلطة التى يمكن أن يقع فيها كل إنسان فى موقعه. أن يقشد لحسابه الخاص. بعد كل شىء، إن كانت بهذه السهولة، فلماذا لا يستطيع كولى أن يجعل أحد أصدقائه يمر ليربح بضعة دولارات؟ ولكن كولى كان يعرف أن هذا سيكون مميتًا. وهو كان يلعب من أجل رهانات أكبر. لقد أحس وحدة لدى غرونيفيلت، حاجة إلى صداقة، كان كولى يقدمها. وكان ذلك مجديًا.

مرتين شهريا كان غرونيفيلت يأخذ كولى إلى لوس أنجلوس معه كى يمضى فى اصطياد الانتيكات. كانا يشتريان ساعات ذهبية قديمة، وصورًا فى إطارات مموهة للوس أنجلوس وفيجاس القديمتين. كانا يبحثان عن، ويجدان، طواحين قهوة قديمة، وسيارات لعب قديمة، وصناديق توفير للأطفال على هيئة قاطرات وأبراج كنائس مصنوعة فى ثمانينيات القرن التاسع عشر، ومشبك نقود أثرى مشغول بالذهب، كان غرونيفيلت يضع فيه فيشة سوداء من ذوات المائة دولار من مال المؤسسة للمتلقى، أو قطعة معدنية نادرة. وللأساطين الراقين بشكل خاص، كان ينتقى دمى متقنة رائعة صنعت فى الصين القديمة، أو علب مجوهرات فكتورية مملوءة بمجوهرات عتيقة. أو أوشحة مخرمة من حرير أخضر صيره الزمن رماديا، أو أباريق مِزْر(*) شمالية (**) قديمة.

كانت هذه الفقرات ستكلف مائة دولار للواحدة فى الأقل، ونادرًا ما تبلغ المائتين. فى هذه السفرات كان غرونيفيلت ينفق بضعة آلاف دولار. كان هو وكولى يتناولان العشاء فى لوس أنجلوس، وينامان فى فندق (بيفرلى هيلز) ويطيران عائدين إلى فيجاس فى طائرة صباح باكر.

(*) ale شراب من نوع الجعة.
(**) Nordic منسوبة لسكان أوربا الشمالية، وخاصة إسكندنافيا.

كان كولى يحمل الانتيكات فى حقيبة ملابسه، وعند العودة إلى الكسانادو كان يجعلها تلف كهدايا وتسلم إلى جناح غرونيفيلت. وكان غرونيفيلت فى كل ليلة، أو تقريباً فى كل ليلة، يدس واحدة فى جيبه ويهبط بها على الكازينو ويقدمها إلى واحد من كبار أساطينه فى نفط تكساس أو مركز ملابس نيويورك الذين كانوا ينفقون ما بين خمسين إلى مائة ألف دولار سنويا على الموائد.

يعجب كولى لفتنة غرونيفيلت فى هذه المناسبات. كان غرونيفيلت يفك رزمة الهدية ويخرج الساعة الذهبية ويقدمها إلى اللاعب. كان يقول للاعب:

- كنت فى لوس أنجلوس ورأيت هذه ففكرت فيك. تناسب شخصيتك، طلبت تصليحها وتنظيفها، إنها تسجل وقتًا مضبوطًا. ثم كان يضيف مشككًا:

- لقد أخبرونى أنها مصنوعة سنة ١٨٧٠، ولكن من بحق الجحيم يدرى؟ إنك تعرف كم هم نصابون باعة الأنتيكات هؤلاء.

وهكذا فقد أعطى الانطباع بأنه بذل عناية وتفكيراً فائقين لهذا اللاعب الفرد. كان يسرِّب بلباقة فكرة أن الساعة قيِّمة للغاية. وأنه أبدى حرصًا شديداً على جعلها فى حالة اشتغال جيدة. وكانت ثمة حبة من الحقيقة فى ذلك كله. ستشتغل الساعة بشكل مضبوط، وهو قد فكر فى اللاعب إلى درجة فوق اعتيادية. وأكثر من أى شىء آخر كان شعور الصداقة الشخصية. كان لغرونيفيلت موهبة إفراز المودة عندما كان يقدم واحدة من علامات احترامه هذه، كانت تجعلها حتى أكثر إشباعًا للغرور.

وكان غرونيفيلت يستخدم القلم بتحرر. كان كبار اللاعبين، بالطبع، مدللين: غرفة مجانية بما فيها الطعام والشراب. ولكن غرونيفيلت كان يمنح هذا الامتياز كذلك لمراهنى الخمسة دولارات، الذين كانوا أغنياء. كان أستاذاً فى تحويل هؤلاء الزبائن إلى لاعبين كبار.

والدرس الآخر الذى علمه غرونيفيلت لكولى هو ألا يغرر بالفتيات الصغيرات. كان غرونيفيلت ساخطًا. لقد ألقى محاضرة قاسية على كولى:

- من أين أتيت، عليك اللعنة، لتخدع هاته الطفلات فى لعبة هوى؟ أأنت لص متسلل لعين؟ أتفتح محافظهن وتنشل فكّاتهن الصغيرة؟ أى نوع من الرجال أنت؟ أفتسرق سيارتهن؟ أتذهب إلى بيتهن كضيف ثم تخطف صحونهن الفضية؟ فمن أين جئت كى تسرق فرجهن؟ ذاك رأسمالهن الوحيد، خاصة عندما يكنّ جميلات. وتذكر أنك ما إن تدس لهن زنبور العسل ذاك حتى تكون تعادلت معهن. أنت حر. لا هراء أجوف عن علاقة. لا هراء روثى عن زواج أو تطليق زوجتك. لا سؤال عن قرض ألف دولار. أو أن تكون مخلصاً. وتذكر أنهن دائمًا متوفرات لقاء خمسة من زنابير العسل هذه، حتى فى أيام زفافهن.

تسلى كولى بهذا الانفجار. لابد من أن غرونيفيلت قد سمع عن عملياته مع النساء، ولكن كان واضحًا إلى الدرجة نفسها أن غرونيفيلت لم يفهم النساء كما فهمهن هو، كولى. لم يفهم غرونيفيلت مازوخيتهن. استعدادهن، وحاجتهن للإيمان بشغل موثوق.

ولكنه لم يحتج. لقد قال باشمنزان:

- ليس الأمر باليسر الذى تصوره، حتى على طريقتك. مع بعضهن، حتى ألف زنبور عسل لا يكفى.

ومن المدهش أن غرونيفيلت ضحك وأيد. بل إنه حتى روى قصة مضحكة عن نفسه. فى وقت مبكر من تاريخ فندق الكسانادو ، كانت امرأة تكساسية تساوى الملايين قد قامرت فى الكازينو وكان قد قدم لها مروحة يابانية عتيقة، هدية، كلفته خمسين دولاراً. وقعت الوريثة التكساسية، وكانت امرأة حسناء فى الأربعين وأرملة، فى غرامه. ارتعب غرونيفيلت. مع أنه كان أكبر منها بعشر سنوات، فقد كان يحب البنات الصغيرات الجميلات. ولكنْ إحساساً بالواجب نحو دخل الفندق، صعد بها إلى جناح الفندق ذات ليلة ودخل الفراش معها. وعندما انصرفت دس لها ، بفعل العادة ولربما بسبب انحراف أحمق أو ربما بروحية فيجاس المحبة للنكتة القاسية ، زنبور عسل، وقال لها أن تشترى لنفسها هدية. حتى اليوم لا يدرى لماذا.

كانت وريثة النفط قد ألقت نظرة على زنبور العسل ودسته فى جيبها. شكرته بلطف. واصلت المجيء إلى الفندق والمقامرة، ولكنها لم تعد مغرمة به أبداً.

بعد ثلاث سنوات كان غرونيفيلت يبحث عن مستثمرين لبناء غرف إضافية للفندق. كما يوضح غرونيفيلت، كانت الغرف الإضافية مطلوبة دائماً. يقول:

- يقامر اللاعبون حيث يخرأون. إنهم لا يتجولون متسكعين. أعطهم غرفة، واستعراض ردهة الاستراحة، ومطاعم مختلفة. أبقهم فى الفندق فى الساعات الثمانى والأربعين الأولى. خلال ذلك سيكونون قد أصيبوا.

كان قد فاتح وريثة النفط. كانت قد هزت رأسها تأييداً، وقالت أكيد. وكتبت على الفور صكا وسلمته له مع ابتسامة عذبة للغاية. كان الصك بمبلغ مائة دولار. قال غرونيفيلت:

- إن عبرة تلك القصة أن لا تعامل أبداً امرأة ثرية ذكية كما تعامل فرجاً بائساً أحمق.

فى بعض الأحيان فى لوس أنجلوس كان غرونيفيلت يمضى متبضعاً كتباً قديمة. ولكن عادة، عندما كان مزاجه يسمح، كان يطير إلى شيكاغو ليحضر مزاد كتب نادرة. كانت عنده مجموعة بديعة مخزونة فى مكتبة مزججة مقفولة فى جناحه. عندما انتقل كولى إلى مكتبه الجديد، وجد هدية من غرونيفيلت: طبعة أولى من كتاب عن المقامرة طبع سنة ١٨٤٧، وقرأه كولى باهتمام وأبقاه على مكتبه بعض الوقت. ثم، إذ لم يكن يدرى ما يفعل، جاء به إلى جناح غرونيفيلت وأعاده له. قال:

- إننى أقدِّر لك الهدية، ولكنها تضيع عليَّ.

هز غرونيفيلت رأسه متفهماً ولم يقل شيئاً. أحس كولى أنه قد خيب أمله، ولكن ذلك أدى، بطريقة غريبة، إلى تمتين علاقتهما. فبعد أيام رأى الكتاب فى خزانة غرونيفيلت المقفلة الخاصة. وعرف عندئذ أنه لم يرتكب خطأ، وأحس بالسرور لأن غرونيفيلت قد خصه بمثل هذه العلامة الأصيلة على المودة، رغم تضليلها، من تاريخ الرجل، مع أنه لم يكن شيء منها يظهر فى القناع الذى كان يضعه الآن.

ولكنه رأى عندئذ جانبًا آخر من غرونيفيلت كان يعرف دائمًا أنه موجود حتمًا. كان كولى قد جعلها عادة له أن يكون حاضراً عندما كانت فيش الكازينو تُعد ثلاث مرات يوميا. كان يرافق رؤساء الأركان فيما كانوا يعدون الفيش على جميع الموائد: البلاك جاك، والروليت، والكرابس، والنقد عند الباكاراه. وكان حتى يدخل صندوق الكازينو ليعد الفيش هناك. كان مدير الصندوق عصبيا شيئًا ما دائمًا فى نظر كولى، ولكنه أهمل ذلك بوصفه طبيعته الشكاكة، لأن النقد والعدادات (*) والفيش فى الصندوق الحديد كانت دائمًا مصفوفة مرصوفة على نحو صحيح. وكان مدير صندوق الكازينو عضواً موثوقًا به قديمًا من أيام غرونيفيلت المبكرة.

ولكن فى أحد الأيام، بناء على إحساس ما، قرر كولى سحب صينيات الفيش من الصندوق الحديد. لم يستطع أن يميز هذا الإحساس لاحقًا. ولكن ما إن أخرجت عشرات الحوامل المعدنية من ظلمة الصندوق الحديد وجرى فحصها عن كثب اتضح أن صينيتين من فيش المائة دولار السوداء كانت زائفة. كانت أسطوانات سوداء فارغة. فى ظلام الصندوق الحديد، مرفوعة بعيداً إلى المؤخرة حيث لن تستخدم أبداً، كانت تمرر باعتبارها شرعية فى عمليات العد اليومية. تظاهر مدير صندوق الكازينو بالرعب والصدمة، ولكنهما كانا يعرفان كلاهما أن الاحتيال ما كانت تجرى محاولته من دون رضاه. رفع كولى سماعة هاتف وطلب جناح غرونيفيلت. نزل غرونيفيلت على الفور إلى الصندوق وفحص الفيش. كانت الصينيتان تبلغ قيمتهما مائة ألف دولار. أشار غرونيفيلت بأصبعه نحو مدير الصندوق. كانت لحظة مروعة. كان وجه غرونيفيلت الأحمر، الملوَّح، أبيض ولكن صوته كان متماسكًا. قال:

- اخرج من هذا الصندوق. ثم استدار إلى كولى قائلاً:

- اجعله يسلمك كل مفاتيحه. ثم اجمع كل رؤساء الأركان على النوبات الثلاث فى مكتبى فوراً. لا يهمنى أبدًا أين هم. الذين يتمتعون بإجازة يطيرون عائدين إلى فيجاس ويراجعوننى بمجرد أن يصيروا هنا. ثم سار غرونيفيلت خارجًا من الصندوق واختفى.

(*) Marker : عداد يستخدم فى لعب الورق.

بينما كان كولى ومدير صندوق الكازينو يجرون العمل الورقى لتحويل المفاتيح، دخل رجلان لم يسبق لكولى أن رآهما أبداً. كان مدير الكازينو يعرفهما لأنه استحال بالغ الشحوب وبدأت عيناه ترتجفان بشكل لا سيطرة عليه.

هز الرجلان رأسيهما وهز هو رأسه جواباً. قال أحدهما:

ـ عندما تنتهى، يريد الرئيس أن يراك فى مكتبه. كانا يكلمان مدير الصندوق، وقد تجاهلا كولى. رفع كولى سماعة الهاتف وطلب مكتب غرونيفيلت. قال لغرونيفيلت:

ـ جاء رجلان إلى هنا، يقولان إنك أرسلتهما.

كان صوت غرونيفيلت كالثلج. قال:

ـ هذا صحيح. فقال كولى:

ـ أردت التأكد فقط. فرقَّ صوت غرونيفيلت. قال:

ـ فكرة طيبة. ولقد قمت بعمل جيد. وكان ثمة توقف قصير:

ـ باقى الأمر ليس من شغلك، يا كولى. انسه. مفهوم؟. كان صوته يكاد يكون رقيقاً الآن، بل كانت فيه حتى نغمة حزن ضجِر.

شوهد مدير الصندوق خلال بضعة الأيام التالية هنا وهناك فى لاس فيجاس، ثم اختفى. وبعد شهر عرف كولى أن زوجته قدمت إعلام فقدانٍ عنه. لم يصدق ما كان يعنيه ذلك في البدء، رغم النكت التى سمعها فى أنحاء المدينة من أن مدير الصندوق كان الآن مدفوناً فى الصحراء. لم يجرؤ أبداً على ذكر شىء لغرونيفيلت، ولم يتحدث غرونيفيلت أبداً فى الموضوع معه. حتى ولا ليمتدحه على عمله الجيد. الأمر الذى كان مناسباً جدا. فلم يكن كولى يريد أن يفكر أن عمله الجيد قد أدى إلى صيرورة مدير الصندوق مدفوناً فى الصحراء.

ولكن فى الأشهر القليلة الأخيرة كان غرونيفيلت قد أظهر طبعه بطريقة أقل ترويعاً. بخفة الوطء النموذجية فى فيجاس وبسرعة بديهتها.

كان جميع أصحاب الكازينوهات فى فيجاس قد بدأوا بالقيام بتحرك كبير على المقامرين الأجانب. كان الإنجليز قد شُطبوا على الفور، رغم تاريخهم فى كونهم أكبر الخاسرين فى القرن التاسع عشر. كانت نهاية الإمبراطورية البريطانية تعنى نهاية كبار أساطينهم. ما عاد ملايين الهنود والأستراليين وسكان جزر بحر الجنوب والكنديين يصبون المال فى خزائن أسياد القمار. كانت إنجلترا الآن بلداً فقيراً، يجهد أغنياؤها الكبار أنفسهم للتهرب من الضرائب والتمسك بعقاراتهم. وأولئك القلائل الذين يمكنهم تحمل المقامرة كانوا يفضلون النوادى الأرستقراطية عالية المقام فى فرنسا وألمانيا ونواديهم هم فى لندن.

وقد شُطب الفرنسيون أيضًا. فالفرنسيون لا يسافرون، وما كانوا ليطيقوا أبداً الصفر المضاعف، الاستثنائى، للمؤسسة فى عجلات فيجاس.

ولكن الألمان والطليان تم التودد إليهم. كان لألمانيا، باقتصادها المتوسع لما بعد الحرب، مليونيرات عدة، والألمان يعشقون السفر، يعشقون المقامرة ويعشقون نسوة فيجاس. كان ثمة شىء فى أسلوب فيجاس الطنّان يعجب الروح التيوتونية، ويستعيد ذكريات الاحتفالات الكبرى ولربما الطقوسية أيضًا. وكان الألمان كذلك مقامرين سمحى الطبع وأكثر مهارة من الكثيرين.

وكان المليونيرات الطليان جوائز كبرى فى فيجاس. كانوا يقامرون بتهور فيما هم يسكرون؛ وكانوا يتركون صغار النصّابات اللائى تستخدمهن الكازينوهات يبقينهم فى المدينة لستة أيام أو سبعة انتحارية. كان يبدو أنهم يملكون مبالغ لا تنتهى من المال لأن لا أحد منهم يدفع ضريبة دخل. ما كان ينبغى أن يذهب إلى خزائن روما العامة ، كان ينزلق إلى صناديق خزائن كازينوهات مكيفة الهواء. وكانت فتيات فيجاس يحببن المليونيرات الإيطاليين بسبب هداياهم الكريمة وبسبب هذه الأيام الستة أو السبعة التى يقعون خلالها فى الحب بالانغماس ذاته الذى ينكبون فيه على المراهنات المستغرقة الثقيلة على مائدة الكرابس.

وكان المقامرون المكسيكيون والأمريكيون الجنوبيون جوائز أكبر. لم يكن أحد يدرى ما يجرى حقا هناك فى أمريكا الجنوبية، ولكن طائرات خاصة كانت ترسل إلى هناك لتجلب مليونيرات البمب (*) إلى فيجاس. كان كل شىء مجانيا لهؤلاء السادة اللاعبين الذين يتركون جلود ملايين الأبقار على موائد الباكاره. كانوا يأتون مع زوجاتهم وصديقاتهم، وأبنائهم المراهقين المتلهفين على أن يصيروا رجالاً مقامرين. وكان هؤلاء الزبائن مفضلين أيضًا لدى بنات لاس فيجاس. كانوا أقل إخلاصًا من الإيطاليين، وربما أقل كياسة فى ممارستهم الهوى وفقًا لبعض التقارير، ولكن بشهيات أوسع بالتأكيد. كان كولى فى مكتب غرونيفيلت ذات يوم عندما جاء مدير الكازينو يرفع معضلة خاصة. لقد تقدم مقامر أمريكى جنوبى، لاعب من الدرجة الأولى، بطلب أن ترسل ثمانى فتيات إلى جناحه، شقراوات، وحمراوات الشعر، ولكن لا سمراوات، وبحيث لا يقل طول الواحدة منهن عن طوله هو البالغ خمسة أقدام وستة إنشات.

تلقى غرونيفيلت الطلب ببرود. سأل:

- وفى أى ساعة من اليوم يريد لهذه المعجزة أن تقع؟. فقال مدير الكازينو:

- حوالى الساعة الخامسة. يريد أن يأخذهن جميعًا إلى العشاء بعدئذ ويبقيهن أثناء الليل.

لم تند عن غرونيفيلت بسمة:

- كم سيكلف ذلك؟. فقال مدير الكازينو:

- نحو ثلاثة آلاف. تعرف الفتيات أنهن سيحصلن على مال للروليت والباكاراه من هذا الرجل. فقال غرونيفيلت:

- حسنًا، تدبر الأمر. ولكن قل لهاته الفتيات أن يبقينه فى الفندق لأطول وقت. لا أريده أن يخسر دراهمه على الشريط.

(*) Pampa : سهول أمريكا الجنوبية الواسعة المعشوشبة.

فيما بدأ مدير الكازينو بالانصراف، قال غرونيفيلت:

- ماذا، بحق الجحيم، يريد أن يفعل بثماني فتيات؟. فهز مدير الكازينو كتفيه:

- لقد سألته الشيء عينه. يقول إن ابنه معه.

للمرة الأولى أثناء الحوار، ابتسم غرونيفيلت. قال:

- هذا ما أسميه الزهو الأبوي الحقيقي. ثم، بعد أن ترك مدير الكازينو الغرفة، هز رأسه وقال لكولي:

- تذكر: إنهم يقامرون حيث يخرأون و حيث ينكحون. عندما يموت الأب، سيواصل الابن المجيء إلى هنا. لقاء ثلاثة آلاف دولار، سينال ليلة لن ينساها أبداً. ستكون قيمته مليون دولار للكسانادو ما لم تقم ثورة في بلاده.

ولكن الجائزة، والأبطال، والماسة التي لا سعر لها التي يتشهاها كل صاحب كازينو كانوا اليابانيين. كانوا مقامرين يجعلون الشعر يقفُ، وكانوا يصلون إلى فيجاس دائماً في جماعات. كان الصف الرئيسي في مجمع صناعي يصل ليقامر بدولارات معفاة من الضرائب، وكانت خسائرهم أثناء إقامة أربعة أيام تتجاوز المليون دولار. وكان كولي هو من اصطاد الجائزة اليابانية الأكبر لفندق كسانادو ولغرونيفيلت.

كان كولي يمر بقصة حب ودية قوامها الذهاب إلى السينما والنكاح بعدها مع راقصة في العروض المشرقية تعرض في فندق على الشريط. كانت الفتاة تدعى ديزي (*) لأن اسمها الياباني كان لا يمكن تلفظه، ولم تكن تتجاوز العشرين من عمرها، ولكنها كانت تقيم في فيجاس منذ نحو خمس سنوات. كانت راقصة رائعة، وفتّانة مثل لؤلؤة في صدفتها، ولكنها كانت تفكر في إجراء عمليات لتجعل عينيها غربيتين وصدرها يُنفخ إلى أمريكي مغذّى على الذُرة. ولم تستمع ديزي أخيراً إلى نصيحته إلا بعد أن راح يتظاهر بنشوة أكبر مما يحس من نهديها الشبيهين بالبراعم.

(*) Daisy .

توثقت صداقتهما بحيث راحت تعطيه دروسًا في اليابانية عندما يكونان في الفراش وكان يقضي معها الليلة. في الصباح كانت تقدم له الحساء إفطارًا، وعندما كان يحتج، كانت تخبره أن كل امرئ في اليابان يفطر حساءً وأنها كانت تعد أفضل إفطار حسائي في قريتها خارج طوكيو. وقد تعجب كولي إذ رأى الحساء لذيذًا وذا نكهة مميزة وهنيا على المعدة بعد ليلة مرهقة.

كانت ديزي هي من نبهته إلى حقيقة أن واحدًا من أعظم ملوك المال التجاريين من اليابان كان يخطط لزيارة فيجاس. كانت ديزي تجعل الصحف اليابانية ترسل إليها من قبل عائلتها؛ وكانت تشعر بالحنين إلى الوطن فتستمتع بالقراءة عن اليابان. لقد أخبرت كولي أن ملك مال من طوكيو، سيد فوميرو ما، قد أجريت له مقابلة بيَّن فيها أنه قادم إلى أمريكا ليفتح فروعًا فيما وراء البحار لشغل صناعة التليفزيونات خاصته. وقالت ديزي إن السيد فوميرو كان مشهورًا في اليابان بوصفه مقامرًا مفرطًا وهو سيأتي بالتأكيد إلى فيجاس. وأخبرت أيضًا أن السيد فوميرو كان عازف بيانو ذا مهارة عظيمة، وأنه قد درس في أوربا وكان سيصير موسيقيا محترفًا بالتأكيد لو لم يأمره أبوه بأن يتولى شركة العائلة.

في ذلك اليوم جعل كولي ديزي تأتي إلى مكتبه في كسانادو وأملى عليها رسالة لتكتبها على ورق الفندق. وبناء على نصيحة ديزي أنشأ رسالة تراعي، حسب الغربيين، التهذيب (*) الياباني الرقيق ولا تجرح السيد فوميرو.

في الرسالة دعا السيد فوميرو ليكون ضيف الشرف على الكسانادو طوال ما يشاء وفي أي وقت يرغب. وكذلك دعا السيد فوميرو أن يجلب معه أكثر من يرغب من الضيوف، حاشيته الكاملة، بمن فيهم زملاؤه التجاريون في الولايات المتحدة. بلغة كيِّسة جعلت ديزي السيد فوميرو يفهم أن كل هذا لن يكلفه سنتًا واحدًا، وأنه حتى عروض المسرح ستكون مجانية. قبل أن يُبرق كولي الرسالة، حصل على موافقة

(*) بالفرنسية في الأصل.

غرونيفيلت، مادام كولى لا يزال لا يمتلك الصلاحية الكاملة لـ"القلم". كان كولى يخشى أن يوقع غرونيفيلت الرسالة، ولكن هذا لم يحدث. وهكذا، فهؤلاء اليابانيون كانوا الآن رسميا زبائن كولى، إن جاءوا، سيكون هو "مضيفهم".

مضت ثلاثة أسابيع قبل أن يتلقى جوابًا. وخلال ذلك الوقت، كرس كولى مزيداً من الوقت للدراسة مع ديزى. تعلم أنه يجب أن يبتسم دائمًا أثناء الكلام مع زبون يابانى. أن عليه أن يظهر على الدوام أقصى الأدب بالصوت والإشارة. وأخبرته أنه عندما يدخل هسيس طفيف فى حديث رجل يابانى، فإن ذلك علامة غضب، وعلامة خطرة. مثل خشخشة أفعى. وتذكر كولى ذلك الهسيس فى كلام الأجلاف اليابانيين فى أفلام الحرب العالمية الثانية. كان يظن ذلك مجرد تكلُّف الممثل.

عندما جاء الجواب على الرسالة، كان على هيئة مكالمة هاتفية من فرع السيد فوميرو لما وراء البحار فى لوس أنجلوس. أيمكن للكسانادو أن يهيئ جناحين جاهزين للسيد فوميرو، رئيس شركة اليابان للمبيعات العالمية والنائب التنفيذى للرئيس، السيد نيغيتا؟ إضافة إلى عشر غرف أخرى لباقى أفراد حاشية السيد فوميرو؟ كانت المكالمة قد مُررت إلى كولى مادام قد طُلب خصيصًا، وقد أجاب بنعم. ثم تلفن، مجنونًا من الفرح، إلى ديزى وأخبرها أنه سيأخذها للتبضع خلال الأيام القلائل القادمة. أخبرها أنه سيحجز عشرة أجنحة للسيد فوميرو ليجعل كل أفراد الحاشية مرتاحين. طلبت منه ألا يفعل ذلك. إن ذلك سيجعل السيد فوميرو يفقد مهابته لو أن بقية جماعته ينالون سكنًا مساويًا. ثم سأل كولى ديزى أن تخرج فى ذلك اليوم بالذات وتطير إلى لوس أنجلوس لتشترى قمصان كيمونو يمكن للسيد فوميرو أن يلبسها فى خلوة جناحه. فأخبرته أن هذا أيضًا سيجرح السيد فوميرو، الذى يزدهى بكونه متغربًا، مع أنه يلبس بالتأكيد الملابس التقليدية اليابانية المريحة فى خلوة منزله الخاص. واقترح كولى، الذى كان يبحث يائسًا عن أية زاوية ممكنة ليحصل على أفضلية، أن تقابل ديزى السيد فوميرو وربما تقوم بدور مترجمته ومرافقته على الطعام. فضحكت ديزى وقالت إن هذا آخر شىء يمكن أن يريده السيد فوميرو. سيكون غير مرتاح للغاية من فتاة يابانية متغربة تراقبه فى هذا البلد الأجنبى.

قبل كولى كل قراراتها، ولكنه أصر على شيء واحد. أمر ديزى أن تعد حساءً يابانيا طازجًا أثناء إقامة السيد فوميرو البالغة ثلاثة أيام. كان كولى سيأتى إلى شقتها فى الصباح الباكر من كل يوم ليأخذه، ويرتب تسليمه إلى جناح السيد فوميرو عندما يطلب الفطور. ولقد همهمت ديزى لكنها وعدت بأن تفعل ذلك.

وفى وقت متأخر من عصر ذلك اليوم، تلقى كولى مخابرة من غرونيفيلت. سأل غرونيفيلت:

- ما الذى يفعله بيانو بحق الجحيم فى جناح لعشرة أشخاص؟ لقد تلقيت للتو مخابرة من مدير الفندق. يقول إنك تجاوزت المجارى الاعتيادية فأحدثت فوضى لا تطاق.

شرح كولى أمر وصول السيد فوميرو وأنواقه الخاصة. فضحك غرونيفيلت خافتًا وقال:

- خذ سيارتى الرولز رويس عندما تأخذه من المطار. كانت هذه سيارة لا يستعملها إلا لأغنى مليونيرات تكساس أو زملائه المفضلين الذين كان يستضيفهم شخصيا.

فى اليوم التالى كان كولى فى المطار مع ثلاثة خدم من الفندق، والرولز رويس بسائقها، مع ثلاث سيارات ليموزين كاديلاك. رتب لأن تذهب الرولز رويس والليموزينات مباشرة إلى حقل الطيران بحيث لا يتعين على زبائنه اجتياز محطة الدخول. وحيا السيد فوميرو ما إن نزل على سلالم الطائرة.

كان جمع اليابانيين لا يمكن الخطأ فيه، لا بسبب ملامحهم فقط، وإنما بسبب طريقة لباسهم. كانوا جميعهم فى بدلات شغل سوداء، مفصلة على نحو سيئ وفقًا للمقاييس الغربية، مع قمصان بيضاء وأربطة سوداء. كان عشرتهم يبدون وكأنهم عصبة كتبة جادين لا هيئة حاكمة لأغنى وأقوى مجمع أعمال يابانى.

وكان يسيرًا أيضًا تشخيص السيد فوميرو. كان أطول العصبة طويلاً جدا بالمقارنة؛ خمسة أقدام وعشرة إنشات بكاملها. وكان وسيمًا بملامح ممتلئة واسعة، كتفين عريضتين وشعر أسود فاحم. كان يمكن تصوره نجمًا سينمائيا من هوليود

أعطى دورًا غريبًا جعله يبدو، خطأ، شرقيا. ولثانية عابرة أومضت الفكرة فى ذهن كولى بأن هذا قد يكون خداعًا متعمدًا.

من الآخرين كان واحد فقط يقف قريبًا من فوميرو. كان أقصر بقليل من فوميرو، ولكنه أنحف كثيرًا. وله الأسنان الناتئة لكاريكاتير اليابانى. كان الرجال الآخرون صغيرى الأحجام وغير واضحين. وكانوا جميعهم يحملون حقائب أوراق من الساميت (*) المقلَّد الأسود.

مد كولى يده بأقصى اطمئنان لفوميرو وقال:

- أنا كولى كروس من فندق كسانادو. أهلاً بكم فى لاس فيجاس.

ومض السيد فوميرو ابتسامة مؤدبة بإشراق. كانت أسنانه البيضاء كبيرة وكاملة، وقال بإنجليزية لا تشوبها غير لكنة خفيفة:

- مسرور جدا لرؤيتك.

ثم عرَّف رجله الناتئ الأسنان بوصفه السيد نيغيتا، معاونه التنفيذى. وتمتم بأسماء الباقين، الذين صافحوا جميعهم، باحتفالية، يد كولى. أخذ كولى تذاكر أمتعتهم وطمأنهم بأن كل الأمتعة سيتم تسليمها إلى غرفهم فى الفندق.

أدخلهم إلى السيارات المنتظرة. هو وفوميرو ونيغيتا إلى الرولز، والآخرون فى الكاديلاكات. وفى الطريق إلى الفندق أبلغ مرافقيه أنه قد جرى ترتيب الاعتماد. ربت فوميرو على حقيبة نيغيتا وقال بإنجليزية قليلة النقصان:

- لقد جلبنا لكم مالاً نقداً. وابتسم الرجلان لكولى. فرد كولى بابتسامة. وتذكر أن يبتسم كلما يتكلم عندما أخبرهما بجميع وسائل الراحة فى الفندق وكيف أن بمقدورهما مشاهدة أى استعراض فى فيجاس. ولجزء من الثانية فكر فى ذكر رفقة النساء، ولكن غريزة ما جعلته يمسك.

(*) samit(e) : نسيج حريرى تخالطه خيوط من الذهب والفضة.

فى الفندق قادهم مباشرة إلى غرفهم وجعل كاتب منضدة يجلب قسائم التسجيل إليهم كى يوقعوها. كانوا جميعهم فى الطابق ذاته، وكان لفوميرو ونيغيتا جناحان متلاصقان بأبواب متصلة. تفحص فوميرو ترتيبات سكن جماعته كلها، ورأى كولى ومضة رضا فى عينيه عندما لاحظ أن جناحه كان الأفضل بكثير. ولكن عينى فوميرو اتقدتا حقا عندما رأى البيانو الصغير فى جناحه. سرعان ما جلس ولاعب المفاتيح بأصابعه، مصغيًا. كان كولى يرجو أن يكون بحالة جيدة. لم يكن يعرف، ولكن فوميرو هز رأسه بقوة وقال، وهو يبتسم ابتسامة عريضة وقد أضاء وجهه سرورًا:

- جيد جدا، ورقيق جدا، وصافح كولى بسماح بالغ.

ثم أشار فوميرو لنيغيتا أن يفتح الحقيبة التى كان يحملها. جحظت عينا كولى قليلاً. كان ثمة أكداس مربوطة بشكل منتظم من العملة تملأ الحقيبة. لم تكن عنده فكرة عما يمكن أن تبلغ من مقدار. قال السيد فوميرو:

- نود أن نترك هذه أمانة فى صندوق الكازينو. ثم سنسحب المال كلما احتجناه لإجازتنا الصغيرة. فقال كولى:

- بالتأكيد. انتزع نيغيتا الحقيبة فأغلقها، ونزلا كلاهما إلى الكازينو، تاركين فوميرو وحيداً فى جناحه ليستعيد نشاطه.

ذهبا إلى مكتب مدير الكازينو، حيث جرى عد المال. بلغ خمسمائة ألف دولار. تأكد كولى من أن نيغيتا أعطى الإيصال اللازم وأن العمل الكتابى الضرورى قد تم بحيث يمكن سحب المال عند الطلب على الموائد. سيكون مدير الكازينو نفسه فى الطابق مع كولى وسيعرِّف فوميرو ونيغيتا إلى رؤساء الأركان ومراقبى الصالة. ثم ليس على اليابانييْن فى جميع زوايا الكازينو إلا أن يرفعا أصبعًا ويسحبا رقاقات، ثم يوقعا معداداً. بلا ضجة، بلا أية وسيلة تعريف. وسينالان المعاملة الملكية، والاهتمام الأقصى. اهتمامًا نقيا بشكل خاص ما دام لا يرتبط بغير المال.

وفى الأيام الثلاثة التالية كان كولى يتواجد فى الفندق فى الصباح الباكر مع فطور ديزى الحسائى. كانت خدمة الغرف قد تلقت أمرًا بإبلاغه ما إن يتلفن السيد

فوميرو إلى أسفل طالبًا فطوره. كان كولى يمنحه ساعة كى يأكل ثم يقرع بابه ليحييه تحية الصباح. كان يجد فوميرو جالسًا مقدمًا إلى البيانو، يعزف ملء الروح، وسلطانية الخدمة فارغة من الحساء على الطاولة وراءه. فى هذه اللقاءات الصباحية كان كولى يرتب تذاكر الاستعراضات وجولات التفرج للسيد فوميرو وصحبه. كان السيد فوميرو يبتسم دائمًا بأدب وممتنًا، وكان السيد نيغيتا يأتى عبر الباب الموصل من جناحه الخاص ليحيى كولى ويطريه على حساء الفطور، الذى كان من الواضح أنه اشترك فيه. وكان كولى يتذكر أن يواصل الابتسام وهز الرأس فى أثناء ذلك.

فى هذه الأثناء، فى مقامرتهم التى دامت ثلاثة أيام فى فيجاس، أرعبت عصبة اليابانيين كازينوهات فيجاس. كانوا يتنقلون معًا ويقامرون سوية على مائدة الباكاره ذاتها. عندما يكون حامل الورق بيد فوميرو، كانوا يلعبون جميعًا الحد الأقصى المسموح به ضد قائد اللعبة. ولقد كانت لهم بعض النجاحات الساخنة، ولكن ليس فى الكسانادو لحسن الحظ. ولم يكونوا يلعبون غير الباكاراه، وكانوا يلعبون بمرح حياة (*) إيطالى أكثر منه شرقى. كان فوميرو يخفق جانبى الحامل ويضرب على المائدة عندما يوزع لنفسه ثمانية أو تسعة طبيعيتين. كان مقامرًا عاطفيا ويتألق حبورًا على ربح رهان من ألفى دولار. وقد أدهش هذا كولى. كان يعرف أن فوميرو يساوى أكثر من نصف مليار دولار. فلماذا تثيره مثل هذه المقامرة التافهة؟ (ولو بالنسبة إلى حدود فيجاس).

مرة واحدة فقط رأى الفولاذ وراء واجهة فوميرو المبتسمة الوسيمة. ذات ليلة وضع نيغيتا رهانًا على اللاعب عندما كان الحامل بيد فوميرو. ألقى عليه فوميرو نظرة طويلة، وقد تقوس حاجباه، وقال شيئًا باليابانية. للمرة الأولى أحس كولى الهسيس الخفيف الذى حذرته ديزى منه. تلعثم نيغيتا بشىء ما معتذرًا عبر أسنانه الناتئة ونقل ماله توا ليراهن مع فوميرو.

(*) بالفرنسية فى الأصل.

كانت الرحلة نجاحًا هائلاً لكل واحد. عاد فوميرو وعصبته إلى اليابان متقدمين بمائة ألف دولار، ولكنهم كانوا قد خسروا مائتى ألف للكسانادو. وقد عوضوا عن خسائرهم فى الكازينوهات الأخرى. ولقد بدأوا أسطورة فى فيجاس. كانت عصبة الرجال العشرة ببدلاتهم السوداء اللماعة تترك كازينو ذاهبة إلى الأخرى أدنى الشريط. كانوا يشكلون منظرًا مرعبًا، يتقدمون عشرة أقوياء إلى الكازينو، يبدون مثل متعهدى جنائز جاءوا ليأخذوا الجثث من خزانة الكازينو. كان رئيس الركن يطّلع من سائق الرولز أين هم ذاهبون فيتلفن لذلك الكازينو كى ينتظروهم ويقدموا لهم حفاوة السجاد الأحمر. كان رؤساء الأركان جميعًا يتشاركون فى معلوماتهم. وعن هذا الطريق عرف كولى أن نيغيتا كان شرقيا حشريا وكان يجرى الترويح عنه من قبل خطافات من الدرجة العليا فى فنادق أخرى. الأمر الذى كان يعنى أنه لم يكن يريد أن يعرف فوميرو، لسبب ما، بأنه يفضل أن ينكح على أن يقامر.

أخذهم كولى إلى المطار عندما غادروا إلى لوس أنجلوس. أخذ واحدة من ساعات جيب غرونيفيلت الذهبية العتيقة قدمها لفوميرو مع تحيات غرونيفيلت. وكان غرونيفيلت نفسه قد توقف قصيراً عند مائدة عشاء اليابانيين ليقدم نفسه ويعرض مجاملات المؤسسة.

كان فوميرو مسرفًا بإخلاص فى شكره، وقام كولى بجولات المصافحة والابتسامات الاعتيادية قبل أن يصعدوا طائرتهم. انطلق كولى عائداً إلى الفندق، أجرى اتصالاً هاتفيا لرفع البيانو من جناح فوميرو ثم ذهب إلى مكتب غرونيفيلت. أعطاه غرونيفيلت مصافحة دافئة وعناق تهنئة. قال غرونيفيلت:

- واحد من أفضل أعمال "الضيافة" التى شهدتها خلال سنواتى فى فيجاس. أين عرفت بشأن قصة الحساء تلك؟. فقال كولى:

- فتاة يابانية صغيرة تدعى ديزى. أما من مانع أن أشترى لها هدية من الفندق؟. فقال غرونيفيلت:

- يمكنك أن تبلغ ألف دولار. كان ذلك ارتباطًا لطيفًا جدا تعقده مع أولئك اليابانيين. واصل بعده. هدايا عيد الميلاد الخاصة والدعوات. إن ذلك الرجل فوميرو مقامر يقود إلى الإفلاس إن كنت رأيت واحداً.

قطب كولى ، وقال :

- كنت حذراً قليلاً بشأن العبث مع النساء. أنت تعرف أن فوميرو رجل لطيف للغاية، وأنا لم أشأ أن أرفع الكلفة كثيراً منذ البداية . فهز غرونيفيلت رأسه:

- كنت على حق . لا تقلق، سيعود . وإن كان يريد امرأة، فهو سيطلب واحدة . إن المرء لا يصنع نوع المال الذى عنده إن كان يخشى أن يطلب .

كان غرونيفيلت كالعادة مصيبًا. فبعد ثلاثة أشهر عاد فوميرو وفى عرض الملهى سأل عن واحدة من الراقصات الشقراوات ذات ساقين طويلتين جميلتين. كان كولى يعرف أنها تمارس العمل رغم كونها متزوجة من موزع فى الـ "ساندز". بعد العرض تلفن لمدير المسرح وسأله إن كانت الفتاة تود أن تشرب كأسًا مع فوميرو ومعه. تم ترتيب ذلك، وطلب فوميرو من الفتاة الخروج معه لعشاء فى وقت متأخر من الليل. نظرت الفتاة متسائلة إلى كولى الذى هز رأسه موافقًا. ثم تركهما بمفردهما. ذهب إلى مكتبه وتلفن لمدير المسرح ليخبره أن يهيئ بديلة لعرض منتصف الليل. وفى الصباح التالى لم يذهب كولى إلى جناح فوميرو بعد أن تم تسليم الفطور. وفى وقت متأخر أثناء النهار تلفن للفتاة إلى منزلها وأخبرها أن بمقدورها أن تتغيب عن كل عروضها ما دام فوميرو موجوداً فى المدينة .

وفى رحلات لاحقة بقى النمط على حاله. فى هذه الأثناء كانت ديزى قد علّمت أحد طهاة الكسانادو كيفية صنع الحساء اليابانى، وقد جرى إدراجه رسميا على قائمة الفطور. وعلم كولى شيئًا: إن فوميرو كان يشاهد على الدوام إعادات عرض فيلم وسترن طويل على التليفزيون. كان يحبه. وخاصة الممثلة الساذجة الشقراء التى تمثل دور فتاة مرقص مقدامة، ولكن بالغة الأنوثة ، ومع ذلك بريئة. هبطت على كولى فكرة

بارعة مفاجئة . عن طريق علاقاته السينمائية اتصل بممثلة دور الفتاة السانجة، التى كانت تدعى لندا بارسونز. طار إلى لوس أنجلوس، تناول الغداء معها وأخبرها بعاطفة فوميرو نحوها ونحو عرضها. فتنتها أحاديث كولى عن مقامرة فوميرو. كيف كان يحل فى الكسانادو مع حقائب تحوى ملايين الدولارات نقداً، كان يفقدها أحياناً فى ثلاثة أيام من لعب الباكاراه. كان بمقدور كولى أن يشاهد الطمع الطفولى، البرىء، فى عينيها . أخبرت كولى أنها ستحب المجىء إلى فيجاس فى المرة القادمة التى يأتى فيها فوميرو .

بعد شهر نزل فوميرو ونيغيتا فى الكسانادو فى إقامة لمدة أربعة أيام. وللتو أخبر كولى فوميرو عن رغبة لندا بارسونز بزيارته. أضاءت عينا فوميرو. رغم كونه فوق الأربعين، كان يتمتع بوسامة صبى، كان سروره الظاهر يجعلها حتى أكثر سحراً. طلب من كولى أن يتلفن للفتاة على التو، فقال كولى إنه سيفعل، من دون أن يذكر أنه سبق وتكلم معها وأنها قد وعدت بالمجىء إلى المدينة عصر اليوم التالى. كان فوميرو بالغ الانفعال بحيث إنه قامر كالمجانين وخسر أكثر من ثلاثمائة ألف دولار.

فى الصباح التالى خرج فوميرو يتبضع بدلة زرقاء جديدة. لسبب ما كان يظن إن البدلات الزرقاء هى قمة الأناقة الأمريكية، وقد رتب كولى بحيث إن جماعة ساى ديفور فى فندق الساندز أخذوا مقاس فوميرو وفصلوا له بدلة فى اليوم نفسه. أرسل كولى واحدة من مضيفات الكسانادو مع فوميرو لتطمئن إلى أن كل شىء يجرى على ما يرام .

ولكن لندا بارسونز حصلت على طائرة مبكرة ووصلت إلى فيجاس قبل الظهر. قابلها كولى عند الطائرة وجلبها إلى الفندق. أرادت أن تستعيد نشاطها عند وصول فوميرو، وهكذا فقد وضعها كولى فى جناح نيغيتا لأنه افترض أن يكون نيغيتا مع رئيسه. وقد اتضح أن ذلك أوشك أن يصير خطأً قاتلاً.

فبعد أن تركها فى الجناح، عاد كولى إلى مكتبه وحاول أن يعرف مكان فوميرو، ولكنه كان قد ترك محل الخياط ولابد من أنه قد توقف فى إحدى الكازينوهات على

الطريق ليقامر. ما كان يمكن اقتفاء أثره. وبعد نحو ساعة تلقى مكالمة هاتفية من جناح فوميرو. كانت لندا بارسونز. كانت تبدو منزعجة قليلاً. قالت:

- أيمكنك أن تنزل إلى هنا؟ إن عندى مشكلة لغوية مع صديقك .

لم ينتظر كولى ليسأل أية أسئلة. كان فوميرو يتكلم الإنكليزية جيداً بما فيه الكفاية، ولأسباب ما كان يتظاهر بأنه لا يستطيع. ربما خاب ظنه بالفتاة. كان كولى قد لاحظ أن الفتاة الساذجة أذكى، شخصيا، بكثير مما يبدو فى عروض التليفزيون المصورة بعناية. أو ربما أن لندا قالت أو فعلت شيئًا أزعج حساسياته الشرقية المرهفة.

ولكن كان نيغيتا من أدخله إلى الجناح. وكان نيغيتا يهندم نفسه بزهو ثمل قليلاً. ثم رأى كولى لندا بارسونز تخرج من الحمام ملتفة بكيمونو يابانى رسمت عليه التنانين فى كل مكان . قال كولى :

- يا يسوع المسيح .

منحته لندا ابتسامة كامدة. قالت:

- لقد خدعتنى بالتأكيد. إنه ليس بهذا الحياء وهو ليس وسيماً بذاك القدر ولا يفهم الإنجليزية حتى. أرجو أن يكون غنيا فى الأقل .

كان نيغيتا لا يزال يبتسم ويهندم، بل إنه حتى انحنى أمام لندا فيما كانت تتكلم. كان واضحًا أنه لم يفهم ما كانت تقول.

سألها كولى فى يأس تقريبًا:

- هل نكحته؟. فبرطمت لندا:

- بقى يطاردنى حول الجناح. كنت أتصور فى الأقل أننا سنحظى معًا بأمسية فيها أزهار وكمنجات، ولكننى لم أستطع دفعه بالعراك. وهكذا فقد فكرت: يا للعنة. لنتخلص من الأمر لو كان يابانياً حشريا بهذا الشكل. وهكذا فقد نكحته.

فهز كولى رأسه وقال:

ـ نكحت اليابانى الخطأ .

نظرت إليه لندا برهة بمزيج من الصدمة والرعب. ثم انفجرت ضاحكة. كان ضحكًا أصيلاً يلائمها. سقطت على الأريكة وهى لا تزال تضحك، وتعرى فخذها الأبيض بتطاير الكيمونو. أثناء تلك اللحظة افتتن كولى بها. ولكنه هز رأسه عندئذ. كان هذا أمرًا جديا. رفع سماعة الهاتف وطلب ديزى فى شقتها. كان أول ما قالته ديزى : لا مزيد من الحساء . فطلب منها كولى أن تكف عن المزاح وتأتى إلى الفندق. أخبرها أن الأمر مهم إلى حد فظيع وأن عليها أن تسرع. ثم تلفن لغرونيفيلت وشرح الموقف. قال غرونيفيلت إنه سيهبط على الفور. فى هذه الأثناء، كان كولى يصلى كى لا يظهر فوميرو.

بعد خمس عشرة دقيقة كان غرونيفيلت وديزى فى الجناح معه. كانت لندا قد أعدت لكولى ونيغيتا ونفسها شرابًا من مقصف الجناح، وكانت تكشيرة لا تزال ترتسم على وجهها. كان غرونيفيلت فاتنًا معها، قال:

ـ يؤسفنى ما وقع. ولكن كونى صبورة قليلاً. سنرتب الأمور . ثم استدار إلى ديزى:

ـ وضحى للسيد نيغيتا ما حدث. أنه أخذ امرأة السيد فوميرو. أنها ظنته السيد فوميرو. أوضحى له أن السيد فوميرو يعشقها حتى الجنون، وأنه قد خرج ليشترى بدلة من أجل لقائه بها.

كان نيغيتا يستمع متأملاً وعلى وجهه الابتسامة المرسومة عليه ذاتها. ولكن كان ثمة الآن ذعر طفيف فى عينيه. سأل ديزى سؤالاً باليابانية، ولاحظ كولى الهسيس البسيط التحذيرى فى كلامه. بدأت ديزى تكلمه بسرعة باليابانية. بقيت تبتسم وهى تتكلم، ولكن ابتسامة نيغيتا واصلت الخبو فيما كانت كلماتها تنصب، وعندما انتهت، سقط على أرض الجناح فى غيبوبة موت.

تولت ديزى المسئولية. نترت زجاجة ويسكى وصبت بعضاً منها فى حنجرة نيغيتا، ثم ساعدته على النهوض ثم الجلوس على الكنبة. نظرت لندا إليه بشفقة. كان نيغيتا يعصر يديه ويتدفق فى الكلام مع ديزى. سألها غرونيفيلت ما كان يقول. فهزت ديزى كتفيها:

- يقول إن ذلك يعنى نهاية حياته العملية. يقول إن السيد فوميرو سيتخلص منه. إنه جعل السيد فوميرو يفقد اعتباره كثيراً.

هز غرونيفيلت رأسه متفهماً:

- أخبريه بأن يبقى فمه مغلقًا فقط. أخبريه أننى سأدخله المستشفى ليوم واحد بسبب مرضه، ثم سيطير عائداً إلى لوس أنجلوس من أجل العلاج. سنلفق قصة للسيد فوميرو. مريه ألا يخبر أحداً، وسنراعى ألا يكتشف السيد فوميرو أبداً ما جرى.

ترجمت ديزى وهز نيغيتا رأسه. عادت ابتسامته المؤدبة ولكنها كانت كشرة شبحية. والتفت غرونيفيلت إلى كولى:

- انتظر أنت والآنسة بارسونز مجىء فوميرو. تصرفا كأن شيئًا لم يحدث. سأهتم أنا بنيغيتا. لا يمكننا أن نتركه هنا، سيغمى عليه عندما يرى رئيسه. سأشحنه إلى الخارج.

وكانت تلك كيفية جريان الأمور. عندما وصل فوميرو أخيراً بعد ساعة، وجد لندا بارسونز، مرتدية ومتزينة حديثًا تنتظره مع كولى. انسحر فوميرو للتو، وبدت لندا بارسونز متيمة بوسامته، ولكن بالبراءة التى يمكن للفتاة البريئة فى فيلم الوسترن التليفزيونى أن تكون عليها. قالت:

- أرجو ألا تبالى، فقد أخذت جناح صديقك كى أكون إلى جانبك تماماً. على هذه الصورة يمكننا أن نقضى أوقاتًا أطول معاً.

أدرك فوميرو الإشارة. لم تكن مجرد مومس ما بحيث تأتى لتقيم معه مباشرة. ينبغى أولاً أن تقع فى الغرام. هز رأسه بابتسامة عريضة وقال:

ـ بالطبع، بالطبع. وتنهد كولى الصعداء. كانت لندا تلعب أوراقها على نحو جيد. حيا مودعًا ثم تباطأ قليلاً فى الصالة. بعد بضع دقائق كان بمقدوره أن يسمع فوميرو يعزف البيانو ولندا تغنى مصاحبة له.

فى الأيام الثلاثة التى تلت تمتع فوميرو ولندا بارسونز بالغرام اللاس فيجاسى الكلاسيكى، الكامل هندسيا تقريبًا. كانا مجنونين أحدهما بالآخر، وقضيا كل دقيقة معًا. فى السرير، على موائد القمار حسن حظهما أم ساء، متبضعين فى الأروقة المقنطرة ومحلات النسائيات الفاخرة فى فنادق الشريط. أحبت لندا الحساء اليابانى على الفطور، وعشقت عزف فوميرو على البيانو. وأحب فوميرو شحوب لندا الأشقر، وفخذيها الأبيضين كالحليب والثقيلين قليلاً، وطول ساقيها، والامتلاء الناعم المتدلى لنهديها. ولكنه أحب، فوق كل شىء، مرحها الدائم، وانشراحها. وقد أسر لكولى أنه كان يمكن للندا أن تصير فتاة غيشا عظيمة. وقد أخبرت ديزى كولى بأن هذا أعلى إطراء يمكن لرجل كفوميرو أن يمنحه. وقد زعم فوميرو أيضًا أن لندا كانت تعطيه الحظ عندما يقامر. عندما انتهت إقامته، لم يكن قد فقد غير مائتى ألف دولار من المليون بالنقد الأمريكى الذى كان أودعه فى صندوق الكازينو. ولقد تضمن ذلك معطف فراء منك، وخاتم ماس، وحصان بَلْمين (*) وسيارة مرسيدس اشتراها للندا بارسونز. لقد أفلت قليل النفقات. فمن دون لندا كانت ثمة فرص كبيرة ليخسر نصف مليون أو حتى كل المليون على موائد الباكاراه.

فى البدء تصور كولى لندا نصّابة رقيقة من نصابات الطبقة الرفيعة. ولكن بعد أن غادر فوميرو فيجاس، تناول العشاء معها قبل أن تأخذ طائرة المساء إلى لوس أنجلوس. كانت مجنونة حقًا بفوميرو. قالت:

ـ إنه رجل بالغ الجاذبية. لقد عشقت ذلك الحساء على الفطور وعزف البيانو. ولقد كان بالعظمة نفسها فى الفراش. لا عجب فى أن النساء اليابانيات يفعلن لرجالهن كل شىء. فابتسم كولى:

(*) Palmino : فرس عربى الأصل.

- لا أظنه يعامل نساءه فى موطنه بالطريقة التى عاملك بها. فقالت لندا:

- إى، أعرف. ومع ذلك، كان الأمر عظيمًا. تعرف، لقد التقط لى مئات الصور بآلة تصويره. لابد من أنك تظننى تعبت من ذلك، ولكننى عشقت حقا قيامه بذلك. ولقد التقطت صورًا له أيضًا. إنه رجل وسيم. فقال كولى:

- وثرى جدا. فهزت لندا كتفيها:

- لقد عاشرت رجالاً أثرياء من قبل. وأنا أكسب مالاً جيداً. ولكنه كان مجرد طفل صغير. وأنا لا أحب حقا الطريقة التى يقامر بها، مع ذلك. يا الله! يمكننى أن أحيا عشر سنوات على ما يخسره فى يوم واحد.

فكر كولى: هل الأمر كذلك؟ ووضع على التو خططًا حتى لا يجتمع فوميرو ولندا بارسونز ثانية أبداً. ولكنه قال بابتسامة ملتوية:

- إى، أكره أن أراه يتأذى على ذلك النحو. قد أثنيه عن المقامرة. فكشرت لندا نحوه، وقالت:

- إى. أراهن على ذلك. ولكن شكرًا لك على كل شىء. لقد تمتعت حقا بأحد أفضل أوقات حياتى. ربما سأراك ثانية.

فهم ما كانت تستهدف، ولكنه قال بنعومة، بدلاً من ذلك:

- متى ما أحسست التوق إلى فيجاس ما عليك إلا أن تتلفنى لى. كل شىء على حساب المؤسسة فيما عدا الفيش.

فقالت لندا متأملة قليلاً:

- أتظن فوميرو سيتلفن لى فى المرة القادمة التى يأتى فيها؟ لقد أعطيته رقم هاتفى فى لوس أنجلوس. حتى إننى قلت إننى قد أطير إلى اليابان فى عطلتى عندما

ننهى تسجيل الاستعراض. وقال إنه سيسر بذلك وإن علىَّ أن أشعره بوقت مجيئى. ولكنه كان باردًا قليلاً تجاه ذلك.

هز كولى رأسه:

- لا يحب اليابانيون أن تكون النساء هجوميات. إنهم متخلفون ألف سنة عن العصر. خاصة قاطرة كبيرة مثل فوميرو. إن أفضل طريقة تلعبين بها هى أن تتراجعى منتظرة وتلعبى ببرود.

فتنهدت:

- أظن ذلك.

أخذها إلى المطار، وقبلها على خدها قبل أن تصعد إلى طائرتها، وقال:

- سأتلفن لك عندما يأتى فوميرو ثانية.

عندما رجع إلى الكسانادو، صعد إلى جناح معيشة غرونيفيلت وقال مبرطمًا:

- ثمة شىء فى أن يحسن المرء كثيرًا للاعب ما. فقال غرونيفيلت:

- لا تحس خيبة. ما كنا نريد مليونه بالكامل فى هذه المرحلة المبكرة من المقامرة. ولكنك محق. ليست تلك الممثلة بالفتاة التى يصح ربطها بلاعب. أولاً: لأنها ليست طماعة بما يكفى. وثانيًا: لأنها مباشرة جدا. وأسوأ من كل شىء، هى ذكية. فسأل كولى:

- وكيف تعرف؟. فابتسم غرونيفيلت:

- أأنا مصيب؟. قال كولى:

- أكيد. سأطمئن إلى إبعاد فوميرو عنها عندما يأتى ثانية. فقال غرونيفيلت:

- لن نضطر إلى ذلك. إن رجلاً مثله عنده كثير من القوة الجسدية. إنه لا يحتاج إلى ما يمكنها أن تقدمه له. ليس أكثر من مرة واحدة. مرة واحدة أمر جميل. ولكن هذا

كل ما هناك. إن كانت أكثر، لكان اهتم بها أكثر من ذلك عندما انصرف. فذهل كولى قليلاً:

- مرسيدس، ومعطف منك وخاتم ماس؟ ليس ذلك اهتماماً بها؟.

فقال غرونيفيلت:

- لا. وكان على حق. ففى المرة التالية التى جاء بها فوميرو إلى فيجاس لم يسأل عن لندا بارسونز أبداً. وفى هذه المرة خسر مليون نقده الموجود فى الصندوق.

- ١٩ -

طارت الطائرة لتدخل نور الصباح وجاءت المضيفة بالقهوة والفطور. أبقى كولى حقيبة الأوراق إلى جانبه فيما كان يأكل ويشرب، وعندما انتهى، رأى أبراج نيويورك الفولاذية على الأفق. كان المنظر يرعبه دائمًا. فيما كانت الصحراء تمتد بعيدًا عن فيجاس، هنا كانت أميال الفولاذ والزجاج المتجذرة والنامية كثيفة باتجاه السماء تبدو بلا حدود. وكانت تعطيه حس يأس.

غطست الطائرة وقامت بسيلان بطيء، ورشيق إلى اليسار فيما دارت حول المدينة ثم هبطت، سقفًا أبيض لسقف أزرق، ثم إلى هواء تنيره الشمس مع المدارج الرمادية الأسمنتية والرقع الخضراء المبعثرة التى كانت تشكل الأرض السجادية. ولامست الأرض بارتطام من الصلابة بحيث تكفى لإيقاظ من كان نائمًا لا يزال من الركاب.

أحس كولى نفسه نشطًا وصاحيًا تمامًا. كان متلهفًا على رؤية ميرلين: كانت فكرة هذه الرؤية تجعله يحس سعادة. ميرلين العتيق الطيب، الأمين الأصيل، الرجل الوحيد فى العالم الذى يثق به.

- ٢٠ -

فى اليوم الذى كان ينبغى أن أظهر فيه أمام هيئة المحلفين الكبرى، كان ابنى الأكبر يتخرج من الصف التاسع ويدخل المدرسة الثانوية. طلبت منى فاليرى أن آخذ إجازة من العمل وأذهب معها إلى التدريبات. أخبرتها أننى لا أستطيع لأن على أن أذهب إلى اجتماع يخص برنامج الاستدعاء المجدد للجيش. كانت لا تزال لا فكرة عندها عن المشكلة التى كنت فيها، ولم أخبرها. ما كانت لتحتمل، وما كانت لتستطيع شيئًا غير أن تقلق. لو أن كل شىء سار على ما يرام فهى لن تعرف. وهذا ما كنت أريد أن يجرى الأمر عليه. لم أكن حقا أومن بمشاطرة الهموم مع شركاء الحياة الزوجية عندما لا يكونون قادرين على المساعدة.

كانت فاليرى مزهوة بيوم تخرج ابنها. قبل بضع سنوات أدركنا فى موقع ما على طول الخط أنه لم يكن يستطيع القراءة فى الواقع، ومع ذلك كانت تجرى ترقيته فى كل فصل. لقد جنت فاليرى غضبًا، وبدأت تعلمه القراءة. ولقد قامت بعمل جيد. كان الآن يحصل على أعلى الدرجات. ليس الأمر أننى أنا لم أغضب. كان ذلك ضغينة أخرى أحملها ضد مدينة نيويورك. كنا نعيش فى منطقة واطئة الدخل، الجميع شغيلة عاملون وسود. لم يكن النظام المدرسى يبالى قيد شعرة ما إذا كان الأطفال يتعلمون شيئًا أم لا. إنه يبقى يرقيهم كى يتخلص منهم، كى يُخرجهم من النظام بدون أية مشكلة وبأدنى قدر من الجهد.

كانت فالى تتطلع إلى الانتقال إلى بيتنا الجديد. كان فى منطقة مدرسةٍ جيدة، أحد مجمعات لونج أيلاند حيث يتأكد المدرسون من أن كل تلاميذهم يتأهلون للكلية. ولم يكن ثمة، مع أنها لم تقل ذلك، أى سود. سينشأ أطفالها فى النوع نفسه من البيئة

المستقرة، بالنسبة لها، التى نشأت هى فيها كتلميذة كاثوليكية. كان ذلك يناسبنى. لم أكن أريد أن أخبرها أن المشكلة التى كانت تحاول الهروب منها متجذرة فى أمراض مجتمعنا كله، وأنه ليس بمقدورنا أن نهرب منها إلى أشجار لونج آيلاند ومروجها.

وبالإضافة إلى ذلك، كانت عندى مشكلات أخرى. قد أدخل السجن بدلاً من ذلك. يعتمد ذلك على هيئة المحلفين الكبرى التى سأظهر أمامها اليوم. كل شىء يعتمد على ذلك. أحسست حقارة عندما خرجت من السرير ذلك الصباح. كانت فالى تأخذ الأطفال إلى المدرسة بنفسها وتبقى هناك لتدريبات التخرج. أخبرتها أننى سأذهب متأخراً إلى العمل، وهكذا فقد انصرفوا قبلى. أعددت قهوتى بنفسى، وفيما كنت أشربها، حددت كل الأشياء التى كان علىَّ أن أفعلها أمام هيئة المحلفين العليا.

كان علىَّ أن أنكر كل شىء. لم يكن ثمة احتمال لأن يقتفوا أثر مال الرشوة الذى أخذته. لقد طمأننى كولى إلى ذلك. ولكن الأمر الذى كان يقلقنى هو أن علىَّ أن أملأ استعلامًا يتعلق بموجوداتى. كان أحد الأسئلة ما إذا كان عندى بيت. ولقد خرجت بفارق دقيق من ذلك: كانت الحقيقة أننى دفعت مقدمة عن بيت فى لونج آيلاند، وديعة، ولكن لم يكن قد جرى تسديد على البيت. وهكذا، فقد اكتفيت بالإجابة بلا. اعتبرت نفسى لا أملك بيتًا، ولم يكن ثمة أمر مذكور عن وديعة. ولكننى تساءلت إن كان مكتب التحقيقات الاتحادى قد اكتشف ذلك. يبدو أنه لا شك فعل.

وهكذا، كان أحد الأسئلة التى أمكننى أن أتوقع أن تسألنى إياها هيئة المحلفين هى ما إذا كنت قد دفعت وديعة على بيت. وعندئذ سيكون علىَّ أن أجيب بنعم. وعندئذ ستسألنى لمَ لم أدرجها فى الاستعلام وسيترتب على أن أفسِّر ذلك. ولكن ماذا لو انهار فرانك ألكور وأقر بذنبه وأخبرهم عن معاملاتنا حين كنا شريكين؟ كنت قد حزمت رأيى مقدمًا أن أكذب بهذا الشأن. ستكون كلمة فرانك مقابل كلمتى. لقد عالج المعاملات دائمًا بنفسه، لم يكن بمقدور أحد أن يدعمه. ولقد تذكرت الآن ذات يوم حين حاول أحد زبائنه أن يدفع لى بمظروف كى أسلمه لفرانك، لأن فرانك لم يكن فى المكتب ذلك اليوم. وقد رفضت. وكان ذلك من حسن الحظ البالغ. لأن ذلك الزبون كان واحداً من الفتيان

الذين كتبوا الرسائل المغفلة إلى مكتب التحقيقات الاتحادى، التى بدأت التحقيق كله. وكان ذلك حظا خالصًا. كنت رفضت ببساطة لأننى لم أكن أحب ذلك الفتى بالذات. حسن، سيتعين عليه أن يشهد بأننى رفضت أن أتسلم المال، وسيكون ذلك نقطة فى صالحى.

وهل سينهار فرانك ويرمينى لهيئة المحلفين الكبرى؟ ما كنت أظن ذلك. كانت الطريقة الوحيدة التى ينقذ بها نفسه هى أن يشهد ضد واحد أعلى فى سلسلة القيادة. كالرائد أو المقدم. وكانت الصعوبة الخفية هناك أنهما لم يكونا فى الأمر أبداً. وكنت أشعر أن فرانك رجل أكثر استقامة من أن يسبب لى أسى لمجرد أنه وقع. وإضافة إلى ذلك، كان عنده الكثير مما يجازف به. لو أنه أقر بالذنب، سيفقد عمله الحكومى وراتبه التقاعدى ودرجته الاحتياطية وراتبها التقاعدى.

كان قلقى الأكبر هو باول حمصى. الفتى الذى فعلت له أكثر مما فعلت لأى واحد غيره والذى كان والده قد وعدنى بأن يجعلنى سعيداً بقية حياتى. بعد أن دبرت أمر باول، لم أسمع من السيد حمصى أبداً. ولا حتى زوج جوارب. كنت أتوقع ثروة كبيرة من ذلك، فى الأقل ألفى دولار، ولكن تلك العلب الأولية من الملابس كانت كل ما فى الأمر. ولم أكن ضغطت أو طلبت أى شىء. فبعد كل شىء، كانت علب الملابس تلك تساوى ألوفًا. إنها لن تجعلنى سعيداً بقية حياتى ولكن، ثم ماذا؟، ما كنت لأبالى أن أُخدع.

ولكن عندما بدأ مكتب التحقيقات الاتحادى تحقيقاته ورد فى الشائعات أن باول حمصى قد تهرب من القرعة وسجل فى الاحتياطى حتى بعد أن تلقى إشعار الاستدعاء. عرفت أن رسالة هيئة القرعة التى تنسخ إشعار استدعائه قد سحبت من ملفاتنا وأرسلت إلى مقرات أعلى. كان لابد من أن أتصور بأن رجال مكتب التحقيقات الاتحادى قد تكلموا مع كاتب هيئة التجنيد وأنه قد أخبرهم بالقصة التى أعطيته إياها. الأمر الذى كان مع ذلك لا بأس به. لا شىء غير قانونى حقا. ألاعيب إدارية بسيطة مما يقع كل يوم. ولكن الكلام انتشر يقول بأن باول حمصى قد انهار تحت استجواب مكتب التحقيقات الاتحادى وقد أخبرهم بأنى تسلمت رشاوى من أصدقاء له أيضاً.

تركت البيت وقدت سيارتى ماراً بمدرسة ابنى. كانت تضم ساحة لعب هائلة وساحة لكرة السلة من الأسمنت، كانت المنطقة كلها مسيجة بأسيجة أسلاك مشبكة عالية. فيما كنت أقود مجتازاً إياها، أمكننى أن أرى تدريبات التخرج تقام خارج الملعب. أوقفت سيارتى ووقفت وراء السياج، ممسكًا بالأسلاك.

كان فتيان وفتيات لا يكادون يبلغون سن المراهقة يقفون فى صفوف مرتبة، كلهم مرتبو الملابس استعداداً للاحتفال، وقد مشطت شعورهم، وحُكَّت وجوههم لتنظف، ينظرون بزهو طفولى مرورهم الاحتفالى إلى الخطوة التالية نحو البلوغ.

كان قد جرى نصب أماكن مراقبة للآباء والأمهات. ومنبسط خشبى كبير للشخصيات المهمة: مدير المدرسة، وسياسى الدائرة الانتخابية، وهو رجل مسن أشيب يلبس القلنسوة المزينة بالشريط الأزرق لما وراء البحار والبدلة التى تبدو من طراز سنة ١٩٢٠ للفرقة الأمريكية. كان علم أمريكى يرفرف فوق المنبسط. سمعت المدير يقول شيئًا حول عدم توفر الوقت الكافى لتسليم الشهادات وعلامات التكريم على نحو فردى، ولكن عندما يعلن كل فصل، فعلى أفراد ذلك الفصل أن يستديروا ويواجهوا المواقف.

وهكذا رحت أراقبهم بضع دقائق. بعد كل إعلان كان صف من الفتيان والفتيات يلتف فيما حوله ليواجه مواقف الأمهات والآباء وبقية الأقرباء كى يتلقوا تصفيقهم. كانت الوجوه تطفح بالفخر والسرور والتوقع. كانوا أبطال هذا اليوم. جرى امتداحهم من قبل الشخصيات المهمة، ويجرى التصفيق لهم الآن من جانب الكبار. كان بعض أولاد الحرام المساكين ما زالوا لا يستطيعون القراءة. لم يكن أحد منهم هُيئ للكلمة أو للمشكلة التى سيرونها. كنت مسروراً لأنه لم يكن بمقدورى أن أرى وجه ابنى. عدت إلى السيارة وقدت إلى نيويورك وإلى لقائى بهيئة المحلفين الكبرى.

قرب مبنى المحكمة الاتحادية وضعت سيارتى فى موقف السيارات ودخلت الممرات الضخمة ذات الأرضية الرخام. دخلت مصعداً إلى غرفة هيئة المحلفين الكبرى، وخرجت من المصعد. وصعقت إذ رأيت مصاطب ملآى بالشبان الذين كان قد جرى

تسجيلهم فى وحداتنا الاحتياطية. كان ثمة فى الأقل مائة منهم. وقد هز بعضهم الروس تحية لى، وصافحنى قلة منهم وتمازحنا بشأن الأمر كله. رأيت فرانك ألكور يقف بمفرده قرب إحدى النوافذ الضخمة. ذهبت إليه وصافحته. كان يبدو هادئًا. ولكن وجهه كان متوتراً. قال ونحن نتصافح:

- أليس هذا قدراً كبيراً من الهراء؟، فقلت:

- إى.

لم يكن أحد يرتدى البزة غير فرانك. كان يحمل كل أشرطته الخاصة بحملة الحرب العالمية الثانية وخيوط درجته كرئيس عرفاء وعلامات أقدمية مكررة. كان يبدو مثل جندى عريق محترف. عرفت أنه كان يقامر بأن هيئة محلفين كبرى سترفض إدانة وطنى استدعى مجدداً للدفاع عن بلاده. ولقد رجوت أن ينجح ذلك. قال فرانك:

- يا للمسيح. لقد نقلوا مائتين منا بالطائرات من فورت لى. كل ذلك من أجل حفنة هذر. لمجرد أن بعض هؤلاء الإيور الصغار لم يستطيعوا أن يتجرعوا الأمر عندما استدعوا مجدداً.

لقد تأثرت ودهشت. لقد بدا ما فعلناه أمرًا صغيراً. مجرد أخذ قليل من المال للقيام بخداع إدارى صغير لا ضرر فيه. لم يكن يبدو حتى أعوج. مجرد توفيق، وتلاق للمصالح بين طرفين مختلفين مفيد لكليهما وغير مؤذ لأحد. لقد خرقنا، بالتأكيد، بضعة قوانين، ولكننا لم نفعل أمرًا سيئًا حقا. وهاهى الحكومة تنفق آلاف الدولارات كى تسجننا. لم يكن ذلك يبدو منصفًا. إننا لم نطلق النار على أحد، ولم نهاجم مصرفًا، لم نختلس ودائع أو نزور صكوكًا أو نتلقى بضائع مسروقة أو نرتكب اغتصاباً أو حتى نكن جواسيس للروس. علامَ كانت كل هذه الضجة بحق الجحيم؟ ضحكت. لسبب ما، صرت فجأة فى معنوية عالية حقا. قال فرانك:

- علامَ تضحك بحق الجحيم؟ هذا أمر جدى.

كان ثمة ناس منتشرين حولنا، بعضهم ضمن مدى السماع. فقلت لفرانك فرحًا:

- ماذا هناك كى نقلق بشأنه؟ نحن بريئان، ونحن نعرف أن هذا كله كومة روث. فلينبعصوا جميعًا. رد على كشرتى، وقد فهمنى. قال:

- إى. ولكننى لا أزال أرغب فى قتل بعض هؤلاء الإيور الصغار.

- لا تقل هذا حتى مازحًا، ونظرت إليه نظرة تحذير. ربما كانوا زرعوا هذه القاعة بأجهزة تنصت: إنك تعرف بأنك لا تقصده. فقال فرانك متحفظًا:

- نعم، أظن ذلك. إنك لتظن أن هؤلاء الفتية سيكونون فخورين إذ يخدمون بلادهم. أنا لم أتهرب، ولقد شاركت فى حرب.

ثم سمعنا اسم فرانك يستدعى من جانب أحد الحجاب قرب البابين الضخمين اللذين تقوم فوقهما رقعة "غرفة هيئة المحلفين الكبرى". فيما دخل فرانك، رأيت باول حمصى يخرج. مضيت نحوه وقلت:

- تحية يا باول، كيف حالك؟. ومددت يدى فصافحها.

كان يبدو غير مرتاح، ولكن لم يبد عليه أنه مذنب. قلت:

- كيف أبوك؟. فقال باول:

- على ما يرام. وتردد قليلاً:

- أدرى أنه لا يجوز أن أكلمك عن شهادتى. تعرف أننى لا يمكن أن أقوم بذلك. ولكن أبى قال أن أخبرك بألا تحمل هم أى شىء.

أحسست جيشانًا هائلاً من الارتياح. لقد كان همى الحقيقى الوحيد. ولكن كولى كان قد قال بأنه سيرتب أمر عائلة حمصى، وهاهو الأمر يبدو قد تم. لم أعرف كيف دبره كولى وما كان ذلك يعنينى. راقبت باول وهو يمضى إلى مجموعة المصاعد، ثم جاءنى واحد آخر من زبائنى، فتى صغير كان مخرجًا مسرحيا متدربًا سجلته بلا مقابل. كان قلقًا حقا بشأنى، وقد أخبرنى أنه وأصدقاءه يمكنهم أن يشهدوا بأننى لم

أطلب أو أتسلم منهم مالاً. شكرته وتصافحنا. أطلقت بعض المزحات وابتسمت كثيراً، ولم يكن ذلك مجرد تمثيل. كنت أمثل دور المرتشى المحتال المرح الذى يعرض من ثم براعته الأمريكية الكاملة. أدركت بشىء من الدهشة أننى كنت أستمتع بالأمر كله. كنت فى الحقيقة، أعقد محكمة مع كثير من زبائنى، الذين كانوا يخبروننى أية رزمة هراء كان الأمر كله، تسبب فيه قلة من سريعى الغضب. ولقد أحسست حتى إن فرانك قد يتخلص من الاتهام. ثم رأيت فرانك يخرج من غرفة هيئة المحلفين الكبرى وسمعت اسمى ينادى. بدا فرانك متجهمًا قليلاً ولكن غاضباً، وكان بمقدورى أن أجزم أنه لم ينهر، وأنه سيقاوم الأمر كله. اجتزت البابين الضخمين داخلاً غرفة هيئة المحلفين الكبرى. فيما عبرت الأبواب مسحت الابتسامة عن شفتىّ.

لم يكن شيئًا يشبه الأفلام. بدت هيئة المحلفين الكبرى كتلة من الناس يجلسون على صفوف من الكراسى القابلة للطى. لا فى منصة محلفين أو شىء آخر. كان مدعى المنطقة يقف إلى جانب منضدة فوقها أكوام من الأوراق كان يقرأ منها. كان ثمة كاتب اختزال يجلس إلى طاولة صغيرة عليها آلته. أُمرت أن أجلس على كرسى كان على منصة مرفوعة قليلاً بحيث يمكن للمحلفين أن يرونى بوضوح. كما لو كنت مراقب المائدة فى موقع باكاراه.

كان مدعى المنطقة شاباً يرتدى بدلة سوداء محافظة للغاية مع قميص أبيض وربطة عنق بزرقة السماء مرتبة العَقد. كان له شعر أسود كث وبشرة شاحبة جدا. لم أكن أعرف اسمه، ولم أعرفه قط. كان صوته هادئًا جدا وغير متحيز كثيراً وهو يلقى علىّ الأسئلة. كان مجرد يضع المعلومات فى السجلات، لا يحاول أن يؤثر فى المحلفين.

حتى إنه لم يقترب منى عندما كان يسأل أسئلته، اكتفى بالوقوف عند منضدته. ثبَّت هويتى وشغلى. قال:

- يا سيد ميرلين، هل طلبت مالاً من أى شخص لأى سبب مهما كان؟. فقلت:

- كلا. نظرت إليه وإلى أعضاء هيئة المحلفين فى أعينهم فيما كنت أرد على الأسئلة. أبقيت وجهى جادا، مع أننى كنت أريد الابتسام لسبب ما. كنت لا أزال محبوراً.

قال مدعى المنطقة:

ـ هل تسلمت مالاً من أي شخص كى يتم تسجيله في برنامج احتياطى الجيش ذى الستة أشهر؟. فقلت:

ـ لا.

ـ هل لديك أية معرفة عن تلقى أى شخص آخر للمال ضد القانون من أجل تلقى معاملة مفضلة بأى شكل؟.

فقلت:

ـ لا، وأنا لا أزال أنظر إليه وإلى كتلة الناس الجالسين بعدم ارتياح كبير على كراسيهم الصغيرة المنطوية. كانت الغرفة غرفة داخلية ومظلمة سيئة الإنارة. لم أستطع فى الحقيقة أن أتميز وجوههم.

ـ أعندك معرفة عن استخدام ضابط أعلى أو أى شخص آخر تأثيرات خاصة لإدخال أحد إلى برنامج الستة أشهر فى حين لم يكن اسمه على قوائم الانتظار الموجودة فى مكتبكم؟.

كنت أدرى أنه كان سيسأل سؤالاً كهذا. ولقد فكرت فيما إذا كان علىَّ أن أذكر عضو المجلس الذى جاء برفقة وريث ثروة الفولاذ وجعل الرائد يتجاوز الخط. أو أخبر كيف وضع المقدم الاحتياط أو بعض الضباط الاحتياط الآخرين أبناء أصدقائهم فى القائمة خارج النوبة. ربما كان ذلك سيفزع المحققين أو يحرف اهتمامهم إلى هؤلاء الذين فى الأعالى. ولكننى أدركت عندئذ أن سبب تجشم مكتب التحقيقات الاتحادى كل هذا العناء هو كشف الذين هم فوق، وأن ذلك إن تم، فسوف يوسع التحقيق. وكذلك، سيكتسب الأمر كله أهمية أكبر للصحافة لو أن عضو المجلس ورد اسمه. وهكذا فقد قررت إبقاء فمى مغلقًا. لو أننى أُدنت وجرت محاكمتى فإن بمقدور محامىٍّ دائمًا أن يستخدم تلك المعلومة. وهكذا، فقد هززت رأسى وقلت: كلا.

كان مدعى المنطقة قد قلَّب أوراقه ثم قال، دون أن ينظر إليَّ:

ـ هذا كل شيء، أنت مأذون. فنهضت عن كرسيى وخطوت خارجًا فغادرت غرفة المحلفين. ثم أدركت لماذا كنت مرحًا جدا، ومحبورًا جدا، ومسرورًا تقريبًا.

لقد كنت ساحرًا، حقا. طوال هذه السنوات حين كان الجميع يبحرون متقدمين، آخذين الرشاوى من دون خشية فى الدنيا، كنت قد أمعنت النظر إلى المستقبل وتنبأت بهذا اليوم: هذه الأسئلة، وقاعة المحكمة هذه، ومكتب التحقيقات الاتحادى، وشبح السجن. ولقد أطلقت اللعنات عليهم. لقد خبأت مالى عند كولى. عانيت كثيرًا كى لا أخلق عداوات بين الناس الذين قمت بأعمال غير شرعية معهم. لم أطلب بصراحة أبدًا أى مبلغ محدد من المال. وعندما خدعنى بعض زبائنى، لم ألاحقهم أبدًا. حتى السيد حمصى بعد وعده إياى أن يجعلنى سعيدًا بقية حياتى. حسنًا، لقد أسعدنى بمجرد أنه جعل ابنه لا يشهد. ربما كان ذلك ما قلب اللعبة، لا كولى. إلا أننى كنت أعرف خيرًا من ذلك. لقد كان كولى هو الذى خلَّصنى من الخُطَّاف. ولكن حسنًا، حتى لو أننى احتجت إلى بعض المساعدة، فما زلت ساحرًا. لقد وقع كل شيء كما عرفت أنه سيقع بالضبط. كنت حقا مزهوًا بنفسى. لم أبال أننى قد أكون مجرد محتال مبتذل كان يتخذ احتراسات ذكية.

- ٢١ -

عندما خرج كولى من الطائرة أخذ سيارة أجرة إلى مصرف مشهور فى مانهاتن. نظر إلى ساعته. كانت بعد العاشرة صباحًا. سيكون غرونيفيلت يتلفن الآن بالضبط لنائب رئيس المصرف ويخبره بأن كولى كان يسلم المال.

كان كل شىء كما خطط. أُدخل كولى إلى مكتب نائب الرئيس، ووراء أبواب مغلقة ومقفلة سلّم الحقيبة.

فتحها نائب الرئيس بمفتاحه وعد المليون دولار أمام كولى. ثم ملأ قصاصة إيداع مصرفية، خربش توقيعه عليها، وأعطى قصاصة الورق لكولى. تصافحا وانصرف كولى. على بعد مبنى من المصرف أخرج من جيبه مظروفًا مختومًا مهيأً ووضع القصاصة فى المظروف وختمه. ثم وضعه فى صندوق البريد عند الزاوية. وتعجب من كيفية جريان الأمر كله: كيف غطى نائب الرئيس الخسارة؟ ومن الذى تناول المال؟ ذات يوم، لابد من أن يعرف.

التقى كولى وميرلين فى الغرفة البلوطية فى الـ (بلازا) (*) . لم يتكلما عن المشكلة حتى أنهيا غداءهما ثم تمشيا عبر المتنزه المركزى (**) . أخبر ميرلين كولى بالقصة كلها، وهز كولى رأسه وأظهر بعض الإشارات المتعاطفة. مما أمكنه أن يفهمه، كان الأمر عملية مبتز تافه وقعت بين أرجل مكتب التحقيقات الاتحادى. وحتى لو أدين ميرلين، فهو لن ينال إلا حكمًا معلقًا. لم يكن ثمة الكثير مما يستحق القلق. عدا أن

(*) Plaza

(**) Central Park

ميرلين كان رجلاً من الاستقامة بحيث إنه يخجل من وجود حكم إدانة في سجله. سيكون ذلك أسوأ همومه، هكذا فكر كولي.

عندما ذكر ميرلين باول حمصي، دق الاسم جرسًا في رأس كولي. ولكن الآن، وهما يتمشيان في المتنزه المركزي وميرلين يخبره عن اللقاء مع حمصي الأب في مركز الملابس، طقطق كل شيء. كان واحداً من ملوك الألبسة الكثر الذين يأتون إلى فيجاس لقضاء نهايات أسبوع طويلة وعطلتي عيد الميلاد ورأس السنة، شارلز حمصي، مقامراً كبيراً ورجل فرج متفرغًا له. حتى عندما كان شارلز حمصي يجيء إلى فيجاس مع زوجته، كان على كولي أن يدبر لشارلز حمصي أن يحصل على قطعة. على طابق الكازينو بالذات، حيث تلعب السيدة حمصي الروليت، كان كولي يدس المفتاح، مربوطًا بالقطعة الخشبية التي تحمل رقم الغرفة، في يد شارلز حمصي. وكان كولي يهمس بالوقت الذي ستكون فيه الفتاة في الغرفة.

كان شارلز حمصي يخرج متجولاً إلى المقهى كي يتخلص من عين امرأته المراقبة. من المقهى كان يمشي الهويني هابطًا المتاهة الطويلة من ممرات الفندق إلى الغرفة الموجود رقمها على لوحة المفتاح. في داخل الغرفة كان يجد فتاة مغرية تنتظر. كان الأمر يستغرق أقل من نصف ساعة. كان شارلز يعطي الفتاة فيش المائة دولار الأسود ثم، وقد ارتاح تماماً، يمشي الهويني هابطًا الممرات المفروشة بالسجاد الأزرق إلى الكازينو. كان يتجاوز مائدة الروليت ويراقب زوجته تقامر، يعطيها بعض كلمات التشجيع، بعض الفيش، لكن ليس من السود أبداً، ثم يقتحم بمرح عائداً إلى الصخب الوحشي لموائد الكرابس. رجل طيب السريرة، صريح، ضخم، مقامر فاشل كان يخسر دائمًا تقريبًا، مقامر مريض لا يترك أبدًا عندما يكون رابحًا. لم يكن كولي قد تذكره للتو لأن شارلز حمصي كان يحاول أن يأخذ العلاج.

كان لحمصي أوراق ديون في طول فيجاس وعرضها. كان صندوق الكسانادو وحده يحتفظ بما قيمته خمسون ألف دولار من إقرارات (*) شارلز حمصي. كانت

(*) Iowe you=Iu's .

بعض الكازينوهات قد أرسلت سلفًا رسائل مطالبة. كان غرونيفيلت قد أخبر كولى أن ينتظر. قال غرونيفيلت:

- ربما سيُخرج نفسه بكفالة. وعندئذ سيتذكر أننا كنا رجالاً لطيفين وسوف نستعيد معظم نشاطه. المال فى الصندوق عندما يقامر جحر الحمار ذاك.

شك كولى فى ذلك. قال:

- إن جحر الحمار ذاك مدين بأكثر من ثلاثمائة ألف دولار فى أنحاء المدينة. لم يره أحد منذ سنة. أظنه سيمضى فى طريق وكلاء المطالبة.

فقال غرونيفيلت:

- ربما. إن عنده شغلاً جيداً فى نيويورك. إن كانت له سنة كبيرة، فسيعود. لا يمكنه أن يقاوم المقامرة والنساء. اسمع، إنه يجلس مع زوجته وأطفاله، يذهب إلى حفلات فى الجوار. ربما يصيب النصّابات فى مركز الملابس. ولكن ذلك يجعله عصبيا، فكثيرون من أصدقائه يعرفون. هنا فى فيجاس كل شىء نظيف. كما أنه رامى زهر. هؤلاء لا يتركون المائدة بتلك السهولة. فسأل كولى:

- وإن لم يشهد شغله سنة كبيرة؟. فقال غرونيفيلت:

- عندئذ سيستخدم ماله الهتلرى. ولاحظ وجه كولى المتسائل بأدب والمتسلى:

- ذلك هو الاسم الذى يطلقه عليه فتية مركز الملابس. لقد حققوا أثناء الحرب جميعًا ثروة من معاملات السوق السوداء. عندما حددت للمواد حصص من جانب الحكومة، راحت مبالغ كبيرة من المال تنتقل من تحت الطاولة. مال ما كانوا ليعلنوه لضريبة الدخل. ما كانوا ليستطيعوا أن يعلنوه. لقد اغتنوا جميعًا. ولكنه مال ما كان بمقدورهم أن يجعلوه يظهر. إن كنت تريد أن تصير غنيا فى هذه البلاد، فعليك أن تثرى فى الظلام.

لقد كانت تلك الجملة التى يتذكرها كولى دائماً: عليك أن تثرى فى الظلام. عقيدة فيجاس، لا فيجاس فقط، وإنما عقيدة الكثير من رجال الأعمال الذين يأتون إلى فيجاس. رجال يمتلكون أسواقًا مركزية، وأشغال مبادلة النقد، ورءوس شركات بناء، وموظفو كنائس مشبوهون من كل المسميات كانوا يجمعون النقد فى سلال مقدسة. اتحادات كبرى لها فصائل من المشاورين القانونيين الذين كانوا يخلقون امتداداً منبسطًا من الظلام داخل القانون.

كان كولى يستمع لميرلين بنصف أذن فقط. وحمداً لله أن ميرلين لم يكن يسرف فى الكلام أبداً. سرعان ما انتهى الحديث، وفيما كانا يتمشيان فى المتنزه بصمت، رتب كولى كل شىء فى ذهنه. لمجرد أن يتأكد، طلب من ميرلين أن يصف حمصى الأب مرة أخرى. كلا، إنه ليس شارلى. لابد أنه أحد إخوته، شريك فى الشغل، والشريك المسيطر كما يبدو من ظاهر الأمور. لم يسبق لشارلى أن أقنع كولى بكونه تنفيذيا كادا. كان بمقدور كولى، وهو يعد تنازليا فى رأسه، أن يرى كل الخطوات التى سيتعين عليه أن يتخذها. كان ذلك جميلاً، ولقد كان واثقًا من أن غرونيفيلت سيؤيد ما فعل. كانت أمامه ثلاثة أيام فقط قبل أن يظهر ميرلين أمام هيئة المحلفين الكبرى، ولكن ذلك سيكون كافياً.

وهكذا، فبمقدور كولى أن يستمتع بالنزهة فى المتنزه بصحبة ميرلين. تحدثا عن الأيام الخوالى. سألا الأسئلة القديمة ذاتها عن جوردان. لماذا فعلها؟ لماذا يمكن لرجل ربح لتوه أربعمائة ألف دولار أن يفجر رأسه؟ كانا، كلاهما، أفتى بكثير من أن يحلما بفراغ النجاح، مع أن ميرلين كان قد قرأ عنه فى روايات وكتب مدرسية. ولكن، ما كان كولى ليتقبل هذا الهراء. كان يعرف كم كان القلم، القلم الكامل، سيسعده، سيكون إمبراطوراً. سيكون رجال أغنياء وأقوياء، ونسوة جميلات، ضيوفه. سيكون بمقدوره أن يطيِّرهم من أطراف العالم بالمجان. سيدفع فندق كسانادو، بمجرد استعماله هو، كولى، لـ القلم. سيهب أجنحة باذخة، اثنتين كل مرة، ثلاثًا كل مرة. وجميل حقًا. سيكون بمقدوره أن ينقل الفانى الاعتيادى إلى فردوس لمدة ثلاثة، وأربعة، وخمسة أيام، وحتى لأسبوع. مجانًا تمامًا.

فيما عدا، بالطبع، أن عليهم أن يشتروا الفيش، الخضر والسود، وأن عليهم أن يقامروا. ثمن صغير يدفعونه. ويمكنهم، بعد كل شيء، أن يربحوا، إن حالفهم الحظ. لو أنهم قامروا بذكاء، فإنهم لن يخسروا الكثير. فكر كولى بروح محبة للخير أنه سيستخدم القلم من أجل ميرلين. سينال ميرلين كل شيء يريده عندما يأتى إلى فيجاس.

وميرلين الآن كان معقوفًا. أو محنيا فى الأقل. ومع ذلك، كان واضحًا لكولى أن ذلك كان ضلالاً مؤقتًا. إن كل امرئ يُحنى، ولو مرة، فى حياته. ولقد كان ميرلين يكشف عن خجله، فى الأقل لكولى. كان قد خسر بعض صفائه، وبعض ثقته. ولقد أثر ذلك فى كولى. فهو لم يكن أبدًا بريئًا وهو يحيى البراءة لدى الآخرين.

وهكذا، فعندما توادع مع ميرلين، أعطاه معانقة:

ـ لا تقلق، سأرتب الأمر. ادخل غرفة هيئة المحلفين الكبرى تلك وأنكر كل شيء. مفهوم؟.

فضحك ميرلين، وقال:

ـ وماذا يمكننى أن أفعل غير ذلك؟. قال كولى:

ـ وعندما تأتى إلى فيجاس، فإن كل شيء على المؤسسة. إنك ضيفى. فقال ميرلين، مبتسمًا:

ـ ليست عندى جاكتة الرابحين المحظوظة خاصتى. وقال كولى:

ـ لا تقلق، لو أنك غطست أعمق مما يجب، فسأوزع لك شخصيا بلاك جاك قليلاً. قال ميرلين:

ـ تلك سرقة لا مقامرة. لقد تخليت عن السرقة منذ أن تلقيت ذلك الإشعار للحضور أمام هيئة المحلفين الكبرى.

قال كولى:

- كنت أمزح. لن أفعل ذلك لغرونيفيلت. لو كنتَ امرأة جميلة ربما، نعم، ولكنك أقبح مما ينبغي.

ودهش إذ رأى ميرلين يجفل ثانية. وصدمه أن ميرلين كان واحداً من أولئك الناس الذين يظنون أنفسهم قبيحين. كان نسوة كثيرات يشعرن بذلك، ولكن ليس الرجال، كما كان يظن. ألقى كولى وداعه الأخير بأن سأل ميرلين إن كان يحتاج إلى بعض نقوده المخبأة فى الفندق، وقال ميرلين أن لا. وهكذا افترقا.

عائداً فى جناحه بفندق بلازا، أجرى كولى سلسلة من المكالمات الهاتفية مع الكازينوهات فى فيجاس. نعم، كانت إقرارات شارلز حمصى موقوفة ماتزال. أجرى مكالمة مع غرونيفيلت ليوضح خطته العامة، ثم غيّر رأيه. لم يكن أحد فى فيجاس يدرى كم كان لمكتب التحقيقات الاتحادى من وسائل مراقبة فى المدينة. وهكذا فقد اكتفى بأن ذكر عرضاً لغرونيفيلت أنه سيبقى فى نيويورك بضعة أيام أخرى ويطلب سداد بعض الإقرارات من زبائن نيويورك الذين كانوا متأخرين، متأخرين قليلاً. كان غرونيفيلت مقتضباً، قال:

- اطلبها بلطف. وقال كولى بالطبع، ماذا يمكنه أن يفعل غير ذلك؟ كانا كلاهما يعرفان أنهما إنما يتكلمان لتسجيلات مكتب التحقيقات الاتحادى. ولكن غرونيفيلت كان قد أُنذر، وسيتوقع أن يتلقى تفسيراً فيما بعد فى فيجاس. سيكون كولى مبرأ من أى اتهام، إنه لم يحاول أن يلقى كرة محكمة تتجاوز غرونيفيلت.

فى اليوم التالى اتصل كولى بشارلز حمصى، لا فى مكتب مركز الملابس، وإنما فى ملعب جولف فى (روسلين)، بلونج آيلاند. استأجر كولى سيارة ليموزين ونزل هناك مبكراً. تناول شراباً فى مبنى النادى وراح ينتظر.

مضت ساعتان قبل أن يرى شارلز حمصى يأتى خارجاً من الملعب. نهض كولى عن كرسيه وأخذ يتمشى إلى الخارج، حيث كان شارلز يثرثر مع شركائه قبل الذهاب إلى صوانات اللباس. رأى حمصى يسلم بعض المال لأحد اللاعبين؛ المغفل قد سُلب لتوه فى الجولف، إنه يخسر فى كل مكان. تقدم كولى إليهما متمهلاً وكأنه جاء عرضاً.

قال بمتعة مضيف فيجاسى مخلصة:

ـ شارلى، جيد أن أراك ثانية. مد يده، فصافحها حمصى.

أمكنه أن يرى تلك النظرة المخادعة على وجه حمصى، التى كانت تعنى أنه قد ميز كولى ولكن ليس بمقدوره أن يتذكره. فقال كولى:

ـ من فندق كسانادو. كولى. كولى كروس.

تغير وجه حمصى مرة أخرى. اختلط الخوف بالانزعاج، ثم كشرة البائع. رسم كولى بسمته الأكثر فتنة، وقال وهو يضرب حمصى على ظهره:

ـ لقد افتقدناك. لم نرك منذ وقت طويل. يا للمسيح، يا للبهجة فى ملاقاتى إياك على هذا النحو؟ مثل الرهان على رقم على عجلة الروليت مباشرة.

كان شركاء الجولف يندفعون داخلين مبنى النادى، وبدأ شارلى يلحق بهم. كان رجلاً ضخماً، أكثر بكثير من كولى، وقد اكتفى بأن دفعه فى عبوره. سمح كولى بذلك. ثم صاح من وراء حمصى:

ـ يا شارلى، امنحنى دقيقة. إننى هنا للمساعدة، وجعل صوته مفعماً بالإخلاص، من دون توسل. ومع ذلك، فقد كانت نبرات صوته قوية، رنَّت كالحديد.

تردد الرجل الآخر، وسرعان ما صار كولى إلى جانبه.

ـ اسمع يا شارلى، لن يكلفك هذا فلساً. يمكننى أن أسوِّى كل إقراراتك فى فيجاس. ولا تدفع فلساً. كل ما على أخيك أن يفعله هو معروف صغير.

استحال وجه شارلى حمصى الصريح شاحباً، وهز رأسه:

ـ لا أريد أن يعرف أخى عن تلك الإقرارات. إنه قاتل. ما من مجال لأن تخبر أخى.

قال كولى بنعومة، آسفاً تقريباً:

- لقد تعبت الكازينوهات من الانتظار، يا شارلى. سيظهر المحصلون فى الصورة. تعرف كيف يعملون. إنهم يذهبون إلى محل عملك، يتسببون فى مشاهد. إنهم يصرخون فى طلب أموالهم. عندما ترى شخصين يبلغ طول الواحد منهما سبعة أقدام ووزنه ثلاثمائة باون يصرخان من أجل مالهم، يكون ذلك مثيراً للأعصاب قليلاً. قال شارلى حمصى:

- لا يمكنك أن تخيف أخى. إنه فظ، وعنده اتصالات.

قال كولى:

- بالتأكيد. لا أعنى أن بمقدورهم أن يجعلوك تدفع إن لم تكن تريد أن تفعل. ولكن أخاك سيعرف وسيتورط وسيكون الأمر كله مرتبكًا مشوشًا. انظر، سأعطيك وعداً. احمل أخاك على رؤيتى وسأفرض التأجيل على كل إقراراتك لدى الكسانادو. ويمكنك أن تأتى إلى هناك وتقامر، وسأدعمك دائمًا كما فى السابق. لن يكون بمقدورك أن توقع إقرارات، سيكون عليك أن تلعب نقداً. إن ربحت، يمكنك أن تسدد قليلاً من الإقرارات وأنت توالى اللعب. تلك صفقة جيدة، لا؟. هنا، أدى كولى إشارة صغيرة كأنها إشارة اعتذار تقريبًا.

كان بمقدوره أن يرى عينى شارلى الزرقاوين الفاتحتين تلمعان اهتمامًا. الرجل لم يأت إلى فيجاس منذ سنة. لابد من أنه يحن إلى العمل. تذكر كولى أنه فى فيجاس لم يطلب أبداً أن يُعتمد لملعب الجولف. الأمر الذى كان يعنى أنه ليس بهذا الولع بالجولف. لأن كثيرين من المقامرين المدمنين كانوا يحبون أن ينفقوا صباحًا فى ملعب الجولف بفندق كسانادو. كان هذا الرجل متصلبًا ضجراً. ومع ذلك، تردد شارلى. قال كولى:

- سيعرف أخوك فى كل حال، فمنى خير من المحصلين. أنت تعرفنى. تعرف أننى لن أتجاوز الخط أبداً.

سأل شارلى:

- ما المعروف الصغير؟. قال كولى:

- صغير، صغير. سيصنعه بمجرد أن يسمع الاقتراح. أقسم لك. إنه لن يبالى. سيسر أن يفعله.

ابتسم شارلى ابتسامة حزينة. قال:

- لن يسر. ولكن تعال ادخل مبنى النادى وسنتناول شرابًا ونتكلم.

بعد ساعة كان كولى فى طريق عودته إلى نيويورك. كان قد وقف فوق رأس شارلى عندما تلفن شارلى لأخيه ورتب الموعد. كان قد خادع شارل حمصى واحتال عليه وفتنه بعشرة طرق مختلفة. إنه سيسوى كل الإقرارات فى فيجاس، إن أحدًا لن يزعجه من أجل المال أبدًا. إنه فى المرة التالية التى يأتى فيها شارلى إلى فيجاس سيكون له أفضل جناح وسيتم دعمه طوال الوقت. وعلاوة أيضًا: إن ثمة فتاة، طويلة، طويلة الساقين، شقراء، من إنجلترا بتلك اللهجة الإنجليزية العظيمة، وأبدع عجيزة رأيتها فى عمرك، أجمل راقصة فى التشكيلة فى استعراض ملهى فندق كسانادو. وسيكون بمقدور شارلى أن يبقيها معه الليل كله. سيحبها شارلى. وهى ستحب شارلى.

وهكذا، اتخذا ترتيبات سفرة شارلى عند نهاية الشهر. وفى الوقت الذى كان كولى قد أكمل حديثه مع شارلى كان شارلى يتصور أنه يأكل العسل، لا يحصل على زيت خروع يسكب فى حنجرته.

عاد كولى إلى البلازا أولاً كى يستحم ويغير ملابسه. تخلص من الليموزين. سيتمشى إلى مركز الملابس. فى جناحه ارتدى أفضل بدلاته من تصميم ساى ديفور، وقميصًا حريريًا. ورباط عنق ذا مربعات، بنيًّا محافظًا. ركَّب أزرار أكمام فى كمى قميصه. كانت عنده صورة جيدة نوعًا ما عن إيلى حمصى من أخيه شارلز، وما كان يريد أن يحدث انطباعًا أول سيئًا.

أحس كولى، وهو يمشى فى مركز الملابس، بالاشمئزاز من قذارة المدينة والوجوه المنقبضة، والمضناة الماشية فى الشوارع. كانت عربات يد، محملة بثياب براقة التلوين مدلاة من حوامل معدنية، يدفعها رجال سود أو عمال قدامى لهم وجوه مدمنى الكحول

المغضنة. كانوا يدفعون عربات اليد خلال الشوارع مثل رعاة البقر، يوقفون المرور، يكادون يدهسون المشاة. مثل رمل الصحراء وأشواكها، كانت القمامة المكونة من صحف مرمية، وبقايا طعام، وقناني مشروبات غازية خالية محشورة في عجلات العربات، تساقط على أحذيتهم وثنيات بناطيلهم. كانت الأرصفة من التخمة بالناس بحيث لا يكاد يمكنك التنفس، حتى في الهواء الطلق. كانت المباني تبدو أورامًا رمادية، سرطانية، ترتفع إلى السماء. أسف كولي لحظة على مودته لميرلين. لقد كان يكره هذه المدينة. كان يتعجب من اختيار أي شخص العيش فيها. وكان الناس يقومون بالهجوم على فيجاس. والمقامرة. إن المقامرة، في الأقل، تبقى المدينة نظيفة.

كان مدخل بناية حمصي يبدو أكثر ترتيبًا من غيره؛ كان جلد البهو الذي يضم المصعد يبدو أن عليه طبقة أخف من السخام فوق القيشاني الأبيض الاعتيادي. فكر كولي: يا للمسيح، يا للشغل الزري. ولكن عندما نزل في الطابق السادس، تعين عليه أن يبدل رأيه. لم تكن فتاة الاستقبال والسكرتيرة مطابقتين لمقاييس فيجاس، ولكن جناح مكاتب إيلي حمصي كان كذلك. وكان إيلي حمصي، كما رأى كولي من أول لمحة، رجلاً لا يجدر التلاعب معه بأية طريقة.

كان إيلي حمصي يلبس بدلته الحرير الغامقة الاعتيادية مع ربطة عنق رمادية كاللؤلؤة تجلس على قميص مدهش البياض. انحنى رأسه الضخم في انتباه يقظ فيما كان كولي يتكلم. بدت عيناه عميقتا المحجرين حزينتين. ولكن لم يكن يمكن احتواء طاقته وقوته. وفكر كولي، يا لميرلين المسكين، إذ تورط مع هذا الرجل.

كان كولي مقلاً في الكلام قدر الإمكان في مثل تلك الظروف، كرجل أعمال وقور. إن السحر سيضيع على إيلي حمصي. قال كولي:

- لقد جئت إلى هنا كي أساعد شخصين. أخاك، شارلز، وصديقًا لي يدعى ميرلين. صدقني عندما أقول لك إنه هدفي الوحيد. ولكي أساعدهما عليك أن تقدم معروفًا صغيرًا. إن قلتَ لا، فلن يكون عندي المزيد مما أفعله لأساعد. ولكن حتى إذا

قلتَ لا، فإنني لن أفعل شيئًا أبدًا لإيذاء أحد. سيبقى كل شيء على حاله. توقف لحظة ليجعل إيلي حمصي يقول شيئًا، ولكن ذلك الرأس الضخم الشبيه برأس الجاموس كان جامداً بالانتباه المحترس. إن العينين المعتمتين حتى لم تومضا. فواصل كولي:

ـ أخوك شارلي مدين لفندقي في فيجاس، الكسانادو، بأكثر من خمسين ألف دولار. وهو مدين بمائتين وخمسين ألفًا أخرى مبعثرة هنا وهناك في فيجاس. دعني أقول للتو إن فندقي لن يضغط عليه بسبب إقراراته. لقد كان زبونًا جيداً جدا، وهو إنسان لطيف جدا أيضًا. قد تجعل الكازينوهات الأخرى الأمور غير بهيجة نوعًا ما بالنسبة له، ولكن ليس بمقدورها حقا أن تجعله يدفع إذا ما استخدمتَ اتصالاتك، التي أنا واثق من أن عندك منها. ولكن عندئذ ستصير مدينًا لاتصالاتك بمعروف قد يكلفك أخيرًا أكثر مما أطلب أنا.

تنهد إيلي حمصي ثم سأل بصوته الرقيق، ولكن القوي:

ـ هل أخي مقامر جيد؟. فقال كولي:

ـ ليس حقا. ولكن ذلك لا يغير شيئًا. فكل إنسان يخسر. وتنهد حمصي ثانية:

ـ إنه ليس أفضل من ذلك في الشغل. سأقوم بشراء حصته، أتخلص منه، أطرد أخي بالذات. إنه لا شيء غير إزعاج بمقامراته ونسائه. عندما كان يافعًا، كان بائعًا ممتازًا، الأفضل، ولكنه مسن جدا الآن وهو غير مهتم. لا أدري إن كان بمقدوري أن أساعده. إنني أعرف أنني لن أسدد ديونه القمارية. أنا لا أقامر، أنا لا أحظى بتلك المسرة. فلماذا أدفع عن مسرته؟. قال كولي:

ـ أنا لا أطلب منك أن تفعل. ولكن هاك ما أستطيع أن أفعل. سيشتري فندقي كل إقراراته من الكازينوهات الأخرى. لن يتعين عليه أن يدفع عنها إلا إذا جاء وقامر وربح في كازينونا. لن نفتح له أي اعتماد بعد، وسأتأكد من ألا تعطيه أي كازينو أخرى في فيجاس اعتبارًا. لن يصاب بأذى إذا ما لعب نقدًا فقط. ذلك قوة له. إن جعل الناس يوقعون العدادات هو قوتنا في عمليتنا. يمكنني أن أقدم له هذه الحماية.

كان حمصى لا يزال يراقبه مركّزًا جدا:

- ولكن أخى يواصل القمار؟. قال كولى:

- لن تتمكن أبدًا من وقفه. ثمة كثير من الرجال مثله، وقلة من الرجال مثلك. لم تعد الحياة الحقيقية بتلك الإثارة بالنسبة له بعد، إنه غير مبال. أمر شائع جدا.

هز إيلى حمصى رأسه، وإذ فكر فى الأمر راح يدير رأسه الذى يشبه رأس الجاموس، ثم قال لكولى:

- ولكن هذا ليس صفقة شغل بالغة السوء لك. لن يتمكن أحد من تحصيل ديون أخى، وقد قلت هذا بنفسك، وهكذا فإنك لن تضحى بشىء. ثم يأتى أخى الأحمق وفى جيبه عشرة آلاف أو عشرين ألف دولار فتربحها أنت منه. وهكذا تربح. لا؟. قال كولى بعناية فائقة:

- قد يسير الأمر فى اتجاه آخر. قد يوقع أخوك مزيدًا من المعدادات ويصير مدينًا بمبلغ كبير من المال. ما يكفى من المال ليجعل ناسًا معينين يعتبرونه جديرًا بالتحصيل أو يحاولون تحصيله بشكل أكثر جدية. من يدرى كم يمكن للإنسان أن يصير أحمق؟ صدقنى عندما أقول لك إن أخاك لن يستطيع أن يبقى بعيدًا عن فيجاس. ذلك فى دمه. إن أناسًا مثله يأتون من جميع أنحاء العالم. ثلاث، أربع، أو خمس مرات فى السنة. لا أدرى لماذا، ولكنهم يأتون. إنه يعنى شيئًا معينًا لهم بحيث لا نفهمه أنت وأنا. وتذكر، علىَّ أن أشترى إقراراته، سيكلفنى ذلك شيئًا. وفيما قال هذا، كان يتساءل كيف يمكنه أن يجعل غرونيفيلت يرضى باقتراحه. ولكنه سيقلق بهذا الشأن فيما بعد.

- وما المعروف؟. طرح السؤال أخيرًا بالصوت الناعم، والقوى، مع ذلك، نفسه. لقد كان فى الواقع صوت قديس، الصوت الذى كان يبدو أنه يبعث سكينة روحية. كان كولى متأثرًا، ولأول مرة قلقًا قليلاً. قد لا ينجح هذا. قال:

- ابنك، باول. قدم شهادة ضد صديقى ميرلين. إنك تذكر ميرلين. كنت وعدت بأن تجعله سعيدًا بقية عمره. ثم ترك كولى الفولاذ يأتى إلى صوته. كان منزعجًا من القوة

التى تنطلق من هذا الرجل. قوة ولَّدها نجاحه الهائل فى المال، والنهوض من الفقر إلى ملايين فى عالم مناوئ، ومن حروب حياته الظافرة فيما هو يقود أخاه الأحمق.

ولكن إيلى حمصى لم ينجر إلى طُعم هذا اللوم الساخر. حتى إنه لم يبتسم. كان لا يزال يستمع.

- إن شهادة ابنك هى الدليل الوحيد ضد ميرلين. أنا أفهم بالتأكيد أن باول كان مرتعبًا. فجأة كان ثمة ومض خطير فى هاتين العينين اللتين كانتا تراقبانه. الغضب من هذا الغريب الذى يعرف اسم ابنه الأول ويستخدمه بألفة إلى هذا الحد وما يشبه الازدراء. رد كولى بابتسامة حلوة:

- ولد لطيف جدا عندك، يا سيد حمصى. الكل متأكد أنه قد احتيل عليه، هُدد، لكى يقدم بيانه لمكتب التحقيقات الاتحادى. لقد استشرت محامين جيدين جدا. يقولون إن بإمكانه التراجع فى غرفة هيئة المحلفين الكبرى، أن يشهد على نحو لن يقنع المحلفين ومع ذلك لا يورطه فى مشكل مع مكتب التحقيقات الاتحادى. ربما يمكنه أن يسحب الشهادة كليا ، ودرس الوجه المواجه له. لم يكن فيه ما يقرأ. قال كولى:

- إننى أفترض أن لابنك حصانة. لن يتم تعقبه. وأفهم أيضًا أنك دبرت ألا يؤدى خدمته العسكرية. سيخرج من الأمر على ما يرام مائة بالمائة. أتصور أنك دبرت ذلك كله. ولكنه إن قدم هذا المعروف، فإننى أعدك بألا يتغير أى شىء.

تكلم إيلى حمصى الآن بصوت مختلف. كان أقوى، ليس بتلك الرقة، ومع ذلك مقنعاً: بائع يبيع. قال:

- أتمنى لو كان يمكننى أن أفعل ذلك. إن ذلك الفتى، ميرلين، ولد لطيف جدا . لقد ساعدنى، سأبقى ممتنًا له إلى الأبد. لاحظ كولى أن هذا رجل يستخدم كلمة إلى الأبد كثيراً جدا . لا إشارات نصفية له. كان قد وعد ميرلين أن يجعله سعيداً بقية عمره. وسيبقى الآن مدينًا إلى الأبد. وكيل شكاوى لعين حقيقى يتهرب من التزاماته. أحس كولى للمرة الثانية أن هذا الرجل كان يعامل ميرلين كما لو كان شيئًا تافهًا جدا . ولكنه واصل الاستماع بابتسامة مقبولة على وجهه. قال حمصى:

ـ ليس ثمة ما أستطيع أن أفعله. لا يمكنني أن أعرِّض ابني للخطر. لن تغفر زوجتي لي ذلك. إنه كل حياتها. إن أخي رجل كبير. من يمكنه أن يساعده؟ من يمكنه أن يقوده؟ من يستطيع أن يصنع حياته الآن؟ ولكن ابني ينبغي العناية به. إنه همي الأول. بعدئذ، صدقني، سأفعل أي شيء للسيد ميرلين. بعد عشر سنوات، عشرين أو ثلاثين من الآن. لن أنساه أبداً. فيما بعد، عندما ينتهي هذا كله، يمكنك أن تطلب مني أي شيء. نهض السيد حمصي عن مكتبه ومد يده، وانحنى هيكله القوي إلى الأمام بشدة تدقيق في التفاصيل ممتنة:

ـ ليت ابني كان له صديق مثلك. فكشر كولي نحوه، وهز رأسه:

ـ أنا لا أعرف ابنك، ولكن أخاك صديقي. سيأتي لزيارتي في فيجاس آخر هذا الشهر. ولكن لا تقلق. سأعنى به. سأبعده عن المشكلات. ورأى النظرة المتأملة على وجه إيلي حمصي. يمكنه أن يصبها عليه كاملة. قال كولي:

ـ ما دمت لا تستطيع مساعدتي، فإن عليَّ أن أتدبر لميرلين محامياً جيداً حقا. يحتمل الآن أن يكون مدعي المنطقة قد أخبرك أن ميرلين سيقر أنه مذنب فيحصل على حكم معلق. وسينفجر كل شيء زائلاً بحيث إن ابنك لن يحظى بحصانة فقط، وإنما لن يضطر أبداً إلى العودة إلى الجيش. هذا جائز. ولكن ميرلين لن يقر بالذنب. ستكون ثمة محاكمة. سيتعين على ابنك أن يظهر في محاكمة مكشوفة. أدرى أن ذلك لن يزعجك، ولكن الصحف ستعرف أين هو ابنك، باول، وماذا يفعل. أنا لا يهمني من وعدك بماذا. سيتعين على ابنك أن يذهب إلى الجيش. إن الصحف لن تفعل غير أن تمارس كثيراً من الضغط. ثم، إضافة إلى ذلك كله، سيصير لك ولابنك أعداء. وإذا أردتُ استعمال عبارتك فـ: سأجعلك غير سعيد بقية عمرك.

الآن وقد طرح التهديد إلى العلن، فقد تراجع حمصي إلى وراء في المقعد وحدق إلى كولي. كان وجهه، الثقيل والمليء بالتجاعيد، في دكنته حزيناً أكثر منه غاضباً. وهكذا، فقد أعطاه إياه كولي ثانية:

ـ إن عندك ارتباطات. تلفن لهم واستمع إلى مشورتهم. سل عنى. قل لهم إننى أعمل لغرونيفيلت فى فندق الكسانادو. إذا ما اتفقوا معك وتلفنوا لغرونيفيلت، فليس ثمة ما يمكننى أن أفعله. ولكنك ستكون مديناً لهم.

تراجع حمصى إلى الوراء فى كرسيه:

ـ تقول إن كل شىء سينتهى حسناً إن فعل ابنى ما تطلب؟. قال كولى:

ـ أنا أضمن ذلك. وسأل حمصى ثانية:

ـ لن يضطر إلى العودة إلى الجيش؟. قال كولى:

ـ وأضمن ذلك أيضاً. إن عندى أصدقاء فى واشنطن، كما عندك. ولكن أصدقائى يمكنهم أن يفعلوا أشياء لا يستطيع أصدقاؤك فعلها، حتى ولو لمجرد أنهم لا يمكنهم أن يرتبطوا معك.

كان إيلى حمصى يقود كولى إلى الباب. قال:

ـ أشكرك. أشكرك كثيراً جدا. سيتعين علىَّ أن أفكر فى كل ما قلت. سأتصل بك.

تصافحا ثانية، وسار كولى إلى باب جناحه. قال:

ـ إننى فى البلازا. وأنا مغادر إلى فيجاس صباح الغد. ولهذا، إذا أمكنك أن تتلفن لى مساء اليوم سأكون ممتناً.

ولكن شارلى حمصى كان من تلفن له. كان شارلى ثملاً ومرحاً:

ـ كولى، أيها النغل الصغير البارع. لا أدرى كيف فعلتها، ولكن أخى طلب منى أن أقول لك إن كل شىء على ما يرام. إنه متفق معك كليًا.

استراح كولى. لقد قام إيلى حمصى باتصالاته الهاتفية للتأكد بشأنه. ولابد من أن غرونيفيلت قد ساند اللعبة. أحس مودة وعرفاناً بالجميل هائلين نحو غرونيفيلت. قال لشارلى:

- هذا عظيم. أراك فى فيجاس فى نهاية الشهر، يا شارلى. سيكون لك وقت لم تعرف مثله فى حياتك. فقال شارلى حمصى:

- لن أضيعه. ولا تنس تلك الراقصة. فقال كولى:

- لن أنساها.

وبعد ذلك ارتدى ملابسه وخرج إلى العشاء. فى رواق المطعم استخدم هاتف النقود ليتلفن لميرلين:

- كل شىء على ما يرام. لقد كان الأمر كله سوء تفاهم. ستكون بخير.

بدا صوت ميرلين سعيداً، ذاهلاً تقريبًا، وليس بالامتنان الذى كان كولى يود أن يكون عليه. قال ميرلين:

- أشكرك. أراك فى فيجاس. ووضع سماعة الهاتف.

سوَّى كولى كروس كل شىء لى، ولكن فرانك ألكور الوطنى المسكين أدين، فأعفى من الخدمة الفعلية إلى الحالة المدنية، ثم حوكم. سنة فى السجن. بعد أسبوع استدعانى الرائد إلى مكتبه. لم يكن غاضباً علىَّ أو ناقماً، كان - فى الحقيقة - يحمل ابتسامة متسلية على وجهه. قال لى:

- لست أدرى كيف فعلتها، يا ميرلين، ولكنك تخلصت من الاتهام. لك تهانىَّ. وأنا لا أبالى أبداً، إن الأمر كله نكتة عابثة. كان المفروض أن يضعوا أولئك الفتية فى السجن. أنا سعيد لك، ولكن عندى أوامرى بأن أعالج هذا الأمر وأضمن ألا يتكرر ثانية. إننى أكلمك الآن كصديق. أنا لا أضغط. نصيحتى هى: استقل من الخدمة الحكومية. فوراً.

صعقت، وأحسست قليلاً من الغثيان. ظننتنى عدت إلى البيت حرا، وها أنا بلا عمل. كيف سأسدد، بحق الجحيم، كل الفواتير؟ كيف أعيل زوجتى وأطفالى؟ كيف سأسدد الرهن على البيت الجديد فى لونج آيلاند، الذى سأنتقل إليه خلال بضعة أشهر فقط؟

حاولت أن أحتفظ بوجه بوكرىٍّ عندما قلت:

- برأتنى هيئة المحلفين الكبرى. لماذا علىَّ أن أترك العمل؟.

لابد من أن الرائد كان قد قرأنى. أتذكر كيف كان جوردان وكولى يمازحاننى فى لاس فيجاس بأن بمقدور كل إنسان أن يعرف ما أفكر به. لأن نظرة شفقة كانت مرتسمة على وجه الرائد عندما قال:

- إننى أخبرك لصالحك. سيكون للقيادة العسكرية رجال تحقيقاتها الجنائية فى كل مستودع السلاح هذا. قد يبقى مكتب التحقيقات الاتحادى يتطفل فى هذه الأنحاء.

كل الفتية في برنامج الاحتياط سيحاولون استغلالك، ويسعون إلى إدخالك في معاملات. سيبُقون القِدر تفور. ولكن إن غادرت، فلابد أن يُنسى كل شيء بسرعة بالغة. سيبرد المحققون ويبتعدون دون شيء يركزون عليه.

أردت أن أسأل عن كل المدنيين الآخرين الذين كانوا يأخذون الرشاوى، ولكن الرائد توقعني:

- أنا أعرف بما لا يقل عن عشرة مرتشين آخرين مثلك، مديرى وحدات، سيستقيلون. وقد استقال بعضهم سلفًا. صدقنى، أنا إلى جانبك. وستكون على ما يرام. إنك تضيع وقتك على هذا العمل. كان المفروض أن تفعل لنفسك خيراً فى سنك هذه.

هززت رأسى موافقًا. كنت أفكر بذلك أنا أيضًا. إننى لم أصنع بحياتى الكثير بعد. صحيح، عندى رواية نشرت، ولكننى كنت أكسب مائة دولار صافية أسبوعيا من الخدمة المدنية. صحيح، إننى كنت أكسب ما بين ثلاثمائة وأربعمائة أخرى شهريا من المقالات الحرة للمجلات، ولكن ، مع انغلاق منجم الذهب ، كان علىَّ أن أقوم بخطوة. قلت:

- حسنًا، سأكتب رسالة أعطى فيها إخطاراً لمدة أسبوعين.

هز الرائد رأسه، وصافحنى. قال:

- عندك إجازة مرضية قادمة. استخدمها أثناء هذين الأسبوعين وابحث عن عمل جديد. سأتحمل الوضع فى هذه الأثناء. مجرد تعال مرتين أسبوعيا كى تبقى العمل الورقى جاريًا.

عدت إلى مكتبى وكتبت خطاب استقالتى. لم تكن الأمور بالسوء الذى بدت عليه. كان عندى أجر نحو عشرين يوم عطلة فى الطريق، يبلغ نحو أربعمائة دولار. وعندى، كما حسبت، نحو ألف وخمسمائة دولار فى صندوق تقاعدى الحكومى، الذى يمكننى أن أسحبه، مع أننى سأتخلى عن حقى فى التقاعد عندما أبلغ الخامسة والستين. ولكن ذلك سيكون بعد أكثر من ثلاثين سنة. المجموع ألفان. ثم كان ثمة مال الرشوة الذى

كنت قد خبأته لدى كولى فى فيجاس. أكثر من ثلاثين ألف دولار هناك. للحظة، غمرنى إحساس فزع. ماذا لو أن كولى ارتد علىّ ولم يعطنى مالى؟ ما كان ثمة ما يمكننى أن أفعله بهذا الشأن. كنا صديقين جيدين، ولقد خلصنى من ورطاتى، ولكن لم تكن عندى أوهام بشأن كولى. لقد كان مخادعًا فيجاسيا. ماذا لو قال إنه يستحق مالى من أجل المعروف الذى صنعه لى؟ لن يمكننى أن أجادل فى هذا. كنت سأدفع المال لأتخلص من السجن. يا للمسيح، أكنت سأدفعه؟!

ولكن ما فزعت منه أكثر من غيره هو اضطرارى لإخبار فاليرى أننى بلا عمل. واضطرارى لشرح الأمر لأبيها. إن العجوز سيسأل هنا وهناك، وسيعرف الحقيقة على كل حال.

لم أخبر فاليرى تلك الليلة. فى اليوم التالى أخذت إجازة من العمل وذهبت إلى إدى لانسر فى مجلاته. أخبرته بكل شىء، وجلس هو هناك يهز رأسه ويضحك. وعندما انتهيت، قال، مندهشًا تقريبًا:

- أتدرى؟ إننى أفاجأ دائمًا. كنت أظنك أكثر الناس استقامة فى العالم بعد أخيك، أرتى.

أخبرت إدى لانسر عن كيفية أخذ الرشاوى، كيف أن صيرورتى مجرمًا نصف مكشوف العجيزة قد جعلتنى أحس أفضل جسديا. إننى قد أفرغت، على نحو ما، بعض المرارة التى كنت أحسها: رفض روايتى من قبل الجمهور، وكآبة حياتى، وفشلها الأساسى، كيف أننى كنت غير سعيد حقا على الدوام.

كان لانسر ينظر إلىّ وعلى وجهه تلك الابتسامة الصغيرة، قال:

- وقد كنت أظنك الشخص الأقل عُصابية ممن التقيتهم. إنك متزوج زواجًا سعيدًا، وعندك أطفال، وتعيش حياة مضمونة، وتكسب معيشتك. أنت تعمل على رواية أخرى. ماذا تريد أكثر بحق الجحيم؟. فأخبرته:

- أريد عملاً.

فكر إدى لانسر فى هذه المسألة لحظة. ومن الغريب أننى لم أحس حرجًا وأنا أطلب منه. قال:

ـ بينى وبينك فقط، أنا تارك هذا المكان خلال ستة أشهر. سيرقّون محرراً آخر إلى مركزى. سأوصى بمن يكون خلفى، وسيكون مديناً لى بمعروف. سأطلب منه أن يعطيك ما يكفى من فرص الكتابة الحرة لكى تعيش عليه. فقلت:

ـ سيكون هذا عظيماً. قال إدى بسرعة:

ـ يمكننى أن أحمِّلك بالشغل حتى ذلك الوقت. قصص مغامرات، وبعض هذر روايات الحب وبعض عروض الكتب التى أقوم بها اعتياديا. حسن؟. فقلت:

ـ بالتأكيد. متى تظن أنك ستفرغ من كتابك؟. قال لانسر:

ـ خلال شهرين. وماذا عنك؟.

كان ذلك سؤالاً طالما كرهته. الحقيقة أنه لم يكن عندى غير تصور عام لرواية كنت أريد كتابتها عن قضية إجرامية شهيرة فى (أريزونا). ولكننى لم أكن قد كتبت شيئاً. كنت قد أعطيت التصور العام لناشرى، ولكنه رفض أن يعطينى دفعة على الحساب. قال إنها من نوع الروايات التى لا يمكن أن تحقق مالاً لأنها تتضمن خطف طفلة تقتل. لن يكون ثمة أى تعاطف مع الخاطف، بطل الكتاب. كنت أهدف إلى (جريمة وعقاب) جديدة، وذلك ما أرعب الناشر. قلت:

ـ إننى أشتغل عليه. لا يزال أمامى الكثير. فابتسم لانسر متعاطفاً، وقال:

ـ أنت كاتب جيد. ستحقق نجاحاً كبيراً ذات يوم. لا تهتم.

تحدثنا فترة أخرى عن الكتابة والكتب. اتفق كلانا على أننا روائيان أفضل من أشهر الروائيين الذين كانوا يصنعون مصائرهم على قوائم الأكثر مبيعاً. وعندما انصرفت، كنت فى مزاج رائق. كنت دائماً أترك لانسر على ذلك النحو. ولسبب ما كان واحداً من الناس القلائل الذين كنت أحس معهم باليسر، ولأننى كنت أعرف أنه ذكى وموهوب، فإن رأيه الحسن فى موهبتى كان يرفع معنوياتى.

وهكذا، فقد تطور كل أمر إلى الأفضل. كنت الآن كاتباً متفرغاً. سأحيا حياة شريفة، لقد تخلصت من السجن وسأنتقل خلال بضعة أشهر إلى بيتى الجديد الخاص، للمرة الأولى فى حياتى. ربما كان قليل من الإجرام يجدى حقا.

بعد شـهرين انتقلت إلى بيتى المبنى حديثًا فى لونج آيلاند. صار لكل من الأطفال غرفته الخاصة. كان لنا ثلاثة حمامات وغرفة خاصة للغسيل. لم أعد مضطرا إلى البقاء متمددًا فى حوض الحمام فيما تقطر الملابس المغسولة حديثًا على وجهى. لم أعد مضطرا إلى أن ينتهى الأطفال. لقد صار عندى رفاهية الخصوصية الموجعة تقريبًا. عرينى الخاص الذى أكتب فيه، وحديقتى الخاصة، ومرجى الخاص. كنت منفصلاً عن الآخرين. كانت مدينة فاضلة. ومع ذلك كانت شيئًا يعتبره كثير من الناس أمرًا مسلمًا.

والأكثر أهمية من كل شىء، أننى كنت أشعر أن عائلتى كانت فى أمان. لقد خلفنا الفقراء واليائسين وراءنا. لن يلحقوا بنا أبدًا؛ لن تتسبب مآسيهم بعد فى مآسينا. لن يصير أطفالى أيتامًا.

وأنا أجلس على شرفتى الخلفية ذات يوم، أدركت أننى سعيد حقا، ربما أسعد مما سأكون فى أى وقت آخر من حياتى. وقد جعلنى ذلك ساخطًا قليلاً. لقد كنت فنانًا، فلماذا كنت سعيدًا بمثل هذه المسرات الاعتيادية، زوجة أحبها، وأطفال يبهجوننى، ومنزل على قطعة أرض رخيصة فى الضواحى؟ كان شىء واحد مؤكدًا، أننى لم أكن جوجان (*). ربما كان ذلك سبب عدم كونى أكتب. كنت سعيدًا جدا. ولقد أحسست وخزة امتعاض ضد فاليرى. لقد أوقعتنى فى الفخ. يا أيها المسيح.

إلا أنه حتى هذا لم يتمكن أن يبقى شعورى راضيًا. كان كل شىء حسنًا. والمتعة التى ينالها المرء من الأطفال مبتذلة للغاية. كانوا فاتنين بشكل مقزز جدا. عندما كان ابنى فى الخامسة، كنت قد أخذته فى نزهة عبر شوارع المدينة، وقد قفزت قطة خارجة من سرداب أوشكت أن تطير، حرفيا، أمامنا. كان ابنى قد استدار نحوى وقال: أتلك قطة خوّافة؟. وعندما أخبرت فالى بذلك، ابتهجت وأرادت أن ترسل ذلك التعليق إلى واحدة من تلك المجلات التى تعطى مالاً للقصص الجذابة الصغيرة. بينما كان رد فعلى مغايرًا. لقد تساءلت إن كان أحد أصدقائه قد سخر منه على كونه قطا خوافًا فاحتار

(*) Gaugin.

بما كانت تعنيه العبارة أكثر من كونه أحس إهانة منها. فكرت في كل غوامض اللغة والتجربة التي كان ابني يواجهها للمرة الأولى. ولقد حسدته على براءة الطفولة كما حسدته على الحظ الذي أصابه في أن يكون له والدان يمكنه أن يقول ذلك لهما ثم يجعلهما يقيمان ضجة حوله.

وأتذكر يومًا عندما كنا خارجين في نزهة عائلية بعد ظهر يوم أحد للتمشي في الجادة الخامسة، وفاليري تتفرج على واجهات الملابس التي ما كانت لتستطيع شراءها أبدًا. جاءت متجهة نحونا امرأة لا تتجاوز الثلاثة أقدام طولاً ولكنها لابسة، بأناقة، سترة طويلة بلا أكمام من قماش وبلوزة ذات أهداب بيضاء وتنورة غامقة من صوف التويد. شدت ابنتي على جاكتة فاليري وأشارت إلى السيدة القزمة وقالت: ماما، ما هذا؟.

ارتعبت فاليري من الإحراج. كانت ترتعب دائمًا من جرح مشاعر أي شخص. أسكتت ابنتي حتى وصلت المرأة إلى بعد مأمون. ثم شرحت لابنتنا أن المرأة واحدة من أولئك الناس الذين لم ينموا أبدًا أطول مما بلغوه. لم تلقف ابنتي الفكرة حقا. فسألت أخيرًا: تقصدين أنها لم تنمُ. أتعنين أنها امرأة كبيرة مثلك؟.

ابتسمت فاليري نحوي، وقالت:

- نعم، يا عزيزتي. والآن، دعي التفكير في الأمر بعد. لا يحدث ذلك إلا لقلة من الناس.

في البيت في تلك الليلة، عندما قصصت على أطفالي قصة قبل أن أرسلهم إلى أسرَّتهم، بدت ابنتي ضائعة في التفكير وغير مصغية. سألتها ما الأمر. ثم، اتسعت عيناها وقالت:

- بابا، أأنا حقا بنت صغيرة أو أنا امرأة كبيرة لم تنمُ؟.

كنت أعرف أن ثمة ملايين من الناس عندهم قصص من هذا النوع يروونها عن أطفالهم. وأن ذلك كله أمر عادي. ومع ذلك لم أستطع الامتناع عن الشعور بأن مشاطرة جزء من حيوات طفولتي قد جعلني أثرى. إن نسيج حياتي كان مكونًا من هذه الأشياء الصغيرة التي تبدو عديمة الأهمية.

مرة أخرى ابنتى. ذات أمسية على العشاء كانت قد أغضبت فاليرى بإساءتها التصرف باستمرار. كانت ألقت الطعام على أخيها، سكبت عمداً شراباً ثم قلبت وعاء صلصة. أخيراً، صرخت فاليرى بها:

ـ افعلى شيئًا آخر وسأقتلك.

كان ذلك، بالطبع، مجازًا فى الخطاب. ولكن ابنتى حدقت إليها فى تركيز شديد وسألت:

ـ أعندك مسدس؟.

كان ذلك مضحكًا لأن من الواضح تمامًا أنها كانت تعتقد أن أمها لا تستطيع أن تقتلها ما لم يكن عندها مسدس. لم تكن تعرف شيئًا بعد عن الحروب والأوبئة، عن المغتصبين والمتحرشين، عن حوادث السيارات وسقوط الطائرات، عن الضرب بالهراوات، والسرطان، والسم، والرمى من نافذة. ضحكنا أنا وفاليرى معًا، وقالت فاليرى: طبيعى ليس عندى مسدس، لا تكونى حمقاء. فاختفت عقدة التركيز القلق عن وجه ابنتى. ولاحظت أن فاليرى لم تهدد بمثل ذلك النوع من التعليق المهتاج بعدئذ.

وكانت فاليرى أيضًا تدهشنى فى بعض الأحيان. ازدادت كاثوليكية ومحافظة بمرور السنين. لم تعد أبدًا تلك الفتاة البوهيمية من قرية (جرينويتش) التى كانت تريد أن تصير كاتبة. فى مشروع السكن فى المدينة كانت الحيوانات البيتية ممنوعة فلم تخبرنى فاليرى قط أنها تحب الحيوانات. والآن وقد صار لنا منزلنا، اشترت فاليرى كليبًا وهريرة. الأمر الذى لم يجعلنى بالغ السعادة، حتى مع أن ابنى وابنتى كانا يشكلان صورة جميلة وهما يلاعبان هذين الحيوانين على المرج. الحقيقة أننى لم أحب قط الكلاب والقطط المنزلية أبدًا؛ لقد كانت كاريكاتيرات لليتامى.

كنت سعيدًا جدا مع فاليرى. لم تكن عندى حينئذ فكرة كم كان هذا نادرًا وكم كان ثمينًا. ولقد كانت الأم الكاملة بالنسبة للكاتب. عندما كان الأطفال يقعون ويحتاجون أن تخاط جروحهم، ما كانت لتصاب بالفزع أو تزعجنى أبدًا. ما كانت تبالى بأن تقوم بكل العمل الذى يقوم به الرجل عادة فى البيت والذى لم أكن أصبر على

أدائه. كان والداها يعيشان الآن على مبعدة ثلاثين دقيقة فقط، وغالبًا ما كانت فى العصارى والأماسى تأخذ السيارة والأطفال فتذهب إليهما دون حتى أن تسألنى ما إذا كنت أريد الذهاب أم لا. كانت تعرف أننى أكره ذلك النوع من الزيارة وأن بإمكانى أن أستعمل وقت انفرادى للعمل على كتابى.

ولكن لسبب ما كانت تشاهد كوابيس، ربما بسبب تربيتها الكاثوليكية. خلال الليل كان يتعين علىَّ أن أوقظها لأنها كانت تطلق صرخات يأس صغيرة وتبكى حتى عندما تكون فى نوم عميق. ذات ليلة ارتعبتْ بشكل فظيع فأمسكت بها عن كثب بين ذراعى وسألتها ما الأمر، فيم حلمت، فهمست لى:

- لا تقل لى أبدًا إننى سأموت.

أرعبنى هذا الأمر فأطار صوابى. راودتنى رؤى عن رواحها إلى الطبيب وتلقى الأخبار السيئة. ولكن فى الصباح التالى، عندما سألتها عن الأمر، لم تكن تتذكر شيئًا. وعندما سألتها إن كانت قد رأت الطبيب، ضحكت علىَّ. قالت:

- إنها تربيتى الدينية. أظننى مجرد أقلق من ذهابى إلى الجحيم.

طوال سنتين كتبت مواد بصورة حرة للمجلات، وراقبت أطفالى وهم يكبرون، وكنت من السعادة فى زواجى بحيث كان ذلك يكاد يصيبنى بالتقزز. قامت فاليرى بزيارات كثيرة لعائلتها، وصرفت أنا قدراً كبيراً من الوقت فى عرين كتابتى فى القبو، وهكذا فلم يكن يرى أحدنا الآخر كثيراً. كنت أحصل على ثلاث مأموريات على الأقل كل شهر من المجلات، بينما أشتغل على رواية كنت أرجو أن تجعلنى غنيا ومشهوراً. كانت رواية الخطف والقتل وسيلة لهوى، وكانت المجلات خبزى وزبدتى. حسبت أن أمامى ثلاث سنوات أخرى قبل أن أتم الكتاب، ولكننى لم أبالِ. كنت أقرأ فى ركام المخطوط المتكاثر كلما صرت وحيداً. وكان لطيفًا مشاهدة الأطفال يكبرون وفاليرى تزداد سعادة ورضاً ويقل خوفها من الموت. ولكن لا شىء يدوم. إنه لا يدوم لأن المرء لا يريده أن يدوم، كما أظن. لو كان كل شىء كاملاً، فإنه يخرج باحثًا عن المشكلات.

بعد سنتين من معيشتى فى بيتى بالضواحى، والكتابة عشر ساعات يوميا، والذهاب إلى السينما مرة فى الشهر، وقراءة كل ما يقع فى المتناول، رحبت بنداء إدى لانسر الهاتفى، الذى يدعونى إلى العشاء معه فى المدينة. للمرة الأولى فى سنتين سأرى نيويورك فى الليل. كنت قد ذهبت أثناء النهار للحديث عن مأمورياتى للمجلة مع المحررين، ولكننى كنت أعود دائمًا إلى البيت للعشاء. كانت فاليرى قد صارت طباخة عظيمة، ولم أكن أريد تضييع الأمسية مع أطفالى وحصتى الأخيرة من العمل فى عرينى.

ولكن إدى لانسر كان عائدًا لتوه من هوليود، ووعدنى بقصص عظيمة وطعام عظيم. وكالمعتاد سألنى كيف كانت روايتى تسير. كان دائمًا يعاملنى كما لو أنه يعرف أننى سأصير كاتبًا عظيمًا، وكنت أحب ذلك. كان واحدًا من الناس القلائل الذين أعرفهم الذين يبدو أن عندهم لطفًا طبيعيا غير مشوب بالمنفعة الذاتية. وكان بمقدوره أن يصير مضحكًا جدا بطريقة أحسده عليها. كان يذكرنى بفاليرى عندما كانت تكتب قصصًا فى المدرسة الجديدة. كانت تمتلك ذلك فى كتابتها وفى بعض الأحيان فى المعيشة اليومية. وكان يبرق بين آونة وأخرى حتى الآن. وهكذا فقد أخبرت إدى أن علىَّ أن أذهب إلى المجلات فى اليوم التالى لأحصل على تكليف، وهكذا نستطيع الذهاب إلى العشاء بعدئذ.

أخذنى إلى محل يدعى "اللؤلؤة" لم أكن قد سمعت به أبدًا. كنت من البلادة بحيث لم أعرف أنه كان مطعم نيويورك الصينى الوافد. كانت تلك المرة الأولى التى آكل فيها طعامًا صينيا، وعندما أخبرت إدى بذلك، دهش. قام بالعملية المألوفة من تعريفى على الأطباق الصينية المختلفة كاملة، بينما كان يشير إلى المشهور منها، وحتى يفتح كعكة حظى ويقرأها لى. كما أنه أوقفنى عن أكل كعكة الثروة. قال: لا، لا، إنك لا تأكلها، ذلك بسيط بشكل رهيب. إن كان ثمة شىء قيِّم ستحصل عليه من هذه الليلة فهو تعلُّم ألا تأكل كعكة حظك فى مطعم صينى.

لقد كان نسقًا عاديا هو مجرد مضحك بين أصدقاء فى مجرى علاقة أحدهم بالآخر. ولكننى قرأت بعد شهور قصة له فى "إسكواير" (*) استخدم فيها الواقعة. كانت قصته مؤثرة، يسخر فيها من نفسه إذ يسخر منى. ولقد عرفته أفضل بعد القصة، كيف أن طيبة مزاجه تقنِّع وحدته الجوهرية وغربته عن العالم والناس من حوله. وقد حصلت على لمحة عما كان يظن بى حقا. لقد رسم عنى لوحة كإنسان يسيطر على الحياة ويعرف إلى أين هو ذاهب. الأمر الذى كان يسلينى كثيراً.

ولكنه كان على خطأ إذ تصور أن مسألة كعكة الحظ هى الأمر القيِّم الوحيد الذى كنت سأحصل عليه من تلك الليلة. لأنه أقنعنى بعد العشاء بالذهاب إلى واحد من تلك الحفلات الأدبية النيويوركية، حيث التقيت أوزانو العظيم ثانية.

كنا نتناول الحلوى والقهوة. جعلنى إدى أطلب مثلَّجة الشوكولا. أخبرنى أنها الحلوى الوحيدة التى تنسجم والطعام الصينى. قال:

ـ تذكر ذلك. لا تأكل أبداً كعكة حظك واطلب دائمًا مثلجة شوكولا كحلوى ما بعد العشاء. ثم سألنى ارتجالاً أن آتى معه إلى الحفلة. كنت متحفظًا قليلاً. كانت أمامى قيادة ساعة ونصف إلى لونج آيلاند، وكنت متلهفًا على الوصول إلى البيت وربما مباشرة عمل ساعة قبل أن آوى إلى السرير. قال إدى:

ـ تعال. لا يمكنك أن تكون ناسكًا خانعًا لزوجتك دائمًا. اخرج من من ذلك ليلة. سيكون ثمة شراب جيد، وحديث جيد وبعض النساء الجميلات. وربما ستجرى اتصالات قيِّمة. سيكون أصعب على ناقد ما أن يقرعك إذا ما عرفك شخصيا. وقد يجد بعض الناشرين مادتك أفضل إذا ما كان قابلك فى حفلة واعتبرك رجلاً لطيفًا.

كان إدى يعرف أنه لا ناشر عندى لكتابى الجديد. لم يرد ناشر كتابى الأول أبداً أن يرانى ثانية لأنه لم يبع من الكتاب غير ألفى نسخة ولم يصل إلى مرحلة الغلاف الورقى.

(*) Esquire .

وهكذا فقد ذهبت إلى الحفلة ولاقيت أوزانو. لم يكشف أبدًا بأنه تذكر تلك المقابلة، ولم أفعل أنا. ولكننى تلقيت بعد أسبوع رسالة منه يسأل إن كان بمقدورى المجىء وتناول الغداء معه ورؤيته بشأن عمل يريد أن يعرضه علىَّ.

- ٢٣ -

أخذت الشغل مع أوزانو لعدد من الأسباب المختلفة. كان الشغل جذاباً وذا امتياز. منذ تعيين أوزانو محرراً للملحق الأدبى الأكثر تأثيراً فى البلاد قبل بضع سنوات، كان يعانى من صعوبات مع الناس العاملين تحت إشرافه، وهكذا فسأصير معاونه. كان المال جيداً، ولن يتدخل الشغل بروايتى. ثم إننى كنت سعيداً جدا فى البيت، كنت أصير ناسكاً بورجوازياً أكثر فأكثر، كنت سعيداً، ولكن حياتى كانت كئيبة. كنت أتشهى إثارة ما، وبعض الخطر. كانت لى ذكريات مبهمة عابرة عن فرارى إلى فيجاس وكيف أننى تلذذت عمليا بالوحدة واليأس اللذين أحسستهما آنذاك. أهو جنون بالغ أن يتذكر المرء التعاسة بمثل هذا السرور ويكره السعادة التى يمسكها بيده؟

ولكن قبل كل شىء، أخذت الشغل بسبب أوزانو ذاته. كان، بالطبع، أشهر كاتب فى أمريكا. مثنياً عليه بسبب سلسلة رواياته الناجحة. مشهوراً بسبب ورطاته مع القانون وموقفه الثورى تجاه المجتمع. سيئ السمعة بسبب سوء سلوكه الجنسى الفاضح. كان يحارب كل شخص وكل شىء. ومع ذلك، ففى الحفلة التى أخذنى إليها إدى لانسر لملاقاته سحر وفتن كل شخص. وكان الناس فى الحفلة زبدة العالم الأدبى ولم يكونوا غير أكفاء لأن يصيروا ساحرين وصعبين بحكم حقوقهم الشخصية.

وإن علىَّ أن أعترف بأن أوزانو سحرنى. فى الحفلة دخل فى جدال غاضب مع واحد من أقوى نقاد الأدب فى أمريكا، الذى كان فى الوقت ذاته صديقاً قريباً ومناصراً لعمله. ولكن الناقد كان قد تجرأ فأيد الفكرة القائلة بأن كتَّاب غير القصص كانوا يخلقون فناً وأن بعض النقاد هم فنانون. هجم أوزانو عليه تماماً. صرخ وكأس الشراب متوازنة فى إحدى يديه، بينما الثانية جاهزة كما لو كانت مستعدة لتوجيه ضربة:

ـ يا ماصٌ الايور مصاص الدماء. عندك الأعصاب اللعينة لتعيش على الكتاب الحقيقيين ثم تقول إنك أنت الفنان؟ إنك لا تعرف حتى ما الفن. إن الفنان يخلق من لا شيء غير نفسه، هل تفهم هذا، أنت يا جحر الحمار اللعين؟ إنه مثل عنكبوت لعين، أنسجته مصرورة في جسده. وأنتم أيها التافهون تأتون فتطيحون بها بمكانس ربات البيوت اللعينات خاصتكم بعد أن يخرجها هو مغزولة. أنت جيد مع مكنسة، أيها الأحمق اللعين، هذا كل ما هو أنت. ولقد ذهل صديقه لأنه كان قد امتدح لتوه كتب أوزانو غير القصصية وقال إنها فن.

وسار أوزانو مبتعداً إلى مجموعة من النساء كن ينتظرن أن يحتفين به. كان ثمة اثنتان من داعيات حرية المرأة في المجموعة، ولم يبق معهن غير دقيقتين قبل أن تصير مجموعته مرة أخرى مركز الاهتمام. كانت إحدى النساء تصرخ عليه بغضب فيما هو يصغي إليها باحتقار متسلٍّ، وعيناه الجديرتان بالازدراء تشعان كعيني قطة. ثم انطلق. قال:

ـ أنتن أيتها النساء تردن المساواة، في حين أنكن حتى لا تفهمن ألاعيب القوة. إن أقوى ورقة تمتلكن هي فرجكن، وأنتن تُرينها لخصومكن ووجهها إلى أعلى. إنكن تسلمنه. ومن دون فروجكن لا قوة لكن أبداً. يستطيع الرجل أن يحيا دون محبة ولكنه لا يستطيع بلا جنس. ولكن يتعين على المرأة أن تحس محبة، ويمكنها أن تعيش بلا جنس. عند هذا التصريح تجمعت النساء فوقه باحتجاجات غاضبة.

ولكنه بقي على مبعدة منهن:

ـ تشكو النساء بشأن الزواج في حين أنهن يحصلن على أفضل صفقة يمكن أن يحصلن عليها في حيواتهن. إن الزواج مثل هذه السندات التي تشترينها. ثمة تضخم وثمة تخفيض قيمة. تواصل القيمة الهبوط والهبوط بالنسبة للرجال. أتعرفن لماذا؟ تقل قيمة النساء باطراد فيما يتقدمن في السن. ثم نصير ملتصقين بهن كما مع سيارة قديمة. إن النساء لا يتقدمن في السن كما يتقدم الرجال. أيمكنكن أن تتصورن امرأة في الخمسين قادرة على جلب فتى في العشرين إلى السرير؟ وقليل جدا من النساء من عندهن القدرة الاقتصادية على شراء الشباب كما يفعل الرجال. فصاحت امرأة:

- إن عندى عشيقًا فى العشرين. كانت امرأة جميلة فى نحو الأربعين:

كشر أوزانو نحوها بشراًنية، وقال:

- أهنئك. ولكن ماذا عن الوقت الذى ستبلغين فيه الخمسين؟ مع الشابات اللائى يسلمنه بسهولة سيتعين عليك أن تمسكينهم وهم يخرجون من المدرسة الثانوية وتَعِدينهن بدراجة هوائية ذات عشر سرعات. وهل تظنين عشاقك الشبان يقعون فى حبك كما تفعل الفتيات مع الرجال؟ ليس عندكن صورة الأب الفرويدية تلك تعمل لصالحكن كما عندنا. ولابد من أن أكرر، إن رجلاً فى الأربعين يبدو أكثر جاذبية مما كان عليه فى العشرين. فى الخمسين، يمكن أن يبقى جذابًا. إنه أمر بيولوجى. فقالت المرأة الجذابة ابنة الأربعين:

- روث. إن الفتيات الصغيرات يصيِّرنكن حمقى، أيها الشيوخ، فتصدقون بهرائهن. إنكم ما عدتم جذابين، ليس عندكم غير القوة. وعندكم كل القوانين إلى جانبكم. عندما نغير ذلك، فسنغير كل شىء. قال أوزانو:

- بالتأكيد. ستمررن قوانين تفرض على الرجال أن يجروا عمليات ليجعلوا أنفسهم أقبح عندما يكبرون. باسم اللعب النظيف والحقوق المتساوية. حتى قد تجعلن خصانا تُقص قانونيا. ذلك لا يغير الحقيقة الآن. وتوقف، ثم قال:

- أتعرفن أسوأ بيت شعر؟ براونينج: "اكبرى معى! ما هو أفضل لم يحصل بعد..". اكتفيت بالتسكع والاستماع. ما كان أوزانو يقوله صدمنى بوصفٍ أغلبه روث. فمن ناحية كانت عنده آراء مغايرة عن الكتابة. كنت أكره الحديث الأدبى، مع أننى كنت أقرأ لجميع النقاد وأشترى كل العروض النقدية.

ما هو، بحق الجحيم، أن يكون المرء فنانًا؟ لم يكن الحساسية. لم يكن الذكاء. لم يكن الكرب. ليس النشوة. كل ذلك روث.

الحقيقة أنك تكون مثل محطم خزائن حديدية تعبث بقرص الأرقام وتصغى إلى ريشات القفل تتك مستقرة فى مكانها. وبعد سنتين أو ثلاث قد يندفع الباب مفتوحًا فيصير بمقدورك أن تبدأ بالضرب على الطابعة. وكان جحيم ذلك أن ما كان فى الحرز والصون لم يكن فى أغلب الأوقات بتلك القيمة أبدًا.

لم يكن فى الصفقة مجرد شغل شاق لعين ووجع فى الجحر. لا يمكنك النوم ليلاً. لقد فقدت كل ثقتك فى الناس وفى العالم الخارجى. صرت جبانًا، ومتمارضًا متهربًا فى الحياة اليومية. تفاديتَ مسئوليات حياتك العاطفية، ولكن ذلك كان، بعد كل شىء، الشىء الوحيد الذى يمكنك أن تفعله. وربما كان ذلك سبب زهوى بكل السَقَط الذى كتبت لمجلات الإثارة وعروض الكتب. كانت مهارة أمتلكها، حرفة أخيرًا. لم أكن مجرد فنان لعين تافه.

لم يفهم أوزانو ذلك أبدًا. لقد كافح على الدوام ليصير فنانًا وقد أنتج بعض الفن وقريبًا من الفن. كما لم يفهم بعد سنوات الأمر الهوليودى. إن حرفة الأفلام كانت فتية، مثل طفل لم يعوَّد على المرحاض بعد، وهكذا فلا يمكنك أن تلومه لكونه يخرأ على الجميع.

قالت إحدى النساء:

ـ يا أوزانو، إن عندك سجل انسجام عظيمًا مع النساء. ما سر نجاحك؟. فضحك الجميع، بمن فيهم أوزانو. ولقد أحببته أكثر: رجلاً له خمس زوجات سابقات يمكنه أن يتحمل الضحك! قال أوزانو:

ـ إننى أخبرهن أن الأمر سيكون مائة بالمائة على طريقتى ولا شىء فى المائة على طريقتهن قبل أن يتحولن ليعشن معى. إنهن يفهمن موقفى ويقبلن. إننى أخبرهن على الدوام أنهن عندما لا يعدن راضيات بالترتيب فما عليهن إلا الخروج. لا نقاش، ولا شروح، ولا مفاوضات، مجرد يغادرن. ولا أستطيع أن أفهم ذلك: إنهن يقلن نعم عندما يأتين، ثم يخرقن القواعد. إنهن يحاولن أن يفرضن عشرة بالمائة على طريقتهن. وعندما لا يحصلن على ذلك يبدأن النزاع. قالت امرأة أخرى:

- يا للاقتراح الرائع. وعلى أى شىء يحصلن بالمقابل؟.

نظر أوزانو فيما حوله، وبوجه صريح تماماً قال:

- نكاح عادل. بدأت بعض النساء يطلقن أصوات استهجان.

عندما قررت أن آخذ الشغل معه، عدت فقرأت كل ما كان كتب. كان عمله المبكر من الدرجة الأولى، فيه مشاهد دقيقة، وحادة مثل أعمال الحفر. كانت الروايات متماسكة تلصقها الشخصيات والقصص. ومجموعة كبيرة من الأفكار تعمل. صارت كتبه التالية أعمق وأكثر تفكيراً، والنثر أكثر فخامة. كان مثل رجل مهم يحمل أوسمته. ولكن كل رواياته تدعو النقاد، تعطيهم مادة كثيرة يشتغلون عليها، ويفسرونها، ويناقشونها، ويطعنونها من هنا أو هناك. ولكننى رأيت كتبه الثلاثة الأخيرة تافهة. ولم يجدها النقاد كذلك.

بدأت حياة جديدة. صرت أقود سيارتى إلى نيويورك كل يوم وأشتغل من الحادية عشرة صباحاً إلى أى وقت كان. كانت مكاتب قسم عرض الكتب ضخمة، جزء من الجريدة التى كانت توزعها. كان الخطو محموماً، كانت الكتب تصل بالآلاف، حرفيا، شهريا، وما كان عندنا مجال لغير نحو ستين عرض أسبوعيا. ولكن كان ينبغى تصفح جميع الكتب على الأقل. فى العمل كان أوزانو رقيقاً بأصالة تجاه كل من يعمل معه. كان يسألنى دائماً عن روايتى وتطوع لقراءتها قبل النشر وإعطائى بعض المشورة التحريرية، ولكننى كنت أكثر غروراً من أن أعطيها له. فعلى رغم شهرته وقلة شهرتى، كنت أعتبر نفسى الروائى الأفضل.

بعد ليال طويلة من العمل على جدول الكتب التى ينبغى عرضها ولمن تعطى، كان أوزانو يشرب من زجاجة الويسكى التى يحتفظ بها فى مكتبه ويلقى على محاضرات طويلة حول الأدب، وحياة الكاتب، والناشرين، والنساء وكل شىء آخر كان يضايقه فى ذلك الوقت بالذات. كان يشتغل على روايته الكبرى، الرواية التى يظنها ستجلب له جائزة نوبل، منذ خمس سنوات. وكان قد جمع أصلاً دفعات مقدمة هائلة عليها، وكان الناشر يزداد عصبية ويضغط عليه. كان أوزانو ساخطاً حقاً بشأن ذلك. قال:

- ذلك الثقب. طلب منى أن أقرأ الروايات الكلاسيكية من أجل الإلهام. ذلك النكَّاح الجاهل. أحاولت أن تقرأ الكلاسيكيات ثانية قط؟ يا للمسيح، أولئك الملاعين القدامى من أمثال هاردى وتولستوى وغالسورثى (*) قد جعلوها ممكنة. كانوا يستنفدون أربعين صفحة ليطلقوا ضرطة. وهل تعرف لماذا؟ كانوا قد أوقعوا قراءهم فى الفخ. كانوا قد أمسكوا بهم من خصاهم: لا تليفزيون، ولا راديو، ولا سينما. ولا سفر إلا إن أردت المثانات على جحرك من كثرة النط هنا وهناك على مركبات السفر. فى إنجلترا ما كان يمكنك حتى أن تحظى بنكاح. ربما كان هذا هو السبب فى كون الكتاب الفرنسيين أكثر انضباطًا. كان الفرنسيون فى الأقل ماضين فى النكاح، لا مثل أولئك الحمقى الإنجليز الفيكتوريين. والآن أسألك لماذا يقرأ إنسان، عنده جهاز تليفزيون وبيت على الساحل، بروست (**) ؟.

لم أكن قد تمكنت أبدًا من أن أقرأ بروست، وهكذا فقد هززت رأسى مؤيدًا. ولكننى كنت قرأت كل واحد آخر ولم أكن لأستطيع أن أرى التليفزيون أو البيت الساحلى يحلان محلهم. وواصل أوزانو:

- (أنا كارنينا)، يسمونها رائعة. إنها كتاب مملوء هراء. إنه عن رجل متعلم من الطبقة العليا يتنازل للنساء. إنه لا يبين لك أبدًا ما تشعر به أو تفكر فيه تلك المرأة. إنه يعطينا النظرة العامة التقليدية لذلك العصر والمكان. ثم يواصل لثلاثمائة صفحة متحدثًا عن كيفية إدارة مزرعة روسية. وهو يقحم ذلك هنالك بالضبط كما لو أن أحدًا يبالى ولو قليلاً. ومن يبالى أبدًا بجحر الحمار فرونسكى ذاك وروحه؟ يا للمسيح، لست أدرى من الأسوأ، الروس أم الإنجليز. ذلك اللعين ديكنز أو ترولوب (***) ، كانت الخمسمائة صفحة لا شىء بالنسبة لهما. لقد كتبا عندما كانا يرتاحان من عملهما فى رعاية حديقتيهما. الفرنسيون أبقوها قصيرة فى الأقل. ولكن ماذا عن ذلك اللعين بلزاك (****) ؟ إننى أتحدى! إننى أتحدى! أيا كان أن يقرأه اليوم.

(*) Galsworthy -Tolstoy - Hard

(**) Proust

(***) Trollope -Dickens

(****) Balzac

أخذ جرعة ويسكي وأطلق تنهدة:

- لم يكن أي منهم يعرف كيف يستخدم اللغة. لا أحد منهم غير فلوبير(*)، وهو ليس بتلك العظمة. هذا لا يعني أن الأمريكان أفضل بكثير. ذلك اللعين درايزر(**) لا يعرف حتى ما تعنيه الكلمات. إنه أمي، أنا أعني ذلك. إنه أرومي (***) لعين. تسعمائة صفحة أخرى من وجع الجحر. لا أحد من أولئك اللعينين يمكنه أن يحظى بالنشر اليوم، وإن نجحوا فإن النقاد كانوا سيغتالونهم. آه يا فتى، إن هؤلاء قد جعلوها ممكنة حينذاك. لا منافسة توقف وتنفس بضجر:

- يا ميرلين، يا فتاي، إننا سلالة ميتة، الكتّاب من أمثالنا. جد لك عملاً آخر، بع هراء تليفزيونيا، اصنع أفلاماً. يمكنك أن تقوم بذلك وأنت تحشر أصبعك في شرجك. ثم، وقد أحس بالإرهاق، كان يتمدد على الأريكة التي يحتفظ بها في مكتبه من أجل قيلولة ما بعد الظهر. حاولت أن أروِّح عنه. أخبرته:

- ستكون هذه فكرة عظيمة لمقالة في الـ"إسكواير". خذ نحو ستة من الكلاسيكيين وانحرهم. مثل تلك القطعة التي فعلتها بالروائيين الجدد. فضحك أوزانو:

- يا للمسيح. كان ذلك مضحكاً. كنت أمزح، وأستخدمها لمجرد لعبة قوة كي أعطي نفسي مزيداً من النسخ فغضب الجميع. ولكنها نجحت. جعلتني أكبر وجعلتهم أصغر. وتلك هي اللعبة الأدبية، كل ما هنالك أن جحور الحمير البؤساء أولئك ما كانوا يعرفونها. لقد أبعدوا أنفسهم في أبراجهم العاجية وفكروا أن ذلك سيكون كافياً. فقلت:

- إذن فسيكون هذا يسيراً. فيما عدا أن الأساتذة الجامعيين من النقاد سينقضّون عليك.

(*) Flaubert

(**) Dreiser

(***) أصيل ، أصيل في بلاده.

تصاعد اهتمام أوزانو. نهض عن الأريكة وذهب إلى منضدته:

- ما الكلاسيكية التى تكرهها أكثر من غيرها؟. فقلت:

- (سيلاس مارنر)، وما زالوا يدرِّسونها فى المدارس. فقال أوزانو:

- (جورج إيليوت) (*) السد العجوز. يحبها معلمو المدارس. حسنًا، ذلك واحد. أنا أكره (أنا كارنينا) أكثر من غيرها. إن تولستوى أفضل من إيليوت. لم يعد أحد يبالى إيليوت أبدًا، ولكن الأساتذة سيخرجون صارخين عندما أصيب تولستوى. قلت:

- ديكنز؟. فقال أوزانو:

- واجب. ولكن ليس (دافيد كوبرفيلد). علىَّ أن أعترف أننى أحب ذلك الكتاب. لقد كان حقا رجلاً غريبًا، ديكنز ذاك. يمكننى أن أظفر به على المادة الجنسية، مع ذلك، لقد كان منافقًا لعينًا. ولقد كتب قدرًا كبيرًا من الخراء. أطنانًا منه.

بدأنا نعد القائمة. كنا من الاستقامة بحيث لم نضايق فلوبير وجين أوستن (**). ولكن عندما أعطيته فيرتر الشاب لجوته (***) ، ضربنى على الظهر وعوى. قال:

- أكثر الكتب التى كتبت إثارة للسخرية. سأصنع منه شطيرةً همبورجية ألمانية.

وأخيرًا صارت لدينا قائمة:

سيلاس مارنر

أنا كارنينا

فيرتر الشاب

(*) George Eliot .

(**) Jane Austin .

(***) Goethe .

دومبى وابنه

الرسالة القرمزية

اللورد جيم

موبى ديك

بروست (كل شىء)

هاردى (أى شىء)

قال أوزانو:

- نحتاج واحدًا آخر لتتم العشرة. فاقترحت:

- شكسبير (*) .

هز أوزانو رأسه:

- لا أزال أحب شكسبير. أتدرى، إنه لأمر مضحك: كان يكتب من أجل المال، كان يكتب سريعًا، كان واطئ العيش جاهلاً، ومع ذلك لا يستطيع أحد أن يمسه. ولم يكن يبالى أبدًا ما إذا كان ما يكتبه حقيقيا أم لا، ما دام جميلاً أو مؤثرًا. ما رأيك فى (الحب ليس الحب الذى يتغير عندما يجد تغييرا؟). ويمكننى أن أعطيك أطنانًا. ولكنه عظيم جدا. مع أننى كنت دائمًا أكره ماكدوف الزائف اللعين ذاك وذلك الغبى أوتيلو. قلت:

- لا تزال بحاجة إلى واحد آخر.

فقال أوزانو، مكشرًا بابتهاج:

- إى، لنر. (دوستويفسكى) (**). هو الرجل. ما رأيك بـ (الإخوة كارامازوف)؟ فقلت:

(*) Shakespear .

(**) Dostoevsky .

ـ أتمنى لك الحظ. قال أوزانو مفكراً:

ـ إن (نابوكوف) يعتبره هراء. فقلت:

ـ أتمنى له الحظ هو أيضاً.

وهكذا بقينا عالقين، وقرر أوزانو أن يمضي بتسعة فقط. سيجعلها ذلك مختلفة عن العشرة الاعتيادية من أى شيء. ولقد عجبت لمَ لم نستطع الصعود إلى عشرة.

كتب المقالة تلك الليلة وجرى نشرها بعد شهرين. كان ألمعيا ومثيراً للحنق، وقد ألقى عبرها إشارات صغيرة إلى روايته العظيمة وكيف أنها كانت تتقدم بدون أن تحتوى على أى من أخطاء هذه الكلاسيكيات وستحل محلها جميعًا. بدأت المقالة صخبًا غاضبًا، وظهرت مقالات فى طول البلاد وعرضها تهاجمه وتهين روايته التى كانت تتقدم، وكان ذلك ما يريده بالضبط. لقد كان محتالاً من الدرجة الأولى، أوزانو. كان كولى سيفخر به. وقد كوّنت ملاحظة بأنهما ينبغى أن يلتقيا ذات يوم.

خلال ستة أشهر صرت ذراع أوزانو اليمين. أحببت الشغل. قرأت كثيراً من الكتب وأعطيت أوزانو ملاحظات عنها ليتمكن من إحالتها للعرض إلى الكتّاب المستقلين الذين بحوزته. كانت مكاتبنا محيطات من الكتب؛ كان المرء يغرق بها. كان يحجل عليها، كانت تغطى مناضدنا وكراسينا. كانت مثل كتل النمل والديدان تلك التى تغطى جثة ميتة. لقد طالما أحببت واحترمت الكتب، ولكن بمقدورى أن أفهم احتقار بعض المستعرضين المثقفين والنقاد وازدراءهم؛ كانوا يقومون بدور خدم خصوصيين لأبطال.

ولكننى عشقت جانب القراءة، وخاصة الروايات والسير. لم أستطع أن أفهم كتب العلوم أو الفلسفة أو النقاد الأكثر سعة اطلاع، وهكذا فقد كان أوزانو يحيلها بالمجارف إلى مساعدين متخصصين آخرين. كان يمتعه أن يتناول نقاد الأدب ذوى الوزن الثقيل الذين كانوا يأتون مع الكتب، وكان يغتالهم عادة. وعندما كانوا يتلفنون أو يكتبون ليعترضوا، كان يخبرهم أنه "كان حكَم الكرة، وليس اللاعب"، وهو اللغو خفيض المستوى الفكرى الذى كان يلهبهم أكثر. ولكن لكونه يضع جائزة نوبل دائمًا نصب

عينيه، كان يعامل بعض النقاد باحترام فائق، يمنحهم مساحات واسعة لمقالاتهم وكتبهم. وكان ثمة قلة بالغة من هذه الاستثناءات. لقد كان يبغض بشكل خاص الروائيين الإنجليز والفلاسفة الفرنسيين. ومع ذلك، فمع تقدم الزمن، كان بمقدوري أن أرى أنه كان يكره الشغل ويتملص منه قدر ما يمكنه.

وكان يستخدم مركزه دون حياء. سرعان ما تعلمت فتيات العلاقات العامة لدى الناشر أنهن إن كان عندهن كتاب "ساخن" يردن أن يتم عرضه، فما كان عليهن إلا أن يأخذن أوزانو إلى غداء ويضعن سطرًا ضخمًا من الروث عليه. وإذا ما كانت الفتيات شابات وجميلات، كان يتمازح ويجعلهن يفهمن بطريقة لطيفة أنه يقايض المساحة بقطعة مؤخرة. كان بتلك المباشرة بشأن الأمر. الأمر الذى كان لى صادمًا. كنت أظن ذلك لا يحدث إلا فى شغل السينما. وكان يستخدم فنون المساومة ذاتها على عارضى الكتب الباحثين عن عمل دون التزام. كان عنده ميزانية ضخمة، وكنا نشرف على عدد من العروض التى نستطيع أن ندفع عنها ولكننا لم نكن نستخدمها أبدًا. وكان دائمًا يحتفظ بصفقاته. إن وافقوا، تنازل. عندما وصلت كانت عنده سلسلة طويلة من الصديقات اللائى لهن تسلط على الاستعراض الأدبى الأكثر نفوذًا فى أمريكا بفعل قوة سخائهن الجنسى. ولقد كنت أعشق تضاد هذا مع النبرة المثقفة والأخلاقية العالية للعرض.

غالبًا ما كنت أبقى إلى وقت متأخر معه فى المكتب فى الليالى التى ينبغى أن نقدم فيها المواد، فكنا نخرج للعشاء ونتناول كأس مشروب معًا، وبعدئذ كان يذهب ليحظى بمضاجعة. كان يريد أن يرتب شأنى، ولكننى واصلت إخباره أننى كنت متزوجًا بسعادة. ولقد تطور هذا إلى نكتة قائمة. كان يسأل: ألم تتعب بعد من نكح زوجتك؟. مثل كولى بالضبط. ما كنت أجيب، كنت أتجاهله فقط. ليس ذلك من شأنه. كان يهز رأسه ويقول: أنت الأعجوبة العاشرة. متزوج منذ مائة سنة وما زلت تحب نكح زوجتك. فى بعض الأحيان كنت أوجه له نظرة منزعجة، فكان يقول، مقتبسًا من كاتب ما لم يسبق لى أن قرأته: لا حاجة إلى أى وغد. فالزمن هو العدو. كان ذلك اقتباسه المفضل. كان غالبًا ما يستعمله.

وفى عملى هناك كنت أحس مذاق العالم الأدبى. طالما حلمت أن أكون جزءًا منه. كنت أفكر فيه باعتباره مكانًا لا يتنازع فيه أحد أو يساوم من أجل المال. إنه ما دام هؤلاء هم الناس الذين خلقوا الأبطال الذين يحبهم المرء فى كتبهم، فالخالقون مثلهم. وطبيعى أننى وجدتهم مثل أى أحد آخر، فقط أشد جنونًا. واكتشفت أن أوزانو كان يكره كل هؤلاء الناس أيضًا. كان يلقى علىَّ محاضرات. كان يقول:

- إن الشخص الخاص الوحيد هو الروائى. ليس مثل كتاب قصصك القصيرة وكتاب السيناريو والشعراء وكتاب المسرحيات اللعينين وأولئك الصحفيين الأدبيين من وزن الذبابة اللعينين. كلهم ألبسة مبهرجة. كلها مهلهلة. لا عظم ثقيل فيهم. إن عليك أن يكون عندك عظام ثقيلة فى عملك عندما تكتب رواية. كان يتأمل بهذا الشأن ثم يكتبه على صفحة ورق، وكنت أعرف أنه ستكون ثمة مقالة عن العظام الثقيلة فى عرض الأحد القادم.

ثم فى أوقات أخرى كان يتبجح بشأن الكتابة التافهة فى مجلة العروض. كان التوزيع يهبط، وكان يضع اللوم على بلادة حرفة النقد:

- بالتأكيد، هؤلاء الخبثاء أذكياء، بالتأكيد عندهم أشياء جذابة يقولونها. ولكن ليس بمقدورهم أن يكتبوا جملة مقبولة. إنهم مثل رجال يتئتئون. إنهم يكسرون رجليك فيما تحاول أن تتمسك بكل كلمة تخرج من بين تلك الأسنان المطبقة.

كل أسبوع كان لأوزانو مقالته على الصفحة الثانية. كانت كتابته ذكية، وظريفة وموجهة لتخلق أكثر ما يمكن من الأعداء. نشر ذات أسبوع مقالة لصالح حكم الإعدام. أشار إلى أنه فى أى استفتاء على المستوى الوطنى سيتم تأييد عقوبة الإعدام بأغلبية ساحقة من الأصوات. وأن الطبقة النخبوية وحدها، مثل قراء المجلة، هى التى نجحت فى وقف عقوبة الإعدام فى الولايات المتحدة. وادعى أن ذلك كان مؤامرة أساطين الحكومة العليا. ادعى أن سياسة الحكومة كانت إعطاء المجرمين والعناصر المتأثرة بالفقر إجازة بالسرقة والهجوم والسطو والاغتصاب والقتل ضد الطبقة الوسطى. كان هذا متنفَّسًا هُيِئ للطبقات الوسطى كى لا تستحيل ثورية. وأن أساطين الحكومة العليا

قد قدرت أن الكلفة ستكون أقل على هذا النحو. وأن النخبويين يعيشون فى جيرات مأمونة، ويرسلون أطفالهم إلى مدارس خاصة، ويستأجرون قوات أمن خاصة فهم بهذا بمنجى من انتقام البروليتاريا المضلَّلة. وقد هزأ بالليبراليين الذين كانوا يزعمون أن الحياة البشرية مقدسة وأن سياسة حكومية تسلم المواطنين للموت لها تأثير توحشى فى الإنسانية عموماً. قال، نحن لسنا غير حيوانات، فلا ينبغى أن نعامل خيراً من الفيلة الفظة التى يتم إعدامها فى الهند عندما تقتل كائنًا بشريا. كان يؤكد أن الفيل المعدوم، فى الحقيقة، عنده سمو أكثر ويمكن أن يصعد إلى سماء أعلى من القتلة المخبولين بفعل الهيروين، الذين كان يسمح لهم بالعيش فى سجن مريح لخمس سنوات أو ست قبل أن يطلقوا ليقتلوا المزيد من مواطنى الطبقة الوسطى. وعندما كان يعالج ما إذا كانت عقوبة الإعدام رادعًا، أشار إلى أن الإنجليز كانوا الشعب الأكثر إطاعة للقانون على الأرض، حيث رجال الشرطة حتى لا يحملون مسدسات. وقد عزا هذا فقط إلى حقيقة أن الإنجليز كانوا قد أعدموا حتى وقت متأخر كالقرن التاسع عشر أطفالاً فى الثامنة لسرقة مناديل دانتيلا. ثم اعترف بأن هذا مع كونه اكتسح الجريمة وحمى الملكية، فإنه قد حول من هم أكثر حيوية من الطبقات العاملة إلى حيوانات سياسية أكثر منهم حيوانات مجرمة وهكذا جلب الاشتراكية لإنجلترا. وكان ما أثار قراء أوزانو بشكل خاص أحد تعابيره: نحن لا ندرى ما إذا كانت العقوبة القصوى رادعة، ولكننا نعرف أن الرجال الذين نعدمهم لن يقتلوا أحداً بعد.

وأنهى المقالة بتهنئة حكام أمريكا على تمتعهم ببراعة منح طبقاتهم الدنيا إجازة السرقة والقتل كى لا يصير أفرادها ثوريين سياسيين.

كانت مقالة شائنة، ولكنه كتبها على نحو جيد جدا بحيث بدا الأمر كله منطقيا. تدفقت رسائل احتجاج من مئات من المفكرين الأكثر شهرة وأهمية من بين قرائنا المثقفين الليبراليين. وأرسلت رسالة، كتبتها منظمة راديكالية ووقعها أهم كتاب أمريكا، إلى الناشر تقترح عزل أوزانو من تحرير المجلة. وقد نشرها أوزانو فى العدد التالى.

كان لا يزال أشهر من أن يمكن فصله. كان الجميع ينتظرون إتمام روايته العظيمة. الرواية التى ستضمن له جائزة نوبل. فى بعض الأحيان عندما كنت أذهب

إلى مكتبه، كنت أجده يكتب على صفحات طويلة صفراء كان يضعها فى درج طاولة عندما أدخل وكنت أعرف أنها كانت العمل الشهير فى تقدمه. لم أسأله عنها أبداً ولم يتطوع هو بشىء أبداً.

بعد بضعة أشهر وقع فى مشكلة من جديد. كتب مقالة من مقالات الصفحة الثانية فى المجلة استند فيها إلى دراسات ليبين أن الآراء المقولبة ربما كانت صحيحة. فالإيطاليون يولدون مجرمين، واليهود أفضل فى كسب المال من أى إنسان آخر وهم عازفو الكمان الأفضل وطلاب الطب الأفضل، وأن الأسوأ من كل شىء أنهم، أكثر من أى شعب آخر، يضعون آباءهم فى مراكز المسنين. ثم اقتبس من دراسات ليبين أن الأيرلنديين سكيرون ربما بفعل نقص كيمياوى مجهول أو حمية غذائية أو حقيقة أنهم كانوا مثليين جنسيا مكبوتين. وهكذا. وقد جلبت هذه المقالة الصراخ حقا. ولكنها لم توقف أوزانو.

فى رأيى، كان يتجه إلى الجنون. فى هذا الأسبوع كان يأخذ الصفحة الأولى لعرضه الخاص لكتاب عن الطائرات السمتية. كانت تلك النحلة المجنونة فى قلنسوته لا تزال تئز. ستحل السمتيات محل السيارات، وعندما يقع هذا، ستحطم كل ملايين الأميال من الطرق الخارجية الأسمنتية وتحول إلى مزارع. ستساعد السمتية على عودة العوائل إلى تركيبها النواتى لأنه سيكون عندئذ يسيراً على الناس أن يزوروا الأقارب المقيمين بعيداً. ربما لأنه كان يكره السيارات. من أجل عطلاته فى الهامبتون كان يأخذ دائماً طائرة مائية أو سمتية مستأجرة خصيصاً.

ادعى أن مجرد بضعة مخترعات فنية أخرى ستجعل معالجة السمتية بسهولة السيارة. أشار إلى أن محول السيارة قد جعل ملايين النساء سائقات لا يستطعن معالجة ترس التحويل. وقد جلبت هذه الجملة الاعتراضية الصغيرة غضب جماعات تحرير المرأة. وما جعل الأمر أسوأ أن دراسة جادة نشرت فى ذلك الأسبوع عن هيمنجواى (*) أعدها واحد من أكثر الدارسين الأدبيين احتراماً فى أمريكا. كان لهذا

(*) Hemingway.

الدارس شبكة قوية من الأصدقاء النافذين، وكان قد انفق عشر سنوات على تلك الدراسة. ولقد حصلت على عروض فى الصفحات الأولى من كل المجلات عدا مجلتنا. وأعطاها أوزانو الصفحة الخامسة ومنحها ثلاثة أعمدة بدلاً من صفحة كاملة. فى وقت متأخر من ذلك الأسبوع أرسل الناشر فى طلبه، وقد قضى ثلاث ساعات فى جناح المكتب الكبير فى الطابق الأعلى، شارحًا تصرفاته. ونزل، مكشراً من الأذن إلى الأذن، وقال لى بمرح:

- ميرلين، يا بنى، سأضخ بعد حياة فى هذه الخرقة اللعينة. ولكننى أظن أن عليك أن تبدأ بالبحث عن شغل آخر. ليس علىَّ أن أقلق، فلقد أوشكت أن أنتهى من روايتى ثم سأصير حراً فى قعود البيت.

عندما كان قد مضى على اشتغالى معه سنة تقريباً، لم أستطع أن أفهم كيف كان ينجز أى عمل أصلاً. كان يلخبط كل شىء يمكن أن يضع عليه يديه، إضافة إلى أنه كان يذهب إلى كل حفلات نيويورك. وفى أثناء ذلك الوقت كان قد سلق رواية قصيرة مستعجلة لقاء سلفة مقدارها مائة ألف دولار. كتبها فى مكتبه ضمن وقت المجلة، واستغرقته شهرين. جنَّ النقاد بها، ولكن لم يتم بيع الكثير منها على رغم كونها سميت لجائزة الكتاب الوطنية. قرأت الكتاب، وكان النثر باهتًا بشكل ظاهر، ورسم الشخصيات مضحكًا، والحبكة مجنونة. بالنسبة لى كان كتاباً أحمق على رغم بعض الأفكار المعقدة. لقد كان له عقل من الدرجة الأولى، لا شك فى ذلك. ولكن الكتاب كان بالنسبة لى فشلاً مطبقًا كرواية. لم يسألنى أبداً ما إذا كنت قرأته. كان واضحًا أنه لم يكن يريد رأيى. كان يعرف أن كتابه ملىء بالهراء، فيما أظن. لأنه قال يوماً: الآن وقد حصلت على المال، يمكننى أن أنجز الكتاب الكبير. نوع من الاعتذار.

صرت أحب أوزانو، ولكننى كنت دائمًا مجرد خائف قليلاً منه. كان يمكنه أن يجرنى إلى التحدث بحرية كما لا يستطيع أى أحد غيره. جعلنى أتكلم عن الأدب والقمار وحتى النساء. ثم، عندما يكون قد وزننى، كان يطرحنى بضربة قاضية. كانت له عين حادة لكشف الادعاء لدى كل شخص عداه. عندما أخبرته عن قتل جوردان

نفسه فى فيجاس وكل شىء جرى بعد ذلك وكيف أحسست أن ذلك غيَّر حياتى، فكر فى ذلك وقتًا طويلاً ثم أعطانى نفاذ بصيرته ممزوجًا بمحاضرة.

ـ إنك تتمسك بهذه القصة، إنك تعود إليها دائمًا، أتعرف لماذا؟، سأل. كان يبحث عبر أكوام الكتب على مكتبه، ملوحًا بذراعيه فى الأنحاء:

ـ لأنك تعرف أن تلك هى المنطقة الوحيدة التى لستَ فى خطر فيها. إنك لن تهزم نفسك أبدًا. لن تتقصف إلى ذلك الحد. تعرف أننى أحبك، ما كنت لتصير ذراعى الأيمن لو لم أكن أحبك. وإننى لأثق بك أكثر من أى شخص أعرفه. اسمع، دعنى أعترف لك بأمر. كان علىَّ أن أعيد تحرير وصيتى فى الأسبوع الماضى بسبب تلك اللعينة (وندى). كانت وندى زوجته الثالثة وما زالت تجننه بطلباتها مع أنها كانت قد تزوجت ثانية بعد طلاقهما. عندما كان مجرد يذكرها، كانت عيناه تبدوان مجنونتين قليلاً. ولكنه كان يهدأ بعدئذ. أعطانى واحدة من ابتساماته العذبة التى كانت تجعله يبدو مثل طفل صغير، مع أنه كان متقدمًا مثيرًا فى خمسينياته الآن. قال:

ـ أرجو ألا تهتم. ولكننى قد أسميتك منفِّذى الأدبى.

لقد ذهلت وسررت، ومع ذلك كله انكمشت من الأمر كله. لم أكن أريده أن يثق بى إلى ذلك الحد أو يحبنى إلى ذلك الحد. لم أكن أشعر على ذلك النحو إزاءه. لقد صرت أحب صحبته، حقا، وأفتتن بكيفية عمل دماغه. ومع أننى حاولت أن أنكر ذلك، كنت واقعًا تحت تأثير شهرته الأدبية. لقد فكرت فيه غنيا وشهيرًا وقويا، ولقد بينت لى حقيقة كونه قد وثق بى إلى ذلك الحد كم كان سريع العطب، وقد أرعبنى ذلك. لقد عصف ببعض أوهامى عنه.

لكنه واصل بشأنى:

ـ أتدرى، تحت كل شىء، عندك احتقار لجوردان لا تجرؤ على الاعتراف به لنفسك. لقد استمعت إلى قصتك تلك لا أدرى كم مرة. صحيح، أنت تحبه، صحيح، أنك تأسف له، وربما تكون حتى فهمته. ربما. ولكن ليس بمقدورك أن تقبل حقيقة إطاحة رجل

حصل على كل ذلك المبلغ بنفسه. لأنك تدرى أنك عانيت حياة أسوأ عشر مرات مما عانى وأنك لن تفعل شيئًا كهذا أبدًا. إنك سعيد حتى. إنك تعيش حياة هرائية، لم يكن عندك شىء، هرأتَ خصاك فى العمل. نلت زواجًا بورجوازيًا محدودًا وأنت فنان انصرم نصف حياتك ولا نجاح حقيقيا. وأنت أساسًا سعيد. يا للمسيح، إنك لا تزال تستمتع بنكح زوجتك علمًا بأنك متزوج منذ ـ ماذا؟ عشر، خمس عشرة سنة. إنك إما أن تكون أحد الأشخاص الأكثر عدم حساسية الذين قابلتهم أو الأكثر كليا. شيئًا واحدًا أعرفه، أنك الأصلب. إنك تعيش فى عالمك الخاص. إنك تفعل بالضبط ما تريد أن تفعل. أنت تسيطر على حياتك. أنت لا تقع فى ورطة أبدًا. وعندما تقع، لا تصاب بالذعر: إنك تخرج منها. حسنًا، أنا أكبرك، ولكننى لا أحسدك. لم أرك تفعل أو تقول شيئًا دنيئًا حقا، ولكننى لا أظنك حقا تبالى قيد أنملة بأى شىء. إنك مجرد توجه حياتك.

ثم انتظر رد فعلى. كان يكشر، العينان الخضراوان الجبانتان تتحديان. كنت أعرف أنه كان مجرد يتسلى بالأمر، ولكننى كنت أعرف أيضًا أنه كان يعنى ذلك قليلاً فتألمت.

كان ثمة كثير من الأشياء أردت أن أقولها. أردت أن أخبره كيف أن ينمو الإنسان يتيمًا. أننى أضعت ما كان أساسيا، لبٌ تجربة كل كائن بشرى تقريبًا. كونى كنت بلا عائلة، بلا مجسًات اجتماعية، بلا شىء يربطنى ببقية العالم. لم يكن عندى غير أخى أرتى. عندما كان الناس يتكلمون عن الحياة، لم أكن أستطيع أن أدرك حقا ما كانوا يعنون إلا بعد أن تزوجت فالى. كان ذلك هو السبب فى كونى تطوعت للقتال فى الحرب. لقد فهمت أن الحرب كانت تجربة شاملة أخرى، ولم أكن أريد أن أبقى خارجها. وقد كنت على حق. لقد كانت الحرب عائلتى، مهما بدا ذلك غبيا. كنت الآن سعيدًا لأننى لم أفوتها. وما كان فوٌته أوزانو، أو لم يعبأ بأن يقوله لأنه كان يتصور أننى أعرفه كان أنه لم يكن يسيرًا أن يسيطر المرء على حياته الخاصة. وما لم يستطع أن يعرفه هو أن مسكوكة السعادة كانت عملة لم أستطع أن أفهمها أبدًا. لقد قضيت أغلب حياتى المبكرة فى كونى غير سعيد بسبب ظرف خارجى. وقد صرت سعيدًا نسبيا ثانية بسبب ظرف خارجى. إن الزواج من فاليرى، وإنجاب أطفال، وامتلاكى

المهارة أو الفن أو القدرة على إنتاج مادة مكتوبة تكسب لى معيشة، هو ما جعلنى سعيداً. كانت سعادة مسيطراً عليها قائمة على ما كسبته من خسارة ميتة. وهكذا، ثمينة جدا بالنسبة لى. كنت أدرى أننى أحيا حياة محدودة، ما كان يبدو حياة جرداء، بورجوازية. أنه كان عندى قلة من الأصدقاء، ولا حياة اجتماعية، وقليل من الاهتمام بالنجاح. كان كل ما أريد هو أن أشق طريقى فى الحياة، أو هكذا كنت أظن.

وكان أوزانو، وهو يراقبنى، لا يزال يبتسم:

- ولكنك أصلب ابن قحبة سبق لى أن رأيته أبداً. إنك لا تدع أحداً يقترب منك. لا تدع أحداً يعرف ما تفكر فيه حقا.

عند هذا كان لابد من أن أعترض:

- اسمع، سلنى رأيى فى أى شىء وسأعطيك إياه. حتى لا تسأل. كان كتابك الأخير قطعة هراء، وأنت تدير هذه المجلة مثل مجنون. فضحك أوزانو:

- أنا لا أعنى هذا النوع من الأشياء. أنا لم أقل أبداً إنك لست صادقًا. ولكن دع ذلك يمضى. ستعرف عمَّ أتكلم ذات يوم. خاصة إذا ما بدأت تطارد النساء فانتهيت مع واحدة مثل وندى.

كانت وندى تأتى إلى مكاتب المجلة بين آونة وأخرى. كانت شقراء كاسحة لها عينان مجنونتان وجسد محمل بطاقة جنسية. كانت ذكية جدا، وكان أوزانو يعطيها كتبًا لتعرضها. كانت الوحيدة من بين زوجاته السابقات التى لم تكن تخشاه، وكانت تجعل حياته بائسة منذ أن طلقا. عندما كان يتأخر فى دفعات نفقته، كانت تحاول جعله يعتقل. وكلما كان ينشر كتاباً جديداً، كانت تذهب إلى المحكمة لترفع دعم طفلها ونفقتها. كانت قد أخذت كاتب رواية ابن عشرين سنة إلى شقتها وصارت تعيله. كان الكاتب مدمن مخدرات ثقيلاً، وكان أوزانو قلقًا مما كان يمكن أن يفعله للأطفال.

روى أوزانو حكايات عن زواجهما لا تصدَّق بالنسبة لى. أنهما مرة، إذ كانا ذاهبين إلى حفلة، صارا فى المصعد ورفضت وندى أن تخبره فى أى طابق تقوم الحفلة

لمجرد أنهما كانا تشاجرا. وقد صار محنقًا جدا بحيث بدأ يخنقها ليجبرها على إخباره، لاعبًا لعبة "خنق الفرخ"، كما كان يدعوها. لعبة كانت ذكراه الأعز عن الزواج. كان وجهها يسدد، وكانت تهز رأسها، لا تزال رافضة أن تجيب على سؤاله عن موقع الحفلة. اضطر إلى إطلاقها. كان يعرف أنها أكثر منه جنونًا.

في بعض الأحيان، عندما كانت تقوم بينهما نزاعات صغيرة، كانت تستدعى الشرطة كي تلقيه خارج الشقة، وكانت الشرطة تأتى وتنذهل من لاعقلانيتها. كانت تجد ملابس أوزانو مقصقصة إلى شرائط على الأرض. كانت تعترف بأنها فعلت ذلك، ولكن ذلك لا يمنح أوزانو الحق فى ضربها. وكان ما أسقطه أنها كانت جلست فوق كومة من البدلات والقمصان والأربطة المقصقصة ومارست عليها الاستمناء بمعونة هزّاز.

وكانت لدى أوزانو قصص يرويها عن الهزاز. كانت تذهب إلى معالج نفسانى لأنها لم تكن تحصل على هزات نشوة. بعد ستة أشهر اعترفت لأوزانو أن المعالج النفسانى كان ينكحها كجزء من العلاج. لم يكن أوزانو غيورًا؛ عندما وصل الأمر إلى ذلك اشمأز منها حقا، قال: "اشمأز" ولم يقل "كره". ثمة فرق.

ولكن أوزانو كان يهتاج فى كل مرة يتلقى القائمة من المعالج النفسانى فكان يقول لها مغضبًا:

- أعطى رجلاً مائة دولار أسبوعيا كى ينكح زوجتى، ويدعون ذلك طبًّا حديثًا؟. وروى قصة إقامة زوجته حفلة كوكتيل، وكونها توقفت عن الرواح إلى المعالج النفسانى واشترت هزازًا. كل ليلة قبل العشاء كانت تقفل على نفسها فى غرفة النوم كى تبعد الأطفال وتستمنى بالجهاز. كانت تنال هزة نشوة دومًا. ولكنها وضعت القاعدة الصارمة بألا تقاطع أثناء تلك الساعة، سواء من جانب الأطفال أو من جانب زوجها. كانت العائلة كلها، بما فيها الأطفال، تدعوها بالساعة السعيدة.

وما جعل أوزانو، فى الأخير، يتركها، كما يروى القصة، كان أنها عندما بدأت تلغو حول كيف أن "ف. سكوت فيتزجيرالد" (*) قد سرق كل مادته الجيدة من زوجته، "زيلدا". وكيف أنها كانت ستصير روائية عظيمة لو لم يفعل زوجها ذلك. أمسكها أوزانو من شعر رأسها وحشر أنفها داخل "غاتسبى العظيم" قائلاً:

ـ اقرأى هذه، أيتها الفرج المغفل. اقرأى عشر جمل، ثم اقرأى كتاب زوجته. ثم تعالى وأخبرينى بذلك الخراء.

قرأت الاثنين وجاءت إلى أوزانو وقالت له الشىء ذاته. لكمها فى وجهها وسوَّد عينيها كلتيهما ثم انصرف نهائيا.

فى هذه الأواخر فقط أحرزت وندى نصراً مغيظًا على أوزانو. كان يدرى أنها تعطى دفعات دعم الأطفال لعشيقها الشاب. ولكن ابنته جاءت ذات يوم إليه وطلبت منه مالاً للملابس. أخبرته أن طبيب أمورها النسائية أمرها ألا تلبس البنطال بعد بسبب التهاب فى المهبل، وأنها عندما طلبت من أمها المال للثياب قالت لها أمها: اطلبى من أبيك. كان هذا بعد أن كانا تطلقا للمرة الخامسة.

لكى يتجنب أوزانو شجاراً، أعطى ابنته مال دعمها لها مباشرة. لم تعترض وندى. ولكن بعد سنة أخذت أوزانو إلى المحكمة مطالبة بمال تلك السنة. شهدت البنت لصالح أبيها. وكان أوزانو واثقًا من أنه سيكسب ما دام القاضى يعرف كل الظروف. ولكن القاضى أمره بصراحة لا بأن يدفع المال مباشرة للأم وإنما أن يدفع مال دعم السنة الماضية دفعة واحدة. وهكذا، فقد دفع فى الواقع مرتين.

ولقد بلغ من فرح وندى بانتصارها أنها حاولت أن تصير ودودة معه فيما بعد. أمام أطفالهما أزاح تودداتها المدَّعاة وقال ببرود: امرأة أنت أسوأ فرج رأيتها. وفى المرة التالية التى جاءت فيها إلى المجلة رفض دخولها إلى مكتبه وقطع كل العمل الذى

(*) Fizgerald, F. Scott .

كان يعطيها إياه. وكان ما أدهشه أنها لم تستطع أن تفهم لماذا كان يشمئز منها. تحدثت بغضب عنه لأصدقائها وصديقاتها وأذاعت أنه لم يروها أبدًا فى الفراش، وأنه لم يكن يستطيع أن ينعظ. وأنه كان مثليًا جنسيا مكبوتًا يحب حقيقةً الأولاد الصغار. حاولت أن تمنعه من أخذ الأطفال صيفًا، ولكن أوزانو كسب تلك المعركة. ثم نشر قصة قصيرة طريفة بشكل حقود عنها فى مجلة وطنية. ربما لم يكن يستطيع أن يعالجها فى الحياة، ولكن فى القصة رسم لوحة رهيبة حقيقة، وبما أن كل امرئ فى العالم الأدبى فى نيويورك كان يعرفها، فقد تم تشخيصها فوراً. لقد اهتزت، بقدر ما كان يمكن أن تهتز، وتركت أوزانو وشأنه بعد ذلك. ولكنها أوجدت فيه ضغينة مثل سم ما. لم يكن يستطيع أن يفكر فيها دون أن يحمر وجهه وتجن عيناه قليلا.

جاء ذات يوم إلى المكتب وأخبرنى أن السينما اشترت واحدة من رواياته القديمة لتحولها إلى فيلم وأن عليه أن يخرج ليذهب إلى هناك من أجل اجتماع حول النص، وأن سفرته مدفوعة الأجر. عرض أن يأخذنى معه. قلت حسنًا ولكننى أود أن أنزل فى لاس فيجاس لأزور صديقًا قديمًا لمدة يوم أو يومين ما دمنا ذاهبين إلى هناك. قال إن ذلك مناسب. كان بين زوجات، وكان يكره أن يسافر وحيداً أو يكون وحيداً وكان يشعر أنه ذاهب إلى منطقة العدو. كان يريد أن يكون معه صديق. على كل حال، كان ذلك ما قاله. وبما أننى لم أكن قد زرت كاليفورنيا وأننى سأتلقى أجرى بينما أنا مسافر، فقد بدا ذلك صفقة طيبة. لم أكن أدرى أننى سيتعين على أكثر من أن أكسب أجرى.

- ٢٤ -

كنت فى فيجاس عندما أنهى أوزانو اجتماعاته بشأن سيناريو الفيلم عن كتابه. وهكذا، فقد أخذت الطيران القصير إلى لوس أنجلوس كى أطير عائدًا معه، أرافقه من لوس أنجلوس إلى نيويورك. أرادنى كولى أن أجلب أوزانو إلى فيجاس لا لشىء إلا لكى يقابله. لم أستطع أن أقنع أوزانو بذلك، وهكذا ذهبت إلى لوس أنجلوس.

فى جناحه فى فندق (بيفرلى هيلز) كان أوزانو أكثر سخطًا مما سبق لى أن رأيته. لقد أحس أن صناعة السينما عاملته بإهمال شنيع. أفلم يكونوا يعرفون أنه مشهور عالميا، ومحبوب نقاد الأدب من لندن إلى نيودلهى، ومن موسكو إلى سيدنى فى أستراليا؟ كان شهيرًا فى ثلاثين لغة، بما فيها التنويعات المختلفة من السلافية. وما أحبطه أن كل فيلم صنع من أحد كتبه كان قد خسر المال لسبب غريب ما.

وكان أوزانو ساخطًا لأمور أخرى. لم تستطع أناه أن تهضم كون مخرج الفيلم أكثر أهمية من الكاتب. وعندما حاول أوزانو أن يحصل لصديقة له على دور صغير فى الفيلم، لم يستطع أن يحقق ذلك، فأسخطه الأمر. وأسخطه أكثر عندما أدخل المصور والممثل الثانوى صديقتيهما فى الفيلم. المصور الحقير وممثل ثانوى تافه لهما نفوذ أكثر مما للعظيم أوزانو. لم أكن أرجو غير أن أضعه على الطائرة قبل أن يجن ويبدأ فى تحطيم الاستوديو كله مفككًا إياه وينتهى فى السجن. وكان أمامنا يوم كامل وليلة ننتظر خلالهما، فى لوس أنجلوس، طائرة صباح اليوم التالى. ولكى أهدئه، أخذته إلى وكيله على الساحل الغربى، وهو رجل ضخم الورك جدا، لاعب تنس، له عدة زبائن فى حرفة السينما. وكان عنده أيضًا بعض أجمل الصديقات اللائى رأيت قط. كان اسمه (دوران رود).

فعل دوران خير ما أمكنه، ولكن عندما تكون الكارثة فى الانتظار، لا شىء ينفع. قال دوران:

- إنك تحتاج إلى ليلة تقضيها فى الخارج. قليلاً من الاسترخاء، وعشاء جيد مع مرافقة حسناء، ومهدئ صغير كى تستطيع النوم الليلة. ربما قرص نفخ (*) . كان دوران ساحراً تماماً مع النساء. ولكن عندما يكون وحيداً مع الرجال كان يهين الجنس النسوى.

حسنًا، كان لابد من أن يتظاهر أوزانو قليلاً قبل أن يعطى موافقته. فبعد كل شىء لا يحتاج كاتب مشهور عالميا، وفائز قادم بجائزة نوبل للآداب، أن يرتِّب له أمره مثل فتى مراهق. ولكن الوكيل كان قد عالج رجالاً مثل أوزانو من قبل. كان دوران رود قد رتب أمور وزير خارجية، رئيس جمهورية، والمبشِّر الأكبر فى أمريكا الذى جر ملايين المؤمنين إلى الهيكل المقدس، وكان ابن القحبة الأكثر حشرية والأضخم أيراً فى العالم، كما قال دوران.

كانت مشاهدة الوكيل وهو يتملق غرور أوزانو المتكدر متعة حقيقية. لم تكن هذه إحدى عمليات فيجاس، حيث ترسل الفتيات إلى غرفتك كما ترسل البيتزا. كانت هذه رفيعة. أخبر دوران أوزانو:

- عندى فتاة ذكية حقا تموت من أجل ملاقاتك. لقد قرأت كل كتبك. إنها تعتبرك أفضل كاتب فى أمريكا. بلا مزاح. وهى ليست واحدة من هاته النجمات الصغيرات. إن عندها درجة فى علم النفس من جامعة كاليفورنيا، وهى تأخذ أجزاء أدوار فى السينما كى تتمكن من إجراء اتصالات لكتابة سيناريو. إنها الفتاة التى تناسبك.

طبيعى أنه لم يخدع أوزانو. كان أوزانو يعرف النكتة الشائعة عنه، أنه ينبغى أن يجرى خداعه ليفعل ما كان هو يريد حقا. وهكذا، فهو لم يستطع الامتناع عن القول، فيما كان دوران يرفع السماعة:

(*) كناية واضحة المعنى .

ـ هذا كله جيد جدا، ولكن هل عليَّ أن أنكحها؟.

كان الوكيل يدير الرقم أصلاً بقلم ذهبى الرأس. قال:

ـ عندك فرصة بنسبة اثنين وتسعين بالمائة. فسأل أوزانو مسرعًا:

ـ كيف استخرجت هذا الرقم؟. كان يفعل ذلك كلما ألقى أحد بوجهه إحصائيات. كان يكره الإحصائيات. لقد كان حتى يعتقد بأن (النيويورك تايمز) لفقت أسعارها عن أسهم السوق لمجرد أن واحداً من أسهم شركة (آى. بى. إم) خاصته أدرج على ٢٩٥ نقطة، وعندما أراد بيعه لم يحصل على غير ٢٩٠

تحير دوران. توقف عن إدارة القرص:

ـ لقد أرسلتها خارجًا مع خمسة رجال منذ أن عرفتها. وقد نجحت مع أربعة منهم. فقال أوزانو:

ـ ذلك ثمانون بالمائة.

بدأ دوران يدير القرص مجدداً. وعندما أجابه صوت، استرخى على كرسيه الدوار وغمز لنا. ثم دخل فى رقصته.

لقد أحببت ذلك. أحببته حقا. كان جيداً جدا. صوته بالغ الدفء، وضحكته معدية للغاية. دندن الوكيل:

ـ يا كاترين، يا زبونتى المفضلة، المفضلة. اسمعى، كنت أتكلم مع المخرج الذى سيصنع ذلك الفيلم الوسترن مع (كلينت إيستود). أتصدقين أنه لا يزال يتذكرك من تلك المقابلة الوحيدة العام الماضى؟ قال إنك أعطيت قراءة أفضل من أى واحدة أخرى، ولكن كان عليه أن يجرى وراء اسم وبعد التصوير ندم على ذلك. على أية حال، إنه يريد أن يراك غداً فى الحادية عشرة أو الثالثة. سأتلفن لك فيما بعد كى أخبرك بالوقت الدقيق. حسنًا؟ اسمعى. عندى إحساس جيد حقا بالنسبة لهذا الفيلم. أعتقد أن هذا هو الانطلاق الكبير. أعتقد أن وقتك قد حان. لا، دون مزاح. وأصغى قليلاً:

- إى، إى، أظنك ستكونين عظيمة فيه. رائعة تماماً. وقلب عينيه لنا هازئاً مما جعلني أكرهه:

- إى، سأسبرهم وأعود إليك. هَىْ، اسمعى، خمِّنى من عندى فى مكتبى الآن بالضبط! لا! لا! اسمعى، إنه كاتب. أوزانو. إى، بلا مزاح. لا، صدقًا. نعم، إنه هو حقا. وصدقى أو لا تصدقى، إنه قد ذكرك لا بالاسم، وإنما كنا نتحدث عن الأفلام فذكر ذلك الدور الذى مثلته، الدور البارز، فى (موت المدينة). أليس هذا غريباً؟ اسمعى، إن عندى فكرة عظيمة. إننى خارج للعشاء معه الليلة، فى (تشازن)، لمَ لا تأتين فتجمِّلى مائدتنا؟ عظيم. سأجعل سيارة ليموزين تأخذك فى الثامنة. حسنًا، يا حبيبتى. أنت بنيتى. أعرف أنه سيحبك. إنه لا يريد ملاقاة أية نجيمات. إنه لا يحب نوعية النجيمات. إنه يحتاج إلى حديث ولقد أدركت أنكما قد خلقتما أحدكما للآخر. صحيح، مع السلامة يا حبيبة.

وضع الوكيل السماعة وارتاح على كرسيه ومنحنا ابتسامته الساحرة. قال:

- إنها حقا فرج لطيف.

كان يمكننى أن أرى أوزانو وقد هبط به المشهد كله قليلاً. كان يحب النساء حقا، وكان يكره أن يراهن يُخدعن. كان غالبًا ما يقول إنه يفضل أن تخدعه امرأة على أن يخدعها. لقد أعطانى مرة، فى الحقيقة، كامل فلسفته عن العشق. كيف أن من الأفضل أن يكون المرء الضحية. كان أوزانو قد قال:

- انظر إلى الأمر على هذا النحو. عندما تكون عاشقًا امرأة، فأنت تنال السهم الأكبر حتى إن كانت تبتزك. تكون أنت الشخص الذى يحس بالعظمة، وأنت الشخص الذى يتمتع بكل دقيقة. هى الطرف الذى يعانى وقتًا حقيراً. هى تشتغل، وأنت تلعب. فلماذا إذن تشكو عندما تتخلص منك أخيراً وتعرف أنك قد خُدعت؟.

حسنًا، لقد وضعت فلسفته موضع التطبيق تلك الليلة. عاد قبل منتصف الليل هاتفنى فى غرفتى ثم دخل عندى ليتناول كأسًا، ليخبرنى بما جرى مع كاترين. كانت

نسب كاترين للنجاح قد هبطت تلك الليلة. كانت شقراء صغيرة شديدة الحساسية ساحرة واندفعت نحو أوزانو تمامًا. لقد أحبته. عبدته. كانت مستثارة حتى الموت إذ كانت تتناول العشاء معه. أدرك دوران الرسالة فاختفى بعد تناول القهوة. كان أوزانو وكاترين يتناولان زجاجة أخيرة من الشمبانيا لإرخاء التوتر قبل العودة إلى الفندق للانصراف إلى العمل. كان هذا الوقت الذى دار فيه حظ أوزانو، مع أنه كان لا يزال بمقدوره أن ينسحب خارجًا منه لولا غروره.

ما لخبط الأمور كان واحدًا من أكثر ممثلى هوليود استثنائية. كان اسمه (ديكى ساندرز)، وكان قد نال (أوسكار) وقد شارك فى ستة أفلام ناجحة. وما جعله فريدًا كونه قزمًا. ليس ذلك سيئًا كما يبدو. لقد فاته بالضبط أن يكون رجلاً قصيرًا. ولقد كان رجلاً وسيمًا، بالنسبة لقزم. يمكنك أن تقول إنه كان منمنمة (جيمس دين). كانت له الابتسامة الحزينة العذبة ذاتها التى كان يستخدمها بتأثير مدمر ومحسوب على النساء. لم يكنّ ليستطعن مقاومته. وكما قال دوران فيما بعد، إذا ما تركنا كل الهراء جانبًا: فأية امرأة منطلقة يمكنها أن تقاوم الذهاب إلى الفراش مع قزم وسيم؟

وهكذا فعندما دخل ديكى ساندرز المطعم، لم يكن ذلك سباقًا. كان بمفرده ووقف عند مائدتهما ليحيى كاترين، كان يبدو أنهما يعرفان بعضهما، كانت قد أخذت دورًا فى أحد أفلامه. على أية حال، كانت كاترين تعبده ضعف ما كانت تعبد أوزانو. ولقد سخط أوزانو سخطًا جعله يتركها مع القزم ويعود إلى الفندق وحده. قال:

- يا للمدينة الملعونة. رجل مثلى يُهزم أمام قزم حقير. كان متألمًا حقا. لم تكن شهرته تعنى شيئًا. لم تكن جائزة نوبل القادمة تعنى شيئًا. جوائز بوليتزر وجوائز الكتاب الوطنى التى نالها ما كانت ذات جدوى. لقد جاء ثانيًا بعد ممثل قزم، وما كان يستطيع تحمل ذلك. تعيَّن علىَّ أن أحمله إلى غرفته أخيرًا وأصبه فى فراشه. كانت آخر كلمات عزيته بها:

- اسمع، إنه ليس قزمًا، إنه مجرد رجل قصير جدا.

فى الصباح التالى، عندما صعدنا، أوزانو وأنا، تلك الـ ٧٤٧ المسافرة إلى نيويورك، كان لا يزال مكتئبًا. لا لأنه قد هبط بمعدل كاترين فقط، وإنما لأنهم كانوا قد رقعوا النص السينمائى لكتابه. كان يعرف أنه نص تافه، وكان محقا. وهكذا، فقد كان فى مزاج سيئ حقا على الطائرة ولقد انتزع كأس ويسكى من المضيفة حتى قبل الإقلاع.

كنا فى أول المقاعد الأمامية قرب الحاجز، وعلى المقعدين إلى الجانب الآخر من المشى كان ثمة زوجان من أولئك الأزواج الكهول، النحيلين جدا، والأنيقين جدا. كان للرجل مظهر مسحوق، غير سعيد، على وجهه، كان يبدو مستغيثًا من شيء ما. يتكون عند المرء انطباع بأنه كان يحيا فى جحيم خصوصى، ولكنه جحيم يستحقه. يستحقه بسبب غطرسته الخارجية، ثراء لباسه، وحقد عينيه. كان يعانى، ولقد كان، بحق المسيح، سيجعل كل امرئ آخر حوله يعانى أيضًا، لو أنه كان يتصور أنهم سيتحملون ذلك.

وكانت زوجته تبدو مثل الزوجة المدللة الكلاسيكية. كان واضحًا أنها ثرية، أثرى من زوجها، مع أنه يمكن أن يكونا ثريين كلاهما. كان الحكم عليهما من الطريقة التى تناولا بها لائحة المشروبات من المضيفة. من الطريقة التى راحا يرمقان بها أوزانو وهو يرشف شرابه غير المشروع فنيًا.

كان للمرأة ذلك الحسن الجريء الذى تحافظ عليه جراحة تجميلية من أرفع مستوى ويلمعه التلويح المستوى للمصابيح الشمسية وشمس الجنوب، النهارية. وكان لها ذلك الفم المتبرم الذى ربما هو أقبح شيء فى أية امرأة. عند قدمها ومستندًا إلى جدار الحاجز كان ثمة صندوق من سلك مشبك كان يأوى ربما أبدع بودل (*) فرنسى فى العالم كله. كان له فراء فضى أجعد يتساقط فى حلقات حول عينيه. وله فم زهرى وعقدة شريط زهرى على رأسه. وكان له حتى ذنب جميل عليه حلقة زهرية يهزه فى الأنحاء. كان أسعد كلب صغير يمكن للمرء أن يكون رآه وأحلاها منظرًا. وكان الكائنان البشريان التعيسان اللذان يمتلكانه يستمدان، ظاهريًا، المتعة من امتلاك كنز

(*) Poodle

كهذا. كان وجه الرجل يرق قليلاً عندما ينظر إلى البودل. ولم تكن المرأة تبدى مسرة، وإنما فخر امتلاك. مثل امرأة قبيحة مسنة مسئولة عن ابنتها العذراء الجميلة التى تتهيأ للخروج إلى السوق. عندما كانت تمد يدها للبودل كى يلعقها بفجور، كان ذلك كما يمد البابا خاتمه كى يتم تقبيله.

كان الشىء العظيم فى أوزانو أنه لا يفوت شيئًا حتى عندما يبدو وكأنه ينظر إلى الجانب الآخر. كان قد وجه انتباهًا كليا لشرابه، واسترخى متهدلاً فى مقعده. ولكنه قال لى الآن:

- إننى أفضل أن يمصنى ذلك الكلب على أن تمصنى تلك المرأة.

كانت المحركات النفاثة تجعل من المستحيل على المرأة عبر الممشى أن تسمع، ولكننى أحسست عصبية على أية حال. وجهت إلينا نظرة باردة القذارة، ولكن قد تكون هذه هى الطريقة التى تنظر بها عادة إلى الناس.

ثم شعرت بالذنب لكونى أدنتها وزوجها. لقد كانا، بعد كل شىء، كائنين بشريين. بأى حق أصنفهما ضمن زمرة ما لمجرد تصور؟ وهكذا، فقد قلت لأوزانو:

- ربما لم يكونا بالسوء الذى يظهران عليه. فقال:

- نعم، هما سيئان.

لم يكن ذلك يليق به. كان يمكن أن يكون شوفينيًا، عرقيا، ضيق الأفق ولكن بمجرد ظاهر رأسه. لم يكن ذلك يعنى شيئًا حقا. وهكذا، فقد تغاضيت عن الأمر، وفيما حبستنا المضيفة الحسناء فى مقاعدنا من أجل العشاء، رحت أروى له قصصًا عن فيجاس. لم يستطع أن يصدق أننى كنت يومًا مريض قمار.

متجاهلاً الناس عبر الممشى، ناسيًا أمرهما، قلت له:

- أتعرف ماذا يسمى المقامرون الانتحار؟. فقال أوزانو:

- كلا.

ابتسمت:

- يسمونه الآس الكبير. فهز أوزانو رأسه، وقال:

- أليس هذا رائعًا؟.

رأيت أنه كان يحس احتقاراً بسيطًا لميلودراما العبارة، ولكننى واصلت:

- ذلك ما قاله لى كولى ذلك الصباح عندما فعلها جوردان. نزل كولى من فوق وقال: أتدرى ما فعل جوردى اللعين ذاك؟ لقد سحب الآس الكبير من كمه. لقد استخدم الأحمق آسه الكبير. توقفت، متذكراً الأمر بوضوح أشد الآن بعد سنوات. كان ذلك غريبًا. لم أتذكر أبدًا تلك العبارة من قبل، أو استخدام كولى لها تلك الليلة.

- لقد كبَّرهما فى صوته، كما تعرف. الآس الكبير.

سأل أوزانو:

- لماذا تظنه فعلها حقا؟. لم يكن مهتما كثيراً، ولكنه رأى أننى كنت منزعجًا. قلت:

- من يدرى بحق الجحيم؟ كنت أظننى ذكيا جدا. كنت أظننى فهمته. أوشكت أن أفهمه. ولكنه خدعنى عندئذ. ذلك ما يقتلنى. لقد جعلنى أكفر بإنسانيته، إنسانيته المأساوية. لا تدع أحدًا يجعلك تكفر بإنسانية أحد.

كشر أوزانو، وأشار برأسه نحو الناس عبر الممشى، وقال:

- مثلهما؟. وأدركت عندئذ أن ذلك كان السبب فى أننى حدثته بالقصة.

نظرت إلى المرأة والرجل، وقلت:

- ربما. فقال:

- حسنًا. ولكن الأمر يمضى أحيانًا ضد الميل الفطرى. خاصة بالنسبة للأثرياء. أتدرى ما مشكلة الأثرياء؟ إنهم يتصورون أنهم بجودة أى امرئ آخر لأن عندهم كميات كبيرة من الدراهم. فسألته:

- أوَ ليسوا كذلك؟. قال أوزانو:

- لا. إنهم كالحُدْب. فسألته:

- أليس الحدب بمثل جودة أى إنسان آخر؟. أوشكت أن أقول الأقزام. قال أوزانو:

- كلا. وليس كذلك ذوو العين الواحدة، والمقعدون والنقاد والنسوة القبيحات والرجال الذروق. إن عليهم أن يعملوا على أن يصيروا بمثل جودة الناس الآخرين. إن هذين الشخصين لم يشتغلا على الموضوع. إنهما لم يبلغا ذلك أبداً.

كان ينحو منحى غير عقلانى وغير منطقى قليلاً. لم يكن فى أحسن تألقه. ولكنْ ثم ماذا، لقد قضى أسبوعًا سيئًا. وليس كل امرئ يجد حياته الغرامية وقد خربها قزم. تركت ذلك يمضى بلا اعتراض.

أنهينا عشاءنا، وقد شرب أوزانو الشمبانيا التافهة وأكل الطعام الحقير الذى حتى فى الدرجة الأولى أحرى بك أن تقايضه بلقانق (كونى آيلاند). وفيما فتحوا شاشة السينما، اندفع أوزانو خارجاً من مقعده وصعد السلالم إلى غرفة الاستراحة فى قبة الـ ٧٤٧. أتممت قهوتى ولحقت به إلى هناك.

كان جالسًا فى كرسى عالى الظهر وقد أشعل واحداً من سيجاره الهافانا. قدم لى واحداً فأخذته. كنت أنحو نحو الميل إليه، وكان ذلك يبهج أوزانو. كان سخيا دائمًا ولكن حذراً نوعًا ما فى سيجاره الهافانا. لو أنك حصلت على واحد منه، كان يراقبك عن كثب ليرى إن كنت تستمتع به بما يكفى لكى تستحقه. كانت غرفة الاستراحة تبدأ بالامتلاء. كانت المضيفة المناوبة مشغولة فى إعداد المشروبات. عندما جلبت لأوزانو كأسًا من المارتينى، جلست على ذراع كرسيه المريح فوضع إحدى يديه فى حضنها كى يمسك بيدها.

كان بمقدورى أن أرى أن أحد الأمور العظيمة فى كون المرء شهيراً شهرة أوزانو أنه ينفذ بجلده عندما يفعل أموراً مثل تلك. ففى المرتبة الأولى، تكون عنده الثقة

بالنفس. وثانيًا، فإن الفتاة الشابة، بدلاً من أن تعتبرك شيخًا قذرًا، غالبًا ما تجد غرورها أشبع إلى حد كبير لأن شخصًا بهذه الأهمية يمكن أن يعتبرها جذابة إلى ذلك الحد. لو أن أوزانو كان يريد أن يواقعها، فلابد من أنها شىء خاص. ما كن يدرين أن أوزانو كان من الحشرية بحيث إنه يمكن أن يواقع أى شىء يلبس تنورة. وليس هذا بالسوء الذى قد يبدو عليه ما دام رجال كثر مثله يواقعون كل شىء يلبس بنطالاً أو تنورة.

كانت الفتاة الشابة مفتونة بأوزانو. ثم بدأت مسافرة حسناء تتقرب منه، امرأة أكبر عمرًا لها وجه مثير للاهتمام، مجنون. أخبرتنا كيف أنها قد شفيت لتوها من جراحة قلبية وأنها لم تنكح منذ ستة أشهر وأنها الآن جاهزة للانطلاق. هذا هو نوع الأشياء التى تخبر بها النساء أوزانو دائمًا. كن يشعرن أن بمقدورهن أن يخبرنه بكل شىء لأنه كاتب، وهكذا فهو سيتفهم كل شىء. وكذلك، لأنه كان شهيرًا وكان ذلك يجعلهن مثيرات لاهتمامه.

أخرج أوزانو علبة أقراصه الـ (تيفانية) (*) التى على شكل قلب. كانت ملآى بحبات بيضاء. أخذ واحدة وقدم العلبة لسيدة القلب والمضيفة. قال:

- هيا. إنه مصعِّد. سنطير عاليًا حقا. ثم غير رأيه، فقال لسيدة القلب:

- لا، أنت لا، ليس فى حالتك. وكان عند ذلك أن فهمتُ أن سيدة القلب كانت خارج اللعبة. لأن الأقراص كانت فى الواقع حبوب بينسيلين كان أوزانو يتناولها دائمًا قبل الاتصال الجنسى لكى يتحصن ضد الأمراض التناسلية. ولقد كان يستعمل دائمًا هذه الحيلة ليجعل الشريكة المحتملة تتناوله كى يضاعف اطمئنانه. دس واحدة فى فمه وأنزلها بالويسكى. أخذت المضيفة، ضاحكة، واحدة، وراح أوزانو يراقبها بابتسامة مرحة. عرض العلبة علىَّ فهززت رأسى.

كانت المضيفة شيئًا جميلاً حقا، ولكن لم يكن بمقدورها أن تتصدى لأوزانو وسيدة القلب. وفى محاولة لاستعادة الاهتمام بها، قالت بعفوية لأوزانو:

(*) Tiffany : منسوب إلى Louis Comfort Tiffany (١٨٤٨-١٩٣٣) الرسام والمصمم والمزخرف الأمريكى الذى ابتكر زجاجًا خاصا سمى باسمه.

- أأنت متزوج؟.

وصارت تعرف الآن، كما كان الجميع يعرفون، أن أوزانو لم يكن متزوجًا فقط، بل إنه كان متزوجًا خمس مرات على الأقل. لم تكن تدرى أن سؤالاً من ذلك النوع كان يزعج أوزانو لأنه كان يحس على الدوام تأنيب ضمير من الخداع - لزوجاته جميعًا، حتى اللائى طلقهن. كشر أوزانو نحو المضيفة وقال ببرود:

- إننى متزوج، وعندى عشيقة، ولدى صديقة باستمرار. إننى مجرد أبحث عن امرأة يمكننى أن أتسلى معها.

كان ذلك مهينًا. توردت الفتاة الصغيرة خجلاً وانطلقت كى تخدم مشروبات المسافرين الآخرين.

استقر أوزانو على الاستمتاع بالحديث مع سيدة القلب، مقدمًا لها النصح بشأن نكحها الأول. كان يستخدمها قليلاً. قال:

- اسمعى. لست بحاجة إلى أن تنكحى مباشرة فى المرة الأولى لخروجك مع أحد. لن يكون ذلك نكحًا جيدًا للرجل لأنك ستكونين خائفة قليلاً. الشىء الذى ينبغى أن تفعليه هو أن تجعلى الرجل يلحسك بينما تكونين نصف نائمة. خذى مهدئًا ثم يقوم بأكلك فيما أنت على وشك أن تغفى قليلاً، هل تعرفين؟ واختارى رجلاً جيدًا فى ذلك. فنان نفخ مهذب حقيقى.

احمرت المرأة قليلاً. كشر أوزانو. كان يعرف ما كان يفعل. وقد ارتبكت قليلاً أنا أيضًا. كنت أقع دائمًا قليلاً فى حب نساء غريبات يواجهننى بشكل حميم. عادة بعد الساعة الأولى أخرج من الحب ثانية، الأمر الذى كنت أعرف أنه سيحدث مع هذه السيدة. كان بمقدورى أن أراها تفكر فى كيفية جعل أوزانو يقوم لها بالعمل. لم تكن تدرى أنها كانت أسن مما ينبغى بالنسبة له، وأنه إنما كان يلعب أوراقه ببرود تام كى يخطف المضيفة الشابة.

ها نحن نسرع متقدمين بستمائة ميل فى الساعة ولا نحس شيئًا. ولكن أوزانو كان يزداد سكرًا، وبدأت الأمور تسوء. كانت سيدة القلب ثملة، تبكى وتهرف بشأن الموت وكيف سيمكنها أن تجد الرجل المناسب للحسها على الفور. جعل ذلك أوزانو عصبيا. قال لها:

- يمكنك دائمًا أن تلعبى الآس الكبير.

طبيعى أنها لم تفهم عمٌ كان يتحدث. ولكنها عرفت أنه كان يتم صرفها، ولقد أزعجت النظرة المتألمة على وجهها أوزانو أكثر. طلب شرابًا آخر، وأعطته المضيفة، الغيورة الساخطة لكونه أهملها، الشراب، وانسلت بالطريقة المهينة الباردة التى يمكن للشباب دائمًا أن يستخدموها كى يُسكتوا المسنين. وكان أوزانو يظهر بكل عمره ذلك اليوم.

فى تلك اللحظة صعد الزوجان صاحبا البودل السلالم إلى غرفة الاستراحة. حسنًا، إنها لامرأة لن أقع فى حبها. الفم الساخط، والوجه المصبوغ بنيا كالجوز اصطناعيًا وقد استأصل مشرط جراح كل خطوط الحياة منه، كانا منفرين جدا، ولا يمكن لأية خيالات أن تدور حولهما ما لم يكن المرء يبحث عن مواد سادى - مازوخية.

كان الرجل يحمل البودل الصغير الجميل، وكان لسان الكلب يتدلى بفرح. كان حمل البودل يضفى على الرجل المتجهم الوجه مسحة من قابلية الانجراح. وكالعادة، بدا على أوزانو أنه لم يلحظهما، مع أنهما كانا يرمقانه بنظرات كانت تظهر أنهما يعرفان من هو. ربما من التليفزيون. كان أوزانو قد ظهر على التليفزيون مائة مرة وكان دائمًا يجعل نفسه مثيرًا للاهتمام بطريقة سخيفة تقلل من أهميته الحقيقية.

طلب الزوجان مشروبًا. قالت المرأة شيئًا للرجل فأنزل مطيعًا البودل إلى الأرض. بقى البودل قريبًا منهما، ثم تجول فى الأنحاء قليلاً، متشممًا كل الناس وكل الكراسى. كنت أدرى أن أوزانو يبغض الحيوانات، ولكن لم يبدُ عليه أنه لاحظ البودل يتشمم عند قدميه. واصل الحديث مع سيدة القلب. مالت سيدة القلب إلى أمام كى تسوى الشريط الزهرى على رأس البودل وتحصل على لعقة ليدها بلسان البودل الصغير الزهرى.

لم أستطع أبداً أن أفهم الشيء الحيواني، ولكن هذا البودل كان، بطريقة غريبة، مثيراً جنسيا. كنت أتساءل ما الذى كان يجرى مع ذينك الزوجين متجهمى الوجهين. تجول البودل على غير هدى حول غرفة الاستراحة، لف عائداً إلى صاحبيه وجلس عند قدمى المرأة. كانت تضع نظارة قاتمة، كانت تبدو، لسبب ما، منذرة بالسوء. وعندما جلبت لها المضيفة شرابها، قالت للفتاة الصغيرة شيئاً. نظرت المضيفة إليها فى دهشة.

أظن أنه كان فى هذه اللحظة أن صرت عصبيا قليلاً. كنت أدرى أن أوزانو كان منتعشاً كلياً. كان يكره أن يقع فى فخ طائرة، كان يكره أن يقع فى فخ حديث مع امرأة لا يريد حقا أن يواقعها. ما كان يفكر فيه هو كيف يجعل المضيفة الشابة تذهب إلى مرحاض فيعطيها نكحاً وحشيا سريعاً. جاءت المضيفة إلىَّ ومعها شرابى، وانحنت علىَّ لتهمس فى أذنى. كان يمكننى أن أرى أوزانو يصير غيوراً. كان يظن الفتاة تتقرب منى، وكان ذلك إهانة لشهرته أكثر من أى شيء آخر. كان يمكنه أن يفهم أن تكون الفتاة تريد رجلاً أفتى، وأجمل شكلاً، ولكن لا أن ترفض شهرته.

ولكن المضيفة كانت تهمس بنوع آخر من المشكلات. قالت:

ـ تريدنى تلك المرأة أن أطلب من السيد أوزانو أن يطفئ سيجاره. تقول إنه يزعج كلبها.

يا عيسى المسيح. إن الكلب لم يكن مفروضاً أصلاً أن يكون موجوداً فى الأعلى يتلاعب فى أنحاء غرفة الجلوس. كان مفروضاً أن يكون فى صندوقه. الجميع يعرفون ذلك. همست الفتاة بقلق:

ـ ماذا ينبغى أن أفعل؟.

أعتقد أن ما جرى بعدئذ كان غلطتى جزئيا. كنت أدرى أن أوزانو قد يجن فى أى وقت وأن هذا كان وقتاً مناسباً. ولكننى كنت فضوليا دائماً بشأن كيفية رد فعل الناس. كنت أريد أن أرى إن كانت المضيفة سيكون لها من الأعصاب ما يجعلها حقا تطلب من رجل مثل أوزانو أن يطفئ واحداً من سيجاره الهافانا المحبوب بسبب كلب حقير. خاصة عندما يكون أوزانو قد دفع ثمن تذكرة الدرجة الأولى لمجرد أن يدخنه فى غرفة

الاستراحة. كنت كذلك أريد أن أرى أوزانو يضع المرأة المتكبرة يابسة الوجه فى مكانها المناسب. أنا نفسى كنت سأتخلص من سيجارى وأدع الأمر يمر بسلام. ولكننى كنت أعرف أوزانو: إنه سيرسل الطائرة هابطة إلى الجحيم أولاً.

كانت المضيفة لا تزال تنتظر جوابًا. هززت كتفى، وقلت:

- ما يمليه عليك عملك. وكان ذلك جوابًا خبيثًا.

أظن أن المضيفة كان لها الشعور نفسه. أو ربما أنها كانت تريد أن تهين أوزانو لأنه لم يعد يوليها أى اهتمام. أو ربما، لأنها كانت مجرد طفلة، فقد اتخذت ما ظنته الطريق الهين المؤدى إلى الخارج. وكان أوزانو، إن لم تكن تعرفه، يبدو أسهل معالجة من سيدة الكلب.

حسنًا، لقد ارتكبنا جميعًا خطأ فاحشًا. وقفت المضيفة إلى جانب أوزانو وقالت:

- يا سيدى، أتمانع فى إطفاء سيجارك؟ تلك السيدة تقول إن الدخان يزعج كلبها.

بردت عينا أوزانو الخضراوان المتحيرتان كما الثلج. ألقى نظرة طويلة، قاسية، على المضيفة، وقال:

- دعينى أسمع ذلك ثانية.

عند ذلك بالضبط كنت مستعداً للقفز إلى خارج الطائرة. رأيت نظرة الغضب المجنون تتشكل على وجه أوزانو. لم يعد الأمر مزحة. كانت المرأة تحدق إلى أوزانو بكراهية. كانت تموت من أجل شجار، ضجة حقيقية. يمكنك أن ترى أنها تحب العراك. ألقى الزوج نظرة إلى خارج النافذة، دارسًا الأفق اللامحدود. من الواضح أن هذا كان مشهداً مألوفًا وكان عنده كل الثقة فى أن زوجته يمكنها أن تنتصر. إنه حتى كان يبتسم ابتسامة راضية خفيفة. البودل حلو المنظر وحده كان مكروبًا قليلاً. كان يلهث طلبًا للهواء ويحدث فواقات صغيرة حادة. كانت غرفة الجلوس مدخّنة ولكن لا من سيجار أوزانو. كان للجميع تقريبًا سيجار يدخن، ويتكون لدى المرء انطباع بأن صاحبى البودل يريدان أن يجعلا الجميع يطفئون سيجارهم.

أصيبت المضيفة، وقد أفزعها وجه أوزانو، بالشلل ، لم يمكنها أن تتكلم. ولكن المرأة لم تخوَّف. يمكن للمرء أن يرى أنها كانت تحب نظرة الغضب المجنون تلك على وجه أوزانو. ويمكنه أيضًا أن يرى أنها لم تُلكم أبدًا فى حياتها فى الفم، وأنها لم يحدث لها أن فقدت بعض أسنانها ساقطة. لم تطرأ لها الفكرة. وهكذا، فإنها حتى قد مالت نحو أوزانو كى تكلمه، واضعة فمها ضمن المدى. أوشكت أن أغمض عينى. فى الحقيقة، أغمضت عينىَّ لجزء من ثانية وكان بمقدورى أن أسمع المرأة، بصوتها المهذب البارد تقول صريحًا جدا لأوزانو:

- سيجارك يضايق كلبى. هل لك أن تتوقف رجاء؟.

كانت الكلمات متشامخة مزدرية بما يكفى، ولكن النبرة كانت مهينة خارج أية كلمات مجردة. كان يمكننى أن أرى أنها كانت تنتظر شجارًا حول أنه لم يكن مجازًا لكلبها أن يوجد فى غرفة الجلوس، وكيف أن غرفة الجلوس مخصصة للتدخين. كيف أنها كانت تدرك أنها لو قالت بأن الدخان كان يضايقها شخصيا فإن أوزانو كان سيتخلص من السيجار. ولكنها كانت تريده أن يطفئ السيجار من أجل كلبها. كانت تريد مشهداً.

أدرك أوزانو هذا كله فى ثانية. فهم كل شىء. وأظن ذلك هو ما دفعه إلى الجنون. رأيت تلك الابتسامة تأتى إلى وجهه، ابتسامة كان يمكن أن تكون ساحرة بشكل غير محدود لولا العينين الخضراوين اللتين كانتا جنونًا صرفًا.

لم يصرخ عليها. لم يلكمها فى وجهها. ألقى نظرة على زوجها ليرى ما سيفعل. ابتسم الزوج بشكل باهت. كان يحب ما تفعله زوجته، أو هكذا كان يبدو. ثم بحركة متروية أطفأ أوزانو سيجاره فى المنفضة المركَّبة بكرسيه. راقبته المرأة باحتقار. ثم مدَّ أوزانو ذراعًا عبر المنضدة فكان بمقدور المرء أن يرى المرأة تظن أنه كان سيربت على البودل. لكننى كنت أعرف خيرًا من ذلك. لقد نزلت يد أوزانو فوق رأس البودل وحول عنقه.

وما جرى بعدئذ كان سريعًا جدا عليَّ بحيث لم أستطع وقفه. رفع الكلب المسكين إلى أعلى، وهو ينهض عن مقعده، وخنقه بكلتا يديه. لهث الكلب واختنق، وراح ذيله الملفوف بشريط زهرى يهتز فى كرب. بدأت عيناه تجحظان خارج مستقرهما المكون من فراء حريرى الحلقات. صرخت المرأة وقفزت واقفة وخمشت وجه أوزانو. لم يتحرك الزوج من مقعده. فى تلك اللحظة أصابت الطائرة جيبًا هوائيًا صغيرًا فاهتززنا جميعًا. ولكن أوزانو، السكران، الذى كان كل توازنه مركزًا على خنق البودل، فقد توازنه فمضى منبطحًا إلى أدنى الممشى، ويداه لا تزالان مشدودتين بإحكام حول حنجرة الكلب. لكى ينهض كان يتعين عليه أن يطلق الكلب. كانت المرأة تصرخ بشىء عن قتله. وكانت المضيفة تزعق من تأثير الصدمة. ابتسم أوزانو، وقد نهض مستقيمًا، حول غرفة الجلوس ثم تقدم نحو المرأة، التى كانت لا تزال تصرخ نحوه. لقد ظننت أنه سيكون الآن قد خجل مما فعل، فيمكنها أن تعنفه. لم تكن تدرى أنه كان قد عزم توًا على خنقها كما خنق الكلب. أدركت... فانكتمت.

وقال أوزانو بهدوء جنونى:

- أيتها الفرج، لقد فهمت الآن، واندفع نحوها. كان مجنونًا حقا. ضربها على وجهها. انطلقتُ إلى أمام وأمسكته. ولكنه كان قد وضع يديه حول حنجرتها وكانت تصرخ. ثم صار المكان دار مجانين. لابد من أنه كان فى الطائرة حراس أمن فى ملابس مدنية لأن رجلين أمسكا أوزانو بشكل حِرفى جدا من ذراعيه وأنزلا جاكتته من وراء مكوِّنين منها سترة مجانين. ولكنه كان متوحشًا وكان يطوح بهما فى الأنحاء على أية حال. كان الجميع يراقبون، مرتعبين. حاولت أن أهدئ أوزانو، ولكنه ما كان ليسمع شيئًا. كان مسعورًا. كان يصرخ بالشتائم على المرأة وزوجها. وكان رجلا الأمن يحاولان أن يهدئاه، مخاطبين إياه بالاسم، وكان أحدهما ، وهو صبى قوى وسيم ، يسأل ما إذا كان سيحسن التصرف لو أطلقاه. كان أوزانو لا يزال يكافح. ثم فقد الصبى القوى صبره.

كان أوزانو الآن فى غضب لا يمكن السيطرة عليه لأن ذلك كان طبيعته جزئيا، ولأنه كان مشهورًا وكان يعرف أنه سيصان من أى انتقام من غضبه. فهم الصبى

القوى ذلك بالغريزة، ولكنه كان قد أهين الآن لأن أوزانو لم يحترم قوته الشبابية الأعلى. فغضب. أمسك ملء قبضة من شعر أوزانو وسحب رأسه إلى وراء بقوة بحيث أوشك أن يقصم عنقه. ثم وضع ذراعه حول رقبة أوزانو وقال:

- يا ابن القحبة، سأدقه، فخمد أوزانو.

يا يسوع، كانت فوضى بعد ذلك. أراد قبطان الطائرة أن يضع أوزانو فى سترة مجانين، ولكننى أقنعته بصرف النظر عن ذلك. أخلى رجال الأمن غرفة الجلوس. وجلسنا أنا وأوزانو هناك معهم بقية الرحلة. لم يتركونا فى نيويورك حتى خلت الطائرة، وهكذا فإننا لم نر المرأة ثانية. ولكن تلك اللمحة الأخيرة منها كانت كافية. كانوا قد غسلوا الدم عن وجهها، ولكن إحدى عينيها كانت تكاد تكون مسدودة وفمها مهروساً إلى عجينة. كان الزوج يحمل البودل، الذى ما زال حيا، يهز ذيله بإفراط طلباً للمحبة والحماية. ووقعت بعدئذ بعض الشكايات القانونية التى تولاها المحامون. وطبيعى، أنها نشرت جميعًا فى الصحف. الروائى الأمريكى العظيم والمرشح الرئيس لجائزة نوبل أوشك أن يقتل "بودل" فرنسيا صغيراً. الكلب المسكين. أوزانو المسكين. اتضح أن المرأة كانت مسهمة كبيرة فى شركة الخطوط الجوية إضافة إلى امتلاكها ملايين أخرى من الدولارات، ومن الطبيعى أنها لم تكن تقدر أن تهدد بألا تسافر على طائرات تلك الخطوط مرة أخرى. أما فيما يتعلق بأوزانو فقد كان سعيداً بشكل كامل. لم تكن عنده أية مشاعر نحو الحيوانات. قال: ما دام يمكننى أن آكلها، فيمكننى أن أقتلها. وعندما أشرت إلى أنه لم يأكل أبداً لحم كلب، اكتفى بأن هز كتفيه وقال: اطبخه جيداً وسآكله.

شىء واحد فات أوزانو. كان لتلك المرأة المجنونة إنسانيتها أيضًا. حسنًا، كانت مجنونة، حسنًا، كانت تستحق فمًا داميًا، ولربما نفعها ذلك كثيراً. ولكنها لم تكن تستحق ما فعله أوزانو بها. لم تكن فى الحقيقة لتستطيع أن تكون غير الشخص الذى كانته، هكذا فكرتُ حينئذ. كان أوزانو قبل ذلك الزمن سيرى ذلك كله. ولسبب ما لم يكن يقدر الآن.

- ٢٥ -

لم يمت البودل محرك الشهوات. وهكذا فإن السيدة لم تتابع الدعوى. ما كان يبدو أنها تبالى بأن يسحق وجهها، أو أن ذلك لم يكن مهمًا لها أو لزوجها. ولربما كانت ستستمتع بذلك حتى. أرسلت رسالة ودية إلى أوزانو، تاركة الباب مفتوحًا أمامهما للقاء. أصدر أوزانو دمدمة صغيرة غريبة وألقى بالرسالة إلى سلة مهملاته. قلت:

ـ لمَ لا تجربها. فلربما كانت مثيرة للاهتمام. قال أوزانو:

ـ أنا لا أحب ضرب النساء. تلك المرأة تريدنى أن أستخدمها كيس ملاكمة. فقلت:

ـ ستكون وندى أخرى. كنت أعرف أن وندى كان لها على الدوام فتنة من نوع ما له، على رغم كونهما مطلقين طيلة هذه السنوات وعلى رغم كل الإثارة التى سببتها له. قال أوزانو:

ـ وحق المسيح. ذلك كل ما أحتاجه. ولكنه ابتسم. كان يعرف ما قصدت. إن ضرب النساء قد لا يزعجه إلى ذلك القدر. ولكنه أراد أن يبين لى أننى كنت مخطئًا. قال:

ـ كانت وندى الوحيدة من زوجاتى التى جعلتنى أضربها. كل زوجاتى الأخريات ضاجعن أفضل أصدقائى، وسرقن مالى، وسلبننى من أجل النفقة، وكذبن عنّى، ولكننى لم أضربهن أبدًا، وحتى لم أكرههن. إننى على صداقة طيبة مع كل زوجاتى الأخريات. ولكن وندى اللعينة تلك مسألة ما. طبقة بذاتها. لو أننى بقيت متزوجًا إياها، لكنت قتلتها.

ولكن خنق البودل بلغ الدوائر الأدبية فى نيويورك. خشى أوزانو على فرصه لنيل جائزة نوبل. قال:

ـ أولئك الإسكندنافيون البؤساء يحبون الكلاب.

وصعَّد حملته النشطة من أجل نوبل بكتابة رسائل إلى كل أصدقائه ومعارفه المهنيين. وواصل أيضًا نشر مقالات وعروض بشأن أهم الأعمال النقدية فى المجلة. إضافة إلى مقالات فى الأدب كنت أعتبرها دائمًا ملآى بالتفاهات. كانت روايته العظيمة، هى الشيء الوحيد الذى يكتبه بخط اليد. وبقية المواد كان يلطشها بأصبعين على الآلة الكاتبة التى كان يمكنه الاستدارة إليها من مكتبه الإدارى المركوم بالكتب. كان أسرع طابع رأيته حتى بمجرد أصبعين. كان يبدو مثل مدفع رشاش، حرفيا. وبتلك الطباعة الرشاشية كتب تعريف ما يمكن أن تكون عليه الرواية الأمريكية العظيمة، وشرح لماذا لم تعد إنجلترا تنتج قصصًا عظيمة إلا من النوع الجاسوسى، وفكك آخر أعمال، وأحيانًا مجموع أعمال، رجال من أمثال فولكنر، ومايلر، وستيرون، وجونز (*) ، وكل من قد يسبب له منافسة على نوبل. كان متألقًا جدا، ولغته مشحونة جدا بحيث كان يقنعك. بنشر كل ذلك الهذر، أزاح خصومه وترك الميدان خاليًا لنفسه. كانت المشكلة الوحيدة أنك عندما تذهب إلى نتاجه هو، لا تجد غير روايتيه الأوليين اللتين صدرتا قبل عشرين سنة يمكن أن يعطيه ادعاءً جديا بسمعة أدبية. لم يكن باقى رواياته وعمله غير القصصى بتلك الجودة.

كانت الحقيقة أنه قد فقد، طوال السنوات العشر الأخيرة، قدرًا كبيرًا من نجاحه الشعبى وشهرته الأدبية. لقد نشر العديد من الكتب التى أنتجها من سطح دماغه، وصنع أعداءً كثرًا بالطريقة التحكمية التى كان يدير بها المجلة. وحتى عندما قام ببعض تقبيل الأقفية عن طريق امتداح الشخصيات الأدبية القوية، كان يفعل ذلك بعجرفة وتعطف كبيرين، يفعله ويخلط نفسه به على نحو ما (كمقالته عن أينشتين التى كانت عن نفسه بقدر ما هى عن أينشتين)، بحيث كان يستدعى عداء الناس الذين كان يصيبهم. ولقد كتب سطرًا واحدًا أحدث هياجًا حقا. قال إن الاختلاف الضخم بين الأدب الفرنسى للقرن التاسع عشر والأدب الإنجليزى هو أن الكتَّاب الفرنسيين كان

Jones, Henry Arthur-Styron-Mailer, Norman – Faulkner-(*)

لديهم كثير من الجنس بينما لم يكن لدى الإنجليز أى منه. راح قراء مجلتنا يغلون غضباً.

وفوق هذا كله، كان سلوكه الشخصى فضائحيا. علم ناشرو المجلة بواقعة الطائرة، وقد تسربت إلى أعمدة الشائعات. فى إحدى محاضراته بكلية كاليفورنيا قابل طالبة آداب فتية فى التاسعة عشرة من عمرها كانت تبدو أشبه بمديرة مباهج أو نجمة ناشئة منها بعاشقة للكتب، الأمر الذى كانته حقا. جلبها إلى نيويورك كى تحيا معه. استمرت نحو ستة أشهر، ولكنه أثناء ذلك الوقت كان يأخذها إلى كل الحفلات الأدبية. كان أوزانو فى منتصف خمسينياته، لم يصر شعره رماديا بعد ولكنه كان بالتأكيد كبير البطن. عندما كنت تراهما معًا، كنت تشعر بعدم ارتياح قليل. خاصة عندما يكون أوزانو ثملاً وتضطر هى إلى حمله إلى البيت. إضافة إلى أنه صار يشرب بينما هو يعمل فى المكتب. إضافة إلى أنه كان يخادع صديقته ابنة التسعة عشر ربيعًا مع روائية فى الأربعين من عمرها كانت قد نشرت للتو أفضل الكتب مبيعًا. لم يكن الكتاب بتلك الجودة حقا، ولكن أوزانو كتب مقالة من صفحة كاملة فى المجلة محييًا إياها كعظيمة مقبلة فى الأدب الأمريكى.

وفعل أمرًا كرهتُه حقا. كان يعطى، لكل صديق يطلب، قولاً ينشر عنه. وهكذا، كنت ترى روايات تصدر هى تافهة ولكنها تحمل تعليقًا من أوزانو يقول شيئًا مثل: هذه أبدع رواية جنوبية منذ رواية ستايرون تمدد فى الظلام. أو كتاب صاعق سيفزعك، الأمر الذى كان نوعًا من الخبث لأنه كان يحاول أن يلعب على الطرفين ضد الوسط: مقدمًا لصديقه الفضل، ومع ذلك محاولاً أن يحذر القارئ للابتعاد عن الكتاب بتعليق غامض.

كان يسيرًا علىّ أن أرى أنه كان يتهاوى على نحو ما. فكرت أنه ربما كان يصاب بالجنون. ولكننى لم أكن أعرف ممّ. كان وجهه يبدو غير صحى، منفوخًا؛ وكان لعينيه ألق ليس طبيعيا حقا. وكان ثمة شىء مريب فى مشيته، نخع فى خطوه أو ترنح بسيط إلى اليسار أحيانًا. أحسست بالقلق عليه. لأننى، على رغم مخالفتى لكتاباته، وسعيه إلى نوبل بكل مناوراته المفضوحة، ومحاولته مواقعة كل امرأة يصير لها اتصال معه،

كنت أحس ميلاً نحوه. كان يحدثنى عن الرواية التى كنت أكتبها، ويشجعنى، وينصحنى، ويحاول إقراضى المال مع أننى كنت أعرف أنه كان غارقًا فى الديون حتى أذنيه ويصرف المال بوتيرة ضخمة ليعيل زوجاته السابقات الخمس وأطفاله الثمانية أو التسعة. أصبت بالرعب من كمية العمل الذى كان ينشره، رغم كونه ذا عيوب. كان يظهر دائمًا فى إحدى المجلات الشهرية، وأحيانًا فى اثنتين أو ثلاث؛ وكان ينشر كل سنة كتابًا غير قصصى حول موضوع كان الناشرون يعتبرونه ساخنًا. كان يحرر المجلة، ويكتب لها مقالة طويلة كل أسبوع. وكان يقوم ببعض الأعمال للسينما. كان يكسب مبالغ هائلة، ولكنه كان مفلسًا على الدوام. وكنت أعلم أنه كان مدينًا بثروة. لا بسبب اقتراض المال فقط، وإنما لسحب المقدمات على كتبه القادمة. ذكرت له هذا، أنه كان يحفر حفرة لن يخرج منها أبدًا، ولكنه اكتفى بأن لوَّح بيده طاردًا الفكرة بنفاد صبر. قال:

ـ إن عندى آسى فى المخبأ. إن الرواية الكبيرة على وشك التمام. خلال سنة ربما. وعندئذ سأصير ثريا مرة أخرى. وعندئذ إلى إسكندنافيا من أجل جائزة نوبل. فكر بكل أولئك النسوة الشقراوات الضخمات اللائى يمكن أن نواقعهن. كان دائمًا ما يجعلنى ضمن السفرة لأخذ نوبل.

كانت أكبر معاركنا تنشب عندما يسألنى رأيى فى أحد مقالاته عن الأدب عمومًا. وكنت أغيظه بجوابى الذى صار اعتياديا الآن من أننى مجرد راوى قصص. كنت أقول له:

ـ إنك فنان بإلهام ربانى. أنت المثقف، إن عندك ذهنًا لعينًا يمكنه أن يبخَّ ما يكفى من الروث لألف دورة تعليمية حول الأدب الحديث. وأنا مجرد محطم خزائن حديد أسرقها. إننى أضع أذنى على الجدار وأنتظر كى تسقط ريشات الأقفال فى مواقعها. وكان أوزانو يقول:

ـ أنت وهراء محطم خزائنك. إنك مجرد تعود إلى طبيعتك بعيدًا عنى. إن عندك أفكارًا. أنت فنان حقيقى. ولكنك تحب فكرة أن تكون ساحرًا، محتالاً، قادرًا على أن تسيطر على كل شيء: ما تكتب، حياتك عمومًا، إن بمقدورك أن تتغلب على كل الفخاخ. هكذا تعمل. فأخبرته:

- إن لديك فكرة خاطئة عن الساحر. إن الساحر يقوم بالسحر. هذا كل ما هناك.
فسأل أوزانو:

- وتظن ذلك كافياً؟. كانت على وجهه ابتسامة حزينة قليلاً. قلت:

- هو كاف بالنسبة لى. هز أوزانو رأسه إيجاباً:

- أتدرى، كنتُ ساحراً عظيماً ذات مرة، لقد قرأتَ كتابى الأول. كله سحر، أليس كذلك؟.

سررت إذ كان بإمكانى أن أؤيد. كانت عندى محبة لذلك الكتاب. فقلت:

- سحر خالص. قال أوزانو:

- ولكنه لم يكن كافياً. ليس بالنسبة لى.

فكرت: إذن بؤساً لك. وبدا كأنه يقرأ أفكارى، فقال:

- كلا، ليس مثلما تفكر. لم أستطع أن أفعلها ثانية لمجرد أننى لا أريد أن أفعلها أو لا أستطيع أن أفعلها ربما. لم أعد ساحراً بعد ذلك الكتاب. صرت كاتباً.

هززت كتفى بشىء من عدم التعاطف، فيما أظن. لاحظ أوزانو ذلك وقال:

- واستحالت حياتى إلى هراء. ولكن يمكنك أن ترى ذلك. إننى أغبط عليك حياتك. كل شىء تحت السيطرة. أنت لا تشرب، ولا تدخن، ولا تطارد النساء. إنك تكتب فقط وتقامر وتمثل دور الأب الطيب والزوج الصالح. إنك ساحر غير زاه جدا، يا ميرلين. إنك لساحر مأمون. حياة مأمونة، وكتب مأمونة؛ لقد جعلت اليأس يختفى.

كان ساخطًا علىَّ. كان يظن نفسه يغوص إلى العظم. لم يكن يدرى أنه مملوء هراء. ولم أكن أبالى، فذلك يعنى أن سحرى كان يعمل. كان ذلك كل ما أمكنه أن يرى. وكان ذلك بديعًا بالنسبة لى. كان يظننى مسيطراً على حياتى، أننى لست أعانى أو لا أسمح لنفسى بأن تعانى، أننى لم أكن أحس نوبات الوحدة التى تسوقه نحو نساء مختلفات، ونحو المشروب، ونحو شمَّاته من الكوكايين. شيئان لم يدركهما: أنه كان

يعانى لأنه كان يتجه عمليا نحو الجنون، لا أنه كان يتألم. والآخر أن كل شخص آخر فى العالم كان يعانى وكان وحيداً وكان يستفيد من ذلك إلى أقصى حد. وأن ذلك ليس مسألة كبيرة. فى الحقيقة، يمكنك أن تقول إن الحياة نفسها لم تكن أمراً كبيراً، ودعك من أدبه اللعين.

ثم فجأة عانيت مشكلات من مصدر غير متوقع. ذات يوم تلقيت فى المجلة مكالمة هاتفية من زوجة آرتى، (بام). قالت إنها تريد أن ترانى بشأن أمر مهم، وإنها تريد أن ترانى بدون آرتى. أيمكننى أن أجىء مباشرة؟ أحسست رعباً حقيقيا. فى خلفية دماغى كنت أحس على الدوام قلقًا بشأن آرتى. كان سهل الانقياد حقا ويبدو دائمًا متعبًا. كانت وسامته دقيقة العظام تظهر الإجهاد الشديد أوضح من أى شىء آخر. كنت مرعوباً جدا بحيث توسلت إليها أن تخبرنى على الهاتف ما الأمر، ولكنها ما كانت لتفعل. لقد أخبرتنى أنه لم يكن ثمة مشكلة جسدية، لا تقارير طبية عن شؤم. كانت مشكلة شخصية تعانى منها وآرتى، وهى تحتاج إلى معونتى.

على الفور، وبشكل أنانى، أحسست ارتياحًا. كان واضحًا أنها هى التى كانت تعانى من مشكلة، لا آرتى. ولكن، مع ذلك، طلبت إذنًا للخروج مبكراً من العمل وقدت سيارتى إلى لونج آيلاند كى أراها. كان آرتى يقيم على الشاطئ الشمالى للونج آيلاند، وأنا أقطن على الشاطئ الجنوبى. وهكذا، فلم يكن يبعد كثيراً عن طريقى حقا. حسبت أنه كان بمقدورى أن أستمع إليها وأصل إلى البيت على العشاء، بتأخير قليل. لم أهتم بأن أخابر فاليرى.

كنت دائمًا أحب الذهاب إلى منزل آرتى. كان عنده خمسة أطفال، ولكنهم كانوا أطفالاً لطفاء عندهم العديد من الأصدقاء الذين هم دائمًا فى الأنحاء ولم تكن بام يبدو عليها أنها تبالى أبداً. كان عندها جرار كبيرة من الكعك لإطعامهم وأباريق سعة جالون من الحليب. كان ثمة أطفال يشاهدون التليفزيون وآخرون يلعبون على المرج. حييت الأطفال، فردوا علىَّ باختصار. أدخلتنى بام إلى المطبخ بنافذته ذات المشربية الضخمة. كانت عندها قهوة جاهزة فصبت لى بعضها. أبقت رأسها مطأطأً ثم رفعت نظرها إلىَّ فجأة وقالت:

- آرتى عنده صديقة.

على الرغم من إنجابها خمسة أطفال، كانت بام لا تزال فتية المظهر ذات شكل بديع: طويلة، ونحيلة، طويلة بهزال قبل مجىء الأطفال، وواحد من تلك الوجوه الشهوانية التى تملك نوعًا من نظرة المادونا. كانت تتحدر من مدينة فى الغرب الأوسط، وقد قابلها آرتى فى الكلية وكان أبوها رئيسًا لمصرف صغير. لم يكن لأى من أفراد عائلتها فى الأجيال الثلاثة الأخيرة أكثر من طفلين، فكانت بطلة ، شهيدة بالنسبة لأبويها بسبب الخمس ولادات. لم يستطيعا أن يفهما ذلك، ولكننى أنا كنت أفهم. كنت قد سألت آرتى مرة عن الأمر وكان قد أجاب:

- وراء ذلك الوجه المادونى ثمة أكثر زوجات لونج آيلاند حشرية. وهذا يناسبنى إلى حد كبير.

لو أن أى زوج آخر كان قد قال ذلك عن زوجته، لكنت أحسنى جريح المشاعر. قلت:

- يا لحسن حظك. فقال آرتى:

- إى. ولكننى أظنها تشعر بالأسف لى، كما تعرف: قضية الملجأ. وهى تريد أن تتأكد أن لا أحس الوحدة ثانية. شىء من هذا القبيل. وكنت قد قلت:

- يا لحسن حظك.

وهكذا الآن، عندما ألقت بام اتهامها، غضبت قليلاً. إننى أعرف آرتى. كنت أعرف أنه لم يكن ممكنًا بالنسبة له أن يخدع زوجته، وأنه لن يعرض للخطر العائلة التى أنشأها أو السعادة التى كانت تمنحها إياه.

كان قوام بام الطويل يتهدل، كانت الدموع فى عينيها. ولكنها كانت تراقب وجهى. لو أن آرتى كان يتمتع بعلاقة، فقد كان الشخص الوحيد الذى سيخبره هو أنا. وكانت ترجو أننى كنت سأفشى السر بتعبير ما على وجهى. قلت:

ـ ليس هذا صحيحًا. لقد وجد آرتي دائمًا النساء يطاردنه وكان يكره ذلك. إنه أكثر رجل في العالم استقامة. أنت تعرفين أنني لن أتستر عليه. لن أنمَّ عليه، ولكنني لن أتستر عليه. فقالت بام:

ـ أعرف ذلك. ولكنه يعود إلى البيت متأخرًا ثلاث مرات في الأسبوع في الأقل. وليلة أمس كان على قميصه أحمر شفاه. ويقوم بمخابرات هاتفية بعد أن أوى إلى الفراش، في وقت متأخر من الليل. هل يتلفن لك؟. قلت:

ـ كلا. وقد أحسست الآن إحساسًا بائسًا. قد يكون الأمر صحيحًا. كنت لا أزال غير مصدق، ولكن عليَّ أن أكتشف. وقالت بام:

ـ وهو ينفق مالاً إضافيا لم يصرف مثله من قبل. أوه، اللعنة. كانت تبكي على المكشوف الآن. سألتها:

ـ أسيتعشى في البيت الليلة؟. هزت بام رأسها إيجابًا. رفعت سماعة هاتف المطبخ وتلفنت لفالي وأخبرتها أنني ساكل في بيت آرتي. كنت أفعل ذلك بين آونة وأخرى عفو اللحظة عندما كنت أحس حافزًا لرؤيته، ولهذا لم تسأل أي سؤال. عندما وضعت السماعة، قلت لبام:

ـ أعندك ما يكفي لإطعامي؟.

ابتسمت وهزت رأسها، وقالت:

ـ بالطبع. فقلت:

ـ سأهبط وأحضره من المحطة. وسنسوي هذا الأمر كله قبل أن نتناول العشاء. وهزئت بالأمر قليلاً فقلت:

ـ أخي بريء. فقالت بام:

ـ أوه، أكيد، ولكنها ابتسمت.

وفى المحطة، فيما كنت أنتظر دخول القطار، أحسست أسفًا لبام وآرتى. كان ثمة بعض الاعتداد بالنفس فى أسفى. كنت أنا الشخص الذى يخلّصه آرتى دائمًا. وكنت أنا سأخلصه أخيرًا. رغم كل الأدلة، أحمر الشفاه على القميص، والتأخر والمكالمات الهاتفية، والمال الإضافى، كنت أعرف أن آرتى برىء. كان أسوأ ما يمكن أن يكون أن فتاة ما كانت من الإلحاح بحيث إنه قد ضعف قليلاً أخيرًا، ربما. حتى الآن، لم أستطع أن أصدق ذلك. مخلوطًا مع الأسف، كان ثمة الحسد الذى كنت أشعر به على الدوام بشأن كون آرتى جذابًا للنساء بطريقة لم أصرها أنا أبدًا. بمجرد نسمة من الرضا أحسست أنه لم يكن على ذلك السوء أن يكون المرء قبيحًا.

عندما خرج آرتى من القطار، لم يفاجأ لرؤيتى. كنت قد فعلت هذا قبلاً: أن أزوره على نحو غير متوقع وأقابله عند قطاره. كنت أحس الرضا دومًا من فعل ذلك، وكان هو يسر دائمًا لرؤيتى. وكنت أحس دائمًا إحساسًا طيبًا إذ أرى أنه سعيد لرؤيتى أنتظره. هذه المرة، وقد راقبته عن كثب، لاحظت أنه لم يكن اليوم بذلك السرور تمامًا. قال:

ـ ماذا تفعل هنا بحق الجحيم؟، ولكنه احتضننى وابتسم. كان يمتلك ابتسامة عذبة بشكل استثنائى بالنسبة لرجل. لقد كانت هى الابتسامة التى كانت له فى طفولته ولم تتغير قط. قلت مرحًا:

ـ جئت لأنقذ مؤخرتك. لقد أمسكت بك بام أخيرًا. فضحك:

ـ يا يسوع. ليس ذلك الهراء ثانية. كانت غيرة بام تصلح دومًا للضحك. قلت:

ـ إى. ساعات التأخير، والنداءات التليفونية المتأخرة، والآن ـ أخيرًا ـ الدليل الكلاسيكى: أحمر شفاه على قميصك. كنت أحس إحساسًا عظيمًا لأننى كنت أدرى، بمجرد رؤية آرتى والحديث إليه، أن الأمر كله كان غلطة.

ولكن آرتى جلس فجأة على إحدى مصاطب المحطة. بدا وجهه متعبًا جدا. كنت أقف فوقه وقد بدأت أحس عدم ارتياح قليل.

رفع آرتى نظره إلىّ. رأيت شفقة غريبة على وجهه. قال:

ـ لا تحمل هما. سأرتب كل شىء. وحاول أن يبتسم، ثم قال:

ـ ميرلين الساحر. يستحسن أن تلبس قبعة السحر اللعينة خاصتك. اجلس فى الأقل. أشعل سيجارة. فكرت مرة أخرى أنه كان يدخن كثيرًا جدا. جلست قريبًا منه. فكرت: أوه، اللعنة. وكان ذهنى يسارع للتفكير فى كيفية تسوية الأمور بينه وبين بام. كنت أعرف شيئًا واحدًا: لم أكن أريد أن أكذب عليها أو أجعل آرتى يكذب عليها. قال آرتى:

ـ أنا لا أخدع بام. وذلك كل ما أريد أن أخبرك إياه.

لم يكن ثمة شك فى تصديقى إياه. ما كان ليكذب علىّ أبدًا. فقلت:

ـ صحيح. ولكن عليك أن تخبر بام بما يجرى وإلا فإنها ستجن. لقد تلفنت لى فى الشغل.

قال آرتى:

ـ لو أخبرت بام، فعلىّ أن أخبرك. لن تريد أن تسمع به. فقلت:

ـ خبرنى إذن. ما الفرق بحق الجحيم؟ إنك تخبرنى بكل شىء على الدوام. كيف يمكن أن يؤذى؟.

رمى آرتى سيجارته على الأرضية الأسمنتية الصخرية لرصيف القطار. وقال:

ـ حسنًا.

وضع يده على ذراعى فأحسست شعورًا مفاجئًا بالرهبة. عندما كنا طفلين وحيدين معًا، كان يفعل ذلك دائمًا ليهدئ روعى. قال:

ـ دعنى أكمل، لا تقاطع. فقلت:

ـ حسنًا. وصار وجهى فجأة دافئًا جدا. لم أستطع أن أفكر بما هو آت. قال آرتى:

ـ كنت أسعى خلال السنتين المنصرمتين أن أجد أُمًّنا. من هى؟ أين هى؟ وما نحن؟ وقد وجدتها قبل شهر.

كنت أقف. سحبت ذراعى بعيداً عنه. نهض آرتى وأمسكنى ثانية. قال:

- إنها سكيرة. إنها تضع الأحمر. تبدو جيدة جدا. ولكنها وحيدة تماماً فى هذه الدنيا. إنها تريد أن تراك، تقول إنها لا تستطيع الكف..، فانفجرت عليه:

- لا تخبرنى بأى شىء آخر. لا تخبرنى أبداً. افعل ما تشاء، ولكننى سأراها فى الجحيم قبل أن أراها حية. فقال آرتى:

- هَىْ، هيا، هيا. وحاول أن يضع يده علىَّ ثانية فانفككت مبتعداً ومشيت نحو السيارة. لحق آرتى بى. دخلناها وقدتها موصلاً إياه إلى البيت. فى هذه الأثناء سيطرت على نفسى، وصار بإمكانى أن أرى أن آرتى كان مكروباً، ولهذا قلت له:

- من الأفضل أن تخبر بام. فقال آرتى:

- سأفعل.

وقفت فى طريق سيارات البيت. سألنى آرتى:

- أتدخل للعشاء؟. كان يقف عند نافذتى المفتوحة، ومرة ثانية مد يده فوق ذراعى. قلت:

- لا.

راقبته وهو يدخل المنزل، هاشًّا آخر الأطفال الذين كانوا يلعبون على المرج إلى البيت معه. ثم قدت السيارة مبتعداً. قدت ببطء وحذر، لقد دربت نفسى طيلة حياتى على أن أكون أكثر حذراً عندما كان أكثر الناس يصيرون أكثر طيشاً. وعندما وصلت إلى البيت، تمكنت أن أرى من وجه فالى أنها كانت تدرى بما جرى. كان الأطفال نائمين، فوضعت لى عشائى على مائدة المطبخ. فيما رحت آكل، مررت يدها على مؤخرة رأسى وعنقى عندما مرت بى فى طريقها إلى الموقد. جلست فى المقابل، تحتسى القهوة، منتظرة إياى أن أفتح الموضوع. ثم تذكرت:

- تريدك بام أن تتلفن لها.

تلفنت. كانت بام تحاول أن تعتذر عن كونها أدخلتنى فى مثل هذه الورطة. أخبرتها أنها ليست ورطة، وسألتها إن كانت تحس أفضل الآن وقد عرفت الحقيقة؟ قهقهت بام وقالت:

- يا للمسيح، أظننى كنت أفضل أنها كانت صاحبة. كانت مرحة مرة أخرى. وقد انقلب دورانا الآن. فى وقت مبكر من ذلك اليوم أشفقت عليها، كانت هى الشخص الواقع فى خطر رهيب وكنت أنا من يريد إنقاذها أو يحاول أن يساعدها. وها هى الآن تبدو وكأنها تعتقد أنه لم يكن عدلاً أن ينقلب دورانا. كان ذلك هو سبب الاعتذار. قلت لها ألا تهتم.

عثرت بام على ما كانت تريد أن تقول لاحقًا:

- يا ميرلين، أنت لم تكن تقصد ذلك حقا، بشأن أمك، من أنك لن تراها؟. فسألتها:

- هل يصدقنى آرتى؟. فقالت بام:

- يقول إنه كان يعرف ذلك دائمًا. إنه ما كان ليخبرك قبل أن يرققك نوعًا ما. غير أننى تسببت فى المشكلة. لقد كان يوبخنى لإثارتى الأمر كله. فضحكت، وقلت:

- أرأيت؟ لقد بدأ يومًا سيئًا لك، وهو الآن يوم سيئ له. إنه هو الطرف المتأذى. أن يكون هو خير من أن تكونى أنت. فقالت بام:

- بالتأكيد. اسمع، أنا آسفة بالنسبة لك، حقا. قلت:

- إن الأمر لا يتعلق بى، فقالت بام: حسنًا، وشكرتنى، ووضعت السماعة.

كانت فاليرى تنتظرنى الآن. كانت تراقبنى عن كثب. كان قد وصلها تقرير من بام، وربما من آرتى، عن كيف يجب أن تعالج هذا الأمر، فكانت تلتزم الحذر. ولكننى أظن أنها لم تدركه حقا. كانت هى وبام امرأتين جيدتين حقا، ولكنهما لم تكونا تفهمان. لقد أثار أبواهما كلاهما مشكلات وعارضا زواجهما من يتيمين ليس لهما امتداد يمكن متابعته. كان بمقدورى أن أتصور قصص الرعب التى تروى عن حالات

مشابهة. ماذا لو كان ثمة جنون أو تفسخ فى عائلتنا؟ أو دم أسود أو دم يهودى أو دم بروتستانتى؟ وكل ذلك الهراء السخيف. حسنًا، هاهى الآن قطعة دليل لطيفة تظهر حين لا تقوم إليها الحاجة أبدًا. كان بمقدورى أن أتصور أن بام وفاليرى لم تكونا مسرورتين من رومانسية آرتى، نبشه عن الرابطة المفقودة مع أم. سألت فاليرى:

ـ أتريدها أن تأتى هنا إلى البيت حتى تتمكن من رؤية الأطفال؟. فقلت:

ـ لا.

بدت فاليرى منزعجة، ومرتعبة قليلاً. كان بمقدورى أن أرى كيف كانت تفكر: ماذا لو أن أطفالها رفضوا رؤيتها ذات يوم. قالت فاليرى:

ـ إنها أمك. لابد من أنها عاشت حياة غير سعيدة جدا. فقلت:

ـ أتعرفين ما تعنى كلمة (يتيم)؟ أنظرت إليها فى القاموس؟ إنها تعنى طفلاً فقد كلا أبويه عن طريق الوفاة. أو حيوانًا صغيرًا هُجر أو فقد أمه. أيهما تريدين؟. فقالت فاليرى:

ـ حسنًا. كانت تبدو مفزوعة. ذهبت لتطل على الأطفال، ثم ذهبت إلى غرفة نومنا. كان بمقدورى أن أسمعها تذهب إلى الحمام وتتهيأ للفراش. بقيت مستيقظًا إلى وقت متأخر أقرأ وأدوِّن ملاحظات، وعندما ذهبت إلى الفراش، كانت غافية فى نوم عميق.

انتهى الأمر كله خلال شهرين. تلفن لى آرتى ذات يوم وأخبرنى أن أمه قد اختفت ثانية. رتبنا أن نلتقى فى المدينة ونتعشى معًا حتى نتمكن من الكلام بمفردنا. ما كنا لنستطيع الحديث فى الأمر وزوجتانا حاضرتان، كما لو كانت معرفتهما به مخجلة كثيرًا. بدا آرتى مرحًا. أخبرنى أنها كانت قد تركت رسالة. أخبرنى أنها كانت تشرب كثيرًا، وكانت تريد دائمًا أن تذهب إلى المقاصف وتلتقط الرجال. أنها كانت بغيًا متوسطة العمر ولكنه أحبها. جعلها تمتنع عن الشرب، واشترى لها ملابس جديدة، واستأجر لها شقة لطيفة التأثيث، وأعطاها منحة. أخبرته بكل ما كان قد جرى لها. كان ذلك خطؤها حقا. أوقفتُه هناك. لم أكن أريد أن أسمع عن هذا. سألته:

- أستبحث عنها ثانية؟.

ابتسم آرتى ابتسامته الجميلة الحزينة، وقال:

- لا. لقد كنت بالنسبة لها وجعًا فى الجحر ابتداءً. لم تكن تحب حقا أن أكون قريبًا منها. فى البدء، عندما عثرت عليها، لعبت الدور الذى كنت أريدها أن تلعبه، كما أظن، بفعل إحساس بالذنب من أنها ربما كان بمقدورها أن تصلح الأمور لى بأن تجعلنى أعنى بها. ولكنها لم تحب ذلك حقا. بل إنها حتى غازلتنى ذات يوم، فيما أظن، لمجرد أن تحصل على الإثارة. وضحك:

- طلبت منها أن تأتى إلى البيت، ولكنها ما كانت لترضى أبدًا. حسنًا فعلت. فسألته:

- كيف تلقت بام الأمر كله؟. ضحك آرتى عاليًا:

- يا للمسيح، كانت تغار حتى من أمى. عندما أخبرتها بأن الأمر كله انتهى، كان عليك أن ترى نظرة الارتياح على وجهها. لابد من أن أقول لك شيئًا يا أخ: إنك تلقيت الأخبار كلها دون أن تتحرك لك عضلة. فقلت:

- لأننى لا أبالى قيد أنملة ما وقع أو ما إذا كان لم يقع. فقال آرتى:

- إى. أدرى. إنه لا يهم. لا أظنك كنت ستحبها.

بعد ستة أشهر أصيب آرتى بنوبة قلبية. كانت خفيفة، ولكنه لزم المستشفى لأسابيع وأخذ إجازة من عمله شهرًا آخر. كنت أذهب لرؤيته فى المستشفى كل يوم، وواصل الإصرار على أن ذلك كان نوعًا من سوء الهضم، وأنها كانت حالة تقع بين السوية والمرض. مضيت إلى المكتبة وقرأت كل ما أمكننى عن النوبات القلبية. وجدت أن رد فعله كان شائعًا بين ضحايا النوبات القلبية وأنهم كانوا محقين أحيانًا. ولكن بام شلها الفزع. عندما خرج آرتى من المستشفى، وضعته على نظام حمية دقيق، رمت كل السجائر خارج المنزل وتوقفت عن التدخين كى يتمكن آرتى من الامتناع أيضًا. كان ذلك صعبًا عليه، ولكنه فعل. ولربما كانت النوبة القلبية أخافته حقا لأنه صار يعتنى

بنفسه الآن. كان يقوم بالمسيرات الطويلة التى وصفها له الطبيب، ويأكل بعناية ولم يمس التبغ قط. بعد ستة أشهر كان يبدو خيراً مما كان عليه فى أى يوم فى حياته وكففنا أنا وبام عن إلقاء نظرات فزع أحدنا على الأخرى كلما كان يخرج من الغرفة. قالت بام:

- حمداً لله، لقد توقف عن التدخين. كان قد بلغ ثلاث علب يوميا. ذلك ما طرحه.

هززت رأسى مؤيداً، لكننى لم أصدق ذلك. لقد كنت أعتقد دائمًا أن ذينك الشهرين اللذين قضاهما محاولاً استرداد أمه هما اللذان أوقعاه.

وما إن تحسن أرتى، حتى وقعت أنا فى ورطة. فقدت عملى فى المجلة الأدبية. لا بسبب أية غلطة منى، وإنما لأن أوزانو فُصل ففصلت معه لكونى ذراعه اليمين.

كان أوزانو قد نجا من كل عواصفه. احتقاره لأقوى الدوائر الأدبية فى البلاد، والمثقفين السياسيين، ومهووسى الثقافة، والليبراليين، والمحافظين، وحركة تحرير النساء، والراديكاليين، وطيشه الجنسى، ومقامراته على الألعاب الرياضية، واستخدامه موقعه لممارسة الضغوط من أجل جائزة نوبل. إضافة إلى كتاب غير قصصى نشره للدفاع عن الإباحية، لا من أجل قيمتها الاجتماعية التى تحل من المسئولية، وإنما بوصفها متعة ضد ، نخبوية لمن يعوزهم الذكاء. من أجل كل هذه الأمور كان الناشرون يودون طرده، ولكن توزيع المجلة كان قد تضاعف منذ صار رئيسًا للتحرير.

فى هذه الأثناء كنت أكسب مالاً جيدا. كنت أكتب لأوزانو أجزاء كبيرة من مقالاته. كان بمقدورى أن أقلد أسلوبه جيداً جدا، وكان هو يعطينى نقطة البدء بخمس عشرة دقيقة من الخطب الرنانة عن كيفية شعوره تجاه موضوع معين، يكون دائمًا مجنونًا بشكل مثير للإعجاب. كان يسيراً علىَّ أن أكتب المقالة على أساس الخمس عشرة دقيقة من حديثه المتبجح. ثم كان يراجعها ويضع بضعاً من لمساته الأستاذية ثم كنا نقتسم المال. إن نصف أجره فقط كان يبلغ ضعف ما كنت أتقاضاه عن مقالة.

وحتى ذلك لم يتسبب فى طردنا. كانت زوجته السابقة وندى هى من قضت علينا. ومع ذلك، قد لا يكون هذا عادلاً: فقد قضى أوزانو علينا، وسلمته وندى السكين.

كان أوزانو قد قضى أربعة أسابيع فى هوليود بينما كنت أدير المجلة نيابة عنه. كان يُتمُّ نوعًا من صفقة سينمائية، وأثناء الأربعة الأسابيع استخدمنا مراسلاً خاصًا يعطيه مواد المجلة ليؤيدها قبل أن أمررها. وعندما عاد أوزانو أخيرًا إلى نيويورك، أقام حفلة لجميع أصدقائه احتفالاً بعودته وبقضمة المال الكبيرة التى كسبها من هوليود.

أقيم الحفل فى بيته الحجرى فى الجانب الشرقى الذى كانت تستخدمه آخر زوجاته السابقات مع إنتاجهما من الثلاثة الأطفال. كان أوزانو يعيش فى شقة ، استوديو صغيرة فى القرية، وهى الشىء الوحيد الذى كان قادرًا على تحمل نفقاته، ولكنها كانت صغيرة جدا بالنسبة للحفلة.

وقد ذهبت لأنه ألح علىَّ أن أذهب. لم تأت فاليرى. لم تكن تحب أوزانو، ولم تكن تحب الحفلات خارج دائرة عائلتها. على مر السنين كنا قد توصلنا إلى اتفاق غير منطوق: أعفينا أحدنا الآخر من حياة أحدنا الآخر الاجتماعية كلما كان ذلك ممكنًا. كان سببى أننى كنت مشغولاً فى العمل على الرواية، وشغلى ومهمات كتابتى الحرة. وكانت ذريعتها أن عليها الاهتمام بالأطفال وأنها لم تكن تطمئن إلى جلساء الأطفال. ولقد استمتعنا كلانا بهذا الترتيب. وكان أيسر عليها مما هو لى، بما أنه لم تكن لى حياة اجتماعية فيما عدا أخى آرتى، والمجلة.

على أية حال، كانت حفلة أوزانو واحدة من الأحداث الكبرى فى المشهد الأدبى فى نيويورك. جاء أرأس الناس فى (عرض كتب النيويورك تايمز)، النقاد فى أغلب المجلات والروائيون الذين كان أوزانو لا يزال على علاقات ودية معهم. كنت جالسًا فى زاوية أتحدث إلى آخر زوجات أوزانو السابقات عندما رأيت وندى تدخل ففكرت على الفور: يا للمسيح، مشكلة. كنت أدرى أنها لم تكن مدعوة.

لمحها أوزانو فى الوقت نفسه فبدأ يسير نحوها بالوقع المتمايل الغريب الذى اكتسبه خلال بضعة الأشهر الأخيرة. كان ثملاً قليلاً، وكنت أخشى أن يفقد أعصابه فيتسبب فى مشهد أو يقوم بشىء مجنون، وهكذا فقد نهضت وانضممت إليهما. وصلت فى الوقت نفسه الذى سمعت فيه أوزانو يحييها. قال:

- ماذا تريدين؟. كان يمكنه أن يصير مخيفًا عندما يكون غاضبًا، ولكن مما سبق أن أخبرنى عن وندى كنت أعرف أنها الشخص الوحيد الذى يتمتع بإثارة جنونه. ولكننى كنت لا أزال مندهشًا لرد فعلها.

كانت وندى تلبس بنطال جيز وسترة صوفية معرّقة وتضع لفاحًا على رأسها. كان ذلك يجعل وجهها النحيف الغامق فاتنًا. وكان شعرها الأسود السلكى يفلت من اللفاع مثل أفاع سود رفيعة.

نظرت إلى أوزانو بهدوء مميت فيه انتصار شرير. كانت تأكلها الكراهية. ألقت نظرة طويلة على الغرفة كما لو كانت تتشرب ما لم تعد تستطيع الآن أن تدعى أى شىء منه، عالم أوزانو الأدبى المتألق الذى كان قد حرمها منه بفاعليه. كانت نظرة رضا. ثم قالت لأوزانو:

- عندى شىء مهم أخبرك به.

خفض أوزانو كأس الويسكى. صوب نحوها كشرة قبيحة.

- إذن فأخبرينى واخرجى عليك اللعنة.

فقالت وندى بجد:

- إنها أخبار سيئة.

ضحك أوزانو صاخبًا وصادقًا. لقد أبهجه ذلك حقا. قال:

- أنت دائمًا أخبار سيئة، وضحك مرة أخرى.

راقبته وندى برضا تام:

- علىَّ أن أخبرك على انفراد. فقال أوزانو:

- أوه، اللعنة، ولكنه كان يعرف وندى، كانت ستبتهج من إقامة مشهد. وهكذا فقد صعد بها السلالم إلى مكتبه. وفكرت فيما بعد أنه لم يأخذها إلى إحدى غرف النوم

لأنه عميقًا فى داخله كان يخشى أن يحاول مواقعتها، فقد كان لها، بعد، ذلك النوع من السيطرة عليه. وكان يعرف أنها ستفرح بأن تصده. ولكنها كانت غلطة أنه أخذها إلى المكتب. لقد كان غرفته المفضلة، لا يزال يرتِّب له بوصفه محل عمل. كانت فيه نافذة ضخمة كان يحب التطلع منها فيما هو يكتب ويراقب الأحداث فى الشارع تحته.

بقيت على كثب أدنى السلالم. لا أدرى حقا لماذا، ولكننى شعرت أن أوزانو سيحتاج إلى المساعدة. وهكذا فقد كنت أول من سمع وندى تصرخ فى رعب، وأول من يتصرف وفقًا لتلك الصرخة. صعدت السلالم راكضًا وركلت باب المكتب فاتحًا إياه.

وصلت فى الوقت المناسب لأرى أوزانو يتقدم من وندى بالضبط. كانت تلوح بذراعيها النحيلين نحوه، محاولة إبقاءه بعيداً. كانت يداها العظميتان مقوستين، وقد امتدت الأصابع كالمخالب، كى تخمش وجهه. كانت مرتعبة، ولكنها كانت تستمتع بالأمر أيضًا. كان يمكننى أن أرى ذلك. كان وجه أوزانو ينزف من أخدودين طويلين على وجنته اليمنى. وقبل أن أتمكن من إيقافه، كان قد ضرب وندى فى وجهها بحيث إنها ترنحت نحوه. فى حركة سريعة رهيبة واحدة، التقطها كما لو كانت دمية عديمة الوزن ورماها عبر النافذة بقوة هائلة. تهشمت النافذة، وطارت وندى عبرها إلى الشارع فى الأدنى.

لا أدرى ما إذا كنت ارتعبت أكثر من منظر جسد وندى الدقيق يتحطم عبر النافذة أو من وجه أوزانو المجنون تماماً. ركضت خارجًا من الغرفة وصرخت:

ـ تلفنوا لسيارة إسعاف. وخطفت سترة من المدخل وركضت خارجًا إلى الشارع.

كانت وندى متمددة على الأسمنت مثل حشرة كُسر ساقاها. فيما خرجت من المنزل، كانت تتمايل على ذراعيها وساقيها ولكنها لم تنهض إلا على ركبتيها. كانت تبدو مثل عنكبوت يحاول أن يسير، ثم انهارت مرة أخرى.

ركعت إلى جانبها وغطيتها بالسترة. خلعت جاكتتى وطويتها تحت رأسها. كانت تتوجع، ولكن لم يكن ثمة دم ينزف من فمها أو أذنيها، كما لم تكن ثمة تلك الغشاوة

الميتة على عينيها التى سبق أن تعرفت عليها قبل زمن طويل، أثناء الحرب، بوصفها علامة خطر. وكان وجهها أخيراً هادئًا وفى سلام مع ذاته. أمسكت يدها، كانت دافئة، وفتحت عينيها. قلت لها:

- ستكونين على ما يرام. سيارة إسعاف قادمة. ستكونين على ما يرام.

فتحت عينيها وابتسمت نحوى. كانت تبدو جميلة جدا، فأدركت للمرة الأولى افتتان أوزانو بها. كانت تتألم، ولكنها كانت عمليا تكشر. قالت:

- لقد قوّمت ابن القحبة ذاك هذه المرة.

عندما أخذوها إلى المستشفى، وجدوا أنها كانت تعانى من أصبع مكسور وشرخ فى الترقوة. كانت واعية بما يكفى لتروى ما جرى، فمضى رجال الشرطة يبحثون عن أوزانو وأخذوه بعيداً. تلفنتُ لمحامى أوزانو. أمرنى أن ألزم الصمت بقدر ما يمكننى وأنه سيسوى كل شىء. لقد كان يعرف أوزانو وويندى منذ زمن طويل ولقد فهم الأمر كله قبل أن أفهمه أنا. أمرنى أن أبقى حيث أنا حتى يتلفن.

لا توجد حاجة للقول بأن الحفلة انهدمت بعد أن سأل المحققون بعض الناس، بمن فيهم أنا. قلت إننى لم أرَ شيئًا عدا وندى تسقط من خلال النافذة. وكلا، لم أرَ أوزانو قريباً منها، هكذا أخبرتهم. وتركوا الأمر عند هذا. أعطتنى زوجة أوزانو السابقة شراباً وجلست إلى جانبى على الأريكة. كانت ثمة ابتسامة غريبة خفيفة على وجهها. قالت:

- كنت أعرف دائمًا أن هذا سيحدث.

استغرق المحامى نحو ثلاث ساعات حتى تلفن لى. قال إنه أخرج أوزانو بكفالة، ولكن من الأفضل أن يكون معه شخص ما لمدة يومين. سيمضى أوزانو إلى شقته الاستوديو فى الـ(قرية). أيمكننى أن أهبط إلى هناك لأكون فى معيته ولأمنعه من الحديث إلى الصحافة؟ قلت إننى سأفعل. وعندئذ قدم لى المحامى تقريره. كان أوزانو قد شهد بأن وندى كانت هاجمته وأنه قد طوّح بها بعيداً عنه ففقدت توازنها ووقعت عبر

النافذة. وتلك كانت القصة التى أعطيت للصحف. كان المحامى واثقًا من أنه سيجعل وندى تساير القصة من أجل مصلحتها الذاتية. لو أن أوزانو دخل السجن، فإنها ستخسر النفقة ودعم الأطفال. سيتم تلطيف كل شىء خلال يومين لو أمكن منع أوزانو من قول شىء منفلت. سيكون أوزانو فى شقته، سيأخذه المحامى إلى هناك.

تركت المنزل، وأخذت سيارة أجرة إلى القرية. جلست على رواق مدخل الشقة حتى درجت ليموزين المحامى التى يقودها سائق. خرج أوزانو.

كان يبدو كريهًا جدا. كانت عيناه تجحظان من رأسه، وبشرته بيضاء بياض الموت من التوتر. سار مجتازًا إياى مباشرة، ودخلت المصعد معه. أخرج مفاتيحه، ولكن يديه كانتا ترتعشان فعرفت أنه لن ينجح أبدًا فى إدخال المفتاح إلى القفل. أنا الذى قمت له بذلك.

عندما صرنا فى شقته ـ الاستوديو، ارتمى أوزانو ساقطًا على الأريكة التى تنفتح لتصير سريرًا. لم يكن قد قال لى شيئًا بعد. كان الآن متمددًا هناك، يداه تغطيان وجهه من الإرهاق، لا القنوط. نظرت فى أرجاء الشقة ـ الاستوديو وفكرت: هاهو أوزانو، أحد أشهر الكُتّاب فى العالم وهو يحيا فى هذا الثقب. ولكننى عندئذ تذكرت أنه كان نادرًا ما يعيش هنا. أنه كان يحيا عادة فى بيته فى (هامبتونز)، أو إلى أعلى فى (بروفنس تاون). أو مع إحدى النسوة المطلقات الثريات اللائى كان ينجح فى إقامة علاقة غرامية معهن لبضعة أشهر.

جلست فى كرسى ذى مسندين، مترب، وركلت كومة من الكتب إلى إحدى الزوايا. قلت لأوزانو:

ـ أخبرت الشرطة بأننى لم أرَ شيئًا.

جلس أوزانو وابتعدت يداه عن وجهه. ولدهشتى، كان بمقدورى أن أرى تلك الكشرة الوحشية على وجهه.

ـ يا للمسيح، لكم يحب المرء الطريقة التى طارت بها فى الهواء. لطالما قلت إنها ساحرة حقيرة. أنا لم أرمها بتلك الشدة، كانت تطير من ذاتها.

فحدقت إليه، وقلت:

- أظنك تجن بشكل لعين. أظن من الأفضل لك أن ترى طبيبًا. كان صوتى باردًا. لم يكن بمقدورى أن أنسى وندى مطروحة فى الشارع.

قال أوزانو:

- هراء، ستكون على ما يرام. ولا تسل لماذا. أم أنك تظن أننى أرمى كل زوجاتى السابقات من النافذة؟. فقلت:

- ما من عذر. فكشر أوزانو:

- أنت لا تعرف وندى. سأراهنك بعشرين دولار أنك، عندما أخبرك بما قالت لى، ستتفق معى على أنك كنت ستفعل الشىء ذاته. فقلت:

- راهن. دخلت إلى غرفة النوم وبللت منشفة وجه ورميتها له. مسح وجهه وعنقه وتنهد بسرور فيما أنعش الماء البارد بشرته.

تحدب أوزانو إلى أمام على الأريكة:

- ذكّرتنى كيف أنها كتبت لى رسائل أثناء الشهرين الماضيين سائلة مالاً لطفلتنا. طبيعى أننى لم أرسل لها مالاً، وإلا لكانت أنفقته على نفسها. ثم قالت إنها لم تكن تريد أن تزعجنى بينما كنت مشغولاً فى هوليود، ولكن أصغر أولادنا أصيب بالتهاب السحايا الفقرية ولأنها لا تملك المال الكافى فقد وضعته فى ردهة الإحسان فى مستشفى المدينة. أيمكنك أن تتصور تلك المرأة اللعينة؟ إنها لم تتلفن لى لتخبرنى بمرضه لأنها كانت تريد أن تلقى كل ذلك الهراء علىَّ، كل ذلك الذنب علىَّ.

كنت أعرف كم كان أوزانو يحب كل أطفاله من زوجاته المختلفات. وكنت أدهش لهذه القابلية فيه. كان يرسل لهم دائمًا هدايا أعياد ميلاد، ويضمهم إليه دائمًا فى الأصياف. وكان يمر ليراهم فى أوقات متفرقة ليأخذهم إلى المسرح وإلى العشاء أو إلى لعبة كرة. كنت مندهشًا الآن لكونه غير قلق بشأن إصابة ابنه بالمرض. لقد فهم ما كنت أحسه.

- ليس بالطفل غير حمى عالية، نوع من العدوى التنفسية. بينما كنت أنت تقوم بالفروسية تجاه وندى، كنت أنا أتلفن للمستشفى قبل أن يأتى رجال الشرطة. قالوا لى إنه لم يكن ثمة ما يستحق القلق. تلفنت لطبيبى، وهو يرتب لأخذ الطفل إلى مستشفى خصوصى. وهكذا، فكل شىء على ما يرام.

سألته:

- أتريدنى أن أتسكع فى الأنحاء. فهز أوزانو رأسه:

- يجب أن أرى طفلى وأعنى بالأطفال الآخرين الآن وقد حرمتهم من أمهم. ولكنها ستخرج غداً.

قبل أن أترك أوزانو، سألته سؤالاً واحداً:

- عندما رميتها من النافذة، أكنت تتذكر أنها كانت حقا مجرد طابقين أعلى من الشارع؟.

كشر نحوى ثانية، وقال:

- بالتأكيد. وإضافة إلى ذلك، فأنا لم أحسب أنها ستطير إلى ذلك البعد. أقول لك إنها ساحرة.

خرجت كل صحف نيويورك بقصص على صفحاتها الأوّل فى اليوم التالى. كان أوزانو لا يزال من الشهرة بحيث يستحق مثل هذه المعاملة. إلا أن أوزانو، فى الأقل، لم يدخل السجن لأن وندى لم تتابع الدعوى. قالت إنها ربما كانت تعثرت فمرقت من النافذة. ولكن ذلك كان فى اليوم التالى، وكان الضرر قد وقع. أجبر أوزانو على الاستقالة بلباقة من المجلة، واستقلت أنا معه. وقد خمّن أحد كتّاب الأعمدة، محاولاً أن يكون ظريفًا، أن أوزانو، لو كان سيفوز بجائزة نوبل، سيكون أول فائز بها ألقى بزوجته من النافذة. ولكن الحقيقة كانت أن الجميع كانوا يعرفون أن هذه الكوميديا الصغيرة كانت ستنهى كل آمال أوزانو فى ذلك الاتجاه. ليس بمقدورك أن تمنح جائزة نوبل

المحترمة الرصينة لشخصية دنيئة كأوزانو. ولم يساعد أوزانو المجريات كثيراً عندما كتب بعد وقت قصير مقالة تهكمية عن أفضل عشر طرق لاغتيال المرء زوجته.

ولكن الآن بالضبط كنا نعانى معًا من معضلة. كان علىَّ أن أكسب معيشة من شغل حر لا من عمل ثابت. وعلى أوزانو أن يستقر مختفيًا فى مكان ما لا تستطيع الصحافة أن تطارده فيه. تمكنت أن أحل مشكلة أوزانو. تلفنت لكولى فى فيجاس وشرحت له ما جرى. سألت كولى إن كان بمقدوره أن يخبئ أوزانو فى فندق كسانادو بضعة أسابيع. كنت أدرى أن أحداً لن يبحث عنه هناك. وكان أوزانو مؤيداً . فهو لم يسبق له الذهاب إلى لاس فيجاس.

- ٢٦ -

بعد أن خبأت أوزانو بأمان فى فيجاس كان علىَّ أن أسوى مشكلاتى الأخرى. لم يكن عندى عمل، وهكذا فقد أخذت أكثر ما أمكننى من شغل حر. قمت بعروض كتب لمجلة (تايم)، والـ (نيويورك تايمز)، كما أعطانى محرر المجلة الجديد بعض الشغل. ولكن الوضع كان مرهقًا للأعصاب جدا بالنسبة لى. لم أكن أعلم أبدًا ما مقدار المال الذى كان سيأتينى فى كل وقت معين. وهكذا فقد قررت أن أحشد كل جهودى لأتم روايتى وأرجو أن تحقق مالاً عظيمًا. كانت حياتى، طيلة السنتين التاليتين، بسيطة للغاية. كنت أقضى ما بين اثنتى عشرة وخمس عشرة ساعة يوميا فى غرفة عملى. كنت أخرج مع زوجتى إلى السوق. كنت آخذ أطفالى إلى (شاطئ جونز) (*) فى الصيف، أيام الأحد، كى أوفر الراحة لفاليرى. وفى بعض الأحيان عند منتصف الليل كنت أتناول الـ (دكساميل) كى يبقينى يقظًا حتى أتمكن من أن أشتغل حتى الثالثة أو الرابعة صباحًا.

فى تلك الأثناء رأيت إدى لانسر على العشاء بضع مرات فى نيويورك. كان إدى قد صار أساسًا كاتب سيناريوهات فى هوليود، وكان واضحًا أنه لن يكتب روايات بعد. كان يستمتع بالحياة هناك: النساء، والمال السهل، وأقسم أنه لن يكتب الرواية مرة أخرى. صارت أربعة من سيناريوهاته أفلامًا ناجحة فازداد الطلب عليه. عرض أن يحصل لى على عمل أن أشتغل معه إن كنت راغبًا فى الذهاب إلى هناك، ولكننى أخبرته أن: لا. لم أكن أستطيع أن أرى نفسى عاملاً فى شغل السينما. لأن ما كان واضحًا جدًا، على رغم القصص الظريفة التى أخبرنى بها إدى، هو أن صيرورة المرء كاتبًا فى السينما لم يكن أمرًا محببًا. لن يبقى المرء فنانًا. يصير مترجمًا لأفكار الآخرين.

(*) Jones Beach .

أثناء هاتين السنتين كنت أرى أوزانو مرة فى الشهر تقريبًا. كان قد بقى أسبوعًا فى فيجاس ثم اختفى. تلفن لى كولى ليشكو لى من أن أوزانو قد هرب مع صديقته المفضلة، فتاة تدعى (شارلى براون). لم يكن كولى غاضبًا. كل ما هنالك أنه كان مستغربًا. أخبرنى أن الفتاة كانت حسناء، وأنها كانت تحقق ثروة فى فيجاس تحت توجيهه وكانت تحيا حياة عظيمة، وأنها قد تخلت عن ذلك كله لتمضى مع كاتب عجوز سمين لم يكن عنده كرش جعة فقط وإنما كان أكثر الناس الذين سبق لكولى أن رآهم جنونًا.

أخبرت كولى أن ذلك كان فضلاً آخر أدين له به، وأننى إن رأيت مع أوزانو فتاة فى نيويورك فسأشترى لها تذكرة عودة بالطائرة إلى فيجاس. قال كولى:

- أخبرها فقط أن تتصل بى. قل لها إننى أفتقدها، قل لها إننى أحبها، قل لها ما تريد. لا أريد إلا استرجاعها. إن الفتاة تساوى لى ثروة فى فيجاس. فقلت:

- حسنًا. ولكن، عندما كنت أقابل أوزانو للعشاء فى نيويورك، كان بمفرده دائمًا ولم يكن يبدو عليه كثيراً مثل شخص يمكنه أن يحوز اهتمامات فتاة جميلة شابة بالمزايا التى وصفها كولى.

إنه لأمر غريب عندما تسمع عن نجاح شخص، عن شهرته. تلك الشهرة، مثل نجم ثاقب ظهر من لا مكان. ولكن الطريقة التى وقعت لى كانت خلواً من المتعة بشكل مدهش.

كنت أحيا حياة ناسك لمدة سنتين وفى النهاية تم الكتاب وسلمته لناشرى ونسيته. بعد شهر تلفن ناشرى لى من نيويورك وأخبرنى أنهم قد باعوا روايتى إلى مؤسسة أغلفة ورقية لإعادة الطبع لقاء أكثر من نصف مليون دولار. ذهلت. لم أستطع حقا أن يكون لى رد فعل. كان الجميع قد حذرونى: ناشرى، ووكيلى، وأوزانو، وكولى، من أن كتابًا حول اختطاف طفل، يكون بطله الخاطف، لن يستمرئه الجمهور الواسع. وقد عبرت عن دهشتى لناشرى فقال:

- إنك رويت قصة عظيمة بحيث لم يكن ذلك مهمًا.

عندما عدت إلى البيت إلى فاليرى تلك الليلة وأخبرتها بما جرى، لم يبدُ عليها أنها فوجئت قط. اكتفت بأن قالت بهدوء:

- يمكننا أن نشترى بيتًا أكبر. إن الأطفال يكبرون، وهم يحتاجون إلى مجال أكبر. ثم مضت الحياة، ببساطة، كالسابق، فيما عدا أن فاليرى وجدت بيتًا لا يبعد إلا عشر دقائق عن أبويها فاشتريناه وانتقلنا إليه.

فى تلك الأثناء صدرت الرواية. اندرجت فى كل القوائم الأكثر مبيعًا فى جميع أنحاء البلاد. كانت الأفضل مبيعًا بشكل كبير، ومع ذلك لم يبدُ أنها غيَّرت حياتى بأى شكل من الأشكال. فى التفكير بهذا أدركت أن ذلك كان لأنه كان لى قليل جدا من الأصدقاء. كان ثمة كولى، وكان ثمة أوزانو، وكان ثمة إدى لانسر وهذا كل ما هناك. طبيعى أن أخى، آرتى، كان فخورًا بى بشكل رائع وأراد أن يقيم حفلاً كبيرًا إلى أن أخبرته أن بإمكانه أن يقيم الحفل ولكننى لن أحضره. وما أثَّر فىَّ حقا عرض للكتاب قام به أوزانو ظهر على الصفحة الأولى من المجلة الأدبية. امتدحنى للأسباب الصحيحة وأشار إلى العيوب الصحيحة. بطريقته الاعتيادية بالغ فى تقدير الكتاب لأننى كنت صديقه. ثم، بالطبع، واصل فتحدث عن نفسه وعن روايته التى فى طور التقدم.

تلفنت لشقته، ولكن لم يكن ثمة جواب. كتبت له رسالة، وتلقيت رسالة جوابية. تناولنا العشاء معًا فى نيويورك. بدا رهيبًا، ولكن كانت معه شقراء فتية عظيمة الجمال نادرًا ما تكلمت ولكنها أكلت أكثر مما أكلتُ وأوزانو معًا. قدمها بوصفها شارلى براون، فأدركت أنها صديقة كولى، ولكننى لم أبلغها رسالة كولى أبدًا. لماذا أوذى أوزانو؟

كانت ثمة واقعة صرت أتذكرها دائمًا. طلبت من فاليرى أن تخرج لتتبضع وتشترى لنفسها بعض الملابس، كما تريد، وأننى كنت سأهتم بالأطفال ذلك اليوم. ذهبت مع بعض صديقاتها ثم عادت مليئة اليدين بالعلب.

كنت أحاول أن أشتغل على كتاب جديد، ولكننى لم أستطع حقا الولوج إليه، وهكذا فقد أرتنى ما اشترت. فتحت رزمة وأرتنى ثوبًا أصفر جديداً. قالت فاليرى:

- لقد كلَّف تسعين دولاراً. أيمكنك أن تتصور تسعين دولاراً من أجل ثوب صيفي صغير؟.

فقلت كما شخص يحس بالواجب:

- إنه يبدو جميلاً. كانت تمسك به أمام عنقها. قالت:

- أتدرى؟ لم أستطع حقا أن أقرر ما إذا كنت أحب الأصفر أم الأخضر. ثم استقر رأيى على الأصفر. أظنني أبدو أفضل فى الأصفر، ألا تظن ذلك؟.

فضحكتُ. وقلت:

- يا حبيبتى، أفلم يخطر لك أن بمقدورك أن تشترى الاثنين؟.

نظرت إلى حائرة لحظة، ثم ضحكت هى الأخرى. وقلت:

- يمكنك أن تشترى أصفر وأخضر وأزرق وأحمر.

وابتسمنا كلانا أحدنا للآخر، ولأول مرة أدركنا، فيما أظن، أننا قد دخلنا نوعًا من الحياة الجديدة. ولكننى وجدت، عمومًا، النجاح ليس بالجاذبية أو بالإمتاع الذى ظننته سيكون. وهكذا، فكما كنت أفعل دائمًا قرأت عن الموضوع فوجدت أن حالتى لم تكن غير اعتيادية، وأن كثيراً من الرجال الذين جاهدوا طوال أعمارهم ليبلغوا ذرى حِرَفهم كانوا يحتفلون فوراً، فى الواقع، بأن يرموا بأنفسهم من خارج نافذة عالية.

كان فصل الشتاء، وقد قررت أن آخذ العائلة كلها إلى (بورتوريكو) فى عطلة. ستكون تلك المرة الأولى فى حياتنا الزوجية التى نستطيع فيها احتمالَ نفقات السفر بعيداً. لم يسبق لأطفالى أن ذهبوا حتى إلى معسكر صيفى.

تمتعنا بوقت عظيمٍ سباحةً، واستمتعنا بالحرارة، واستمتعنا بالشوارع الغريبة والطعام المختلف، ومسرة ترك الشتاء البارد ذات صباح لنكون فى الشمس اللاهبة عصر اليوم نفسه، ومستمتعين بالأنسام المنعشة. فى المساء أخذت فاليرى إلى كازينو القمار فى الفندق فيما جلس الأطفال منضبطين فى كراسى الأماليد المضفورة

الضخمة فى الردهة، منتظرين إيانا. كل خمس عشرة دقيقة أو نحوها كانت فاليرى تركض نازلة لترى إن كانوا بخير، وأخيراً أخذتهم إلى جناح غرفتنا وبقيت أقامر حتى الرابعة صباحًا. الآن وقد صرت غنيا، كان طبيعيا أن أكون محظوظًا، وقد ربحت بضعة آلاف دولار، وعلى نحو غريب استمتعت من الربح فى الكازينو أكثر من النجاح والمبالغ الطائلة من المال التى كنت حققتها حتى ذلك الحين من الكتاب.

عندما عدنا إلى البيت، كانت ثمة مفاجأة أكبر فى انتظارى. أنفق أحد استوديوهات السينما، (شركة أفلام مالومار)، مائة ألف دولار على حقوق الفيلم لكتابى وخمسين ألف دولار أخرى، بالإضافة إلى نفقات ذهابى إلى هوليود، لكتابة السيناريو.

تحدثت فى الأمر مع فاليرى. لم أكن حقا أريد كتابة سيناريوهات أفلام. أخبرتها أننى سأبيع الكتاب، ولكن سأرفض عقد كتابة السيناريو. ظننتها ستفرح، ولكنها - على العكس - قالت:

- أظنه سيكون جيداً لك أن تذهب إلى هناك. أظنه سيكون جيداً لك أن تقابل مزيداً من الناس، وأن تعرف مزيداً من الناس. أنت تعرف أننى أقلق عليك أحيانًا لكونك متوحداً جدا. فقلت:

- يمكننا أن نذهب جميعًا. فقالت فاليرى:

- كلا. إننى سعيدة هنا حقا مع عائلتى ولا يمكننا أن نأخذ الأطفال من المدرسة وأنا لا أريدهم أن يترعرعوا فى كاليفورنيا.

مثل كل شخص آخر فى نيويورك، كانت فاليرى تعتبر كاليفورنيا مركزًا متقدمًا دخيلاً للولايات المتحدة مليئًا بمدمنى المخدرات، والقتلة، والوعاظ المجانين، الذين يطلقون النار على الكاثوليك ما إن يروهم. قلت:

- إن العقد لمدة ستة أشهر، ولكن بمقدورى أن أشتغل شهراً ثم أعود وهكذا. فقالت فاليرى:

- يبدو هذا ممتازاً، وإضافة إلى ذلك، ولأقلها لك بصراحة، يمكننا أن نستفيد من الراحة أحدنا من الآخر.

أدهشني هذا، فقلت:

- لا أحتاج إلى الراحة منك. فقالت فاليرى:

- ولكن أنا أحتاج إلى الراحة منك. إنه لإرهاق للأعصاب أن يعمل الرجل فى البيت. سل أية امرأة. إنه يخل بكل روتين إدارتى للمنزل. لم أكن أستطيع قول شىء قبلاً لأنه لم يكن بوسعك أن تنفق على استوديو خارج البيت تعمل فيه. ولكن الآن وأنت تستطيع، أتمنى ألا تعمل فى البيت بعد الآن. يمكنك أن تستأجر مكاناً فتخرج صباحاً وتأتى إلى البيت عند المساء. إننى متأكدة من أنك ستشتغل أفضل.

لا أدرى حتى الآن لماذا جرحنى قولها هذا كثيراً. كنت مسروراً لكونى أبقى وأشتغل فى البيت، وقد تألمت حقا لأنها لم تحس بالطريقة ذاتها، وأظن أن هذا ما جعلنى أقرر أن أكتب سيناريو روايتى. كان رد فعل طفوليا. إذا كانت لا تريدنى فى البيت، فسأنصرف وأرى كيف ستجد الوضع. فى ذلك الوقت كان يمكننى أن أقسم أن ما كان سيهز أى كاتب آخر طرباً لم يهزنى. إن هوليود مكان لطيف للقراءة عنه، ولكننى لا أريد حتى زيارتها.

أدركت أن جزءاً من حياتى قد انطوى. كان أوزانو قد كتب فى عرضه: كل الروائيين، الجيدون والسيئون، أبطال. إنهم يحاربون بمفردهم، لابد من أن يكون عندهم إيمان القديسين. إنهم ينهزمون فى الأغلب الأعم أكثر مما ينتصرون، ولا يلقون أية رحمة من العالم البغيض. تهن قوتهم (ولهذا توجد فى أغلب الروايات مواقع ضعيفة، وتكون هدفًا يسيراً للهجوم)؛ ينبغى إزاحة مشكلات العالم الحقيقى جانبًا: مرض الأطفال، وخيانة الأصدقاء، ومخادعات الزوجات. إنهم يتجاهلون جراحهم ويواصلون القتال، داعين المعجزات من أجل طاقة طازجة.

لم أوافق على ميلودرامياته، ولكن كان صحيحاً أننى أحسست كما لو كنت أهجر صحبة الأبطال. ولا يعنينى أبداً ما إذا كان ذلك عاطفية كُتّاب نموذجية.

الفصل الخامس

- ٢٧ -

كانت (أفلام مالومار) تشتغل ، مع أنها شركة فرعية لستوديوهات (موسى وارتبورغ للثقافات الثلاث) ، على أساس مستقل تمامًا، بصورة مبدعة، وكان لها استوديوها الصغير الخاص مع ملحقاته وأراضيه. وهكذا كان بيرنارد مالومار طليق اليدين على الفيلم الذى خطط له لرواية جون ميرلين.

كان كل ما يريد مالومار أن يفعله هو أن يصنع أفلامًا جيدة، ولم يكن ذلك سهلاً أبدًا، ليس سهلاً وستوديوهات موسى وارتبورغ للثقافات الثلاث تحوم فوق كل خطوة من خطواته. كان يكره وارتبورغ. كانا عدوين مشهورة عداوتهما، ولكن وارتبورغ كان ، عدوًّا ، مثيرًا للاهتمام، يحلو التعامل معه. وكذلك، كان مالومار يحترم عبقرية وارتبورغ المالية والإدارية. كان يعرف أن صانعى الأفلام من أمثاله لا يستطيعون أن يوجدوا من دون ذلك.

كان على مالومار فى جناح مكتبه المترف المستقر فى زاوية من أراضى استوديوه الخاص أن يصبر على وجع فى الجحر أكبر من وارتبورغ، مع أنه أقل إماتة. لو كان وارتبورغ مصابًا بسرطان المستقيم، كما كان مالومار يقول مازحًا، فإن جاك هولينان عنده البواسير وهو، على أساس يومى، أكثر إزعاجًا.

وكان جاك هولينان، نائب الرئيس المسئول عن العلاقات العامة الإبداعية، يلعب دوره بوصفه العبقرية رقم واحد فى العلاقات العامة، بإخلاص قاتل. عندما كان يطلب منك أن تفعل شيئًا فظيعًا وترفض، كان يعترف بحماس عنيف بحقك فى الرفض. كان قوله الأثير هو: كل ما تقوله حسن بالنسبة لى. لن أحاول أبدًا، أبدًا، أن أقنعك بأن تفعل شيئًا لا تريد أن تفعله. كنت مجرد أسأل. ويكون هذا بعد محاولة إقناع بالإلحاح

لساعة كاملة عن ضرورة قفزك من أعلى (مبنى الإمباير ستيت) (*) لتتأكد من نيل فيلمك الجديد حيزًا مناسبًا فى الـ(تايمز) (**) .

ولكن مع رؤسائه، مثل نائب الرئيس المسئول عن الإنتاج فى ستوديوهات وارتبورغ العالمية للثقافات الثلاث، مع فيلم ميرلين هذا لأفلام مالومار وزبونه الشخصى بالذات، (أوغو كيلينو)، كان أكثر صراحة بكثير، وأكثر إنسانية. والآن كان يتحدث بصراحة إلى بيرنارد مالومار، الذى لم يكن حقا عنده وقت للهذر. قال هولينان:

- نحن فى ورطة. أظن هذا الفيلم اللعين يمكن أن يصير القنبلة الأكبر منذ ناجازاكى.

كان مالومار أصغر رئيس استوديو منذ ثالبيرج، وكان يحب أن يمثل دور عبقرى مغفل. بوجه صادق قال:

- أنا لا أعرف ذلك الفيلم، وأظنك مملوء هذرًا . أظنك قلق بشأن كيلينو. تريدنا أن ننفق ثروة لمجرد أن ذلك الأحمق قرر أن يُخرج بنفسه وأنت تريد أن تحصل على تأمين عليه.

كان هولينان الممثل الشخصى للعلاقات العامة لأوغو كيلينو لقاء مقدم أتعاب بواقع خمسين ألف دولار فى السنة. كان كيلينو ممثلاً عظيماً ولكنه يكاد يكون مخبولاً، رسميًا، بتضخم الذات، وليس هذا بالمرض غير الشائع بين أعلى الممثلين والممثلات والمخرجين وحتى مراقبات النصوص اللائى يتخيلن أنفسهن كاتبات سيناريو. كان الغرور فى أرض الأفلام كالدرن الرئوى فى مدينة مناجم. متوطنًا ومدمرًا، ولكن ليس بالضرورة مميتًا .

فى الحقيقة، كان زهو الكثيرين منهم بذواتهم يجعلهم أكثر جاذبية مما لو لم يكونوا كذلك. كان هذا صحيحًا بالنسبة لكيلينو. كانت ديناميته على الشاشة بشكل أهلّه أن يدرج فى قائمة أشهر خمسين رجلاً فى العالم. قصة الأخبار المعززة تحيا فى

Empire State Building (*)

Times (**)

وكره مع أسطورته الخاصة بالقلم الأحمر التى تنص للمواقعة. كان هولينان يقول دائماً، وصوته تأكيدى، بإعجاب: يمكن لكيلينو أن يواقع أفعى. مضيفًا على الكلمة لحنًا كما لو أن العبارة لم تكن إكليشة مازوخية قديمة، وإنما سُكَّت خصيصًا الآن لزبونه.

قبل عام كان كيلينو قد أصر على إخراج فيلمه القادم. كان واحداً من النجوم القلائل الذين كان بإمكانهم أن ينفذوا بجلودهم بطلب كهذا. ولكنه كان قد وُضع على ميزانية صارمة، وارتُهن ماله المكشوف ونسَبه لقاء تعهد بالإنجاز. كانت أفلام مالومار مشاركة بمبلغ أقصاه مليونان ثم تكون خارج المصيدة. تحسبًا لاحتمال أن يجن كيلينو فيبدأ بتصوير مائة لقطة من كل مشهد فيه آخر صديقاته أمامه أو آخر أصدقائه تحته. وكان قد شرع يفعل الأمرين بلا ضرر مشهود للفيلم. ولكنه كان قد عبث بالنص، حوارات طويلة، الأنوار رقيقة ومظللة على وجهه الباعث على اليأس، كان قد روى قصة صباه المأساوية بارتجاعات فنية معذِّبة، ليبين لماذا كان يواقع البنات والبنين على الشاشة. كان المعنى الضمنى أنه لو كانت له طفولة سوية، ما كان ليواقع أحداً، وكان عنده قطع أخير، فلم يستطع الاستوديو أن يعالج الفيلم فى غرفة التحرير بشكل قانونى. عدا أنهم كانوا سيفعلون، على أية حال، إن كان ذلك ضروريا. لم يكن مالومار شديد القلق. إن فيلمًا من بطولة كيلينو سيسترجع مليونى الاستوديو. كان ذلك مؤكداً. وكل شىء آخر لا قيمة له. ولو وقع الأسوأ، يمكنه أن يقبر الفيلم فى التوزيع، لن يراه أحد. وكان سيخرج من الصفقة بهدفه الرئيسى: أن يقوم كيلينو بدور البطولة فى رواية جون ميرلين الأفضل مبيعًا، القنبلة المدوية التى كان مالومار يشعر فى عظامه بأنها ستحقق للاستوديو ثروة.

قال هولينان:

ـ علينا أن نتدبر حملة خاصة. علينا أن ننفق مالاً كبيراً. علينا أن نبيعه على مستواه. فقال مالومار:

ـ يا عيسى المسيح. كان عادة أكثر أدبًا. ولكن كيلينو أتعبه، كان متعبًا من هولينان وكان متعبًا من الأفلام. الأمر الذى لم يكن يعنى شيئًا. كان متعبًا من النساء

الجميلات والرجال الساحرين. كان متعبًا من جو كاليفورنيا. ولكي يشغل نفسه، راح يدرس هولينان. كان عنده ضغينة عريقة ضده وضد كيلينو.

كان هولينان يلبس على نحو جميل. بدلة حرير، وربطة عنق حرير، وحذاء إيطالي، وساعة (بياجيه) (*) . كان إطار نظارته مصنوعًا خصيصًا، أسود ومرقشًا بالذهب. كان له الوجه الأيرلندي الجميل الرقيق لوعاظ التحذير من الجذام الذين يملأون شاشات تليفزيون كاليفورنيا في صباحات الأحد. كان صعبًا أن يصدق المرء أن له قلب أسود، ويفتخر به أيضًا.

قبل سنوات كان كيلينو ومالومار قد تشاجرا في مطعم عمومي، مسابقة صراخ مبتذل صارت قصة مهينة في الأعمدة وفي الحرفة. ولقد خطط هولينان وأدار حملة لجعل كيلينو يخرج من الشجار بوصفه البطل ومالومار الوغد الجبان، رئيس الاستوديو ضعيف الشخصية ينحني أمام النجم السينمائي البطل. كان هولينان عبقريا، صحيح. ولكنه قصير النظر نوعًا ما. لقد جعله مالومار يدفع من وقتها.

طوال السنوات الخمس الماضية لم يمر شهر دون أن تحمل الصحف قصة عن مساعدة كيلينو لشخص ما أقل منه حظا. أثمة فتاة مسكينة مصابة بسرطان الدم تحتاج إلى حقن دم خاص من متبرع يعيش في سيبريا؟ كانت الصفحة الخامسة من كل جريدة تخبرك بأن كيلينو قد أرسل نفاثته الخاصة إلى سيبريا. هل كان أسودُ ما ذاهبًا إلى سجن في الجنوب بسبب الاحتجاج؟ أرسل كيلينو الكفالة. عندما تمزق شرطي أيرلندي عنده سبعة أطفال حتى الموت في كمين نصبه الفهود السود في هارلم، ألم يرسل كيلينو صكا بمبلغ عشرة آلاف دولار للأرملة ويخصص منحة دراسية للأطفال السبعة جميعًا؟ عندما اتهم واحد من أعضاء الفهود السود بقتل شرطي، أرسل كيلينو عشرة آلاف دولار إلى صندوق الدفاع عنه. كلما كان نجم سينمائي قديم مشهور يصاب بمرض، كانت الصحف تلاحظ أن كيلينو يرفع رقابة مستشفاه ويطمئنه

(*) Piaget .

بدور بارز فى فيلمه التالى لكى يتوفر لسيئ السمعة القديم ما يعيش من أجله. وقد أجرى واحد من سيئى السمعة القدامى، عنده عشرة ملايين مخبوءة وكراهية لمهنته، مقابلة أهان فيها كرم كيلينو، باصقًا عليه فى الحقيقة، ولقد كان ذلك مسليًا جدا بحيث إن حتى هولينان العظيم لم يتمكن من طمسه.

وكان لهولينان مواهب خفية أكثر. كان قوادًا يجعله أنفه الحساس للنجيمات الحديثات (دانيل بونَ) (*) متاهة هوليود الفيلمية. كان هولينان غالبًا ما يباهى بتكنيكه: أخبر أية ممثلة بأنها كانت عظيمة فى دورها الصغير. قل لها ذلك ثلاث مرات فى ليلة واحدة وستسحب لباسك الداخلى إلى أسفل وتخلع قضيبك من جذوره. كان كشاف كيلينو المتقدم، مختبرًا عدة مرات مواهب الفتاة فى الفراش قبل أن يمررها له. أما أولئك العصابيات جدا، حتى وفقًا لمقاييس الصناعة المرنة، فلم يكنَّ يجتزنه إلى كيلينو. ولكن، كما كان هولينان يقول غالبًا: إن مرفوضات كيلينو خيارات جديرة بالالتقاط.

قال مالومار بأول بهجة شعر بها ذلك اليوم:

ـ انس كل شىء عن ميزانيات إعلان كبير. إنه ليس ذلك النوع من الأفلام.

نظر إليه هولينان مفكرًا:

ـ وماذا عن القيام بترويج خاص مع بعض أهم النقاد؟ ثمة اثنان منهم يدينان لك بفضل كبير.

فقال مالومار بجفاف:

ـ لن أضيعه على هذا. ولم يقل إنه سيسترد كل ديونه على الفيلم الكبير فى السنة القادمة. كان قد حصل على ذلك مرسومًا بتفاصيله، وما كان هولينان ليدير ذلك العرض. كان يريد أن يكون الفيلم القادم هو النجم، لا كيلينو.

(*) Daniel Beone .

نظر إليه هولينان مفكراً، ثم قال:

- أظننى سأضطر إلى إقامة حملتى الخاصة. فقال مالومار بسأم:

- تذكر فقط أنه لا يزال فيلماً من إنتاج أفلام مالومار. اتفق على كل شىء معى. حسناً؟.

- بالطبع، قال هولينان مع تأكيده الخاص كما لو أنه لم يخطر له أن يفعل أى شىء آخر. قال مالومار بهدوء:

- تذكر، يا جاك، إن ثمة خطا لا تجتازه معى. كائناً من كنت.

فقال هولينان بابتسامته الباهرة:

- إننى لا أنسى هذا أبداً. هل نسيت هذا؟ اسمع، ثمة امرأة عظيمة الجمال من بلجيكا. لقد أبقيتها مخفية فى جمالون فندق بيفرلى هيلز. أنعقد مؤتمر إفطار غداً؟.

قال مالومار:

- فى وقت آخر. كان متعباً من النسوة اللائى يطرن من جميع أنحاء العالم كى يواقعن. كان متعباً من كل الوجوه النحيلة، والجميلة، والمنحوتة، والأجساد النحيفة، الهيفاء، ورائعة الملابس، من كل الجمال الذى يُصوَّر معه باستمرار فى الحفلات والمطاعم والعروض الأولى. كان مشهوراً لا بكونه أكثر المخرجين موهبة فى هوليود فقط، بل بوصفه المخرج الذى لديه أجمل النساء. لم يكن إلا أصدقاؤه يعرفون أنه كان يفضل ممارسة الجنس مع الخادمات المكسيكيات السمينات اللائى يعملن فى قصره. وعندما كانوا يمازحونه بشأن هذا الانحراف، كان مالومار يخبرهم دائماً أن النسوة الجميلات فى المجلات لم يكن عندهن ما يلمسه الرجل غير عظم وشعر. وللخادمة المكسيكية لحم وعصارة. ليس أن هذا كله كان صحيحاً دائماً؛ بل إن مالومار، لمعرفته كم كان أنيقاً، كان مجرد يريد أن يظهر كراهيته لتلك الأناقة.

فى هذا الوقت من حياته، كان كل ما يريد مالومار أن يفعله هو أن يصنع فيلماً جيداً. كانت أسعد الساعات بالنسبة له بعد العشاء، عندما كان يذهب إلى غرفة التقطيع ويشتغل حتى ساعات الصباح الباكر فى تحرير فيلم جديد.

فيما أوصل مالومار هولينان إلى خارج بابه، تمتمت سكرتيرته أن كاتب الرواية كان ينتظر مع وكيله، دوران رود. أمرها مالومار أن تجلبهما. وعرفهما على هولينان.

أعطاهما هولينان معًا تقويمًا سريعًا. كان يعرف رود: مخلصًا، فاتنًا، باختصار: نصابًا. كان نمطًا. وكان الكاتب أيضًا نمطًا. الروائى الساذج الذى يأتى للعمل على نص فيلمه، فتبهره هوليود، ويحتال عليه المنتجون والمخرجون ورؤساء الاستوديوهات حتى يجردونه من حذائه. ويقع فى هوى نجيمة فيحطم حياته بتطليق زوجته التى رافقته عشرين عامًا من عمره من أجل امرأة واقعت كل مخرج توزيع أدوار فى المدينة كمجرد مقدمات. ثم ينقم على الطريقة التى يجرى بها تشويه روايته نصف الشوهاء على الشاشة. لم يكن هذا الحالى مختلفًا. كان هادئًا ومن الواضح أنه خجول ويلبس كالأجلاف. لا جلف على الموضة، التى هى الصيحة الجديدة حتى بين منتجين من أمثال مالومار والنجوم الذين يبحثون عن بنطلونات جينز زرقاء مرقعة وحائلة اللون خصيصًا جرى تفصيلها بعناية فائقة من قبل خياطين بارعين ، ولكن جلف حقيقى. وإضافة إلى ذلك فهو قبيح مثل ذلك الممثل الفرنسى اللعين الذى حقق ربحًا عاليًا جدا فى أوربا. حسنًا، سيقوم هو، هولينان، بدوره الصغير فى فرم هذا الرجل إلى نقانق الآن بالذات.

أعطى هولينان الكاتبَ، جون ميرلين، أهلاً كبيرة وأخبره أن كتابه كان الكتاب الأفضل جدا مما قرأ طوال حياته. لم يكن قد قرأه.

ثم توقف عند الباب واستدار وقال للكاتب:

ـ اسمع، سيحب كيلينو أن يتصور معك عصر اليوم. إن عندنا اجتماعًا مع مالومار بعد ذلك، وسيكون ذلك دعاية عظيمة للفيلم. أهو جيد للساعة الثالثة؟ ستكون عندئذ تقريبًا هنا، أليس كذلك؟.

قال ميرلين حسنًا. كشر مالومار. كان يعرف أن كيلينو لم يكن فى المدينة أصلاً، أنه كان يشمِّس نفسه فى (ينابيع بالم) (*) ولن يصل قبل السادسة. كان هولينان

(*) Palm Spering .

سيجعل ميرلين يتسكع من أجل لا ظهور، ليعلمه أين هو النفوذ فى هوليود. حسنًا، قد يكون خيراً له أن يتعلم.

عقد مالومار، ودوران رود وميرلين جلسة طويلة حول كتابة الفيلم. لاحظ مالومار أن ميرلين كان يبدو معقولاً ومتعاونًا أكثر من الوجع المعتاد فى الجحر. أعطى الوكيلَ الهراءَ المعتاد حول تحقيق الفيلم لقاء مليون، فى حين كان كل شخص يعرف أنهم سيضطرون أخيراً إلى إنفاق خمسة. ولم يشهد مالومار مفاجآته الأولى إلا حين انصرفوا. ذكر لميرلين أن بإمكانه انتظار كيلينو فى المكتبة. نظر ميرلين إلى ساعته وقال بلطف:

ـ لقد تجاوزت الثالثة بعشرة دقائق. إننى لا أنتظر أكثر من عشرة دقائق أبداً لأى أحد، حتى ولا لأطفالى. ثم سار خارجًا.

ابتسم مالومار للوكيل. قال: الكُتَّاب، ولكنه كان غالبًا يقول: الممثلون، بنبرة الصوت ذاتها. والمخرجون، والمنتجون. لم يقلها أبداً عن الممثلات لأنه ليس بمقدور المرء أن يلوم كائنًا بشريا عليه أن يصارع دورة حيض ويريد أن يمثل معًا. وذلك ما يجعلهن مجنونات حد اللعنة ابتداءً.

هز دوران رود كتفيه:

ـ إنه لا ينتظر حتى للأطباء. كان علينا أن ننال علاجًا معًا، وكان عندنا موعد للعاشرة صباحًا. أنت تعرف عيادات الأطباء..عليك أن تنتظر بضع دقائق. قال لموظفة الاستقبال: لقد جئت فى الوقت المحدد، فلماذا لا يلتزم الطبيب بالوقت ثم سار خارجًا.

فقال مالومار:

ـ يا مسيح.

كان يحس أوجاعًا فى صدره. ذهب إلى الحمام وتناول قرص ذبحة ثم مضى ليأخذ قيلولة على الأريكة كما كان طبيبه قد نصح. ستوقظه إحدى سكرتيراته عندما يصل هوليهان وكيلينو.

(المرأة الصخرية) هو الظهور الأول لكيلينو مخرجًا. ممثلاً، كان دائمًا رائعًا. ولكن مخرجًا، كان أقل من قادر، وفيلسوفًا، هو دعي وجدير بالازدراء. ليس معنى هذا أن المرأة الصخرية فيلم رديء. إنه ليس تافهًا حقا، فقط أجوف.

يسود كيلينو الشاشة، نصدق دائمًا الشخصية التى يمثل دورها، ولكن الشخصية التى يمثلها هنا رجل لا نهتم له. كيف يمكننا أن نهتم لرجل يبدد حياته من أجل دمية فارغة الرأس مثل (سلينا دنتون) التى تروق شخصيتها للرجال الذين ترضيهم النساء اللائى صدورهن ومؤخراتهن مدورات بإفراط بالشكل النمطى لفانتازيا للرجال المتعصبين؟ إن تمثيل سلينا دنتون، أسلوبها الخشبى - الهندى المألوف، وجهها البايخ المتلوى فى تقلصات النشوة، هو مجرد مربك ببساطة. متى سيتعلم مخرجو توزيع الأدوار فى هوليود أن النظارة يريدون مشاهدة نساء حقيقيات على الشاشة؟ إن ممثلة مثل (بيلى ستراود) بحضورها الآمر، وذكائها وفنها القوى، ومظهرها المذهل، إنها جميلة حقا لو تمكن المرء أن ينسى كل الأنماط التجارية المبعِدة التى كان الرجل الأمريكى قد ألّهها منذ اختراع التليفزيون، ربما أمكنها أن تنقذ الفيلم، وإنه لمدهش أن كيلينو، ذا التمثيل الذكى والبديهى للغاية، لم يدرك هذا عندما كان يوزع الأدوار. يفترض أنه كان عنده سلطة أكثر كنجم ومخرج ومنتج مشارك للإصرار على هذه المسألة، فى الأقل.

إن النص الذى كتبه (هاسكوم واتس) هو واحد من تلك التمارين الأدبية الزائفة التى تبدو جيدة للقراءة على الورق ولكن لا معنى فيها على الإطلاق فى التصوير فيلما. يُتوقع منا أن نشعر

بإحساس تراجيدى لرجل لا يقع له أى أمر تراجيدى، رجل يرتكب أخيرًا الانتحار لأن عودته إلى وضعه السابق كممثل تفشل، كل امرئ يفشل، ولأن امرأة فارغة الرأس، أنانية تستخدم جمالها، كلهن فى أعين الرائى، لتخونه بأكثر الطرز ابتذالاً منذ بطلات (دوما) الابن.

ونظير كيلينو إذ يحاول أن ينقذ العالم بأن يكون على الجانب الصحيح من كل مسألة اجتماعية طيب القلب لكنه، جوهريا، فاشىُّ المفهوم. إن البطل الليبرالى المعد للمعركة يتحول إلى الدكتاتور الفاشى، كما فعل موسولينى. ومعاملة النساء فى هذا الفيلم فاشية أساسًا هى الأخرى، إنهن لا يفعلن شيئًا غير التلاعب بالرجال بأجسادهن. عندما يسهمن فعلاً فى الحركات السياسية، يجرى إظهارهن محطِّمات لكفاح الرجال من أجل تحسين العالم. ألا تستطيع هوليود أن تؤمن لحظة واحدة أن ثمة علاقة بين الرجال والنساء لا يلعب فيها الجنس دورًا؟ ألا يمكنها أن تُظهر مرة لعينة واحدة أن للنساء قيمًا رجولية من إيمان بالإنسانية ونضالها الرهيب من أجل المضى إلى الأمام؟ أفلا يمتلكون الخيال للتنبؤ بأن النساء يمكن، مجرد يمكن، أن يحببن فيلمًا يصورهن ككائنات بشرية حقيقية، أكثر من هذه الدمى المتمردة المألوفة التى تحطم القيود التى يضعها الرجال حولهن.

ليس كيلينو مخرجًا موهوبًا، إنه أقل من قادر. إنه يضع الكاميرا حيث ينبغى أن تكون، لكن المشكلة الوحيدة هى أنه لا يحصل أبدًا على طريق للخروج منه. ولكن تمثيله ينقذ الفيلم من الكارثة الكاملة التى يحكمه النص المومسى بأن يكونها. إن إخراج كيلينو لا يساعد، ولكنه لا يدمر الفيلم. وباقى التوزيع هو ببساطة مروع.

ليس عدلاً ألا يحب المرء ممثلاً بسبب مظهره، ولكن (جورج فاولز) قذر أكثر مما ينبغى حتى للدور القذر الذى يمثله هنا. إن سلينا دنتون خاوية المظهر جدا حتى بالنسبة للمرأة الفارغة التى تمثل دورها. إنها ليست فكرة سيئة أن يتم التوزيع أحيانًا ضد الدور، وإربما كان ذلك ما لابد من أن كيلينو قد فعله فى هذا الفيلم. ولكنه ربما لم يكن جديراً بالإزعاج. إن فلسفة النص الفاشية، ومفهومها الرجولى المتعصب عمًا يكوِّن امرأة محبوبة، حكم على المشروع كله بالموت قبل أن يضعوا الفيلم الخام فى الكاميرا.

ـ الفرج اللعينة، قال هولينان ليس بغضب ولكن بعجز مرتبك، ماذا تريد عليها اللعنة من فيلم على أية حال؟ ويا عيسى المسيح، لماذا تواصل الاستمرار عن كون بيلى ستراود امرأة حسناء؟ طيلة سنواتى الأربعين فى السينما لم أرَ أبداً ممثلة أقبح. إن ذلك خارج فهمى. قال كيلينو مفكراً:

ـ كل هؤلاء النقاد اللعينين يتبعونها. إن بمقدورنا أن ننسى هذا الفيلم.

أصغى مالومار إلى كليهما. زوج متقارن من وجع فى الجحور. ما الذى يهم بحق الجحيم ما تقوله (كلارا فورد)؟ إن فيلمًا بطولة كيلينو سيسترد ماله ويساعد على دفع بعض مصاريف الاستوديو الإدارية. هذا هو كل ما كان يتوقعه منه إطلاقًا. وهاهو قد جعل كيلينو مربوطًا للفيلم المهم، من رواية جون ميرلين. وكلارا فورد، الذكية التى كانتها، لا تدرى أن كيلينو عنده مخرج ظهير يقوم بكل العمل دون اعتراف بوجوده.

كانت الناقدة موضع كراهية خصوصية لدى مالومار. كانت تتحدث بخبرة فائقة. تكتب جيداً جدا، وكانت بالغة النفوذ ولكن لم تكن لديها أية فكرة عما يدخل فى صناعة فيلم ما. كانت تشكو من توزيع الأدوار. أفلم تكن تدرى أنه يعتمد على من كان كيلينو ينكح فى الدور الأنثوى الرئيسى ثم على من كانت تواقع مخرج التوزيع للأدوار الأصغر؟ ألم تكن تدرى أن تلك كانت هى الامتيازات المحمية بغيرة للعديد من الناس ذوى السلطة فى أفلام معينة؟ كان ثمة ألف امرأة لكل دور صغير يمكنك أن تنكح نصفهن

من دون حتى أن تعطيهن شيئًا؛ فقط بأن تدعهن يقرأنه وتقول إنك ربما ستتصل بهن من أجل قراءة ثانية. وكل أولئك المخرجين اللعينين الذين يجمع كل منهم حريمه الخاص، هم أقوى من أعظم صانعي المال فى العالم بقدر ما يتعلق الأمر بالنسوة الذكيات الجميلات. ليس الأمر أنك حتى تتحمل عناء القيام بذلك. حتى ذلك كان إزعاجًا كبيرًا ولا يستحق العناء. إن ما كان يسلى مالومار هو أن الناقدة كانت الشخص الوحيد الذى يزعج هولينان العصى على الضرب.

وكان كيلينو غاضبًا من أجل شىء آخر:

- ما الذى تعنيه بحق اللعنة بالفاشى؟ لقد كنت معاديًا للفاشية طيلة حياتى. فقال مالومار متعبًا:

- إنها مجرد وجع فى الجحر. إنها تستخدم كلمة فاشى بالطريقة التى نستخدم فيها نحن كلمة فرج. إنها لا تعنى بها شيئًا.

فجن كيلينو كالجحيم:

- أنا لا أبالى قدر قلامة ظفر بشأن تمثيلى. ولكن لا أحد يشبهنى بالفاشيين وينفذ بجلده من ذلك.

تمشى هولينان فى الغرفة، وأوشك أن يغوص فى صندوق مالومار من سيجار (مونت كريستو)، ثم فكر فى أمر أفضل. قال:

- تلك المرأة تقتلنا. إنها تقتلنا دائمًا. ومنعك إياها من العروض الخصوصية لا يساعد، يا مالومار.

فهز مالومار كتفيه:

- ليس مفروضًا أن يساعد، إننى أفعل ذلك من أجل مِرّتى.

فنظرا إليه كلاهما باستغراب. كانا يعرفان ما تعنيه المِرة (*) ، ولكنهما كانا يعرفان أنه لم يكن من المناسب له أن يقولها. كان مالومار قد قرأها فى نص ما ذلك الصباح.

قال هولينان:

- لا هراء، إن الوقت متأخر جدا بالنسبة لهذا الفيلم، ولكن ما الذى سنفعله بحق الجحيم بشأن كلارا فى الفيلم القادم؟. فقال مالومار:

- أنت الوكيل الصحفى الشخصى لكيلينو، افعل ما تشاء. إن كلارا طفلتك.

كان يرجو أن ينهى هذا المؤتمر فى وقت مبكر. لو أنه كان هولينان وحده، لكان انتهى خلال دقيقتين. ولكن كيلينو كان واحداً من النجوم العظماء حقا، ولابد من تقبيل مؤخرته بحلم غير محدود وعروض حب فائقة.

كان مالومار قد خطط لبقية النهار والمساء أن يقضيهما فى غرفة التقطيع. متعته الأعظم. كان واحداً من أعظم محررى الأفلام فى الصنعة، وهو يعرف ذلك. وإضافة إلى ذلك، كان يحب تقطيع فيلم بحيث تتساقط كل رءوس النجيمات على الأرض. كان سهلاً معرفتهن. الصور المقرَّبة غير الضرورية لفتاة حسناء تراقب التمثيل الرئيسى. كان المخرج قد واقعها عابراً، وتلك كانت طريقته فى السداد. كان مالومار فى غرفة تقطيعه يقطعها تماماً ما لم يكن يحب المخرج أو الاحتمال الواحد فى المليون بأن تكون اللقطة ناجحة. يا للمسيح، كم امرأة يتشبثن ليرين أنفسهن هناك على الشاشة لجزء من ثانية، ظانَّات أن جزءاً من الثانية سيرسلهن على طريق الشهرة والثروة؟ إن جمالهن وموهبتهن سيومضان كالصاعقة؟ كان مالومار متعباً من النساء الجميلات. كن وجعًا فى الجحر، خاصة إن كن ذكيات. ولا يعنى هذا أنه لم يتم الإيقاع به بين آونة وأخرى. كان قد نال سهمه من الزيجات الكارثية، ثلاثًا، وجميعها بممثلات. كان الآن يبحث عن أية امرأة لا تنصب عليه من أجل شيء ما. كان يشعر نحو الفتيات الجميلات كما يشعر المحامى نحو سماع هاتفه يرن. إنه لا يمكن إلا أن يعنى المشاكل.

قال كيلينو:

- استدع واحدة من سكرتيراتك إلى هنا.

(*) الصفراء، إفراز الكبد الذى يخزن فى المرارة.

رن مالومار الجرس على مكتبه فظهرت فتاة عند الباب كما لو بالسحر. وكان ذلك خيراً لها. كان لمالومار أربع سكرتيرات: اثنتان تحرسان الباب الخارجي لمكاتبه، واثنتان أخريان تحرسان باب الحرم المقدس الداخلي، واحدة على كل جانب كالتنين. كائنة ما كانت الكوارث التي تحدث - ما إن يرن مالومار جرسه حتى يظهر شخص ما. قبل ثلاث سنوات كان المستحيل قد وقع. كان قد ضغط زر الجرس فلم يحدث شيء. كانت إحدى السكرتيرات تعاني من انهيار عصبي في مكتب تنفيذي مجاور، وكان منتج مستقل يعالجها بشيء من التمسيد. وكانت الثانية قد اندفعت إلى الطابق الأعلى إلى قسم المحاسبة لتحصل على بعض الأرقام بخصوص الحسابات النهائية لفيلم ما. وكانت الثالثة خارجة بسبب المرض في ذلك اليوم. وقد هوجمت الرابعة والأخيرة برغبة موجعة في التبول، ولكن ذلك لم يكن كافياً. في تلك الثواني القاتلة رن مالومار جرسه ولم تكن السكرتيرات الأربع ضمانة كافية. لم تظهر أية واحدة. فتم طردهن جميعاً.

أملى كيلينو الآن رسالة إلى كلارا فورد. أعجب مالومار بأسلوبه. وعلم ما الذي كان يرمي إليه. لم يكلف نفسه عناء إخبار كيلينو أنه لم تكن ثمة فرصة. كان هذا ما أملاه كيلينو:

- عزيزتي الآنسة فورد. إن إعجابي بعملك وحده هو الذي يحملني على كتابة هذه الرسالة إليك وأشير إلى بعض النقاط التي أختلف فيها مع عرضك لفيلمي الجديد. أرجوك ألا تعتبري هذه شكوى من أي نوع. إنني أحترم استقامتك بما يكفي لأن أجلّ ذكاءك كثيراً جدا بحيث لا أرفع شكوى سخيفة. إنني أريد أن أقرر فقط بأن فشل الفيلم، إن كان حقا فشل، يعود كليًّا إلى عدم خبرتي كمخرج. إنني لا أزال أعتبر أن النص كان جيد الكتابة. وأظن أن الناس الذين عملوا معي في الفيلم كانوا جيدين جدا وأنا الذي أعقتهم كمخرج. هذا كل ما لديّ لأقوله عدا أنني لا أزال واحداً من المعجبين بك ولربما أمكننا الالتقاء ذات يوم كي نتغدى معًا ونتناول شرابًا ونتحدث حديثًا حقيقيا عن الفيلم والفن. أحس أن ثمة الكثير جدا مما أتعلمه قبل أن أخرج فيلمي التالي، الذي لن يكون بعد وقت طويل، أؤكد لك، ومن هو الشخص الأفضل منك؟ المخلص، كيلينو.

قال مالومار:

ـ لن تنفع. فقال هولينان:

ـ ربما . قال مالومار:

ـ عليك أن تطاردها وتجننها. وإنها لامرأة أذكى من أن تنوب أمام محفوظاتك من الهراء.

قال كيلينو:

ـ إننى معجب بها حقا. إننى أريد حقا أن أتعلم منها.

ـ لا تبال بذلك، أوشك أن يصير كلام هولينان هذا صراخًا:

ـ واقعها. يا للمسيح. ذاك هو الجواب. واقعها حتى تجننها.

فجأة وجدهما مالومار لا يطاقان كليهما. قال:

ـ لا تفعل ذلك فى مكتبى. اخرجا من هنا ودعانى أشتغل.

فغادرا. لم يهتم بأن يوصلهما إلى الباب.

فى الصباح التالى كان هولينان، فى جناحه الخاص من المكاتب فى استوديوهات الثقافات الثلاث، يفعل ما يحب أن يفعله أكثر من أى شىء آخر. كان يهيئ بيانًا صحفيا سيجعل أحد زبائنه يبدو مثل الله. كان قد راجع عقد كيلينو ليتأكد من أن له سلطة أن يفعل ما كان لابد من أن يفعله، ثم كتب:

استوديوهات الثقافات الثلاث وأفلام مالومار

تقدم

إنتاجًا من مالومار ـ كيلينو

تمثيل

أوغو كيلينو

فاى ميدوز

فى فيلم أوغو كيلينو

نزهة متهورة بالسيارة

من إخراج بيرنارد مالومار

وتمثيل..، ثم خربش بضعة أسماء بخط صغير جدا ليشير إلى صغر الحروف التى تطبع بها. ثم وضع: المنتجون المنفذون: أوغو كيلينو وهاغان كورد. ثم: إنتاج مالومار وكيلينو، ثم أشار إلى حرف أصغر كثيراً: سيناريو جون ميرلين عن رواية لجون ميرلين. استرخى إلى وراء فى مقعده وتأمل عمله. رن لسكرتيرته لتطبعه ثم طلب من سكرتيرته أن تجلب ملف نعي كيلينو.

كان يحب النظر إلى ذلك الملف. كان سميكًا بالعمليات التى ستنفذ عند وفاة كيلينو. كان هو وكيلينو قد اشتغلا لمدة شهر فى ينابيع بالم لإكمال الخطة. ليس الموضوع أن كيلينو كان يتوقع أن يموت، وإنما كان يريد أن يتأكد من أنه، عندما يموت، سيعرف كل امرئ أى رجل عظيم كان. كان ثمة حافظة أوراق سميكة تحتوى أسماء كل شخص عرفه فى شغل الأفلام الذين ينبغى أن يتم الاتصال بهم لأخذ تعليقاتهم عند وفاته. وكان ثمة مخطط تمهيدى كامل عن تكريم تليفزيونى. عرض خاص من ساعتين.

كان سيطلب إلى كل أصدقاء النجم أن يظهروا. كان ثمة قصاصات معينة من الأفلام فى حافظة أخرى عن كيلينو فى أفضل أدواره يتم عرضها فى ذلك العرض الخاص. كان ثمة قصاصة فيلم عنه يتسلم جائزة أوسكار كأفضل ممثل. وكان ثمة مخطط كوميديا مكتوب بشكل كامل يهزأ فيه أصدقاؤه من طموحاته فى أن يصير مخرجًا.

كان ثمة قائمة بجميع الأشخاص الذين ساعدهم كيلينو كى يستطيع بعضهم أن يرووا وقائع صغيرة تتعلق بكيفية إنقاذ كيلينو إياهم من هوة اليأس شريطة ألا يخبروا بذلك أحدًا.

كانت ثمة ملاحظة عن أولئك الزوجات السابقات اللائى يتم الاتصال بهن من أجل التعليق وأولئك اللائى لا يتم الاتصال بهن. وكانت ثمة خطط لزوجة واحدة بالذات: أن يتم تطييرها خارج البلاد فى رحلة إلى أفريقيا فى يوم وفاة كيلينو كى لا يتمكن أحد فى وسائل الإعلام من الاتصال بها. وكان ثمة نائب رئيس سابق للولايات المتحدة قد أدلى بتعليقه سلفًا.

فى الملف كانت ثمة رسالة حديثة إلى كلارا فورد يطلب إليها فيها أن تسهم بتأبين كيلينو. كانت مكتوبة على ورق صحيفة، لوس أنجلوس تايمز، الرسمى، وكانت حقيقية ولكن أوحى بها هولينان. كان قد حصل على نسخته من جواب كلارا فورد ولكنه لم يعرضه أبدًا على كيلينو. قرأه مرة أخرى. إن كيلينو ممثل موهوب قام ببعض العمل الرائع فى السينما، وإنه لأمر محزن أن يكون قد توفى مبكرًا جدا بحيث لم يتمكن من تحقيق العظمة التى ربما كانت تنتظره بالدور المناسب والإخراج المناسب.

كل مرة كان يقرأ فيها هولينان تلك الرسالة كان يضطر إلى تناول شراب آخر. لم يكن يدرى أيهما يكره أكثر: كلارا فورد أم جون ميرلين. كان هولينان يكره الكتاب المتكبرين بمجرد رؤيتهم، وكان ميرلين واحدًا منهم. من كان، عليه اللعنة، بحيث لا يستطيع الانتظار ليتصور مع كيلينو؟ ولكنه فى الأقل سيتمكن من تقويم عربة ميرلين، ولكن فورد كانت خارج متناوله. حاول أن يتسبب فى فصلها بتنظيم حملة رسائل كراهية من المعجبين، باستخدام كل ضغط استوديوهات الثقافات الثلاث، ولكنها كانت، ببساطة، قوية جدا بالنسبة له. كان يرجو أن يحظى كيلينو بحظ أطيب معها مما حظى هو، ولكنه سرعان ما سيعرف. لقد كان كيلينو على موعد معها. كان قد أخذها إلى عشاء ليلة أمس، وكان سيتصل به حتمًا ويقدم له تقريرًا عن كل ما حدث.

- ٢٨ -

فى أسابيعى الأولى فى هوليود بدأت أفكر فيها كما لو كانت أرض الأمبيديات. تصورٌ مسلٍّ، على الأقل لى، حتى ولو كان يهبط بمستوى المرء قليلاً.

الأمبيد حشرة. الأنثى منها آكلة لحم. ويشحذ العمل الجنسى شهيتها بحيث إن الذكر، فى لحظة نشوته، يجد نفسه بلا رأس.

ولكن فى واحدة من هذه العمليات التطورية العجيبة تعلَّم ذكر الأمبيد أن يجلب قطعة صغيرة من الطعام إلى نسيج يُغزل من جسده. وبينما تسلخ الأنثى القاتلة النسيج، يركبها، يسافدها ويحقق تخلصه.

وقد حسب أمبيدٌ ذكرٌ أكثر تطوراً أن كل ما ينبغى أن يفعله هو أن يغزل نسيجًا حول حصاة صغيرة، أو أية قطعة صغيرة من السقط. وفى قفزة تطورية عظيمة صار ذكر ذبابة الأمبيد منتجًا هوليوديًا. عندما ذكرت ذلك لمالومار، كشر وألقى علىَّ نظرة قذرة، ثم ضحك. قال:

- حسنًا، أتريد أن تجد رأسك اللعين يقطع من أجل قطعة عجيزة؟.

فى البدء كان يدهشنى كل امرئ قابلته بوصفه شخصًا يمكن أن يأكل أذن أحد ما أو قدمه أو مرفقه ليصير ناجحًا. ومع ذلك، فيما طالت إقامتى، أدهشتنى العاطفة التى كان الناس يُشركونها فى صناعة الأفلام. لقد كانوا يعشقونها حقا. مراقبات النصوص، والسكرتيرات، ومحاسبو الاستوديوهات، والمصورون، والمالكون، والطواقم الفنية، والممثلون والممثلات، والمخرجون وحتى المنتجون. كلهم يقولون الفيلم الذى صنعتُه. كلهم يعتبرون أنفسهم فنانين. لاحظت أن الوحيدين المعنيين بالأفلام الذين لا يتكلمون

بهذه الطريقة هم عادة كتَّاب السيناريو. ربما كان ذلك لأن الجميع كانوا يعيدون كتابة نصوصهم. كان كل امرئ يُدخل قطعة سنتيه (*) اللعينة فيه. حتى مراقبة النص كانت تغير سطرًا أو سطرين، أو تعيد زوجة ممثل كتابة دور زوجها، فيأتى به هو فى اليوم التالى ويقول إن تلك هى الطريقة التى يتصور أنه ينبغى أن يُمثِّل بها. طبيعى أن إعادة الكتابة كانت تعرض مواهبه أكثر مما تقدم هدف الفيلم. كان ذلك أمرًا مزعجًا للكاتب. كان الجميع يريدون شغله.

خطر لى أن صناعة الأفلام شكل فنى هاوٍ إلى درجة بعيدة وهذا كاف بشكل برىء لأن الوسط، الناقل، ذاته، قوى جدا. باستخدام تركيب من الصور الفوتوغرافية، والأزياء، والموسيقى، وباختصار: خط القصة، يمكن لناس بلا أية موهبة إطلاقًا أن يخلقوا أعمالاً فنية. ولكن ربما كان ذلك يمضى أبعد مما ينبغى. إن بإمكانهم فى الأقل أن ينتجوا شيئًا جيدًا بما يكفى لإعطاء أنفسهم إحساس أهمية، وقيمة ما.

يمكن للأفلام أن تمنحك متعة كبرى وتحركك عاطفيا. ولكن بإمكانها أن تعلمك قليلاً. لا يمكنها أن تسبر أعماق شخصية ما كما تستطيع الرواية أن تفعل. لا يمكنها أن تعلمك كما تستطيع الكتب أن تعلمك. لا يمكنها إلا أن تجعلك تشعر، لا يمكنها أن تجعلك تفهم الحياة. إن الفيلم سحرى جدا بحيث يمكنه أن يعطى كل شىء تقريبًا بعض القيمة. يمكن أن يكون لكثير من الناس شكلاً من مخدر، أو كوكايين غير مضر. ولآخرين يمكن أن يكون شكلاً من أشكال العلاج الثمين. من الذى لا يريد أن يسجل حياته الماضية أو مسالكه القادمة كما يريدها أن تكون لكى يتمكن من عشق ذاته؟

على أية حال، كان هذا تصويرًا استطعت أن أقوم به لعالم السينما، فى ذلك الوقت. وفيما بعد، عندما عضتنى البقة نفسها، أحسست أن ذلك ربما كان رأيًا قاسيًا جدا.

تعجبت من القوة التى كان يبدو أن صنع الأفلام يحوزها على الجميع. كان مالومار يعشق باندفاع صنع الأفلام. كان كل الناس الذين يشتغلون فى الأفلام

(*) إشارة إلى تشغيل الهاتف العمومى بمسكوك من فئة السنتين.

يكافحون كى يسيطروا عليها: المخرجون، والنجوم، والمصورون الرئيسيون، وأساطين الاستوديو.

كنت أدرك أن السينما هى الفن الأكثر حيوية فى عصرنا، فكنت غيوراً . فى كل حرم جامعى، كان الطلاب ، بدل أن يكتبوا روايات، يصنعون أفلامهم الخاصة. وفجأة خطر لى أنه ربما كانت فائدة الفيلم ليست حتى فنًا. إنها كانت نوعًا من العلاج. كان كل امرئ يريد أن يروى قصة حياته، وعواطفه هو، وأفكاره بالذات. ومع ذلك، كم كتاباً نُشر من أجل الهدف ذاته ؟ ولكن السحر لم يكن بتلك القوة فى الكتب أو الرسم أو الموسيقى. إن الأفلام تربط كل الفنون، لابد من أن الأفلام عصية على المقاومة. بتلك الترسانة القوية من الأسلحة لابد من أن يكون مستحيلاً صنع فيلم ردىء. يمكن للمرء أن يكون أكبر جحر فى العالم ويصنع، مع ذلك، فيلماً مثيراً للاهتمام. فلا عجب أن يكون ثمة الكثير من محاباة الأقارب فى صناعة الأفلام. ليس بمقدور المرء، حرفيا، أن يدع ابن أخ يكتب سيناريو، ويأخذ صديقة فيجعلها نجمة، أو يجعل ابنه رئيس استوديو. يمكن للأفلام أن تخلق فنانًا ناجحًا من كل شخص. لا مزيد من ميلتونات (*) بُكْم.

وما السبب فى أن ممثلاً ما لم يقتل أبدًا مخرجًا أو منتجًا؟ كان ثمة، عبر السنين، لابد، كثير من الأسباب، المالية والفنية. كيف جرى أن مخرجًا ما لم يقتل رئيس استوديو؟ لماذا لم يقتل كاتب أبدًا مخرجًا؟ لابد من أن صناعة الفيلم تطهر الناس من العنف، إنها كانت علاجية.

أيمكن أن يصير ذات يوم أحد العلاجات الأكثر فاعلية للمضطربين عاطفيا تركهم يصنعون أفلامهم الخاصة؟ يا للمسيح، فكروا فى أن كل الحرفيين فى دنيا الأفلام مجانين أو أشباه مجانين على أية حال. كان الممثلون والممثلات مشهوداً لهم بذلك بالتأكيد.

إذن، ذلك ما سيكون. فى المستقبل سيلزم كل امرئ بيته ويشاهد الأفلام التى صنعها أصدقاؤه كى يتجنبوا الجنون. ستنقذ الأفلام حياته. فكر فى الأمر على هذا

(*) جمع Milton والمقصود به John .

النحو. وأخيراً، يمكن لكل جحر أن يكون فنانًا. بالتأكيد، لو أن الناس فى هذه التجارة يمكنهم أن يخرجوا أفلامًا جيدة، فبمقدور كل امرئ أن يفعل. هنا عندك مصرفيون، وصناع ملابس، ومحامون، إلخ.. يقررون أية أفلام ينبغى صنعها. ليس عندهم حتى ذلك الجنون الذى قد يساعد على خلق الفن. إذن فما الذى يمكن خسرانه لو أن كل جحر صنع فيلمًا؟ لقد كانت المشكلة الوحيدة هى خفض التكاليف. لن تكون بحاجة بعد إلى تحليلات نفسية أو موهبة. يمكن لكل امرئ أن يكون فنانًا.

كل أولئك الناس، غير المحبوبين، لم يفهموا أبدًا أنه تعيَّن عليك أن تعمل كى تصير محبوبًا، ومع ذلك فعلى رغم نرجسيتهم، وطفوليتهم، وحبهم لأنفسهم، يمكنهم الآن أن ينقلوا صورتهم الداخلية عن أنفسهم إلى ظاهر محبوب على الشاشة. يجعلون أنفسهم محبوبين كظلال. دون أن يستحقوا ذلك فى الحياة الواقعية. وبالطبع، يمكنك أن تقول إن كل الفنانين يفعلون ذلك؛ فكر فى صورة الكاتب العظيم بوصفه أحمق يطلق العنان لأهوائه فى حياته الشخصية. أوزانو. ولكن لابد لهم، على الأقل، من أن يكون عندهم بعض الموهبة فى فنهم يعطى متعة أو تعليمًا أو فهمًا أعمق.

ولكن، مع الفيلم كان كل شىء ممكنًا من دون موهبة، من دون أية موهبة. يمكنك أن تجد أحمق ثريًا حقا يصنع من قصة حياته فيلمًا، دون مساعدة مخرج عظيم، وكاتب عظيم، ونجم عظيم، إلخ، إلخ.. بمجرد سحر الفيلم يجعل نفسه بطلاً. إن المستقبل العظيم للفيلم، بالنسبة لكل هؤلاء الناس، أنه يمكن أن ينجح دون موهبة، مما لا يعنى أن ليس بمقدور الموهبة أن تجعله أفضل.

لأننا كنا نشتغل عن كثب على النص، قضينا أنا ومالومار وقتًا طويلاً معًا، فى بعض الأحيان إلى وقت متأخر من الليل فى بيته المغولى الفيلمى حيث لم أكن أشعر بالراحة. كنت أجده كبيراً جدا على شخص واحد. الغرف الضخمة ثقيلة الأثاث، وملعب التنس، المسبح والبيت المنفصل الذى يضم غرفة العرض. ذات ليلة عرض أن يرينى فيلمًا جديداً، فقلت له إننى لا أحب الأفلام كثيراً. أظن أن ازدرائى كان واضحًا لأنه سخط قليلاً. قال:

- أنت تدرى أنه كان يمكننا أن نشتغل على نحو أفضل على هذا النص لو أنك لم تكن تُكنُّ مثل هذا الاحتقار لصناعة السينما.

لسعنى ذلك قليلاً. فأولاً كنت أزدهى بنفسى بأن حسن سلوكى كان أفضل من أن أُظهر شيئًا كهذا. وثانيًا، كان عندى فخر حرفى فى عملى وهو كان يخبرنى أننى كنت أعبث. وكذلك لأننى صرت أحترم مالومار. لقد كان المنتج والمخرج وكان بمقدوره أن يتسلط علىَّ فيما كنا نعمل معًا، ولكنه لم يفعل ذلك أبدًا. وعندما كان يقدم اقتراحًا بتغيير النص، كان عادة ما يكون على حق. وعندما يكون مخطئًا وكنت أبرهن على ذلك فى نقاش، كان يذعن لى. باختصار، لم تكن تنطبق عليه كل أفكارى المتصوَّرة سلفًا عن أرض الأمبياد.

وهكذا، فبدلاً من مشاهدة الفيلم أو العمل على النص، تعاركنا تلك الليلة. أخبرته كيف أشعر عن صناعة السينما والناس فيها. وكلما ازداد كلامى قل غضب مالومار، وأخيرًا راح يبتسم. قال:

- إنك تتكلم مثل امرأة لم تعد تستطيع الحصول على رجال بعد. إن السينما هى شكل الفن الجديد، إنك قلق على صيرورة عملك باطلاً. كل ما هنالك أنك تغار. فقلت:

- لا تستطيع الأفلام أن تقارن بالروايات. لا يمكن للأفلام أبدًا أن تفعل ما تفعله الكتب. فقال مالومار:

- هذا غير مهم. إن الأفلام هى ما يريده الناس الآن وفى المستقبل. وكل هذرك عن المنتجين وذبابة الأمبيد. جئت إلى هنا من أجل بضعة أشهر وأنت تصدر الأحكام على كل إنسان. إنك تضعنا جميعًا فى الأسفل. ولكن كل شغل مشابه. الجميع يلوحون بتلك الجزرة على عصا. بالتأكيد، إن ناس السينما مجانين إلى حد اللعنة، بالتأكيد هم ينصبون، بالتأكيد يستخدمون الجنس كما خرز المقايضة، ولكن: ثم ماذا؟ إن ما تجهله أنهم جميعًا: منتجين وكُتَّابًا، مخرجين وممثلين، يمرون بألم كبير. إنهم يدرسون شغلهم أو حرفتهم سنوات ويشتغلون بجد أكثر من أى ناس آخرين أعرفهم. إنهم مخلصون

حقا، ومهما قلت فإن صناعة فيلم جيد تحتاج إلى موهبة، وحتى إلى عبقرية. إن هؤلاء الممثلين والممثلات مثل أفراد صف المشاة البائسين. إنهم يُقتلون. وهم لا يحصلون على الأدوار الجيدة عن طريق العبث. ينبغي أن يبرهنوا على كونهم فنانين، يجب أن يعرفوا حرفتهم. صحيح أن ثمة جحوراً ومجانين في هذه التجارة يدمرون فيلماً قيمته خمسة ملايين دولار بوضع رفيقهم أو رفيقتهم فيه. ولكنهم لا يدومون طويلاً. ثم إنك تواصل حول المنتجين والمخرجين. حسناً، ليس عليَّ أن أدافع عن المخرجين. إنه أصعب شغل في الصناعة. ولكن للمنتجين وظيفة هم أيضاً. إنهم مثل مروضي الأسود في حديقة حيوانات. أتدري ما يعني صنع فيلم؟ أولاً عليك أن تقبِّل عشر مؤخرات في الهيئة المالية لاستوديو ما. ثم أن عليك تكون أُمّاً وأباً لبعض النجوم الحمقى المجانين. عليك أن تبقى الطواقم الفنية سعداء وإلا فسيغتالونك بالتمارض والعمل الإضافي. ثم عليك أن تبعدهم جميعاً عن اغتيال بعضهم بعضاً. انظر، إنني أكره موسى وارتبورغ، ولكنني أقدر أن لديه عبقرية مالية تساعد على إبقاء صناعة السينما منطلقة. إنني أحترم تلك العبقرية بقدر ما أغتاظ من نوقه الفني. وإن عليَّ أن أحاربه طوال الوقت بوصفي منتجاً ومخرجاً. وأظن أنه حتى أنت تعترف بأن بضعة من أفلامي يمكن تسميتها أعمالاً فنية. فقلت:

- هذا على الأقل نصف هراء. فقال مالومار:

- إنك توالي الحط من المنتجين. حسناً، إنهم الناس الذين يجعلون الأفلام مترابطة. إنهم يفعلون ذلك عن طريق إنفاق سنَتين مقبِّلين مئات من الأطفال المختلفين؛ والأطفال الماليين، والأطفال الممثلين، والأطفال المخرجين، والأطفال الكتاب. وعلى المنتجين أن يغيروا حضاناتهم، ويستنشقوا أطناناً من الخراء حتى أدمغتهم. ربما لهذا السبب يكون لديهم مثل هذا الذوق البائس. ومع ذلك، فإن كثيرين منهم يؤمنون بالفن أكثر من الموهبة. أو بخياليته. إنك لا ترى أبداً منتجاً لا يظهر عند توزيع جوائز الأكاديمية ليأخذ أوسكاره. قلت:

- ذلك مجرد غرور، لا إيمان بالفن. فقال مالومار:

- أنت وفنك اللعين. بالتأكيد، إن فيلمًا واحدًا فقط من مائة يستحق شيئًا، ولكن ماذا عن الكتب؟. فقلت مدافعًا:

- للكتب وظيفة مغايرة. الأفلام لا تستطيع أن تبيِّن غير الظاهر. فهز مالومار كتفيه:

- إنك حقا وجع فى الجحر. قلت:

- ليست الأفلام فنا. إنها حيل سحرية للأطفال. كنت أومن نصفيا بذلك فقط. تنهد مالومار:

- ربما كانت لديك الفكرة الصحيحة. فى أى شكل، كل الأمر سحر، وليس فنا. إنه مزيف بحيث ينسى الناس ما يتعلق بالصباغ.

لم يكن ذلك صحيحاً، ولكننى لم أجادل. كنت أعرف أن مالومار يعانى من مشكلة منذ نوبته القلبية فلم أكن أريد أن أقول إن ذلك كان ما يؤثر فيه. بالنسبة لى كان الفن هو ما يجعل الإنسان يفهم كيف يعيش.

حسنًا، إنه لم يقنعنى إذن، ولكننى صرت بعد ذلك أنظر فيما حولى بطريقة أقل تحيزًا. ولكنه كان محقا فى شيء واحد. كنت أغار من الأفلام. كان العمل سهلاً جدا، والمكافآت مربحة جدا، والشهرة مدوخة. كرهت فكرة العودة إلى كتابة الروايات وحيداً فى غرفة. تحت كل احتقارى كان ثمة حسد طفولى. كان شيئًا لم أستطع أبدًا أن أكون حقا جزء منه؛ لم يكن عندى الموهبة أو المزاج لذلك. سأظل أكرهه دائمًا بطريقة ما لأسباب نفّاجة أكثر منها أخلاقية.

لقد قرأت كل شيء عن هوليود، وأقصد بهوليود حقا تجارة السينما. كنت قد سمعت كتّابًا يعودون شرقًا، خاصة أوزانو، ويلعنون الاستوديوهات، ويسمون المنتجين أسوأ متطفلين منحلِّين فى العالم، ورؤساء الاستوديوهات الرجال الأكثر فجاجة وفظاظة على هذا الجانب من القردة، والاستوديوهات نصابة ومتغطرسة ومجرمة للغاية بحيث إنها تحول (اليد السوداء) إلى (الأخوات العذبات للإحسان). حسنًا، كيف عادوا من هوليود، كذلك دخلت أنا.

كنت أحوز كل الثقة فى العالم على أن بمقدورى معالجتها. عندما أخذنى دوران إلى أول لقاء مع مالومار وهولينان، اكتشفتهما للتو. كان هولينان يسيراً. ولكن مالومار كان أكثر تعقيداً مما توقعت. كان دوران، بالطبع، كاريكاتوراً. ولكن لابد من قول الحقيقة وهى أننى كنت أحب دوران ومالومار. ولقد كرهت هولينان من النظرة الأولى. وعندما أخبرنى هولينان أن أتصور مع كيلينو، أوشكت أن أقول له أن ينبعص. وعندما لم يأت كيلينو فى الوقت المحدد، خرجت. إننى أكره انتظار أى شخص. إننى لا أغضب عليهم إذ يتأخرون، فلماذا يغضبون إذن على كونى لم أنتظر؟

كان ما يجعل هوليود فاتنة هو الأنواع المختلفة من ذبابة الأمبيد.

شبان ببطاقات تدل على أنهم خضعوا لجراحة قطع القناة الدافقة، وعلب أفلام تحت آباطهم، ونصوص وكوكايين فى شققهم بالاستوديوهات. يأملون أن يصنعوا أفلامًا، ويبحثون عن فتيات وشبان موهوبات وموهوبين كى يقرأن ويقرأوا أدواراً ويواقعونهن أو يواقعونهم لتمضية الوقت. ثم كان ثمة المنتجون الحقيقيون الذين لهم مكاتب فى مواقع الاستوديو وسكرتيرة، إضافة إلى مائة ألف دولار كمالٍ لتظهير الأفلام. يتلفنون للوكلاء ووكالات توزيع الأدوار كى يرسلوا لهم ناسًا. إن لهؤلاء المنتجين على الأقل فيلمًا يشهد لصالحهم. عادة فيلم مغْفل قليل الميزانية لم يسترد أبداً كلفة الفيلم الخام وانتهى إلى أن يُعرض على الطائرات وفى دور سينما الدرايف إن (*)، كان هؤلاء المنتجون يدفعون لأسبوعية فى كاليفورنيا عن تعليقات تقول عن فيلمهم إنه واحد من أفضل عشرة أفلام للسنة. أو عن تقرير مزروع فى فاريتى (**) يقول إن الفيلم تجاوز (ذهب مع الريح) فى (أوغندا)، الأمر الذى يعنى أن (ذهب مع الريح) لم يعرض هناك أبداً. لدى هؤلاء المنتجين عادة صور لنجوم كبار على مناضدهم مكتوب عليها مع الحب. إنهم يقضون النهار فى مقابلة ممثلات مكافحات جميلات جادات حتى الموت بشأن عملهن ولا فكرة عندهن أن الأمر كان بالنسبة للمنتجين مجرد طريقة لقتل ما بعد

(*) Drive in : سينما يدخلها الرواد بسياراتهم، ويبقون فيها ليشاهدوا العروض.
(**) Variety : (ومجلة منوعات).

الظهيرة وربما فى الحصول على عملية مص قد تحسن شهيتهم للعشاء. ولو كانوا متلهفين حقا على ممثلة ما، فإنهم يأخذونها إلى الغداء فى مطعم الاستوديو ويقدمونها إلى ثقيلى الوزن الذين يمكن أن يمروا من هناك. وكان ثقيلو الوزن، الذين سبق أن مروا بالتجربة ذاتها فى عهد غرارتهم، يقفون بلا حراك لهذه اللعبة إن لم يكن ذلك المنتج يتجاوز الحدود كثيراً. لقد كبر ثقيلو الوزن على لعب الأطفال هذا. لقد كانوا مشغولين جدا إلا إذا كانت الفتاة شيئًا خاصًا. وعندئذ كانت ربما تحظى بلقطة.

وكان البنات والأولاد يعرفون اللعبة، يعلمون أنها كانت دورة مدبرة جزئيا، ولكنهم كانوا يعرفون أيضًا أنهم يمكن أن يجدوا حظًا. وهكذا فهم يقتنصون فرصهم مع منتج، أو مع مخرج، أو مع نجم، ولكن إن كانوا يعرفون نسيجهم حقا وعندهم بعض العقل، فإنهم ما كانوا ليعلقوا آمالهم على كاتب. إننى أدرك الآن كيف أن أوزانو كان قد شعر.

ولكن أيضًا، كنت أفهم دائمًا أن هذا جزء من الفخ. إلى جانب المال والأجنحة الوثيرة والتملق والجو المدوِّخ لاجتماعات الاستوديوهات والشعور بالأهمية فى صنع فيلم كبير. وهكذا فإننى لم أعلق حقا بالشص. إذا ما كنت أحس قليلاً من الحشرية، كنت أطير إلى فيجاس وأقامر لأبردها. وكان كولى يحاول على الدوام أن يرسل دمية عالية الطبقة إلى غرفتى. ولكننى كنت أرفض دائمًا. لا لأننى كنت متزمت السلوك، وكنت أحس بالطبع، غواية. ولكننى كنت أحب المقامرة أكثر وكان عندى ذنوب كثيرة.

قضيت أسبوعين فى هوليود ألعب التنس، وأخرج إلى العشاء مع دوران ومالومار، أذهب إلى حفلات. كانت الحفلات مسلية. وفى إحداها التقيت نجمة خابية كانت بطلة استمنائى عندما كنت مراهقًا. لابد من أنها كانت فى الخمسين، ولكنها كانت لاتزال تبدو جميلة جدا بشد الوجه وجميع أنواع مساعدات التجميل. ولكنها كانت سمينة بعض الشىء وكانت منفوخة من الكحول. سكرت وحاولت أن تواقع كل ذكر وأنثى فى الحفلة ولكنها لم تستطع العثور على من يأخذها. وقد كانت هذه فتاة كان ملايين الشبان الأمريكان حمر الدم حلموا بها ذات يوم. وجدت ذلك مثيراً للاهتمام نوعًا ما.

وأظن أن حقيقة الأمر هى أن ذلك أحبطنى أيضـًا . كانت الحفلات جيدة. وجوه مألوفة لممثلين وممثلات. وكلاء ينطلقون بثقة. منتجون فاتنون، مخرجون أقوياء. لابد من أن أقول إنهم أكثر سحرًا وإثارة للاهتمام مما كنت أنا أبدًا فى حفل ما .

ثم أحببت الطقس المنعش. أحببت شوارع بيفرلى هيلز المشجرة بالنخيل، وأحببت التسكع حول (الغابة الغربية) (*) بكل دورها السينمائية وصبية الكليات الصغار حيث صنع الأفلام مع فتيات رائعات الجمال حقا . فهمت لماذا تم بيع كل روائيى ثلاثينيات القرن العشرين أولئك. لماذا يقضى المرء خمس سنوات فى كتابة رواية تكسب ألفى دولار عندما يمكنه أن يحيا هذه الحياة ويكسب المبلغ نفسه خلال أسبوع واحد؟

أثناء النهار كنت أشتغل فى مكتبى، أعقد المؤتمرات بشأن النص مع مالومار، أتناول الغداء فى مطعم الاستوديو، وأتحول إلى موقع وأراقب تصوير الفيلم. فى الموقع كانت قوة الممثلين والممثلات تفتننى دائمًا . وقد فزعت ذات مرة حقا . كان زوجان شابان يمثلان مشهدًا يقتل فيه الفتى صديقته فيما هما يمارسان الحب. بعد المشهد سقطا كلاهما بين ذراعى أحدهما الآخر وبكيا كما لو كانا جزءًا من مأساة حقيقية. وسارا خارجين من الموقع يحتضن أحدهما الآخر.

كان الغداء فى مطعم الاستوديو مسليًا . إنك تلتقى كل الناس الذين يمثلون فى الأفلام، وكان يبدو كما لو أن الجميع قد قرأوا كتابى، على الأقل كانوا يقولون إنهم فعلوا . ودهشت إذ لم يكن الممثلون والممثلات يتكلمون كثيرًا حقا . كانوا مستمعين جيدين. المنتجون يتكلمون كثيرًا . وكان المخرجون مشغولين مسبقًا ، ومصحوبين عادة بثلاثة مساعدين أو أربعة. كان أفراد الطواقم يبدون فى أفضل أوقاتهم. ولكن مراقبة تصوير فيلم كانت مملة. لم تكن حياة سيئة، ولكننى كنت أفتقد نيويورك. كنت أفتقد فاليرى والأطفال، وكنت أفتقد عشاءاتى مع أوزانو. كانت تلك هى الليالى التى أقفز فيها على طائرة إلى فيجاس للسهرة، حيث أنام الليل وأعود ثانية فى الصباح الباكر.

(*) West Wood .

ثم ذات يوم فى الاستوديو، بعد أن كنت قد ذهبت وعدت بضع مرات، من نيويورك إلى لوس أنجلوس ومن لوس أنجلوس إلى نيويورك، طلب منى دوران المجىء إلى حفلة فى بيته المستأجر فى (ماليبو). حفلة حسن نية حيث يختلط نقاد الأفلام وكُتَّاب النصوص والعاملون فى الإنتاج معًا بالممثلين والممثلات والمخرجين. لم يكن عندى شىء أفضل أفعله، ولم أكن أحس ميلاً للذهاب إلى فيجاس، وهكذا فقد ذهبت إلى حفلة دوران، وهناك التقيت جانيل لأول مرة.

كان واحداً من لقاءات الأحد غير الرسمية هذه، أقيم فى بيت فخم فيه ملعب تنس إضافة إلى مسبح جاكوزى، فيه ماء ساخن. كان المنزل لا يعزله عن المحيط إلا شريط ضيق من الرمل. كان الجميع يلبسون ملابس كيفما اتفق. لاحظت أن أغلب الرجال ألقوا مفاتيح سياراتهم على الطاولة فى غرفة الاستقبال الأولى، وعندما سألت إدى لانسر عن ذلك، أخبرنى أن بناطيل الرجال فى لوس أنجلوس مخيطة بشكل بالغ الضبط بحيث لا يستطيع المرء أن يضع فى جيوبه شيئاً.

فيما تجولت عبر الغرف المختلفة، سمعت أحاديث لافتة. كانت امرأة طويلة، نحيفة، هجومية المظهر داكنة اللون تتساقط تماماً على نمط من مخرج وسيم يلبس قبعة نزهات بحرية. اندفعت شقراء صغيرة بالغة القصر نحوهما وقالت للمرأة: ضعى يداً أخرى على زوجى وسأكلمك مباشرة. فأصيب الرجل ذو القبعة البحرية باللكنة وقال بوجه جامد جداً: ذا.. ذا.. ذلك على ما يرام. فهى لا تستخدمه كثـ..ثـ.. يراً على كل حال.

وأنا ذاهب إلى إحدى غرف النوم، رأيت زوجاً، رأساً لقدم، وسمعت صوت امرأة بالغ المدرسية والانضباط يقول: اصعد إلى هنا.

سمعت رجلاً عرفت فيه روائيا من نيويورك يقول: شغل السينما. لو أنك حققت اسماً كطبيب أسنان عظيم، فإنهم سيسمحون لك بأن تجرى جراحة فى الدماغ. ففكرت: هذا كاتب آخر حُمل على أن يسخط.

تجولت إلى منطقة إيقاف السيارات قرب الشارع الخارجى لساحل المحيط فرأيت دوران مع مجموعة من الأصدقاء يتأملون (ستوتز بيركات) (*). كان أحدهم قد قال تواً

(*) Stutz Bearcat.

لدوران إن السيارة تكلف ستين ألف دولار. قال دوران: مقابل هذا النوع من المال، فلابد لها من أن تحدث إنعاظًا. وضحك الجميع. ثم قال دوران: كيف طاوعتك أعصابك على مجرد إيقافها؟ إن ذلك مثل أن تكون مشغولاً ليلاً وأنت متزوج من مارلين مونرو.

كنت قد ذهبت إلى الحفلة حقا كى أقابل كلارا فورد، التى هى فى تقديرى أحسن مستعرضة أفلام أمريكية عاشت على الإطلاق. كانت ذكية كالجحيم، وتكتب جملاً عظيمة، وقرأت كتبًا عديدة، ورأت كل فيلم، وتوافقنى بشأن تسعة وتسعين فيلمًا من مائة. عندما كانت تمتدح فيلمًا، كان يمكننى أن أذهب لأراه، ويحتمل أن أحبه، أو يمكننى فى الأقل الأدنى أن أبقى جالسًا طوال عرض الشىء اللعين. كانت عروضها أقرب ما يجعل الناقد فنانًا، ولقد أحببت حقيقةً أنها لم تزعم أبدًا أنها مبدعة. كانت قانعة بأن تكون ناقدة.

فى الحفلة لم تتح لى فرصة كبيرة للتحدث إليها، ولم يكن فى ذلك بأس بالنسبة لى. كنت لا أريد إلا أن أرى أى نوع من النساء هى حقا. جاءت مع كيلينو، وقد أبقاها مشغولة. ولما كان أغلب الناس قد تجمعوا حول كيلينو، فقد نالت كلارا فورد كثيرًا من الانتباه. وهكذا فقد جلستُ فى الزاوية واكتفيت بالمراقبة.

كانت كلارا فورد واحدة من أولئك النسوة الصغيرات، حلوات المظهر، اللائى يسمين عادة بالبسيطات، ولكن وجهها كان حيًّا بالذكاء بحيث إنها كانت، لعينىَّ، جميلة. وما يجعلها فاتنة أنه كان بمقدورها أن تكون صلبة وبريئة فى آن واحد. كانت صلبة بما يكفى لأن تتولى كل النقاد السينمائيين الرئيسيين الآخرين فى نيويورك فتكشفهم على أنهم مغفلون من الطراز الأول. وكانت تفعل ذلك على نحو مرتب بسيط، مثل نائب الادعاء العام الذى يطرح قضية شديدة الإحكام. كشفت رجلاً، كانت أعمدته الهزلية أيام الأحد عن الأفلام محرجة، على أنه مغفل. اتخذت صوت مخفف الصدمات لطلائعيى قرية غرينويتش السينمائيين وأرتهم أى ابن حرام متبلد الحس هو، ومع ذلك فقد كانت حاذقة بما يكفى لأن تراه عالمًا أبله، أغبى رجل يضع الكلمات على الورق، ممن لهم إحساس حقيقى تجاه أفلام معينة. وعندما بلغت النهاية كانت قد وضعت كل خصاهم فى حقيبة يدها قديمة الطراز.

كان يمكننى أن أرى أنها كانت تستمتع بوقتها فى الحفلة. وأنها كانت مدركة أن كيلينو كان يتملقها بأحاديثه الرومانسية. وأمكننى أن أسمع من بين الضجيج كيلينو يقول: إن الوكيل هو طِرْح (*) عالِمٍ أبله. كانت تلك حيلة قديمة عنده يستعملها مع النقاد، ذكوراً وإناثاً. كان، فى الحقيقة، قد حقق نجاحًا عظيماً مع ناقد ذكر صارم إذ سمى ناقداً آخر بالـ طِرح المتدرب.

كان كيلينو يصير الآن ساحراً للغاية مع كلارا فورد بحيث كان الأمر يشبه مشهداً من فيلم. كان كيلينو يعرض غمازات كالعضلات وكانت كلارا فورد، رغم كل ذكائها، بدأت تذوى وتتشبث به قليلاً.

فجأة، قال صوت من جانبى: أتظن كيلينو سيدعها تواقعه فى الموعد الأول؟.

صدر الصوت عن فتاة شقراء جميلة حقا، أو بالأحرى امرأة، لأنها لم تكن طفلة. خمنت أنها فى الثلاثين. ومثل كلارا فورد، كان ما يمنح وجهها بعضاً من جماله هو ذكاؤها.

كانت لها عظام كبيرة حادة القطع فى وجهها وبشرة بيضاء لطيفة على هذه العظام، لم يكن المرء ليلاحظ أن بشرتها تدين بشىء للزينة. وكانت لها عينان بنيتان سريعتا التأثر يمكن أن تصيرا فرحتين مثل عينى طفل ومأساويتين مثل عينى بطلة من بطلات دوما. لو أن ذلك يبدو مثل وصف عاشق من رواية لدوما، فلا بأس فى ذلك. ربما لم أحس على ذلك النحو عندما رأيتها أول مرة. جاء ذلك فيما بعد. الآن بالضبط كانت العينان البنيتان تبدوان عابثتين. كانت تستمتع بوقتها إذ تقف خارج مركز عاصفة الحفلة. ما كانت تمتلكه، وهو غير مألوف فى النسوة الجميلات، هو الجو المبتهج، السعيد الذى يغمر الأطفال عندما يتركون بمفردهم، يفعلون ما هو مسلٍّ لهم. قدمت نفسى فقالت إن اسمها هو جانيل لامبرت.

تعرفت عليها الآن. سبق أن رأيتها فى أدوار صغيرة فى أفلام مختلفة وقد كانت جيدة دائماً. كانت تمنح دورها جهداً ثانياً. إن المرء يحبها دائماً على الشاشة، ولكنه لا يفكر

(*) الجنين المسقط. وقد وردت بالفرنسية فى الأصل.

فيها أبدًا على أنها عظيمة. كان بمقدورى أن أرى أنها كانت معجبة بكلارا فورد وقد أملّت أن تقول لها الناقدة شيئًا ما. لم تفعل، وهكذا فقد كانت جانيل تصير حقودة بشكل غريب. من امرأة أخرى، كان ذلك سيكون تعبيرًا خبيثًا حول فورد، ولكن منها كان لا بأس به.

كانت تعرف من أنا، فقالت الأشياء المألوفة عن الكتاب، التى يقولها الناس. فتظاهرت بدورى المألوف من شرود الذهن كما لو أننى لم أكد أسمع الإطراء. أحببت طريقة لبسها: متواضعة، ومع ذلك على الموضة للغاية بدون أن تكون موضة فائقة. قالت:

- فلنلتحق. كنت أظنها تريد أن تلاقى كيلينو، ولكن عندما صرنا هناك، رأيتها تحاول أن تجر كلارا فورد إلى حديث. قالت أشياء ذكية، ولكن كان بمقدور المشاهد أن يلاحظ أن فورد كانت تصب الثلج فوقها لأنها كانت جميلة جدا، أو هكذا تصورتُ حينئذ.

فجأة استدارت جانيل وسارت مبتعدة عن المجموعة. لحقت بها. كانت تولينى ظهرها، ولكن عندما بلغتها عند الباب، وجدت أنها كانت تبكى.

كانت عيناها رائعتين إذ تغرورقان بالدموع. كانتا بنيتين أقرب إلى الذهبى مبقعتين بنقط سود ربما كانت مجرد بنية أغمق (وجدت فيما بعد أنهما كانتا عدستين لاصقتين)، وكانت الدموع تجعل العينين أوسع، وتزيد الذهب فيهما. كما كانت تفضح حقيقة أنها قد ساعدت العينين قليلاً بالزينة التى راحت تسيل الآن. قلت:

- إنك جميلة عندما تبكين. كنت أقلد كيلينو، فى أحد أدواره الساحرة. فقالت:

- أوه، انبعص يا كيلينو.

كنت أكره استعمال النساء لمفردات خارجة. ولكنها كانت المرأة الوحيدة التى سمعتها تجعل هذه الكلمات تبدو مرحة وودية. كان الباء والصاد ناعمتين رقيقتين مثل لفظ الجنوبيين.

ربما كان واضحًا أنها لم يسبق لها أبدًا أن استخدمت الكلمة إلا حديثًا جدا. ربما كان ذلك لأنها كشرت نحوى لتجعلنى أعرف أنها عرفت أننى كنت أقلد كيلينو. كانت لها كشرة كبيرة، لا ابتسامة ساحرة. قالت:

ـ لست أدرى لم أنا بهذا الحمق. ولكننى لا أذهب إلى الحفلات قط. لم آت إلا لأننى كنت أعرف أنها ستكون هنا. إننى أحبها كثيراً جدا. فقلت:

ـ إنها ناقدة جيدة. قالت جانيل:

ـ أوه، إنها ذكية جدا. لقد كتبت مرة شيئًا لطيفًا عنى. وهل تعرف: كنت أظنها أحبتنى. وإذا بها تكبتنى. بلا سبب. قلت:

ـ إن عندها كثيراً من الأسباب: إنك جميلة، وهى ليست كذلك. وعندها خطط لكيلينو الليلة، وما كانت لتسمح أن تجتذبيه منها. قالت:

ـ هذا سخيف. أنا لا أحب الممثلين. فقلت:

ـ ولكنك جميلة. وكذلك، أنت تتكلمين بذكاء. لابد لها من أن تكرهك.

لأول مرة نظرت إلىَّ بشىء يشبه الاهتمام الحقيقى. كنت أسبقها كثيراً. لقد أحببتها لأنها كانت حسناء. أحببتها لأنها لم تكن تذهب إلى الحفلات. أحببتها لأنها لا تولع بممثلين مثل كيلينو، الذين هم وسيمون وفاتنون وجميلو اللبس فى بدلات مفصلة بإتقان، حد اللعنة، مع تسريحات شعر من (رودان). ولأنها كانت ذكية. وأيضاً، لأنها يمكن أن تبكى لأن ناقداً يقمعها فى حفلة. لو أنها على ذلك القدر من رقة القلب، فلربما لن تقتلنى. لقد كانت قابليتها للانجرار أخيراً هى ما جعلتنى أدعوها إلى عشاء وفيلم. لم أكن أدرى ما الذى كان سيقوله لى أوزانو: إن امرأة قابلة للجرح ستقتلك دائماً.

المسألة هى أننى لم أرها بمنظار جنسى. كل ما هنالك أننى أحببتها كثيراً جداً. لأنه رغم حقيقة كونها جميلة وامتلاكها تلك الكشرة السعيدة بشكل غريب حتى مع الدموع، لم تكن حقا امرأة مثيرة للجنس عند اللمحة الأولى. أو أننى كنت عديم الخبرة جدا فلم ألاحظ. لأن أوزانو، عندما التقاها لاحقًا، قال إنه أحس بالجنسية فيها كما سلك كهربائى مكشوف. وعندما أخبرت جانيل عن أوزانو، قالت إن ذلك لابد قد جرى

لها بعد أن لاقيتها. لأنها كانت، قبل أن تلقانى، خارج الجنس. وعندما مازحتها بهذا الشأن ولم أصدقها، أعطتنى تلك الكشرة السعيدة وسألتنى إن كنت قد سمعت بالهزازات (*) .

إنه لغريب أن يجعلك إخبار امرأة ناضجة إياك، بأنها تستمنى بمعونة هزاز، تنشد إليها. ولكن ذلك يسير التصور. إن الإيحاء هو أنها ليست مشوشة، مع أنها حسناء وتعيش فى وسط يقع فيه الرجال بسرعة وراء النساء كما القطة على فأر، وغالبًا للسبب ذاته.

خرجنا مع أحدنا الآخر لمدة أسبوعين، نحو خمس مرات، قبل أن نذهب أخيرًا معًا إلى الفراش. وربما كنا قد استمتعنا قبل أن ننام معًا أكثر مما فعلنا بعد ذلك.

كنت أذهب إلى العمل فى الاستوديو أثناء النهار وأشتغل على النص وأتناول بعض الكئوس مع مالومار ثم أعود إلى الجناح فى فندق بيفرلى هيلز وأقرأ. وكنت فى بعض الأحيان أذهب لمشاهدة فيلم. وفى الليالى التى كنت متواعدًا مع جانيل فيها كانت تلاقينى فى الجناح، ثم تقود بى السيارة إلى السينما وإلى مطعم ثم نعود إلى الجناح. كنا نتناول بعض الكئوس ونتحدث، وكانت تذهب إلى بيتها فى نحو الواحدة صباحًا.

أخبرتنى لماذا طلقت زوجها. عندما كانت حبلى، كانت تصير حشرية بشكل لا يوصف، ولكنه لم يكن يبالى بها لحملها. ثم عندما جاء الطفل، كانت تحب إرضاعه. كانت مبتهجة بالحليب ينهمر من ثديها والطفل يلتذ به. كانت تريد أن يتذوق زوجها الحليب، أن يمص ثديها ويحس التدفق. كانت تتصور أن ذلك سيكون عظيمًا. ولكن زوجها كان يستدير عنها باشمئزاز. ولقد أنهاه ذلك بالنسبة لها. قالت:

- لم يسبق لى أبدًا أن أخبرت أحدًا بذلك. فقلت:

(*) الهزاز ، أو الرهاز Vibrator جهاز صارت تستخدمه بعض النساء بعد "الثورة الجنسية" فى أواخر ستينيات القرن الماضية استعاضة عن الرجال.

ـ يا للمسيح. لقد كان مجنوناً.

ذات ليلة فى وقت متأخر جلست إلى جانبى على الأريكة. تعانقنا كالأطفال وسحبتُ لباسها الداخلى إلى أسفل حول ساقيها وعندئذ صدّت ووقفت. فى هذا الوقت كنت قد خفضت لباسى الداخلى توقعاً، لكنها كانت تضحك ونصف تبكى، وقالت:

ـ آسفة. إننى امرأة عقلانية. ولكننى فقط لا أقدر. نظر أحدنا إلى الآخر وبدأنا نضحك معاً. لم نكن نبدو إلا مضحكين جدا، كلانا، بسيقاننا وأربيتينا العارية ولباسها الأبيض فوق قدميها. وأنا ببنطلونى ولباسى يلتصق بكاحلىّ.

ولكننى فى تلك المرة أحببتها أكثر بكثير من أن أغضب عليها. ومن الغرابة أننى لم أحس نفسى مرفوضاً. قلت:

ـ لا بأس فى ذلك، ورفعت بنطالى. رفعت لباسها وعانق أحدنا الآخر على الأريكة ثانية. عندما انصرفتْ، سألتها إن كانت ستأتى فى الليلة التالية. وعندما قالت إنها ستأتى، عرفت أنها ستدخل الفراش معى.

فى الليلة التالية دخلت الجناح وقبلتنى. ثم قالت، بابتسامة خجلى:

ـ يا للهراء، احزر ما جرى.

كنت أعرف بما فيه الكفاية، لما كنت بريئاً كما هو حالى، أنه عندما تقول رفيقة فراش شيئاً من هذا النوع، فذلك يعنى الحكم عليك بالبقاء فى البرد. ولكننى لم أقلق. قالت:

ـ جاءتنى العادة. فقلت:

ـ ذلك لا يعيقنى إن لم يكن يعيقك. أخذتها من يدها وقدتها إلى غرفة النوم. خلال ثانيتين كنا فى السرير عاريين إلا من لباسها الداخلى، وكان بمقدورى أن أتحسس الحشوة تحته. قلت:

- أبعدى ذلك الشيء، ففعلت. اكتفينا بالتقبيل وإمساك أحدنا الآخر.

لم نكن عاشقين فى تلك الليلة الأولى. كنا نحب فقط أحدنا الآخر كثيراً جدا. مارسنا الحب كالأطفال. مجرد مقبلين ومتواقعين مباشرة. وممسكًا أحدنا بالآخر ومتحدثين وشاعرين بالراحة والدفء. كانت لها بشرة كالساتان ومؤخرة ناعمة محبوبة لم تكن رخوة. كانت إحدى هاته النساء اللواتى لهن مؤخرات لا يخطئ المرء فيتصورها مؤخرة رجل. ولا يعنى هذا أننى رأيت كثيراً من مؤخرات الرجال أو النساء. ولكن من صور المجلات كنت غالبًا ما أفاجأ بحقيقة أن المؤخرة، كمؤخرة، يمكن أن تكون من أية جناسة. وإلا فلم كل هذا التخيل تحت الملابس؟

كان لها ثديان صغيران لهما ملمس عظيم حقا وحلمتان حمراوان كبيرتان. مارسنا الحب مرتين فى ظرف ساعة واحدة. ولم أكن قد فعلت ذلك منذ وقت طويل. أخيرًا أصابنا العطش، فذهبت إلى الغرفة الأخرى كى أفتح زجاجة شمبانيا كنت أضعها فى الانتظار. عندما عدت إلى الغرفة، كانت قد أعادت لبس لباسها. كانت تجلس متصالبة الساقين على السرير وفى يدها منشفة ندية، وكانت تمسح بقع الدم الداكنة عن الملاءات البيضاء. وقفت أراقبها، عاريًا، كأسا الشمبانيا فى يدى، وكان عند ذلك أننى أحسست للمرة الأولى ذلك الإحساس من الرقة الذى هو نذير الهلاك. رفعت نظرها وابتسمت نحوى، شعرها الأشقر مشعث، وعيناها البنيتان الكبيرتان جادتان بقصر نظر. قالت:

- لا أريد أن ترى المنظفة. فقلت:

- لا، لا نريدها أن تعرف ما فعلنا.

واصلت الفرك بجدية فائقة، متطلعة بقصر نظر إلى الملاءات كى تتأكد من أنها لم تضع أية بقعة. ثم أسقطت المنشفة الرطبة إلى الأرض وتناولت كأس شمبانيا من يدى. جلسنا على السرير معًا، شاربين ومبتسمين ببلاهة أحدنا للآخر بطريقة مبتهجة. كما لو كنا ونحن نشكل الفريق معًا، اجتزنا نوعًا من اختبار مهم. ولكننا لم نكن بعد مغرمين

بأحدنا الآخر. كان الجنس جيداً ولكن ليس عظيماً. كنا مجرد سعيدين لكوننا معًا. وعندما كان عليها أن تذهب إلى بيتها، طلبت منها أن تنام عندى ولكنها قالت إنها لا تستطيع ولم أحقق معها. فكرت أنها ربما كانت تعيش مع رجل وأن بمقدورها أن تتأخر عليه ولكنها لا تستطيع أن تتغيب ليلة كاملة. ولم يزعجنى ذلك. ذاك هو الشيء العظيم فى عدم كون المرء عاشقًا.

إن الأمر الجيد فى حركة تحرير النساء هو أنها ربما ستجعل الوقوع فى الحب أقل سخافة. لأننا عندما وقعنا فى الحب فعلاً، بالطبع، يكون ذلك بالتقليد الأكثر ابتذالاً. وقعنا فى الحب إذ اشتبكنا فى عراك.

قبل ذلك عانينا مشكلة صغيرة. ذات ليلة فى الفراش لم أستطع أن أولج فيها. ليس أننى كنت عاجزًا، ولكننى لم أستطع أن أنهى الأمر. وكانت تحاول مسعورة من أجلى كى أنجح. وأخيرًا بدأت تصرخ وتصيح بأنها لن تمارس الجنس بعد اليوم، وأنها تكره الجنس، ولماذا بدأنا أصلاً. كانت تبكى من الإحباط والإخفاق. ضحكت لأخرجها من تلك الوساوس. شرحت لها أن الأمر لم يكن مسألة كبيرة. أننى كنت تعبًا. أنه كان فى ذهنى كثير من الأمور مثل فيلم بكلفة خمسة ملايين دولار، إضافة إلى كل الذنوب المألوفة والمتعلقات الجانبية لذكر أمريكى مشروط بالقرن العشرين كان قد عاش حياة متوازنة. أمسكتها فى ذراعىّ وبقينا نتكلم بعض الوقت وبعد ذلك بلغنا، كلانا، النشوة ، بلا إرهاق. لا تزال غير عظيمة بعد، ولكن جيدة.

حسنًا. حان الوقت الذى تعين علىّ فيه العودة إلى نيويورك للاهتمام بشغل العائلة، ثم، عندما عدت إلى كاليفورنيا، تواعدنا لقضاء ليلتى الأولى بعد العودة. كنت من اللهفة بحيث إننى، فى الطريق إلى الفندق بالسيارة المستأجرة، قدت عبر النور الأحمر فصدمتنى سيارة أخرى. لم أتأذ، ولكن كان علىّ أن أحصل على سيارة جديدة وأظننى كنت فى نوع خفيف من صدمة. على أية حال، عندما تلفنت لجانيل، فوجئت. كانت قد أساءت الفهم. كانت تظن أن الموعد الليلة التالية. غضبتُ حقا. لقد أوشكت أن أعرض نفسى للقتل كى أتمكن من رؤيتها، وهاهى تمارس هذا الروتين معى. ولكننى

كنت مهذبًا.

أخبرتها أن عندى شغلاً فى الليلة التالية، ولكننى سأتلفن لها لاحقًا خلال الأسبوع حين كنت أعرف أنها حرة. لم تكن عندها أدنى فكرة أننى كنت غاضبًا، وثرثرنا لبعض الوقت. لم أتلفن لها أبدًا. بعد خمسة أيام تلفنت هى لى. كانت أول كلماتها هى:

- أنت يا ابن ..... كنت أظنك تحبنى حقا. وإذا بك تمارس ذلك الهراء الدون جوانى علىَّ من عدم الاتصال بى. لمَ بحق الجحيم لم تأت وتقل إنك لم تعد تحبنى بعد. فقلت:

- اسمعى. أنت المتلاعبة. كنت تعرفين حق المعرفة أنه كان لدينا موعد تلك الليلة. لقد ألغيته لأنه كان لديك شىء أفضل تفعلينه.

فقالت بهدوء شديد، بصورة مقنعة للغاية:

- لقد أسأت الفهم، أو أنك أنت الذى أخطأت. قلت:

- إنك لكذابة لعينة. لم أكن أصدق الغضب الصبيانى الذى تولانى. ولكن ربما كان أكثر من ذلك. لقد وثقت بها. كنت أظنها رائعة. ولقد مارستْ واحدة من أقدم الحيل الأنثوية. كنت أعرف، لأننى كنت، قبل الزواج، على الجانب الآخر من الخط حين كان البنات يلخبطن مواعيدهن على تلك الصورة كى يكنَّ معى. ولم أكن أنظر عاليًا إلى أولئك الفتيات.

كان ذلك كل ما فى الأمر. انتهى، وما كنت أبالى قيد أنملة حقا. ولكنها بعد ليلتين تلفنت لى.

حيا أحدنا، ثم قالت:

- كنت أظنك تحبنى حقًا. فوجدت نفسى أقول:

- أنا آسف يا حبيبتى. لم أعرف لماذا قلت حبيبتى. أنا لا أستعمل هذه الكلمة أبدًا. ولكنها رققتها كلية. قالت:

- أريد أن أراك. فقلت:

ـ تعالى. ضحكت:

ـ الآن؟. كانت الساعة الواحدة صباحًا. قلت:

ـ بالتأكيد. فضحكت ثانية، وقالت:

ـ حسنًا.

وصلت إلىّ بعد نحو عشرين دقيقة. كانت عندى زجاجة شمبانيا جاهزة، وتحادثنا ثم قلت:

ـ أتريدين أن نذهب إلى الفراش؟. فقالت:

ـ نعم.

لماذا يصعب كثيرًا وصف شىء هو مبهج تماما؟ كان أكثر جنس فى العالم براءة وكان عظيمًا. لم يسبق أن شعرت بمثل تلك السعادة منذ كنت طفلاً ألعب الكرة طوال النهار فى الصيف. ولقد أدركت أن بمقدورى أن أغفر لجانيل كل شىء عندما أكون لها ولا أغفر لها شيئًا عندما أكون بعيدًا عنها.

كنت قد أخبرت جانيل مرة سابقًا أننى أعشقها، وكانت قد طلبت منى ألا أقول شيئًا كهذا، وأنها تعرف أننى لا أعنيه. لم أكن متأكدًا مما إذا كنت أعنيه، وهكذا فقد قلت حسنًا. لم أقله الآن. ولكن فى وقت ما أثناء الليل استيقظنا ومارسنا الحب فقالت بجد بالغ فى الظلام:

ـ أحبك.

يا عيسى المسيح. إن الأمر كله هراء بالغ حد اللعنة. إنه لهراء كثير يستعملونه حتى يجعلونك تشترى نوعًا جديدًا من معجون الحلاقة أو تطير بواسطة خطوط جوية معينة. ولكن، مع ذلك، لماذا يكون فعالاً إلى لهذا الحد؟ بعد ذلك تبدل كل شىء. صارت ممارسة الجنس خاصة. لم أرَ، حرفيا، امرأة أخرى، وكان يكفى مجرد أن أراها

لأستثار جنسيا. عندما كانت تلاقينى على الطائرة، كنت أمسكها وراء السيارات فى الموقف كى ألمس ثدييها وساقيها وأقبلها عشرين مرة قبل أن نمضى إلى الفندق.

لم أكن أستطيع الانتظار. فى إحدى المرات، عندما اعترضت ضاحكة، أخبرتها عن الدببة القطبية. عن كيف أن الدب القطبى لا يمكن أن يكون له رد فعل إلا لرائحة دبة قطبية بالذات ويكون عليه فى بعض الأحيان أن يجول منطقة بمساحة ألف ميل مربع من الجليد القطبى قبل أن يتمكن من مواقعتها. وأن هذا هو السبب فى أن ثمة قليلاً جدا من الدببة القطبية. دهشتُ من ذلك، ثم أدركت أننى كنت أمزح فلكمتنى. ولكننى أخبرتها أن ذلك كان حقا تأثيرها فىَّ. إنه لم يكن غرامًا أو أنها رائعة المظهر كثيرًا وذكية وكل شيء سبق لى أن حلمت به فى امرأة منذ أن كنت طفلاً. لم يكن ذلك إطلاقًا. لم أكن ضعيفًا أمام ذلك الهذر الغث عن الحب وتقارن الأرواح وما إلى ذلك. كان الأمر ببساطة تامة أنها كانت تمتلك الرائحة المناسبة؛ كان جسدها يبعث الأريج المناسب لى. لقد كان ذلك بسيطًا، وليس فيه شيء للمباهاة بشأنه.

كان الأمر العظيم أنها كانت تفهم. كانت تعرف أننى لم أكن أسعى لأصير جذابًا. أننى كنت أتمرد على استسلامى لها وللحب الرومانسى. اكتفت بأن عانقتنى وقالت:

- حسنًا. حسنًا. وعندما قلت:

- لا تستحمى كثيرًا، اكتفت بأن عانقتنى مرة أخرى وقالت:

- حسنًا.

لأنه كان حقا آخر شيء أريده فى الدنيا. كنت متزوجًا على نحو سعيد. كنت أعشق زوجتى أكثر من أى امرئ آخر فى العالم فى وقت ما، ومع ذلك كنت أستلطفها خيرًا من أية أنثى أخرى سبق لى أن قابلتها حتى عندما بدأت أصير غير مخلص. وهكذا فقد أحسست الآن لأول مرة بالذنب تجاههما معًا. طالما أزعجتنى القصص عن الحب.

حسنًا، كنا أكثر تعقيدًا من الدببة القطبية. والمفارقة فى حكايتى الخرافية، التى لم أكشفها لجانيل، هو أن الدبة القطبية لم تكن عندها المشكلة ذاتها التى يعانى منها الفحل.

ثم، بالطبع، قمت بالأشياء الهرائية التى يقوم بها العاشقون. رحت أسأل عنها بتكتم: أتواعد المنتجين والنجوم لتحصل على أدوار؟ ألها علاقات أخرى؟ ألها صديق آخر؟ وبكلمات أخرى، أكانت مجرد امرأة وتواقع ملايين الرجال الآخرين عند أول إلقاء للقبعة؟ غريب ما يفعله المرء عندما يهوى امرأة. إنه لا يفعل ذلك أبدًا مع رجل يحبه. هناك، أنت تثق دائمًا بحكمك الخاص، شعورك الباطنى بالذات. ولكنك مع النساء تكون دائمًا عديم الثقة. ثمة شىء هرائى حقا فى الوقوع فى الحب.

ولو أننى كنت وجدت عليها شيئًا قذرًا حقا، لما كنت وقعت فى الغرام. ما رأيك بهذا فى رومانسية لعينة؟ ليس غريبًا أن كثيرات جدا من النساء يكرهن الرجال الآن. كان عذرى الوحيد أننى كنت ناسكًا كاتبًا طوال سنين ولم أكن بارعًا بشأن النساء بدايةً. ثم إننى لم أستطع أن أظفر بفضيحة لها. إنها لا تخرج إلى الحفلات. لم تكن مرتبطة بأى ممثلين. فى الحقيقة، بالنسبة لفتاة ظهرت وتشتغل فى السينما كثيرًا إلى حد ما، كان قليلاً ما يُعرف عنها. لم تكن تركض مع أى من جمهور السينما أو تذهب إلى أى من محلات الطعام التى يذهب إليها الجميع. لم تظهر أبدًا على أعمدة الشائعات. باختصار، كانت الفتاة المناسبة لحلم ناسك أمين. حتى إنها كانت تحب القراءة. فما الذى أريد أكثر؟

وأنا أسأل عنها هنا وهناك، اكتشفت لدهشتى أن دوران رود كان قد نشأ معها فى مدينة ريفية ما فى تنيسى. أخبرنى أنها أكثر الفتيات فى هوليود استقامة. وأخبرنى أيضًا ألا أضيع وقتى، أننى لن أنال مواقعة. وقد سرنى ذلك. سألته ما الذى يعتقده فيها، فقال إنها أفضل امرأة عرفها. ولم أعرف إلا متأخرًا، وكانت جانيل هى من أخبرنى، أنهما كانا عاشقين، وأنهما عاشا معًا، وأن دوران هو من جاء بها إلى هوليود.

حسنًا، كانت مستقلة جدا. حاولت مرة أن أدفع ثمن الوقود عندما كنا نطوف معًا

بسيارتها. ضحكت ورفضت. لم تكن تبالى كيف ألبس وكانت تحب أن ترانى لا أبالى كيف تلبس. ذهبنا إلى دور السينما معًا بالجينز والكنزات وحتى إننا تناولنا الطعام فى أماكن فاخرة بتلك الطريقة. كان عندنا ما يكفى من المنزلة الرفيعة لذلك. كان كل شيء كاملاً. وصار الجنس عظيمًا. جيداً كما عندما يكون المرء طفلاً، ومع مقدمات بريئة أكثر إيروتية من أى هراء داعر.

كنا نتحدث أحيانًا عن الحصول لها على ملابس داخلية مثيرة، ولكننا لم نفعل ذلك أبداً. وحاولنا بضع مرات أن نستخدم المرايا لنكسب أية انعكاسات، ولكنها كانت قصيرة النظر جدا وكانت مزهوة جدا بحيث لا تضع نظارتها.

أثناء ذلك الوقت السعيد أخبرتنى، هى شهرزاد الشقراء، بقصة حياتها. وهكذا عشت لا حياتين بل ثلاثًا. حياتى العائلية فى نيويورك مع زوجتى وأطفالى، ومع جانيل فى لوس أنجلوس، وحياة جانيل قبل أن تلتقينى. كنت أستخدم طائرات ٧٤٧ كالبساط السحرى، لم أكن بتلك السعادة أبدًا فى حياتى. كان العمل على الأفلام مثل ميدان الرمى أو المقامرة: حالة استرخاء. أخيراً وجدت النقطة الحيوية لما ينبغى أن تكون عليه الحياة. ولم أكن أكثر سحراً مما أنا الآن. كانت زوجتى سعيدة، وكانت جانيل سعيدة، وكان أطفالى سعداء. لم يكن أرتى يدرى بما كان يجرى، ولكن ذات ليلة، عندما كنا نتناول العشاء معًا، قال فجأة:

ـ أنت تدرى أننى للمرة الأولى فى حياتى لم أعد قلقًا عليك.

ـ متى بدأ ذلك؟، قلت، ظانًا أن الأمر كان بسبب نجاحى مع الكتاب واشتغالى فى السينما.

قال أرتى:

ـ الآن بالضبط. فى هذه الثانية بالذات.

صرت على حذرى توا. قلت:

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط؟. فكر آرتى بالأمر، وقال:

ـ لم يسبق أن كنتَ سعيداً حقا. كنت دائمًا لعينًا عبوسًا. لم يكن عندك أصدقاء حقيقيون. كان كل ما تفعله أن تقرأ الكتب وتكتب الكتب. لم تكن تستطيع تحمل الحفلات، أو الأفلام، أو الموسيقى، أو أى شىء آخر. لم تكن حتى تستطيع تحمل تناول عائلتينا عشاء أعياد معا. يا للمسيح، إنك لم تكن تستمتع حتى بأطفالك.

صدمت وتألمت. لم يكن ذلك صحيحًا. ربما كنت أبدو على ذلك النحو، ولكن لم يكن صحيحًا حقا. أحسست شعوراً مريضًا فى معدتى. لو أن آرتى يفكر بى على هذا النحو، فكيف يفكر بقية الناس؟ أحسست ذلك الإحساس المألوف عن الأسى. قلت:

ـ هذا ليس صحيحا.

ابتسم آرتى لى:

ـ بالطبع ليس صحيحًا. إننى لا أقصد إلا أنك صرت الآن تكشف أشياء لأشخاص إضافة إلىَّ. تقول فاليرى إنك صرت أيسر كثيراً جدا لأن يعاش معك.

مرة أخرى لُسعت. لقد كانت زوجتى تشكو كل تلك السنين ولم أعرف أبداً. لم تعاتبنى. ولكننى فى هذه اللحظة عرفت أننى لم أسعدها حقا أبداً، ليس بعد بضعة السنوات الأولى من زواجنا. قلت:

ـ حسنًا، إنها سعيدة الآن.

وهز آرتى رأسه موافقًا. وفكرت كم كان سخيفًا أن أكون غير مخلص لزوجتى كى أسعدها. وأدركت فجأة أننى أحب فاليرى الآن أكثر مما فعلت فى أى وقت آخر. جعلنى ذلك أضحك. كان الأمر كله ملائمًا جدا، ولقد كان فى الكتب المنهجية التى كنت أقرأها. لأننى ما إن وجدت نفسى فى موقع الزوج غير المخلص التقليدى، حتى بدأت على نحو طبيعى أقرأ كل الأدبيات عن الأمر. سألت:

ـ لا تبالى فاليرى بذهابى إلى كاليفورنيا بهذه الكثرة؟. هز آرتى كتفيه:

- أظنها تحب ذلك. أنت تعرف أننى معتاد عليك، ولكنك إنسان صعب على الأعصاب.

مرة أخرى ذهلت قليلاً، ولكن لم يكن بمقدورى أن أغضب على أخى. قلت:

- هذا حسن. سأغادر إلى كاليفورنيا للعمل على الفيلم ثانية.

ابتسم أرتى. لقد فهم ما كنت أحس. قال:

- ما دمت توالى العودة. لا يمكننا أن نعيش بدونك. لم يسبق أن قال أبداً شيئاً إلى هذه الدرجة من العاطفية، ولكنه كان قد أدرك أن مشاعرى قد أوذيت. كان لا يزال يدللنى كما الأطفال.

- ولكننى كنت سعيداً مرة أخرى.

يبدو عصيا على التصديق أننى كنت بعد أربع وعشرين ساعة على بعد ثلاثة آلاف ميل، وحيداً مع جانيل، وأستمع إلى قصة حياتها.

كان أحد أولى الأمور التى أخبرتنى بها أنها كانت ودوران رود صديقين قديمين، وقد نشأ فى مدينة جونسون الجنوبية ذاتها، فى تنيسى، معًا. وأنهما صارا أخيراً عاشقين وانتقلا إلى كاليفورنيا، حيث صارت ممثلة ودوران رود وكيلاً.

- ٣٠ -

عندما ذهبت جانيل إلى كاليفورنيا مع دوران رود، كانت عندها مشكلة واحدة. ابنها. في الثالثة فقط من عمره، وأصغر من أن تجرجره هنا وهناك. تركته مع زوجها السابق. في كاليفورنيا كانت تعيش مع دوران. وعدها ببداية في السينما وبأن يحصل لها على عدد من الأدوار الصغيرة، أو أنها ظنت أنه وعد. كان في الواقع قد قام بالاتصالات، ولكن فتنة جانيل وذكاءها أنجزا الباقي. في أثناء ذلك الوقت بقيت مخلصة له، ولكنه كان يخونها، بشكل جلي، مع كل من تقع تحت أنظاره. ولقد حاول مرة، في الواقع، أن يقنعها بالذهاب إلى الفراش معه ومع رجل آخر في الوقت نفسه. ولكن الفكرة نفّرتها. لا بسبب أية تحفظات أخلاقية، ولكن لأنه من السوء بمكان أن تحس الواحدة أن رجلاً يستغلها كأداة جنسية ولأن فكرة إيلام رجلين على جسدها كانت بغيضة لها. قالت إنها كانت، في ذلك الوقت، أكثر سذاجة من أن تدرك أنها كانت ستحظى بفرصة مراقبة رجلين يمارسان الجنس معًا. لو أنها كانت تدرك ذلك، فلربما كانت تأملت الأمر - لمجرد أن ترى دوران يتلقاه في شرجه، كما يستحقه كثيراً.

لقد كانت تعتبر دائمًا طقس كاليفورنيا هو المسئول عما حدث لحياتها أكثر من أي شيء آخر. كان الناس هناك غير اعتياديين، غالبًا ما كانت تقول لميرلين عندما تقص عليه القصص. وكان بمقدوره أن يلاحظ أنها أحبت كونهم غير اعتياديين، مهما كان مبلغ الضرر الذي أوقعوه بها.

كان دوران يحاول وضع قدمه في الباب ليصير منتجًا، محاولاً أن يجمّع صفقة. كان قد اشترى نصا فظيعًا من كاتب مجهول، كانت فضيلته الوحيدة أنه وافق أن يأخذ نسبة صافية بدلاً من نقد مقدم. وأقنع دوران مخرجًا كان كبيراً ذات يوم بأن يخرجه، ونجمًا مستنفدًا ليمثل الدور الرئيسي.

لم يقبل أى استوديو، بالطبع، أن يمس المشروع. لقد كان واحداً من تلك الصفقات التى تبدو جيدة للأبرياء. كان دوران بائعًا رهيبًا واصطاد مالاً من الخارج. ذات يوم جلب إلى البيت زبونًا محتملاً جيداً: رجلاً وسيمًا خجولاً طويلاً فى حوالى الخامسة والثلاثين. رقيقًا جدا. غير مهذار. ولكنه كان مديرًا تنفيذيا فى مؤسسة مالية وطيدة تتعامل بالاستثمارات. كان اسمه تيودور ليفرمان، ووقع فى حب جانيل على مائدة العشاء.

تعشوا فى مطعم تشاسن. تسلم دوران قائمة الحساب، ثم انصرف مبكرًا إلى موعد مع كاتبه ومخرجه. كانوا يعملون على النص، كما قال دوران، مقطبًا بتركيز. كان دوران قد أعطى جانيل تعليماتها.

- يمكن لهذا الرجل أن يحصل لنا على مليون دولار للفيلم. كونى لطيفة معه. تذكرى أنك تمثلين الدور النسائى الثانى.

كان ذلك تكنيك دوران. وعد بالدور النسائى الثانى كى تكون عنده قوة ما للمساومة. لو أن جانيل صارت صعبة، كان سيصعد بالطُعم إلى الدور النسائى الرئيسى. وما كان ذلك ليعنى شيئًا. فإنه يمكن، إن كان ذلك ضروريا، أن ينكث بالوعدين.

لم تكن لدى جانيل النية فى أن تصير لطيفة حسب مفهوم دوران. ولكنها فوجئت إذ وجدت تيودور ليفرمان رجلاً بالغ العذوبة. لم يطلق نكاتًا خبيثة حول النجيمات. لم يفرض نفسه عليها. وكان خجولاً صدقًا. ولقد تأثر بجمالها وذكائها، مما منحها إحساسًا مسكرًا بالقوة. عندما عاد بها إلى البيت فى شقة دوران وشقتها بعد العشاء، دعته إلى كأس شراب. ومرة أخرى، كان الجنتلمان الكامل. وهكذا فقد أحبته جانيل. كانت تهتم دائمًا بالناس، تجد كل شخص فاتنًا. وقد علمت من دوران أن ليفرمان سيرث ذات يوم عشرين مليون دولار. لكن ما لم يخبرها به دوران هو أنه كان متزوجًا وعنده طفلان. وقد أخبرها ليفرمان بذلك. قال غير واثق من نفسه تمامًا:

ـ نحن منفصلان. وقد تعلق الطلاق لأن محاميها يطلب الكثير جدا من المال.

فكشرت جانيل، كشرتها المُعدية التى كانت تجرد دائمًا أغلب الرجال من أسلحتهم، عدا دوران:

ـ ما هو الكثير جدا من المال؟. فقال تيودور ليفرمان، مكشراً:

ـ مليون دولار. لا بأس فى ذلك. ولكنها تريده نقداً، فيما يشعر محامىَّ أن هذا وقت سيئ للتسديد.

فقالت جانيل ضاحكة:

ـ يا للجحيم، عندك عشرون مليون، فما الفرق؟.

للمرة الأولى صار ليفرمان حيا حقا:

ـ إنك لا تفهمين. أغلب الناس لا يفهمون. أنا أساوى ستة عشر، وربما ثمانية عشر مليونًا، ولكن سيولتى النقدية ليست جيدة جدا. أتلاحظين؟ إننى أمتلك عقارات وأسهمًا وشركات، ولكن على المرء أن يبقى المال مستثمراً بضخه مجدداً. وهكذا، فما عندى من رأس المال الجارى قليل جدا حقا. أتمنى أن أستطيع أن أنفق المال كما يفعل دوران. وهل تعلمين أن لوس أنجلوس مكان رهيب الغلاء للعيش؟.

أدركت جانيل أنها قد قابلت ذلك النمط المألوف فى الأدب، المليونير البخيل. ولما كان غير ظريف، وغير ساحر، وغير جذاب جنسياً، وباختصار لم يكن لديه من طُعم غير عذوبته وماله، الذى أوضح أنه لا ينفصل عنه بسهولة، فقد تخلصت منه بعد أول كأس. وعندما عاد دوران إلى البيت تلك الليلة، كان غاضباً. قال لها:

ـ اللعنة، كان يمكن أن يكون ذلك تذكرة طعامنا. وكان عندئذ أن قررت هجره.

في اليوم التالي وجدت شقة صغيرة في هوليود قرب موقع باراماونت (*) ، وحصلت، بمفردها، على دور صغير في فيلم. بعد أن تم عملها الذي استغرق بضعة أيام، ولإحساسها بالحنين إلى طفلها وإلى تنيسي، عادت في زيارة لأسبوعين. وكان ذلك كل ما تستطيع تحمله من مدينة جونسون.

تأملت في العودة بابنها معها. ولكن ذلك سيكون مستحيلاً، فتركته مع زوجها السابق ثانية. أحست التعاسة وهي تتركه، ولكنها كانت عازمة على كسب بعض المال ونوع من شغل قبل أن تفتح بيتاً.

كان من الواضح أن زوجها السابق لا يزال مبتلى بسحرها. كان مظهرها أفضل، وأكثر صقلاً. لقد أثارته عامدة، لكنها تخلصت منه عندما حاول أخذها إلى السرير. فانصرف قبيح المزاج. كانت تحتقره. كانت قد أحبته حقا، وكان قد خانها مع امرأة أخرى عندما كانت حبلى. وكان قد رفض الحليب من ثديها الذي كانت تريده أن يشاطر فيه الرضيع.

قال ميرلين:

- انتظري لحظة. كرري ذلك مرة أخرى. فقالت جانيل:

- ماذا؟ وكشرت. وبقي ميرلين ينتظر.

- أوه، كان لدي ثديان عظيمان عندما ولدت الطفل. وكان الحليب يفتنني. كنت أريد أن يتذوقه. لقد أخبرتك بذلك مرة.

وعندما أقامت دعوى الطلاق، رفضت قبول النفقة لمجرد الاحتقار.

عندما عادت إلى شقتها في هوليود، وجدت رسالتين على خدمتها الهاتفية. واحدة من دوران، والأخرى من تيودور ليفرمان.

(*) Paramount .

تلفنت لدوران أولاً وحصلت عليه. كان مندهشًا لأنها قد عادت إلى مدينة جونسون، ولكنه لم يسأل أى سؤال عن أصدقائهما المشتركين. كان منكبا جدا، كالعادة، على ما هو مهم بالنسبة له. قال:

- اسمعى. إن تيودور ليفرمان ذلك مغرم بك حقا. أنا لا أمزح. إنه مغرم حتى الجنون، لا لمجرد الجنس. إذا ما لعبت أوراقك بشكل صحيح، يمكنك أن تتزوجى عشرين مليون دولار. لقد كان يسعى إلى الاتصال بك وقد أعطيته رقمك. تلفنى له. يمكنك أن تصيرى ملكة. فقالت جانيل:

- إنه متزوج. قال دوران:

- سيتم الطلاق أثناء الشهر القادم. لقد تحققت حوله. إنه رجل نزيه مستقيم جدا. ما إن يذوقك مرة فى الفراش حتى تحصلين عليه وعلى ملايينه إلى الأبد. كان ذلك كله من أعلى سطح دماغه. كانت جانيل مجرد إحدى أوراقه. قالت جانيل:

- إنك مثير للاشمئزاز.

ولكن دوران كان فى ذروة سحره:

- آه، هيا، يا عزيزتى. بالطبع سننفصل. ومع ذلك، فإنك أفضل قطعة عجيزة نلتها فى حياتى. خير من كل نساء هوليود هاته. إننى أفتقدك. صدقينى، إننى أفهم لماذا تفلقينى. ولكن هذا لا يعنى أنه ليس بمقدورنا أن نبقى أصدقاء. إننى أحاول المساعدة، عليك أن تكبرى. امنحى هذا الرجل فرصة، هذا كل ما أطلب. فقالت جانيل:

- حسنًا، سأتلفن له.

لم تكن مهتمة أبدًا بالمال بمعنى أن تريد أن تَغنى. ولكنها كانت تفكر الآن بما يمكن للمال أن يفعل. كان يمكنها أن تجلب ابنها ليعيش معها، ويصير لها خادمات يُعنين به عندما تكون هى فى العمل. كان سيمكنها أن تدرس على أيدى خيرة معلمى الدراما. لقد صارت بالتدريج تعشق التمثيل. لقد عرفت أخيراً أنه ما كانت تريده لحياتها.

كان عشق التمثيل أمراً لم تخبر به دوران أصلاً، ولكنه كان يحسه. كانت قد أخذت عدداً لا يحصى من التمثيليات وكتب الدراما والأفلام من المكتبة وقرأتها جميعاً. وسجلت اسمها فى ورشة مسرح صغيرة كان مديرها يحيط نفسه بأجواء من الأهمية تسليها، ومع ذلك تسحرها. وعندما قال لها إنها واحدة من أفضل المواهب الطبيعية التى رآها، أوشكت أن تقع فى غرامه وكان طبيعيا أنها ذهبت معه إلى الفراش.

كان تيودور ليفرمان العديم السحر، والبخيل، والثرى يمسك مفتاحاً ذهبيا للعديد من الأبواب، بحيث إنها تلفتت له. ورتبت أن تلتقيه تلك الليلة على العشاء.

وجدت جانيل ليفرمان عذباً، وهادئاً وخجولاً، فأخذت المبادرة. أخيراً جعلته يتكلم عن نفسه. تكشفت أشياء صغيرة. كان عنده أختان توأمان، أصغر منه ببضع سنوات، توفيتا كلتاهما فى سقوط طائرة. وقد أصيب بانهيار عصبى نتيجة لتلك المأساة. والآن تريد الزوجة الطلاق، ومليون دولار نقداً وجزءاً من ممتلكاته. كشف بالتدريج عن حياة محرومة عاطفيا - طفولة ثرية اقتصاديا تركته ضعيفاً وعرضة للمخاطر. كان الشىء الوحيد الذى يجيده هو صنع المال. كان عنده مخطط لتمويل فيلم دوران، وهو مضمون. ولكن ينبغى أن يكون الوقت ناضجاً، فالمستثمرون يلعبون كالسمك. سيلقى هو، ليفرمان، بالنقد الشاحن للمضخة، ومال التوسيع.

صارا يخرجان معاً كل ليلة تقريباً لمدة أسبوعين أو ثلاثة، وكان دائماً لطيفاً جدا وخجولاً بحيث إن جانيل فقدت صبرها أخيراً. فبعد كل شىء، كان يرسل لها زهوراً بعد كل موعد. اشترى لها دبوساً من تيفانى وولاعة من غوتشى وخاتم ذهب أثريا من محلات روبرتو (*). وكان يعشقها حتى الجنون. حاولت أن تأخذه إلى السرير، وقد تعجبت إذ وجدته متحفظاً. لم يكن بمقدورها غير أن تظهر استعدادها، ثم طلب منها أخيراً أن تذهب إلى نيويورك وبورتوريكو معه. إن عليه أن يذهب فى سفرة عمل من أجل شركته. لقد فهمت أنه لا يستطيع، لسبب ما، أن يمارس معها الجنس، لأول مرة،

(*) Roberto - Gucci - Tiffany .

فى لوس أنجلوس. ربما بسبب مشاعر الذنب. فبعض الرجال هكذا. لا يمكنهم الخيانة إلا عندما يكونون على بعد آلاف الأميال عن زوجاتهم. المرة الأولى فى الأقل. وكانت تجد هذا مسليًا وباعثًا على الاهتمام.

توقفا فى نيويورك، وأخذها إلى مقابلاته التجارية. رأته يفاوض على حقوق فيلم لرواية تصدر حديثًا ونص كتبه كاتب مشهور. كان داهية، ومتحفظًا جدا، ورأت أن هذا هو معقل قوته. ولكن فى تلك الليلة ذهبا معًا إلى الفراش فى جناحهما فى الـ(بلازا) (*) فعرفت واحدة من الحقائق عن تيودور ليفرمان.

لقد كان عاجزًا جنسيا كليا تقريبًا. غضبت فى البداية، شاعرة أن النقص فيها. فعلت كل ما بوسعها ونجحت أخيرًا فى أن تجعله يدخلها. فى الليلة التالية كان أفضل قليلاً. وفى بورتوريكو كان أفضل أيضًا، قليلاً. ولكنه كان بسهولة أكثر العشاق الذين عرفتهم عجزًا وإثارة للضجر. وقد سرها أن تعود إلى لوس أنجلوس. عندما أوصلها إلى شقتها، طلب منها الزواج. فقالت إنها ستفكر فى الأمر.

لم تكن لديها نية الزواج منه حتى قرَّعها دوران تقريعًا لسانيا. قال:

- تفكرين في الأمر؟ استعملى مخك. إن الرجل مجنون بك. تزوجيه. ابقى معه سنة. وستخرجين فى الأقل بمليون وسيبقى مع ذلك مغرمًا بك. ستستدعين لقطاتك الخاصة. سيكون لشغلك فرصة أفضل مائة مرة للانطلاق. وإضافة إلى ذلك، فعن طريقه ستقابلين أشخاصًا أغنى. أشخاصًا ستحبينهم أكثر وربما تعشقينهم. يمكنك أن تغيرى كل حياتك. تحملى الضجر سنة فقط، اللعنة، ليس ذلك معاناة. لن أطلب منك أن تعانى.

كان من شأن دوران أن يظن نفسه بارعًا. إنه كان حقا يفتح عينى جانيل على حقائق حياة تعرفها كل امرأة أو تتعلمها من مهدها. ولكن دوران كان يدرك أن جانيل

(*) Plaza .

تكره حقا أن تفعل شيئًا مثل ذلك لا لأنه غير أخلاقى. ولكن لأنها لم تكن تستطيع أن تخون كائنًا بشريا آخر بهذه الطريقة. على هذا النحو من برودة الدم. وأيضًا لأنها كان عندها اشتهاء فائق للحياة بحيث ما كانت لتحتمل أن تتحمل ضجرًا لمدة سنة. ولكن كما أشار دوران بسرعة، كانت الفرص جيدة لأن تحس الضجر خلال تلك السنة حتى من دون تيودور ليسببه لها. وكذلك فهى ستسعد تيودور المسكين حقا فى هذه السنة. قال دوران:

- تعرفين، يا جانيل، أن تكونى قريبة من المرء فى أسوأ أيامك خير من أن يكون كثير من الناس قربه فى أفضل أيامهم. كان ذلك واحدًا من الأشياء القليلة جدا التى قالها منذ عيد ميلاده الثانى عشر، التى كانت صادقة. مع أنه لخدمته الشخصية.

ولكن كان تيودور، وهو يتصرف بهجومية غير عادية، هو الذى قلب التوازن. اشترى بيتًا جميلاً بمائتين وخمسين ألف دولار فى بيفرلى هيلز، فيه حمام سباحة، وملعب تنس، وخادمان. كان يعرف أن جانيل تعشق لعب التنس، وأنها كانت تعلمت اللعب فى كاليفورنيا، وأن علاقة نشأت ، فى خلال ذلك ، بينها وبين معلمها فى التنس، الذى كان فتى نحيلاً وسيمًا أشقر قدم لها ، مما أدهشها ، قوائم حساب عن تعليمها. فيما بعد أخبرتها نسوة أخريات عن رجال فى كاليفورنيا. كيف أنهم يتناولون شرابًا فى مقصف، ويجعلون الواحدة تدفع ثمن شرابها ثم يطلبون منها أن تذهب إلى شقتهم لقضاء الليل. إنهم ما كانوا حتى ليدفعوا عليها أجرة السيارة إلى البيت. لقد استمتعت بمحترف التنس فى الفراش وفى ملعب التنس، وقد طورت أداءها فى الحقلين معًا. أخيرًا، تعبت منه لأنه كان يلبس خيرًا مما تلبس. وأيضًا، لأنه كان يبصبص يمينًا ويسارًا وقد أغوى أصدقاءها الذكور كما صديقاتها، الأمر الذى أحست جانيل ، مع سعة الأفق التى كانت تتمتع بها ، أنه كان يبالغ كثيرًا.

لم تكن قد لعبت التنس أبدًا مع ليفرمان. كان قد ذكر عرضًا مرة أنه سبق أن تغلب على آرثر آشى فى المدرسة الثانوية، ولهذا فقد تصورت أنه أعلى بكثير من مستواها وأنه يفضل - شأنه شأن أكثر لاعبى التنس الجيدين - ألا يلعب مع ناشئين. ولكن عندما أقنعها أن تنتقل إلى البيت الجديد، أقاما حفلة تنس مفصلة.

عشقت البيت. كان قصراً باذخًا من قصور بيفرلى هيلز يضم غرف ضيوف، وغرفة خلوة. جانبًا للمسبح، وجاكوزى فى الهواء الطلق. راجعت مع تيودور مشاريع الزينة والزخرفة وإدخال بعض الألواح الخشبية. مضيا يتبضعان معًا. ولكنه الآن فى الفراش كان إخفاقًا تامًا، بحيث إن جانيل لم تعد تجربه حتى. وعدها أنه، ما إن يتم طلاقه فى الشهر التالى ويتزوجان، سيكون على ما يرام. لقد رجت جانيل مخلصة أن يكون كذلك لأنها كانت تشعر بالذنب، كانت قد قررت أن أقل ما يمكنها أن تفعله، ما دامت ستتزوجه من أجل ماله، هو أن تكون زوجة مخلصة. ولكن الاستمرار بدون ممارسة الجنس كان يضغط على أعصابها. وكان فى يوم حفلة التنس أن علمت أن الأمر كله كان باطلاً. لقد أحست أنه كان ثمة شيء مريب فى الأمر كله. ولكن تيودور ليفرمان كان يوحى كثيراً جدا من الثقة لها ولأصدقائها وحتى لدوران الشكّاك بحيث إنها تصورت أن ضميرها المذنب يسعى للبحث عن مخرج.

فى يوم حفلة التنس، نزل تيودور أخيراً إلى الملعب. لعب جيداً حقا، ولكنه كان ناشئًا. ما من احتمال لأن يكون غلب آرثر آشى حتى فى مهده. دهشت جانيل. كان الشيء الوحيد الذى هى واثقة منه أن عشيقها لم يكن كذابًا. وهى لم تكن معصومة. لقد كانت تتصور المحبين دائمًا كذابين. ولكن تيودور لم يسبق أن هذر قط، لم يدّع، ولم يذكر ماله ولا وضعه العالى فى الدوائر الاستثمارية. إنه لم يكلم حقا ناساً آخرين عدا جانيل. كانت مقاربته اللطيفة نادرة بشكل استثنائى فى كاليفورنيا، كثيراً بحيث إن جانيل قد دهشت من كونه عاش حياته كلها فى تلك الولاية. ولكن لما رأته فى ملعب التنس، عرفت أنه كذب فى أمر واحد. وكذب جيداً. تعليق منتقص لم يكرره قط، لم يتوقف عنده. لم يسبق أن شكّت فيه قط. كما أنها لم تشك فى أى شيء قاله حقا. لم يكن ثمة شك فى أنه كان يحبها. لقد بيّن ذلك بكل طريقة، الأمر الذى لم يكن يعنى الكثير بالطبع لما لم يكن بمقدوره أن ينعظ.

تلك الليلة بعد انتهاء حفلة التنس أخبرها أنها يجب أن تأخذ ابنها الصغير من تنيسى وتنقله إلى البيت. لو أنه لم يكن قد قال كذبته عن غلبته آرثر آشى، فلربما كانت

وافقت. وكان حسنًا أنها لم توافق. في اليوم التالي عندما كان تيودور فى الشغل تلقت زائرة.

كانت الزائرة هى السيدة تيودور ليفرمان، الزوجة غير المرئية حتى الآن. كانت شيئًا صغيراً جميلاً، ولكن مرتعبة وواضحة التأثر بجمال جانيل. كما لو أنها لم يكن بمقدورها أن تصدق أن زوجها قد أدرك ظافرة كهذه. ما إن أعلنت من تكون حتى أحست جانيل بارتياح طاغ وحيت السيدة ليفرمان بحرارة بالغة زادت فى ارتباك المرأة.

ولكن السيدة ليفرمان أدهشت جانيل أيضًا. لم تكن غاضبة. كان أول شىء قالته محيراً. قالت:

- إن زوجى عصبى، حساس جدا. أرجوك ألا تخبريه بأننى جئت لرؤيتك. فقالت جانيل:

- بالطبع وراحت معنوياتها تحلِّق. كانت مبتهجة. ستطالب الزوجة بزوجها وستسترده بأسرع مما يمكن لرأسها أن يدور.

قالت السيدة ليفرمان بحذر:

- لست أدرى كيف يحصل تيد على كل هذا المال. إنه يتقاضى راتبًا جيداً. ولكن ليس عنده مدخرات أبداً.

فضحكت جانيل. كانت تعرف الجواب مقدمًا. ولكنها سألت على أية حال:

- وماذا عن العشرين مليون دولار؟.

- أوه يا إلهى، أوه يا إلهى، قالت السيدة ليفرمان. خفضت رأسها إلى ما بين يديها وبدأت تبكى. فقالت جانيل مطمئنة:

- وهو لم يغلب آرثر آشى بالتنس فى المدرسة الثانوية.

وانتحبت السيدة ليفرمان:

ـ أوه، يا إلهى، إلهى. فقالت جانيل:

ـ وأنتما لن تتطلقا فى الشهر المقبل.

لم تفعل السيدة ليفرمان غير أن نشجت.

راحت جانيل إلى المقصف وأعدت كأسى ويسكى مركَّزين. وجعلت المرأة الأخرى تشرب خلال الشهقات. سألت جانيل:

ـ كيف اكتشفت؟.

فتحت السيدة ليفرمان الجاكيت كما لو كانت تبحث عن منديل لمخاطها السائل مع الدمع. بدلاً من ذلك، أخرجت حزمة رسائل وسلمتها لجانيل. كانت قوائم. نظرت إليها جانيل متأملة. وكوَّنت الصورة الكاملة. كان قد حرر صكًّا بخمسة وعشرين ألف دولار كدفعة مقدمة على البيت الجميل. وكانت معه رسالة يطالب فيها السماح له بالانتقال حتى الاتفاق النهائى. رجع الصك. كان صاحب المبنى يهدد الآن بإلقائه فى السجن. ورجعت الصكوك المحررة للخدمات التى استأجرها. كما رجع صك منظم حفلة التنس.

ـ واو!، قالت جانيل. فقالت السيدة ليفرمان:

ـ إنه حساس جداً. قالت جانيل:

ـ إنه مريض. وهزت السيدة ليفرمان رأسها مؤيدة.

قالت جانيل مفكرة:

ـ أذلك بسبب أختيه اللتين ماتتا فى سقوط الطائرة؟.

ندت صرخة عن السيدة ليفرمان. زعقة من الحنق والسخط أخيراً:

ـ لم يكن له أية أخوات أبداً. أفلا تفهمين؟ إنه مريض بالكذب. إنه يكذب بشأن كل شىء. ليس له أخوات، وليس عنده مال، إنه لن يطلقنى، لقد استخدم مال الشركة كى يأخذك إلى بورتوريكو ونيويورك وكى يدفع نفقات هذا البيت.

- لماذا إذن بحق الجحيم تريدين استعادته؟، سألت جانيل. فقالت السيدة ليفرمان:

- لأننى أحبه.

فكرت جانيل فى ذلك نحو دقيقتين، دارسة السيدة ليفرمان. لقد كان زوجها كذابًا، ومخادعًا، وعنده عشيقة، ولا يمكنه الإنعاظ فى الفراش، وذلك هو ما تعرفه عنه فقط، إضافة ، بالطبع ، إلى كونه لاعب تنس سيئًا . ثم ما كانت السيدة ليفرمان بحق الجحيم؟ ربتت جانيل على كتف المرأة الأخرى، ناولتها شرابًا ثانيًا، وقالت:

- انتظرى هنا خمس دقائق.

كان ذلك الوقت الذى استغرقه إلقاء كل أشيائها فى حقيبتى ملابس فويتون (*) كان تيودور قد جلبهما لها، ربما بصكوك غير صالحة. نزلت ومعها الحقيبتين وقالت للزوجة:

- إننى راحلة. يمكنك أن تنتظرى زوجك هنا. أخبريه أننى لا أريد أن أراه ثانية أبدًا. وإننى لآسفة حقا للألم الذى سببته لك. إن عليك أن تصدقينى عندما أقول لك إنه قال إنه قد تركك، وأنك لا تبالين.

هزت السيدة ليفرمان رأسها، علامة تصديق، بتعاسة.

وانطلقت جانيل بسيارة المستانغ (**) الجديدة الصغيرة البراقة التى كان تيودور قد اشتراها لها. لا شك فى أنها ستسترد ملكيتها. إن بمقدورها أن تجعلها تقاد معادة إلى البيت. فى هذه الأثناء، لم يكن ثمة من مكان تذهب إليه. تذكرت المخرجة ومصممة الأزياء، أليس دى سانتيس، التى كانت ودودة جدا، فقررت أن تقود إلى بيتها وتطلب منها المشورة. إن لم تكن أليس موجودة فى البيت، فإنها ستذهب إلى دوران. كانت تعرف أن بمقدوره دائمًا أن يؤويها.

(*) Vuitton .

(**) Mustang .

أحبت جانيل كثيراً الطريقة التى كان ميرلين يستمتع بها بالقصة. لم يضحك. لم يكن استمتاعه حاقداً. كان يبتسم فقط، مغمضاً عينيه، ويستمتع بها. ولقد قال الشىء الصحيح - بانشداه، وبإعجاب تقريباً. قال:

- يا لليفرمان المسكين، يا لليفرمان المسكين، المسكين.

- ماذا عنّى، أيها النغل؟، قالت جانيل بغضب زائف. وألقت بنفسها عارية على جسده العارى ووضعت يديها حول عنقه. فتح ميرلين عينيه وابتسم:

- ارو لى قصة أخرى.

لكنها مارست معه الحب بدلاً من ذلك. كانت عندها قصة أخرى ترويها له، ولكنه لم يكن مستعداً لها بعد. كان ينبغى أن يقع فى غرامها أولاً، ولقد كانت هى مغرمة به. ما كان بمقدوره أن يتلقى مزيداً من القصص بعد. خاصة عن أليس.

- ٣١ -

كنت قد وصلت الآن إلى النقطة التى يصلها العشاق دائمًا. يكونون من السعادة بحيث لا يصدقون أنهم يستحقون ذلك. وهكذا فإنهم يبدأون بالتفكير فى أن الأمر كله ربما كان مجرد تلفيق. وهكذا، فعندى كانت الغيرة والشك يسكنان نشوات ممارستنا الحب. ذات مرة كان عليها أن تقرأ تحضيراً لدور، فلم تستطع أن تقابل طائرتى. فى مرة أخرى، فهمت أنها كانت ستقضى الليلة عندى ولكنها اضطرت للذهاب إلى البيت كى تنام لأنه كان عليها أن تستيقظ من أجل زيارة مبكرة فى الصباح للاستوديو. حتى عندما كانت تمارس الحب معى فى وقت مبكر عصراً كى لا أحس إحباطًا وكنت أصدقها، كنت أظنها تكذب. والآن، وأنا أتوقع منها أن تكذب، قلت لها:

ـ تناولت الغداء مع دوران عصر اليوم. يقول إنه كان لك عشيق فى الرابعة عشرة من عمره عندما كنت لا تزالين مجرد فاتنة ريفية.

رفعت جانيل رأسها قليلاً وألقت الابتسامة الحلوة المترددة التى جعلتنى أنسى كم كنت أكرهها. قالت:

ـ نعم. كان ذلك منذ وقت بعيد.

ثم خفضت رأسها. كانت على وجهها نظرة شاردة، متسلية، فيما كانت تتذكر تلك العلاقة الغرامية. كنت أدرى أنها دائمًا تتذكر شئونها الغرامية بود، حتى إذا كانت تنتهى على نحو سيئ جدا. رفعت رأسها ثانية:

ـ أيزعجك ذلك؟، سألت. فقلت:

ـ لا، ولكنها كانت تدرى أنه كان يزعجنى. قالت:

ـ آسفة. ونظرت إلىَّ برهة، ثم أشاحت بوجهها بعيداً. مدت يديها، زلقتهما تحت قميصى فعانقت ظهرى. قالت:

ـ كان شأنًا بريئًا.

لم أقل شيئًا، مجرد أننى تحركت مبتعداً لأن اللمسة التى يتم تذكرها تجعلنى أغفر لها كل شىء.

مرة أخرى، وأنا أتوقع منها أن تكذب، قلت:

ـ أخبرنى دوران أنك بسبب الغلام ابن الرابعة عشرة حوكمت على إفساد أخلاق قاصر.

من كل قلبى أردتها أن تكذب. لم يكن يهمنى ما إذا كانت القصة صحيحة. كما أننى ما كنت لألومها أو أعنفها لو أنها كانت مدمنة على الكحول أو قاتلة. كنت أريد أن أعشقها، وكان هذا كل ما فى الأمر. كانت تراقبنى بتلك النظرة الهادئة، المتأملة كما لو أنها ستفعل كل شىء من أجل إرضائى.

سألت، وهى تنظر مباشرة فى وجهى:

ـ ماذا تريدنى أن أقول. فقلت:

ـ أخبرينى الحقيقة فقط. قالت:

ـ حسنًا، إذن فذلك صحيح. ولكننى برئت. رفض القاضى الدعوى.

فأحسست ارتياحًا هائلاً:

ـ إذن فأنت لم تفعلينها. سألت:

ـ أفعل ماذا؟. فقلت:

ـ تدرين.

منحتنى نصف الابتسامة العذبة مرة أخرى. ولكنها كانت مظللة بسخرية حزينة. سألت:

- تقصد، هل مارست الحب مع غلام فى الرابعة عشرة؟ نعم، فعلت.

وانتظرت منى أن أغادر الغرفة. بقيت ساكنًا. صار وجهها أكثر سخرية. قالت:

- كان أكبر من عمره بكثير.

أثار ذلك اهتمامى. أثار اهتمامى بسبب جرأة التحدى. فقلت بجفاف:

- بذلك تختلف المسألة تمامًا. وراقبتها عندما أطلقت ضحكة مبتهجة. كنا كلينا غاضبين على أحدنا الآخر. جانيل لأننى جرؤت على محاكمتها. كنت سأنصرف، وهكذا فقد قالت:

- إنها قصة جيدة، ستحبها. ورأتنى أعض الشص. كنت أحب القصة قدر ما أحب ممارسة الحب تقريبًا. ليال عدة قضيتها مصغيًا إليها لساعات، مفتونًا فيما هى تروى قصة حياتها، قائمًا بتخمينات بشأن ما كانت تهمله أو تلطِّفه على أذنىَّ الذكوريتين المرهفتين كما لو كانت تلطف قصة رعب ترويها لطفل.

لقد كان ذلك ما أحبتنى لأجله أكثر من أى شىء آخر، هكذا أخبرتنى ذات مرة: اللهفة على القصص، ورفضى إجراء إدانات. كانت تستطيع دائمًا أن ترانى أقلب الأمر هنا وهناك فى رأسى، كيف سأرويه أو كيف سأستخدمه. وأنا لم أُدِنها حقا على أى شىء فعلته. كما تعرف الآن أننى ما كنت لأفعل عندما روت القصة.

كانت جانيل قد اتخذت، بعد طلاقها، عشيقًا هو دوران رود. كان مروج أسطوانات فى محطة الإذاعة المحلية. رجلاً أميل إلى الطول، وأكبر قليلاً من جانيل. كانت عنده كمية كبيرة جدا من الطاقة، وكان دائمًا ساحرًا ومسليًا، وقد حصل أخيرًا على عمل لجانيل كمذيعة أنواء جوية لمحطة الإذاعة. كان هذا عملاً مسليًا وجيد الأجر بالنسبة لمدينة كمدينة جونسون.

كان دوران مسكونًا بأن يصير شخصية المدينة. كانت عنده سيارة كاديلاك ضخمة، وكان يشترى ملابسه من نيويورك ويقسم أنه سيحقق نجاحًا كبيرًا ذات يوم. كان يرعبه ويفتنه مقدمو البرامج. ذهب ليرى كل شركات الطريق لكل مسرحيات برودواى وكان يرسل دائمًا ملحوظات قصيرة لإحدى الممثلات، تتلوها زهور، وتتلوها عروض للعشاء. ولقد دهش إذ وجد كم كان يسيرًا جلبهن إلى السرير. وأدرك بالتدريج كم كنّ وحيدات. ساحرات على المسرح، كان مظهر الواحدة منهن، إذ يعدن إلى غرف فنادق الدرجة الثانية التى خزنت فيها أنماط عتيقة من الثلاجات، مثيرًا للحزن قليلاً. كان يقص على جانيل دائمًا مغامراته. كانا صديقين أكثر منهما عشيقين.

ذات يوم حصل على فرصته. كان ثنائى من أب وابنه قد حجزا فى قاعة موسيقى المدينة. كان الأب عازف بيانو فى المناسبات حصل على حياة مستقرة وهو يفرغ سيارات الحمل فى ناشفيل حتى اكتشف أن ابنه البالغ تسع سنوات يمكنه أن يغنى. رأى الأب ، وهو رجل جنوبى شغِّيل كان يكره عمله ، فجأة فى ابنه الحلم المستحيل وهو يتحقق. ربما سيهرب من حياة الكدح الكئيبة المحطمة للظهر.

كان يعرف أن ابنه جيد، ولكنه لم يكن يعرف حقا إلى أى مدى. كان قانعًا تمامًا بتعليم الصبى الصغير كل أغانى العهد الجديد وتحقيق دخل معقول من التجوال فى حريم الكتاب المقدس. إن ملاكًا فتيا يمجد المسيح فى صوت ندىٍّ (*) نقى لا يمكن لمستمعى الأقاليم أولئك أن يقاوموه. وجد الأب حياته الجديدة مناسبة إلى حد كبير. كان محبًا للمعاشرة، وكانت عينه على فتاة جميلة فكان يرحب بالاستراحات من زوجته المستهلكة سلفًا التى كانت تبقى، بالطبع، فى البيت.

ولكن الأم، أيضًا، كانت تحلم بكل الكماليات التى يمكن لصوت ابنها النقى أن يجلبها لها. كانا كلاهما طماعين، ولكن ليس الطمع الذى يكون عليه الأغنياء، بوصفه طريقة حياة، وإنما طمع رجل يتضور جوعًا على جزيرة مهجورة وقد تم إنقاذه فجأة وصار بمقدوره أن يحقق كل أحلامه الغريبة.

(*) Soprano : الصوت الأعلى عند النساء والأطفال .

وهكذا، فعندما ذهب دوران إلى خلف المسرح ليتكلم بحماس عن صوت الصبى، ثم ليقدم اقتراحًا للأبوين، وجد آذانًا مصغية. لقد عرف دوران كم كان الغلام جيداً، وسرعان ما أدرك أنه كان الوحيد. طمأنهما إلى أنه لا يريد أية نسبة من مكتسبات أغانى العهد الجديد. سيصير مديراً للغلام ولن يأخذ غير ثلاثين بالمائة من كل شيء يكسبه الفتى فوق خمسة وعشرين ألف دولار سنويا.

كان ذلك، بالطبع، عرضًا لا يمكن مقاومته. لو أنهما حصلا على خمسة وعشرين ألف دولار سنويا، وهو مبلغ لا يصدق، فلماذا يقلقان إذا ما نال دوران ثلاثين بالمائة عن الباقى؟ ثم كيف يمكن لابنهما، رورى، أن يكسب أكثر من ذلك المبلغ؟ مستحيل. لا يوجد مال بمثل تلك الكثرة. ولقد طمن دوران كذلك السيد هوراشيو باسكومبه والسيدة إديث باسكومبه أنه لن يحمِّلهما أية نفقات. وهكذا فقد تم تحضير عقد وتوقيعه.

ذهب دوران مباشرة إلى العمل النشيط. اقترض مالاً لينتج ألبومًا من أغانى العهد الجديد. كان ذلك نجاحًا هائلاً. فى تلك السنة الأولى ذاتها كسب الفتى رورى أكثر من خمسين ألف دولار. وسرعان ما انتقل دوران إلى ناشفيل وأجرى اتصالات مع عالم الموسيقى. أخذ جانيل معه وجعلها المعاون الإدارى فى شركته الموسيقية الجديدة. فى السنة الثانية حقق رورى أكثر من مائة ألف دولار، أغلبها على أناشيد مفردة ودينية قديمة وجدتها جانيل فى أضابير دوران لترويج الأسطوانات. لم يكن لدوران ذوق مبدع بأى معنى من المعانى، فما كان ليدرك أبدًا قيمة الأغنية.

كان دوران وجانيل يعيشان معًا الآن. ولكنها لم تكن تراه كثيراً. كان يسافر إلى هوليود من أجل صفقة فيلم أو إلى نيويورك ليحصل على عقد احتكارى مع إحدى شركات التسجيل الكبرى. سيصيرون من أصحاب الملايين جميعًا. ثم الكارثة. أصيب رورى بنزلة برد سيئة وبدا كأنه سيفقد صوته. أخذه دوران إلى أحسن اختصاصى فى نيويورك. عالج الاختصاصى رورى تمامًا ثم قال، على نحو عرضى تمامًا، وهو يمضى، لدوران:

ـ أنت تعرف أن صوته سيتغير فيما يدخل البلوغ.

كان ذلك أمرًا لم يكن دوران قد فكر فيه. ربما لأن رورى كان كبيراً على سنه. ربما لأن رورى كان صبيا بريئًا تماماً، لا يعرف من أمور الدنيا شيئًا. كان يحميه من الصديقات أمه وأبوه. كان يعشق الموسيقى وكان حقا موسيقيا مُجيداً. وكذلك، كان دائمًا مريضًا حتى بلغ الحادية عشرة. كان دوران مسعوراً: رجل عنده موقع منجم ذهب سرى، وقد نسى أين وضع الخارطة. كان قد رسم خططًا لاحتلاب ملايين الدولارات من رورى، وهاهو يراها الآن تمضى جميعًا إلى البالوعة. ملايين الدولارات على المحك. ملايين الدولارات حرفيًا!

ثم جاءت لدوران إحدى أفكاره العظمى. وتحراها طبيا. بعد أن حصل على كل المعلومات، حاول مشروعه مع جانيل. ارتعبت.

قالت، وهى تكاد تبكى:

ـ إنك بغيض.

لم يستطع دوران أن يفهم الرعب. قال:

ـ اسمعى. لقد اعتادت الكنيسة الكاثوليكية أن تفعل ذلك. فقالت جانيل:

ـ كانت تعمله من أجل الله. لا من أجل ألبوم ذهبى. فهز دوران رأسه:

ـ أرجوك ابقى داخل الموضوع. إن علىَّ أن أقنع الصبى وأمه وأباه، وسيكون ذلك عملاً شاقا حقا. فضحكت جانيل:

ـ إنك مجنون حقا. لن أساعدك، وحتى إن فعلت فإنك لن تقنع أحدًا منهم. فابتسم لها دوران:

ـ إن الأب هو المفتاح. كنت أفكر فى أن تكونى لطيفة معه. ليِّنيه لى.

كان ذلك قبل أن يحصل دوران على طراوة كاليفورنيا الإضافية: السكَّرية، والمنوَّرة بالشمس. وهكذا. فعندما ألقت جانيل نفاضة السجائر الثقيلة عليه، فوجئ

بحيث لم يستطع أن يتفاداها. فثلمت إحدى أسنانه وجعلت فمه ينزف. لم يغضب. اكتفى بأن هز رأسه على نزاهة جانيل.

كانت جانيل ستتركه عندئذ، ولكنها كانت فضولية جدا. كانت تريد أن ترى إن كان دوران سينجح فى ذلك حقا.

لقد كان دوران، عمومًا، حكمًا جيدًا على الشخصيات، وكان ذكيا حقا فى اكتشاف مدخل الجشع. كان يعرف أن أحد المفاتيح هو السيد هوراشيو باسكومبه. كان بمقدور الأب أن يسيطر على زوجته وابنه. وكذلك، كان الأب هو الأكثر هشاشة أمام الحياة. لو أن ابنه أخفق فى تحقيق المال، فسيكون على السيد باسكومبه العودة إلى الذهاب إلى الكنيسة. لا مزيد من السفر فى أطراف البلاد، وعزف البيانو، ومداعبة الفتيات الجميلات، وتناول الأطعمة الغريبة. مجرد زوجته المستهلكة. كان للأب الكثير مما هو على المحك؛ إن خسارة صوت رورى كانت بالنسبة له أهم من أى شىء آخر.

رقق دوران السيد باسكومبه بمغنية صغيرة حسناء من نادى جاز رخيص فى ناشفيل. ثم عشاء فاخر مع سيجار فى الليلة التالية. مع تدخين السيجار وصف حياة رورى المهنية: حفلة موسيقية فى برودواى، وألبوم فيه أغان خاصة يكتبها الأخوان دين المشهوران. ثم دور كبير قد يحول رورى إلى جودى غارلاند أو ألفيس بريسلى آخر. لن تستطيع أن تعد المال. كان باسكومبه يشرب ذلك كله، وهو يهر كالقطة. ليس حتى جشعًا، لأن ذلك كله كان هناك. كان محتومًا. لقد كان مليونيرًا. ثم فجَّرها دوران عليه. قال دوران:

- ثمة مشكلة واحدة فقط. يقول الأطباء إن صوته على وشك أن يتغير. إنه سيدخل البلوغ.

أحس باسكومبه شيئًا من الإزعاج:

- سيصير صوته أعمق قليلاً. ربما سيصير أفضل. فهز دوران رأسه:

- إن ما يجعله ما فوق نجم هو تلك الحلاوة الصافية العالية. بالتأكيد يمكن أن يصير أفضل. ولكنه سيحتاج إلى خمس سنوات كى يدربه ويخرج بصورة جديدة، ثم فإن الاحتمال واحد من مائة أنه سيحقق أمرًا عظيمًا. لقد بعته للجميع بالصوت الذى عنده الآن. فقال باسكومبه:

- حسنًا، ربما لن يتغير صوته. فقال دوران:

- إى، ربما لن يتغير. وترك الموضوع هناك.

بعد يومين جاء باسكومبه مستطلعًا إلى شقته. استقبلته جانيل وقدمت له شرابًا. نظر إليها بإمعان شديد، ولكنها تجاهلته. وعندما بدأ ودوران يتكلمان، غادرت الغرفة.

تلك الليلة فى الفراش، بعد ممارسة الحب، سألت جانيل دوران:

- كيف يتقدم مشروعك القذر الصغير؟

فكشر دوران. كان يدرى أن جانيل تحتقره على ما كان يفعل، ولكنها كانت امرأة من العظمة بحيث ما زالت تمنحه أفضل المواقعات الاعتيادية. مثل رورى، كانت لا تزال لا تدرى كم كانت عظيمة. أحس دوران بالرضا. ذلك ما كان يحب، خدمة جيدة. ناس لا يعرفون قيمتهم. قال:

- لقد جعلت النغل الكبير الجشع يعلق بالشص. والآن علىَّ أن أعمل على الأم والطفل.

كان دوران، الذى يعتبر نفسه أعظم رجل مبيعات شرقى جبال الروكى، يعزو نجاحه النهائى إلى تلك القوى. ولكن الحقيقة أنه كان محظوظًا. لقد لان السيد باسكومبه بفعل الحياة بالغة المشقة التى كان قد عاناها قبل معجزة صوت ابنه. لم يكن يستطيع التخلى عن الحلم الذهبى والعودة ثانية إلى العبودية. لم يكن ذلك اعتياديا. إن الموقع الذى كان دوران محظوظًا حقا فيه هو مع الأم.

لقد كانت السيدة باسكومبه حسناء من مدينة جنوبية صغيرة، مشوشة على نحو معتدل فى سنى مراهقتها وقد انجرف قدماها إلى الأمومة بعزف هوراشيو باسكومبه

البيانو وسحر المدينة الجنوبية الصغيرة. فيما خبا جمالها عاماً بعد عام، انحدرت إلى الجو المستنقعي للتدين الجنوبي. وبينما ازداد زوجها عدم محبوبية، وجدت المسيح أكثر جاذبية. كان صوت ابنها هو تقدمتها للمسيح. وقد اشتغل دوران على ذلك. أبقى جانيل في الغرفة بينما كان يتكلم إلى السيدة باسكومبه، لعلمه بأن الموضوع الحساس يمكن أن يجعل المرأة الأكبر حساسةً لو أنها كانت وحيدة مع ذكر.

كان دوران ساحراً ومعتنياً باحترام مع السيدة باسكومبه. أشار إلى أن مائة مليون إنسان سيستمعون، خلال السنوات القادمة، وفي جميع أنحاء العالم إلى ابنها، روري، يغني أمجاد المسيح. في البلدان الكاثوليكية، في البلدان الإسلامية، في إسرائيل، وفي مدن أفريقيا. سيكون ابنها أقوى مبشر للديانة المسيحية منذ لوثر. سيكون أكبر من بيلي غراهام، وأكبر من أورال روبيرتس، وهما اثنان من قديسي السيدة باسكومبه على الأرض. وسيتم إنقاذ ابنها من الخطيئة الأكثر إرهاقًا والأسهل إيقاعًا على الأرض. كان واضحاً أن تلك هي مشيئة الرب.

راقبتهما جانيل معًا. كانت مفتونة بدوران. أن يستطيع فعل شيء كهذا من دون أن يكون شريراً. مجرد مرتزق. لقد كان يشبه طفلاً يسرق قروشاً من جيب أمه. وكانت السيدة باسكومبه، بعد ساعة من مرافعة دوران المحمومة، بدأت تضعف. وقضى عليها دوران:

- يا سيدة باسكومبه، إنني أدري فقط أنك ستقومين بهذه التضحية من أجل يسوع. إن المشكلة الكبيرة هي ابنك، روري. إنه مجرد ولد، وأنت تعرفين كيف هم الأولاد.

منحته السيدة باسكومبه ابتسامة مقيتة، وقالت:

- نعم. أعرف. وألقت نظرة حاقدة على جانيل:

- ولكن روري خاصتي فتى طيب. سيفعل ما أقول.

أطلق دوران تنهدة ارتياح:

ـ كنت أدرى أن بمقدورى الاعتماد عليك.

ثم قالت السيدة باسكومبه ببرود:

ـ إننى أفعل هذا من أجل المسيح. ولكننى أريد إعداد عقد جديد. أريد خمسة عشر بالمائة من ثلاثينك بالمائة بوصفى مديرة مشاركة. وتوقفت برهة، ثم:

ـ وليس من حاجة لأن يعرف زوجى.

فتنهد دوران ارتياحاً، وقال:

ـ أعطنى شيئًا من تلك الديانة القديمة طوال الوقت. إننى أرجو فقط أن تتمكنى من تدبيرها.

دبرتها أم رورى. لا يدرى أحد كيف. تم ترتيب كل شىء. كان الشخص الوحيد الذى لم يحب الفكرة هو جانيل. فى الحقيقة، كانت مرتعبة، مرتعبة إلى حد أنها كفت عن النوم مع دوران، وراح هو يتأمل فى التخلص منها. وكذلك، كان لدوران مشكلة أخيرة واحدة: أن يجد طبيباً يقبل بأن يقطع خصيتى صبى فى الرابعة عشرة. لأن تلك كانت الفكرة. ما كان مناسباً للبابوات السابقين، كان مناسباً كفاية لدوران.

وكانت جانيل هى من نسف الأمر كله. كانوا مجتمعين كلهم فى شقة دوران. كان دوران يخطط كيف يسرق من السيدة باسكومبه الخمسة عشر بالمائة خاصتها عن شراكة الإدارة، وهكذا فلم يكن منتبهاً. نهضت جانيل، أمسكت برورى من يده، وقادته إلى غرفة النوم.

اعترضت السيدة باسكومبه:

ـ ماذا تفعلين بابنى؟. فقالت جانيل بعذوبة:

ـ سنخرج على الفور. مجرد أريد أن أريه شيئًا.

وما إن صارا داخل غرفة النوم، حتى أقفلت الباب. ثم بثبات تام قادت رورى إلى السرير، فكت إبزيم سرواله، وشدت بنطاله ولباسه الداخلى فنزعتهما. وضعت يده بين ساقيها ورأسه بين ثدييها اللذين كانا الآن عاريين.

خلال ثلاث دقائق انتهيا، ثم فاجأ الولد جانيل. سحب بنطاله لابسًا إياه، ناسيًا سرواله الداخلى. فتح قفل باب غرفة النوم، وانقذف إلى غرفة المعيشة. أصابت لكمته الأولى دوران مستقيمًا فى الفم، ثم كان يلقى اللكمات مثل مروحة طاحونة إلى أن سيطر عليه أبوه.

عارية فى السرير، ابتسمت جانيل نحوى:

- إن دوران يكرهنى، حتى مع أن ست سنين قد مرت. لقد كلفتُه ملايين الدولارات.

كنت أنا أيضًا أبتسم:

- إذن فماذا جرى فى المحكمة؟. فهزت جانيل كتفها:

- كان من نصيبنا قاض متحضر. تكلم معى ومع الولد فى مكتبه، ثم أسقط الدعوى. حذر الوالدين ودوران بأنهم عرضة للمقاضاة، ولكنه نصح الجميع أن يُبقوا أفواههم مغلقة.

فكرت فى الموضوع:

- ماذا قال لك؟. فابتسمت جانيل ثانية:

- أخبرنى أنه لو كان ثلاثين سنة أصغر، فإنه كان سيعطى أى شىء كى أصير فتاته.

فتنهدت:

- يا للمسيح. إنك تفعلين كل شىء صحيحًا بحصافة. ولكننى أريدك الآن أن تجيبى بصدق. أتقسمين؟. قالت جانيل:

- أقسم.

توقفت برهة، مراقبًا إياها. ثم قلت:

- هل استمتعت بمواقعة ذلك الولد ابن الرابعة عشرة؟.

لم تتردد جانيل، بل قالت:

- كان ذلك استثنائى الروعة. قلت:

- حسنًا.

كنت مقطبًا فى تركيز، فضحكت جانيل. كانت تعشق هذه الأوقات خيرًا حين كنت معنيا حقا بتأملها. قلت:

- لنر. كان أجعد الشعر ذا بنية عظيمة. بشرة عظيمة، لم تظهر بثور بعد. أهداب طويلة وعذرية فتى كورس. واو. ورحت أفكر أطول قليلاً.

- خبرينى الحقيقة. لقد كنت ساخطة، ولكن عميقًا فى باطنك كنت تعرفين أن هنا يوجد مبررك لمواقعة غلام فى الرابعة عشرة. ما كان يمكنك أن تفعلى ذلك على نحو آخر، مع أن ذلك كان هو ما كنت تريدين أن تفعلى حقا. إن الغلام كان يثيرك منذ البداية. وهكذا كان بمقدورك أن تحصلى على الأمر من جانبيه. أنقذت الغلام بأن واقعته. عظيم. صحيح؟.

فقالت جانيل، وهى تبتسم بعذوبة:

- لا.

فتنهدت ثانية ثم ضحكت:

- إنك لدجال حقا. ولكننى كنت مهزومًا وكنت أدرى بذلك. كانت قد أدت عملاً غير أنانى، كانت قد أنقذت رجولة صبى يتفتح. أما كونها حازت رعشة بسعار الجحيم فى هذه الأثناء فكان، بعد كل شىء، المكافأة التى يستحقها التقى.

جنوبيًا جنوبيًا يخدم الجميع المسيح - كل بطريقته الخاصة.

وبحق المسيح، ازداد حبى لها.

- ٣٢ -

كان لمالومار يوم مضن. وجلسة خاصة مع موسى وارتبورغ وجف واغون. كان قد كافح من أجل ميرلين وفيلمه. كان وارتبورغ وواغون قد كرها الفيلم بعد أن أراهما مخططًا أوليًا. ودار النقاش الاعتيادى. أرادا أن يحيلاه إلى تفاهة، أن يضيفا مزيدًا من الحركة، وأن يجعلا الشخصيات أكثر خشونة. لكن مالومار وقف ثابتًا. قال:

- إنه نص جيد. وتذكرا أنه مجرد مخطط أولى. فقال وارتبورغ:

- ليس عليك أن تخبرنا. إننا نعرف ذلك. لقد حكمنا عليه على ذلك الأساس.

فقال مالومار ببرود:

- تعرف أننى أهتم دائمًا بآرائك وأزنها بعناية فائقة. ولكن كل شىء قلته لحد الآن يفاجئنى بكونه عديم الأهمية.

فقال واغون مهدئًا، بابتسامته الساحرة:

- يا مالومار، تعرف أننا نؤمن بك. وهذا هو السبب فى أننا منحناك عقدك الأصلى. يا للجحيم، إن عندك سيطرة تامة على أفلامك. ولكن علينا أن ندعم حكمنا بالإعلانات والدعاية. لقد تركناك الآن تنفق مليون دولار فوق الميزانية. وذلك يمنحنا، فيما أظن، حقا أخلاقيا فى أن يكون لنا بعض الرأى فى الشكل النهائى لهذا الفيلم. قال مالومار:

- كانت تلك ميزانية هرائية ابتداءً، وكنا نعرف ذلك جميعًا، وقد أقررنا جميعًا بذلك. قال وارتبورغ:

ـ تعرف أنه في جميع عقودك، عندما نراجع الميزانية، تبدأ بخسران نقاطك في الفيلم. أأنت راغب في القيام بهذه المجازفة؟. فقال مالومار:

ـ يا للمسيح. لا يمكنني أن أصدق أن هذا الفيلم لو حقق قدراً كبيراً من المال ما كنتم، يا جماعة، لتستحضروا تلك المادة.

فوجه وارتبورغ كشرته الكوسجية:

ـ ربما كنا سنستحضرها وربما لا. تلك هي المخاطرة التي سيتعين عليك ركوبها إن أصريت على رؤيتك للفيلم. فهز مالومار كتفيه، وقال:

ـ سأجازف بذلك. وإذا كان هذا كل ما عندكما، أيها الصاحبان، فإنني عائد إلى غرفة التقطيع.

وعندما ترك استوديوهات الثقافات الثلاث كي يوصله السائق إلى موقعه الخاص، أحس مالومار أنه مستنزف. فكر في الذهاب إلى البيت وأخذ قيلولة، ولكن كان ثمة الكثير من العمل الذي ينبغي أداؤه. كان يريد أن ينفق خمس ساعات أخرى في الأقل. أحس الآلام الخفيفة تبدأ من جديد في صدره. سيقتلني أولاد الحرام هؤلاء، هكذا فكر. ثم أدرك فجأة أن وارتبورغ وواغون كانا، منذ نوبته القلبية، أقل خوفاً منه، وقد ناقشاه أكثر، وقد ضايقاه على المصروفات أكثر. ربما كان ابنا الحرام يحاولان قتله حقا.

تنهد. الأمور اللعينة التي عليه أن يتحملها، وميرلين اللعين ذاك يشكو دائماً المنتجين وهوليود وكيف أنهم جميعاً ليسوا فنانين. وهو هنا يخاطر بحياته لينقذ مفهوم ميرلين عن الفيلم. أحس رغبة في الاتصال هاتفيا بميرلين وجعله يذهب إلى الحلبة مع وارتبورغ وواغون ليقوم بعراكه، ولكنه كان يعرف أن ميرلين لن يفعل غير أن ينصرف ويبتعد عن الفيلم. إن ميرلين لا يؤمن، مثله هو، مالومار. ليس عنده عشقه للفيلم وما يستطيع الفيلم أن يفعل.

حسناً، إلى الجحيم بكل ذلك، فكر مالومار. لقد صنع الفيلم على طريقته وسيكون جيداً وسيسعد ميرلين، وعندما يحقق الفيلم مالاً، سيسعد الاستوديو، وإذا ما حاولوا أن يستقطعوا نسبته بسبب تجاوز الميزانية، فسيأخذ شركته الإنتاجية إلى مكان آخر.

فيما تباطأت سيارة الليموزين كى تتوقف، شعر مالومار بالتيه الذى كان يشعر به دائماً. تيه فنان يأتى إلى عمله وهو يدرى أنه سيفصّل شيئًا جميلاً.

اشتغل مع محررى فيلمه نحو سبع ساعات، وعندما أنزلته الليموزين عند منزله، كان الوقت قريباً من منتصف الليل. كان متعبًا جدا بحيث ذهب مباشرة إلى الفراش. ولقد أوشك أن يئن من التعب. جاء الوجع الذى فى صدره وامتد إلى ظهره، ولكنهما ابتعدا بعد دقائق وكان يتمدد هناك هادئًا، محاولاً أن يستغرق فى النوم. كان قانعًا. لقد أنجز عمل يوم جيداً. لقد قاتل الكواسج وقد قطع فيلماً.

كان مالومار يعشق أن يجلس فى غرفة التقطيع مع المحررين والمخرج. كان يعشق أن يجلس فى الظلام ويتخذ القرارات عما تفعل الصور الخافقة الدقيقة وما لا تفعل. كان يعطيها نوعًا معينًا من روح. إذا ما كانت جيدة، كان يجعلها جميلة ماديا بأن يأمر المحرر بأن يقطع صورة غير مداهنة كى لا يكون أنف ما عظميا جدا، أو فم ما خبيثًا جدا. كان بمقدوره أن يجعل عينى بطلة تبدوان أكثر شبهًا بعينى غزال بلقطة أفضل إنارة، وحركاتها أكثر رشاقة وتأثيراً. لن يهبط بالجيد إلى اليأس والهزيمة. لقد كان أكثر رحمة.

فى هذه الأثناء، كان يبقى عينًا حادة على الأوغاد. أكانوا يرتدون اللون الصحيح من ربطة العنق والفصال الصحيح من الجاكتة ليعززوا جلافتهم؟ أيبتسمون على نحو أكثر إيحاء بالثقة؟ أكانت الخطوط فى وجوههم مرضية جدا؟ محا تلك الصورة بماكينة التقطيع. فوق كل شىء، كان يرفض أن يجعلهم مملين. إن على الوغد أن يكون مثيراً للاهتمام. كان مالومار فى غرفة تقطيعه يراقب حقا كل ريشة تسقط من ننب العصفور. ينبغى أن يمتلك العالم الذى خلقه منطقًا معقولاً، وعندما انتهى من ذلك العالم بالخصوص، عادة ما يسعد المرء لكونه رآه موجوداً.

لقد خلق مالومار مئات من هذه العوالم. كانت تعيش فى ذهنه إلى الأبد كما لابد من أن مجرات الله التى لا تعد توجد فى ذهن الله. وكانت مأثرة مالومار مذهلة إلى ذلك الحد بالنسبة له. ولكنها كانت تختلف عندما غادر غرفة التقطيع التى تم تعتيمها وخرج إلى العالم الذى خلقه الله، الذى لم يكن معقولاً على الإطلاق.

كان مالومار قد عانى من ثلاث نوبات قلبية على مدى السنوات القلائل الماضية. بسبب العمل الزائد، قال الطبيب. ولكن مالومار كان يشعر دائمًا أن الله قد لخبط الأمور فى غرفة التقطيع. كان هو، مالومار، آخر امرئ ينبغى أن يصاب بنوبة قلبية. من الذى سيراقب كل هذه العوالم التى ينبغى خلقها؟ ولقد اعتنى عناية فائقة بنفسه. كان يأكل مقتصدًا وصحيحًا. كان يمارس التمارين الرياضية. كان يشرب قليلاً. كان يواقع بانتظام ولكن دون إسراف. لم يستخدم المخدرات أبدًا. كان لا يزال فتيا، وسيمًا؛ كان يبدو مثل بطل. ولقد حاول أن يتصرف حسنًا، أو على خير ما يمكن فى العالم الذى كان الله يصوره. فى غرفة تقطيع مالومار، ما كانت شخصية مثل مالومار لتموت من نوبة قلبية. كان المحرر سيستأصل الكادر، ويطلب المنتج إعادة كتابة النص. كان سيأمر المخرجين وكل الممثلين للإسهام فى عملية الإنقاذ. إن رجلاً كهذا ما كان يُسمح له بأن يهلك.

ولكن لم يكن بمقدور مالومار أن يزيل أوجاع الصدر. وغالبًا ما كان عند المساء، فى أوقات متأخرة جدا، فى بيته الضخم، يحشر أقراص الذبحة فى فمه. وعندئذ كان يتمدد فى فراشه وقد شلَّه الخوف. وفى الليالى السيئة حقا، كان يتلفن لطبيبه الخاص. كان الدكتور يأتى ويجلس معه أثناء الليل، يفحصه، ويطمئنه، ويمسك يده حتى ينبلج الفجر. ما كان الدكتور ليرفضه أبدًا لأن مالومار كان قد كتب نص حياة الدكتور. لقد أعطاه مالومار منفذًا إلى ممثلات جميلات كى يصير طبيبهن، وأحيانًا عشيقهن. عندما كان مالومار، فى أيامه الأولى، منغمسًا فى الجنس الأكثر نشاطًا، قبل نوبته القلبية الأولى، عندما كان بيته الضخم مليئًا بضيفات يقضين الليل هناك من النجيمات والموديلات عاليات الطراز، كان الدكتور رفيق عشائه فكانا يفحصان معًا وليمة النساء المستعدات للسهرة.

والآن فى منتصف الليلة هذه، تلفن مالومار ، الوحيد فى فراشه، وفى بيته ، للطبيب. جاء الطبيب وفحصه وأخبره أن الأوجاع ستزول. أنه لم يكن ثمة خطر. أنه ينبغى أن يحمل نفسه على النوم. جلب له الطبيب ماء لأقراص ذبحته ومهدئاته. وامتحن

الدكتور قلبه بسماعته. كان سليمًا، لم يكن سيتحطم إلى شظايا كما كان مالومار يظنه سيفعل. وبعد بضع ساعات، بعد أن استراح بيسر أكبر، أخبر مالومار الدكتور أن بمقدوره الذهاب إلى منزله. ثم استغرق مالومار فى النوم.

حلم. كان حلمًا نشيطًا. كان فى محطة سكك حديد، مسيجة. كان يشترى تذكرة. دفعه رجل ضئيل الحجم ولكن قوى البنية جانبًا وطلب تذكرته. كان للرجل الضئيل رأس قزم ضخم وقد صرخ بمالومار. طيب مالومار خاطره. تنحى جانبًا. ترك الرجل يشترى تذكرته. قال للرجل: انظر، مهما كان ما يزعجك، فذلك لا يضيرنى. وفيما كان يفعل ذلك، ازداد الرجل طولاً، وصارت ملامحه أكثر انتظامًا. وصار فجأة بطلاً، أقدم وقال لمالومار: أعطنى اسمك، سأفعل شيئًا. كان يحب مالومار. كان بمقدور مالومار أن يرى ذلك. كانا معًا لطيفين تجاه أحدهما الآخر. وكان وكيل السكك الحديد الذى يبيع التذاكر قد عامل الرجل الآخر الآن باحترام كبير.

استيقظ مالومار فى الظلمة الوسيعة لغرفة نومه الضخمة. ضاقت عدستا عينيه ثم، بلا رؤية محيطية، ركز على الضياء المستطيل الأبيض القادم من باب الحمام. فكر لبرهة أن الصور على الشاشة فى غرفة التقطيع لم تنته بعد، ثم أدرك أن ذلك لم يكن غير حلم. عند ذلك الإدراك انخلع فؤاده منفصلاً عن جسده فى خبب موقَّع مميت. تشابكت الاندفاعات الكهربائية لدماغه معًا. نهض جالسًا، وهو يتصبب عرقًا. مضى قلبه فى اندفاعة استثنائية أخيرة، ارتعد. سقط إلى وراء، مغمض العينين، كل ضوء يخبو عن الشاشة التى كانت حياته. كان آخر شىء سمعه هو ضجة كشط مثل تحطم سيليوليد (*) على فولاذ، ثم مات.

(*) Celluloid : مركب السلولوز والكافور ، الذى تصنع منه الأفلام . ويطلق مجازًا ، كما هى الحال هنا ، على الأفلام أيضًا .

- ٣٣ -

كان وكيلى، دوران رود، هو من تلفن لى محدثًا بأخبار وفاة مالومار. أخبرنى أنه سيقام مؤتمر كبير حول الفيلم فى استوديوهات الثقافات الثلاث فى اليوم التالى. كان علىّ أن أطير، وسيستقبل هو طائرتى.

فى مطار كينيدى تلفنت لجانيل كى أخبرها بأننى قادم إلى المدينة، ولكننى حصلت على ماكينة إجابتها بصوتها ذى اللكنة الفرنسية، وهكذا فقد تركت لها رسالة.

هزتنى وفاة مالومار. كنت قد طورت احترامًا هائلاً له أثناء الشهور التى عملنا فيها معًا. لم يكن يند عنه أى هراء، ولقد كانت له عين نسر تجاه كل هراء فى نص أو قطعة فيلم. كان علّمنى، عندما كان يرينى الأفلام، شارحًا لماذا كان مشهد ما لا يُعرض أو ما الذى أبحث عنه لدى ممثل يظهر موهبة حتى فى دور ردىء. ولقد تناقشنا كثيراً. أخبرنى أن المباهاة بالأدب أمر دفاعى وأننى لم أدرس الأفلام بعناية كافية. ولقد عرض حتى أن يعلمنى كيف أخرج فيلمًا، لكننى رفضت. ولقد أراد أن يعرف لماذا. قلت:

- اسمع، إن الإنسان بمجرد وجوده، بمجرد وقوفه ساكنًا وعدم إزعاجه أىٍّ كان، هو عامل صنع مصير. وهذا ما أكرهه فى الحياة. والمخرج السينمائى هو أسوأ عامل لصنع المصير على الأرض. فكر فى كل هؤلاء الممثلين والممثلات الذين تجعلهم بؤساء عندما تردهم خائبين. انظر إلى كل الناس الذين يتعين عليك أن تصدر إليهم الأوامر. المال الذى تنفق، والمصائر التى تتحكم بها. إننى لا أفعل غير كتابة الكتب، أنا لا أؤذى أحدًا أبدًا. يمكنهم أن يأخذوا الكتب أو يتركوها.

قال مالومار:

أنت على حق. إنك لن تصير مخرجًا أبدًا. ولكننى أظنك مليئًا بالهذر. لا يمكن لأحد أن يكون بهذه السلبية. ولقد كان، بالطبع، محقا. كل ما هنالك أننى كنت أريد أن أتحكم بعالم أكثر خصوصية.

ولكن، مع ذلك، أحسست لوفاته حزنًا. لقد كان لى بعض الود نحوه مع أننا لم يعرف أحدنا الآخر حقا بشكل جيد. ثم إننى قلقت كثيراً عما سيجرى لفيلمنا.

قابلنى دوران رود عند الطائرة. أخبرنى أن جيف واغون سيكون المنتج الآن وأن شركة الثقافات الثلاث قد ابتلعت استوديوهات مالومار. أخبرنى أن أتوقع مصاعب كبيرة. وفى الطريق إلى الاستوديو قدم لى تقريراً عن عملية الثقافات الثلاث كلها. وكذلك عن موسى وارتبورغ، عن زوجته بيلا، وعن جيف واغون. كمجرد مشهيات أخبرنى أنهم رغم كونهم أقوى استوديو فى هوليود، كانوا الأكثر كراهية من بينها، وغالبًا ما كان يسمون استوديوهات الكواسر الثلاث (*) . وأن وارتبورغ كان كوسجًا ومساعدى الرئيس الثلاثة بنات آوى. أخبرته أنه ليس بمقدور المرء أن يخلط رموزه على هذا النحو، وأنه إن كان وارتبورغ كوسجًا فينبغى أن يكون الآخرون سمك الزامور (**) . كنت أمزح، ولكن وكيلى لم يكن ليستمع حتى. اكتفى بأن قال:

- كنت أتمنى لو أنك كنت تضع ربطة عنق.

نظرت إليه. كان فى جاكتة جلدية سوداء صقيلة على كنزة معرَّقة ذات ياقة واقفة ضيقة. هز كتفيه. قال:

- لقد كان يمكن أن يصير موسى وارتبورغ هتلرَ ساميًّا. ولكنه كان سيقوم بذلك على نحو مختلف قليلاً. كان سيرسل كل المسيحيين الراشدين إلى غرفة الغاز ثم يؤسس زمالات جامعية لأطفالهم.

(*) فى هذه التسمية بالإنجليزية جناس لفظى بين الثقافات = Cultures والكواسر Vultures .

(**) Pilot fish : سمك بحرى صغير كثيراً ما يرافق الكواسج والسفن وكأنه يرشدها .

وأنا جالس مسترخيًا بشكل مريح فى سيارة دوران رود الميرسيدس 450SL ، كنت لا أكاد أصغى إلى هذر دوران. كان يخبرنى أنه سيقوم نزاع كبير على الفيلم. أن جيف واغون سيكون المنتج وأن وارتبورغ سيكون له اهتمام شخصى فيه. لقد قتلا مالومار بمضايقاتهما، قال دوران. ولقد صرفت النظر عن ذلك بوصفه مبالغة هوليودية. ولكن فحواها هو أن دوران كان يخبرنى أن مصير الفيلم سيتم تقريره اليوم. وهكذا، ففى السفرة الطويلة بالسيارة إلى الاستوديو حاولت أن أتذكر كل شىء مما كنت أعرفه أو سمعته عن موسى وارتبورغ وجيف واغون.

كان جيف واغون جوهر منتج تافه. كان تافهًا من قمة رأسه المتحجر إلى أصابع حذائيه ماركة بالى. كان قد أثبت جدارته فى التليفزيون، ثم شق طريقه عنوة إلى الأفلام الرئيسية بالعملية ذاتها التى تنتشر بها بقعة حبر على مفرش منضدة كِتانى وبالتأثير الجمالى نفسه. كان قد صنع أكثر من مائة فيلم تليفزيونى وعشرين فيلم مسرحى. لم يكن لأى منها لمسة جمال، لمسة نوعية، لمسة فن. كان لدى النقاد، ولدى العمال والفنانين فى هوليود، نكتة كلاسيكية تقارن بين واغون وسيلزنيك ولوبيتش وثالبيرغ. كانوا يقولون عن أحد أفلامه إنه يحوى بصمة دونغ لأن ممثلة شابة خبيثة سمته دونغ.

كان الفيلم النموذجى من أفلام جيف واغون محملاً بنجوم هرأهم قليلاً العمر وبلى السيللويد، متلهفين على صك الأجور. كانت الموهبة تعرف أنه فيلم تافه. كان المخرجون يتم انتقاؤهم شخصيا من قبل واغون. كانوا عادة سَقَط الجواريش، لهم وراءهم سلسلة من الإخفاقات بحيث يمكنه أن يلوى أذرعتهم ويجعلهم يصورون الفيلم على طريقته. كان الأمر الغريب أنه مع أن كل الأفلام كانت فظيعة، كانت إما تستعيد مصروفاتها أو تحقق ربحًا، ببساطة لأن الفكرة الأساسية كانت جيدة على نحو تجارى. كان يكون لها عادة جمهور مبيَّت، وكان جيف واغون وحشًا ضاريًا على الكلفة. وكان كذلك رهيبًا على العقود بحيث كان يجرد كل امرئ من نسبته لو صار الفيلم نجاحًا كبيرًا وحقق قدرًا كبيرًا من المال. وإن لم ينجح ذلك، كان يجعل الاستوديو يبدأ بإقامة الدعاوى

بحيث يمكن إجراء التسوية على النسب. ولكن موسى وارتبورغ كان يقول دائمًا إن جيف واغون يطلع دائمًا بأفكار رصينة. وربما كان ما لا يدريه هو أن واغون كان يسرق حتى هذه الأفكار. وقد فعل هذا بما لا يمكن تسميته إلا بالإغواء.

فى أيام شبابه الأحدث كان جيف واغون يبرر اسم السخرية الذى حصل عليه بأن يفتك بكل نجيمة تحل بموقع الثقافات الثلاث. كان سريع التكيف جدا مع طريقة تناوله. لو كنَّ يستسلمن، فقد كن يدخلن فى أفلام تليفزيونية كفتيات مقصف أو استقبال. وإن لعبن أوراقهن على نحو صحيح، كنَّ يحصلن على عمل كاف يوصلهن إلى نهاية العام. ولكن عندما انتقل إلى الأفلام الرئيسية، لم يكن هذا ممكنًا. بميزانيات تبلغ الواحدة منها ثلاثة ملايين دولار لا يمكن للمرء العبث هنا وهناك مقدمًا أدوارًا من أجل مواقعة. وهكذا كان يُفلت بأن يجعلهن يقرأن دورًا ما أو يعد بمساعدتهن قدر استطاعته، ولكن من دون التزام ثابت أبدًا. وكان بعضهن، بالطبع، موهوبات، ولما كانت قدمه داخل الباب من أجلهن فقد كنّ يحصلن على أدوار لطيفة فى الأفلام الرئيسية. وكان قليل منهن يصير نجمات. فى أرض الأمبيادات، كان جيف واغون المتبقى الأخير.

ولكن ذات يوم، من غابات المطر الشمالية فى أوريغون، ظهرت حسناء سالبة للأنفاس فى الثامنة عشرة. كان عندها كل شىء تريده. وجه عظيم، وجسد عظيم، مزاج نارى، وحتى موهبة. ولكن الكاميرا كانت ترفض أن تنصفها. فى السحر الأبله للأفلام ذاك، كان مظهرها لا ينفع.

وكانت أيضًا مجنونة قليلاً. كانت قد نشأت جميلة مثل إنسان غابٍ وصياد فى غابات أوريغون. كان يمكنها أن تسلخ ظبيًا وتحارب دبا رماديا. كانت قد سمحت بتحفظ لجيف واغون أن يواقعها مرة فى الشهر لأن وكيلها كان قد كلمها قبلاً. ولكنها كانت قادمة من مكانٍ الناسُ فيه رماة مستقيمون، وكانت تتوقع من جيف واغون أن يلتزم بقوله ويحصل لها على الدور. وعندما لم يتم ذلك، ذهبت إلى الفراش مع جيف واغون حاملة سكين سلخ ظباء، ثم فى اللحظة الحاسمة، غرزتها فى إحدى خصيتى جيف واغون.

لم ينته الأمر على سوء شديد. أولاً لأنها لم تقطع غير ثلمة من خصيته اليمنى، ولقد وافق الجميع على أن قطعة صغيرة لن تضره أبدًا مع خصيتيه الكبيرتين. وحاول جيف واغون نفسه أن يغطي الحادثة، رافضًا أن يسجل شكوى. ولكن القصة انتشرت. جرى شحن الفتاة إلى موطنها في أوريغون ومعها مال يكفي لبيت من جذوع الشجر وبندقية صيد ظباء جديدة. وقد تعلم جيف واغون درسه. ترك إغواء النجيمات وكرس نفسه لإغواء الكُتَّاب كي يسرق أفكارهم. فقد كان ذلك أكثر ربحًا وأقل خطورة معًا. فالكُتَّاب أكثر غباء وأجبن.

وهكذا فقد كان يغوي الكُتَّاب بأن كان يأخذهم إلى دعوات غداء باذخة. بأن يلوح بالأعمال أمام أعينهم؛ إعادة كتابة نص في الإنتاج، وألفي دولار للمعالجة. في هذه الأثناء، كان يتركهم يتكلمون عن أفكارهم لروايات أو سيناريوهات المستقبل. ثم كان يسرق أفكارهم بأن ينقلها إلى مواقع أخرى، مغيرًا الشخصيات، ولكن محافظًا دائمًا على الفكرة المركزية. ثم كان من دواعي سروره أن يخدعهم بعدم إعطائهم أي شيء. ولما كان الكُتَّاب لا فكرة لديهم عادة عن قيمة أفكارهم، فإنهم ما كانوا ليعترضوا. لا مثل هاته الفروج اللائي يعطينك قطعة من مؤخراتهن ويتوقعن أن تعطيهن القمر.

لقد كان الوكلاء هم من يسبقون جيف واغون ويمنعون موكليهم الكتاب من الغداء معه. ولكن كان ثمة كتاب شبان جدد يأتون إلى هوليود من جميع أنحاء البلاد. جميعهم يحلمون بتلك القدم داخل الباب التي ستجعلهم أغنياء ومشاهير. ولقد كانت عبقرية جيف واغون هي في جعلهم يرون شق الباب مفتوحًا بما يكفي لهرس أصابعهم حتى السواد والزرقة عندما يصفق الباب ليغلقه.

ذات مرة عندما كنت في فيجاس، أخبرت كولي بأنه وواغون كانا يهاجمان ضحاياهما بالطريقة ذاتها. ولكن كولي لم يوافق. قال:

- اسمع. أنا وفيجاس نسعى إلى مالك، هذا صحيح. ولكن هوليود تريد خصيتيك.

لم يكن يدري أن استوديوهات الثقافات الثلاث قد اشترت للتو إحدى أكبر كازينوهات فيجاس.

وكان موسى وارتبورغ قصة أخرى. في إحدى زياراتي الأولى إلى هوليود جرى أخذي إلى استوديوهات الثقافات الثلاث كي أقدم احتراماتي.

قابلت موسى وارتبورغ لمدة دقيقة. وعرفت من هو للتو. كان يتمتع بمظهر الكوسج ذاك الذي سبق أن رأيته عند كبار العسكريين، وأصحاب الكازينوهات، والنساء الجميلات جدا والثريات جدا، ورؤساء المافيا الكبار. لقد كان فولاذ السلطة البارد، والثلجية التي تجري خلال الدم والدماغ، وانعدام الرحمة والشفقة في كل خلايا الكائن الحي، الذي يبعث القشعريرة في الجسم. الناس الذين كانوا مكرسين تمامًا لسلطة المخدر العليا. السلطة المحققة سلفًا والممارسة على مدى فترة طويلة من الزمن. ومع موسى وارتبورغ، كانت تجري ممارستها نزولاً إلى أصغر إنش مربع.

في تلك الليلة، عندما أخبرت جانيل أنني كنت في استوديوهات الثقافات الثلاث وقابلت موسى وارتبورغ، قالت عرضًا:

- موسى العجوز الطيب. كنت أعرف موسى. ووجهت نحوي نظرة متحدية، وهكذا فقد تلقفت الطعم. قلت:

- حسنًا. حدثيني كيف عرفت موسى.

خرجت جانيل من الفراش لتمثل الدور:

- كان قد مضى على وجودي في المدينة نحو سنتين ولم أكن لأحصل على أي مكان، ثم دعيت إلى حفلة سيكون كل الأساطين الكبار حاضرين فيها، ومثل نجمة مستقبل صغيرة عاقلة، ذهبت لأجري اتصالات. كان ثمة دزينة من الفتيات من أمثالي. الكل نتجول في الأنحاء، نبدو جميلات، راجيات أن يُصعق منتج قوي ما بمواهبنا. حسنًا، أصابني الحظ. جاء موسى وارتبورغ نحوي، وكان فاتنًا. لم أكن أدري كيف كان الناس يستطيعون أن يقولوا مثل تلك الأشياء الرهيبة عنه. أتذكر أن زوجته قد صعدت لمدة دقيقة وحاولت أن تمضي به، ولكنه لم يوجه لها أي انتباه. اكتفى بأن بقي يكلمني وكنت في أوج جمالي الجنوبي الفاتن. وفي آخر السهرة، كما كان مؤكدًا، تلقيت

دعوة من موسى وارتبورغ لتناول العشاء فى منزله فى الليلة التالية. فى الصباح التالى تلفنت لكل صديقاتى وأخبرتهن بذلك. هنأننى وأخبرننى أنه سيتعين علىَّ أن أواقعه فقلت إننى بالطبع لن أفعل، لا فى موعدى الأول، ولقد كنت أظن أنه سيحترمنى أكثر لو أننى تمنعت عليه قليلاً. قلت:

ـ ذاك تكنيك جيد. فقالت:

ـ أدرى. لقد نجح معك، ولكننى كنت أتصور الأمر هكذا. لم يسبق قط أن ذهبت إلى السرير مع رجل ما لم أكن أستلطفه حقا. لم يسبق أبدًا أن ذهبت إلى الفراش مع رجل لمجرد أن أجعله يصنع لى شيئًا. أخبرت صديقاتى بذلك، فقلن لى إننى حمقاء. وإن موسى وارتبورغ كان حقا مغرمًا بى أو كان يستلطفنى حقا، فأنا فى طريقى لأصير نجمة.

وطوال بضع دقائق قدمتْ عرضًا صامتًا للفضيلة الزائفة تقنع ذاتها بممارسة الخطيئة الشريفة. قلت:

ـ وماذا جرى بعدئذ؟.

وقفت جانيل مزهوة، ويداها على وركيها، وقد أمالت رأسها على نحو دراماتيكى:

ـ فى الساعة الخامسة من عصر ذلك اليوم قمت بأعظم تصميم فى حياتى. قررت أننى سأواقع رجلاً ما كنت أعرفه لمجرد أن أتقدم. ظننتنى شجاعة جدا وقد سرنى أننى اتخذت أخيرًا القرار الذى ينبغى أن يتخذه رجل.

وخرجت من دورها لحظة، لتقول بعذوبة:

ـ أليس هذا ما يفعله الرجال؟ لو أمكنهم إجراء صفقة تجارية، فإنهم يعطون كل شىء، إنهم يحطون أنفسهم. أليس ذلك شغلاً؟. فقلت:

ـ أظن ذلك. وقالت لى:

- أو لم تضطر لفعل ذلك؟. فقلت:

- كلا.

- لم تفعل أبداً شيئًا من هذا النوع لتنجح فى نشر كتبك، أو لتحصل على وكيل أو لتجعل عارض كتب يعاملك على نحو أفضل؟. فقلت:

- لا. قالت جانيل:

- إن عندك فكرة جيدة عن نفسك، أليس كذلك؟ لقد كانت لى علاقات مع رجال متزوجين قبلاً، والشىء الوحيد الذى لاحظته هو أنهم جميعًا يريدون أن يرتدوا قبعة رعاة البقر البيضاء الكبيرة تلك.

- ماذا تعنين؟.

- يريدون أن يكونوا منصفين لزوجاتهم وصديقاتهم. ذاك هو الانطباع الوحيد الذى يريدون خلقه، كى لا تتمكن الواحدة من لومهم على أى شىء، وإنك لتفعل ذلك أيضًا.

فكرت فى ذلك دقيقة. أمكننى أن أفهم ما كانت تقصد. فقلت:

- حسنًا، ثم ماذا؟. فقالت جانيل:

- ثم ماذا؟ إنك تخبرنى بأنك تحبنى، ولكنك تعود إلى زوجتك. ما من رجل متزوج يحق له أن يخبر امرأة أنه يحبها ما لم يكن عازمًا على ترك زوجته. فقلت:

- هذا هراء رومانسى.

لبرهة، استشاطت غضبًا. قالت:

- لو أننى ذهبت إلى بيتك وأخبرت زوجتك أنك تحبنى، أفستنكرنى؟.

فضحكت، وضحكت حقا. ضغطت يدى على صدرى وقلت:

- هل لك أن تقولى ذلك مرة أخرى؟. فقالت:

- هل ستنكرنى؟، فقلت:

- بكل حرارة.

نظرت إلىّ برهة. كانت مهتاجة، ثم بدأت تضحك. قالت:

- لقد انكفأت معك، ولكننى لن أنكفئ ثانية.

وفهمت ما كانت تقول. قلت:

- حسنًا. ماذا حصل مع وارتبورغ؟. قالت:

- أخذت أفضل حمام بكل زيت السلاحف خاصتى. كرّست نفسى بالزيت، ولبست خيرة ثيابى وقدت نفسى بسيارتى إلى هيكل تضحيتى. أُدخلت إلى البيت، وهناك كان موسى وارتبورغ فجلسنا وتناولنا شرابًا وسألنى عن شغلى ورحنا نتحدث نحو ساعة وكان هو يستحيل حاذقًا جدا، تاركًا إياى أفهم أن الليلة لو مضت على نحو حسن، فإنه سيقوم بكثير من الأشياء لى وكنت أفكر: إنه لن يواقعنى، إنه حتى لن يتحسسنى. وتوقفت جانيل ونظرت إلىّ. قلت:

- ذلك شىء لم أفعله لك أبداً.

فوجهت نحوى نظرة طويلة، ثم واصلت:

- ثم قال: ثمة عشاء ينتظر فوق فى غرفة النوم. أتودين الصعود إلى فوق؟ فقلت، بصوتى الذى يخص الفاتنة الجنوبية: نعم، أظننى جائعة نوعًا ما، رافقنى إلى أعلى السلالم، على سلم جميل كما فى الأفلام، وفتح باب غرفة النوم. أغلقه خلفى، من الخارج، وها أنا صرت فى غرفة النوم مع مائدة صغيرة معدة ببعض الوجبات الخفيفة اللطيفة فوقها.

واتخذتْ وضعية أخرى من وضعيات الفتاة الشابة البريئة، الحائرة. قلت:

ـ أين موسى؟.

ـ هو فى الخارج. فى الممشى. فقلت:

ـ تركك تأكلين بمفردك؟. فقالت جانيل:

ـ كلا. لقد كانت هناك السيدة بيلا وارتبورغ فى أكثر ملابسها المنزلية شفافية تنتظرنى. قلت:

ـ يا عيسى المسيح.

دخلت جانيل مشهداً آخر:

ـ لم أكن أدرى بأننى كنت سأواقع امرأة. لقد احتجت إلى ثمانى ساعات لأقرر أن أواقع رجلاً، وها أنا أجد أن علىَّ أن أواقع امرأة. لم أكن مستعدة لذلك.

فقلت إننى أنا أيضاً لم أكن مستعداً لذلك. قالت:

ـ لم أعرف حقا ماذا أفعل. جلست وقدمت السيدة وارتبورغ بعض الشطائر والشاى ثم دفعت ثدييها إلى خارج ثوبها وقالت: أتحبين هذين، يا عزيزتى؟ فقلت: إنهما لطيفان جدا.

ثم نظرت جانيل إلى عينى مباشرة ودلَّت رأسها، فقلت:

ـ حسناً، ماذا جرى؟ ماذا قالت بعد أن قلت إنهما لطيفان؟.

جعلت جانيل عينيها تبدوان متسعتين، مذهولتين:

ـ قالت لى بيلا وارتبورغ: أتودين أن تمصيهما، يا عزيزتى؟.

ثم تداعت جانيل على السرير معى. قالت:

ـ ركضت إلى خارج الغرفة، ركضت هابطة السلالم، إلى خارج المنزل، واقتضى الأمر منى سنتين كى أحصل على عمل آخر. فقلت:

- إنها لمدينة قاسية. قالت جانيل:

- لا. لو أنني كنت تحدثت لصديقاتي لمدة ثماني ساعات أخرى، لكان ذلك سيكون حسنًا أيضاً. إنها مجرد مسألة جعل أعصابك جاهزة.

ابتسمت نحوها، فنظرت إلى عيني، متحدية. قلت:

- نعم، ما الفرق؟.

بينما أسرعت المرسيدس على الطرق الخارجية، حاولت أن أصغي إلى دوران. كان يقول:

- موسى العجوز هو الشخص الخطر. انتبه له، وهكذا كنت أفكر في موسى.

كان موسى وارتبورغ واحداً من أقوى الرجال في هوليود. كان استوديوه، استوديوهات الثقافات الثلاث، أقوى ماليا من معظم الشركات ولكنه يصنع أردأ الأفلام. لقد خلق موسى وارتبورغ ماكينة صنع نقود في مجال للجهد الخلاق. دون وجود عظم خلاق في بدنه. كان يُعترف بهذا على أنه عبقرية صرفة.

كان وارتبورغ رجلاً سميناً رخواً، يلبس بدلات على الموضة الفيجاسية مهملة الفصال. كان يتكلم قليلاً، ولا يظهر عاطفة أبداً، وكان يؤمن بإعطائك كل ما يمكنك أن تأخذه منه. كان يؤمن بعدم إعطائك أي شيء لا يمكنك أن تجبره، وحشد محامي استوديوه، على إعطائه. كان غير منحاز. يخدع المنتجين، والنجوم، والكتاب والمخرجين ليسلبهم نسبهم في الأفلام الناجحة. لم يكن يحس الامتنان لعمل إخراجي عظيم، أو لأداء عظيم، أو لنص عظيم. كم مرة أعطى مالاً كثيراً من أجل مادة تافهة؟ فلماذا يتعين عليه إذن أن يعطي رجلاً ما يستحقه عمله إن كان يمكنه الحصول عليه مقابل مالٍ أقل؟

كان وارتبورغ يتحدث عن الأفلام كما يتكلم الجنرالات عن شن الحرب. كان يقول أشياء مثل: لا يمكنك أن تقلي البيض دون أن تكسره. أو، عندما يذكِّر شريك عمل بعلاقتهما الاجتماعية، عندما يذكِّره ممثل كم كان أحدهما يحب الآخر شخصيا ولماذا

يقوم الاستوديو بخداعه، كان وارتبورغ يمنحه ابتسامة واهنة ويقول ببرود: عندما أسمع كلمة حب ، تمتد يدى إلى محفظتى.

كان محتقرًا للكرامة الشخصية، ويزهو عندما يتهم بافتقاره إلى أى إحساس بالاستقامة. لم يكن طموحًا إلى أن يشتهر بوصفه رجلاً كلمته هى رباطه. كان يؤمن بالعقود ذات الطباعة الدقيقة، لا المصافحات. لم يكن أبدًا أكثر احتشامًا من أن يخادع زميلاً ليسلبه فكرة، أو نصًا، أو نسبة يستحقها من فوائد فيلم. وعندما كان يُعيَّر، عادة من قبل فنان مثار للغاية ، فالمنتجون كانوا يعرفون خيرًا من ذلك، كان وارتبورغ يجيب ببساطة: إننى صانع أفلام، باللهجة نفسها التى ربما كان بودلير(*) يجيب بها على تعنيف مماثل قائلاً: إننى شاعر.

كان يستعمل المحامين كما يستعمل السفَّاح المسدسات، ويستعمل الود كما تستعمل المومس الجنس. كان يستعمل الأعمال الجيدة كما استعمل اليونانيون حصان طروادة، مدعومين بمنزل ويل روجرز للممثلين المتقاعدين، وإسرائيل، وملايين الهند المتضورة جوعًا، واللاجئين العرب من فلسطين. لم يكن يناقض مزاجه الشخصى إلا الإحسان الشخصى للكائنات البشرية الفردية.

كانت استوديوهات الثقافات الثلاث تخسر المال عندما تولى وارتبورغ المسئولية. وضعها فورًا على حاسوب دقيق له أساس عميق جدا . كانت صفقاته الأشد فى المدينة. لم يقامر أبدًا على أفكار خلاَّقة حقا حتى تتم تجربتها بنجاح فى استوديوهات أخرى. وكانت ورقته الرابحة هى الميزانيات الصغيرة.

عندما كانت الاستوديوهات الأخرى تجازف بأفلام ذات عشرة ملايين دولار، لم تكن استوديوهات الثقافات الثلاث تصنع أبدًا فيلمًا يتجاوز ثلاثة ملايين. فى الحقيقة، فوق مليونين ويكون موسى وارتبورغ أو أحد نوابه الثلاثة ينام معك أربعًا وعشرين ساعة يوميا . كان يجعل المنتجين يسابقون ضمانات الإنجاز، والمخرجين يرهنون النسب

(*) Baudelaire .

المئوية، والممثلين يقسمون بأرواحهم، كى يحققوا الفيلم ضمن الميزانية. إن مخرجًا يحقق الفيلم ضمن الميزانية أو بكلفة تقل عن الميزانية كان بطلاً فى نظر موسى وارتبورغ وهو يعرف ذلك. ولا يهم إن كان الفيلم لن يكسب غير كلفته. ولكن إذا ما تجاوز الفيلم الميزانية، حتى ولو ربح عشرين مليون وحقق للاستوديو ثروة، فإن وارتبورغ كان يستحضر الفقرة الجزائية فى عقد المنتج ويسلبه نسبته من الأرباح. بالتأكيد، كانت تقام دعاوى، ولكن كان للاستوديو عشرون محام يتقاضون الرواتب يجلسون هنا وهناك على مؤخراتهم هم بحاجة إلى التطبيق فى المحاكم. وهكذا، يمكن دائمًا التوصل إلى صفقة. خاصة إذا ما كان المخرج أو الممثل أو الكاتب يريد أن يصنع فيلمًا آخر لدى الثقافات الثلاث.

كان الشىء الوحيد الذى اتفق عليه الجميع هو أن وارتبورغ عبقرى فى التنظيم. كان عنده ثلاثة نواب رئيس مسئولين عن إمبراطوريات منفصلة وينافس أحدهم الآخر من أجل رضا وارتبورغ وعلى اليوم الذى سيتمكنون فيه من خلافته. كان للثلاثة بيوت هى قصور، علاوات وسلطة تامة ضمن حقولهم المعينة لا تخضع إلا لفيتو وارتبورغ. وهكذا، فقد كان الثلاثة يتصيدون المواهب والنصوص ويفكرون فى مشاريع خاصة. وهم يعرفون دومًا أن عليهم إبقاء الميزانية منخفضة، والموهبة قابلة للمطل، وأن يكبتوا أية شرارة أصالة قبل أن يجرؤوا على المجىء بها إلى جناح مكاتب وارتبورغ، على الطابق الأعلى من مبنى الاستوديو.

وكانت سمعته الجنسية لا غبار عليها. لم يكن يلهو ويلعب أبدًا مع النجيمات. لم يمارس أبدًا ضغطًا على مخرج أو منتج كى يستأجرا من فاز بحظوته فى فيلم ما. كان جزءًا من هذا طبيعته المتنسكة، وحيوية جنسية واطئة. وكان الجزء الآخر هو حسه الخاص بالكرامة الشخصية. ولكن السبب الرئيسى كان أنه متزوج على نحو سعيد منذ ثلاثين سنة من حبيبة طفولته.

كانا قد التقيا فى ثانوية البرونكس، وتزوجا فى مراهقتهما وعاشا معًا إلى الأبد منذ ذلك الحين.

كانت بيلا وارتبورغ قد عاشت معيشة القصص الخرافية. بوصفها مراهقة ساخنة في مدرسة ثانوية بالبرونكس، فتنت موسى وارتبورغ بالمزج القاتل بين ثديين ضخمين وحشمة فائقة. كانت تلبس سترات معرقة صوفية ثقيلة سائبة، وثيابًا برقمين أكبر من حجمها، ولكن ذلك كان مثل إخفاء قطعة معدن تبرق بالإشعاع النشط في كهف معتم. فالمرء يعرف أنها موجودة، وأن حقيقة كونها مخفية يجعلها حتى أكثر إثارة للشهوة. وعندما صار موسى منتجًا، لم تفهم حقا ما كان يعنيه ذلك. صار لها طفلان في سنتين وكانت راغبة تمامًا في أن يكون لها واحد كل سنة من سنوات خصبها، ولكن موسى كان هو من استدعى توقفًا. عند ذاك الوقت كان قد حول معظم طاقته إلى شغله، وكذلك، فإن الجسد الذى كان يتعطش إليه قد شوهته خدوش الولادة: لقد تهدل الثديان وبرزت عروقهما. ولقد كانت ربة بيت يهودية صغيرة أكثر طيبة مما يحب. جلب لها وصيفة ونسى أمرها. كان لا يزال يثمنها لأنها كانت غاسلة ملابس عظيمة: لقد كانت قمصانه البيضاء منشاة ومكوية بلا عيب. ما إن كان يرتديها، حتى كانت تتهاوى ذاوية. كانت مدبرة منزل بديعة. كانت تعرف أماكن بدلاته الفيجاسية وأربطة عنقه المبهرجة، تسلمها للتنظيف الجاف في الوقت المناسب تمامًا، لا كثيرًا جدا بحيث تؤدى بها إلى التلف قبل الأوان، ولا قليلاً جدا بحيث تجعلها تبدو متربة. ذات مرة اشترت قطة تجلس على الكنبة، وكان موسى قد جلس على تلك الكنبة، وعندما نهض كان على بنطاله شعر قطة. رفع القطة وضربها على الجدار. وصرخ بهستيرية على بيلا. فتخلت عن القطة في اليوم التالى.

ولكن القوة تفيض بشكل سحرى من منبع إلى آخر. عندما صار موسى رئيسًا لاستوديوهات الثقافات الثلاث، كأن بيلا وارتبورغ مستها العصا السحرية لجنية. تلقفتها زوجات المديرين، المتربيات في كاليفورنيا، في أيديهن. كوَّن لها مصفف الشعر تاجًا من الخصلات السود جعلها تبدو ملكية. وعاقب صف التمرين في الحرم، وهو منتجع ينتسب إليه كل العاملين فى الاستعراضات، جسدها بلا رحمة. هبطت من مائة وخمسين رطلاً إلى مائة وعشرة. حتى ثدياها تقلصا، ذبلا. ولكن ليس بما يكفى

للانطباق مع بقية جسدها. فقطعهما جراح تجميل إلى برعمين صغيرين كاملى التناسب. وفيما كان يفعل ذلك، ضاءل فخذيها وأخذ قضمة من عجيزتها. صمم خبراء أزياء الاستوديو خزانة تناسب جسدها الجديد ووضعها الجديد. نظرت بيلا وارتبورغ إلى مرآتها فرأت هناك - لا أميرة يهودية مثيرة مُلحمة على نحو شهوانى، وجميلة على نحو مبتذل، بل - فتاة مستجدة الظهور سابقة فى الأربعين، نحيلة، واخزة، مفعمة حيوية، مرحة، تفيض ملأى بالطاقة. وما لم تره، رحمة، كان أن مظهرها كان تشويهاً لما كانته، وأن ذاتها القديمة بقيت، مثل شبح، عبر عظام جسدها، وعبر بنيان وجهها. لقد كانت سيدة هزيلة على الموضة مبنية على عظام ثقيلة سبق أن ورثتها. ولكنها كانت تعتقد أنها كانت جميلة. وهكذا فقد كانت مستعدة تماماً عندما تظاهر ممثل شاب صاعد بأنه يعشقها.

ردت على حبه بعاطفة، بإخلاص. ذهبت إلى شقته الوضيعة فى سانتا مونيكا، ولأول مرة فى حياتها جرت مواقعتها على نحو شامل. كان الممثل الشاب عارم الرجولة، مخلصاً لمهنته، وقد ألقى بنفسه إلى دوره من كل قلبه بحيث كاد يصدق أنه مغرم كثيراً بحيث اشترى لها سوار رُقْية من غوتشى، ستعزه بقية حياتها دليلاً على عاطفتها العظيمة الأولى. وهكذا، فعندما طلب مساعدتها فى الحصول على دور فى أحد الأفلام الرئيسية الكبيرة للثقافات الثلاث، ارتبك تماماً عندما أخبرته أنها لا تتدخل أبداً فى عمل زوجها. تشاجرا بمرارة، واختفى الممثل من حياتها. وافتقدته، افتقدت الشقة الوضيعة، وتسجيلات الـ (روك) خاصته، ولكنها سبق أن كانت فتاة متزنة العقل وقد كبرت لتصير امرأة متزنة العقل. لن ترتكب الغلطة ذاتها. فى المستقبل ستنتقى عشاقها بالحذر الذى ينتقى فيه الممثل الهزلى قبعته.

فى السنوات التى تلت صارت مفاوضة خبيرة فى شئونها مع الممثلين، مميزة بما يكفى لتبحث عن الناس الموهوبين بدلاً من الأشخاص غير الموهوبين، وكانت فى الحقيقة تستمتع بالموهوبين أكثر. يبدو أن الذكاء العام يتماشى مع الموهبة. ولقد ساعدتهم فى مهنتهم. لم ترتكب أبداً غلطة الذهاب مباشرة إلى زوجها. لقد كان موسى

وارتبورغ أكثر سمواً من أن يهتم بمثل هذه القرارات. بدلاً من ذلك، كانت تذهب إلى واحد من نواب الرئيس الثلاثة. كانت تتكلم بحماسة بالغة عن موهبة ممثل رأته في فرقة فنية صغيرة تقدم عملاً لإبسن وتصر على أنها لا تعرف الممثل شخصيا ولكنها متأكدة من أنه سيكون رأس مال نافعًا للاستوديو. كان نائب الرئيس يسجل الاسم والممثل ينال دورًا صغيراً. وبسرعة فائقة انتشرت الكلمة. صارت بيلا وارتبورغ من سوء السمعة بكونها تواقع كل امرئ، في أي مكان، بحيث إنها كلما توقفت عند أحد مكاتب نواب الرئيس، كان نائب الرئيس ذاك يحرص على أن تكون إحدى سكرتيراته موجودة، كما يحرص طبيب أمراض نسائية على أن تكون ممرضة حاضرة عندما يفحص مريضة.

كان على نواب الرئيس الثلاثة المتسابقين على السلطة أن يجاملوا زوجة وارتبورغ، أو أنهم كانوا يشعرون أن عليهم ذلك. تصادق جيف واغون على نحو جيد مع بيلا، وكان حتى يقدمها إلى شاب ما بارز بشكل خاص. وعندما كان هذا كله يفشل، كانت تجوس حوانيت روديو الغالية للنساء، تتناول وجبات غداء مطولة مع نجيمات حسناوات في مطاعم خاصة الرواد، وهي تضع عوينات شمسية داكنة ضخمة بشكل ينذر بالشؤم.

بسبب علاقته الوثيقة ببيلا، كان جيف واغون المفضل ذا الأرجحية للحصول على موقع موسى وارتبورغ عندما يتقاعد. كانت ثمة صعوبة مخبوءة واحدة. ما الذي سيفعله موسى وارتبورغ عندما يعرف أن زوجته، بيلا، كانت مسالينا (*) بيفرلي هيلز؟ كان أصحاب أعمدة الشائعات يزرعون شئون بيلا كفقرات عمياء لا يمكن أن تفوت وارتبورغ. كانت بيلا سيئة السمعة.

كالعادة، فاجأ موسى وارتبورغ الجميع. لقد فعل ذلك بأن لم يفعل شيئًا أبدًا. كل ما هنالك أنه نادرًا ما كان ينتقم من العشيق: لم يقم بأعمال ثأرية ضد زوجته أبدًا.

(*) Valeria, Masalina .

كانت المرة الأولى التى انتقم فيها عندما تفاخر نجم (روك أند رول) شاب بانتصاره، داعيًا بيلا وارتبورغ العجوز المجنون. كان نجم الروك أند رول يقصد بذلك إطراءً عاليًا، ولكنه كان بالنسبة لموسى وارتبورغ مهينًا قدر إهانة مجيء أحد نوابه إلى العمل فى بنطال جينز أزرق وسترة معرقة ذات ياقة واقفة ضيقة. كان نجم الروك أند رول يحقق من ألبوم مفرد، عشرة أضعاف المال الذى يكسبه عن الدور الرئيسى فى فيلمه. ولكنه كان مصابًا بالحلم الأمريكى؛ كانت نرجسية تمثيل نفسه فى فيلم تسلب لبه. فى عشية العرض الخاص الأول كان قد جمع بطانته من زملائه الفنانين والصديقات وأخذهم إلى غرفة وارتبورغ الخاصة للعرض المكتظة بأسطع نجوم ستوديوهات الثقافات الثلاث. كانت إحدى أكبر حفلات العام.

جلس نجم الروك أند رول وجلس وجلس. انتظر وانتظر وانتظر. دار الفيلم ودار. وعلى الفيلم لم يكن يمكن رؤيته فى أى مكان. كان دوره على أرضية غرفة التقطيع. كان قد جُرِّد من عقله وتعين أن يؤخذ إلى البيت.

كان موسى وارتبورغ قد احتفل بتحوله من منتج إلى رئيس استوديو بانقلاب عظيم. على مدى سنوات كان قد لاحظ أن أقطاب الاستوديو كانوا غاضبين على الاهتمام الذى يمنح للممثلين والكُتَّاب والمخرجين والمنتجين فى جوائز الأكاديمية. كان يغيظهم أن أرباب عملهم كانوا من يحصلون على كل التقدير على الأفلام التى حققوها هم أنفسهم. لقد كان موسى وارتبورغ هو الذى دعم أولاً، قبل سنوات، فكرة إعطاء جائزة أرفينغ ثالبيرغ فى احتفالات الأكاديمية. كان ماهرًا بما يكفى لأن يدرج فى الخطة أن لا تكون الجائزة سنوية، وأن تعطى إلى منتج عن النوعية العالية باستمرار على مدى سنين. وكان حاذقًا أيضًا بما يكفى لأن يجعل عبارة توضع تنص على أنه لا يجوز لأى شخص أن ينال جائزة ثالبيرغ أكثر من مرة. عمليا، كان عديد من المنتجين، الذين لم تفز أفلامهم أبدًا بجوائز الأكاديمية، ولكن ممن كان عندهم كثير من النفوذ فى صناعة السينما، يحصلون على حصتهم من الدعاية بالفوز بجائزة ثالبيرغ. ولكن مع ذلك، كان هذا يترك رؤساء الاستوديو الفعليين والنجوم المحققين

للمال حقا الذين لم يكن عملهم قط جيداً بما فيه الكفاية. وكان عندئذ أن دعم وارتبورغ (الجائزة الإنسانية) كي تعطى للشخص ذى المثل الأرقى فى صناعة السينما، الذى يعطى من نفسه لتحسين الصناعة والجنس البشرى. وأخيراً، منذ سنتين، مُنح وارتبورغ هذه الجائزة وتقبلها على التليفزيون أمام مائة مليون مشاهد أمريكى معجب. وقد قدم الجائزة مخرج يابانى ذو شهرة عالمية لسبب بسيط هو أنه لم يتسن العثور على مخرج أمريكى يمكنه أن يقدم الجائزة بوجه غير منفعل. أو هكذا قال دوران عندما كان يحدثنى بهذه القصة بشكل خاص .

فى الليلة التى تلقى فيها موسى وارتبورغ جائزته، أصيب اثنان من كتاب السيناريوهات بالنوبة القلبية من الحنق. ورمت ممثلة جهاز تليفزيونها من جناحها الكائن فى الطابق الرابع فى فندق بيفرلى ويلشاير. واستقال ثلاثة مخرجين من الأكاديمية. ولكن تلك الجائزة صارت أعز ممتلكات موسى وارتبورغ. وعلق أحد كُتَّاب السيناريو بأن الأمر يشبه تصويت نزلاء معسكر اعتقال لهتلر بوصفه سياسيهم الأكثر شعبية.

وقد كان وارتبورغ هو من طور تكنيك تحميل النجم الصاعد بأقساط رهن ضخمة عن قصر فى بيفرلى هيلز لإجباره على العمل جاهداً فى أفلام تافهة. وكان موسى وارتبورغ هو من يحارب استوديوه على الدوام فى المحاكم متوصلاً إلى النتيجة المريرة القاضية بتجريد المواهب المبدعة من المال الذى تستحقه. وكان وارتبورغ هو من يملك الروابط فى واشنطن. كان السياسيون يجرى إمتاعهم بنجيمات حسناوات، وصناديق سرية، وعطلات مدفوعة النفقات فى منشآت الاستوديو فى جميع أرجاء العالم. لقد كان رجلاً يعرف كيف يستخدم المحامين والقانون ليقوم باغتيال مالى، أو ليسرق ويغش. أو هكذا قال دوران. بالنسبة لى كان يبدو مثل أى رجل أعمال أمريكى أحمر الدم.

بمعزل عن مكره، كان موقعه فى واشنطن أهم وديعة تمتلكها استوديوهات الثقافات الثلاث.

وقد نشر أعداؤه قصص فضائح عديدة عنه لم تكن صحيحة بسبب حياته النسكية. وبدأوا شائعات عن أنه يسافر جوا بمنتهى السرية إلى باريس مرة كل شهر ليولم نفسه على مومسات صغيرات. وقد نشروا إشاعة تقول بأنه كان مختلس نظر. إن عنده ثقبًا فى الجدار يطل على غرفة نوم زوجته عندما تمتع عشاقها. ولكن أيا من هذا لم يكن صحيحًا.

بشأن ذكائه وقوة شخصيته لا يمكن أن يكون ثمة أى شك. وعلى عكس بقية أساطين السينما الآخرين، كان يتجنب أضواء الدعاية، وكان الاستثناء الوحيد من ذلك سعيه للفوز بالجائزة الإنسانية.

عندما وصل دوران بقيادته السيارة إلى موقع استوديوهات الثقافات الثلاث، كان ذلك كراهية من النظرة الثانية. كانت المبانى خرسانية، والأرضيات مزينة بهندسة مناظر كما تلك المتنزهات الصناعية التى تجعل لونج أيلاند تبدو مثل معسكرات اعتقال آمنة للروبوتات. وعندما دخلنا عبر البوابات، لم يكن لدى الحرس منطقة توقف خاصة لنا، فكان علينا أن نستخدم المنطقة المقيسة بذراعها الخشبى المخطط بالأحمر والأبيض، التى كانت ترتفع آليا. لم ألاحظ أننى سأحتاج إلى مسكوكة ذات ربع دولار كى أخرج عبر ذراع الخروج.

ظننت أن هذا حادث، هفوة سكرتارية، ولكن دوران قال إنه كان جزءًا من تكنيك موسى وارتبورغ لوضع موهبة مثلى فى موقعها. إن نجمًا من النجوم كان سيقود سيارته متراجعًا إلى خارج الموقع. وهم لا يلعبونها مع المخرجين أو حتى مع ممثل كبير فى فيلم رئيسى. ولكنهم يريدون أن يعرف الكُتّاب أنه ليس لهم أن تكون لديهم أوهام عظمة. تصورت أن دوران كان مجنون اضطهاد فضحكت، ولكننى أظن أن الأمر أزعجنى، قليلاً فقط.

فى المبنى الرئيسى جرى التأكد من هويتينا من قبل حارس حماية، تلفن بعدئذ للتأكد من كون قدومنا متوقعًا. نزلت سكرتيرة وأخذتنا بالمصعد إلى الطابق الأعلى. وكان الطابق الأعلى شبحيا جدا. أنيقًا ولكنه شبحى.

رغم هذا كله، لابد من أن أعترف أننى تأثرت بسحر جيف واغون ولبّ شغل السينما. كنت أعرف أنه زائف ونصّاب، ولكن ذلك بدا طبيعيًا على نحو ما، كما هو ليس غير طبيعى أن تجد فاكهة غير قابلة للأكل غريبة المظهر على جزيرة إستوائية. جلسنا أمام طاولته، وكيلى وأنا، وأمر واغون سكرتيرته بأن توقف كل المكالمات. مشبع للغرور جدا. ولكن من الواضح أنه لم يعط كلمة الرمز السرية التى توقف كل المكالمات الهاتفية حقا، لأنه تلقى ما لا يقل عن ثلاث أثناء اجتماعنا.

كان لا يزال علينا أن ننتظر وارتبورغ نصف ساعة قبل أن يبدأ الاجتماع. روى لى جيف واغون بعض القصص المسلية، حتى تلك القصة عن فتاة أوريغون التى أطاحت بقطعة من خصيتيه. قال واغون: لو أنها كانت أنجزت عملاً أفضل، لكانت وفرت علىّ مقدارًا كبيرًا من المال والمشكلات أثناء هذه السنوات الأخيرة.

رن هاتف واغون، فقادنى ودوران أدنى الصالة إلى غرفة اجتماعات بانخة كان يمكن أن تصير موقعًا سينمائيا.

على طاولة الاجتماعات الطويلة كان يجلس أوغو كيلينو، وهولينان وموسى وارتبورغ، يتبادلون ثرثرات على هون. وعلى مبعدة فى أدنى الطاولة كان ثمة رجل فى منتصف العمر له رأس من الشعر الأبيض الجعد. قدمه واغون بوصف المخرج الجديد للفيلم. كان اسمه سيمون بيلفورت، وهو اسم عرفته. قبل عشرين سنة، كان قد صنع فيلمًا حربيا عظيمًا. وبعد ذلك مباشرة كان قد وقع عقدًا طويل الأمد مع الثقافات الثلاث وصار سيد التفاهات الأكبر لجيف واغون.

جرى تقديم الشاب الذى معه على أنه فرانك ريتشيتى. كان له وجه حاد، وماكر وكان يلبس على طراز صالة جاز - بولو /نجم روك/ هيبى من كاليفورنيا. كان التأثير صاعقًا فى عينىّ. كان يناسب تمامًا وصف جانيل للرجال الجذابين الذين يزحمون بيفرلى هيلز على أنهم أشباه قوادين - دون جوانات - محتالون. كانت تسميهم مدينة

الوحل. ولكن ربما كانت تقول ذلك لمجرد أن تبهجني. لم أكن أستطيع أن أرى كيف يمكن لأية فتاة أن تقاوم رجلاً مثل فرانك ريتشيتى. كان المنتج التنفيذى لسيمون بيلفورت على الفيلم.

لم يضع موسى وارتبورغ أى وقت على أى هذر. بصوته المحمل بالسلطة، وضع كل شىء فى مكانه الصحيح تماماً. قال:

ـ أنا غير سعيد بالنص الذى خلَّفه مالومار لنا. إن التناول خاطئ تماماً. إنه ليس فيلمًا من أفلام الثقافات الثلاث. كان مالومار عبقريا، كان بمقدوره أن يصور هذا الفيلم. ليس عندنا على هذا الموقع أى شخص من طبقته.

فتدخل فرانك ريتشيتى مقاطعًا، رقيقًا، ساحراً:

ـ لا أدرى، يا سيد وارتبورغ. إن عندك بعض المخرجين الرائعين هنا. وابتسم بولع نحو سيمون بيلفورت.

صوب وارتبورغ نحوه نظرة باردة جدا. لن يعود يسمع المزيد من ريتشيتى أبداً. واحمر بيلفورت قليلاً وأخذ ينظر بعيداً. ومضى وارتبورغ يقول:

ـ إن عندنا مقداراً كبيراً من المال مخصص لميزانية هذا الفيلم. إن علينا أن نضمن ذلك الاستثمار. ولكننا لا نريد أن يتقافز النقاد علينا، قائلين إننا ضربنا عمل مالومار. إننا نريد أن نستخدم سمعته لصالح الفيلم. سيصدر هوليبان نشرة صحفية موقعة منا جميعًا، نحن المجتمعين هنا، تقول بأن الفيلم سيصنع على الطريقة التى أرادها مالومار. إنه سيكون فيلم مالومار، تقديراً أخيراً لعظمته ولإسهامه فى الصناعة.

توقف وارتبورغ فيما سلم هوليبان نسخًا من النشرة الصحفية. ورق رسمى جميل، كما لاحظت، مع شعار الثقافات الثلاث بالأحمر والأسود الساطعين. قال كيلينو بيسر:

ـ موسى، أيها الفتى العجوز، أظن من الأفضل أن تتذكر أن ميرلين وسيمون سيعملان معى على النص الجديد. فقال وارتبورغ:

- حسنًا، لقد تم ذكره. ودعنى أذكرك، يا أوغو، أنه لا يمكنك أن تعبث بالإنتاج أو الإخراج. ذلك جزء من صفقتنا. فقال كيلينو:

- بالتأكيد.

ابتسم جيف واغون واسترخى فى مقعده إلى الوراء. قال:

- إن النشرة الصحفية هى موقفنا الرسمى. ولكن علىّ أن أخبرك، يا ميرلين، أن مالومار كان مريضًا جدا عندما ساعدك فى هذا النص. إنه فظيع. سيتعين علينا أن نعيد كتابته، إن عندى بعض الأفكار. ثمة كثير من العمل ينبغى القيام به. الآن نحن نملأ وسائل الإعلام بمالومار. أهذا مناسب لك، يا جاك؟، وجه سؤاله إلى هولينان، فهز هولينان رأسه مؤيدًا.

قال لى كيلينو بإخلاص شديد:

- أرجو أن تعمل معى على هذا الفيلم كى نجعله الفيلم العظيم الذى أراده مالومار أن يكون. فقلت:

- كلا، لا يمكننى القيام بذلك. لقد اشتغلت على النص مع مالومار. أظنه كان بديعًا. وهكذا، فلا يمكننى أن أوافق على أية تغييرات أو إعادة كتابة، وأنا لن أوقع أية نشرة صحفية بهذا المعنى. فقاطع هولينان بنعومة:

- نعرف جميعًا كيف تشعر. لقد كنت قريبًا جدا إلى مالومار فى هذا الفيلم. إننى أوافق على ما قلتَه للتو، أظنه رائعًا. إنه نادر أن يوجد مثل هذا الإخلاص فى هوليود، ولكن تذكر أن عندك نسبة فى الفيلم. إن من مصلحتك أن تجعل الفيلم ناجحًا. إن لم تكن صديقًا للفيلم، لو صرت عدوا للفيلم، فإنك ستأخذ المال من جيبك.

كان على أن أضحك حقا عندما قال ذلك السطر:

- إننى صديق للفيلم. ولهذا لا أريد إعادة كتابته. أنتم يا رجال من هم أعداء هذا الفيلم.

فقال كيلينو بفظاظة، بصوت أجش:

- إلى الجحيم به. دعوه يذهب. إننا لا نحتاج إليه.

لأول مرة نظرت مباشرة إلى كيلينو، وتذكرت وصف أوزانو له. كالعادة، كان كيلينو يرتدى على نحو جميل، بدلة كاملة الفصال، وقميصًا رائعًا، وحذاءين بنيين حريريين. كان يبدو جميلاً، وتذكرت استخدام أوزانو للكلمة الإيطالية الفلاحية (كافونه). قال: الـ(كافونه) هو فلاح ارتفع إلى غنى هائل وشهرة عظيمة ويحاول أن يجعل نفسه عضوًا فى طبقة النبلاء. إنه يفعل كل شىء على نحو صحيح. إنه يتعلم أخلاقه، وهو يحسِّن كلامه وهو يرتدى مثل ملاك. ولكن مهما كان جمال لبسه، مهما كانت العناية التى يبذلها، مهما كان الوقت الذى يستغرقه فى التنظيف، تبقى قطعة خراء صغيرة عالقة بحذائه.

وإذ كنت أنظر إلى كيلينو، تأملت كم كان يناسب هذا التعريف على نحو كامل.

قال وارتبورغ لواغون:

- سوِّ هذا الأمر، وترك الغرفة. ما كان بمقدوره أن يُشغل بتضييع الوقت مع كاتب نصف مستحمر. كان قد حضر الاجتماع مجاملة لكيلينو.

قال واغون بنعومة:

- إن ميرلين حيوى لهذا المشروع، يا أوغو. إننى واثق من أنه عندما يفكر فى الأمر، سينضم إلينا. يا دوران، لمَ لا نجتمع معًا ثانية خلال بضعة أيام؟. فقال دوران:

- بالتأكيد. سأتلفن لك.

نهضنا لننصرف. سلمت نسختى من النشرة الصحفية لكيلينو، وقلت:

- ثمة شىء على حذائك. استخدم هذه لمسحه.

عندما غادرنا استوديوهات الثقافات الثلاث، طلب منى دوران ألا أقلق. أخبرنى أنه سيجعل كل شىء مقوَّمًا خلال أسبوع، وأنه ليس بمقدور وارتبورغ وواغون أن يتحملا كونى عدوا للفيلم. أنهما سوف يساومان. وأننى ينبغى ألا أنسى نسبتى.

أخبرته أننى لا أبالى أبداً، وأمرته أن يقود أسرع. كنت أدرى أن جانيل ستكون منتظرة إياى فى الفندق، وكان يبدو كما لو أن الشىء الذى كنت أريده أكثر من أى شىء فى العالم هو أن أراها ثانية. أن ألمس جسدها وأقبل فمها وأتمدد معها وأسمعها تروى لى قصصاً.

كنت سعيداً لأنه كان لى عذر كى أبقى فى لوس أنجلوس لمدة أسبوع كى أكون معها ستة أيام أو سبعة. لم أكن فى الحقيقة أبالى بالفيلم أبداً. ما دام مالومار قد مات، فأنا أدرى أنه لن يكون غير قطعة هريس بائسة أخرى من استوديوهات الثقافات الثلاث.

عندما تركنى دوران عند فندق بيفرلى هيلز، وضع يده على ذراعى وقال:

- انتظر دقيقة. ثمة شىء ينبغى أن أحدثك بشأنه. فقلت بنفاد صبر:

- حسنًا.

قال دوران:

- كنت أنوى أن أخبرك منذ زمن طويل، ولكننى كنت أحس أن الأمر ليس من شأنى. فقلت:

- يا للمسيح. ما الذى تتحدث عنه بحق الجحيم؟ إننى على عجلة.

فابتسم دوران بشىء من الحزن:

- إى، أدرى. إن جانيل تنتظرك، صحيح؟ أريد أن أحدثك عن جانيل. فقلت لدوران:

- انظر. إننى أعرف كل شىء عنها وأنا لا أبالى بما فعلته، بما كانته. فذلك لا يشكل فرقًا كبيراً بالنسبة لى.

توقف دوران برهة:

- أتعرف تلك الفتاة، أليس، التى تعيش معها؟. فقلت:

- إى. إنها فتاة لطيفة. قال دوران:

- إنها لعوب صغيرة.

أحسست شعوراً غريباً من الإدراك كما لو كنت كولى يعد جعبة الورق تنازليا. قلت:

- إى. ثم ماذا؟. قال دوران:

- وكذلك جانيل. قلت:

- تعنى أنها سحاقية؟. قال دوران:

- التعبير هو ثنائية الجنس. إنها تحب الرجال والنساء.

فكرت فى ذلك برهة، ثم ابتسمت بوجهه وقلت:

- لا أحد كامل. وخرجت من السيارة وصعدت إلى جناحى، حيث كانت جانيل تنتظرنى، ومارسنا الحب معًا قبل أن نخرج للعشاء. ولكننى هذه المرة لم أطلب منها أية قصص. لم أذكر ما قاله دوران. لم يكن ثمة داع. كنت قد لحقت منذ زمن طويل وقد تصالحت معها. إن ذلك أفضل من مواقعتها رجالاً آخرين.

الفصل السادس



- ٣٤ -

على مدى سنين كان كولى كروس يعد حاوية الورق تنازليا على نحو تام، وقد أحرز أخيرًا اليد الممتلئة الرابحة. كان حقا كسانادو رقم اثنين، مليئًا بالـ "عصارة"، وحائزًا السلطة التامة لـ "القلم" . "قلم ذهب" . كان بمقدوره أن يمنح كل شىء، لا مجرد غرفة، وطعام ومشروبات، الـ (غ ط م) القياسى، وإنما تذاكر سفر جوية من كل أنحاء العالم، وفتيات تليفون من ذوات أغلى الأسعار، وسلطة جَعْل معدادات الزبائن تختفى. لقد كان بمقدوره حتى أن يمنح رقاقات مقامرة مجانية للفنانين والفنانات الذين يقدمون برامج فى فندق كسانادو.

خلال هذه السنوات كان غرونيفيلت بالنسبة له أبًا أكثر منه رئيسًا. كانت صداقتهما قد صارت أقوى. كانا قد قاتلا ضد مئات من الأوباش معًا، صدُّوا القراصنة، من الداخل والخارج، الذين حاولوا أن يسطوا على حسابات وأموال فندق كسانادو المقدسة: وكلاء مطالبة مرتدون على المعدادات، وناقلون جذابون يحاولون أن يُفرغوا ماكينات المقامرة ضد كل قوانين المصادفات، وأسياد حفلات يبلغون عن فنانين سيئى الاعتماد يحملون بطاقات هوية زائفة، وموزعو الدار الذين يختلسون، ومزيفو تذاكر الكينو، وصبيان حواسيب على موائد البلاك جاك، وآلاف من قارصى الزهر. حاربهم كولى وغرونيفيلت وأبعدوهم.

أثناء هذه السنوات حاز كولى احترام غرونيفيلت بحاسته المميزة فى اجتذاب زبائن جدد للفندق. كان قد نظم دورة ألعاب عالمية للنرد تقام فى الكسانادو. كان قد حافظ على زبون ينفق مليون دولار سنويا بأن كان يعطيه رولز رويس جديدة هدية فى كل عيد ميلاد. كان الفندق يسجل السيارة على مصروفات العلاقات العامة: خصم

ضريبى. كان الزبون سعيداً بتسلمه سيارة قيمتها ستون ألف دولار ربما كانت ستكلفه مائة وثمانين ألف دولار بدولارات الضرائب، حَسْم عشرين بالمائة من خسائره. ولكن انقلاب كولى الأبدع كان مع شارلز حمصى. لقد بقى غرونيفيلت يباهى بمكر محميّه لسنوات ثلث.

كان لدى غرونيفيلت تحفظاته على شراء كولى كل معدادات حمصى فى فيجاس مقابل عشرة سنتات لكل دولار. ولكنه كان قد أطلق لكولى عنانه. وكان مؤكداً أن حمصى كان يأتى إلى فيجاس ست مرات فى السنة فى الأقل وكان يقيم دائمًا فى الكسانادو. فى إحدى السفرات كان قد حظى بدفعة بالغة الغرابة على مائدة الكرابس وربح سبعين ألف دولار. استخدم المال ليدفع عن بعض المعدادات، وهكذا كان الكسانادو متقدمًا سلفًا فى اللعبة. ولكن عندئذ أظهر كولى عبقريته.

فى إحدى السفرات كان شارلى حمصى قد ذكر أن ابنه على وشك أن يتزوج فتاة فى إسرائيل. وقد ابتهج كولى كثيراً لصديقه فأصر على أن يتحمل فندق الكسانادو مجموع نفقات حفل الزواج. أخبر كولى حمصى أن طائرة فندق الكسانادو النفاثة (وهى واحدة أخرى من بنات فكر كولى، فقد اشتريت الطائرة لتسرق العمل من مديرى الرحلات) ستنقل حفلة العرس كلها إلى إسرائيل وتدفع عن الإقامة هناك. سيدفع الكسانادو تكاليف وليمة العرس، والفرقة الموسيقية، وكل المصروفات. كان ثمة شرط واحد. بما أن ضيوف العرس كانوا من كل أنحاء الولايات المتحدة، عليهم أن يستقلوا الطائرة فى لاس فيجاس. ولكن بلا إجحاف: بإمكانهم جميعًا أن ينزلوا فى الكسانادو، مجانًا.

حسب كولى كلفة الفندق على أنها مائتا ألف دولار. أقنع غرونيفيلت أنها ستُسترد، وإن لم تسترد، سينالون فى الأقل شارلى حمصى وابنه لاعبين مدى الحياة. ولكنها أثبتت كونها انقلاب مضيف عظيمًا. لقد جاء أكثر من مائة ضيف زواج إلى فيجاس، وقبل أن يغادروا إلى الزفاف فى إسرائيل، تركوا نحو مليون دولار فى صندوق صراف الفندق.

ولكن كولى كان يخطط اليوم ليتقدم إلى غرونيفيلت بمشروع أكثر درا للمال، مشروع سيحمل غرونيفيلت وشركاءه على تسميته مديراً عاماً لفندق كسانادو، أقوى موقع رسمى مفتوح بعد غرونيفيلت. كان ينتظر فوميرو، كان فوميرو قد كدس معدادات فى سفرتيه الأخيرتين؛ كان يجد صعوبة فى السداد. كان كولى يعرف لماذا وكان لدى كولى الحل. ولكنه كان يعرف أن عليه أن يترك فوميرو يأخذ زمام المبادرة، وأنه سيحاذر لو أن كولى نفسه اقترح الحل. لقد علمته ديزى ذلك.

جاء فوميرو إلى المدينة أخيراً، عزف على بيانوه فى الصباح وشرب حساءه على الإفطار. لم يكن مهتمًّا بالنساء. كان مكرَّساً للمقامرة، وأثناء ثلاثة أيام كان قد خسر كل نقده ووقع ثلاثمائة ألف أخرى فى معدادات. قبل أن يغادر، استدعى كولى إلى غرفته فى الفندق. كان فوميرو مؤدباً جدا وعصبيا قليلاً فقط. لم يكن يريد أن يفقد اعتباره. كان يخشى أن يظن كولى أنه غير راغب فى سداد ديونه فى القمار، ولكنه شرح بعناية بالغة لكولى أنه مع كونه يمتلك مالاً كثيراً فى طوكيو، وأن المليون دولار بالنسبة له مجرد مقدار ضئيل، إلا أن المشكلة هى إخراج النقد من اليابان، تحويل الين اليابانى إلى دولارات أمريكية. قال لكولى:

ـ وهكذا، يا سيد كروس، لو كان بمقدورك أن تأتى إلى اليابان، فسأدفع لك هناك بالين، ثم أنا واثق من أنك ستجد طريقة لإيصال المال إلى أمريكا.

أراد كولى أن يؤكد لفوميرو ثقة الفندق وإيمانه التامَّين به. قال:

ـ يا سيد فوميرو، ليس من داع للعجلة حقا، إن اعتبارك جيد. يمكن للمليون دولار أن تنتظر حتى المرة القادمة التى يتسنى لك فيها المجىء إلى فيجاس. إنها ليست مشكلة حقا. إننا نبتهج دائماً برؤيتك هنا. إن رفقتك لسرور بالغ لنا. أرجوك لا تشغل نفسك. دعنى فقط أضع نفسى فى خدمتك، والآن، لو كان ثمة أى شىء تريده، فأرجوك خبرنى وسأرتب كل شىء كما تتمنى. إنه لشرف بالنسبة لنا أن تكون مديناً لنا بالمال.

انشرح وجه فوميرو القسيم. إنه لم يكن يتعامل مع أمريكى متوحش، ولكن مع أمريكى مؤدب كما لو كان يابانيًّا تقريباً. قال:

ـ يا سيد كروس، لمَ لا تأتى لزيارتى؟ سنستمتع بوقت رائع فى اليابان. سآخذك إلى بيت من بيوت الغيشا، وستنال خير طعام، وأفضل شراب، وأحسن النساء. ستكون ضيفى الشخصى وسأتمكن أن أسدد بعض الضيافة التى طالما أغدقتها علىّ وسأعطيك المليون دولار التى تخص الفندق.

كان كولى يعرف أن لدى الحكومة اليابانية قانونًا صارمًا عن تهريب الين إلى خارج البلاد. لقد كان فوميرو يقترح عملاً إجراميا. انتظر، ثم اكتفى بأن هز رأسه موافقًا، غير ناسٍ أن يبتسم على الدوام. وواصل السيد فوميرو:

ـ سيسرنى أن أفعل لك شيئًا. إننى أثق بك من كل قلبى، وذلك هو السبب الوحيد التى يجعلنى أقول لك هذا: إن حكومتى صارمة جدا بشأن تصدير الين. وإنه ليسرنى أن أُخرج مالى. والآن، فإنك عندما تأخذ المليون الخاصة بفندق الكسانادو، إن أمكنك أن تأخذ مليونًا لى وتودعها فى صندوقكم، فإنك ستتلقى خمسين ألف دولار.

شعر كولى بالرضا العذب للعد التنازلى المضبوط لحاوية الورق. قال بإخلاص:

ـ يا سيد فوميرو، سأفعل ذلك مدفوعًا بصداقتى لك. ولكننى، بالطبع، ينبغى أن أتكلم مع السيد غرونيفيلت. فقال فوميرو:

ـ بالطبع. سأتكلم أنا أيضًا معه.

بعد ذلك مباشرة تلفن كولى لجناح غرونيفيلت فأخبرته عاملة البدالة الخاصة أن غرونيفيلت كان مشغولاً وهو لا يتسلم أية مكالمات عصر ذلك اليوم. ترك رسالة تقول بأن الأمر ملح. وانتظر فى مكتبه. بعد ثلاث ساعات رن الهاتف، وكان غرونيفيلت يطلب إليه النزول إلى جناحه.

كان غرونيفيلت قد تغير كثيراً عبر بضع السنوات الأخيرة. كان الأحمر قد زايل بشرته، تاركًا لها بياض الأشباح. وكان وجهه يشبه وجه صقر سريع العطب. لقد صار فجأة عجوزًا، وكان كولى يعرف أنه نادرًا ما كان يأخذ فتاة ليمضى عصاريه. كان يبدو

مستغرقًا أكثر فأكثر فى مكتبه وكان يترك معظم تفاصيل إدارة الفندق لكولى. ولكنه كان لا يزال يقوم بجولته كل ليلة فى طابق الكازينو، مدققًا أركان اللعب كلها، ومراقبًا الموزعين وحاملى العصى ورؤساء الأركان بعينيه الصقريتين. كان لا يزال يمتلك تلك الطاقة على اجتذاب طاقة الكازينو الكهربائية إلى جسده ذى الإطار الصغير.

كان غرونيفيلت مرتديًا ملابسه للنزول إلى طابق الكازينو. عبث بلوحة السيطرة التى يمكن أن تغرق أركان الكازينو بأوكسجين نقى. ولكن الوقت كان لا يزال مبكرًا من المساء. سيكبس الزر فى وقت من ساعات الصباح الباكر عندما يبدأ اللاعبون يتعبون ويفكرون فى الذهاب إلى النوم. عندئذ سيبعث فيهم الحياة كما لو كانوا دمى. لم يكن قد ربط أجهزة السيطرة على الأوكسجين بغرفته مباشرة إلا فى السنة الفائتة.

أمر غرونيفيلت بجلب العشاء إلى جناحه. كان كولى متوترًا. لماذا أبقاه غرونيفيلت منتظرًا ثلاث ساعات؟ هل كلمه فوميرو قبلاً؟ وعرف للتو أن ذلك كان ما جرى. أحس الامتعاض؛ كانا كلاهما قويين جدا، وهو لم يكن بعد على ارتفاع مستوييهما، وهكذا فقد تشاورا معًا من دونه.

قال كولى بنعومة:

- أظن فوميرو قد أخبرك بفكرته. لقد أخبرته أننى يجب أن أدقق الأمر معك.

ابتسم له غرونيفيلت:

- كولى، يا ابنى، إنك لأعجوبة. كامل. ما كنت لأفعل خيرًا من ذلك أنا نفسى. لقد جعلت ذلك اليابانى يأتى إليك. كنت أخشى أن تفقد الصبر إذ ترى كل تلك المعدادات تتراكم فى الصندوق. فقال كولى:

- إنها صديقتى، ديزى. لقد جعلت منى مواطنًا يابانيًا.

قطب غرونيفيلت قليلاً. قال:

- إن النساء خطيرات، لا يستطيع رجال مثلك ومثلى أن يتحملوا اقترابهن الزائد. تلك هى قوتنا. يمكن للنساء أن يتسببن فى قتلك من أجل لا شىء. إن الرجال أكثر إدراكًا وأجدر بالثقة. وتنهد:

- حسنًا، يجب ألا أقلق عليك فى هذا الخصوص. وتنهد، ثم هز رأسه هزة خفيفة وعاد إلى شغله.

- إن الإزعاج الوحيد فى هذه الصفقة كلها هو أننا لم نجد بعد طريقًا مأمونة لإخراج المال من اليابان. إن عندنا ثروة من المعدادات هناك، ولكننى لن أدفع نكلة مقابلها. إن عندنا مجموعة كاملة من المشكلات. إحداها، أن الحكومة اليابانية لو أمسكتك، فإنك ستقضى سنوات فى السجن. والثانية، أنك ما إن تأخذ المال حتى تصير هدفًا للخطافين. إن لدى المجرمين اليابانيين استخبارات جيدة جدا. سيعرفون ما إن تتسلم المال. وثالثًا، إن مليونى دولار بالين اليابانى ستكون حقيبة ملابس كبيرة، جدا. فى اليابان، يفحصون الأمتعة بالأشعة السينية. كيف ستحولها إلى دولارات أمريكية عندما تُخرجها؟ كيف تدخل الولايات المتحدة، ثم - مع أننى أظن أن بمقدورى أن أضمن لك ألا يقع هذا - ماذا بشأن الخاطفين هنا؟ إن الناس فى هذا الفندق سيعرفون أننا سنرسلك إلى هناك كى تأتى بالمال. إن لدى شركاء، ولكننى لا أستطيع ضمان تعقلهم جميعًا. وكذلك، على سبيل المصادفة المحض، يمكن أن تفقد المال، وسنشك على الدوام بكونك مذنبًا، ما لم تقتل. فقال كولى:

- لقد فكرت فى ذلك كله. لقد تأكدت من الصندوق، وإننى لأرى بأن لدينا ما لا يقل عن مليون أو مليونى دولار آخر على هيئة معدادات مع لاعبين يابانيين آخرين. وهكذا، فإننى سأجلب أربعة ملايين دولار. فضحك غرونيفيلت:

- فى رحلة واحدة، ستكون تلك مقامرة مرعبة، نسبة سيئة.

- حسنًا، ربما سفرة واحدة، ربما سفرتان، ربما ثلاث سفرات. ينبغى أولاً أن أجد كيفية القيام بذلك.

قال غرونيفيلت:

- إنك تتحمل كل المجازفة بكل طريقة. بقدر ما يمكننى أن أرى، فإنك لا تحصل على شىء من الأمر. إن ربحتَ، لن تربح شيئًا. وإن خسرت، فإنك تخسر كل شىء.

لو اتخذت موقعًا كهذا، فإن السنوات التى قضيتها أعلمك ستكون قد ضاعت. فلماذا إذن تريد القيام بهذا؟ ليس ثمة من نسبة. قال كولى:

- انظر، سأقوم بذلك بمفردى دون أى عون. سأتحمل كل اللوم إن جرى خطأ. ولكن إن عدتُ بأربعة ملايين دولار، فإننى أنتظر أن أسمَّى مديرًا عامًا للفندق. إنك تعرف أننى رجلك. إننى لن أصير ضدك أبدًا. قال غرونيفيلت:

- إنها لمقامرة رهيبة من جانبك. أكره أن أراك تقوم بها. قال كولى:

- إذن، فلا بأس فى الأمر؟. حاول أن يبعد الابتهاج عن صوته. لم يكن يريد أن يعرف غرونيفيلت كم كان متلهفًا. قال غرونيفيلت:

- إى. ولكن اكتف بأن تجلب مليونى فوميرو، لا تبالِ أبدًا بالمال الذى يدين به الآخرون لنا. إذا ما جرى شىء خطأ، فإننا لن نخسر عندئذ غير المليونين.

فضحك كولى، لاعبًا اللعبة:

- إننا لا نخسر غير مليون واحد، والمليون الثانى هو مليون فوميرو. أتذكر؟.

فقال غرونيفيلت جادا تمامًا:

- كله يعود لنا. ما إن يصير ذلك المال فى صندوقنا، فسيقامر به فوميرو ويخسره. تلك هى قوة هذه الصفقة.

فى الصباح التالى أخذ كولى فوميرو إلى المطار بسيارة غرونيفيلت الرولز رويس. كانت معه هدية ثمينة لفوميرو، مسكوكة عتيقة على هيئة مصرف صنعت فى أيام النهضة الإيطالية. كان المصرف مليئًا بالمسكوكات الذهبية. كان فوميرو مغمورًا بالوجد، ولكن كولى أحس شيئًا من التسلية تحت سروره الفائض.

أخيرًا، سأل فوميرو:

- متى ستأتى إلى اليابان؟. قال كولى:

- بين أسبوعين إلى شهر منذ الآن. حتى السيد غرونيفيلت لن يعرف اليوم الدقيق. إنك تفهم لماذا.

فهز فوميرو رأسه مؤيداً:

- نعم. عليك أن تكون حذراً جدا. سأضع المال فى الانتظار.

عندما عاد كولى إلى الفندق، سجل مكالمة هاتفية إلى ميرلين فى نيويورك.

- ميرلين، أيها الصديق القديم، ما رأيك فى مرافقتى فى سفرة إلى اليابان، كل نفقاتها مدفوعة وفيها فتيات غيشا؟.

كان ثمة توقف طويل على الجهة الأخرى، ثم سمع صوت ميرلين يقول:

- بالتأكيد.

- ٣٥ -

استهوانى السفر إلى اليابان بوصفه فكرة جيدة. كان علىَّ أن أكون فى لوس أنجلوس فى الأسبوع التالى كى أعمل على الفيلم، على أية حال، وهكذا فقد كنت سأصير بعيداً جزئيا عن هنا. وكنت أتخاصم كثيراً مع جانيل بحيث إننى أردت أن أبتعد عنها لفترة. كنت أعرف أنها ستعتبر ذهابى إلى اليابان إهانة شخصية، وقد أبهجنى ذلك.

سألتنى فالى كم سأبقى فى اليابان فقلت نحو أسبوعين. لم تهتم لذهابى، لم تكن لتهتم أبداً. كانت، فى الحقيقة، تسر دائماً لرؤيتى أغادر. كنت بالغ التململ حول البيت، مرهقًا للأعصاب جدا. كانت تقضى وقتًا طويلاً فى زيارة أبويها وأفراد آخرين من عائلتها، وكانت تأخذ الأطفال معها.

عندما نزلت من الطائرة فى لاس فيجاس، قابلنى كولى مع الرولز رويس، على ساحة الهبوط بالضبط، كى لا أضطر للمشى عبر المحطة. حرك ذلك أجراس إنذار فى رأسى.

منذ وقت طويل كان كولى قد شرح لى لماذا كان يقابل أحيانًا أناسًا عند ساحة الهبوط بالضبط. كان يفعل هذا كى يتهرب من كاميرا مكتب التحقيقات الاتحادى التى تراقب كل المسافرين الوافدين.

حيث كانت ممرات البوابة جميعًا تنصبُّ إلى غرفة الانتظار المركزية فى المحطة كان ثمة ساعة ضخمة. وراء هذه الساعة، فى حجيرة نصبت خصيصاً، كان ثمة آلات تصوير تسجل حشود المقامرين المتلهفين المندفعين إلى لاس فيجاس من جميع أنحاء العالم. فى الليل، كان فريق عمل مكتب التحقيقات الاتحادى الذى فى الواجب يدير الفيلم ويدققه مع قوائمه الخاصة بالمطلوبين. سارقو المصارف المتكلون على الحظ،

والمختلسون الفارون، وفنانو تزييف المال، والخاطفون والمبتزون الناجحون الذين كانوا يندهشون عندما يتم تلقفهم قبل أن تتاح لهم الفرصة للمقامرة كي يخسروا أرباحهم التي لم يكسبوها بنزاهة.

وعندما سألت كولي كيف عرف بهذا، أخبرني أن عنده عميل مكتب تحقيقات اتحادي سابقًا يشتغل مديراً لأمن الفندق. كان الأمر بتلك البساطة.

وقد لاحظت الآن أن كولي كان يقود الرولز بنفسه. لم يكن ثمة سائق. قاد السيارة حول المحطة إلى منطقة الأمتعة، وجلسنا في السيارة منتظرين نزول أمتعتي من أعلى الحزام الناقل. فيما كنا ننتظر، قدم لي كولي تقريراً مختصراً.

حذرني أولاً ألا أقول لغرونيفيلت إننا ذاهبان إلى اليابان في الصباح التالي. أن أتظاهر بأنني إنما جئت من أجل عطلة مقامرة. ثم أخبرني عن مهمتنا، المليوني دولار بالين الياباني التي سيكون عليه تهريبها إلى خارج اليابان والمخاطر المتضمنة. قال بإخلاص تام:

ـ انظر، لا أفكر أن ثمة خطراً أبداً، ولكنك قد لا تشعر على النحو ذاته. وهكذا، إن لم تكن ترغب بالذهاب، فإنني سأفهم.

كان يعرف أنه ما كان من مجال لأن أرفض طلبه. كنت أدين له بالفضل؛ كنت مديناً له، في الواقع، بفضلين. الأول لإبقائه إياي خارج السجن. والثاني لإعادته مخبوئي من الثلاثين ألف دولار إليّ عندما انتهت المشكلات. كان قد أعطاني ثلاثين ألف دولاري نقداً، في أوراق من فئة عشرين دولاراً، وكنت قد وضعت المال في حساب بمصرف توفير في فيجاس. وكانت قصة التغطية هي أنني ربحته في المقامرة، وكان كولي وجماعته مستعدين لدعم التغطية. ولكن الأمر لم يبلغ ذلك الحد أبداً. لقد تلاشت كل فضيحة الاحتياطي العسكري.

قلت:

ـ لقد كنت طالما أريد رؤية اليابان. وأنا لا يضيرني أن أكون حارسك الشخصي. هل أحمل مسدساً؟.

فارتعب كولى:

- أتريدنا أن نُقتل؟ هراء، إذا ما أرادوا أن يأخذوا منا المال فليأخذوه. إن حمايتنا هى التكتم والتحرك بسرعة كبيرة. لقد حسبت كل شىء. فسألته:

- لماذا تحتاج إلىَّ إذن؟. كنت محبًا للاستطلاع، وحذرًا قليلاً. لم يكن ذلك مفهومًا.

تنهد كولى، وقال:

- إنها لسفرة طويلة جدا إلى اليابان. أحتاج إلى رفقة ما. يمكننا أن نلعب الـ (جن) (*) على الطائرة ونتوقف فى طوكيو ونمرح قليلاً. وإضافة إلى ذلك، فأنت شخص ضخم وإذا ما حاول بعض فنانى (اخطف واهرب) التافهين أن يطوقونا، فبإمكانك أن تخيفهم فتبعدهم. فقلت:

- حسنًا، ولكن الأمر كان لا يزال يبدو مريبًا.

فى تلك الليلة تناولنا العشاء مع غرونيفيلت. لم يكن يبدو على ما يرام، ولكنه كان فى أروع وضع وهو يروى قصصًا عن أيامه الأولى فى فيجاس. كيف حقق ثروته بدولارات لم تطلها الضرائب قبل أن ترسل الحكومة الاتحادية جيشًا من الجواسيس والمحاسبين إلى نيفادا. قال غرونيفيلت:

- عليك أن تثرى فى الظلام. كان هاجسه، يتردد هنا وهناك بجنون كما زنبور نويل أوزانو.

- على كل امرئ فى هذه البلاد أن يثرى فى الظلام. تلك الآلاف من المخازن والشركات التجارية الصغرى التى تقشد من أعلى، والشركات الكبيرة التى تخلق من الظلمة سهلاً قانونيا. ولكن أيا من هذين لم يكن متاحًا بهذه الوفرة كما هو فى فيجاس. نقر غرونيفيلت حافة سيجاره الهافانا وقال برضا:

- ذلك ما يجعل فيجاس بهذه القوة. يمكنك أن تثرى فى الظلام هنا أيسر من أى مكان آخر. تلك هى القوة. قال كولى:

- إن ميرلين لن يبقى غير الليلة. أظنني سأذهب معه إلى لوس أنجلوس صباح الغد وآخذ بعض الأنتيكات. ويمكنني أن أرى بعض جماعة هوليود أولئك بصدد معداداتهم.

سحب غرونيفيلت نفَساً من سيجاره، وقال:

- فكرة طيبة. إن هداياى بدأت تنفد، وضحك:

- أتدرى أين حصلت على فكرة منح الهدايا؟ من كتاب صدر سنة ١٨٧٠ عن القمار. إن التعليم شيء عظيم.

وتنهد ثم نهض، في إشارة لنا كي ننصرف. صافحني ثم رافقنا بأدب إلى باب جناحه. فيما خرجنا من الباب، قال غرونيفيلت باهتمام لكولى:

- حظا سعيداً في رحلتك.

في الخارج، على حشيش السطيحة الأخضر الزائف، وقفت مع كولى في ضوء قمر الصحراء. كان بمقدورنا أن نرى الشريط بملايين أضوائه الحمراء والخضراء، وجبال الصحراء المظلمة بعيداً. قلت لكولى:

- إنه يدرى أننا ذاهبان. فقال كولى:

- إن كان يدرى فهو يدرى. قابلنى على الفطور في الثامنة صباحًا. إن علينا أن نبدأ بداية مبكرة.

في الصباح التالى طرنا من لاس فيجاس إلى سان فرانسيسكو. كان كولى يحمل حقيبة ملابس من جلد بني صارخ، وقد صنعت زواياها من النحاس الأصفر الفاتح الباهت. كانت أشرطة من النحاس الأصفر تشد الحقيبة. وكانت لوحة الإقفال ثقيلة أيضاً. كانت مرعبة المظهر وقوية. قال كولى:

- إنها لن تنفجر مفتوحة. وسيكون يسيراً علينا اقتفاء أثرها على عربات الأمتعة.

لم أكن قد رأيت حقيبة مثلها أبداً وقلت ذلك. فقال كولى معتداً بنفسه:

- إنها مجرد عتيقة عثرت عليها فى لوس أنجلوس.

قفزنا على طائرة ٧٤٧ تابعة للخطوط الجوية اليابانية حين لم يكن أمامنا سوى خمس عشرة دقيقة نوفرها. كان كولى قد تعمد أن يوقت الأمر على نحو ضيق جدا. فى السفرة الطويلة لعبنا الجن، وعندما هبطنا فى طوكيو، كنت قد غلبته ستة آلاف دولار. ولكن كولى لم يبدُ عليه الاهتمام، بل إنه اكتفى بأن ضربنى على ظهرى براحة يده وقال:

- سأفوز عليك فى سفرة العودة.

أخذنا سيارة أجرة من المطار إلى فندقنا فى طوكيو. كنت متلهفاً على رؤية مدينة الشرق الأقصى الخرافية. ولكنها بدت وكأنها نيويورك أكثر رثاثة وأكثر دخاناً. كما أنها بدت أصغر مساحة، والناس أقصر، والبنايات أكثر تسطيحاً، وظل المبانى القاتم على خلفية السماء، ميناتورا لظل مبانى مدينة نيويورك المألوف والطاغى. وعندما دخلنا قلب المدينة، رأيت رجالاً يضعون أقنعة شاش جراحية بيضاء. كانت تجعلهم يبدون مخيفين. أخبرنى كولى أن اليابانيين فى المراكز الحضرية يلبسون هذه الأقنعة ليحتموا ضد التهابات الرئة من الهواء الملوث بكثافة.

اجتزنا بنايات ومخازن كان يبدو أنها مصنوعة من خشب، كما لو كانت مشاهد فى موقع تصوير فيلم، ومتداخلة معها كان ثمة ناطحات سحاب ومبانى مكاتب. كانت الشوارع غاصة بالناس، كثير منهم بملابس غربية، والآخرون، نساء أساساً، فى نوع من تجهيزات الكيمون. كان فناً تلصيقياً (*) محيراً من الإبداعات.

كان الفندق خيبة أمل. كان حديثاً وأمريكيا. كان للبهو الضخم سجادة بلون الشوكولاته والعديد من الكراسى الجلدية ذات المساند. كان رجال يابانيون صغيرو

(*) Collage.

الأحجام يرتدون بدلات رجال أعمال أمريكية سوداء يجلسون فى أكثر هذه الكراسى وهم يتشبثون بمحافظ. يمكن أن يكون فندق هيلتون ما فى نيويورك.

ـ هذا هو الشرق؟، قلت لكولى.

هز كولى رأسه بنفاد صبر:

ـ إننا نحظى بغفوة ليلية جيدة. غداً سأنجز عملى. ومساء الغد سأريك مم صنعت طوكيو حقا. ستحظى بوقت عظيم. لا تقلق.

كان لنا جناح كبير معًا، جناح بغرفتى نوم. فككنا حقيبتى ملابسنا، ولاحظت أن كولى كان عنده القليل جدا فى غوله الموثقة بالنحاس الأصفر. كنا كلانا متعبين من الرحلة، ومع أن الساعة لم تكن تتجاوز السادسة بتوقيت طوكيو، إلا أننا أوينا إلى النوم.

فى الصباح التالى كان ثمة قرع على باب غرفة نومى وقال كولى:

ـ هيا، حان وقت النهوض. كان الفجر يبزغ لتوه خارج نافذتى.

طلبنا الإفطار فى الجناح، الأمر الذى خيَّب أملى. بدأت تتكون لدى فكرة أننى لن أرى الكثير من اليابان. تناولنا البيض واللحم المقدد، والقهوة وعصير البرتقال وحتى بعض الفطائر الإنجليزية. كان الشىء الشرقى الوحيد بعض الفطائر المحلاة. كانت الفطائر المحلاة ضخمة ويضعف سُمك ما ينبغى أن تكون عليه الفطيرة المحلاة. كانت أشبه بشرائح ضخمة من الخبز، وكانت بلون أصفر سقيم مضحك أكثر مما هى بنية. تذوقت واحدة وكان بمقدورى أن أقسم أن لها مذاق السمك.

قلت لكولى:

ـ ما هذه بحق الجحيم؟، قال:

ـ إنها فطائرة محلاة ولكنها مطبوخة بزيت السمك. فقلت:

ـ سأنسحب، ودفعت الصحن نحوه.

أتى عليها كولى باستمتاع. وقال:

ـ كل ما عليك أن تفعله هو أن تعتادها.

ونحن نشرب قهوتنا سألته:

ـ ما البرنامج؟. فقال كولى:

ـ إنه يوم جميل. سنتمشى وسأشرح لك البرنامج.

فهمت أنه لم يكن يريد أن يتكلم فى الغرفة. إنه ربما كان يخشى أن تكون مراقبة صوتيا.

غادرنا الفندق. كان الوقت لا يزال فى الصباح الباكر، فقد كانت الشمس تشرق لتوها. استدرنا إلى شارع جانبى وفجأة وجدت نفسى فى المشرق. على مدى ما تستطيع العين أن ترى كانت ثمة بيوت متداعية صغيرة، مبان صغيرة وعلى طول الرصيف تمتد أكوام ضخمة من القمامة خضراء اللون بارتفاع كبير بحيث إنها كانت تشكل جداراً.

كان ثمة القليل من الناس فى الشوارع، ومرٌ بنا رجل يركب دراجة هوائية وكيمونوه الأسود يتطاير وراءه. ظهر أمامنا فجأة رجلان نحيفان ولكن قويان يلبسان بنطالى عمل وقميصين بلون ترابى، وقناعين من شاش يغطيان وجهيهما. قمت بقفزة سريعة وضحك كولى فيما استدار الرجلان ليدخلا الجانب الآخر من الشارع. قلت:

ـ يا للمسيح، إن هذه الأقنعة تسبب الجفول. فقال كولى:

ـ ستعتاد عليها. والآن استمع جيداً. أريدك أن تعرف كل شيء مما يجرى، كى لا ترتكب أية أخطاء.

وفيما تمشينا مع جدار النفايات الرمادى ـ المخضر، شرح لى كولى أنه كان يهرٌب إلى الخارج ما قيمته مليونا دولار بالينات اليابانية، وأن للحكومة قوانين صارمة بخصوص تصدير العملة الوطنية. قال كولى:

- لو ألقى القبض عليَّ، سأذهب إلى السجن. ما لم يتمكن فوميرو من القيام بترتيباته. أو ما لم يذهب فوميرو إلى السجن معى. فقلت:

- وماذا بشأنى؟ إن قبض عليك، أفلن يقبض عليَّ؟. فقال كولى:

- أنت كاتب بارز. إن لليابانيين احتراماً كبيراً للثقافة. سيكتفى بطردك من البلاد. كل ما عليك هو أن تبقى فمك مغلقاً. قلت:

- إذن فأنا هنا لمجرد أن أحظى بوقت بهيج. كنت أدرى أنه كان يكذب وكنت أريده أن يعرف بأننى أعرف ذلك.

ثم خطر لى أمر آخر، فقلت:

- كيف سنجتاز الجمارك فى الولايات المتحدة بحق الجحيم؟. قال كولى:

- لا نفعل ذلك. إننا نتخلص من المال فى هونج كونج. إنها ميناء حر. الناس الوحيدون الذين يتعين عليهم اجتياز الجمارك هم المسافرون بجوازات سفر هونج كونج. فقلت:

- يا للمسيح. إنك تخبرنى الآن أننا ذاهبان إلى هونج كونج. إلى أين - عليك اللعنة - سنذهب بعد ذلك؟ إلى التبت؟. فقال كولى:

- كن جديًّا. لا تفزع. لقد قمت بهذا قبل سنة مع قليل من المال، لمجرد التجربة. فقلت:

- هيئ لى مسدساً. إن عندى زوجة وثلاثة أطفال، أعطنى فرصة للقتال. ولكننى كنت أضحك، فقد كان كولى أغرانى حقا.

ولكن كولى لم يعرف أننى كنت أمزح. قال:

- لا يمكنك أن تحمل مسدساً. إن لكل شركة خطوط جوية يابانية رقابة أمنها الإلكترونية على كل شخص وأمتعته. وأغلبها يفحص أى أمتعة تجلبها معك. وتوقف لحظة، ثم قال:

ـ إن شركة الخطوط الجوية الوحيدة التى لا تفحص الأمتعة بالأشعة هى (كاثاى). وهكذا، فإذا وقع لى شىء ما، تعرف ما عليك أن تفعل. قلت:

ـ لا يمكننى إلا أن أتصور نفسى وحيداً فى هونج كونج ومعى مليونا دولار. سيكون عندى مليون بلطة صغيرة لعينة فى عنقى. فقال كولى مهدئاً:

ـ لا تقلق. لن يحدث شىء. سنقوم بنزهة.

كنت أضحك ولكننى كنت قلقاً أيضاً. قلت:

ـ ولكن إن وقع شىء حقا، فماذا أفعل فى هونج كونج؟. قال كولى:

ـ اذهب إلى مصرف (فوتوبا) واطلب نائب الرئيس. سيأخذ المال ويحوله إلى دولارات هونج كونجية. سيعطيك إيصالاً ويحمِّلك ربما عشرين ألف دولار. ثم سيحول الدولارات الهونج كونجية إلى دولارات أمريكية ويحمِّلك خمسين ألف دولار آخر. سيتم إرسال الدولارات الأمريكية إلى سويسرا وستأخذ إيصالاً آخر. بعد أسبوع من الآن سيتسلم فندق كسانادو حوالة من المصرف السويسرى بمليونين ناقصاً رسوم المصرف الهونج كونجى. أترى سهولة الأمر؟.

فكرت فى ذلك ملياً فيما كنا نتمشى عائدين إلى الفندق. وعدت أخيراً إلى سؤالى الأصلى:

ـ لماذا تحتاجنى بحق الجحيم. فقال كولى:

ـ لا تسألنى مزيداً من الأسئلة، كل ما هنالك افعل ما أقول لك. أنت مدين لى بمعروف، صح؟. فقلت:

ـ صح. ولم ألقِ أية أسئلة أخرى.

عندما عدنا إلى الفندق، أجرى كولى بعض الاتصالات الهاتفية، متكلماً باليابانية، ثم أخبرنى أنه خارج. قال:

- ينبغى أن أعود فى حوالى الخامسة مساء، ولكننى قد أتأخر قليلاً. كل ما هنالك، انتظرنى فى هذه الغرفة. إن لم أعد الليلة، فاقفز على طائرة العودة إلى الوطن. حسن؟. قلت:

- حسن.

حاولت أن أقرأ فى غرفة النوم من الجناح، ثم تصورت وجود أصوات فى غرفة المعيشة، فذهبت إلى هناك للقراءة. طلبت الغداء فى الجناح. وبعد أن أنهيت الأكل، تلفنت للولايات المتحدة. تم الاتصال خلال بضع دقائق فقط، الأمر الذى أدهشنى. كنت تصورت أنه سيستغرق نصف ساعة على الأقل.

رفعت فالى سماعة الهاتف على الفور، وأمكننى أن أعرف من صوتها أنها مسرورة لأننى اتصلت. سألت:

- كيف هو الشرق الغامض؟ هل تتمتع بوقتك؟ ألم تذهب إلى بيت (غيشا) بعد؟. فقلت:

- ليس بعد. كل ما شاهدته حتى الآن هو قمامة طوكيو الصباحية. ومنذ ذلك الحين كنت بانتظار كولى. لقد خرج فى عمل. لقد جعلته، فى الأقل، يخسر ستة آلاف دولار فى لعبة الجن. قالت فاليرى:

- جيد. يمكنك أن تشترى لى وللأطفال بعض هذه الكيمونات الخرافية. أوه، على فكرة، جاءتك مكالمة أمس من رجل زعم أنه صديقك فى فيجاس. قال إنه كان يتوقع أن يراك هناك. فأخبرته أنك فى طوكيو.

توقف قلبى قليلاً. ثم قلت عرضيا:

- هل ذكر اسمه؟. قالت فاليرى:

- لا. لا تنس هدايانا. فقلت:

- لن أنسى.

قضيت بقية العصر فى القلق. تلفنتُ إلى شركة الخطوط الجوية بشأن حجز العودة إلى الولايات المتحدة فى الصباح التالى. فجأة، لم أعد واثقًا جدا من أن كولى سيعود. تفحصت غرفة نومه. لم تكن حقيبة الملابس المطوقة بالنحاس موجودة.

كان الظلام بدأ يخيم عندما دخل كولى الجناح. كان يفرك يديه، منفعلاً وسعيداً. قال:

- تم ترتيب كل شىء. ما من شىء يستدعى القلق. نستمتع الليلة بالوقت وغداً نتدبر الأمور. وبعد غد سنكون فى هونج كونج. فقلت:

- لقد تلفنت لزوجتى. أجرينا كلامًا لطيفًا. أخبرتنى أن رجلاً تلفن من فيجاس وسأل عن مكان وجودى. أخبرته أننى فى طوكيو.

بردّه ذلك. فكر فى الأمر. ثم هز كتفيه. قال:

- هذا يبدو مثل غرونيفيلت. يتأكد فقط مما إذا كان إحساسه الباطنى صائبًا. إنه الوحيد الذى عنده رقم هاتفك. فسألت كولى:

- أتثق بغرونيفيلت فى صفقة مثل هذه؟، وعرفت للتو أننى تجاوزت الخط. قال كولى:

- ماذا تعنى بحق الجحيم؟ لقد كان الرجل مثل أب لى طيلة هذه السنين. هو الذى صنعنى. هراء، إننى أثق به أكثر من أى شخص آخر، حتى أنت. فقلت:

- حسنًا. لماذا إذن لم تدعه يعرف أننا كنا مغادرين. لماذا قدمت له ذلك الهراء عن شراء أنتيكات فى لوس أنجلوس؟. قال كولى:

- لأنه علمنى هذه الطريقة. لا تخبر أحداً أى شىء لا يتعين أن يعرفه. سيحس فخراً بى لذلك السبب، حتى إن عرف. لقد قمت بالأمر على النحو الصحيح. ثم ارتخى، وقال:

- هيا، البس. سأريك الليلة أروع وقت فى حياتك. ولسبب ما نكّرنى بإيلى حمصى.

مثل أى شخص شاهد أفلامًا عن الشرق، كنت قد كونت خيالات عن ليلة فى منزل غيشا: نسوة جميلات موهوبات يكرسن أنفسهن لمتعتى. وعندما أخبرنى كولى أنه ستتم

تسليتنا من قبل فتيات الغيشا، توقعت أن يتم أخذنا إلى واحد من تلك البيوت ذات الزوايا المجنونة، وذات الزينة البهيجة التى كنت رأيتها فى الأفلام. وهكذا فقد تفاجأت عندما وقفت السيارة التى يقودها سائق أمام مطعم صغير تضمه واجهة مخزن مظللة فى أحد شوارع طوكيو الرئيسية. كان يبدو مثل أى محل صينى فى الجزء الأدنى من مانهاتن. ولكن رئيس نادل قادنا عبر المطعم المزدحم إلى باب يؤدى إلى غرفة طعام خصوصية.

كانت الغرفة مؤثثة بسخاء على النمط اليابانى. كانت فوانيس ملونة تتدلى من السقف؛ ومائدة طعام طويلة، لا ترتفع عن الأرض إلا بنحو قدم واحدة، مزينة بأطباق فريدة الألوان، وفناجين شراب صغيرة، وأعواد أكل من عاج. كان ثمة أربعة رجال يابانيين، يرتدون الكيمون جميعًا. كان أحدهم السيد فوميرو. تصافح هو وكولى، وانحنى الرجال الآخرون. قدمنى كولى لهم جميعًا. كنت قد رأيت فوميرو يقامر فى فيجاس، ولكننى لم أقابله أبدًا.

جاءت سبع فتيات غيشا إلى الغرفة، يركضن بخطوات دقيقة. كن جميلات فى لباسهن من الكيمونات المقصَّبة بانخة التطريز بزهور محيرة الألوان. ووجوههن مفرطة الزينة بمسحوق أبيض. جلسن على وسائد حول منضدة الطعام، فتاة لكل رجل.

مقتفيًا خطى كولى، جلست على إحدى الوسائد حول مائدة الطعام. جلبت نساء الخدمة أطباقًا فخمة من الأسماك والخضر. وقامت كل فتاة غيشا بإطعام الذكر الذى خصصت له. استخدمن عصى العاج، رافعات نتف السمك، وجدائل صغيرة من الخضر الخضراء. وكن يمسحن أفواهنا ووجوهنا بما لا يحصى من مناديل المائدة الدقيقة التى تشبه نسائج الغسيل. وكانت هذه معطرة ورطبة.

كانت فتاة الغيشا خاصتى قريبة إلى جدا، ترخى جسدها إلى جسدى، وتجعلنى ، بابتسامة ساحرة وإشارات مستعطفة ، آكل وأشرب. وواصلت ملء فنجانى بنوع من النبيذ، هو الساكى المشهور، كما أظن. كان مذاق النبيذ عظيمًا. ولكن الطعام كان

سمكيًا للغاية إلى أن جلبن الأطباق الكبيرة المزينة بالرخام بشكل ثقيل، حاملة لحم بقر (كوبى) (*) ، المقطع إلى مكعبات والمنقوع فى صلصة لذيذة.

لما رأيتها عن كثب، علمت أن غيشاى الساحرة لابد من أن تكون فى الأربعين من عمرها على الأقل. مع أن جسدها كان مضغوطًا على جسدى، لم أكن أستطيع أن أحس شيئًا غير القصب الثقيل لكيمونها، فقد كانت ملفوفة مثل مومياء مصرية.

بعد العشاء تناوبت الفتيات على إمتاعنا. فعزفت إحداهن على آلة موسيقية تشبه الفلوت. فى هذه الأثناء كنت قد شربت نبيذًا بكثرة بحيث بدت الموسيقى غير المألوفة كموسيقى القرب. وألقت فتاة أخرى ما لابد من أنه قصيدة. وصفق الرجال جميعًا. ثم نهضت فتاة غيشاى. كنت أشجعها. شرعت تؤدى شقلبات مدهشة.

ولقد أخافتنى حد الموت، فى الواقع، بأن تتشقلب فوق رأسى مباشرة. ثم قامت بالشقلبات ذاتها فوق رأس فوميرو. ولكنه أمسك بها فى الهواء وحاول أن يعطيها قبلة أو شيئًا يشبه القبلة. كنت أكثر سكرًا من أن أرى على نحو جيد حقا. ولكنها راوغته، نقرته بخفة على خده مؤنبة، وضحكا كلاهما فى مرح.

ثم نظمت فتيات الغيشا الرجال إلى مجموعات لعب. ولقد دهشت لما رأيت أنها لعبة تتضمن برتقالة على عصا، وأنه كان علينا أن نعض البرتقالة فى حين تكون أيدينا وراء ظهورنا. فيما كنا نفعل ذلك، كانت فتاة غيشا تحاول الشىء ذاته من الطرف الآخر للعصا. وفيما تقافزت البرتقالة بين الذكر والأنثى، كان الوجهان يمس أحدهما الآخر فى عناق يجعل فتاة الغيشا تقهقه.

قال كولى، من ورائى، بصوت خفيض:

- يا للمسيح، سيكون الشىء التالى الذى نلعبه هو تدوير الزجاجة. ولكنه ابتسم ابتسامة كبيرة لفوميرو، الذى كان يبدو أنه يستمتع كثيرًا بوقته، صارخًا على الفتيات

(*) مدينة فى الجزء الجنوبى الغربى لجزيرة هونشو ، تقع على خليج أوساكا.

باليابانية ومحاولاً أن يمسك بهن. وكانت ثمة ألعاب أخرى تتضمن العصى والكرات وأعمال شعوذة، وكنت من السكر بحيث كنت أستمتع بها بقدر ما يستمتع فوميرو. وفى مرحلة ما تداعيت على كومة من الوسائد فوسدت فتاة غيشاى رأسى فى حضنها وأخذت تهزه وتمسح وجهى بمنديل مائدة معطر ساخن.

وكان الشيء التالى الذى أعرفه أننى كنت فى سيارة يقودها سائق مع كولى. كنا نتحرك عبر شوارع مظلمة، ثم توقفت السيارة أمام قصر فى الضواحى. قادنى كولى عبر البوابة فانفتح الباب بطريقة سحرية. ثم رأيت أننا فى بيت شرقى حقيقى. كانت الغرفة خالية إلا من حشايا النوم. والجدران جدران متزلجة حقا من خشب رقيق.

سقطت على إحدى الحشايا. لم أكن أريد إلا أن أنام. ركع كولى إلى جانبى، وهمس:

- سنقضى الليلة هنا. سأوقظك فى الصباح. ابق هنا، نم. ستتم العناية بك. كان يمكننى أن أرى وراءه وجه فوميرو المبتسم. سجلت أن فوميرو لم يعد سكرانًا، وقد قرع ذلك نوعًا من جرس إنذار فى رأسى. حاولت أن أكافح للنهوض عن الحشية، ولكن كولى دفعنى إلى أسفل ثم سمعت صوت فوميرو يقول:

- إن صديقك بحاجة إلى رفقة ما.

غصت عائداً إلى الحشية. كنت متعبًا جدا. لم أبال شيئًا أبداً. سقطت نائما.

لا أدرى كم نمت. أيقظنى الحفيف الخفيف للأبواب المتزلجة. رأيت فى الضوء المعتم للفوانيس المظللة فتاتين يابانيتين فى كيمونين أزرق فاتح وأصفر تدخلان عبر الجدار المنفتح. كانتا تحملان حوضًا صغيراً من الخشب الأحمر مملوءًا بماء ينبعث منه البخار. عرتانى وغسلتانى من الرأس حتى القدم، عاجنتين جسدى بأصابعهن، مدلكتين كل عضلة. فيما كانتا تفعلان هذا، أنعظت فأخذتا تقهقهان وأعطته إحداهما تربيتة صغيرة. ثم حملتا حوض الخشب الأحمر واختفتا.

كنت مستيقظًا بما يكفى لأن أتساءل أين كان كولى بحق الجحيم ولكن لم أكن صاحيًا بما يكفى لأن أنهض وأبحث عنه. وكان لا بأس بذلك. انشق الجدار فيما

انزلقت الأبواب ثانية. هذه المرة كانت فتاة واحدة: جديدة. وبمجرد النظر إليها كان بمقدورى أن أقول ما ستكون مهمتها.

كانت ترتدى كيمونًا أخضر طويلاً متهدلاً يخفى جسدها. ولكن وجهها كان جميلاً ومشعًا بشكل غريب بالزينة. كان شعرها الفاحم الثرى مكومًا عاليًا فوق رأسها وكان يعلوه مشط لماع يبدو أنه مصنوع من أحجار ثمينة. جاءت إلىَّ، وقبل أن تركع، أمكننى أن أرى أن قدميها كانا حافيين، صغيرين وجميلى التكوين. كانت أصابع القدمين مصبوغة بأحمر غامق.

بدا أن الأضواء صارت أكثر عتمة، وفجأة كانت عارية. كان جسدها أبيض حريريا خالصًا، والثديان صغيرين ولكن ممتلئين. كانت الحلمتان بلون وردى خفيف محير، كما لو كانتا مصبوغتين بصبغ الشفاه. انحنت، نزعت المشط من شعرها وهزت رأسها. انهمرت خصلات سوداء طويلة إلى أسفل بلا انتهاء فوق جسدى، مغطية إياه، ثم بدأت تقبل جسدى وتلعقه، ورأسها يقوم بهزات حاسمة صغيرة، والشعر الأسود الكثيف الحريرى يسوط فخذىَّ. تمددت على ظهرى. كان فمها دافئًا، ولسانها خشنًا. عندما حاولت أن أتحرك، ضغطتنى إلى وراء. عندما انتهت، تمددت إلى جانبى ووضعت رأسى على صدرها. فى وقت ما أثناء الليل استيقظت ومارست الحب معها. أقفلت ساقيها خلف ساقىَّ وأخذت تدفع بعنف كما لو كانت تلك معركة بين عضوينا الجنسيين. كانت مواقعة ضارية، وعندما بلغنا ذروتينا، أطلقت صرخة رفيعة وسقطنا على الحشية. ثم سقطنا نائمين فى ذراع أحدنا الآخر.

أيقظنى الباب وهو ينفتح مرة أخرى. كانت الغرفة ملأى بضياء الصباح الباكر. كانت الفتاة قد غادرت. ولكن عبر الجدار المفتوح، فى الغرفة المجاورة، رأيت كولى يجلس على حقيبة الملابس المقيدة بالنحاس الأصفر الضخمة. مع أنه كان بعيداً، كان بمقدورى أن أراه يبتسم. قال:

ـ حسنًا، يا ميزلين، انهض وتألق. إننا طائران إلى هونج كونج هذا الصباح.

كانت الحقيبة ثقيلة جدا بحيث ترتب عليَّ أن أحملها إلى خارج السيارة، إذ لم يستطع كولى القيام بذلك. لم يكن ثمة سائق، قام كولى بالقيادة. عندما وصلنا المطار، اكتفى بأن ترك السيارة واقفة خارج المحطة. حملت الحقيبة إلى الداخل، وكولى يسير أمامى ليفتح الطريق ويقودنى إلى طاولة قيد الأمتعة. كنت لا أزال أترنح، وواصلت الحقيبة الضخمة ضربى فى الساقين. عند طاولة القيد وُضعت الأرومة على تذكرتى. تصورت أنه لا فرق فى ذلك، وهكذا فلم أقل شيئًا عندما لم يلاحظ كولى.

سرنا عبر البوابة إلى حقل الطائرة. ولكننا لم نصعد. انتظر كولى حتى جاءت شاحنة أمتعة محملة من وراء مبنى المحطة. كان بمقدورنا أن نرى حقيبة ملابسنا المقيدة بالنحاس الضخمة تجلس فوقها. وراقبنا بينما كان العمال يحمّلونها إلى بطن الطائرة. ثم صعدنا.

كانت ركوبة أكثر من أربع ساعات إلى هونج كونج. كان كولى عصبيا، فهزمته بأربعة آلاف أخرى فى الجن. وفيما كنا نلعب، ألقيت عليه بعض الأسئلة. قلت:

- لقد أخبرتنى أننا سنغادر غداً. فقال كولى:

- نعم، ذلك ما كنت أظن. ولكن فوميرو تمكن من تهيئة المال أسرع مما تصورت.

كنت أدرى أنه يكذب. قلت:

- لقد أحببت حفل الغيشا. فنخر كولى. تظاهر بأنه يدرس أوراقه، ولكننى كنت أعرف أن ذهنه لم يكن فى اللعبة. قال:

- حفلة مماحكة فى المدرسة الثانوية. إن شغل الغيشا ذاك هراء، أنا أفضل فيجاس. قلت:

- لا أدرى. لقد اعتبرته ساحراً. ولكن عليَّ أن أعترف أن ذلك العلاج الصغير الذى حظيت به فيما بعد كان أفضل. نسى كولى أوراقه، قال:

- أى علاج؟.

أخبرته بشأن الفتيات فى القصر. فكشر كولى:

ـ كان ذلك فوميرو. يا ابن المحظوظ. وأنا كنت فى الخارج أركض طوال الليل، ثم توقف لحظة. إذن، فقد رُوِّضت أخيرًا. أراهن أن هذه أول مرة تخون فيها تلك المرأة التى عندك فى لوس أنجلوس. فقلت:

ـ نعم. ولكن ثم ماذا؟ إن كل شىء يزيد بعده عن ثلاثة آلاف ميل لا يهم.

عندما هبطنا فى هونج كونج، قال كولى:

ـ اذهب إلى منطقة الأمتعة وانتظر الحقيبة. سألازم الطائرة حتى يفرغوها. ثم سألحق بشاحنة الأمتعة. بهذه الصورة لا يمكن لأى لص متسلل أن يخطفها.

سرتُ مسرعًا عبر المحطة إلى حزام نقل الأمتعة. كانت المحطة مزدحمة، ولكن الأوجه كانت تختلف عن الوجوه فى اليابان مع أنها لا تزال شرقية فى الأغلب. بدأ الحزام الناقل يدور وأخذت أراقب بانتباه لأرى هبوط الحقيبة المقيدة بالنحاس من الأعلى. بعد عشرة دقائق تساءلت لمَ لم يظهر كولى. تلفتُّ حولى، ممتنًا لأن أحدًا من الناس لم يكن يضع قناعًا شاشيًا؛ لقد كانت تلك الأشياء تفزعنى. ولكنى لم أرَ أى شخص يبدو عليه أنه خطر. ثم انقذفت حقيبة الملابس المقيدة بالنحاس من الأعلى. أمسكت بها فيما مرت. كانت لا تزال ثقيلة. تفحصتها لأتأكد من أنها لم تفتح بسكين. فيما كنت أفعل ذلك، لاحظت رقعة اسم مربعة دقيقة مربوطة بالقبضة. كانت تحمل أسطورة جون ميرلين، وتحت الاسم عنوان بيتى ورقم جواز سفرى. عرفت أخيرًا لماذا طلب منى كولى المجىء إلى اليابان. إن كان أحد ما سيسجن، فهو أنا.

جلست على الحقيبة، وبعد نحو ثلاث دقائق ظهر كولى. شع رضًا عندما رآنى. قال:

ـ عظيم. إن عندى سيارة أجرة تنتظر. فلنذهب إلى المصرف. وفى هذه المرة رفع الحقيبة وحملها دون أية مشكلة إلى خارج المحطة.

مضت سيارة الأجرة هابطة شوارع جانبية ملتفة غاصة بالناس. لم أقل شيئًا. كنت مدينًا لكولى بفضل كبير، ولقد صفيت الآن معه. أحسست أذى لأنه خدعنى وعرَّضنى لمخاطرة كهذه، ولكن غرونيفيلت كان سيفخر به. وانطلاقًا من التقليد ذاته قررت ألا أخبر كولى بما عرفت. لابد من أنه قد توقع أن أكتشف. وكان لابد من أنه قد أعد قصة جاهزة.

توقفت سيارة الأجرة أمام مبنىً آيلاً للسقوط فى الشارع الرئيسى. كانت زجاجة الواجهة تحمل حروفًا ذهبية تقرأ مصرف فوتابا الدولى. على جانبى الباب كان يقف رجلان ببزات رسمية يحملان بنادق رشاشة. قال كولى، وهو يهز رأسه نحو الحرس:

- مدينة فظة، هونج كونج هذه.

وحمل الحقيبة إلى المصرف بنفسه.

فى الداخل، مضى كولى إلى أدنى الممشى وقرع بابًا، ثم دخل. شعَّ أوراسىٌ ذو لحية على كولى وصافحه. قدمنى كولى، ولكن الاسم كان خليطًا غريبًا من المقاطع. ثم قادنا الأوراسى مزيدًا أدنى الممشى إلى غرفة ضخمة فيها مائدة اجتماعات طويلة. رمى كولى الحقيبة على المنضدة وفتحها. لابد من أن أعترف بأن المنظر كان مؤثرًا. كانت ملأى بالعملة اليابانية الورقية، الطباعة السوداء على ورق رمادى مزرق.

رفع الأوراسى هاتفًا ونبح بعض الأوامر بالصينية، فيما أظن. بعد بضع دقائق امتلأت الغرفة بكتاب المصرف. خمسة عشر منهم، جميعهم فى تلك البدلات اللماعة السوداء. انقضُّوا على حقيبة الملابس. استغرق عدُّ المال وتصنيفه، وإعادة عدّه وتدقيقه ثانية، منهم جميعًا أكثر من ثلاث ساعات. ثم عاد بنا الأوراسى إلى مكتبه وأعد حزمة من الأوراق، وقعها وختمها بالأختام الرسمية ثم سلمها إلى كولى. ألقى كولى نظرة على الأوراق ووضعها فى جيبه. كانت حزمة الوثائق هى الإيصال الصغير.

أخيرًا، كنا واقفين فى الشارع الذى تضيئه الشمس خارج المصرف. كان كولى منفعلاً بشكل كبير. قال:

ـ لقد فعلناها، إننا أحرار فى العودة إلى ديارنا.

هززت رأسى، وقلت:

ـ كيف أمكنك أن تقوم بمجازفة كهذه؟ إنها لطريقة مجنونة لمداولة مال بهذه الكثرة.

ابتسم كولى نحوى:

ـ أى نوع لعين من الأعمال تظن إدارة كازينو فيجاسية؟ كله مخاطرة. إن عندى شغلاً خطيراً. وعلى هذا الشغل ثمة نسبة مئوية كبيرة تنطلق معى.

عندما ركبنا سيارة أجرة، وجه كولى السائق بأن يأخذنا إلى المطار. قلت:

ـ يا للمسيح، إننا نذهب عبر نصف العالم ولا يتيسر لى أن آكل ولو وجبة واحدة فى هونج كونج؟. فقال كولى:

ـ لا تدعنا نضغط كثيراً على حظنا، قد يظن أحد ما أن المال لا يزال فى حوزتنا. فلنعد إلى ديارنا بحق الجحيم.

على ركوبة الطائرة الطويلة فى العودة إلى الولايات المتحدة، صار كولى محظوظاً جداً فربح مستعيداً سبعة آلاف من العشرة آلاف دولار التى كان مديناً لى بها. وكان سيستعيدها جميعاً لولا أننى انقطعت. قال:

ـ هيا، أعطنى فرصة لأتعادل. كن عادلاً؟.

فنظرت إلى عينيه باستقامة، وقلت:

ـ كلا. أريد أن أفوقك دهاء ولو مرة واحدة فى هذه الرحلة.

هزه ذلك قليلاً، فتركنى أنام بقية طريق العودة إلى لوس أنجلوس. رافقته فيما كان ينتظر طيرانه إلى فيجاس. وفيما كنت أنام، كان يفكر مستعرضاً الأمور ولابد من أنه عرف أننى رأيت رقعة الاسم على الحقيبة. قال:

- اسمع. لابد من أن تصدقني. لو أنك كنت وقعت في ورطة في هذه الرحلة، كنا أنا وغرونيفيلت وفوميرو قد أخرجناك منها. ولكنني أقدِّر ما فعلت. لم أكن لأستطيع القيام بالرحلة من دونك، ما كنت سأمتلك الشجاعة. فضحكت، قائلاً:

- إنك مدين لي بثلاثة آلاف دولار من الجن، ضعها لي في صندوق الكساناد، وسأستخدمها للمراهنة في الباكاراه. فقال:

- أمر أكيد، وأضاف:

- اسمع، أهذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنك بها أن تخون نساءك فتحس بالأمان، وثلاثة آلاف ميل تفصل بينك وبينهن؟ إن العالم ليس من الكبر بحيث يمكنك أن تخون أكثر من مرتين أخريين.

ضحكنا معًا وتصافحنا قبل أن يصعد طائرته. كان لا يزال صديقي، كولي عداد التنازلي العتيق، كل ما هنالك أنني لم أكن لأستطيع أن أثق به على طول الخط. لقد كنت أعرف دائمًا ما كان وتقبلت صداقته. كيف يمكنني أن أغضب عندما يكون أمينًا لشخصيته؟

تمشيت عبر محطة لوس أنجلوس لخطوط وسترن الجوية وتوقفت إلى جانب الهواتف. كان عليَّ أن أتلفن لجانيل وأخبرها بأنني في المدينة. تساءلت ما إذا كان عليَّ أن أخبرها بأنني كنت في اليابان، ولكنني قررت ألا أفعل. سأتصرف حسب تقليد غرونيفيلت. ثم تذكرت شيئًا آخر: لم آخذ أية هدايا من الشرق لفاليري والأطفال.

- ٣٦ -

إنه لمثير للاهتمام كونك مغرماً بشخص لم يعد مغرمًا بك. إنك تصير أعمى وأصم نوعًا ما. أو تختار أن تصير كذلك. مضت سنة تقريبًا إلى أن سمعت التكة غير المسموعة تقريبًا لجانيل إذ تلعب بالأوراق الثانية، ومع ذلك كان عندى كثير من التحذيرات، وعديد من التلميحات.

فى إحدى رحلات عودتى إلى لوس أنجلوس وصلت طائرتى مبكرة بنصف ساعة. كانت جانيل تستقبلنى دائمًا، ولكنها لم تكن هناك فسرت عبر المحطة وانتظرت خارجًا. كنت أفكر، فى مؤخرة رأسى، بعيدًا فى المؤخرة، بأننى سأفاجئها وهى ترتكب شيئًا ما. لم أكن أدرى ماذا. ربما رجلاً التقطته من أجل شرب كأس بينما هى تنتظر الطائرة. ربما توصيل صديق آخر يلحق بالطائرة التى تغادر لوس أنجلوس، أى شىء. فأنا لم أكن ذلك العاشق الواثق.

ولقد أمسكتها فعلاً. ولكن ليس بالطريقة التى كنت أفكر بها. رأيتها تخرج من ساحة وقوف السيارات وتعبر الشوارع المزدوجة العريضة إلى المحطة. كانت تسير ببطء شديد، متحفظة جدا. كانت ترتدى تنورة رمادية طويلة وبلوزة بيضاء، وكان شعرها الأشقر الطويل مشبوكًا إلى أعلى حول رأسها. فى تلك اللحظة أحسست شعورًا من الشفقة تقريبًا نحوها. كانت تبدو متحفظة جدا، كما لو كانت طفلاً يذهب إلى حفلة فرض عليه أبواه أن يذهب إليها. وعلى الجانب الآخر من القارة كنت مبكرًا بساعة على طائرتى. كنت قد اندفعت من المحطة لملاقاتها. كنت أموت من أجل رؤيتها ولكنها هى، كما هو واضح، لم تكن تموت من أجل رؤيتى. فيما كنت أفكر بهذا، رفعت رأسها ورأتنى فصار وجهها مشعًا ثم كانت تعانقنى وتقبلنى فنسيت ما رأيت.

أثناء هذه الزيارة كانت تحفظ فى النهار دورها فى مسرحية سيتم افتتاحها خلال بضعة أسابيع. ولما كنت أعمل فى الاستوديو نهاراً، فقد كان هذا رائعًا. كنا نرى بعضنا مساء. كانت تتلفن لى فى الاستوديو لتخبرنى متى ستنتهى تمرينها. وعندما طلبت منها الرقم الذى يمكننى أن أتلفن لها عليه قالت لى إنه لا هاتف فى المسرح.

ثم ذات ليلة، عندما تأخر تمرينها، ذهبت إلى المسرح كى آخذها. فيما كنا على وشك أن نغادر، خرجت فتاة من مكتب الحجرات الخلفية وقالت لها:

- يا جانيل، إن السيد إيفارتس يتلفن لك، فاتجهت نحو الهاتف.

انتظرت فى الممر. كنت أدرى أن إيفارتس هو الشخص الذى كتب المسرحية. وعلمت أيضًا أنها لم تعطنى رقم هاتف المسرح عمداً لسبب ما، فأدركت ما لابد من أنه كان السبب. لم تكن تريد أن يعرف إيفارتس بشأننا.

عندما خرجت جانيل من المكتب، كان وجهها متورداً ومحمرًّا بهجة، ولكنها عندئذ ألقت على نظرة وقالت:

- تلك هى المرة الأولى التى يتلفن لى فيها. حتى إننى لم أكن أدرى أنه يمكنهم استدعائى على الهاتف فى المسرح.

سمعت تكة الورقة الثانية يجرى توزيعها. كنت لا أزال أنال متعة كبيرة من رفقتها، ومن جسدها، ومن مجرد النظر إلى وجهها. كنت لا أزال أحب التعبير الذى يمر عبر عينيها وفمها. كنت أحب عينيها. كان بمقدورهما أن تكتسيا نظرة متألمة وتكونا مع ذلك بهيجتين. كنت أجد فمها الأجمل فى العالم كله. اللعنة، كنت حقا لا أزال طفلاً. لم يكن يهم أننى أدرى أنها كانت تكذب كالجحيم بذلك الفم الجميل. ولكننى كنت أدرى أنها تكره خداعى. كانت تكره حقا أن تكذب، وكانت سيئة فى الكذب. كانت تخبرك بطريقة غريبة أنها تكذب. حتى ذلك كان تزييفًا.

ولم يكن ذلك مهمًّا. لم يكن يهم. لقد عانيت، هذا مؤكد، ولكنها كانت لا تزال صفقة جيدة. ومع ذلك، فبينما كان الوقت يمضى، صرت أستمتع بها أقل وصارت تجعلنى أتألم أكثر.

كنت متأكداً أنها وأليس كانتا متحابتين. ذات أسبوع، عندما كانت أليس خارج المدينة فى عمل لإخراج فيلم، ذهبتُ إلى شقة جانيل وأليس لأقضى الليلة. تلفنت أليس لجانيل مخابرة خارجية تثرثر معها. كانت جانيل مختصرة جدا معها، وغاضبة تقريباً. بعد نصف ساعة، عندما كنا نمارس الحب، رن الهاتف ثانية. مدت جانيل يدها عبرى، رفعت الهاتف عن الكُلاّب وألقت بالجهاز تحت السرير.

إن أحد الأمور التى كنت أحبها فيها أنها كانت تكره أن تقاطع عندما تمارس الحب. فى بعض الأحيان، فى الفندق، ما كانت تسمح لى بأن أرد على الهاتف أو حتى أجيب الباب لو كان نادل يجلب لنا طعامًا أو شرابًا عندما نكون فى طريقنا إلى الفراش.

بعد أسبوع فى فندقى فى صباح يوم أحد، تلفنت لجانيل فى شقتها. كنت أعرف أنها عادة ما تنام متأخرة، وهكذا فلم أتلفن حتى الحادية عشرة. تلقيت إشارة انشغال الهاتف. انتظرت نصف ساعة وتلفنت ثانية. تلقيت إشارة انشغال. ثم رحت أتلفن كل عشرة دقائق لمدة ساعة وبقيت أتلقى إشارة انشغال، وفجأة برقت أمامى صورة خاطفة لجانيل وأليس فى الفراش، والهاتف مسحوبًا من الكلاب. عندما تمكنت أخيراً من الاتصال، كانت أليس هى من أجاب على الهاتف، وكان صوتها رقيقًا وسعيداً. كنت متأكداً أنهما كانتا متحابتين.

وفى يوم آخر كنا نخطط لرحلة إلى سانتا باربارا عندما جاءتها دعوة مستعجلة للذهاب إلى مكتب منتج ما لتقرأ دوراً. قالت إنه سيقتضى نصف ساعة فقط، وهكذا فقد ذهبت إلى الاستوديو معها. كان المنتج صديقًا قديمًا لها وعندما دخل المكتب قام بحركة رقيقة محبة، ملامساً بأصابعه وجهها فابتسمت له. قرأتُ الإشارة للتو. لقد كانت رقة عاشق سابق، هو الآن صديق عزيز.

عندما كنا فى طريقنا إلى سانتا باربارا، سألت جانيل إن كانت قد عاشرت المنتج قط فى الفراش. استدارت نحوى وقالت:

- نعم. فلم أسألها أية أسئلة أخرى.

ذات ليلة كان عندنا موعد للعشاء، فذهبت إلى شقتها. كانت ترتدى ملابسها. ففتحت أليس الباب لى. كنت أودها دائمًا، وبطريقة غريبة لم أكن أبالى كونها عاشقة جانيل. لم أكن متأكدًا حقا بعد. كانت أليس تقبلنى دائمًا على الشفتين، قبلة عذبة جدا، وكان يبدو دائمًا أنها تستمتع برفقتى. كنا ندرج معًا على ما يرام. ولكن بإمكانك أن تحس نقص الأنوثة فيها. كانت نحيفة جدا، ترتدى قمصانًا ضيقة تظهر امتلاكها ثديين ممتلئين ولكنها كانت عملية المظهر جدا. أعطتنى مشروبًا ووضعت أسطوانة لأديث بياف، ورحنا ننتظر خروج جانيل من الحمام.

قبلتنى جانيل وقالت:

- يا ميرلين، أنا آسفة. لقد حاولت أن أتلفن لك على الفندق. إن عندى تمرينًا الليلة. سيمر المخرج لاصطحابى.

ذهلت. مرة أخرى سمعت تكة الورقة الثانية. كانت تبتسم نحوى بإشعاع، ولكن كانت ثمة رعشة خفيفة فى فمها جعلتنى أظنها تكذب. كانت تبحث فى وجهى متفحصة بعينيها. كانت تريدنى أن أصدقها وكانت ترى أننى لم أفعل. قالت:

- إنه قادم إلى هنا لكى يصطحبنى. سأسعى وأحاول أن أنتهى فى الحادية عشرة. فقلت:

- لا بأس بهذا. ومن فوق كتفها كان بمقدورى أن أرى أليس تنظر فى كأسها، غير مراقبة إيانا، محاولة بوضوح ألا تسمع ما كنا نقول.

وهكذا، فقد انتظرت هناك، ولقد جاء المخرج حقا. كان شابًا ولكنه أصلع كليًّا تقريبًا منذ الآن، وكان جدى المظهر جدا. لم يكن عنده وقت لشراب. قال بصبر لجانيل:

- إننا نتمرن فى بيتى. أريدك كاملة تمامًا لهذا التمرين بالملابس غدًا. لقد بدلت وإيفارتس بعض الأسطر وبعض الشغل. واستدار نحوى، مقلدًا "الكليشيه":

ـ آسف لأننى أفسدت سهرتك، ولكن ذلك هو شغل العروض.

كان يبدو مثل فتى لطيف. وجهت نحوه ونحو جانيل ابتسامة باردة. قائلاً:

ـ لا بأس بهذا. ابقيا أطول ما تحبان.

عند هذا ذعرت جانيل قليلاً. قالت للمخرج:

ـ أتظن أن بمقدورنا أن ننتهى عند العاشرة؟. وقال المخرج:

ـ لو أننا عملنا بجد حقا، فربما. قالت جانيل:

ـ لمَ لا تنتظر هنا مع أليس وسأعود فى حدود العاشرة فيبقى فى وسعنا أن نذهب إلى العشاء؟ أهذا مناسب؟. قلت:

ـ بالتأكيد.

وهكذا فقد انتظرت مع أليس بعد أن انصرفا، وتحدثنا مع بعضنا. قالت إنها قد أعادت تزيين الشقة وأخذتنى من يدى فقادتنى عبر الغرف. كانت الشقة فاتنة حقا. كان المطبخ مرتبًا بمصاريع خاصة، والخزائن مزينة بنوع من الرسوم المحفورة بالتنزيل. كانت قدور ومقالى النحاس معلقة بالسقف. قلت:

ـ إنها بديعة. لا يمكننى أن أتصور جانيل تقوم بهذا كله. فضحكت أليس، قائلة:

ـ كلا. أنا التى تقوم بأمور البيت.

ثم قادتنى عبر غرف النوم الثلاث. كان واضحًا أن إحداها غرفة نوم طفل.

ـ هذه لابن جانيل عندما يأتى لزيارتنا.

ثم قادتنى إلى غرفة النوم الرئيسية، التى كان فيها سرير ضخم. لقد غيرتها حقا. كانت أنثوية بشكل كامل بالدمى المعلقة على الجدران، والوسائد الكبيرة على الأريكة والتليفزيون عند رجل السرير.

وعندئذ قلت:

- غرفة نوم من هذه؟. فقالت أليس:

- غرفة نومى.

ذهبنا إلى غرفة النوم الثالثة، التى كانت كالخرابة. كان واضحًا أنها تستخدم غرفة خزين أخرى للشقة. كانت جميع أنواع بقايا الأثاث مبعثرة فى أطراف الغرفة. والسرير صغيرًا وعليه لحاف. قلت ساخرًا تقريبًا:

- وغرفة نوم من هذه؟. قالت أليس:

- غرفة جانيل. وبينما قالت هذا أطلقت يدى وأشاحت برأسها بعيدًا.

كنت أعرف أنها تكذب وأنها وجانيل تتقاسمان غرفة النوم الكبيرة. عدنا إلى غرفة المعيشة وانتظرنا.

فى العاشرة والنصف دق الهاتف. كانت جانيل. قالت:

- أوه يا إلهى!. كان صوتها من المأساوية بحيث كأنها كانت تعانى من مرض مميت:

- نحن لم ننته. ولن ننتهى قبل مضى ساعة أخرى. أتريد أن تنتظر؟. فضحكت:

- بالتأكيد. سأنتظر. قالت جانيل:

- سأتلفن لك مرة أخرى. بمجرد أن أعرف أننا سننتهى. أهذا مناسب؟. فقلت:

- بالتأكيد.

بقيت أنتظر مع أليس حتى الساعة الثانية عشرة. أرادت أن تهيئ لى شيئًا آكله، ولكننى لم أكن جائعًا. بحلول هذا الوقت كنت أستمتع بنفسى. ليس ثمة ما هو مسلٍّ جدا مثل استغفالك تمامًا.

فى منتصف الليل دق الهاتف مرة أخرى وكنت أعرف ما ستقول وقد قالته. لم يكونا قد انتهيا بعد. وهما لا يعرفان متى سينتهيان.

كنت مرحًا جدا معها: أدرى أنها كانت تعبى. أننى لن أراها تلك الليلة وأننى سأتلفن لها فى اليوم التالى من البيت. قالت جانيل:

- يا حبيبى، إنك عذب، أنت عذب جدا. إننى آسفة حقا. تلفن لى غداً بعد الظهر.

حييت أليس وقبلتنى على الباب وكانت قبلة أخوية وقالت:

- ستتلفن لجانيل غداً، لا؟. فقلت:

- بالتأكيد، سأتلفن لها من البيت.

فى الصباح التالى أخذت الطائرة المبكرة إلى نيويورك، وعند محطة مطار كينيدى تلفنت لجانيل. كانت مسرورة لسماعها منى:

- كنت خائفة أنك لن تتلفن. فقلت:

- لقد وعدت بأن أتلفن. فقالت:

- لقد عملنا حتى الثالثة من صباح اليوم ولن تجرى التمرينات بالملابس حتى التاسعة من هذه الليلة. يمكننى أن أجىء إلى الفندق لقضاء بضع ساعات إن كنت تريد رؤيتى. فقلت:

- بالتأكيد أريد رؤيتك. ولكننى فى نيويورك. لقد أخبرتك أننى سأخابرك من البيت.

كانت ثمة وقفة طويلة على الطرف الثانى من الهاتف. قالت:

- فهمت. فقلت:

- طيب. سأتلفن لك عندما آتى إلى لوس أنجلوس، حسنًا؟.

كانت ثمة وقفة طويلة أخرى على الهاتف ثم قالت:

- لقد كنت طيبًا بشكل لا يصدق معى، ولكن لا يمكننى أن أجعلك تؤذينى مرة أخرى. ثم وضعت السماعة.

ولكن فى سفرتى التالية إلى كاليفورنيا تصالحنا واستأنفنا كل شىء. كانت تريد أن تكون صادقة تمامًا معى، يجب ألا يكون ثمة سوء تفاهم بعد. أقسمت أنها لم تذهب إلى الفراش مع إيفارتس والمخرج. أنها كانت دائمًا صادقة تمامًا معى. أنها لن تكذب علىّ ثانية. ولكى تبرهن على ذلك أخبرتنى عن أليس وعنها. كانت قصة ممتعة، ولكنها لم تكن تبرهن على أى شىء، لا تبرهن لى، على أية حال. ومع ذلك، كان لطيفًا معرفة الحقيقة بشكل مؤكد.

- ٣٧ -

سكنت جانيل مع أليس دى سانتيس شهرين قبل أن تدرك أن أليس كانت مغرمة بها، لقد استغرق الأمر ذلك الوقت كله لأنهما كانتا كلتاهما تشتغلان بإجهاد خلال النهار: جانيل تخرج مسرعة إلى المقابلات التى يرتبها وكيلها، وأليس تعمل ساعات طويلة كمصممة أزياء فى فيلم كبير الميزانية.

كانت لهما غرفتان مستقلتان. ولكن فى وقت متأخر من المساء كانت أليس تأتى أحيانًا إلى غرفة جانيل وتجلس على سريرها لتثرثر. كانت أليس تعد شيئًا للأكل وشرابًا من شوكولا ساخنة ليساعدهما على النوم. كانتا تتحدثان عادة عن شغلهما. كانت جانيل تروى قصصًا عن إيماءات الإغراء المهذبة والتى ليست مهذبة جدا التى توجه نحوها أثناء النهار، ولم تشر أليس أبدًا إلى أن جانيل كانت تشجع هذه الإيماءات بسحرها الخاص بفاتنات الجنوب.

كانت أليس امرأة صاعقة الشكل، طويلة، جدية الظاهر وصلبة أمام العالم الخارجى. ولكنها كانت ناعمة جدا ورقيقة مع جانيل. كانت تمنح جانيل قبلة أخوية قبل أن تذهبا إلى سريريهما المستقلين للنوم. كانت جانيل تحبها لذكائها، ولكفاءتها البارعة فى حقلها الخاص بتصميم الأزياء.

أنهت أليس عملها فى فيلمها فى الوقت نفسه الذى جاء فيه ابن جانيل، ريتشارد، ليقضى جزءًا من عطلته الصيفية مع جانيل. كانت جانيل، عندما يأتى ابنها للزيارة، تكرس كل وقتها عادة للتجول به فى لوس أنجلوس، إلى العروض، وإلى حلبة تزلج، وإلى مدينة ديزنى. وكانت فى بعض الأحيان تستأجر شقة صغيرة على الساحل لمدة أسبوع. كانت تستمتع دائمًا بزيارة ابنها وكانت تسعد دائمًا بالشهر الذى يكون فيه معها.

فى هذا الصيف بالذات، كما فرض الحظ، حصلت على دور صغير فى مسلسل تليفزيونى كان يبقيها مشغولة أغلب الوقت ولكنه يقوم بنفقات معيشتها لمدة سنة، أيضاً. بدأت تكتب رسالة طويلة إلى زوجها السابق لتشرح سبب عدم إمكان ريتشارد أن يزورها هذا الصيف، ثم وضعت رأسها على المنضدة وبدأت تبكى. بدا لها وكأنها كانت الآن تتخلى عن ابنها حقا.

كانت أليس هى من أنقذها. قالت لجانيل أن تدع ريتشارد يأتى. كانت أليس ستقوم بالتجوال به. كانت ستجلبه ليزور جانيل فى موقع التصوير ويشاهدها تعمل وتنطلق به بخفة بعيداً قبل أن يُثقل على أعصاب المخرج. كانت أليس ستعنى به أثناء النهار. ثم تصير جانيل صديقته ليلاً. فشعرت جانيل بامتنان كبير لأليس.

وعندما جاء ريتشارد لقضاء شهره، استمتع ثلاثتهم بوقت رائع معًا. بعد العمل كانت جانيل تعود إلى الشقة وتكون أليس قد أعدت عشاءً ساخنًا فى الانتظار. وريتشارد قد غُسل ونُظِّف من أجل ليلة فى المدينة. كانوا يذهبون ثلاثتهم إلى دور السينما ثم يتناولون عشاءً خفيفًا متأخرًا. كان ذلك مريحًا للغاية ويسيراً. أدركت جانيل أنها وزوجها السابق لم يستمتعا أبداً بوقت ممتع مثل هذا مع ريتشارد، كما كانت تستمتع هى وأليس وريتشارد الآن. كان زواجًا كاملاً تقريبًا. لم تتشاجر أليس معها قط أو توبخها. لم يصر ريتشارد أبداً عابسًا أو غير مطيع. لقد عاش فيما كان - ربما - حلمًا للأطفال. حياة مع أمين عابدتين ولا أب. لقد أحب أليس لأنها دللته فى بعض الأمور ولم تكن حازمة معه إلا قليلاً. أخذته إلى دروس فى التنس أثناء النهار ولعبا معًا. علمته الرسم وكيف يرقص. كانت أليس، فى الواقع، الأب الكامل. كانت رياضية ومنسّقة، ومع ذلك لم يكن عندها أدنى شيء من فظاظة الأب، لا شيء من السيطرة الذكورية. واستجاب ريتشارد بشكل فائق الجودة لها. لم يسبق أن كان محبًا إلى هذا الحد. كان يساعد أليس فى تقديم العشاء لجانيل بعد العمل، ثم كان يراقب كلتا المرأتين تتزينان للخروج إلى المدينة معه. وكان هو أيضًا يحب اللبس فكان يلبس بنطالاً فضفاضًا أبيض وجاكتة زرقاء غامقة وقميصًا أبيض ذا أهداب بلا رباط عنق. لقد عشق كاليفورنيا.

عندما حلَّ يوم عودته إلى موطنه، أخذته أليس وجانيل معًا إلى الطائرة المغادرة عند منتصف الليل، ثم، وقد صارتا بمفردهما ثانية، تماسكت جانيل وأليس بالأيدى، متنفستين تنفس الراحة التى يمكن أن يشعر بها شخصان متزوجان عند مغادرة ضيف لمنزلهما. أحست جانيل تأثرًا من العِظَم بحيث إنها منحت أليس عناقًا شديدًا وقبلة. أدارت أليس وجهها كى تتلقى القبلة على فمها الناعم، الرقيق بشكل مرهف. ولجزء من الثانية، أبقت فم جانيل على فمها.

وعند العودة إلى الشقة تناولتا كوبى كاكاو كما لو أن شيئًا لم يحدث. ذهبتا إلى غرفتى نومهما. ولكن جانيل كانت متململة. دقت على باب غرفة نوم أليس ودخلت، دهشت إذ رأت أليس متعرية إلا من ثوب نومها الداخلى. مع أن أليس نحيلة، إلا أن لها صدرًا ممتلئًا تلجمه حمالة ضيقة جدا. لقد سبق لهما، بالطبع، أن رأت كل منهما الأخرى فى مراحل مختلفة من العرى. ولكن أليس خلعت الآن حمالتها كى تحرر ثدييها، ثم نظرت إلى جانيل بابتسامة خفيفة.

عند رؤية الثديين منتصبى الحلمتين أحست جانيل بجيشان رغبة جنسية. أحست نفسها تحمر. لم يخطر لها أنه كان بمقدورها أن تنجذب إلى امرأة أخرى، خاصة بعد السيدة وارتبورغ. وهكذا، عندما انزلقت أليس إلى تحت الغطاء، جلست جانيل بصورة طبيعية على حافة سريرها، وأخذتا تتحدثان عن الوقت الجميل الذى قضتاه مع ريتشارد، ثلاثتهم فقط. وفجأة انفجرت أليس باكية.

ربتت جانيل على شعرها الداكن وقالت بصوت منشغل جدا:

ـ أليس، ما الأمر؟ ومع ذلك، كانتا كلتاهما تعلمان أنهما كانتا تمثلان مسرحية ستمكنهما من أن تفعلا ما كانتا، معًا، تريدان أن تفعلاه. قالت أليس منتحبة:

ـ ليس عندى من أحبه. ليس عندى من يحبنى.

كانت ثمة لحظة واحدة احتفظت فيها جانيل، فى مكان ما من ذهنها، بمسافة ساحرة. كان هذا مشهداً مثلته مع عشاق من الرجال.

كانت أليس هى التى حولت غرفة نومهما (صارتا الآن تتقاسمان السرير ذاته) إلى حجرة مزخرفة لامرأة حيث تتدلى الدمى، ووضعت المصاريع الخاصة على النوافذ وجميع أنواع الحلى الصغيرة الأخرى. وكانت غرفة نوم جانيل، التى أبقتاها من أجل المظهر، غير مرتبة وملخبطة كغرفة طفل.

كان جزءاً من إثارية العلاقة بالنسبة لجانيل أنه كان بمقدورها أن تمثل دور الرجل. لا جنسيا فقط وإنما فى الحياة اليومية، وفى التفاصيل الصغرى للحياة اليومية المعتادة.

كانت جانيل وحدها هى التى يمكن أن تبيت خارج البيت أحياناً. لتعود فى الصباح التالى كى تجد أليس مريضة بمعنى الكلمة من الغيرة. فى الحقيقة، من المرض بحيث ارتعبت جانيل وفكرت فى الانتقال. لم تبق أليس خارج البيت ليلاً قط. وعندما كانت تتأخر خارجه، لم تكن جانيل لتهتم قط ما إذا كانت باقية مع رجل. لم تكن تبالى. بالنسبة لذهنها، لم يكن لأمرٍ أية علاقة بالآخر.

ولكن صار مفهوماً بالتدريج أن جانيل طرف حر. أن بمقدورها أن تفعل ما يحلو لها، وأنها ليس عليها أن تقدم حساباً. جزئيا لأن جانيل كانت جميلة جدا بحيث يصعب تحاشى الاهتمامات والنداءات الهاتفية من كل الرجال الذين تتصل بهم: من ممثلين، ومساعدى مخرجين، ووكلاء، ومنتجين، ومخرجين. ولكن بالتدريج، أثناء السنة التى كانتا تعيشان فيها معاً، فقدت جانيل الرغبة فى ممارسة الجنس مع الرجال. لم تعد مرضية. لا جسديا بل لأن قوة العلاقة كانت تختلف. كان يمكنها أن تحس، أو تتصور أنها تحس، كيف كانوا يشعرون أن عندهم شيئًا ضدها بعد أن ينجحوا فى أخذها إلى الفراش. يصيرون أكثر ثقة بأنفسهم، معسولين جدا، مع رضا. كانوا ينتظرون اهتمامات عديدة جداً. اهتمامات لم تكن تحس أنها تحب أن تقدمها. وكذلك، فإنها وجدت فى أليس شيئًا لم تحسه عند أى رجل. الثقة المطلقة. لم تحس أبدًا أن أليس كانت تثرثر بشأنها أو تعاملها بدونية. أو أن أليس يمكن أن تخونها مع امرأة أخرى أو رجل آخر. أو أن أليس يمكن أن تخدعها لتنتزع منها ممتلكات مادية أو لتحنث

بوعد. كان الكثير من الرجال الذين قابلتهم أسخياء بالوعود التى لم يلتزموا بها أبداً. كانت سعيدة حقا مع أليس، التى حرصت على أن تبقيها سعيدة بكل طريقة.

ذات يوم، قالت أليس:

ـ أتعرفين، يمكننا أن نأتى بريتشارد لكى يعيش معنا دائماً. فقالت جانيل:

ـ يا إلهى، أتمنى لو أستطيع. ولكن لا يتوفر لنا الوقت لنعنى به. فقالت أليس:

ـ بالتأكيد يتوفر. انظرى: إننا نادراً ما نعمل فى الوقت نفسه. وهو يذهب إلى المدرسة. فى العطلات يمكنه أن يذهب للتخييم. إن كان ثمة ضغط عمل، فيمكننا استخدام امرأة. أظنك ستكونين أسعد كثيراً لو كان ريتشارد معك.

أغريت جانيل. أدركت أن ترتيبهما المنزلى سيصير أكثر دواماً لمَّا يعيش ريتشارد معهما. ولكن ذلك لم يبد فكرة سيئة. كانت تحصل الآن على ما يكفى من العمل السينمائى كى تعيش مرفهة. إن بمقدورهما حتى الحصول على شقة أكبر وإعدادها حقا. فقالت:

ـ حسنًا. سأكتب إلى ريتشارد وأرى كيف يشعر حول الأمر.

لم تفعل أبداً. كانت تعرف أن زوجها السابق سيحرمها. وكذلك لم تكن تريد أن تصير أليس مهمة جدا بالنسبة لها.

- ٣٨ -

عندما عرفت مؤكدًا أن جانيل تهوى الوضعين، وأن أليس كانت أيضًا عشيقتها، ارتحت. ماذا يهم! إن امرأتين تمارسان الحب معًا يشبه امرأتين تحيكان معًا. قلت ذلك لجانيل كي أغيظها. عندئذ أيضًا، كان ترتيبها عِتْقًا لي. كنت في وضع رجل له عشيقة متزوجة، زوجها متفهم وأنثى: تركيبة عظيمة.

ولكن ما من شيء يسير. تأكدت بالتدريج أن جانيل كانت تحب أليس في الأقل بقدر ما تحبني. وما كان أسوأ، أنني صرت متأكدًا من أن أليس كانت تحب جانيل أفضل مما أحبها، بطريقة كانت أقل أنانية وأقل ضررًا بكثير لجانيل. لأنني صرت أعرف في هذا الوقت أنني لم أكن أنفع جانيل كثيرًا من الناحية العاطفية. دع أنه كان فخًا ميئوسًا منه. أنه ما من رجل في وسعه أن يحل مشكلاتها. ولكنني كنت أستخدمها وسيلة للذتي. حسنًا مرة أخرى. ولكنني توقعت منها أن تقبل تحديدًا بمركز تابع في حياتي. فبعد كل شيء، عندي زوجتي وأطفالي وكتابتي. ومع ذلك كنت أنتظر منها أن تضعني في مركز رئيسي.

إن كل شيء مقايضة إلى حد ما. ولقد كنت أحظى بصفقة أفضل مما تنال هي. كان الأمر بتلك البساطة.

ولكن كان هنا حيث تدخل الاحتكاك، أن تكون للمرء صديقة ثنائية الجنس. مرضت جانيل في إحدى زياراتي. كان عليها أن تذهب إلى المستشفى كي يزيلوا تكيُّسًا من مبيضها. لذلك الغرض وبسبب بعض التعقيدات لزمتْ المستشفى عشرة أيام. بالتأكيد، أرسلتُ زهورًا، أطنانًا وأطنانًا من الزهور، الهراء نفسه الذي تحبه النسوة وعن طريقه يجعلن الرجال ينفقون بجلودهم ولو كانوا قتلوا. بالتأكيد، كنت

أذهب لرؤيتها كل ليلة لمدة ساعة. ولكن أليس كانت تقوم بكل تكليفاتها، وتلازمها طوال الليل. فى بعض الأحيان كانت أليس تكون موجودة عندما أجىء، وكانت تغادر الغرفة دائمًا لوقت قصير كى يتاح لجانيل ولى أن نخلو لبعضنا. ربما لأنها كانت تدرى أن جانيل ستريدنى أن أمسك ثدييها العاريين عندما أكلمها. لا جنسيا، وإنما لأن ذلك كان يريحها. يا للمسيح، كم من الجنس هو مجرد مريح، مثل حمام ساخن، وعشاء فخم، ونبيذ جيد. وليت كان بمقدور المرء أن يبلغ الجنس على ذلك النحو مجردًا بدون حب وتعقيدات أخرى.

على أية حال، كل ما هنالك أن أليس فى هذه المرة بالذات بقيت فى الغرفة معنا. كنت مندهشًا على الدوام من عذوبة وجه أليس. فى الحقيقة، كانت المرأتان تبدوان مثل أختين، امرأتين عذبتى الشكل جدا، رقيقتين وأنثويتين. كان لأليس فم صغير، مخيف تقريبًا، من النوع الذى نادرًا ما يبدو ممتلئًا، ولكن فمها كان يبدو كذلك. كنت أحبها إلى حد هائل. ولمَ لا أفعل بحق الجحيم؟ لقد كانت تقوم بكل العمل الوسخ الذى كان ينبغى أن أقوم به أنا. ولكننى كنت رجلاً مشغولاً. كنت متزوجًا. كان علىَّ أن أغادر إلى نيويورك فى اليوم التالى. ربما لو أن أليس لم تكن موجودة، لكنت قمت بكل الأشياء التى فعلتُها، ولكننى لا أظن ذلك.

كنت قد هرَّبت زجاجة شمبانيا لنحتفل بليلتنا الأخيرة معًا. ولكننى لم أبالِ بمشاطرتها مع أليس. كان لجانيل ثلاثة كئوس مخبوءة. فتحت أليس الزجاجة. كانت قديرة جدًا.

كانت جانيل ترتدى قميص نوم من الدانتيل بديع الكشاكش، وكما هى الحال دائمًا، كانت تبدو دراماتيكية نوعًا ما وهى متمددة هناك على السرير. كنت أدرى أنها تعمدت عدم استعمال الزينة أثناء زيارتى كى تبدو شبيهة بالدور. ضعيفة، وشاحبة: كاميليا أخرى. عدا أنها كانت فى حال جيدة وتتفجر حيوية. كانت عيناها تتراقصان بالفرح وهى ترشف الشمبانيا. لقد حصَرَت فى هذه الغرفة الشخصين اللذين تحبهما أكثر من أىٍّ كان. لم يكن مسموحًا لهما بأن يكونا لئيمين تجاهها بأية طريقة، أو يؤذيا

مشاعرها بأية طريقة، حتى بمنعها من أن تكون لئيمة نحوهما. وربما كان هذا ما جعلها تمد يدها فتأخذ يدي بيدها فيما كانت أليس جالسة تراقب.

منذ أن عرفت بشأنهما، كنت أحاذر ألا أتصرف مثل عاشق أمام أليس. ولم تفضح أليس أبداً علاقتها الجنسية مع جانيل. إن المرء إذ يراقبهما يستطيع أن يقسم أنهما أختان أو رفيقتان. كانتا طبيعيتين بشكل مطلق مع إحداهما الأخرى. لم يكن يوحى بعلاقتهما إلا جانيل، التى كانت تتأمر أحياناً بأليس مثل زوج مسيطر.

الآن، دفعت أليس كرسيها إلى الوراء بحيث أمالته على الجدار البعيد، بعيداً عن سرير جانيل، بعيداً عنا. كما لو كانت تمنحنا الوضع الرسمى لعاشقين. لسبب ما أثَّرت حركتها هذه فيَّ بشكل مؤلم: لقد كانت سخية جدا.

أظنني حسدتهما معًا. كانتا مرتاحتين جدا مع إحداهما الأخرى بحيث كان يمكنهما إطلاق العنان لى، والحفاظ على مركزى المحظوظ كعشيق رسمى. لعبت جانيل بأصابع يدى. وأدركت الآن أن ذلك لم يكن انحرافًا من جانبها وإنما رغبة حقيقية لإسعادى، وهكذا فقد ابتسمت لها. فى الساعة التالية كنا سننهى الشمبانيا، وسأغادر وألحق بطائرتى إلى نيويورك وستكونان لوحدهما وستعوِّض جانيل لأليس. وكانت أليس تعرف ذلك. كما كانت تعرف أن جانيل لابد لها من أن تحظى بهذه اللحظة معى. قاومتُ تحركى لأن أسحب يدى بعيداً. كان ذلك سيكون عملاً غير كريم، بينما يزعم الباطن الرجولى أن الرجال أكرم، أساسًا، من النساء. ولكننى كنت أدرى أن كرمى كان مفروضاً. لم أكن لأستطيع الانتظار حتى أغادر.

أخيراً، تمكنت من أن أقبِّل جانيل مودعًا. وعدت أن أتلفن لها فى اليوم التالى. عانق أحدنا الآخر فيما غادرت أليس الغرفة بهدوء. ولكن أليس كانت تنتظرنى خارجًا ورافقتنى بأن نزلت معى إلى السيارة. منحتنى واحدة أخرى من قُبلها الرقيقة على الفم. قالت:

- لا تقلق. سأقضى الليلة معها. كانت جانيل قد أخبرتنى أن أليس - بعد إجرائها العملية - قضت الليلة منطوية على الكرسى ذى المسندين فى غرفتها، وهكذا فلم أتعجب.

كل ما هنالك أننى قلت:

ـ اعتنِ بنفسك، شكراً، وركبت سيارتى وقدتها إلى المطار.

كانت الدنيا قد أظلمت قبل أن تبدأ الطائرة رحلتها شرقًا. لم أكن لأستطيع أبداً أن أنام فى طائرة.

وهكذا كان بمقدورى أن أفكر فى أليس وجانيل مرتاحتين مع إحداهما الأخرى فى غرفة نوم المستشفى، وكنت سعيداً لأن جانيل لم تكن وحيدة. وكنت سعيداً لأننى سأكون عند الفجر الباكر أتناول طعام الفطور مع عائلتى.

- ٣٩ -

كان أحد الأمور التى لم أعترف بها أبدًا لجانيل هو أن غيرتى لم تكن مجرد رومانسية، بل براجماتية. لقد فتشت فى أدب الرواية الرومانسية، ولكننى لم أجد فى أية رواية الاعتراف بأن أحد الأسباب التى يطلب الرجل المتزوج إخلاص عشيقته له هو خشيته من الإصابة بالسيلان أو ما هو أسوأ، ثم نقله إلى زوجته. إننى أعتقد أن أحد الأسباب التى تجعل الاعتراف بهذا غير ممكن للعشيقة هو أن الرجل المتزوج فى الأقل يكذب عادة ويقول إنه لم يعد ينام مع زوجته. وبما أنه يكذب أصلاً على زوجته وأنه إن عداها فعلاً، فإنه إذا كان إنسانًا أصلاً سيتعين عليه أن يعترف للاثنتين. إنه محجوز وسط القرن المزدوج للذنب.

وهكذا فقد أخبرت جانيل ذات ليلة عن ذلك، فنظرت إلىّ متجهمة وقالت:

- ولكن كيف بك إن أصبت به عن طريق زوجتك ونقلته لى؟ أم أنك لا تظن ذلك ممكنًا؟.

كنا نمارس لعبتنا المألوفة فى العراك، ولكننا لم نكن نتعارك حقًا: مبارزة حقيقية فى الذكاء يُسمح فيها بالمزاح والحقيقة وحتى بشىء من القسوة، ولكن لا للوحشية. قلت:

- بالتأكيد. ولكن الاحتمالات أقل. فزوجتى كاثوليكية صارمة جدا. إنها تتمسك بالفضيلة. ورفعت يدى لأوقف احتجاج جانيل:

- وهى أكبر منك وليست بمثل جمالك والفرص المتاحة لها أقل منك.

ارتخت جانيل قليلاً. إن أى إطراء لجمالها يرققها.

ثم قلت، وأنا أكشر قليلاً:

- ولكنك على حق. لو أن زوجتى نقلته لى ونقلته أنا لك، فإننى لن أحس بالذنب. إننى لا أستطيع تصديق ذلك أبداً. سيكون ذلك على ما يرام. سيكون ذلك نوعًا من عدالة بما أننا، أنت وأنا، كلانا مجرمان معًا.

لم تعد جانيل تستطيع أن تمسك نفسها، كانت تكاد تقفز صاعدة هابطة:

- لا يمكننى أن أصدق أنك قلت شيئًا كهذا. كل ما هنالك أننى لا أستطيع أن أصدق. وقالت:

- قد أكون مجرمة، ولكنك أنت مجرد جبان.

وفى ليلة أخرى فى ساعات الصباح الباكرة، حين لم يكن باستطاعتنا النوم لأننا كنا كالعادة منفعلين أحدنا بالآخر بعد أن نكون قد مارسنا الجنس مرتين أو أكثر وشربنا زجاجة نبيذ، صارت أخيراً من الإلحاح بحيث إننى أخبرتها عن الوقت الذى كنت فيه طفلاً فى الملجأ.

وأنا طفل، كنت أستخدم الكتب كسحر. فى المهجع فى وقت متأخر من الليل، معزولاً ووحيداً، وحدة أشد مما أحسست فى أى وقت منذ ذلك الحين، كان بمقدورى أن أخطف نفسى وأهرب بالقراءة ثم حياكة خيالاتى الخاصة. كانت الكتب التى أحبها أكثر من غيرها فى سن العاشرة أو الإحدى عشرة المبكر ذاك، هى أساطير رولاند (*)، شارلمانى (**) والغرب الأمريكى (***) الرومانسية، ولكن خاصة أسطورة الملك أرثر ومائدته المستديرة وفارسيه الشجاعين لانسلو وجلعاد. ولكننى كنت أحب ميرلين أكثر من غيره، لأننى كنت أظن نفسى مثله. وكنت أنسج خيالاتى فكان

(*) Roland .

(**) أو : شارلمان Charlemagne .

(***) American West : حيث الطبيعة قاسية وحيث لقى المستوطنون الأمريكان مقاومة الوطنيين فقمعوهم بوحشية ، فبقيت المنطقة عسيرة على القانون والنظام أمداً طويلاً .

أخي، آرتي، هو الملك آرثر وكان ذلك صحيحًا أيضًا، وذلك لأن آرتي كان عنده كل نبل الملك آرثر وعدالته، الشرف والقصد الحق، المحبة المسامحة التى لم أكن أتمتع بها. كطفل، كنت أتصور نفسى بارعًا وبعيد النظر، وكنت مقتنعًا بثبات أننى سأحكم حياتى بنوع من السحر. وهكذا فقد توصلت إلى محبة ساحر الملك آرثر: ميرلين، الذى عاش خلال الماضى، الذى كان بإمكانه أن يتنبأ بالمستقبل، والذى كان عصيا على الموت وكلى الحكمة.

وكان حينذاك أننى ابتدعت حيلة نقْلِ نفسى عمليا من الحاضر إلى المستقبل. وقد استعملتها طيلة حياتى. وأنا طفل فى الملجأ كنت أحول نفسى إلى شاب له أصدقاء كتابيون حاذقون. كان بمقدورى أن أجعل نفسى أحيا فى شقة باذخة وأمارس، على كنبة فى تلك الشقة، الحب مع امرأة مشبوبة العاطفة حسناء.

وخلال الحرب، ضد حرس مضجر أو واجب دورية، كنت أقذف نفسى إلى المستقبل حيث أكون فى إجازة فى باريس، آكل طعامًا عظيمًا وأجول فى الفراش مع عاهرات مغويات. وتحت نيران المدفعية كان بإمكانى أن أختفى بصورة سحرية وأجد نفسى مستريحًا فى الغابات إلى جانب جدول رقيق، قارئًا كتابًا مفضلاً.

وقد نجح ذلك، نجح حقا. كنت أختفى بصورة سحرية. وكنت أتذكر فى وقت حقيقى بعدئذ، حين كنت أفعل هذه الأشياء العظيمة حقا، أننى قد تذكرت هذه الأوقات العسيرة وسيبدو الأمر كما لو أننى قد هربت منها جميعًا، وأننى لم أعانِ أبدًا. أنها كانت مجرد أحلام.

أتذكر صدمتى ودهشتى عندما يخبر ميرلين الملك آرثر بأن يحكم دون مساعدته لأنه هو، ميرلين، سيتم حبسه فى كهف على يد ساحرة فتيّة سبق له أن علمها كيف يصير، ببساطة، سجينها ولماذا كان مبتهجًا إلى هذا الحد لنومه فى كهف لمدة ألف سنة، وهو يعرف النهاية المأساوية لمليكه؟ لم أستطع أن أفهم ذلك. ومع ذلك، ففيما كبرت، أحسست أننى أنا أيضًا يمكن أن أفعل الشىء ذاته. لقد تعلمت أن كل بطل عظيم ينبغى أن يكون له ضعفه، وأن ذلك كان سيصير ضعفى.

كنت قد قرأت روايات مختلفة لأسطورة الملك آرثر، وفى إحداها رأيت صورة لميرلين كرجل ذى لحية رمادية طويلة يرتدى قبعة مخروطية كالطرطور مرصعة بالنجوم وعلامات دائرة البروج. فى الفصل العملى فى مدرسة الملجأ صنعت لنفسى قبعة كهذه وصرت ألبسها فى الأنحاء. أحببت تلك القبعة. إلى أن سرقها أحد الصبية ذات يوم فلم أرها بعد أبدًا ولم أصنع أبدًا واحدة أخرى. لقد استعملت تلك القبعة لأنثر رقى سحرية حول نفسى، عن البطل الذى سأصيره، والمغامرات التى ستكون لى، والأفعال الحميدة التى سأؤديها والسعادة التى سأحظى بها. ولكن القبعة لم تكن ضرورية حقًا. كانت الخيالات تحيك نفسها على أية حال. إن حياتى فى ذلك الملجأ تبدو حلمًا. لم أكن هناك أبدًا. كنت حقا ميرلين وأنا طفل فى العاشرة. كنت ساحرًا، ولم يكن بمقدور شىء أن يؤذينى.

كانت جانيل تنظر إلى بابتسامة خفيفة. قالت:

ـ إنك تظن حقا أنك ميرلين، أليس كذلك؟. فقلت:

ـ قليلاً.

ابتسمتْ ثانية ولم تقل شيئًا آخر. شربتْ قليلاً من النبيذ، ثم قالت فجأة:

ـ أتدرى، أكون أحيانًا ملتوية قليلاً وأخشى، حقيقة، أن أكون كذلك معك. أتدرى ما هو الكثير من المرح؟ أن يربط أحدنا الآخر ثم يمارس الحب مع ذلك المربوط. ما رأيك فى ذلك؟ دعنى أربطك ثم أمارس معك الحب ولا تكون فى يدك حيلة. إنها لمفاجأة مبهجة عظيمة.

فوجئتُ لأننا سبق أن حاولنا أن نكون غريبين من قبل ففشلنا. ثمة شىء أعرفه: لن يربطنى أحد. وهكذا، فقد قلت لها:

ـ حسنًا، سأربطك، ولكن لن تربطينى. فقالت جانيل:

ـ ليس هذا عدلاً. ليس هذا باللعب العادل. فقلت:

- لا أبالى البتة. لن يربطنى أحد. كيف أعرف، عندما تكونين قد ربطتنى، أنك لن تشعلى أعواد ثقاب تحت رجلى أو تغرزى دبوسًا فى عينى؟ ستأسفين بعد ذلك، ولكن ذلك لن يفيدنى.

- كلا، أيها المغفل. سيكون رباطًا رمزيا. كل ما هنالك أننى سأجلب وشاحًا وأربطك به. يمكنك أن تتحرر فى أى وقت تشاء. سيكون مثل خيط. أنت كاتب، وتعرف ما يعنيه الـ (الرمزى). فقلت:

- كلا.

تراجعت إلى الوراء فى السرير، مبتسمة نحوى ببرود، قائلة:

- وتظن أنك ميرلين. لقد تصورت أننى سأكون متعاطفة معك أنت المسكين الذى كنت فى ملجأ تتصور نفسك ميرلين. إنك أشد من سبق لى أن قابلته ولقد برهنت لك على ذلك. إنك لن تسمح أبدًا لامرأة أن تضعك تحت الرقية أو تضعك فى كهف أو تربط وشاحًا حول ذراعيك. إنك لست بميرلين يا ميرلين.

لم أكن حقا قد توقعت وقوع هذا، ولكن كان عندى جواب لها، جواب لم أستطع أن أقدمه. إن ساحرة أقل مهارة كانت هناك قبلها. فقد كنت متزوجًا، ألم أكن؟

فى اليوم التالى عقدت لقاء مع دوران، حيث أخبرنى بأن المفاوضات بشأن المخطوطة الجديدة ستستغرق وقتًا. كان المخرج الجديد، سيمون بلفورت، يكافح من أجل نسبة مئوية أكبر. قال دوران مترددًا:

- أتمانع فى التنازل عن نقطتين من نقاطك له؟. فأخبرت دوران:

- إننى لا أريد حتى أن أعمل على الفيلم. إن ذلك الرجل سيمون مبتذل، وصديقه ريتشى لص بالولادة لعين. إن كيلينو فى الأقل ممثل عظيم مما يشفع فى كونه جحر حمار. وذلك الثقب الأحمق واغون هو البغيض البارز من بينهم جميعًا. ما عليك إلا أن تخرجنى من الصورة. فقال دوران بنعومة:

- إن نسبتك فى الفيلم تعتمد على حصولك على اعتبار فى السيناريو. ذلك منصوص عليه فى العقد. لو أنك تركت هؤلاء الأشخاص يواصلون من دونك، فإنهم سيفعلون ذلك بحيث لن تنال الاعتبار. سيكون عليك أن تلجأ إلى التحكيم أمام نقابة الكُتَّاب. إن الاستوديو يقترح الاعتبارات، وإذا ما امتنعوا عن منحك اعتبار جزئى، فعليك أن تكافح ذلك. قلت:

- دعهم يحاولون. لن يتمكنوا أن يغيروها كثيراً. قال دوران بنعومة:

- عندى فكرة. إن إدى لانسر صديق مقرب لك جدا. سأطلب تكليفه بالعمل معك على المخطوطة. إنه رجل مدرك ويمكنه أن يدير التدخل لصالحك ضد كل أولئك الأشخاص الآخرين. حسنًا؟ ثق بى هذه المرة. فقلت:

- حسناً، كنت متعبًا من الأمر كله. قال دوران قبل أن ينصرف:

- لمَ أنت ساخط على أولئك الرجال؟. فقلت:

- لأنه لم يبالِ أحد منهم أبدًا قيد أنملة بشأن مالومار. إنهم فرحون لموته. ولكن ذلك لم يكن صحيحًا حقا. كنت أكرههم لأنهم حاولوا أن يعلِّمونى ما أكتب.

عدت إلى نيويورك فى الوقت المناسب لرؤية جوائز الأوسكار تُقدَّم على التليفزيون. كنت وفاليرى نشاهدها دائمًا فى كل عام. وكنت أراقب هذه السنة خصيصًا لأن جانيل عندها فيلم قصير، بنصف ساعة، صنعته مع صديقاتها، كان مرشحًا.

جلبت زوجتى القهوة والمعجنات، واستقرينا للمشاهدة. ابتسمت نحوى وقالت:

- أتظنك ستكون هناك ذات يوم لتأخذ أوسكار؟. فقلت:

- كلا. سيكون فيلمي تافهاً.

كما هى العادة، فى تقديم الأوسكار يزيحون من الطريق دائمًا الأمور الصغيرة، ولقد فاز فيلم جانيل، بالتأكيد، بالجائزة بوصفه (أفضل موضوع قصير) وهاهو وجهها

على الشاشة. كان وجهها مورداً ووردياً بالسعادة، وكانت من الحساسية بحيث جعلت المشهد قصيراً ومذنبة بما يكفى لجعله فاتناً. اكتفت بأن قالت ببساطة:

- أريد أن أشكر النساء اللائى صنعن هذا الفيلم معى، وخاصة أليس دى سانتيس.

وأعادنى ذلك إلى اليوم الذى عرفت فيه أن أليس تحب جانيل أكثر مما يمكننى أن أحبها.

كانت جانيل قد استأجرت بيت شاطئ فى (ماليبو) لمدة شهر، فكنت فى العطل الأسبوعية أغادر فندقى وأقضى سبتى وأحَدى معها فى البيت. كنا نسير فى ليالى الجمعة على الساحل، ثم نجلس فى الشرفة، الشرفة الصغيرة تحت قمر ماليبو ونراقب الطيور الصغيرة، التى أخبرتنى جانيل أنها زمارات الرمل (*) . كانت تعدو فارةً من متناول الماء كلما ارتفعت الأمواج.

مارسنا الحب فى غرفة النوم المطلة على المحيط الهادى. وفى اليوم التالى، السبت، عندما كنا بصدد تناول الغداء بدلاً من الفطور، جاءت أليس إلى البيت. تناولت الإفطار معنا، ثم أخذت قطعة مستطيلة صغيرة من الفيلم من محفظتها وأعطتها لجانيل. لم تكن قطعة الفيلم تزيد عن إنش عرضاً وإنشين طولاً. سألت جانيل:

- ما هذا؟. قالت أليس:

- هذا اسم المخرج على الفيلم. قصصته. فقالت جانيل:

- لمَ فعلت ذلك؟. قالت أليس:

- لأننى تصورت أن هذا سيسعدك.

كنت أراقبهما معاً. كنت قد رأيت الفيلم. كان عملاً صغيراً لطيفاً. كانت جانيل وأليس قد صنعتاه مع ثلاث نساء أخريات كمشروع أنثوى. كان لجانيل اسم على الشاشة بوصفها نجمة. كان لأليس اسم كمخرجة، والنساء الثلاث الأخريات تناسب أسماؤهن العمل الذى قامت به كل منهن فى الفيلم. قالت جانيل:

ـ إننا نحتاج إلى اسم مخرج. لا يمكننا، ببساطة، أن يكون عندنا فيلم دون اسم مخرج.

لمجرد المناكدة، أردت أن أشارك فى الحديث، قلت:

ـ كنت أظن أن أليس أخرجت الفيلم.

فنظرت إلىَّ جانيل بغضب، وقالت:

ـ كانت المسئولة عن الإخراج. ولكننى قدمت الكثير من التوجيهات الإخراجية فأحسست بأن من حقى أن يكون لى بعض الاسم من ذاك. فقلت:

ـ يا مسيح. إنك نجمة الفيلم. ولابد من أن تحظى أليس ببعض الاسم على العمل الذى أدته. فقالت جانيل ساخطة:

ـ لابد من أن تحظى بالطبع، وقد قلت لها ذلك. لم أطلب منها أن تقص اسمها عن سالب الفيلم. لكنها فعلت ذلك هكذا.

استدرت إلى أليس وقلت:

ـ كيف تشعرين حقا إزاء الأمر؟. كانت أليس تبدو متماسكة جدا. قالت:

ـ لقد قامت جانيل بالكثير من العمل فى الإخراج. وأنا لا أهتم حقا بالاسم. لجانيل أن تناله. أنا لا أبالى حقا.

كان يمكننى أن أرى جانيل غاضبة جدا. كانت تكره أن توضع فى موقع غدَّار كهذا، ولكننى أحسست أنها لم تكن لتدع أليس تنال ذكرًا كاملاً عن إخراج الفيلم. قالت لى جانيل:

ـ عليك اللعنة. لا تنظر إلىَّ هكذا. إن عندى المال لصنع هذا الفيلم وقد جمعت كل الناس معًا، وقد ساعدنا جميعًا فى كتابة القصة، وما كان يمكن صنعه من دونى. فقلت:

ـ حسنًا. خذى إذن اسمًا كمنتج. لمَ تجدين اسم المخرج مهما إلى هذا الحد؟.

ثم تكلمت أليس:

ـ سنعرض هذا الفيلم فى المسابقة على جائزة (الأكاديمية) و(فيلمكس)، وعلى أفلام كهذه، يحس الناس أن الشىء المهم الوحيد هو الإخراج. يحظى المخرج بأغلب تقدير الفيلم. أظن أن جانيل على حق. استدارت نحو جانيل:

ـ كيف تريدين أن يكون نص اسم المخرج؟. فقالت جانيل:

ـ اجعلينا كلتينا ننال ذكرًا وضعى اسمك أنت أولاً. أهذا مناسب؟. فقالت أليس:

ـ بالتأكيد. ما تحبين.

بعد أن تناولت أليس الغداء معنا، قالت إن عليها أن تغادر، مع أن جانيل توسلت إليها أن تبقى. راقبتهما وإحداهما تقبل الأخرى مودعة ثم رافقت أليس إلى سيارتها.

قبل أن تقود مبتعدة، سألتها:

ـ ألا تبالين حقا؟. كان وجهها متماسكًا تمامًا، جميلاً فى هدوئها. قالت:

ـ كلا، لا أبالى حقا. أصيبت جانيل بهستيريا بعد العرض الأول حين جاء الجميع إلىّ لتهنئتى. هذه طبيعتها، وإسعادها أهم عندى من الحصول على كل ذلك الهراء. إنك تفهم ذلك، أليس كذلك؟.

ابتسمت، وقبلْت خدها مودعًا. قلت:

ـ لا. أنا لا أفهم شيئًا كهذا. وعدت لأدخل البيت، فلم أجد جانيل تحت النظر فى أى مكان. تصورت أنها قد ذهبت تتمشى على الساحل وأنها لم تكن تريدنى معها، ولقد رأيتها بالفعل بعد ساعة تصعد الرمل سائرة إلى جانب الماء. وعندما دخلت البيت، صعدت إلى غرفة النوم، وعندما وجدتها هناك، رأيت أنها كانت فى السرير مغطاة، وأنها كانت تبكى.

جلست على السرير ولم أقل شيئًا. مدت يدها لتمسك بيدى. كانت لا تزال تبكى. قالت:

ـ إنك تظننى لئيمة هكذا، أليس كذلك؟. فقلت:

ـ كلا.

ـ وتظن أليس رائعة للغاية، لا؟. فقلت:

ـ أنا أحبها. كنت أدرى أن علىَّ أن أكون حذرًا جدا. كانت تخشى أن أعتبر أليس شخصًا أفضل منها. قلت:

ـ هل أمرتها أن تقص تلك القطعة من السالب؟. فقالت جانيل:

ـ كلا. لقد قامت بذلك طوعًا. فقلت:

ـ حسنًا. إذن تقبلى الأمر كما هو ولا تقلقى بشأن من الذى تصرف خيرًا ومن الذى يبدو الشخص الأفضل. لقد أرادت أن تفعل ذلك من أجلك. فاقبلى ذلك. تعرفين أنك تريدين ذلك.

عند هذا بدأت تبكى ثانية. فى الحقيقة، كانت هستيرية، وهكذا فقد أعددت لها حساء وألقمتها إحدى أقراصها الفاليوم الزرقاء ذات العشرة ميلليجرامات، فنامت من ذلك العصر حتى صباح الأحد.

فى ذلك العصر قرأت، ثم تفرجت على الساحل والماء حتى بزوغ الفجر.

استيقظت جانيل أخيرًا. كانت الساعة حوالى العاشرة، يوم جميل فى ماليبو. أحسست للتو أنها كانت غير مرتاحة معى، أنها لم تكن تريدنى أن أكون هناك بقية النهار. أنها كانت تريد أن تتلفن لأليس وتجعل أليس تأتى لتمضية بقية اليوم. وهكذا فقد أخبرتها بأنى تلقيت مكالمة هاتفية، وأن علىَّ أن أذهب إلى الاستوديو وأنه ليس بمقدورى أن أقضى اليوم معها. فقامت بالاعتراضات المألوفة للفاتنة الجنوبية، ولكن كان بمقدورى أن أرى الضوء فى عينيها. كانت تريد أن تتلفن لأليس كى تبين لها حبها.

رافقتنى جانيل إلى السيارة. كانت ترتدى واحدة من تلك القبعات الخفاقة الكبيرة لتقى بشرتها من الشمس. كانت قبعة خفاقة حقا. كان أغلب النساء سيظهرن قبيحات إذا لبسن مثلها. ولكن وجهها الكامل وبشرتها، كانت تبدو جميلة تماماً. كانت ترتدى بنطلونها الجيز المفصل خصيصًا، المستعمل، المهتّك عمداً خصيصًا، الذى يلتصق بجسدها كما الجلد. فتذكرت أننى كنت قد قلت لها ذات ليلة عندما كانت عارية فى الفراش إن لها عجيزة امرأة ضخمة حقيقية، وإنه لابد من أجيال لاستحصال عجيزة كهذه. لقد قلت ذلك لأثير غضبها. لأنها كانت أنوثية، ولكنها ابتهجت، الأمر الذى أدهشنى. وتذكرت أنها كانت، جزئيا، نفّاجة. أنها كانت تعتز بالانحدار الأرستقراطى لعائلتها الجنوبية.

قبلتنى مودعة وكان وجهها مورداً كله وورديا. لم تكن مكتئبة أبداً لأننى كنت مغادراً. كنت أدرى أنها وأليس ستحظيان بيوم سعيد معًا وأن يومى سيكون بائسًا فى فندقى فى المدينة. ولكننى حسبت، ثم ماذا؟ لقد كانت أليس تستحق ذلك، ولم أكن أنا أستحقه حقيقة. كانت جانيل قد قالت مرة إنها، حل عملى لاحتياجاتى العاطفية لكننى لست حلاً عمليًا لاحتياجاتها هى.

بقى التليفزيون يخفق. كان ثمة تكريم خاص فى ذكرى مالومار. قالت لى فاليرى شيئًا عنه. أكان شخصًا لطيفًا؟ وأجبت بنعم. انتهينا من مشاهدة الجوائز، ثم قالت لى:

- هل عرفت أيا من الناس الذين كانوا هناك؟. فقلت:

- بعضهم. وسألتنى فاليرى:

- من منهم؟.

ذكرت إدى لانسر الذى فاز بجائزة أوسكار عن مساهمته فى سيناريو فيلم، ولكننى لم أذكر جانيل. تساءلت للحظة فقط ما إذا كانت فاليرى قد نصبت لى شركًا لترى ما إذا كنت سأذكر جانيل، فقلت إننى أعرف الفتاة الشقراء التى نالت الجائزة فى بداية البرنامج.

نظرت فاليرى إلىَّ ثم أشاحت بوجهها.

- ٤٠ -

بعد أسبوع تلفن دوران لى طالبًا الذهاب إلى كاليفورنيا من أجل المزيد من الاجتماعات. قال إنه قد باع إدى لانسر إلى الثقافات الثلاث. وهكذا فقد ذهبت وتسكعت ثم ذهبت إلى الاجتماعات واستأنفت العلاقة مع جانيل ثانية. كنت غير مستقر قليلاً الآن. فلم أعد أحب كاليفورنيا بذلك القدر.

قالت لى جانيل ذات ليلة:

- إنك تحدثنى دائمًا كم هو عظيم أخوك، آرتى. لماذا هو بهذه العظمة؟. فقلت:

- حسنًا. أظنه كان أبى كما كان أخى.

كان بمقدورى أن أرى أنها كانت مفتونة بنشأتنا معًا، كيتيمين. أن ذلك كان يروق لحسها الدراماتيكى. كان بمقدورى أن أراها تلفق جميع أنواع الأفلام، وفى رأسها الحكايات الخرافية التى تصور كيف كانت الحياة. ولدان صغيران. فاتن. واحد من فانتازياتك الجديرة بوالت ديزنى (*) . قلت:

- إذن، تريدين حقا أن تسمعى قصة أخرى عن الأيتام؟ أتريدين قصة سعيدة أو قصة حقيقية؟ أتريدين كذبة أم تريدين الحقيقة؟.

تظاهرت جانيل بأنها تفكر فى الأمر. قالت:

- جربنى مع الحقيقة. إن لم أحبها فيمكنك أن تخبرنى بالكذبة.

(*) Walt Disney .

وهكذا فقد أخبرتها كيف كان زوار الملجأ يريدون أن يتبنوا آرتي ولكنهم لم يريدوا أبدًا أن يتبنوني. على ذلك النحو بدأت القصة.

فقالت جانيل هازئة:

- يا لك من مسكين. ولكن عندما قالتها تركت يدها تسقط إلى جانب جسدى وتستقر هناك، مع أن وجهها كان يبتسم.

كان يوم أحد وأنا في السابعة وآرتي في التاسعة عندما حُملنا على ارتداء ما كان يسمى ملابسنا للتبني. جاكتتين زرقاوين فاتحتين، وقميصين أبيضين مكويين بالنشاء، ورباطى عنق أزرقين غامقين بنطالى فلانيل أبيضين وأحذية بيضاء. تم مسحنا بالفرشاة وتمشيطنا وجلبنا إلى غرفة استقبال المديرة، حيث كان زوجان شابان ينتظران ليفحصانا. كان الإجراء هو أن يتم تقديمنا فنتصافح ونعرض حسن أخلاقنا ونجلس لنتحدث ونتعارف. ثم كنا نتمشى جميعًا معًا عبر أراضي الملجأ، مجتازين الحديقة الواسعة ومتجاوزين ساحة كرة القدم الأمريكية ومباني المدرسة. وكان أكثر ما أتذكره أن المرأة من الزوجين بدت لي فائقة الجمال. إنني، حتى مع كوني ابن السابعة، وقعت في غرامها. كان واضحًا أن زوجها أيضًا كان مغرمًا بها ولكنه لم يكن مشغوفًا كثيرًا بالفكرة كلها. كما أنه صار واضحًا أثناء ذلك اليوم أن المرأة كانت مجنونة بآرتي، ولكن ليس بي. ولم أستطع، حقًا، أن ألومها. فقد كان آرتي، حتى وهو في التاسعة، يبدو وسيمًا، بطريقة الناضجين تقريبًا. وكذلك، كانت الملامح على كل سطوح وجهه منحوتة بشكل كامل، ومع أن الناس كانوا يقولون لي إننا نبدو متشابهين وأنهم كانوا يعرفون دائمًا أننا أخوان، فقد كنت أدرى أنني كنت صورة مضببة عنه كما لو أنه كان أول من خرج من القالب. كان الانطباع واضحًا. عند الطبعة الثانية لحقت بي قطع صغيرة من الشمع من القالب؛ غلظت الشفتان، وكبر الأنف. كان لآرتي رهافة فتاة، وكانت العظام في وجهي وجسدي أسمك وأثقل. ولكنني لم أكن أبدًا أغار من أخي حتى ذلك اليوم.

أُخبرنا تلك الليلة أن الزوجين سيعودان يوم الأحد التالى ليتخذا قرارهما فيما إذا يتبنياننا كلينا أو يتبنيان واحداً منا. كما أُخبرنا أنهما كانا ثريين جدا، وكم هو مهم بالنسبة لواحد منا فى الأقل أن يتم أخذه.

أتذكر أن الرئيسة أجرت معنا حديثًا من القلب للقلب. كان واحداً من تلك الأحاديث القلبية التى يتحدث بها البالغون للأطفال محذرين إياهم من العواطف الشريرة كالغيرة، والحسد، والكراهية وتشجعنا نحو كرم الروح الذى لا يمكن إلا للقديسين أن يدركوه، فكيف بالأطفال! كأطفال، أصغينا من دون أن ننبس بكلمة. نهز رأسينا ونقول:

ـ نعم، يا سيدتى. ولكننا ما كنا ندرى حقا عمَّ كانت تتكلم. ولكننى كنت أعرف، حتى وأنا فى السابعة، ما الذى كان سيحدث. سيذهب أخى يوم الأحد القادم، سيغادر مع السيدة الثرية الحسناء ويتركنى وحيداً فى الملجأ.

حتى وهو طفل، لم يكن آرتى مختالاً. ولكن الأسبوع الذى تلا كان الأسبوع الوحيد فى حياتنا الذى تغربنا فيه عن بعضنا. كرهته ذلك الأسبوع. فى يوم الاثنين بعد الدروس، حين أقبلنا على لعبتنا فى كرة القدم اللمسية (*) ، لم أختره فى فريقى. فى الرياضة كانت عندى السلطة كلها. طيلة السنوات الست عشرة التى كنا أثناءها فى الملجأ كنت أفضل رياضى فى سنى وقائداً طبيعيا. وهكذا كنت دائمًا واحداً من رؤساء الفريق الذين ينتخبون فرقهم، ولقد انتخبت دائمًا أن يكون آرتى فى فريقى بوصفه خيارى الأول. كان ذلك الاثنين هو الوقت الوحيد خلال ست عشرة سنة الذى لا أنتخبه فيه. وعندما لعبنا اللعبة، مع أنه كان يكبرنى بسنتين، حاولت أن أضربه بأشد ما أستطيع عندما تكون الكرة عنده. كان لا يزال بوسعى أن أتذكر بعد ثلاثين سنة نظرة التعجب والتألم على وجهه فى ذلك اليوم. أثناء الوجبات المسائية لم أجلس إلى جانبه على مائدة الطعام. فى المساء لم أكلمه فى المهجع. فى أحد تلك الأيام أثناء الأسبوع أذكر بوضوح

(*) أحد أشكال لعبة كرة القدم الأمريكية.

أنه بعد أن انتهت لعبة كرة القدم وكان يسير عبر الساحة كنت أحمل الكرة بيدى فرميت ببرود تام تمريرة حلزونية جميلة طولها عشرين ياردة فأصبته فى مؤخرة رأسه وطرحته أرضًا. كنت قد رميتها فقط. لم أعتقد أبدًا أن بمقدورى أن أصيبه. كانت إنجازًا مشهودًا بالنسبة لصبى فى السابعة. وإننى لأتعجب حتى الآن من قوة الحقد التى جعلت ذراع ابن السبع سنوات بتلك الأصالة. أذكر نهوض أرتى عن الأرض وصياحى:

- هَىْ، لم أتعمد ذلك، ولكنه اكتفى بأن استدار وسار مبتعدًا.

لم ينتقم أبدًا. وكان ذلك يجعلنى أكثر غضبًا. مهما كان مقدار ما أزجره أو إذلالى له، كان يكتفى بالنظر لى مستفسرًا. لم يفهم أى منا أبدًا ما كان يجرى. ولكننى كنت أعرف شيئًا واحدًا كان يؤله حقا. كان أرتى دومًا مدخرًا للمال حريصًا عليه. كنا نجمع السنتات والنكلات بالقيام بأعمال متفرقة فى الملجأ، وكان لأرتى جرة زجاجية ملآى بهذه السنتات والنكلات، التى كان يحتفظ بها مخبوءة فى خزانة ملابسه. بعد ظهر الجمعة سرقت الجرة الزجاجية، متخليًا عن لعبتى اليومية فى كرة القدم، وركضت خارجًا إلى منطقة مشجرة من الملاعب فدفنتها. لم أكلف نفسى حتى بعدِّ النقود. كان يمكننى أن أرى المسكوكات النحاسية والفضية تملأ الجرة حتى الحافة تقريبًا. لم يفتقد أرتى الجرة حتى الصباح التالى فنظر إلىَّ غير مصدق ولكنه لم يقل شيئًا. الآن صار يتجنبنى.

كان اليوم التالى أحدًا، وكان يتعين علينا أن نحضر عند المديرة كى نلبس ملابس تبنينا. استيقظت مبكرًا فى صباح الأحد قبل الفطور وركضت بعيدًا كى أختبئ فى المنطقة المشجرة خلف الملجأ. كنت أدرى ما الذى سيقع ذلك اليوم. إن أرتى سيُلبَّس بدلته، وإن المرأة الحسناء التى عشقتها ستأخذه بعيدًا معها وإننى لن أراه ثانية أبدًا. ولكننى سأحظى فى الأقل بنقوده. فى الجزء الأكثف من الأشجار تمددت وغفوت ونمت النهار بطوله. كان الظلام سائدًا تقريبًا قبل أن أستيقظ ثم عدت. تم أخذى إلى مكتب المديرة، فأعطتنى عشرين ضربة بمسطرة خشب على ساقىَّ. لم يهمنى ذلك البتة.

عدت إلى المهجع، ولدهشتى وجدت آرتى جالسًا فى فراشه ينتظرنى. لم أستطع أن أصدق أنه كان لا يزال هناك. فى الواقع، إذا كانت الذاكرة لا تخوننى، كانت الدموع تترقرق فى عينى عندما لكمنى آرتى فى وجهى وقال:

ـ أين النقود؟. ثم انقضَّ علىَّ، لاكمًا وراكلاً إياى صارخًا يطلب ماله. حاولت أن أدافع عن نفسى دون أن أؤذيه، ولكننى أخيرًا التقطته ورفعته ورميته بعيدًا عنى. جلسنا هناك يحدق أحدنا إلى الآخر. قلت:

ـ ليست نقودك عندى. فقال آرتى:

ـ لقد سرقتها. أدرى أنك سرقتها. فقلت:

ـ لم أفعل. ليست عندى.

رحنا نحدق أحدنا إلى الآخر. لم نتحدث مزيدًا تلك الليلة. ولكن عندما استيقظنا فى الصباح التالى، عدنا صديقين من جديد. صار كل شىء كما كان عليه من قبل. لم يسألنى آرتى ثانية عن المال. ولم أخبره أنا أين خبأته.

لم أعرف ما جرى ذلك الأحد إلا بعد سنوات عندما أخبرنى آرتى أنه عندما اكتشف أننى هربت، رفض أن يرتدى بدلة تبنيه، وأنه صرخ وشتم وحاول أن يضرب المديرة، وأنه قد جرى ضربه. وعندما أصر الزوجان الشابان اللذان أرادا تبنيه على رؤيته، بصق على المرأة وشتمها بكل الألفاظ القذرة التى يمكن لصبى فى التاسعة من عمره أن يفكر فيها. كان ذلك مشهدًا رهيبًا، وقد نال علقة أخرى من المديرة.

عندما أنهيت القصة، نهضت جانيل عن السرير وذهبت تعد لنفسها كأس نبيذ أخرى. عادت إلى السرير، مائلة نحوى، وقالت:

ـ أريد أن أقابل أخاك، آرتى. قلت:

ـ لن تفعلى أبدًا. إن الفتيات اللاتى أصطحبهن يقعن فى غرامه. إن السبب الوحيد فى زواجى من زوجتى كان، فى الحقيقة، أنها الوحيدة التى لم تعشقه. فقالت جانيل:

- هل عثرت أصلاً على جرة النقود الزجاجية؟. فقلت:

- كلا. لم أرد ذلك أبداً. أردتها أن تبقى هناك لطفل آخر يأتى بعدى، قد يحضر طفل ما فى تلك الغابة فتصير له سحراً. لم أعد أحتاج إليها بعد.

شربت جانيل نبيذها ثم قالت بغيرة، كما لو كانت تغار من كل عواطفى:

- إنك تعشقه، ألست كذلك؟.

ولم أستطع حقا أن أجيب. لم أقدر أن أفكر فى استعمال كلمة عشق تلك لأخى أو لأى رجل آخر. ثم أن جانيل كانت تستخدم كلمة عشق أكثر من اللازم. ولهذا لم أجب.

وفى ليلة أخرى ناقشتنى جانيل عن حق النساء فى أن يضاجعن بحرية كل الرجال. تظاهرت بأننى أتفق معها. كنت أحس حقداً بارداً من غيرة مقموعة. كان كل ما قلته:

- لهن الحق بالتأكيد. المشكلة الوحيدة هى أن النساء لا يستطعن معالجة ذلك بيولوجياً. عندها استشاطت جانيل. قالت:

- هذا كله روث بقر. نستطيع أن نضاجع باليسر ذاته الذى يمكنكم. إننا لا نبالى أبداً. فى الحقيقة، إنكم أنتم الرجال من يقيم كل الضجة عن كون الجنس مهمًّا وجديًّا إلى هذا الحد. إنكم غيورون جدا ومتملكون جدا: نحن ملكيتكم.

كان ذلك مجرد فخ كانت ترجو أن أقع فيه. قلت:

- كلا، لم أقصد ذلك. ولكن هل تعرفين أن ثمة فرصة ما بين عشرين إلى خمس وأربعين فى المائة فى أن يأخذ الرجل السيلان عن المرأة، فى حين أن فرصة التقاط المرأة للسيلان من الرجل تتراوح ما بين خمسين إلى ثمانين فى المائة؟.

نظرت مذهولة لحظة، وكنت أعشق نظرة الدهشة الطفولية تلك على وجهها. مثل أغلب الناس، كانت لا تعرف أى شىء عن الأمراض التناسلية أو طريقة عملها.

أما بالنسبة لى، فبمجرد أن بدأت فى خداع زوجتى، كنت قد قرأت الكثير عن الأمر. كان كابوسى الأكبر أن أصاب بمرض جنسى، السيلان أو السفلس، وإعداء فاليرى، وكان ذلك أحد الأسباب فى ألمى عندما كانت جانيل تخبرنى عن شئونها الغرامية. قالت جانيل:

ـ إنك تلفق هذا لتخيفنى. أعرفك عندما تبدو واثقًا جدا من نفسك ومهنيا جدا، إنك تلفق القصص، ليس إلا. فقلت:

ـ كلا. ذلك صحيح. يطلق الرجل إفرازًا رقيقًا، رائقًا بعد ما بين يوم إلى عشرة أيام، ولكن النساء لا يعرفن أغلب الوقت حتى أنهن أصبن بالسيلان. لا تظهر على ما بين خمسين إلى ثمانين بالمائة من النساء أعراض لعدة أسابيع أو عدة أشهر، أو يطلقن إفرازًا أخضر أو أصفر. وكذلك، يصير للنساء رائحة فطر تنبعث من أعضائهن التناسلية.

تداعت جانيل على السرير، ضاحكة، ورفعت ساقيها العاريين إلى أعلى فى الهواء:

ـ أعرف الآن أنك ملىء بالأكاذيب. فقلت، وأنا أرجو أن تخفى النكتة شماتتى:

ـ كلا، إنه الحق. لا مزاح. ولكنك بخير، أستطيع أن أشمك من هنا. تعرفين أن الطريقة الوحيدة لمعرفتك بالإصابة هى أن يخبرك رفيقك الذكر.

استقامت جانيل متكلفة الاحتشام، وقالت:

ـ أشكرك كثيرًا. أنتهيأ لتقول لى إنك أصبت به ولذلك، فلابد من أننى مصابة؟. فقلت:

ـ لا. أنا نظيف، ولكن إن أصبت به، فأنا أعرف أنه إما منك أو من زوجتى.

فألقت علىَّ جانيل نظرة متهكمة، وقالت:

ـ وزوجتك فوق الشبهات، صحيح؟. فقلت:

- هذا حق. قالت جانيل:

- حسنًا، لمعلوماتك: إننى أراجع طبيبى للأمراض النسائية كل شهر وأجرى فحصًا شاملاً. فقلت:

- هذا كله خراء. إن الطريقة الوحيدة التى يمكنك التأكد بها هى القيام بازدراع. وأغلب أطباء الأمراض النسائية لا يفعلون هذا. إنهم يأخذونه فى زجاجة رقيقة بها هلام بنى فاتح من عنق رحمك. والاختبار معقد جدا وهو ليس اختبارًا مؤكدًا على الدوام.

افتتنت الآن، كما أنها لم تدرك لماذا كنت ألقى عليها المحاضرة.

- وماذا عن الرجال؟ ما الذى يصيبكم يا أولاد الحرام من هذا كله؟. فقلت:

- حسنًا. نحصل على انتفاخ الغدد اللمفاوية فى أصل الفخذ. ولهذا تقول الواحدة أحيانًا لرجل ما إن عنده زوجين من الخصى، أو تجدينه أحيانًا يفقد شعره. ولهذا كان الاسم العامى للسفلس فى الأيام الخوالى هو الحلاقة. ولكن مع ذلك، فليس المرء فى حال سيئة. يمكن للبنسلين أن يمحو ذلك كله. ومرة أخرى، كما قلت، فإن الرجال يعرفون أنهم أصيبوا بينما لا تعرف النساء عندما يصبن، ولهذا فالنسوة غير مجهزات بيولوجيا لأن يصرن تعدديات الذكور.

بدت جانيل مندهشة نوعًا:

- أتجد هذا جميلاً، كانت قد بدأت تفهم. فواصلتُ برقة تامة:

- ولكنه ليس فظيعًا كما يبدو. حتى إذا لم تعرفى أنك مصابة بالسفلس أو لم تكن عندك، كما يحدث لأغلب النساء، أعراض من أى نوع ما لم يخبرك رجل ما بسبب طيبة قلبه. خلال سنة لن تكونى معدية. لن تصيبى أحدًا. وابتسمت نحوها:

- ما لم تكونى حاملاً، فعندئذ يولد طفلك مصابًا بالسفلس.

كان يمكننى أن أحسها تنكمش من الفكرة:

- والآن، بعد تلك السنة، فإن ثلثى المصابات سيعشن دون تأثيرات سيئة. إنهن منعتقات. لا بأس عليهن. وابتسمت لها.

قالت جانيل بريبة:

- والثلث الآخر؟. قلت:

- إنهن أمام مشكلات عسيرة: فهو يؤلم القلب، يوجع الأوعية الدموية. يمكن أن يكمن عشر سنوات أو عشرين، ثم قد يسبب الجنون، أو قد يسبب الشلل، يجعل المرء مشلولاً، أو قد يؤثر فى العينين، أو فى الرئتين والكبد. وهكذا ترين، يا عزيزتى، أنْ لا حظَّ لك البتة. قالت جانيل:

- إنك تخبرنى هذا لمجرد صدّى عن الخروج مع رجال آخرين. إنك تحاول فقط أن تخيفنى كما كانت أمى تفعل عندما كنت فى الخامسة عشرة بأن تحذرنى من الحبل. فقلت:

- مؤكد. ولكننى أعزز ذلك بالعلم. ليس لدى اعتراض أخلاقى. يمكنك أن تضاجعى من تريدين. وأنت لست ملكى. قالت جانيل:

- إنك لحمار بارع حقا. قد يخرجون بقرص مثل أقراص منع الحمل تماماً.

جعلت صوتى مخلصاً جدا، وقلت:

- بالتأكيد. لقد صنعوا ذلك منذ الآن. إن تناولت قرصًا من البنسلين ذا خمسمائة ملليجرام قبل ساعة من الاتصال، فهو سيقضى على السفلس تمامًا. ولكنه لا يشتغل أحيانًا وهو يكتفى بالوصول إلى الأعراض فقط، ثم تتورطين بعد عشر سنوات أو عشرين. إذا ما تناولته مبكرًا جدا أو متأخرًا جدا، فإن هذه الملتويات (*) تتضاعف. أتعرفين ما الملتويات؟ إنها تشبه قالعات السدادات الفلينية، وهى تملأ دمك وتتصل إلى

(*) Spirochetes : نوع من البكتريا يشمل تلك المسببة لسفلس أو الحمى الراجعة.

الأوعية الدموية وليس ثمة دم كاف فى أوعيتك ليحاربها. ثمة شىء فى الدواء يمنع الخلية من التكاثر ومنع الإصابة، ثم يصير الداء مقاومًا للبنسلين الذى فى جسدك. إن البنسلين يساعدها، فى الحقيقة، على النمو. ولكن ثمة شيئًا آخر يمكنك أن تستخدميه. ثمة جل (*) أنثوى، اسمه بروغاناسى، يستخدم كمانع حمل، وقد وجد أنه يدمر بكتريا الأمراض التناسلية كذلك، فيمكنك إذن أن تقتلى عصفورين بحجر واحد. وعلى ذكر الأمر، فإن صديقى أوزانو يستخدم أقراص البنسلين هذه كلما ظن أنه سيوفق مع فتاة.

ضحكت جانيل بازدراء:

- هذا مناسب جدا للرجال. فأنتم الرجال يمكنكم أن تواقعوا أى شىء، ولكن النساء لا يعرفن من أو متى سيواقعن إلى ما قبل ساعة أو ساعتين. فقلت بمرح:

- حسنًا، دعينى أعطيك بعض النصح. لا تواقعى شخصًا بين الخامس عشر والخامس والعشرين. إن عندهم نحو عشرة أضعاف الأمراض التناسلية من أية مرتبة سنية أخرى.

(*) Gel : مادة هلامية تتشكل من محلول غرواني .

فى سفرتى التالية عائدًا بعد شهر، تلفنت لجانيل فقررنا أن نتناول العشاء ونذهب إلى السينما معًا. كان ثمة شىء بارد قليلاً فى صوتها، ولذلك كنت محترسًا، الأمر الذى هيأنى لصدمة رؤيتها عندما أخذتها من شقتها.

فتحت أليس الباب فقبلتها وسألتها عن صحة جانيل فدوّرت أليس عينيها فى وجهها، ما يعنى أن لى أن أتوقع أن تكون جانيل مجنونة نوعًا ما. حسنًا، لم يكن الأمر جنونًا، ولكنه كان غريبًا نوعا ما. عندما خرجت جانيل من غرفة النوم، كانت تلبس على نحو لم أرها تفعله من قبل أبدًا.

كانت تضع قبعة بيضاء خفيضة الرأس عليها شريط أحمر. كانت الحافة منكسة على عينيها البنيتين الغامقتين المرقشتين بالذهب. كانت ترتدى بدلة رجالية جيدة الفصال من الحرير الأبيض، أو ما كان يبدو كالحرير. كان ساقا البنطلون مفصلين بدقة كساقى بنطلون رجل. وكانت ترتدى قميصًا أبيض حريريا وأجمل رباط عنق مخطط بالأحمر والأزرق، ولإكمال ذلك كله، فقد كانت تحمل عصا غوتشى (*) رفيعة بشكل دقيق بلون القشدة، بدأت تطعننى فى بطنى بها. كان ذلك تحديًا مباشرًا، عرفت ما كانت تفعل: كانت تخرج من المختلى وتخبر العالم، بلا كلمات، بثنائيتها الجنسية.

ابتسمتْ:

ـ كيف تجده؟. فابتسمت وقلت:

(*) Gucci : مصمم أزياء.

- عظيم. المسترجلة الأكثر أناقة التى سبق لى أن قابلت.

- أين تريدين أن تأكلى؟.

اتكأت على عصاها وراقبتنى ببرود. قالت:

- أظننا يجب أن نأكل فى (سكانديا) وأنك ربما تأخذنى، للمرة الأولى فى علاقتنا، إلى ناد ليلى.

لم يسبق أن تناولنا الطعام فى أماكن غريبة. لم يسبق أن ذهبنا إلى نادٍ ليلى. ولكننى قلت لا بأس. لقد فهمت، فيما أظن، ما الذى كانت تفعله. كانت تجبرنى على إعلام العالم أننى أحبها على رغم ثنائيتها الجنسية، تختبرنى لترى إن كنت أحتمل النكات والضحكات المكبوتة المسترجلة. ما دمت قد تقبلت الحقيقة أنا نفسى، فإننى لم أكن لأبالى بما يفكر فيه أىٌّ كان.

استمتعنا بسهرة عظيمة، كان كل امرئ يحدق إلينا فى المطعم، ولابد لى من أن أعترف بأن جانيل كانت تبدو كاسحة بشكل مطلق. كانت تبدو، فى الواقع، طبعة أكثر شقرة وأكثر بياض بشرة لمارلين ديتريتش (*) ، على نمط الفاتنات الجنوبيات، بالطبع. لأنه، مهما كان ما تفعله، كانت تلك الأنوثة الطاغية تنبعث منها. ولكننى كنت أعرف أننى لو أخبرتها بذلك فإنها ستبغضه: كانت خارجة لتعاقبنى.

ولقد استمتعت حقا بلعبها دور المسترجلة لأننى كنت أدرى، ببساطة، كم كانت أنثى فى الفراش. لذلك كان ذلك نوعًا من النكتة المزدوجة على من كان يشاهدنا. كما استمتعت به أيضًا لأن جانيل كانت تتصور أنها تغضبنى فكانت تراقب كل واحدة من حركاتى فخابت ثم فرحت لأنه كان واضحًا أننى لم أكن أبالى حقا.

اعترضت على الذهاب إلى الملهى، ولكننا ذهبنا وتناولنا المشروبات فى (ردهة البولو)، حيث عرَّضتُ علاقتنا - نائلاً رضاها - إلى تحديقات أصدقائها وأصدقائى.

(*) Marlene Dietrich.

رأيت دوران على واحدة من الموائد وجيف واغون على أخرى، وقد كشر كلاهما نحوى. لوحت جانيل لهما بمرح ثم استدارت نحوى وقالت:

- أليس بديعًا أن تذهب إلى مكان ما لتشرب فترى كل أصدقائك القدامى الأعزاء؟.

كشَّرت رادًّا على تكشيرتها وقلت:

- عظيم.

أوصلتها إلى البيت قبل منتصف الليل، فربتت على كتفى بعصاها وقالت:

- كنت جيداً جدا. فقلت:

- أشكرك. قالت:

- هل ستتلفن لى؟. وقلت:

- نعم. لقد كانت سهرة لطيفة على كل حال. لقد استمتعت بردود الفعل المتأخرة لرئيس الندل، والبواب، وحتى الرجال الذين كانوا يقومون بركْن السيارات، على النكات، ولقد كانت جانيل الآن، فى الأقل، خارج المختلى.

وسرعان ما حلَّ وقت بعد هذا أحببت فيه جانيل باعتبارها شخصاً. أعنى، حين لم أكن أريد فقط أن أواقعها بشكل يجننها، أو أنظر إلى عينيها البنيتين الغامقتين فيغمى علىَّ، أو ألتهم فمها الزهرى. وكل ما عدا ذلك، البقاء ساهراً طوال الليل أقص عليها القصص، يا للمسيح، راوياً لها حياتى كلها، وإخبارها إياى بكل حياتها. باختصار، حلَّ وقت أدركت فيه أن وظيفتها لم تكن مجرد إسعادى، وجعلى أبتهج بها. رأيت أن واجبى كان أن أجعلها أسعد قليلاً مما كانت وألا أغضب عندما لم تكن تجعلنى سعيداً.

لا أعنى أننى صرت واحداً من أولئك الرجال الذين يعشقون فتاة لأن ذلك يجعلهم تعساء. لم أكن أفهم ذلك حقا. لقد كنت أومن دائماً بالحصول على حصتى من الصفقة، فى الحياة، وفى الأدب، وفى الزواج، وفى الحب، وحتى كأب.

وأنا لا أعنى أننى تعلمت أن أسعدها بإعطائها هدية، فقد كان ذلك من دواعى سرورى. أو أن أبهجها عندما تكون محبطة، الأمر الذى كان مجرد إزاحة العوائق من الطريق كى تتمكن من الانصراف إلى عملية إسعادى.

ما كان غريباً الآن أننى ، بعد أن خانتنى، بعد أن بدأنا نكره أحدنا الآخر قليلاً، بعد أن هاجمنا أحدنا الآخر، بدأت أحبها كإنسانة.

لقد كانت حقا شخصًا على هذا المستوى من الجودة. لقد اعتادت أن تقول مثل طفل أحيانًا:

ـ إننى شخص جيد، وكانت كذلك حقا.

كانت حقا مستقيمة جدا فى كل الأشياء المهمة. صحيح أنها كانت تواقع رجالاً آخرين ونساء أيضًا، ولكن، ثم ماذا بحق الجحيم، لا أحد كامل. كانت لا تزال تحب الكتب ذاتها التى أحبها، والناس عينهم. عندما كانت تكذب على، كان ذلك لتجنب إيذائى. وعندما كانت تخبرنى بالحقيقة، كان ذلك لإيلامى جزئيا ، كان عندها حس انتقامى لطيف ولقد أحببت حتى ذلك أيضًا، ولكن كذلك أيضًا لأنها كانت تحس الرعب من أن أكتشف الحقيقة بطريقة تجعلنى أتألم أكثر.

وكان علىَّ بالطبع أن أفهم، مع مرور الوقت، أنها تحيا حياة مؤذية بطرق عدة. حياة معقدة. إذ من الذى لا يفعل حقا.

وهكذا، فقد غادر كل الزيف والوهم علاقتنا. كنا صديقين حقيقيين ولقد أحببتها كشخص. لقد أعجبت بشجاعتها، وعدم إمكان تحطيمها مع كل إخفاقات حياتها المهنية، وكل الخيانات فى حياتها الشخصية. كنت أفهم ذلك كله. كنت أؤيدها على طول الخط.

لماذا إذن، بحق الجحيم، لم تتوفر لنا الأوقات الطيبة حتى الاهتياج التى كانت لنا من قبل؟ لمَ لم يكن الجنس بالجودة التى كان عليها، مع أنه كان لا يزال أفضل مما هو لدى أى شخص آخر؟ لمَ لم نكن مع أحدنا الأخرى بالانتشاء الذى اعتدنا أن نكون عليه؟

سحر، سحر أسود وأبيض. شعوذة، رقى، ساحرات وكيمياء. أيمكن أن يكون حقا أن النجوم الدوارة تقرر مصيرنا وأن دم القمر يجعل الحيوات تقوى وتخبو؟ أيمكن أن يكون حقا أن مجرات لا تعد تقرر مصائرنا يومًا بعد يوم على الأرض؟ أهو، ببساطة تامة، صحيح أنه ليس بمقدورنا أن نكون سعداء دون أوهام باطلة؟

تأتي نقطة في كل علاقة غرامية حين تبدأ المرأة، فيما يبدو، تسخط على كون عشيقها سعيداً جدا. إنها تعرف بالتأكيد أنها هي من يجعله سعيداً. هي تعرف بالتأكيد أن تلك لذتها، وحتى واجبها. ولكنها تتوصل أخيرًا إلى الاستنساج أن الرجل، بطريقة من الطرق، يده ملطخة بالدم. وخاصة عندما يكون الرجل متزوجًا والمرأة غير متزوجة. لأنه عندئذ تكون العلاقة جوابًا على مشكلته لكنها لا تحل مشكلتها.

ثم يأتي زمن يحتاج فيه أحد الشريكين إلى القتال قبل أن يمارس الحب. لقد وصلت جانيل إلى تلك المرحلة. ولقد نجحت عادة في صرفها عن وجهتها، ولكنني كنت أشعر أحيانًا بميل إلى القتال أيضًا. أحيانًا، عندما كانت تصير ساخطة من أنني بقيت متزوجًا ولم أقطع أية وعود من أجل التزام دائم.

كنا في بيتها في ماليبو بعد السينما. كان الوقت متأخراً. كنا ننظر من غرفة نومنا إلى المحيط، الذي اكتسى مسحة طويلة من ضوء القمر كخصلة من شعر ذهبي. قلت:

ـ فلنذهب إلى الفراش. كنت أموت من أجل ممارسة الحب لها. كنت أموت دائمًا لأن أمارس الحب معها. فقالت:

ـ أوه، يا للمسيح. إنك تريد أن تواقع دائمًا. فقلت:

ـ كلا. أريد أن أمارس الحب لك. كنت قد صرت على ذلك الحد من العاطفية.

نظرت إلى ببرود، ولكن عينيها البنيتين السائلتين كانتا تبرقان غضبًا. قالت:

ـ أنت وبراءتك السخيفة. إنك مثل مصاب بالجذام من دون جرسه. فقلت:

- جراهام جرين (*) . فقالت:

- أوه، ولكنها ضحكت.

وقد كان ما أدى إلى هذا كله أننى لا أكذب أبداً. وكانت تريدنى أن أكذب. كانت تريد منى أن أعطيها كل الهراء الذى يعطيه الرجال المتزوجون للفتيات اللائى يواقعون. من مثل ، أعمل وزوجتى على الحصول على الطلاق. مثل ، أنا وزوجتى لم نتواقع خلال سنوات. مثل أنا وزوجتى لا نشترك في غرفة النوم نفسها. مثل بين زوجتى وبينى عدم تفاهم. مثل زوجتى وأنا غير سعيدين معًا. ما دام أى من هذه الأمور لم يكن صحيحاً بالنسبة لى، ما كنت لأقوله. كنت أعشق زوجتى، وكنا نشترك فى غرفة النوم ذاتها، وكنا نمارس الجنس، وكنا سعيدين. كنت أنال الأفضل من العالمين ولم أكن سأتنازل عن أى منهما. وكان ذلك، حتى ذلك الحين، هو الأسوأ لى.

ما إن تضحك جانيل حتى تكون على ما يرام لفترة. وهكذا فقد ذهبت الآن وهيأت حوض استحمام مليئًا بالماء الساخن. كنا نستحم دائمًا معًا قبل أن نأوى إلى الفراش. كانت تغسلنى وكنت أغسلها وكنا نعبث قليلاً ثم نقفز خارجين ونجفف أحدنا الآخر بمناشف كبيرة. ثم كنا نلتف أحدنا بالآخر، عاريين تحت الأغطية.

ولكنها الآن أشعلت سيجارة قبل أن تأوى إلى السرير. كانت تلك علامة خطر. إنها تريد أن تقاتل. لقد سقطت زجاجة حبوب تنشيط من محفظتها وكان ذلك قد أسخطنى، وهكذا فقد كنت أنا أيضًا مستعداً قليلاً. لم أعد فى مزاج غرامى بعد. إن رؤية زجاجة أقراص الطاقة قد أطلقت قافلة كاملة من الخيالات. الآن وأنا أعرف أن لديها عشيقة امرأة، الآن وأنا أدرى أنها تنام مع رجال آخرين عندما أكون بعيداً، عائداً إلى عائلتى فى نيويورك، لم أكن أحبها بالقدر نفسه بعد، وقد جعلتنى حبوب التنشيط أعتقد أنها تحتاج إليها لممارسة الحب معى لأنها كانت تواقع ناساً آخرين. وهكذا فلم أعد راغبًا فى ذلك. وأحست هذا. قلت:

(*) Graham Greene .

ـ لم أكن أدرى أنك قرأت جراهام جرين. ذاك اللغو عن المجذوم من دون جرسه، كان ذلك رائعًا جدا . لقد وفرت ذلك لى فقط.

حوّلت عينيها البنيتين فوق دخان السيجارة. كان الشعر الأشقر منفلتًا فوق وجهها الجميل برقة. قالت:

ـ إنه صحيح، تعرف ذلك. يمكنك أن تذهب إلى بيتك وتواقع زوجتك، ولا بأس فى ذلك. ولكن لأن لى عشاقًا آخرين، فإنك تعتبرنى مجرد أنثى. إنك حتى لم تعد تحبنى. فقلت:

ـ لا أزال أحبك. وقالت:

ـ إنك لا تحبنى كالسابق. قلت:

ـ إننى أحبك بما يكفى لأن أريد أن أمارس لك الحب لا مجرد أن أواقعك. قالت:

ـ إنك حكيم حقا . إنك حكيم برىء. لقد اعترفت توا بأنك تحبنى أقل كما لو أنى احتلت عليك لتعترف بذلك. ولكنك أردتنى أن أعرف هذا . ولكن لماذا؟ لمَ لا تستطيع النساء أن يتخذن عشاقًا آخرين ويحببن مع ذلك رجالاً آخرين؟ إنك تخبرنى دائمًا أنك لا تزال تعشق زوجتك وأنك تحبنى أيضًا . إن ذلك مختلف. لمَ لا يمكن أن يكون مختلفًا بالنسبة لى؟ لمَ لا يمكن أن يكون مختلفًا بالنسبة لكل النساء؟ لمَ لا نستطيع أن نتمتع بالحرية الجنسية ذاتها ويبقى الرجال يعشقوننا؟.

ـ لأنكن تعرفن بالتأكيد ما إذا كان الطفل طفلكن ولا يستطيع الرجال ذلك، قلت، وكنت لا أزال أمزح، فيما أظن.

أزاحت الأغطية بشكل مسرحى وقفزت ناهضة بحيث وقفت فى السرير. قالت غير مصدقة:

ـ لا أصدق أنك قلت ذلك. لا أصدق أنك قلت شيئًا على هذه الدرجة من الشوفينية الرجالية. قلت:

- كنت أمزح. حقا. ولكن أتعرفين؟ إنك لست واقعية. تريديننى أن أعبدك، وأن أكون عاشقًا حقًا لك، وأن أعاملك مثل ملكة عذراوية. كما كانوا يفعلون فى الأيام الخوالى. ولكنك ترفضين تلك القيم التى يقوم عليها الحب الأعمى المستسلم. العفة، أى عائدية المرأة لرجل واحد مفرد، أن يكون مسئولاً عن مصيرها. إنكن تردننا أن نعشقكن مثل الكأس المقدسة (*) ، ولكن الواحدة منكن تريد أن تعيش مثل امرأة متحررة. إنك لا تسلّمين بأن قيمك إن تغيَّرت فستتغير قيمى أيضًا. لا أستطيع أن أحبك كما تريديننى أن أفعل. كما اعتدت أن أفعل.

بدأت تبكى. قالت:

- أدرى. يا إلهى، لقد عشقنا أحدنا الآخر كثيراً جدا. إنك تدرى أننى اعتدت أن أواقعك وأنا أعانى من صداع يعمى العين. لم أكن أبالى، كنت أتناول الـ(بيركودان). ولقد كنت أحب ذلك. أعشق ذلك. ولكن الجنس الآن ليس بتلك الجودة، أهو كذلك، ما دمنا نتصارح؟. فقلت:

- لا، ليس كذلك.

أغضبها ذلك مرة أخرى. بدأت تصرخ فصار صوتها كصوت بطة تبطبط.

كانت الليلة تنحو إلى أن تصير ليلة طويلة. تنهدت ومددت يدى إلى الطاولة لأتناول سيجارة. إنه لصعب أن تشعل سيجارة عندما تكون فتاة جميلة واقفة بحيث يكون وجهها فوق فمك تمامًا. ولكننى تدبرت ذلك وكانت اللوحة مضحكة جدا بحيث إنها انهارت إلى الوراء على السرير، ضاحكة. قلت:

- أنت على حق. ولكنك تعرفين أن ثمة حججًا عملية إلى جانب أن تكون المرأة مخلصة. أتعرفين، لقد أخبرتك أن النساء لا يعرفن فى معظم الوقت أن عندهن مرضاً

(*) Holy Grail : الكأس التى شرب المسيح منها فى العشاء المقدس والتى راح المسيحيون فيما بعد يجدّون في البحث عنها .

تناسليا. وهن يصبن به بسهولة أكبر. تذكرى، كلما ازداد الرجال الذين تواقعينهم اختلافًا، ازدادت فرصة إصابتك بسرطان عنق الرحم.

فضحكت جانيل، وتشدّقت:

- يا كذااب. قلت:

- بلا مزاح. إن لكل المحرمات القديمة أسسًا علمية. قالت جانيل:

- يا أولاد الزنا. إن الرجال لأولاد زنا محظوظون. فقلت باعتداد:

- تلك هى الحال. وعندما تبدأين بالصراخ، فإنك تشبهين (دونالد دك) (*) .

أصابتنى ضربة وسادة فأتيحت لى ذريعة الإمساك بها ومعانقتها فانفتلنا نمارس الحب.

بعدئذ، عندما كنا ندخن سيجارة معًا، قالت:

- ولكننى على حق، لو كنت تدرى. إن الرجال غير عادلين. إن للنساء كل الحق فى أن يتخذن من العشاق الجنسيين قدر ما يشأن. والآن، كن جادًّا. أليس هذا صحيحاً؟.

- نعم. قلت بالجدية نفسها وأكثر. كنت أعنى ذلك. كنت أعرف، ذهنيا، أنها على حق.

انضمت إلىَّ. قالت:

- لهذا السبب أحبك. إنك تتفهم حقا. حتى عندما تكون فى أسوأ حالاتك من شوفينية الرجال خنزيرية. عندما تأتى الثورة (*) ، فسأوفر حياتك. سأقول إنك كنت ذكرًا جيدًا، مجرد مضلَّل. فقلت:

- أشكرك كثيراً.

(*) Donald Duck البط دونالد : بطل فيلم كارتون بالاسم نفسه ، لوالت ديزنى.

(**) المقصود : "الثورة النسوية" .

أطفأتْ النور ثم سيجارتها. قالت مفكرة بإمعان:

- إنك لا تحبنى أقل حقا لأننى أنام مع آخرين، أتفعل؟. فقلت:

- كلا. قالت:

- أنت تعرف أننى أحبك حقًا وصدقًا. فقلت:

- إى. قالت جانيل:

- ولا ترانى مجرد أنثى لأننى أفعل ذلك، هل ترانى؟. فقلت:

- لا. لننم. مددت يدى لأحضنها. ابتعدت قليلاً.

- لمَ لا تترك زوجتك وتتزوجنى؟ قل الحق. فقلت:

- لأننى أنال الاثنتين.

- أيها النغل، ووخزتنى فى الخصيتين بأصبعها.

أوجعنى ذلك. قلت:

- يا للمسيح. لمجرد أننى أعشقك بجنون، لمجرد أننى أحب أن أتحدث إليك خيراً من أى شخص آخر، لمجرد أننى أحب أن أواقعك خيراً من أية واحدة أخرى، ما الذى يمنحك الجرأة على أن تفكرى بأننى قد أترك زوجتى من أجلك؟.

لم تعرف ما إذا كنت أمزح أم لا. قررت أننى كنت أمزح. كان ذلك فرضًا خطيراً تفترضه. قالت:

- بجدية بالغة. بصدق أريد فقط أن أعرف. لماذا تبقى متزوجًا من زوجتك؟ أعطنى فقط سببًا وجيهًا واحداً.

انطويت على هيئة كرة متوقية قبل أن أجيب:

- لأنها ليست مجرد أنثى.

ذات صباح أوصلت جانيل بالسيارة إلى موقع شركة (بارامونت)، حيث كان لديها شغل يوم كامل تصور أثناءه دوراً صغيراً فى أحد أفلام الشركة الكبيرة.

كنا مبكرين، وهكذا فقد تمشينا فى أنحاء ما كان بالنسبة لى نسخة تشبه بشكل محير مدينة صغيرة. كان لها حتى أفق كاذب، صفحة من المعدن ترتفع إلى السماء خدعتنى آنيًا. كانت الواجهات الزائفة من الحقيقية بحيث إننى عندما سرنا مجتازين إياها لم أستطع أن أقاوم الرغبة فى فتح باب مكتبة، متوقعًا تقريبًا أن أرى المناضد والرفوف المألوفة مغطاة بكتب براقة الأغلفة للبيع. عندما فتحت الباب، لم يكن ثمة شىء غير العشب والرمل وراء عتبة الباب.

ضحكت جانيل وواصلنا السير. كانت ثمة واجهة ملأى بزجاجات الأدوية والعقاقير من القرن التاسع عشر. فتحنا الباب ورأينا مرة أخرى الحشيش والرمل وراءها. فيما بقينا نسير، واصلت فتح الأبواب، ولم تعد جانيل تضحك. كانت تبتسم فقط. ووصلنا أخيرًا إلى مطعم له ظُلة فوق الممشى تؤدى إلى الشارع وتحت الظُلة رجل يكنس بملابس العمل. ولسبب ما خدعنى الرجل الذى كان يكنس حقا. تصورت أننا قد تركنا المواقع وبلغنا منطقة مطعم بارامونت. رأيت قائمة أطعمة ملصقة فى الواجهة فسألت العامل إن كان المطعم قد فتح. كان له الوجه المطاطى لممثل قديم. حوّل عينيه نحوى. رسم تكشيرة كبيرة كادت أن تغلق عينيه، وغمز. قال:

ـ أأنت جاد؟.

سرت بجانيل إلى مسرح الصوت حيث كانت تصور وقالت لى:

ـ إنها واضحة الزيف جدا. كيف خدعتك؟. فقلت:

ـ لم تخدعنى. قالت جانيل:

ـ ولكن كان واضحًا جدا أنك تنتظر أن تجدها حقيقية. لقد راقبت وجهك فيما كنت تفتح الباب. وأنا أعرف أن المطعم قد خدعك.

ومارست شدا لعوبًا على ذراعى. قالت:

- يجب ألا تُترك وحدك حقا. إنك مغفل جدا.

وكان علىَّ أن أوافق. ولكن لم يكن ما صدقته كثيراً. لم يكن كذلك حقا. كان ما همَّنى أننى كنت أردت أن أصدق أنه كان ثمة شىء وراء تلك الأبواب. كونى لم أستطع أن أقبل الحقيقة الواضحة من أنه لم يكن ثمة شىء وراء هذه المواقع المرسومة. ظنى حقيقة أننى كنت ساحراً. عندما فتحت تلك الأبواب، ستظهر غرف حقيقية وناس حقيقيون. حتى المطعم. قبل أن أفتح الباب، رأيت فى ذهنى مفارش موائد حمراء وقنانى نبيذ داكنة وناسًا يقفون صامتين بانتظار أن يتم إجلاسهم. وقد دهشت حقا عندما لم أجد هنالك شيئًا.

أدركت أنه كان نوعًا من الزيغ ما جعلنى أفتح تلك الأبواب، ومع ذلك كنت مسروراً لأننى فعلت ذلك. لم أهتم لضحك جانيل علىَّ ولم أهتم للعمل مع ذلك الممثل المجنون. يا إلهى، كنت لا أريد إلا أن أتأكد، ولو لم أفتح الأبواب، لبقيت أتساءل دائمًا.

- ٤٢ -

جاء أوزانو إلى لوس أنجلوس من أجل صفقة فيلم، وتلفن لي يدعوني إلى عشاء. أخذت جانيل معي لأنها كانت تتحرق شوقًا إلى لقائه. عندما انتهى العشاء وكنا نشرب قهوتنا، حاولت جانيل أن تستدرجني بالكلام عن زوجتي. فنترت كتفيّ منها. قالت:

ـ إنك لا تتكلم عن ذلك أبدًا، هل تفعل؟.

لم أرد. واصلتْ. كانت محمرة قليلاً بفعل النبيذ وغير مرتاحة قليلاً لأنني جلبت أوزانو معي. غضبتْ:

ـ إنك لا تتحدث عن زوجتك لأنك تعتبر ذلك مشينًا.

لزمت الصمت أيضًا. قالت جانيل:

ـ لا يزال رأيك جيدًا في نفسك، أليس كذلك؟. كانت الآن مهتاجة ببرود شديد.

كان أوزانو يبتسم قليلاً، ولكي يهدئ الأمور فقط لعب دور الكاتب اللامع الشهير، جاعلاً إياه كاريكاتيرًا نوعًا ما. قال:

ـ إنه لا يتكلم أبدًا عن حياته وهو يتيم أيضًا. كل الراشدين هم أيتام حقا. إننا جميعًا نفقد آباءنا وأمهاتنا عندما نصل إلى البلوغ.

اهتمت جانيل بالأمر للتو. كانت قد أخبرتني أنها تعشق ذهن أوزانو وكتبه. قالت:

ـ أعتقد أن ذلك لمّاح جدا. وهو صحيح أيضًا. قلت:

ـ إنه مليء بالهراء. إن كنتما تستخدمان معًا اللغة للتواصل، فاستخدما الكلمات بمعانيها. إن اليتيم طفل يكبر بدون والدين، وفي كثير من الأحيان بدون أي قريب بالدم

فى العالم. ليس الراشد يتيماً. إنه جحر بائس لا فائدة منه لأمه وأبيه لأنهما وجع فى الجحر وهو لم يعد بحاجة إليهما.

كان ثمة صمت محرج، ثم قال أوزانو:

- أنت محق، ولكنك أيضًا لا تريد أن تشارك وضعك القانونى الخاص مع كل شخص. قلت:

- إى، ربما. ثم التفتُّ إلى جانيل:

- أنت وصديقاتك تدعو إحداكن الأخرى يا أختاه. تعنى كلمة أخوات الأطفال من الإناث اللائى يولدن من الأبوين ذاتهما واللائى اشتركن فى التجارب الجارحة الراضة ذاتها فى الطفولة. ذلك ما تعنيه الأخت: جيدة، أو رديئة أو غير مبالية. عندما تدعين صديقة أختًا، فإنكن معًا تهذرن. قال أوزانو:

- سأنطلق مرة أخرى. مزيد من النفقة. شىء واحد: لن أتزوج مرة أخرى. لقد نفد منى مال النفقة. ضحكتُ معه:

- لا تقل ذلك. أنت مؤسسة الرجاء الأخير للزواج.

رفعت جانيل رأسها وقالت:

- كلا يا ميرلين، بل هو أنت.

ضحكنا جميعًا، ثم قلت إننى لا أريد أن أذهب إلى فيلم. كنت متعبًا جدا. فقالت جانيل:

- أوه، اللعنة. لنذهب فنتناول كأسًا عند (بيبس) ونلعب بعض النرد. يمكننا أن نعلم أوزانو. فقلت ببرود:

- لمَ لا تذهبان أنتما؟ سأعود إلى الفندق، وأنال قسطًا من النوم.

كان أوزانو يراقبنى وعلى وجهه ابتسامة حزينة. لم يقل شيئًا. كانت جانيل تحدق إلىَّ كما لو أنها تتحدانى أن أكرر ذلك. جعلت صوتى بالبرودة وعدم المحبة اللذين استطعتهما. ومع ذلك متفهمًا. قلت بتأنٍ بالغ:

ـ انظرا، إننى لا أهتم حقا. بلا مزاح. أنتما الاثنان خير صديقين لى. ولكننى أشعر حقًا كما لو أننى سأسقط نائمًا. يا أوزانو، كن رجلاً مهذبًا وحلَّ محلى. قلت هذا بوجه جامد جدا.

حزر أوزانو للتو أننى كنت أغار منه. قال:

ـ ما تقول يا ميرلين. ولم يبالِ قط بشعورى. كان يفكر أننى كنت أتصرف مثل أحمق. وكنت أدرى أنه سيأخذ جانيل إلى بيبس ثم يأخذها إلى البيت ويواقعها دون أن يولينى فكرة أخرى. بقدر ما كان الأمر يتعلق به، لم يكن الأمر من شأنى.

ولكن جانيل هزت رأسها:

ـ لا تكن سخيفًا. سأذهب إلى البيت بسيارتى ويمكنكما أنتما الاثنان أن تفعلا ما تشاءان.

كان بمقدورى أن أرى فيمَ كانت تفكر. خنزيران من شوفينيى الرجال يحاولان أن يعبثا بها. ولكنها كانت تعرف أيضًا أنها إن ذهبت مع أوزانو، فسيعطينى ذلك الذريعة لعدم رؤيتها ثانية أبدًا. وأظن أننى كنت أعرف ما أنا فاعل. كنت أتطلع إلى سبب كى أكرهها حقا، ولو أنها ذهبت مع أوزانو، لأمكننى ذلك وتخلصت منها.

أخيرًا، عادت جانيل إلى الفندق معى. ولكن كان بمقدورى أن أحس برودتها، مع أن جسدينا كانا دافئين أحدهما على الآخر. بعد قليل تحركت مبتعدة، وفيما كنت أغفو، أمكننى أن أسمع هسيس النوابض عندما تركت سريرنا. تمتمتُ بوسن:

– جانيل ، جانيل .

- ٤٣ -

جانيل

أنا إنسانة طيبة. لا أبالى كيف يفكر أى شخص، فأنا إنسانة طيبة. طوال حياتى ثبطنى الرجال الذين أحببتهم حقا، وقد ثبطونى من أجل ما قالوا إنهم يحبونه فىّ. ولكنهم لم يتقبلوا أبدًا حقيقة أنه يمكن أن يكون بمقدورى أن أهتم بكائنات بشرية أخرى، لا بهم فقط. وهذا ما يلخبط كل شىء. إنهم يعشقوننى أولاً ثم يريدوننى أن أصير شيئًا آخر. حتى الحب العظيم فى حياتى، ميرلين. لقد كان أسوأ من أى منهم. ولكنه كان الأفضل أيضًا. لقد فهمنى. كان أفضل رجل قابلت ولقد عشقته حقا وعشقنى صدقًا. ولقد حاول ما وسعه. وحاولت أنا ما وسعنى. ولكنه ما كان ليستطيع أن يتغلب على الشىء الذكورى. حتى لو أننى أحببت رجلاً آخر، كان يمرض. كان بمقدورى أن أرى تلك النظرة المريضة على وجهه. طبيعى أننى ما كانت لأتحمل حتى مجرد اشتراكه فى حديث ممتع مع امرأة أخرى. ثم ماذا؟ ولكنه كان أذكى منى. كان محميا. عندما كنت أتواجد فى الأنحاء، لم يكن يوجه أى انتباه للنساء الأخريات حتى إن اهتممن هن به. لم أكن أنا على تلك البراعة أو ربما كنت أحس أن ذلك زائف جدا. وكان ما يفعله زائفًا. ولكن ذلك كان ينجح. جعلنى أحبه أكثر. وقد جعله كونى صريحة صادقة يحبنى أقل.

لقد عشقته لأنه كان بارعًا جدا فى كل شىء. حتى النساء. كان مغفلاً حقا بشأن النساء. وكان مغفلاً بالنسبة لى. ربما ليس مغفلاً، مجرد أنه لم يكن يستطيع العيش إلا مع الأوهام. قال ذلك لى مرة وقال إننى كان يجب أن أصير ممثلة أفضل وأعطيه وهمًا أفضل بأننى أحبه. ولقد فهمت ذلك وحاولته. ولكن كلما ازداد حبى له قل نجاحى فى فعل ذلك. أردته أن يعشق أناى الحقيقية. ربما لم يكن أحد ليستطيع أن يعشق أناى

الحقيقية أو أنتك الحقيقية. تلك هى الحقيقة - لا يستطيع أحد أن يحب الحقيقة. ومع ذلك، لا أستطيع العيش دون أن أحاول أن أكون صادقة مع ما هو أنا حقا. صحيح أننى أكذب، ولكن لا أفعل ذلك إلا عندما يكون الأمر مهما، وفيما بعد، عندما أظن الوقت مناسباً، كنت أعترف دائمًا أننى رويت كذبة. وكان ذلك يلخبط الأمور.

إننى أخبر الجميع دومًا كيف هرب أبى عندما كنت طفلة صغيرة. وعندما أسكر، أخبر غرباء كيف أننى حاولت الانتحار عندما لم أكن أتجاوز الخامسة عشرة، ولكننى لا أخبرهم لماذا. السبب الحقيقى. إننى أتركهم يظنون أن السبب هو رحيل أبى، وربما كان ذلك هو السبب. إننى أعترف بأشياء كثيرة عن نفسى. أنه إن اشترى لى رجل أحبه عشاء مسكرًا حقا وجعلنى أحبه فإننى سأذهب معه إلى الفراش حتى لو كنت أعشق شخصًا آخر. ما الفظاعة فى هذا؟ الرجال يفعلون ذلك دائمًا. لا بأس به بالنسبة لهم. ولكن الرجل الذى عشقته أكثر من أى شخص آخر فى العالم اعتبرنى مجرد أنثى عندما أخبرته بذلك. لم يستطع أن يفهم أن ذلك غير مهم. أننى كنت أريد أن أواقع لا غير. إن كل رجل يفعل الشىء ذاته.

لم أخدع أبدًا رجلاً فى الأمور المهمة. فى الأمور المادية، ربما، أعنى. إننى لم أكن أمارس أبدًا الحيل الرخيصة التى تمارسها بعض خيرة صديقاتى مع أصحابهن. لم أتهم أبدًا رجلاً بأنه مسئول عندما أحبل لمجرد حمله على مساعدتى. لم أخدعهم على ذلك النحو. لم أخبر رجلاً أننى أحبه بينما أنا لا أحبه حقا، ليس فى البداية على أية حال. فى وقت لاحق عندما أكف عن حبه ولكنه يكون يحبنى بعد ولا أستطيع أن أتحمل إيلامه، كنت أقولها. ولكننى لا أستطيع أن أبقى على تلك المحبة فكانوا يتفهمون وكانت الأمور تبرد فلا يعود يرى أحدنا الأخرى. كما أننى لم أكره رجلاً سبق أن عشقته مهما يبلغ كرهه لى بعدئذ. إن الرجال يبغضون النساء اللائى لا يعودون يعشقونهن كثيراً، أغلب الرجال على كل حال، أو معى على أية حال. ربما لأنهم كانوا لا يزالون يعشقوننى ولا أعود أحبهم بعدئذ أو أحبهم أقل. الأمر الذى لا يعنى شيئًا. ثمة فرق كبير بين عشق شخص قليلاً أو عشقه كثيراً.

لماذا يشك الرجال دائمًا فى أن الواحدة تحبهم؟ لماذا يشك الرجال دائمًا فى أن الواحدة مخلصة لهم؟ لماذا يترك الرجال الواحدة دومًا؟ أوه، يا مسيح، لم ذلك مؤلم إلى هذا الحد؟ لم يعد بوسعى أن أحبهم بعد. ذلك يؤلمنى وهم حمقى إلى هذا الحد. أولاد حرام إلى هذا الحد. إنهم يؤلمون الواحدة بإهمال كما الأطفال، ولكن بمقدور الواحدة أن تغفر للطفل، فهى لا تهتم. مع أنهما كليهما يجعلان الواحدة تبكى. ولكن يكفى هذا، لا رجال، ولا أطفال.

إن العشاق بالغو القسوة، أكثر محبة، وأكثر قسوة. ليس الكازانوفاوات، الدون جوانات، كما يسميهم الرجال دائمًا. ليس أولئك التافهون. أعنى الرجال الذين يحبون الواحدة حقا. أوه، تحبهم الواحدة حقا ويقولون إنهم يحبونها وأعلم أن ذلك غير صحيح. وأعرف كيف سيؤلموننى أسوأ مما فعل أى رجل فى العالم. أريد أن أقول: لا تقل إنك تحبنى. أريد أن أقول : أنا لا أحبك.

ذات مرة عندما قال ميرلين إنه يحبنى، أردت أن أبكى لأننى أحبه حقا وكنت أدرى أنه سيكون قاسيًا جدا فيما بعد عندما يعرف أحدنا الآخر حقا، عندما تزول كل الأوهام، وعندما أحبه أكثر، سيكون يحبنى أقل.

أريد أن أعيش فى عالم لن يحب الرجالُ فيه النساء كما يحبونهن الآن. أريد أن أعيش فى عالم لن أحب فيه رجلاً كما أحبه الآن. أريد أن أحيا فى عالم لا يتغير فيه الحب أبدًا.

أوه، يا إلهى، دعنى أحيا فى الأحلام، عندما أموت، أرسلنى إلى فردوس من الأكاذيب، لا تُكتشف ومغفورة ذاتيا، وعاشق يحبنى إلى الأبد أو لا يحبنى على الإطلاق. أعطنى خادعين من الحلاوة بحيث لن يسببوا لى الأذى بالحب الحقيقى، ودعنى أخدعهم بكل روحى. دعنا نصير خادعين لا نُكشف أبدًا، مغفورًا لنا دائمًا. لكى يصدق أحدنا الآخر. دع الحروب والطاعون والموت والجنون يفرق بيننا، لا مرور الوقت. نجّنى من الطبيعة، ولا تدعنى أرتد إلى البراءة. دعنى أكن حرة.

أخبرته مرة أنني واقعت مصفف شعرى، وكان لابد من أن تروا المنظر الذى ارتسم على وجهه. الاحتقار البارد. هكذا هم الرجال. إنهم يواقعون سكرتيراتهم، ولا بأس فى ذلك. ولكنهم ينظرون إلى المرأة التى تواقع حلاقها بدونية. ومع ذلك فهو مفهوم أكثر، ما نفعله. الحلاق يفعل شيئًا شخصيا. إن عليه أن يستخدم يديه علينا، ولبعضهم أيد عظيمة. وهم يعرفون النساء. واقعت حلاقى مرة واحدة فقط. كان يقول لى دائمًا كم هو جيد فى الفراش، وذات يوم كنت متهيجة فقلت حسنًا، فجاء تلك الليلة وواقعنى رأسًا. بينما كان يواقعنى، رأيته يراقبنى وأنا أهمد. كان ذلك مسألة قوة عنده. كان يقوم بكل تلك الحيل الصغيرة بلسانه ويديه وكلماته الخاصة، وعلىَّ أن أعترف أنها كانت مواقعة جيدة. ولكنها كانت مجرد مواقعة باردة الفؤاد. عندما أحسست النشوة، توقعت منه أن يمسك مرآة ليرى كيف رتب مؤخرة رأسى. عندما سألنى إن كنت أحببت ما جرى، قلت إنه كان هائلاً. قال إن علينا أن نفعلها مرة أخرى فى وقت ما وقلت: بالتأكيد. ولكنه لم يطلب منى ثانية، مع أننى كنت سأرفض. وهكذا فإننى أتصور أننى أنا أيضًا لم أكن رائعة.

الآن، ما السوء فى ذلك بحق الجحيم؟ لماذا عندما يسمع الرجال قصة من هذا النوع يسيئون الرأى بالمرأة ؟ إنهم يفعلونها بمثل لمح البصر، أى أحد منهم. إنها لا تعنى شيئًا. إنها لا تجعلنى أدنى كإنسانة. صحيح، لقد واقعت تافهًا. كم رجلاً، خيرهم، يواقعون نساء تافهات، وليس مرة واحدة فقط، أيضًا؟

إن علىَّ أن أكافح ضد النكوص إلى البراءة. عندما يحبنى رجل، أريد أن أكون مخلصة له ولا أواقع أى شخص غيره طيلة حياتى. أريد أن أفعل له كل شىء، ولكننى أعرف الآن أنه لن يدوم أبدًا معه أو معى. إنهم يبدأون باحتقار الواحدة. إنهم يبدأون بجعل الواحدة تحبهم أقل. بمليون طريقة مختلفة.

حب حياتى، أحببته حقا وأحبنى حقا، أقرُّ له بهذا. ولكننى كنت أكره الطريقة التى أحبنى بها. كنت أنا ملاذه. كنت أنا حيث يهرب عندما يكون العالم أكبر مما يحتمل. كان يقول دائمًا إنه يحس بالأمان معى وحدى فى غرفة فندقنا، وفى أجنحتنا المختلفة

التى تشبه لوحات طبيعية مختلفة. جدران مختلفة، أسرّة غريبة، كنباتات قبل - تاريخية، سجاجيد بدماء ملونة مختلفة، ولكن دائمًا جسدانا العاريان هما هما. ولكن ذلك حتى ليس صحيحًا، وهذا غريب. ذات مرة فاجأته وكان ذلك غريبًا حقا. أجريت عملية تكبير الثدى. كنت أريد دائمًا ثديين أكبر، لطيفين مدورين وناهضين، وأخيرًا أجريتها. ولقد أحبهما. أخبرته أننى أجريتها خصيصًا له وكان ذلك صحيحًا جزئيا. ولكننى أجريتها كى أصير أقل خجلاً عندما أقرأ لتمثيل دور يتطلب بعض العرى. إن المنتجين ينظرون أحيانًا إلى ثديى الواحدة. وأظننى أجريتها من أجل أليس أيضًا. ولكننى أخبرته أننى أجريتها من أجله فقط وأن عليه، هو النغل، أن يقدرهما حق قدرهما. ولقد فعل. لقد فعل. لقد طالما أحببت الطريقة التى كان يحبنى بها. كان ذلك دائمًا أفضل جزء فى الأمر. كان يعشقنى حقا، لحمى، طالما أخبرنى أنه لحم خاص، ولقد صدّق أخيرًا أنه ربما لا يستطيع ممارسة الحب مع أية واحدة أخرى غيرى. لقد نكصت إلى تلك البراءة.

ولكن ذلك لم يكن صحيحًا أبدًا. إنه، أخيرًا، ليس صحيحًا. لا شىء صحيح. حتى أسبابى. مثل سبب آخر. إننى أحب أثداء النساء فلماذا يكون ذلك غير طبيعى؟ أحب أن أمصّ ثديى امرأة أخرى فلماذا يقرز ذلك الرجال؟ إنهم يجدون ذلك مريحًا - أفلا يظنون النسوة يرتحن؟ لقد كنا جميعًا أطفالاً معًا، ذات يوم. رُضَّعًا.

أهذا هو السبب فى أن النساء يبكين كثيرًا؟ إنهن ليس بمقدورهن أن يصرن طفلات مرة أخرى؟ رضيعات؟ يمكن للرجال أن يصيروا. ذلك صحيح، ذلك صحيح حقا. يمكن أن يصير الرجال رُضَّعًا ثانية. ولا تستطيع النساء. يمكن للآباء أن يعودوا رُضَّعًا. لا يمكن للنساء أن يعدن كذلك.

كان يقول دائمًا إنه يحس بأنه فى أمان. وكنت أعرف ما يعنى. عندما كنا نصير وحيدين معًا، كان بمقدورى أن أرى التوتر يزايل وجهه. كانت عيناه ترقّان. وعندما كنا نتمدد معًا دافئين وعاريين، والجلد الناعم يتلامس، وأضع ذراعىّ حوله وأحبه حقا، كان يمكننى أن أسمعه يتنهد مثل قطة تخرخر. وكنت أعرف أنه كان، خلال ذلك الوقت

القصير، سعيداً حقا. وكوني أستطيع أن أفعل ذلك كان سحريا حقا. وكوني الإنسان الوحيد في العالم الذي يمكنه أن يجعله يشعر على ذلك النحو كان يجعلني أحسني ذات شأن كبير. أنني كنت أعني شيئًا. أنني لم أكن مجرد امرأة للمواقعة. لم أكن مجرد شخص يتحدث معه المرء ويتذاكى معه. كنت حقا ساحرة، ساحرة حب، ساحرة جيدة، وكان ذلك رائعًا جدا. في تلك اللحظة كان يمكننا كلانا أن نموت سعيدين، حرفيا، نموت حقا سعيدين. كان يمكننا أن نواجه الموت ولا نخاف. ولكن خلال ذلك الوقت القصير فقط، لا شيء يدوم. لن يدوم أي شيء أبداً. وهكذا فإننا نقصِّره عمداً، نجعل النهاية تأتي أسرع، يمكنني أن أرى ذلك الآن. ذات يوم قال فقط: لم أعد أشعر بالأمان بعد، فلم أعد أحبه أبداً.

إنني لست مولي بلوم. جويس تلك. بينما كانت تقول نعم، نعم، نعم، كان زوجها يقول لا، لا، لا. لن أواقع أي رجل يقول: لا. أبداً، ليس بعد.

كان ميرلين نائماً. نهضت جانيل وابتعدت عن السرير وسحبت كرسيا ذا مسندين إلى النافذة. أشعلت سيجارة وحدقت إلى الخارج. فيما كانت تدخن، سمعت ميرلين على السرير في نوم حالم قلق. كان يهمهم شيئًا ما، ولكنها لم تبال. ليذهب إلى الجحيم. وكذلك كل رجل آخر.

ميرلين

كانت جانيل تلبس قفازي ملاكمة، أحمرين داكنين بشريطين أبيضين. كانت تقف في مواجهتي، بوضعة الملاكمة التقليدية، يسراها ممدودة، ويدها اليمنى متهيئة للكمة الضربة القاضية. كانت تلبس بنطالاً قصيراً من الساتان الأبيض. كان ثدياها عاريين. على قدميها كان ثمة حذاءان خفيفان أسودان، بلا أربطة، وبلا أشرطة. كان وجهها الجميل عبوساً. كان الفم المفصَّل برهافة، الحسي، مضغوطًا شديداً، وذقنها الأبيض مائلاً مستنداً على كتفها. كانت تبدو مهددة. ولكنني كنت مفتونًا بثدييها العاريين، الأبيضين كالقشدة: حلمتاها المدورتان حمراوان، متوترتان بأدرينالين ينشأ لا من الحب ولكن من الرغبة في القتال.

ابتسمت لها. لم ترد الابتسامة. نترت يسراها فأصابتني على الفم وقلت:

- آه يا جانيل. ضربتنى بيساريتين أخريين ثقيلتين. أوجعتانى شديداً. وأحسست بالدم يملأ الفجوة تحت لسانى. تراقصت مبتعدة عنى. مددت يدىّ وكان عليهما أيضاً قفازان آخران. انزلقت إلى أمام على قدمين بحذائين خفيفين ونخعت بنطلونى القصير.. فى تلك اللحظة انقضت جانيل علىّ وضربتنى بيد يمنى صلبة. رأيت حقا نجوماً خضراء وزرقاء كما لو كنت فى مسلسل ساخر. تراقصت مبتعدة مرة أخرى، وثدياها يتراقصان، والحلمتان الحمراوان الراقصتان تتسمران.

حصرتها فى زاوية. ربضتُ، ويداها الدقيقتان المكسوتان بالقفازين الأحمرين تحميان رأسها. بدأتُ بتوجيه خطاف يسارى إلى بطنها المدورة برهافة، ولكن السرة التى سبق لى أن لعقتها كثيراً جدا من المرات صدّت يدى. اشتبكنا فى تماسك وقلت:

- آه يا جانيل، كفى عن ذلك. إننى أحبك، يا حلوتى. تراقصت مبتعدة وضربتنى مرة أخرى. كان ذلك مثل قطة تمزق حاجبى بمخلبها فبدأ الدم يقطر. عميت وسمعتنى أقول: أوه، يا للمسيح.

رأيتها، إذ مسحت الدم، تقف فى وسط الحلبة، منتظرة إياى. كان شعرها الأشقر مسحوباً بإحكام إلى الوراء فى كعكة شعرية والمشبك الماسى الزائف الذى يمسكه يلمع مثل سحر منوم. ضربتنى ضربتين أخريين صاعقتين، والقفازان الأحمران ينقران مسحوبين ممدودين مثل لسانين. ولكنها تركت الآن فرجة فكان بمقدورى أن أضرب الوجه بديع العظام. ما كانت يداى لتتحركا. كنت أعلم أن الشىء الوحيد الذى يمكن أن ينقذنى هو تشابك. حاولت أن ترقص حولى. أمسكتها حول الخصر بينما حاولت أن تنسل وأدرتها حول نفسها. بلا دفاع الآن، فيما عدا أن البنطلون القصير لم يلتف الآن تماماً حول جسدها وكان بمقدورى أن أرى ظهرها وردفيها الجميلين، المدورين جدا والمليئين، اللذين كنت أنضغط عليهما دائماً فى سريرنا المشترك. شعرت بألم حاد فى قلبى. وتساءلت عما كان الأمر اللعين الذى تحاربنى من أجله. أمسكتها من الخصر وهمست فى أذنها متذكراً خيوطاً دقيقة من الشعر على لسانى. قلت:

- تمددى على معدتك. فاستدارت بسرعة. ضربتنى بيمينية مستقيمة لم أرها أبداً متجهة نحوى وعندئذ كنت أتشقلب فى حركة بطيئة، طائراً فى الهواء وطافياً إلى أدنى

على أرض الحلبة. تدبرت، وأنا ذاهل، أن أنهض على ركبة واحدة. وكان بمقدورى أن أسمعها تعد حتى العشرة بصوتها الدافئ البديع الذى اعتادت أن تجعلنى أبلغ به النشوة. بقيت على ركبة واحدة وحدقت إليها.

كانت تبتسم ثم أمكننى أن أسمعها تقول: عشرة، عشرة، عشرة، عشرة ، على نحو مسعور، بإلحاح، ثم انفرجت ابتسامة جذلى على وجهها فرفعت كلتا يديها فى الهواء وقفزت من الفرح. سمعت الضجيج الشبحى لملايين النساء يصرخن فى جذل نشوان؛ كانت امرأة أخرى، أثقل، تعانق جانيل. كانت تلك المرأة ترتدى سترة معرَّقة ذات قبة واقفة ضيقة طبعت كلمة بطلة عبر ثدييها الهائلين فوقها. لم تعر أى منهما اهتمامًا لى. ولأننى كنت أحسنى مريضًا جدا، فقد بدأت بالبكاء.

ثم جاءت جانيل إلى وساعدتنى. كانت تواصل القول:

ـ لقد كان قتالاً شريفًا. لقد تغلبت عليك بنزاهة واستقامة. ومن خلال دموعى قلت:

ـ كلا، كلا، لم تفعلى.

ثم استيقظت ومددت يدى أبحث عنها. ولكنها لم تكن فى السرير إلى جانبى. نهضت وذهبت، عاريًا، إلى غرفة المعيشة للجناح. كان بمقدورى أن أرى، فى الظلام، سيجارتها. كانت تجلس فى كرسى، تراقب الفجر المضبَّ يرتفع فوق المدينة.

عبرتُ ومددت يدى إلى أسفل وحركت يدىَّ فوق وجهها. لم يكن ثمة دم، كانت ملامحها الصافية وقد مدت يداً مخملية واحدة إلى أعلى كى تلمس يدى وهى تغطى صدرها العارى. قلت:

ـ لا يهمنى ما تقولين. أحبك مهما كان معنى ذلك.

لم تجبنى.

بعد بضع دقائق نهضتْ وقادتنى عائدة بى إلى السرير. مارسنا الحب ثم سقطنا نائمين أحدنا فى ذراعى الآخر. وأنا نصف نائم، تمتمت:

ـ يا للمسيح، أوشكت أن تقتلينى.

ضحكتْ.

- ٤٤ -

كان شيء يوقظنى من نوم عميق. من خلال شقوق مصاريع غرفة الفندق كنت أستطيع أن أرى الضياء الزهرى لفجر كاليفورنيا الباكر، ثم سمعت الهاتف يرن. تمددت هناك فقط بضع ثوان. رأيت رأس جانيل الأشقر يختبئ تقريباً التماساً للدفء تحت الأغطية. كانت تنام منعزلة عنى بعيداً. فيما واصل الهاتف رنينه، أحسست بشعور ذعر. لابد من أن الوقت هو الصباح المبكر هنا فى لوس أنجلوس، فلابد إذن من أن تكون المكالمة من نيويورك ولابد من أنها من زوجتى. لم تكن فاليرى تتلفن لى أبداً إلا عند الضرورات، لقد وقع شيء لأحد أطفالى. وكان ثمة أيضاً شعور ذنب بأننى أتلقى هذه المكالمة وجانيل إلى جانبى على السرير. لقد تمنيت ألا تستيقظ عندما أرفع السماعة.

قال الصوت على الجانب الآخر:

- أهذا أنت، يا ميرلين؟.

وكان صوت امرأة. ولكننى لم أستطع تمييزه. لم تكن فاليرى. قلت:

- نعم. من المتحدث؟.

كانت امرأة أرتى. بام. كان ثمة رجفة فى صوتها:

- تعرض آرتى لنوبة قلبية هذا الصباح.

وعندما قالتها شعرت تناقصاً فى القلق. لم يكن أحد أطفالى. سبق أن تعرض آرتى لنوبة قلبية قبلاً ولسبب ما فى ذهنى ظننتها شيئاً غير جدى حقيقة. فقلت:

- أوه، اللعنة. سألحق بطائرة وأعود فوراً. سأعود اليوم. أهو فى المستشفى؟.

كان ثمة توقف على الطرف الآخر من الهاتف، ثم سمعت صوتها ينهار أخيرًا. قالت:

- يا ميرلين، لم ينجُ.

لم أفهم حقا ما كانت تقول. لم أفهم حقيقة. لم أكن قد دهشت بعد، أو صدمت، ثم قلت:

- أتعنين أنه مات؟!. فقالت:

- نعم.

أبقيت صوتي متماسكًا جدا. قلت:

- ثمة طائرة في الساعة التاسعة وسأكون عليها وسأجيء مباشرة إلى بيتك. أتريدينني أن أتلفن لفاليري؟. وقالت:

- نعم، أرجوك.

لم أقل إنني آسف. لم أقل أي شيء. اكتفيت فقط بالقول:

- سيكون كل شيء على ما يرام. أتريدينني أن أتلفن لأهلك؟. وقالت:

- نعم، أرجوك. وقلت:

- أأنت على ما يرام؟. فقالت:

- نعم، أنا على ما يرام. أرجوك عد.

ثم وضعت السماعة.

كانت جانيل تنهض جالسة في السرير محدقة إليّ. رفعت سماعة الهاتف وأخذت مكالمة خارجية وحصلت على فاليري. أخبرتها بما جرى. قلت لها أن تلاقيني على الطائرة، وأرادت أن تتكلم بشأن الموضوع، ولكني أخبرتها أن عليّ أن أحزم أغراضي وأن أتجه إلى الطائرة. أنه ليس عندي أي وقت وأنني سأكلمها عندما تقابلني. ثم أخذت عاملة المقسم مرة أخرى وتلفنت لأهل بام. لحسن الحظ ظفرتُ بالأب فشرحت له ما

جرى. قال بأنه وزوجته سيلحقان بأول طائرة مغادرة إلى نيويورك، وأنه سيتلفن لزوجة آرتى.

وضعت سماعة الهاتف وكانت جانيل تحدق إلىّ، دارسة إياى باهتمام بالغ. لقد فهمت من المكالمة الهاتفية، ولكنها لم تقل شيئًا. بدأت أضرب السرير بقبضتى وواصلت القول: لا، لا، لا، لا: لم أكن أدرى أننى كنت أصرخ بالكلمة. ثم بدأت أبكى، وقد فاض جسدى بألم لا يحتمل. كان يمكننى أن أحس نفسى أفقد الوعى. أخذت إحدى زجاجات الويسكى التى كانت على الخزانة فى الغرفة وشربت. لم أتذكر كم شربت، وبعد ذلك كان كل ما استطعت أن أتذكره هو جانيل تُلبسنى وتنزل بى عبر بهو الفندق وتضعنى على الطائرة. كنت مثل ميت أُعيد إلى الحياة دون أن تعاوده قدرة الكلام أو الإرادة. ولم تخبرنى إلا بعد وقت طويل، عندما عدت إلى لوس أنجلوس، أنه تعين عليها أن ترمينى فى حوض الحمام لتصحِّينى وتعيدنى إلى الوعى ثم ألبستنى ملابس، وأجرت الحجز ورافقتنى إلى الطائرة وطلبت من المضيفة ورئيس ندل الرحلة بأن يعتنيا بى. إننى لا أتذكر حتى ركوب الطائرة، ولكننى كنت فى نيويورك فجأة. وكانت فاليرى تنتظرنى وفى هذه الأثناء كنت قد صرت على ما يرام.

مضينا بالسيارة إلى بيت آرتى. توليت مسئولية كل شىء، وأجريت كل الترتيبات. كان آرتى وزوجته قد اتفقا على أن يدفن كاثوليكيا باحتفال كاثوليكى. فذهبت إلى الكنيسة المحلية واتخذت إجراءات القداسات. فعلت كل ما أمكننى وكنت على ما يرام. لم أكن أريد له أن ينطرح فوق الأرض وحيدًا فى مستودع الجثث. وهكذا فقد تأكدت من أن القداسات ستتم فى اليوم التالى وأنه سيدفن بعد ذلك مباشرة. يمكن أن يكون السهر مع جثمان الفقيد هذه الليلة. وبينما كنت أمر عبر طقوس الموت، كنت أدرى أننى لن أصير كما كنت أبدًا. أن حياتى ستتغير والعالم من حولى؛ تلاشى سحرى.

لماذا أثر فىَّ موت أخى إلى هذا الحد؟ لقد كان، فيما أظن، بسيطًا جدا، عاديا تمامًا. ولكنه كان فاضلاً حقا. ولا أستطيع أن أفكر فى أى شخص آخر قابلته فى حياتى يمكننى أن أقول عنه الشىء ذاته.

أخبرنى أحياناً عن معارك فى شغله ضد الفساد فيه والضغوط الإدارية من أجل ترقيق التقارير عن المضافات التى بينت فحوصه أنها خطيرة. كان يرفض دائماً أن يُضغط عليه. ولكن قصصه لم تكن أبداً مجرد نقيق كما أحاديث بعض الناس الذين يخبرون الواحد دائماً أنهم يرفضون الاستجابة للإفساد. لأنه كان يرويها بلا سخط، وببرودة تامة. لم يكن قد فوجئ على نحو غير بهيج إذ يصر رجال أغنياء عندهم أموال على تسميم إخوتهم البشر من أجل الربح. ومرة أخرى لم يُفاجأ بشكل غير بهيج إذ كان بمقدوره أن يقاوم فساداً كهذا. لقد أوضح تماماً أنه لم يكن يشعر بالتزام لدخول معركة من أجل الحق.

لم تكن عنده أية أوهام فخامة عن مدى الخير الذى يصنعه عراكه. كانوا يلتفون حوله. أتذكر القصص التى أخبرنى إياها عن كيفية قيام كيمياويى الوكالات الآخرين باختبارات رسمية وتقديم تقارير إيجابية. ولكن أخى لم يفعل ذلك أبداً. كان يضحك دائماً عندما يحدثنى بهذه القصص. كان يعرف أن العالم فاسد. كان يعرف أن فضيلته بالذات ليست ثمينة. لم يكن يبجِّلها.

كان فقط يرفض أن يتخلى عنها. كما قد يرفض رجل التخلى عن عين، أو ساق؛ لو أنه كان آدم لكان رفض التخلى عن ضلع. أو هكذا كان الأمر يبدو. وكان على ذلك النحو فى كل شىء. كنت أدرى أنه لم يخن زوجته أبداً. مع أنه كان حقا رجلاً وسيماً وكانت رؤية فتاة جميلة جدا تجعله يبتسم بهجة، وكان نادراً ما يبتسم. كان يحب الذكاء فى الرجل أو فى المرأة، ومع ذلك لم يكن ذلك أيضاً يغويه، كما كان يغوى كثيراً من الناس. لم يقبل أبداً نقوداً أو أفضالاً. لم يطلب الرحمة لمشاعره أو لمصيره. ومع ذلك ما كان ليحكم على الآخرين، ظاهرياً فى الأقل. كان نادراً ما يتكلم، دائماً يصغى، لأن ذلك كان متعته. لقد طلب الحد الأدنى المجرد من الحياة.

ويا للمسيح. إن ما يحطم فؤادى الآن أننى أتذكر أنه كان فاضلاً حتى وهو طفل. لم يغش أبداً فى لعبة كرة، لم يسرق من مخزن. لم يكن غير مخلص مع فتاة. لم يتفاخر أو يكذب. لقد حسدت نقاءه حينئذ وأحسده الآن.

وقد مات. حياة مأساوية، ومهزومة، هكذا تبدو، ولقد حسدته على حياته. للمرة الأولى تمامًا فهمت الراحة التى يحسها الناس من الدين، أولئك الناس الذين يؤمنون بإله عادل. إنه سيكون مريحًا لى أن أصدق الآن أن أخى لا يمكن أن يحرم من مكافأته العادلة. ولكننى كنت أعرف أن ذلك كله هراء. فقد كنت حيا. أوه، أن أكون حيًّا وثريًّا وشهيرًا، متمتعًا بكل مباهج الجسد على الأرض. إن بمقدورى أن أكون منتصرًا ولست قريبًا أبدًا من موقع الإنسان الذى كانه، وهو ينال الموت على هذا النحو من الحقارة.

أرمدة، أرمدة، أرمدة. بكيت كما لم أبكِ أبدًا على أبى المفقود أو أمى الضائعة، على وقائع العشق الضائع وعلى كل الهزائم الأخرى. وهكذا كان عندى، فى الأقل، ذلك القدر من الاحتشام، كى أحس الكرب على موته.

خبرونى، أى منكم، لماذا ينبغى أن يكون هذا كله؟ لا أستطيع أن أتحمل النظر إلى وجه أخى الميت. لمَ لم أكن أنا نائمًا فى ذلك التابوت. والشياطين يسحبوننى إلى الجحيم؟ لم يكن وجه أخى قد بدا أبدًا على هذه القوة، هذا التماسك، هذه الراحة، ولكنه كان رماديا كما لو قد رُشَّ عليه غبار الجرانيت. ثم جاء أطفاله الخمسة، يرتدون ملابس جنائزية مرتبة، وركعوا أمام تابوته ليؤدوا صلواتهم الأخيرة. أمكننى أن أحس قلبى يتحطم، وفاضت الدموع على الضد من مشيئتى، فغادرت الكنيسة.

ولكن الكرب ليس مهمًّا جدا بحيث يدوم. فى الهواء النقى علمت أننى كنت حيًا. أننى سأتعشى جيدًا فى اليوم التالى، وأننى ، فى الوقت المناسب ، ستكون لى امرأة محبة مرة أخرى، وأننى سأكتب قصة وأسير مع امتداد ساحل البحر. أولئك الذين نحبهم أكثر فقط هم من يستطيعون أن يتسببوا فى موتنا، ومنهم فقط ينبغى أن نحذر. لا يستطيع أعداؤنا أن يؤذونا. وكان فى لب فضيلة أخى أنه لا يخشى أعداءه ولا من كان يحب. وهذا هو الأسوأ له. إن الفضيلة مكافأة ذاتها والحمقى هم من يموتون.

ولكننى بعد أسابيع سمعت قصصًا أخرى. كيف أنه فى وقت مبكر من زواجه، عندما مرضت زوجته، ذهب إلى أبويها باكيًا شاحذًا المال لمعافاة زوجته. وكيف، عندما

جاءت النوبة القلبية الأخيرة وحاولت زوجته أن تجرى له إنعاشًا من الفم للفم، أبعدها بضجر فى اللحظة قبل موته. ولكن ما الذى عنته تلك الحركة الأخيرة حقًا؟ أن الحياة صارت لا تطاق بالنسبة له، فضيلته أثقل من أن تحتمل؟ تذكرت جوردان مرة أخرى، أكان رجلاً فاضلاً أكثر مما ينبغى؟ التأبينات عن الانتحارات تدين الدنيا وتلومها على وفيات المنتحرين. ولكن أيمكن أن يكون أولئك الذين يضعون حدا لحيواتهم يعتقدون أنه لم يكن ثمة خطأ فى أى مكان. وأن بعض المنغصات ينبغى أن تموت؟ وأنهم رأوا هذا بوضوح أكبر مما رآه محبوهم وأصدقاؤهم المحرومون منهم؟

ولكن هذا كله كان خطرًا جدا. أخمدت حزنى وعقلى ودفعت خطاياى إلى أمام درعًا لى. سأرتكب الإثم، حاذروا وعيشوا إلى الأبد.

الفصل السابع

بعد أسبوع تلفنت لجانيل لأشكرها على وضعها إياى على متن الطائرة. حصلت على صوتها الخاص بجهاز الإجابة، مموهاً بلكنة فرنسية، طالباً منى أن أترك رسالة.

وعندما تكلمتُ، كان صوتها الحقيقى هناك، يتدخل. قلت:

- تتفادين مَن؟.

كانت جانيل تضحك. قالت:

- لو كنت تدرى كيف كان صوتك يبدو. متجهماً جدا...، فضحكت أنا أيضاً. قالت:

- كنت أتفادى صديقك أوزانو. إنه يواصل الاتصال بى هاتفيا.

أحسست شعور إقياء فى معدتى. لم أندهش. ولكننى كنت أحب أوزانو جدا وكان يعرف نوعية شعورى تجاه جانيل. كنت أكره فكرة أنه يفعل ذلك بى. ثم لم أهتم قيد أنملة. لم يعد الأمر مهماً. قلت:

- ربما كان يحاول أن يعرف أين أنا فقط. قالت جانيل:

- كلا. فبعد أن وضعتك على الطائرة تلفنت له وأخبرته بما جرى. قلق عليك، ولكننى أخبرته بأنك على ما يرام. أأنت كذلك؟. فقلت:

- نعم.

لم تسألنى أسئلة عما جرى عندما وصلت البيت. ولقد أحببت ذلك فيها: معرفتها بأننى لن أحب التحدث فى ذلك الشأن. وكنت أدرى أنها لن تخبر أوزانو أبداً بما جرى فى ذلك الصباح عندما تلقيت الأخبار عن أرتى، كيف أحسست بالتفكك.

حاولت أن أتصرف ببرود:

ـ لماذا تتفادينه. لقد استمتعت برفقته على العشاء عندما كنا معًا. كنت أظنك ستقفزين نحو فرصة ملاقاته ثانية عندما تتاح.

كان ثمة فترة توقف على الطرف الآخر، ثم سمعت نغمة فى صوتها بيَّنت لى أنها كانت غاضبة. وصارت هادئة جدا. وصارت الكلمات دقيقة جدا. كما لو كانت تشد قوسًا كى ترسل كلماتها كالسهام. قالت:

ـ ذلك صحيح، وعندما تلفن فى المرة الأولى فرحت وخرجنا للعشاء معًا. كان تسلية عظيمة.

وسألتها، غير مصدق الجواب الذى سأناله، بدافع غيرة متبقية:

ـ أذهبت إلى الفراش معه؟.

مرة أخرى كان ثمة توقف. كان بمقدورى أن أسمع تقريبًا القوس يرن بينما هى تطلق السهم. قالت:

ـ نعم.

لم يقل أى منا شيئًا. أحسست شعورًا سيئًا حقا، ولكن كانت لنا قواعدنا. لم يعد أحدنا يستطيع أن يوبخ الآخر بعد، ننتقم فقط.

قلت على أسوأ حال ولكن بآلية:

ـ وكيف كانت؟.

كان صوتها رائقًا جدا، بهيجًا جدا كما لو كانت تتحدث عن فيلم سينمائى:

ـ كانت لطيفة. تعرف أنه يجعل من مسألة لحس الواحدة شأنًا كبيرًا بحيث يجعل إحساسها بالذات يتنامى. فقلت دون اهتمام:

ـ حسنًا، أرجو أنه كان خيرًا فى ذلك منى.

مرة أخرى كان ثمة توقف طويل. ثم فرقع القوس وكان الصوت متألمًا ومتمردًا. قالت:

- ليس لك الحق فى أن تغضب. ليس لك أى حق لعين فى أن تغضب لما أفعله مع ناس آخرين. لقد سبق أن حللنا ذلك. فقلت:

- أنت على حق. لست غاضبًا. ولم أكن غاضبًا. كنت أكثر من ذلك. فى تلك اللحظة تخليت عنها بوصفها شخصًا أحبه. كم مرة سبق أن أخبرت أوزانو كم كنت أحب جانيل؟ وكانت جانيل تعرف كم كنت أهتم لأمر أوزانو. لقد خانانى كلاهما. لم تكن ثمة كلمة أخرى تصف ذلك. الغريب أننى لم أكن غاضبًا على أوزانو. عليها فقط. قالت:

- أنت غاضب، كما لو كنت غير عقلانى. فقلت:

- كلا، لست غاضبًا حقا. كانت ترد علىَّ لكونى مع زوجتى. كانت ترد علىَّ لملايين الأشياء، ولكننى لو لم أسألها ذلك السؤال المحدد حول الذهاب إلى الفراش، ما كانت ستخبرنى. لم يسبق أن كانت بمثل تلك القسوة. ولكنها لن تكذب علىَّ مرة أخرى. كانت قد أخبرتنى بذلك مرة، وهاهى تعضده الآن. إن ما فعلتْه ليس من شأنى. قالت:

- إننى مسرورة لأنك تلفنت. لقد اشتقت إليك. ولا تغضب على أوزانو. فلن أراه بعد. قلت:

- لماذا؟ لماذا يتعين عليك أن لا تريه؟. قالت:

- أوه، هراء. كان لطيفًا، ولكنه لم يستطع أن يبقيه منتصبًا. أوه، هراء. كنت وعدت نفسى بأن لا أحكى لك. وضحكت.

الآن، لكونى محبا غيورًا اعتياديا، أبهجنى أن أسمع أن أعز صديق لى كان عنينًا جزئيا. ولكن مع ذلك قلت بلا اهتمام:

- ربما كان العيب منك. فقد كان عنده العديد من الإناث المخلصات فى نيويورك.

كان صوتها مرحًا ورائقًا. قالت:

ـ حسنًا. لقد بذلت جهداً كبيراً. فعلت ما يمكنه أن يعيد جثة إلى الحياة. وضحكت بمرح.

وهكذا الآن، كما أرادتنى أن أفعل، كان عندى تصور عن معالجتها لأوزانو العاجز، وشعرها الأشقر يتطاير. أحسست غثيانًا شديداً.

تنهدت، وقلت:

ـ إنك تهاجمين بشدة بالغة. إننى أستسلم. اسمعى. أريد أن أشكرك ثانية على العناية بى. لا أستطيع أن أصدق أنك وضعتنى فى ذلك الحوض. فقالت جانيل:

ـ ذلك بفضل فصل الجمناستيك الذى أذهب إليه. أنا قوية جدا، كما تعرف. ثم تغير صوتها:

ـ إننى آسفة كثيراً بشأن آرتى. أتمنى لو أننى كنت عدت معك واعتنيت بك. فقلت:

ـ وأنا كذلك. ولكن الحقيقة كانت أننى كنت سعيداً لأنها لم تستطع. ولقد كنت أشعر بالخزى لأنها رأتنى أنهار. شعرت بطريقة غريبة أنها لن تستطيع أبداً أن تشعر بالطريقة ذاتها نحوى ثانية.

جاء صوتها هادئًا جدا على الهاتف. قالت:

ـ أحبك. لم أجب. قالت:

ـ أما زلت تحبنى؟.

جاء الآن دورى:

ـ تعرفين أننى غير مجاز بقول أشياء كهذه. فلم ترد.

ـ إنك أنت من قال لى إن رجلاً متزوجًا لا ينبغى أبدًا أن يخبر فتاة بأنه يحبها ما لم يكن مستعداً لترك زوجته. إنه، فى الواقع، غير مجاز بأن يخبرها ذلك إلا بعد أن يكون قد ترك زوجته.

أخيراً، جاء صوت جانيل على الهاتف. كان مختنقًا تمامًا بأنفاس يتملكها الغضب. قالت:

ـ انبعص، وسمعت دوى السماعة توضع.

كان يتعين أن أتلفن لها ثانية، ولكنها ستضع ذلك الجواب الصوتى ذا اللكنة الفرنسية الزائفة. الآنسة لامبرت ليست فى المنزل. أيمكنك رجاء أن تترك اسمك؟. وهكذا فقد فكرت: انبعصى، أنت أيضاً. وأحسست شعوراً عظيماً.

ولكننى كنت أدرى أننا لم ننته بعد.

- ٤٦ -

عندما أخبرتنى جانيل عن مواقعتها أوزانو، لم تكن لتستطيع أن تعرف كيف شعرت. أننى سبق أن رأيت أوزانو يقوم بالمحاولة مع كل امرأة يقابلها ما لم تكن مطلقة القبح. وكونها قد استجابت لمقاربته الكاسحة، وأنها كانت بتلك السهولة له، ذلك جعلها تبدو أدنى لعينىَّ. لقد كانت عاجزة عن مقاومة الإغراء، مثل كثير من النساء. ولقد شعرت بأن أوزانو قد شعر ببعض الاحتقار لى. كونى أعشق بجنون فتاة تمكَّن من جر رجلها فى أمسية واحدة.

وهكذا، فإننى لم أكن مسحوق الفؤاد، بل مجرد كئيب. أمر متعلق بالغرور، فيما أظن. فكرت فى إخبار جانيل بهذا كله، ثم رأيت أن ذلك سيكون مجرد محاولة رخيصة لا غير. أن أجعلها تبدو كالمومس. ثم إننى كنت أعرف أيضًا أنها سترد مقاتلة. لماذا لا تكون، بحق الجحيم، سهلة المنال؟ أفليس الرجال سهلى المنال لفتيات يواقعن أيا كان؟ لماذا يتعين عليها أن تأخذ بنظر الاعتبار أن دوافع أوزانو لم تكن خالصة؟ كان فاتنًا، وذكيا، وموهوبًا، وجذابًا وكان يريد مواقعتها. فلماذا لا تواقعه؟ وأى شىء فى هذا من شئونى؟ إن غرورى الذكورى البائس قد انخلع أنفه، هذا كل ما هنالك. طبيعى أنه كان بمقدورى أن أخبرها بسر أوزانو، ولكن ذلك سيكون انتقامًا رخيصًا، غير ذى صلة.

ومع ذلك، كنت كئيبًا. سواء كان ذلك عادلاً أم لا. صرت أحبها أقل.

فى السفرة التالية غربًا، لم أتلفن لجانيل. كنا فى المراحل النهائية للاغتراب التام، الأمر الكلاسيكى فى علاقات من هذا النوع. مرة ثانية، كما كنت أفعل فى كل شىء أنشغل به، قرأت الأدبيات فصرت خبيراً متخصصًا فى جزْر مسألة العشق

البشرى ومدها. كنا فى مرحلة توديع أحدنا الآخر ولكننا نعود للقاء بين آن وآخر كى نبعد لطمة الانفصال النهائى. وهكذا فأنا لم أتلفن لها لأن الأمر كان منتهياً حقاً، أو أننى أردته منتهياً.

فى هذه الأثناء، كان إدى لانسر ودوران رود قد أقنعانى بالعودة إلى الفيلم. كانت تلك تجربة مؤلمة. كان سيمون بلفورت مجرد حصان عجوز متعب يفعل خير ما فى وسعه ومرتعباً إلى أقصى حد من جيف واغون. وكان مساعده، ريتشيتى مدينة الوحل، إمعة حقيقة لسيمون ولكنه كان يحاول أن يعطينا بعضاً من أفكاره الخاصة عما ينبغى أن يكون فى النص. وأخيراً، ذات يوم بعد فكرة حمارية بشكل خاص، اتجهت إلى سيمون وواغون وقلت:

ـ أخرجا هذا الرجل من هنا.

حلَّ صمت أخرق. كنت قد حسمت أمرى. سأخرج ولابد من أنهما أحسَّا ذلك، لأن جيف واغون قال أخيراً:

ـ يا فرانك، لماذا لا تنتظر سيمون فى مكتبى؟، وترك ريتشيتى الغرفة.

وخيَّم صمت أخرق، فقلت:

ـ إننى آسف، لا أقصد أن أكون فظا. ولكن أنحن جادون بشأن هذا النص اللعين أم لا؟. فقال واغون:

ـ صحيح. فلننصرف له.

فى اليوم الرابع، بعد العمل فى الاستوديو، قررت أن أرى فيلماً. جعلت الفندق يتلفن فى طلب سيارة أجرة وجعلت السائق يقود بى إلى وستوود. كالعادة، كان ثمة صف طويل ينتظر الدخول فأخذت مكانى فيه. كنت قد جلبت معى كتاباً ورقى الغلاف كى أقرأه وأنا أنتظر فى الصف. وكنت قد خططت أن أذهب بعد الفيلم إلى مطعم مجاور وأتلفن لسيارة أجرة كى تعيدنى إلى الفندق.

كان الصف ساكنًا، وكل الأطفال الصغار يتحدثون عن الأفلام بطريقة ألمعية. كانت الفتيات حسناوات والفتيان بلحاهم وشعورهم الطويلة أبدع بطريقة كما المسيح.

جلست على حجارة الرصيف لأقرأ ولم يهتم لأمرى أحد. هنا فى هوليود، لم يكن هذا سلوكًا شاذا. كنت منكبًا على كتابى عندما شعرت بزمور سيارة يطبطب بإلحاح، فرفعت رأسى. كان ثمة (رولز رويس فانتوم) جميلة واقفة أمامى، ورأيت وجه جانيل الزهرى المشرق فى مقعد السائق.

قالت جانيل:

- ميرلين، يا ميرلين، ماذا تفعل هنا؟. نهضت بشكل طبيعى وقلت:

- هى، يا جانيل. كان بمقدورى أن أرى الرجل فى مقعد الراكب داخل الرولز رويس. كان شابا ووسيمًا وجميل اللباس فى بدلة رمادية وربطة عنق من الحرير رمادية. كان له شعر حلو الحلاقة، ولم يبدُ عليه أنه منزعج إذ يتوقف كى تتمكن جانيل من محادثتى.

قدمتنا جانيل لأحدنا الآخر. ذكرت أنه مالك السيارة. أُعجبتُ بالسيارة وقال كم كان معجبًا بكتابى وكم ينتظر الفيلم بلهفة. قالت جانيل شيئًا عن عمله فى استوديو ما فى مركز تنفيذى ما. كانت تريدنى أن أعرف أنها لم تكن تخرج مع مجرد فتى ثرى فى رولز رويس، وأنه كان جزءًا من شغل الأفلام. قالت جانيل:

- كيف وصلت إلى هنا؟ لا تقل لى إنك صرت تقود السيارة أخيرًا. فقلت:

- لا، أخذت سيارة أجرة. قالت جانيل:

- ماذا جرى لتنتظر فى الصف؟.

نظرت إليها وقلت إنه ليس عندى صديقات جميلات يرافقننى حاملات بطاقات أكاديميتهن يجعلننى أدخل.

عرفتْ أننى كنت أمزح. كلما كنا نضطر للذهاب إلى فيلم، كانت تستخدم دائمًا بطاقة أكاديميتها لتفتح طريقًا. قالت:

ـ ما كنت لتستخدم البطاقة حتى لو كنت تمتلكها.

واستدارت إلى صديقها، وقالت:

ـ إنه من ذلك النوع من المغفلين، ولكن كان ثمة شيء من الزهو فى صوتها. لقد كانت تعشقنى حقا لعدم قيامى بأمور من ذلك النوع، مع أنها تقوم بذلك.

كان يمكننى أن أرى أن جانيل كانت مصدومة، أشفقت علىَّ لاضطرارى لأخذ سيارة أجرة كى أذهب إلى السينما وحيدًا، وأضطر إلى الانتظار فى الصف مثل أى فلاح. كانت تنشئ نصا رومانسيا. كنت زوجها البائس، المحطم، ينظر من النافذة إلى الداخل فيرى زوجته السابقة وأطفاله السعداء مع زوج جديد. كانت ثمة دموع فى عينيها البنيتين المرقطتين بالذهب.

كنت أدرى أن لى اليد العليا. لم يكن هذا الفتى الوسيم فى الرولز رويس يدرى أنه سيخسر. ولكننى عندئذ شرعت أعمل عليه. حصرته فى حديث عن شغله وبدأ يثرثر. تظاهرت بأنى مهتم جدا فاستمر فى الهراء الهوليودى وكان بمقدورى أن أرى أن جانيل كانت عصبية جدا ومنزعجة. كانت تعرف أنه دمية، ولكنها لم تكن تريدنى أن أعرف أنه دمية. ثم بدأت أطرى سيارته الرولز رويس فتشجع الرجل حقا. خلال خمس دقائق عرفت عن الرولز رويس أكثر مما كنت أريد أن أعرف. واصلت إطراء السيارة ثم استخدمت نكتة دوران القديمة التى تعرفها جانيل فكررتُها كلمة كلمة. جعلت الرجل يخبرنى أولاً كم كلَّفته ثم قلت:

ـ لقاء هذا المبلغ من المال ينبغى أن تحدث هذه السيارة إنعاظًا. كانت تكره تلك النكتة.

بدأ الفتى يضحك ويضحك، وقال:

- هذا أبدع شيء سمعته.

احمرَّ وجه جانيل. نظرتْ إليَّ ثم رأيت الصف يتحرك فكان عليَّ أن آخذ موقعي. قلت للفتى إنها كانت فرصة طيبة جدا إذ قابلته وقلت لجانيل إن إحساسي كان رائعًا برؤيتها ثانية.

بعد ساعتين ونصف خرجت من الفيلم فرأيت سيارة جانيل الميرسيدس المألوفة واقفة أمام دار السينما. دخلتها. قلت:

- هَيْ، يا جانيل. كيف تخلصت منه؟. فقالت:

- يا ابن المرأة.

فضحكتُ ومددت يدي نحوها.

منحتني قبلة وانطلقنا إلى فندقي وقضينا الليلة.

كانت محبة جدا تلك الليلة. سألتني مرة:

- أكنت تدري أنني سآتي لآخذك؟. وقلت:

- نعم. فقالت:

- أيها النغل.

كانت ليلة رائعة، ولكن عند الصباح كان كأن شيئًا لم يقع. توادعنا.

سألتني كم سأبقى في المدينة. فقلت إن عندي ثلاثة أيام أخرى، ثم أعود إلى نيويورك.

قالت:

- هل ستتلفن لي؟.

قلت إنني لا أظن أنه سيكون عندي وقت. قالت:

ـ لا لكى تلاقينى، تلفن لى فقط. فقلت:

ـ سأفعل.

تلفنت، ولكنها لم تكن موجودة. جاءنى صوتها باللكنة الفرنسية على الآلة. تركت رسالة ثم عدت إلى نيويورك.

كانت المرة الأخيرة التى رأيت فيها جانيل مصادفة حقا. كنت فى جناحى بالفندق فى بيفرلى هيلز، وكانت عندى ساعة أقتلها قبل الذهاب إلى العشاء مع بعض الأصدقاء فلم أستطع مقاومة حافز الاتصال بها هاتفيا. وافقت على ملاقاتى لنتناول كأس مشروب فى مقصف (الدولتشى فيتا)، الذى لم يكن يبعد غير خمس دقائق فقط عن الفندق. ذهبت إلى هناك مباشرة وجاءت هى بعد دقائق قليلة. جلسنا عند المقصف، وتناولنا شرابًا وتحدثنا عرضيا كما لو كنا مجرد معارف. استدارت على مقعد المقصف لتجعل عامل المقصف يشغل سيجارتها، وبينما فعلت ذلك ضرب قدمها ساقى خفيفًا، ليس بما يكفى حتى لتوسيخ بنطلونى، وقالت:

ـ أوه، آسفة.

ولسبب ما حطم ذلك فؤادى، وعندما رفعت عينيها بعد إشعال السيجارة قلت:

ـ لا تفعلى ذلك.

وكان بمقدورى أن أرى الدموع فى عينيها.

كان ذلك فى أدبيات فسخ العلاقة، آخر اللحظات الرقيقة للعاطفة، آخر خفقات النبض الميت، آخر إيماض لوجنة زهرية قبل الموت. لم أفكر فى ذلك عندئذ.

تماسكنا بالأيدى، تركنا المقـــصف، وذهبنا إلى جناحى فى الفندق. تلفنت لأصدقائى لألغى الموعد. تناولت وجانيل العشاء فى الجناح. تمددت على ظهرى على الكنبة، فاتخذت موضعها المفضل وساقاها مثنيتان تحتها وجذعها الأعلى يميل على جذعى بحيث نكون دائمًا على تماس مع أحدنا الآخر. بتلك الطريقة كان يمكنها أن تنظر إلى وجهى وتنظر فى عينىّ فترى إن كنت أكذب عليها. كانت لا تزال تظن أن

بمقدورها أن تقرأ وجه الإنسان. ولكن من موضعى أيضًا، وأنا أنظر إلى أعلى، كنت أرى أنا أيضًا الخط البديع الذى يصنعه عنقها بين ذقنها والتثليث الكامل لوجهها.

تماسكنا فقط لبعض الوقت، ثم قالت وهى تنظر عميقًا فى عينىَّ:

ـ أما زلت تحبنى؟. قلت:

ـ كلا، ولكننى أجده مؤلمًا أن أبقى من دونك.

لم تفعل شيئًا فترة، ثم كررت بتأكيد غريب:

ـ إننى جادة، حقا أنا جادة. أما زلت تحبنى؟. فقلت جادًا:

ـ بالتأكيد، وكان ذلك صحيحًا، ولكننى قلته بتلك الطريقة لأخبرها أننى حتى لو كنت أحبها، ما كان ذلك ليشكل فرقًا، وأنه ليس بمقدورنا أبدًا أن نصير كما كنا ثانية وأننى لن أصير تحت رحمتها مرة أخرى، ورأيت أنها أدركت ذلك للتو. قالت:

ـ لماذا تقول ذلك على هذا النحو. إنك ما زلت لا تغفر لى الشجارات التى وقعت بيننا؟. قلت:

ـ إننى أغفر لك كل شىء، فيما عدا ذهابك للفراش مع أوزانو. قالت:

ـ ولكن ذلك لا يعنى شيئًا. لقد ذهبت إلى الفراش معه ثم انتهى كل شىء. لم يعنِ شيئًا حقا. فقلت:

ـ أنا لا أبالى. لن أغفر لك ذلك.

فكرت فى الأمر ومضت كى تأخذ كأس نبيذ أخرى، وبعد أن شربت قليلاً، ذهبنا إلى الفراش. كان سحر جسدها لا يزال يمتلك سطوته. وتساءلت فيما إذا كان ثمة أساس من حقيقة علمية، أنه قد يكون صحيحًا ، بسبب قلق رومانتيكى سخيف لقصائد الحب وقصص الغرام ، أن فى الخلايا الدقيقة لجسدنا ذات الملايين العديدة من الكثير من الخلايا المتباينة يلتقى شخص بشخص من الجنس الآخر عنده هذه الخلايا ذاتها فتستجيب هذه الخلايا لبعضها بعضًا، وأنه لا علاقة للأمر بالسلطة أو الطبقة أو الذكاء، وأنه لا شىء يربطه بالفضيلة أو الخطيئة، وأنه ببساطة استجابة علمية لخلايا متشابهة، كم سيكون يسيرًا عندئذ أن نفهم سحر الفراش ذاك.

كنا في الفراش عاريين، نمارس الحب، عندما جلست جانيل فجأة وانسحبت عنى. قالت:

- لابد من أن أذهب إلى البيت.

ولم يكن ذلك واحداً من أفعال عقابها المتعمدة. كان يمكننى أن أرى أنه لم يعد بمقدورها أن تكون هنا. كان يبدو أن جسدها يذبل، صار ثدياها أكثر تسطحاً، ووجهها مضنى بالتوتر كما لو كانت تعانى من لطمة مرعبة ما، ونظرت إلىَّ مباشرة فى العينين دون أية محاولة للاعتذار أو لتقديم الأعذار، ودون حتى محاولة لتطمينى على غرورى الجريح. قالت مرة ثانية ببساطة الأولى:

- لابد من أن أذهب إلى البيت.

لم أجرؤ على مسها كى أطمنها. بدأت أرتدى ملابسى وقلت:

- لا بأس. إننى أفهم. سأنزل معك لنخرج سيارتك. فقالت:

- لا. كانت قد ارتدت ملابسها الآن:

- لستَ مضطرا لذلك.

وكان بمقدورى أن أرى أنها ما كانت تطيق أن تكون معى، وأنها كانت تريدنى خارج نظرها. قدتها إلى خارج الجناح. لم نحاول أن نقبِّل بعضنا متوادعين. حاولت أن تبتسم نحوى قبل أن تشيح مبتعدة ولكنها لم تستطع.

أغلقت الباب وأقفلته وذهبت إلى الفراش. مع أننى قوطعت فى منتصف العملية، إلا أننى وجدت أننى لم أعد أمتلك أى انفعال جنسى باق. كان المقت الذى تكنه لى قد قتل أية رغبة جنسية، ولكن غرورى لم يجرح. لقد أحسست حقا أننى أفهم ما جرى، ولقد أحسست ارتياحاً كما أحست هى. سقطت نائماً للتو تقريباً بلا أحلام. فى الحقيقة، كان ذلك أفضل نوم أحظى به منذ سنوات.

- ٤٧ -

لم يستطع كولى، وهو ينفذ خططه النهائية لخلع غرونيفيلت، أن ينظر إلى نفسه على أنه خائن. ستتم العناية بغرونيفيلت، سيتلقى مبلغًا ضخمًا من المال عن مصالحه فى الفندق، ويُسمح له بالاحتفاظ بجناح مقر معيشته. سيكون كل شىء كما كان من قبل فيما عدا أن غرونيفيلت لن يعود يمتلك أية سلطة حقيقية. سيكون لدى غرونيفيلت القلم بالتأكيد فما زال لديه عديد من الأصدقاء الذين قد يأتون إلى الكساناادو كى يقامروا. ولكن بما أن غرونيفيلت كان يستضيفهم، فستكون تلك مجاملة نافعة.

وفكر كولى أنه ما كان ليفعل هذا لو أن غرونيفيلت لم يصب بنوبته. منذ تلك النوبة، كان فندق كسانادو قد بدأ يهبط التل. لم يكن غرونيفيلت، ببساطة، على ما يكفى من القوة ليتصرف بسرعة ويتخذ القرارات المناسبة عندما تكون ضرورية.

ولكن مع ذلك، كان كولى يحس ببعض الذنب. تذكر السنوات التى قضاها مع غرونيفيلت. لقد كان غرونيفيلت مثل الأب له. لقد ساعده على الصعود إلى السلطة. كان قد قضى أيامًا عديدة سعيدة مع غرونيفيلت مستمعًا إلى قصصه، قائمًا بالجولات فى الكازينو. لقد كان زمنًا سعيدًا. كان حتى أعطى غرونيفيلت الاستفادة الأولى من كارول: شارلى براون الحسناء. وتساءل لحظة أين كانت شارلى براون الآن، لماذا هربت مع أوزانو، ثم تذكر كيف التقاها.

كان كولى يحب دائمًا أن يرافق غرونيفيلت فى جولاته بالكازينو، التى كان غرونيفيلت يقوم بها فى العادة حوالى منتصف الليل، بعد العشاء مع الأصدقاء أو بعد عشاء خاص مع فتاة فى جناحه، ثم كان غرونيفيلت ينزل إلى الكازينو ويسيح فى إمبراطوريته. باحثًا عن علامات الخيانة، محددا الخونة أو المحتالين الخارجيين الذين يحاولون جميعًا أن يحطموا إلهه: النِسب.

كان كولى يسير إلى جانبه، ملاحظًا كيف يبدو أن غرونيفيلت يصير غريبًا، أكثر انتصابًا، واللون فى وجنتيه أحسن كما لو كان يكتسب القوة من أرضية الكازينو المفروشة بالسجاد.

ذات ليلة فى محيط الزهر سمع غرونيفيلت لاعبًا يسأل أحد مديرى لعبة الزهر عن الوقت. نظر مدير لعبة الزهر إلى ساعة معصمه وقال:

ـ لا أدرى، لقد توقفت.

تنبه غرونيفيلت للتو، محدقًا إلى مدير اللعبة. كان الرجل يلبس ساعة سوداء الصفحة، كبيرة جدا، ومتشابكة جدا تحمل كرونومتر، قال غرونيفيلت لمدير اللعبة:

ـ دعنى أرَ ساعتك.

بدا مدير اللعبة مفاجأ لحظة ثم مدَّ ذراعه. أمسك غرونيفيلت يد مدير اللعبة بيده، ناظرًا إلى الساعة. ثم عالج ، بالأصابع السريعة لإنسان ولد ميكانيكيًّ لُعَب ، ساعة المعصم فنزعها عن يد الرجل. ابتسم لمدير اللعبة. قال:

ـ سأحتفظ لك بهذه فوق، فى مكتبى. يمكنك خلال ساعة أن تصعد فى طلبها أو تكون خارج هذه الكازينو. إذا ما صعدت إلى فوق، سأعطيك اعتذاراً. بقيمة خمسمائة دولار. ثم استدار غرونيفيلت، وهو لا يزال يمسك الساعة.

فوق، فى جناح غرونيفيلت، كان غرونيفيلت قد أوضح لكولى كيف كانت الساعة تعمل، وأنها كانت مجوفة وأنه كان ثمة شق على سطحها يمكن دس رقاقة من خلاله. فكك غرونيفيلت الساعة بيسر ببعض الأدوات الصغيرة فى منضدته، وعندما كانت مفتوحة، كان ثمة رقاقة من فئة مائة دولار، سوداء مرقطة بالذهب، وحيدة.

قال غرونيفيلت مستغرقًا فى التفكير:

ـ أتساءل ما إذا كان قد استخدم الساعة بمفرده أو أنه أجَّرها أيضًا لعمال النوبات الآخرين. إنها ليست فكرة سيئة، ولكنها حبات بطاطا صغيرة. ماذا يمكنه أن يأخذ فى النوبة؟ ثلاثمائة، أربعمائة دولار. وهز غرونيفيلت رأسه:

- يجب أن يصير الجميع مثله. ليس عليّ أن أقلق.

عاد كولى إلى الكازينو. أخبره رئيس الركن أن مدير اللعبة قد استقال، وأنه قد ترك الفندق فعلاً.

تلك كانت الليلة التى التقى فيها كولى بشارلى براون. رآها عند عجلة الروليت. فتاة شقراء نحيفة جميلة لها وجه من البراءة والفتوة بحيث إنه تساءل إن كانت فى سن تسمح لها قانونًا بالمقامرة. رأى أنها تلبس جيداً، بصورة مثيرة ولكن بلا أى حاسة تمييز حقيقية. وهكذا فقد خمن أنها لم تكن من نيويورك أو لوس أنجلوس، وإنما من إحدى مدن الغرب الأوسط.

بقى كولى يراقبها وهى تلعب الروليت. ثم، عندما تجولت لتصل إحدى موائد البلاك جاك، تبعها. دخل إلى الركن وراء الموزع. رأى أنها لم تكن تعرف كيف تلعب النسب فى البلاك جاك، وهكذا راح يثرثر معها، مخبراً إياها متى تُقْدم ومتى تَثْبت. بدأت تكسب المال، صارت كومة رقاقاتها ترتفع. أعطت كولى تشجيعًا كثيراً عندما سألها إن كانت وحيدة فى المدينة. قالت لا، كانت مع صديقة.

أعطاها كولى بطاقته. كان فيها: نائب الرئيس - فندق كسانادو. قال:

- إن أردت أى شىء، فقط تلفنى لى. أتحبين أن تذهبى إلى حفلنا الساهر الليلة وتتناولى العشاء كضيفة لى؟.

قالت الفتاة إن ذلك سيكون رائعًا:

- أيمكن أن يصير لى ولصديقتى؟. فقال كولى:

- حسنًا. وكتب شيئًا على البطاقة قبل أن يعطيها إياها. قال:

- أريها فقط لكبير الخدم قبل عرض العشاء. إن أردت أى شىء آخر، تلفنى لى. ثم سار مبتعداً. كما كان واثقًا، سمع بعد عرض العشاء استدعاءً له. رفع السماعة وسمع صوت الفتاة. قالت:

- هذه كارول. فقال كولى:

- إننى أعرف صوتك أينما كنت، يا كارول، أنت الفتاة التى كانت فى ركن البلاك جاك. قالت:

- نعم. أردت فقط أن أتصل لأشكرك. استمتعنا بوقت رائع. قال كولى:

- أنا مسرور لذلك. وكلما جئت إلى المدينة، أرجوك أن تتلفنى لى وسأكون سعيداً لأن أفعل ما أستطيع لأجلك. فى الحقيقة، إن لم تتمكنى من الحصول على حجوز لغرفة، تلفنى لى وسأتدبر لك الأمر. قالت كارول:

- شكرًا. بدا صوتها خائبًا قليلاً. قال كولى:

- انتظرى لحظة. متى ستغادرين فيجاس؟. قالت كارول:

- غداً صباحًا. فقال كولى:

- لمَ لا تدعينى أشترى لك ولصديقتك كأس شراب للودا ع؟ سيكون ذلك من دواعى سرورى. فقالت الفتاة:

- سيكون ذلك رائعًا. قال كولى:

- حسنًا. سألاقيكما عند مائدة الباكاراه.

كانت صديقة كارول فتاة بديعة أخرى داكنة الشعر لها نهدان بديعان. تلبس على نحو أكثر محافظة من صديقتها. لم يستعجل كولى الأمور. اشترى لهما شرابًا فى بهو الفندق، واكتشف أنهما قادمتان من مدينة (سولت لايك) وأنهما كانتا - مع أنهما لم تعملا فى أى شغل بعد ، تأملان فى أن تصيرا موديلين. قال كولى:

- ربما أمكننى مساعدتكما. إن عندى أصدقاء فى هذا الشغل فى لوس أنجلوس وربما كان بمقدورهم أن يعطوكما، أيتها الفتاتان، دفعة ابتداء. لمَ لا تتلفنا لى فى منتصف الأسبوع القادم، وسأكون متأكداً أنه سيكون عندى شىء لكما معًا إما هنا أو فى لوس أنجلوس؟. وهكذا كان أن افترقوا تلك الليلة.

فى الأسبوع التالى، عندما تلفنت له كارول، أعطاها رقم هاتف وكالة موديلات فى لوس أنجلوس حيث كان عنده صديق، وأخبرها أنها ستحصل، بما يقرب من الحتمية، على نوع من شغل. قالت إنها قادمة إلى فيجاس فى عطلة الأسبوع القادم، وقال كولى:

- لِمَ لا تنزلى فى فندقنا؟ سأستضيفك. لن يكلفك ذلك قرشاً واحداً. فقالت كارول إن ذلك سيسرها.

فى العطلة الأسبوعية تلك اتخذ كل شيء مكانه. عندما وصلت كارول استعلامات الفندق، تلفنوا لمكتبه. تأكد من وجود زهور وفواكه فى غرفتها، ثم تلفن لها وسألها إن كانت تود العشاء معه. كانت مبتهجة. أخذها بعد العشاء إلى أحد الاستعراضات على (الشريط) وإلى بعض الكازينوهات الأخرى كى يقامرا. أوضح لها أنه ليس بمقدوره أن يقامر فى الكسانادو لأن اسمه كان على الإجازة. أعطاها مائة دولار كى تلعب البلاك جاك والروليت. زعقت من البهجة. أبقى عليها مراقبة حادة ولم تحاول أن تدس أية رقاقات إلى حقيبة يدها، الأمر الذى كان يعنى أنها فتاة مستقيمة. تأكد من كونها ستتأثر بالتحيات التى يتلقاها من رئيس الخدم فى الفندق ورؤساء أركان اللعب فى الكازينوهات. مع انقضاء الليلة لابد من أن كارول عرفت أنه كان شخصاً مهماً جدا فى فيجاس. عندما عادا إلى الكسانادو، قال لها:

- أتريدين أن ترى كيف يبدو جناح نائب الرئيس؟.

فوجهت له تكشيرة بريئة وقالت: بالتأكيد. وعندما وصلا إلى الجناح، قامت بهزات الرأس وأصدرت أصوات التعجب والبهجة المناسبة وتداعت على الكنبة بعرضٍ متمددٍ مبالغ فيه للتعب، قائلة:

- واه، إن فيجاس لتختلف حقا عن مدينة سولت لايك. قال كولى:

- ألا تفكرين فى المعيشة هنا؟ إن فتاة بمثل جمالك يمكن أن تحظى بوقت رائع. سأقدمك إلى كل أرقى الناس. قالت كارول:

ـ أستفعل؟. قال كولى:

ـ بالتأكيد. سيحب الجميع أن يعرفوا فتاة حسناء مثلك. قالت:

ـ أو..وه. أنا لست بحسناء. وقال كولى:

ـ أنت حسناء بالتأكيد. تعرفين أنك حسناء.

فى هذه الأثناء كان يجلس إلى جانبها على الكنبة. وضع يداً على بطنها، وانحنى ملتفتًا وقبّلها على فمها. كان مذاقها حلوا جدا، وبينما كان يقبّلها جعل يده تمضى داخل ثوبها. لم تكن ثمة مقاومة. ردت على قبلته، وقال كولى، وهو قلق على وجه الكنبة الثمين:

ـ فلنذهب إلى غرفة النوم. قالت:

ـ حسنًا.

ذهبا إلى غرفة النوم متماسكى الأيدى. عرّاها كولى. وجد أن لها أحد أجمل الأجساد التى سبق له أن رآها قط. بيضاء كالحليب. وأجمة شعر أشقر كالذهب تناسب شعر رأسها، وقفز ثدياها خارجين بمجرد أن خلعت ثيابها. ولم تكن خجولة. وعندما تعرى كولى، مرّرت يدها على بطنه ومنفرج فخذيه وأسندت وجهها على معدته. مسَّ رأسها فأنزله وبذلك التشجيع فعلت ما كانت تريد أن تفعله. تركها برهة تفعل، ثم أخذها إلى السرير.

مارسا الحب، وعندما انتهى، دفنت وجهها فى عنقه وذراعاها يطوقانه وتنهدت عن ارتواء. استراحا، وفكر كولى فى الأمر وقوَّم مفاتنها. حسنًا، كانت رائعة المظهر، وليست سيئة المواقعة، ولكنها لم تكن بتلك الروعة. إن لديه الكثير يعلمها إياه وكان ذهنه الآن يعمل. لقد كانت حقا واحدة من أجمل الفتيات اللاتى رآهن، وكانت براءة وجهها سحرًا إضافيًا. تُظهره شهوانيةُ جسدها. فى الملابس، كانت تبدو نحيلة. وبدون الملابس كانت مفاجأة بهيجة. كانت مثيرةَ حواسٍ كلاسيكية، كما فكر كولى. أفضل جسد رآه، ولا تزال ـ رغم كونها غير عذراء ـ عديمة التجربة، لا تزال غير مشككة فى الدوافع

البشرية، لا تزال حلوة جدا. وخطر لكولى بارق إلهام. سيستخدم هذه الفتاة كسلاح. واحداً من أدوات سلطته. كان ثمة المئات من الحسناوات فى فيجاس. ولكنهن كن إما بلهاوات جدا أو صعبات جدا أو لم يكن لديهن المعلمين المناسبين. سيجعل منها شيئاً خاصا. لا صيادة. لن يكون قواداً أبداً. لن يأخذ منها قرشاً واحداً. سيجعلها امرأة أحلام كل مقامر يأتى إلى فيجاس. ولكن أولاً، بالطبع، سيتعين عليه أن يقع فى حبها ويجعلها تقع فى حبه. وبعد أن يزول هذا من الطريق، سيكون بمقدورهما الانصراف إلى العمل.

لم تعد كارول أبداً إلى مدينة سولت لايك. صارت عشيقة كولى والتصقت بجناحه مع أنها كانت تقيم فى شقة كبيت ملحق بالفندق. جعلها كولى تأخذ دروساً فى التنس، ودروس رقص. جعل إحدى أرقى فتيات استعراض كسانادو تعلمها كيف تستخدم الزواق وتلبس بالشكل المناسب. تدبَّر أشغال موديل فى لوس أنجلوس وتظاهر بكونه يغار عليها. كان يسألها كيف تقضى الليل فى لوس أنجلوس عندما تبقى الليلة هناك، ويدقق فى علاقتها مع المصورين فى الوكالة.

كانت كارول تخنقه بالقبل وتقول:

- يا حبيبى، لم أعد أستطيع أن أمارس الحب مع أحد غيرك الآن.

وبقدر ما يمكنه القول، كانت مخلصة. كان بمقدوره أن يتحرى عنها، ولكن ذلك لم يكن مهماً. ترك قصة الحب تستمر ثلاثة أشهر ثم، ذات ليلة، عندما كانت فى جناحه، قال لها:

- إن غرونيفيلت يحس انقباض قلب حقا الليلة. لقد تلقى أنباء سيئة. حاولت أن أجعله يخرج ليتناول كأس شراب معنا، ولكنه معتكف وحده فى جناحه. كانت كارول قد قابلت غرونيفيلت فى رواحها ومجيئها إلى الفندق، وقد تناولت ذات ليلة العشاء معه ومع كولى. كان غرونيفيلت ساحراً معها بطريقته المؤدبة. كانت كارول توده. قالت كارول:

- أوه، لكم هذا محزن. فابتسم كولى، وقال:

ـ إننى أعرف أنه كلما يرك يبتهج. فأنت جميلة جدا. بوجهك العظيم ذاك. تعرفين أن كل الرجال من أمثاله يحبون الوجوه البريئة كوجهك. وكان ذلك صحيحًا. كانت عيناها تتموضعان واسعتين فى وجه مبقع بنمش دقيق. كانت تبدو مثل قطعة من السكاكر. وكان شعرها الأشقر، الأصفر المسمر، مشعثًا كشعر طفلة. قال كولى:

ـ إنك تبدين تمامًا مثل تلك الطفلة فى المسلسل الفكاهى (شارلى براون). وصار ذلك اسمها فى فيجاس. ولقد ابتهجت. قالت شارلى براون:

ـ الرجال المسنون يحبوننى دومًا. كان بعض أصدقاء أبى يتحرشون بى. فقال كولى:

ـ لقد فعلوا حتمًا. كيف تشعرين إزاء ذلك؟. قالت:

ـ أوه، لم أغضب أبدًا. كنت أحس إطراءً بشكل ما فلم أخبر أبى أبدًا. كانوا لطيفين حقا. لقد كانوا يشترون لى دائمًا هدايا ولم يفعلوا حقا أى شىء سيئ. قال كولى:

ـ عندى فكرة. لمَ لا أتلفن لغرونيفيلت وتصعدين هناك فترافقينه؟ إن عندى بعض الأمور أفعلها تحت فى الكازينو. افعلى ما تستطيعين لإبهاجه. وابتسم لها، ونظرت إليه ببطء ووقار. قالت:

ـ حسنًا.

منحها كولى قبلة أبوية. قال:

ـ تعرفين ما أعنى، أليس كذلك؟.

ـ أعرف ما تعنى. وللحظة أحس كولى ـ وهو ينظر إلى ذلك الوجه الملائكى ـ بسهم دقيق من الذنب.

ولكنها وجهت نحوه عندئذ ابتسامة مشعة. قالت:

ـ إننى لا أهتم. لا أهتم حقا، ثم إننى أوده. ولكن أأنت واثق أنه يريدنى أن أفعل ذلك. وعندئذ اطمأن كولى. قال:

- حبيبتى، لا تقلقى. اصعدى فقط وسأتلفن له. سيكون فى انتظارك، وما عليك إلا أن تكونى نفسك الطبيعية. سيعشقك حتمًا. صدقينى.

وفيما قال ذلك، مد يده إلى التليفون.

تلفن لجناح غرونيفيلت وسمع صوت غرونيفيلت المنشرح يقول:

- إذا كنت واثقًا أنها تريد أن تصعد، فعلى الرحب والسعة. إنها فتاة بديعة.

ووضع كولى سماعة الهاتف:

- هيا، يا حبيبتى. سآخذك إلى هناك.

ذهبا إلى جناح غرونيفيلت. وقدمها كولى بوصفها شارلى براون، وكان بمقدوره أن يرى غرونيفيلت مبتهجًا بالاسم. أعد كولى لهم جميعًا مشروبات فجلسوا معًا وراحوا يتحدثون. ثم اعتذر كولى، وقال إن عليه أن ينزل إلى الكازينو ثم تركهما.

لم يرَ شارلى براون تلك الليلة أبدًا، وعرف أنها قضتها مع غرونيفيلت. فى اليوم التالى، عندما رأى غرونيفيلت، قال:

- أكانت جيدة؟. فقال غرونيفيلت:

- كانت رائعة. فتاة محبوبة، محبوبة. فتاة حلوة. حاولت أن أعطيها بعض المال، ولكنها لم تقبل. قال كولى:

- حسنًا، تعرف أنها فتاة صغيرة. إنها جديدة نوعًا ما على هذا. ولكن أكانت جيدة معك؟. قال غرونيفيلت:

- بديعة.

- هل أرتب أن يصير بمقدورك أن تراها كلما أردت؟. قال غرونيفيلت:

- أوه، لا. إنها، نوعًا ما، أصغر قليلاً مما يناسبنى، إننى لا أرتاح قليلاً مع فتيات بذلك الصبا، خاصة عندما لا يأخذن المال. حقا، لمَ لا تشترِ لها هدية من حانوت المجوهرات؟.

عندما عاد كولى إلى مكتبه، تلفن إلى شقة شارلى براون. قال كولى:

ـ هل استمتعت بوقتك؟. فقالت شارلى براون:

ـ أه، لقد كان رائعًا تمامًا. لقد كان رجلاً مهذبًا للغاية.

بدأ كولى يحس قلقًا ما:

ـ ماذا تقصدين بأنه كان رجلاً مهذبًا؟ ألم تفعلا أى شيء؟. قالت شارلى براون:

ـ بالتأكيد فعلنا. كان عظيمًا. لا يمكنك أن تعقل أن شخصًا بذلك الهرم يمكنه أن يكون عظيمًا لهذا الحد. سأمتعه فى أى وقت يشاء.

رتب كولى موعدًا معها لتناول العشاء تلك الليلة، وعندما وضع سماعة الهاتف، ارتخى فى كرسيه وحاول أن يفكر فى الأمر. لقد كان يرجو أن يقع غرونيفيلت فى غرامها فيستطيع هو أن يستخدمها سلاحًا ضد غرونيفيلت. ولكن غرونيفيلت أحس كل هذا على نحو ما. لم يكن ثمة سبيل لبلوغ غرونيفيلت عبر النساء. كان عنده الكثير منهن. كان قد رأى كثيرات منهن يجرى إفسادهن. ما كان يعرف معنى الفضيلة، ولهذا لم يكن ممكنًا أن يقع فى الحب. لم يكن ممكنًا أن يقع فى الحب بشهوة لأن ذلك كان يسيرًا جدا. كان غرونيفيلت يقول:

ـ ليس عندك نسبة تسايرك ضد النساء. لا ينبغى أبدًا أن تتخلى عن مضائك.

وهكذا فقد فكر كولى: حسنًا، ربما ليس مع غرونيفيلت، ولكن ثمة الكثير من الزعماء الآخرين فى المدينة ممن تستطيع شارلى أن تحطمهم. فى البدء كان قد فكر أن ذلك بسبب افتقارها إلى التسهيلات الفنية. فبعد كل شىء، كانت فتاة صغيرة، لا خبيرة. ولكن خلال الأشهر القلائل الفائتة كان قد علمها بعض الأشياء فصارت أفضل بكثير مما كانت عليه عندما أخذها أول مرة. حسنًا، لم يستطع أن ينال غرونيفيلت، الأمر الذى كان سيكون مثاليا لهم جميعًا، وسيكون عليه الآن أن يستخدمها بطريقة أكثر عمومية. وهكذا، ففى الأشهر التى تلت، هجرها كولى. ثبّت لها مواعيد عطل

أسبوعية مع أكبر الأساطين الرفيعة الذين كانوا يأتون إلى فيجاس، وعلَّمها ألا تأخذ منهم مالاً أبداً وألا تذهب دائماً إلى الفراش معهم. وشرح لها تحليله:

- إنك تبحثين عن الأشخاص عظيمي الشأن فقط. إن شخصاً قد يقع فى حبك وينفق كثيراً من المال عليك وسيشترى لك الكثير من الهدايا. ولكنهم لن يفعلوا ذلك إذا ما تصوروا أن بمقدورهم أن يرموا لك بضع مئات لمجرد أن يواقعوك. ستلعبين المسألة كما تفعل محتالة رقيقة ناعمة. فى الحقيقة، قد تكون فكرة جيدة أحياناً ألا تواقعيهم فى الليلة الأولى. كما فى الأيام الخوالى. ولكن إن فعلت، تظاهرى فقط بأنك إنما فعلت ذلك لأنهم غلبوك.

ولم يدهش إذ وجد شارلى توافق على أن تفعل كل ما يطلبه منها. لقد استبان فى الليلة الأولى المازوخية التى توجد غالبًا لدى النسوة الحسناوات. كان يعرف ذلك. قلة احترام الذات، والرغبة فى إرضاء شخص يتصورنه يهتم بهن حقا. لقد كانت، بالطبع، حيلة قواد، ولم يكن كولى قواداً، ولكنه كان يفعل هذا من أجل صالحها.

كان لشارلى براون فضيلة أخرى. كان يمكنها أن تأكل أكثر من أى شخص قابله. فى المرة الأولى التى سمحت لنفسها أن تنطلق ذهل كولى. كانت قد أكلت شريحة لحم مع بطاطا محمصة، وأربيان مع بطاطا مقلية على الطريقة الفرنسية، وكعكة، ومشروباً، ثم ساعدت على مسح طبق كولى. كان يعرض قدراتها فى الأكل، وكان بعض الرجال، وبعض الأساطين الكبار، قد افتتنوا بميزتها هذه. كانوا يحبون أن يأخذوها إلى العشاء ويراقبوها تأكل كميات هائلة من الطعام، الأمر الذى لم يكن يبدو أنه يضايقها أو يجعلها أقل جوعاً، ولم يضف إنشاً واحداً من الشحم على هيكلها.

حصلت شارلى على سيارة، وبعض الجياد للركوب، واشترت بيت المدينة الذى كانت تستأجر فيه شقة وأعطت مالها لكولى ليحتفظ لها به. فتح كولى حساب وصاية خاصا. جعل مستشاريه الضريبيين يرتبون ضرائبها. وضعها على قائمة أجور الكازينو فى الفندق كى تتمكن أن تبين مصدر دخل. لم يأخذ منها قرشاً واحداً أبداً. ولكنها خلال

بضع سنوات واقعت كل مدير كازينو قوى فى فيجاس، إضافة إلى بعض أصحاب الفنادق. واقعت أساطين كبارًا من تكساس، ونيويورك وكاليفورنيا، وكان كولى يفكر فى إقحامها على فوميرو. ولكن عندما اقترح ذلك على غرونيفيلت، قال غرونيفيلت دون أن يعطى سببًا:

- لا، ليس فوميرو.

سأله كولى لماذا، وقال له غرونيفيلت:

- ثمة شىء سريع الزوال نوعًا ما بشأن تلك الفتاة. لا تجازف بها مع أكبر الأساطين الحقيقيين. ورضى كولى بذلك الحكم.

ولكن انقلاب كولى الأكبر مع شارلى براون كان ربطها بالقاضى بريانكا، القاضى الاتحادى فى لاس فيجاس. رتب كولى اللقاءات. كانت شارلى تنتظر فى إحدى غرف الفندق، وكان القاضى يأتى إلى المدخل الخلفى لجناح كولى ويدخل غرفة شارلى. بإخلاص كان القاضى بريانكا يأتى كل أسبوع. وعندما بدأ كولى يطلب منه الأفضال، عرفا معًا ما ستكون النتيجة التى لا مفرٌ منها.

وكرر الوضع ذاته مع عضو فى لجنة القمار، وكانت ميزات شارلى الخاصة هى التى جعلت الأمر كله ينجح: براعتها المحبة، وجسدها العظيم. كانت بهجة رائعة. كان القاضى بريانكا يأخذها إلى رحلات صيده فى العطلات. وأخذها بعض مدراء المصارف فى رحلات عمل كى تواقعهم عندما لا يكونون منشغلين. وعندما يكونون مشغولين، كانت تذهب للتبضع، وعندما كانوا يصيرون شهوانيين، كانت تواقعهم. ما كانت تحتاج أن تغازل بكلمات رقيقة، وما كانت تأخذ المال إلا للتبضع. كان عندها خصلةً جعلِهم يصدقون أنها كانت تعشقهم، وأنها تجد كونها معهم وممارسة الحب معهم رائعين، وكل هذا دون أية مطالب. كل ما كان عليهم أن يفعلوه هو أن يتلفنوا لها أو يتلفنوا لكولى.

كانت الصعوبة الوحيدة مع شارلى كونها قذرة زرية فى البيت. فى هذه الأثناء كانت صديقتها (سارة) قد انتقلت من مدينة سولت لايك إلى شقتها، وكان كولى قد

هجرها فى الفراش أيضًا بعد فترة تدريب. فى بعض الأحيان عندما كان يذهب إلى شقتهما، كان يشمئز من طريقة إدارتها لها، وذات صباح بلغ به الغضب حدا أنه لما رأى المطبخ ركلهما معًا طاردًا إياهما من السرير وجعلهما تغسلان وتنظفان الأوعية المسودة فى المجلى وتعلقان ستائر جديدة. فعلتا ذلك بنكد، ولكن عندما أخذهما معًا للعشاء، كانتا من المحبة بحيث انتهوا ثلاثتهم معًا فى جناحه تلك الليلة.

كانت شارلى براون فتاة الأحلام فى فيجاس، ثم، أخيرًا، عندما احتاجها كولى، اختفت مع أوزانو. لم يفهم كولى ذلك أبدًا. عندما عادت، بدت وكأنها هى ذاتها، ولكن كولى كان يعرف أن أوزانو لو تلفن لها، فإنها ستغادر فيجاس.

بقى كولى أمدًا طويلاً اليد اليمنى المخلصة والأمينة لغرونيفيلت. ثم بدأ يفكر فى الحلول محل غرونيفيلت.

كانت بذرة الخيانة قد غُرست فى ذهن كولى عندما حُمل على شراء عشر نقاط فى فندق كسانادو وكازينوه.

كان قد قابل جونى سانتاديو، بعد أن استدعى إلى اجتماع فى جناح غرونيفيلت. كان سانتاديو رجلاً فى نحو الأربعين، وقورًا ولكنه يلبس بأناقة على النمط الإنجليزى. وكان قوامه منتصبًا، عسكريا. كان سانتاديو قد أمضى أربع سنوات فى وست بوينت (*). كان أبوه، وهو أحد كبار قادة المافيا فى نيويورك، قد استخدم روابطه السياسية ليضمن لابنه، جونى، قبولاً فى الأكاديمية العسكرية.

كان الأب وابنه وطنيين. إلى أن اضطر الأب إلى الاختفاء ليتجنب تحقيقًا من جانب الكونجرس. كان مكتب التحقيقات الاتحادى قد أجفله فحمله على الظهور عن طريق الإمساك بابنه، جونى، رهينة وإرساله كلمة مؤداها أن الابن ستتم مضايقته حتى يسلم الأب نفسه. وكان سانتاديو الكبير قد فعل ذلك فظهر أمام لجنة تابعة للكونجرس، ولكن جونى سانتاديو استقال عندئذ من وست بوينت.

(*) حيث الكلية العسكرية الأمريكية.

لم يكن جونى سانتاديو حوكم أو حكم عليه بأية جريمة قط. لم يلق عليه القبض أبداً. ولكنه قد حُرم، لمجرد كونه ابن أبيه، من الإجازة للحصول على نقط فى فندق كسانادو من قبل لجنة القمار فى نيفادا.

تأثر كولى بجونى سانتاديو. كان هادئًا، وعذب الكلام وكان يمكن حتى تصوره خريج عصبة اللبلاب (*) من عائلة أمريكية عريقة. لم يكن يبدو حتى إيطاليا. لم يكن ثمة غيرهم، الثلاثة، فى الغرفة. وقد استهل غرونيفيلت المحادثة قائلاً لكولى:

ـ ما رأيك فى تملك بعض النقاط فى الفندق؟. قال كولى:

ـ بالتأكيد. سأعطيك معدادى.

ابتسم جونى. كانت ابتسامة رقيقة، تكاد تكون عذبة. قال سانتاديو:

ـ مما كان غرونيفيلت قد أخبرنى عنك، أعرف أن لك شخصية جيدة تجعلنى أدفع المال عن نقطك.

فهم كولى للتو. سيتملك النقط كواجهة لسانتاديو. قال كولى:

ـ هذا يناسبنى. وقال سانتاديو:

ـ أأنت نظيف بما يكفى لتحصل على إجازة من هيئة القمار؟. قال كولى:

ـ بالتأكيد. ما لم يكونوا أصدروا قانونًا ضد مواقعة النساء.

هذه المرة، لم يبتسم سانتاديو. انتظر حتى انتهى كولى من كلامه فقال توا:

ـ سأقرضك مالاً للنقاط. ستوقع مذكرة بالمبلغ الذى سأضعه. ستنص المذكرة على أنك تدفع فائدةً ستةً بالمائة، وستدفع حقا. ولكن لك قولى بأنك لن تخسر شيئًا لقاء دفع تلك الفائدة. هل تفهم هذا؟. فقال كولى:

(*) الاسم الشعبى لمجموعة من الجامعات فى الجزء الشمالى الشرقى من الولايات المتحدة ، تضم جامعات هارفارد ، وكولومبيا ، وييل ، وبرنستون وبنسلفانيا ، التى تعتبر من أبرز المؤسسات التربوية وأرفعها مكانة فى الولايات المتحدة .

ـ بالتأكيد. وقال غرونيفيلت:

ـ إن ما نفعله هذا عملية قانونية تمامًا، يا كولى. أريد أن أوضح هذا. ولكن من المهم ألا يعلم أحد أن السيد سانتاديو يحتفظ بمذكرتك. إن هيئة القمار بمفردها يمكنها من ذاتها أن تنقض كونك على إجازتنا لهذا السبب. قال كولى:

ـ أفهم ذلك. ولكن ماذا إن وقع لى شىء؟ ماذا لو ضربتنى سيارة أو سقطت فى طائرة. هل فكرتم فى هذا؟ كيف سيحصل سانتاديو على نقاطه؟.

فابتسم غرونيفيلت وربت على ظهره قائلاً:

ـ أفلم أكن كالأب تمامًا لك؟. وقال كولى بإخلاص:

ـ لقد كنت حقا. وكان يعنى ذلك. وكان الإخلاص فى صوته، وكان بمقدوره أن يرى أن سانتاديو قد استحسنه. قال غرونيفيلت:

ـ حسنًا إذن، اكتب وصيتك، واترك لى النقاط فى وصيتك. لو أن شيئًا وقع لك، فسانتاديو يعرف أننى سأعيد له نقاطه أو ماله. أهذا يناسبك، يا جونى؟.

هزّ جونى رأسه موافقًا. ثم قال عَرَضًا لكولى:

ـ أتعرف بطريقة تجعلنى أدخل على الإجازة؟ أيمكن لهيئة القمار أن توافق علىَّ بصرف النظر عن أبى؟.

أدرك كولى أن غرونيفيلت لابد من أنه قد أخبر سانتاديو بأن لديه واحدًا من أعضاء هيئة القمار فى جيبه، فقال:

ـ سيكون ذلك صعبًا، وسيستغرق وقتًا وسيكلف مالاً. قال سانتاديو:

ـ كم من الوقت؟. قال كولى:

ـ سنتين. أنت تقصد بالطبع أن تكون على الإجازة مباشرة؟. قال سانتاديو:

ـ هذا صحيح. وسأل كولى:

ـ هل ستجد هيئة القمار عليك شيئًا عندما تبدأ تحرياتها؟. قال سانتاديو:

ـ لا شيء، غير أنني ابن أبي. وكثير من الإشاعات والتقارير في أضابير مكتب التحقيقات الاتحادي وأضابير شرطة نيويورك. مجرد مواد خام. لا دليل على أي شيء. فقال كولي:

ـ هذا يكفي هيئة القمار كي ترفض طلبك. قال سانتاديو:

ـ أدري. ولهذا أحتاج إلى عونك. قال كولي:

ـ سأجري محاولة. قال غرونيفيلت:

ـ هذا بديع. يا كولي، يمكنك أن تذهب إلى محامٍ لتعدّ وصيتك بحيث أحصل على نسخة، وسنهتم أنا والسيد سانتاديو بكل التفاصيل الأخرى.

كان سانتاديو قد صافح كولي وتركهما كولي.

كان بعد ذلك بسنة أن أصيب غرونيفيلت بجلطته الصدرية، وبينما كان غرونيفيلت في المستشفى، جاء سانتاديو إلى فيجاس والتقى كولي. طمّن كولي سانتاديو بأن غرونيفيلت سيشفى وأنه هو لا يزال يعمل على هيئة القمار.

ثم قال سانتاديو:

ـ أنت تعرف أن العشرة بالمائة التي لديك ليست مصلحتي الوحيدة في هذه الكازينو. عندي أصدقاء آخرون لي يمتلكون قطعة في الكسانادو. إننا مهتمون جدا بما إذا كان بمقدور غرونيفيلت أن يدير الفندق بعد هذه الجلطة. والآن، أريدك أن تتلقى هذا بالطريقة الصحيحة. إنني أكنّ احترامًا هائلاً لغرونيفيلت. إذا كان بمقدوره أن يدير الفندق، رائع. ولكن إن لم يكن يستطيع ذلك، إذا ما بدأ المكان يتراجع، فإنني أريدك أن تخبرني.

في تلك اللحظة تعيّن على كولي أن يتخذ قراره ما إذا كان سيبقى مخلصًا لغرونيفيلت حتى النهاية أو يبحث عن مستقبله الخاص. تصرف بموجب الغريزة المحض. قال لسانتاديو:

- نعم، سأفعل. لا لمصلحتك ومصلحتى فقط، وإنما لمصلحة السيد غرونيفيلت كذلك.

فابتسم سانتاديو، وقال:

- إن غرونيفيلت رجل عظيم. أريد أن أفعل كل ما نستطيع أن نفعله لأجله. هذا مفهوم. ولكن ليس فى صالح أى منا لو أن الفندق بدأ ينحدر. فقال كولى:

- صحيح. سأخبرك.

عندما خرج غرونيفيلت من المستشفى، بدا معافى تمامًا فراح كولى يرفع تقاريره مباشرة إليه. ولكن بعد ستة أشهر كان يستطيع أن يرى أن غرونيفيلت لم يكن حقا يمتلك القوة لإدارة الفندق والكازينو، فنقل هذا إلى جونى سانتاديو.

طار سانتاديو إلى هناك وعقد جلسة مع غرونيفيلت وسأل غرونيفيلت ما إذا كان قد فكر ببيع مصلحته فى الفندق والتخلى عن السيطرة.

جلس غرونيفيلت، الأضعف بكثير الآن، هادئًا فى كرسيه ونظر إلى كولى وسانتاديو. قال لسانتاديو:

- إننى أرى وجهة نظرك. ولكننى أظن أن بمقدورى، بمرور وقت قصير، أن أقوم بالعمل. دعنى أقل لك هذا: إذا لم تتحسن الأمور خلال ستة أشهر، فسأفعل كما تقترح، وستحصل بالطبع على حق الشُفعة فى مصلحتى. أذلك جيد بما يكفى بالنسبة لك، يا جونى؟. قال سانتاديو:

- بالتأكيد. تعرف أننى أثق بك أكثر من أى رجل أعرفه وأن عندى ثقة أكبر فى قدرتك. إذا ما قلت إنك تستطيع تدبر الأمر خلال ستة أشهر، فأنا أصدقك، وعندما تقول إنك ستترك خلال ستة أشهر إن لم تستطع ذلك، أصدقك. إننى أترك الأمر كله بين يديك.

وهكذا انتهى الاجتماع. ولكن فى تلك الليلة، عندما أخذ كولى سانتاديو ليركب طائرته عائدًا إلى نيويورك، قال سانتاديو:

- راقب الأمور عن كثب. دعني أعرف ما يجرى. إذا ما ساءت حاله حقا، لا نستطيع أن ننتظر.

كان عند ذاك أن تعين على كولى أن يتوقف فى خيانته، لأن غرونيفيلت تحسن فعلاً أثناء الستة أشهر التالية. حصل على قبضة أعظم. ولكن التقارير التى قدمها كولى لسانتاديو لم تشر إلى هذا. وكانت التوصية الأخيرة المقدمة إلى سانتاديو هى أن غرونيفيلت ينبغى أن يُزاح.

لم يمض على ذلك غير شهر واحد عندما أحيل ابن أخت سانتاديو، وهو رئيس ركن فى أحد فنادق الشريط، إلى المحاكمة بتهمة التهرب من الضرائب والاحتيال، من قبل هيئة محلفين اتحادية، وطار جونى سانتاديو إلى فيجاس ليجرى لقاء مع غرونيفيلت. ظاهريا كان اللقاء لمساعدة ابن الأخت، ولكن سانتاديو بدأ على سبيل آخر. قال لغرونيفيلت:

- إن لديك نحو ثلاثة أشهر بعد. هل توصلت إلى قرار بشأن بيعى مصلحتك؟.

نظر غرونيفيلت إلى كولى، الذى رأى أن وجهه كان حزينًا نوعًا ما، متعبًا قليلاً. ثم استدار غرونيفيلت إلى سانتاديو وقال:

- ماذا ترى؟. فقال سانتاديو:

- إننى معنى أكثر بصحتك والفندق. أظن حقا أن العمل ربما يكون أكبر بكثير عليك الآن. فتنهد غرونيفيلت، وقال:

- أظنك على حق. دعنى أفكر فى الأمر. علىَّ أن أذهب لرؤية طبيبى فى الأسبوع القادم، وربما يجعل التقرير الذى سيعطينى إياه صعبًا علىَّ ما أريد مهما كان. ولكن ماذا عن ابن أختك؟ أثمة ما يمكننا أن نساعد فيه؟.

للمرة الأولى منذ معرفة كولى بسانتاديو، بدا غاضبًا:

- أحمق جدا. أحمق جدا وغير ضرورى. لن أبالى قيد شعرة إن حكم عليه بالسجن، ولكن إذا ما أدين فستكون تلك علامة أخرى على اسمى. سيظن الجميع أننى

كنت وراءه أو أن عندى شيئًا من العلاقة بالأمر. لقد جئت إلى هنا كى أساعد، ولكن ليس عندى حقا أية أفكار.

كان غرونيفيلت متعاطفًا. قال:

- ليس الموقف بهذا اليأس. إن لدى كولى هنا قفلاً على القاضى الاتحادى الذى سيحكم فى القضية. ما رأيك، يا كولى؟ ألا تزال تمتلك القاضى بريانكا فى جيبك؟.

قلَّب كولى الأمر فى ذهنه. ماذا ستكون الفوائد. ستكون هذه خطوة صعبة يقفزها مع القاضى. سيتعين على القاضى أن يخرج محطمًا. ولكن كولى - إن كان مضطراً - سيجعله يفعل. سيكون ذلك خطراً، ولكن المكافآت قد تكون جديرة به. لو أنه استطاع أن يفعل ذلك لسانتاديو، فإن سانتاديو سيدعه بالتأكيد يدير الفندق بعد أن يبيع غرونيفيلت حصته. سيعزز ذلك موقعه. سيكون حاكم الكسانادو.

نظر كولى بتركيز بالغ إلى سانتاديو، وجعل صوته جديا تماماً، ومخلصًا جدا، إذ قال:

- سيكون ذلك صعبًا. سيكلف مالاً، ولكن إن كان لابد حقا من أن تنال ذلك، يا سيد سانتاديو، فإننى أعدك بأن ابن أختك لن يذهب إلى السجن. قال سانتاديو:

- تعنى أنه سيبرأ؟. قال كولى:

- لا. لا أستطيع أن أعد بذلك. قد لا يذهب الأمر إلى ذلك الحد. ولكننى أعدك أنه إن أدين فلن يأخذ غير حكم موقوف التنفيذ، وأن الأرجحية أقوى فى أن القاضى سيدير المحاكمة ويوجه هيئة المحلفين بحيث يمكن لابن أختك أن يُطلَق. فقال سانتاديو:

- سيكون ذلك عظيماً. وصافحه بحرارة.

- افعل ذلك لى. ويمكنك أن تطلب منى كل ما تريد.

ثم، فجأة، كان غرونيفيلت بينهما، واضعًا يده كما فى مباركةٍ على يديهما المتشابكتين معًا. قال غرونيفيلت:

ـ هذا عظيم. لقد سوّينا كل المشكلات. والآن دعونا نخرج ونتناول عشاءً جيداً ونحتفل.

بعد أسبوع تلفن غرونيفيلت لكولي مستدعيًا إياه إلى مكتبه. قال غرونيفيلت:

ـ أخذت تقرير طبيبي. لقد نصحني بأن أتقاعد. ولكن قبل أن أذهب، أريد أن أجرب شيئًا ما. لقد أخبرت مصرفي أن يضع مليون دولار في حساب السحب خاصتي وسأقوم بمحاولتي على الموائد الأخرى في المدينة. أريدك أن تبقى معي حتى أفلس أو أضاعف المليون.

كان كولي غير مصدق. قال:

ـ أستمضي ضد النسب؟. فقال غرونيفيلت:

ـ أريد أن أقوم بمحاولة أخرى عليها. لقد كنت مقامرًا عظيمًا عندما كنت طفلاً. لو استطاع أي إنسان أن يهزم النسبة، فأنا أستطيع. وإذا لم أستطع أنا أن أهزم النسبة، فلا أحد غيري يستطيع. سنستمتع بوقت رائع، وأنا يمكنني أن أتحمل المليون دولار.

كان كولي مندهشًا. إن إيمان غرونيفيلت بالنسبة كان لا يتزعزع في كل السنين التي عرفه خلالها. تذكر كولي فترة واحدة في تاريخ فندق كسانادو عندما كانت موائد الزهر تواصل خسارة المال طيلة ثلاثة أشهر متتالية في كل ليلة. كان اللاعبون يغتنون. كان كولي واثقًا من أن ثمة خدعة تجري. كان قد فصل كل العاملين في ركن لعبة الزهر. وجعل غرونيفيلت كل أطقم الزهر تحلل من جانب مختبرات علمية. لم يساعد أي أمر. كان كولي ومدير الكازينو واثقين من أن شخصًا ما قد توصل إلى وسيلة علمية جديدة للسيطرة على تدحرج الزهر. لم يكن ممكنًا أن يكون ثمة تفسير آخر. غرونيفيلت وحده تماسك سريعًا. قال:

ـ لا تقلقا، ستشتغل النسبة.

وبالتأكيد، بعد ثلاثة أشهر استدار الزهر بفظاظة إلى الاتجاه المعاكس. كان لركن لعبة الزهر موائد رابحة كل ليلة طيلة أكثر من خمسة أشهر. وفي نهاية العام، تساوت الأمور. كان غرونيفيلت قد تناول شرابًا للتهنئة مع كولي، وقال:

- يمكنك أن تفقد الإيمان فى كل شيء، الدين والله، النساء والحب، الخير والشر، الحرب والسلام. اذكر ما تشاء. ولكن النسبة ستتماسك على الدوام.

وأثناء الأسبوع التالى، عندما قامر غرونيفيلت، كان كولى يتذكر ذلك دائمًا. لقد قامر غرونيفيلت خيراً من أى رجل سبق له أن رآه. على مائدة الكرابس قام بكل المراهنات التى تقلص نسبة المحل. كان يبدو أنه يتكهن بجزر الحظ ومده. عندما كان الزهر يستحيل بارداً، كان يتبادل الأدوار. عندما كان الزهر يسخن، كان يدفع كل مراهنة إلى أقصاها. على الباكاراه كان يمكنه أن يشم عندما تتحول حاوية الورق إلى مدير اللعبة ومتى تتحول إلى اللاعب فيركب الأمواج. على البلاك جاك نزل بمراهناته إلى خمسة دولارات عندما أصاب الموزع مسحة حظ ورفعها إلى أقصى حد عندما كان الموزع بارداً.

فى منتصف الأسبوع كان غرونيفيلت متقدمًا بخمسمائة ألف دولار. وعند نهاية الأسبوع كان متقدمًا بستمائة ألف دولار. واصل المضى. وكولى إلى جانبه. كانا يتناولان العشاء معًا ولا يقامران إلا إلى منتصف الليل. قال غرونيفيلت إن على المرء أن يكون فى وضع حسن ليقامر. لا يمكن أن يضغط، عليه أن يحظى بنوم جيد أثناء الليل. عليه أن يراقب نظامه الغذائى وليس له أن يواقع إلا مرة كل ثلاث ليال أو أربع.

مع حلول منتصف الأسبوع الثانى، كان غرونيفيلت ينحدر على رغم كل مهارته. كانت النسب تطمئنه جاعلة منه غباراً. عند نهاية الأسبوعين كان قد فقدَ مليون دولاره. عندما راهن غرونيفيلت بآخر كوم رقاقاته وخسر، استدار نحو كولى وابتسم. بدا فرحًا، الأمر الذى صدم كولى بوصفه نذير شؤم. قال غرونيفيلت:

- إنها الطريقة الوحيدة للعيش. إن عليك أن تحيا ماضياً مع النسبة. وإلا، فالحياة غير جديرة. تذكر ذلك دائمًا، وحذر كولى:

- مهما فعلت فى حياتك استعمل النسبة المئوية بوصفها ربك.

فى سفرتى الأخيرة إلى كاليفورنيا لإجراء الكتابة الأخيرة على فيلم الثقافات الثلاث، التقيت بالمصادفة أوزانو فى بهو فندق بيفرلى هيلز. صعقت جدا لظاهره الجسدى بحيث إننى لم ألحظ أولاً أن شارلى براون كانت إلى جانبه. لابد من أن أوزانو كان قد كدس نحواً من ثلاثين رطلاً. وكانت له كرش تنتأ خارجًا من جاكتة تنس قديمة. كان وجهه منتفخًا، مبقعًا بنقط ممتلئة بيضاء دقيقة. كانت العينان الخضراوان اللتان كانتا براقتين جدا ذات يوم قد خبتا إلى لا لون شاحب يبدو رماديا، وبينما سار متجهًا إلىَّ كان بمقدورى أن أرى أن التمايل الغريب فى مشيته قد صار أسوأ.

تناولنا الشراب فى بهو البولو. وكالمعتاد، اجتذبت شارلى عيون جميع الرجال فى القاعة. لم يكن هذا بسبب جمالها ووجهها البرىء فقط. فقد كان ثمة الكثير من هذين فى بيفرلى هيلز، ولكن كان ثمة شىء فى لباسها، شىء فى طريقة مشيها وإلقائها النظرات حول الغرفة، يشى بمتاحية سهلة.

قال أوزانو:

- أبدو رهيبًا، أليس كذلك؟. فقلت:

- لقد رأيتك أسوأ من هذا. قال أوزانو:

- اللعنة، أنا أيضًا رأيت نفسى فى وضع أسوأ. أنت، أنت أيها النغل المحظوظ، يمكنك أن تأكل كل شىء تريد ولا تزداد أونسة واحدة. فقلت:

- ولكننى لست فى حال بجودة حال شارلى. وابتسمت لها فابتسمت مجيبة. وقال أوزانو:

- إننا نسعى إلى طائرة العصر. اعتقد إدى لانسر أن بمقدوره أن يقرّني فى عمل سيناريوهات، ولكن ذلك فشل، وهكذا يمكننى، دون اهتمام بشىء، أن أبتعد عن هنا. أظننى سأذهب إلى مزرعة معالجة سمنة، أستعيد عافيتى، وأنهى روايتى. فسألته:

- كيف تسير الرواية؟. قال:

- عظيماً. تغلبت على ألفى صفحة، لم يبق غير خمسمائة للانتهاء.

لم أدرِ ما أقول له. عند هذا الوقت كان قد حصل على سمعة لدى ناشرى المجلة بوصفه لا يسلم المواد، حتى فيما يتعلق بكتبه غير الروائية. لقد كانت روايته أمله الأخير. قلت:

- ليس عليك إلا أن تركز على الخمسمائة صفحة وتنتهى من الكتاب اللعين. سيحل ذلك مشاكلك كلها. قال أوزانو:

- إى، أنت على حق. ولكننى لا أستطيع استعجاله. حتى ناشرى لن يريد لى أن أفعل ذلك. سيكون هذا جائزة نوبل لى، يا فتى، عندما ينجز.

نظرت إلى شارلى براون لأرى إن كانت متأثرة، ولقد أدهشنى أنها لم تكن تعرف حتى ما هى جائزة نوبل. أخبرت أوزانو:

- أنت محظوظ إذ لك ناشر كهذا. إنه ينتظر هذا الكتاب منذ عشر سنوات. فضحك أوزانو:

- إى، أرقى الناشرين فى أمريكا. لقد أعطانى أكثر من مائة ألف دولار ولم يرَ صفحة واحدة. رقى حقيقى، لا مثل أهل السينما التافهين هؤلاء. قلت:

- سأغادر نيويورك خلال أسبوع. سأتلفن لك لنتفق على عشاء هناك. ما رقم هاتفك الجديد؟. قال أوزانو:

- إنه الرقم نفسه. فقلت:

- لقد تلفنت عليه ولكن أحداً لم يجب. قال أوزانو:

ـ إى. كنت فى المكسيك أشتغل فى كتابى، وآكل تلك الفاصوليا وشطائر التاكو. لهذا صرت بهذا الوزن اللعين. شارلى براون هذى، لم تزدد أونسة واحدة وكانت تأكل عشر مرات قدر ما آكل. وربت على كتف شارلى براون، قارصًا لحمها، وقال:

ـ يا شارلى براون، إذا متِّ قبلى، سأجعلهم يشرِّحون جسدك فيكشفوا ما الذى عندك مما يبقيك نحيفة.

ابتسمت ترد عليه، وقالت:

ـ هذا يذكِّرنى: إننى جائعة.

وهكذا، فلمجرد إبهاج الأمور، طلبت الغداء لنا جميعًا. طلبت سلطة بسيطة، وتناول أوزانو عجة بيض وطلبت شارلى براون هامبورجر وبطاطس مقلية على الطريقة الفرنسية، وشريحة لحم مع خضروات، وسلطة، وعُقبة (*) من ثلاث مغارف مثلَّج فوق فطيرة تفاح. كنت وأوزانو نستمتع برؤية الناس يراقبون شارلى تأكل. لم يكونوا يستطيعون التصديق. وأدلى رجلان يأكلان فى المقصورة المجاورة بتعليقات مسموعة، آملين فى جرنا إلى حوار يتيح لهم عذر التحدث إلى شارلى. ولكن أوزانو وشارلى تجاهلاهما.

دفعت الحساب، وعندما انصرفت وعدت بأن أتلفن لأوزانو عندما أصل إلى نيويورك. قال أوزانو:

ـ سيكون هذا عظيمًا. لقد وافقت أن أتحدث أمام مؤتمر تحرير النساء ذاك فى الشهر المقبل، وسأحتاج إلى بعض الدعم المعنوى منك، يا ميرلين. ما رأيك فى أن نتعشى تلك الليلة ثم نذهب إلى المؤتمر؟.

كنت مرتابًا قليلاً. لم أكن فى الحقيقة مهتما بأى نوع من المؤتمرات، وكنت قلقًا نوعًا ما بشأن وقوع أوزانو فى مشكل واضطرارى إلى كفالته لإخراجه ثانية. ولكننى وافقت، سأحضر.

(*) فاكهة أو حلوى ما بعد الوجبة الرئيسية.

لم يذكر أى منا جانيل. فلم أستطع مقاومة أن أقول لأوزانو:

ـ أرأيت جانيل فى المدينة؟. قال أوزانو:

ـ لا. أرأيتها أنت؟. فقلت:

ـ لم أرها منذ وقت طويل.

حدق أوزانو إلىَّ. عادت العينان، للحظة واحدة فقط، إلى خضرتهما الأفعوانية الشاحبة المألوفة. وابتسم بشىء من الحزن قائلاً:

ـ ما كان لك أبداً أن تدع فتاة مثلها ترحل. إنك لا تحصل إلا على واحدة من هذا النوع طوال حياتك. كما لا تحصل على غير كتاب واحد كبير طيلة حياتك.

هززت كتفى، وتصافحنا ثانية، وقبلت شارلى على خدها ثم انصرفت.

فى عصر ذلك اليوم حضرت مؤتمراً عن القصة فى استوديوهات الثقافات الثلاث. كان مع جيف واغون، وإدى لانسر والمخرج، سيمون بيلفورت. لقد كنت أظن دائمًا أن الأساطير الهوليودية عن كون الكاتب فظا مع مخرجه ومنتجه فى مؤتمر عن القصة حديثًا مفتعلاً بصرف النظر عن ظرافته. ولكن كان بمقدورى أن أرى للمرة الأولى الآن، فى مؤتمر القصة هذا، لماذا كانت تقع أمثال هذه الأمور. فى الواقع، كان جيف واغون ومخرجه يأمراننا أن نكتب قصتهما، لا روايتى. تركت إدى لانسر يقوم بمعظم النقاش، وأخيراً قال إدى ، وقد تملكه السخط ـ لجيف واغون:

ـ انظر، إننى لا أقول إننى أذكى منك، لا أقول إلا أننى أكثر حظا. لقد كتبت أربعة أفلام ناجحة بالتتابع. لمَ لا تتابع حكمى؟.

لاح، لى، هذا نقاشًا فائق الحذق، ولكن أمكننى أن أرى نظرات محتارة تلوح على وجهى جيف واغون والمخرج. لم يفهما ما كان يتحدث عنه إدى، واستطعت أن أفهم أنه لم يكن ثمة طريق لتبديل أفكارهما.

أخيراً، قال إدى لانسر:

ـ إننى آسف، ولكن إن كانت هذه هى الطريقة التى تريدان أن تواصلا بها، يا جماعة، فإن علىَّ أن أترك هذا الفيلم. فقال جيف:

ـ حسنًا. ماذا عنك يا ميرلين؟. فقلت:

ـ لا أرى معنى أبداً فى كتابته على طريقتكما. لا أظننى سأقوم بعمل جيد معكما. فقال جيف واغون:

ـ هذا صادق بما يكفى. إننى آسف. والآن، هل ثمة كاتب تعرفه، يمكنه العمل على هذا الفيلم معنا ويمكنه القيام ببعض المشاورات معكما، يا جماعة، بما أنكما قد قمتما أصلاً بمعظم العمل؟ سيكون من شأن ذلك أن يساعد كثيراً.

برقت فى ذهنى فكرة إمكان حصولى على هذا العمل لأوزانو. كنت أعرف أنه يحتاج بشكل يائس إلى المال وكنت أدرى أننى لو قلت إن بمقدورى أن أعمل مع أوزانو فإنه سيحصل على التكليف. ولكننى فكرت عندئذ بأوزانو فى مؤتمر عن القصة كهذا، يتلقى توجيهات من رجال مثل جيف واغون والمخرج. كان أوزانو لا يزال أحد أعظم الرجال فى الأدب الأمريكى، ولقد فكرت أن هؤلاء الجماعة سيذلونه أولاً ثم يفصلونه. ولهذا لم أتكلم.

ولم يخطر على بالى إلا عندما كنت أحاول الخلود إلى النوم أننى ربما أكون منعت عن أوزانو العمل كى أعاقبه على نومه مع جانيل.

تلقيت فى الصباح التالى مكالمة هاتفية من إدى لانسر. أخبرنى أنه عقد اجتماعاً مع وكيله وأن وكيله قال إن استوديوهات الثقافة الثلاث وجيف واغون كانا يعرضان عليه خمسين ألف دولار إضافيا كى يبقى فى الفيلم، وهو يسأل عن رأيى فى ذلك.

أخبرت إدى أن الأمر مناسب جدا لى، مهما فعل هو، ولكننى لن أعود. حاول إدى أن يقنعنى. قال:

- سأخبرهم أننى لن أعود ما لم يأخذوك مجدداً ويدفعون لك عشرين ألف دولار. أنا متأكد أنهم سيوافقون.

فكرت مرة أخرى فى مساعدة أوزانو، ومرة أخرى لم أستطع القيام بذلك. كان إدى يواصل:

- أخبرنى وكيلى أننى إن لم أعد فى هذا الفيلم، فسيضيف الاستوديو كُتَّابًا أكثر ثم يحاول أن يحجز الاعتراف للكُتَّاب الجدد عن الفيلم. والآن، إن لم نحصل نحن على اعتراف بكتابتنا السيناريو سنفقد عقدنا مع نقابة الكُتَّاب ونقاط التليفزيون الإجمالية عندما يباع الفيلم للتليفزيون. وكذلك، فإن لنا، كلينا، نقاطًا خالصة ربما لن نراها أبدًا. ولكنها مجرد فرصة ضئيلة أن يصير الفيلم نجاحًا كبيراً، ثم سنصير فى وضع من يركل عجيزته للدخول. يمكن أن ينتهى الأمر ليصير مقداراً كبيراً من المال، يا ميرلين، ولكننى لن أعود إليه إن كنت ترى أننا يجب أن نبقى معًا ونحاول أن ننقذ قصتنا. فقلت:

- لا أبالى قيد أنملة بالنسبة، أو بالإقرارات. وبقدر ما يتعلق الأمر بالقصة، فأى نوع بائس من القصص هى؟ إنها لخبطة، إنها لم تعد كتابى بعد. ولكن امضِ أنت. إننى لا أبالى حقا. إننى أعنى ذلك. فقال إدى:

- حسنًا، وبما أننى سأشتغل عليه فسأحاول أن أحمى اعتبارك بقدر ما أستطيع. سأتلفن لك عندما أكون فى نيويورك، وسنتناول العشاء. فقلت:

- عظيم. حظا حسنًا مع جيف واغون. قال إدى:

- إى. سأحتاج إليه.

أنفقت بقية اليوم أنتقل من مكتبى فى استوديوهات الثقافات الثلاث وأقوم ببعض المشتريات. لم أكن أريد أن أعود على الطائرة ذاتها مع أوزانو وشارلى براون. فكرت فى الاتصال هاتفيا بجانيل، إلا أننى لم أفعل.

بعد شهر، تلفن لى جيف واغون فى نيويورك. أخبرنى أن سيمون بيلفورت كان يعتقد أن فرانك ريتشتى ينبغى أن ينال اعتبار كتابة إلى جانبى وجانب لانسر. سألته:

ـ ألا يزال إدى لانسر مع الفيلم. فقال جيف واغون:

ـ نعم. قلت:

ـ حسنًا، حظا طيبًا. قال واغون:

ـ أشكرك. وسنبقيك على اطلاع بما يجرى. سنرى بعضنا بعضًا جميعًا فى عشاء جوائز الأكاديمية، ووضع السماعة.

كان لابد من أن أضحك. لقد كانوا يحولون الفيلم إلى قطعة لخبطة وكان لدى واغون من برودة الأعصاب ما يجعله يتكلم عن جوائز الأكاديمية. ليت الحسناء الأوريغونية تلك قد أطارت قطعة أكبر من خصيتيه. أحسست بشعور من الخيانة لأن إدى لانسر بقى يعمل على الفيلم. كان صحيحًا ما قاله واغون. لقد كان إدى لانسر كاتب سيناريو مولودًا طبيعيا، ولكنه كان أيضًا روائيا مولودًا طبيعيا، فكنت أدرى بأنه لن يكتب رواية مرة أخرى أبدًا.

وكان الشىء الغريب الآخر أننى مع كونى حاربت الجميع ومع أن النص كان يزداد سوءًا وأننى قد نويت أن أتركه، إلا أننى كنت أشعر بالأذى مع ذلك. ثم إننى أتصور، أيضًا، أننى كنت لا أزال أرجو فى مؤخر رأسى أننى لو ذهبت مرة أخرى إلى كاليفورنيا للعمل على النص، فإننى قد أرى جانيل. لم نكن قد رأى أحدنا الآخر أو تحدثت إليه طوال شهور. كانت المرة الأخيرة التى تلفنت لها فيها كان لمجرد أن أحييها، ولقد ثرثرنا لبعض الوقت وقالت فى النهاية:

ـ إننى سعيدة لأنك تلفنت لى، ثم انتظرت جوابًا. تلكأتُ ثم قلت:

ـ أنا أيضًا. وعندئذ بدأت تضحك وقلدتنى. قالت:

ـ أنا أيضًا، أنا أيضًا، ثم قالت: أوه، لا يهم. ثم ضحكت بمرح. قالت: تلفن لى عندما تأتى مرة أخرى. وقلت:

ـ سأفعل، ولكننى كنت أعرف أننى لست بفاعل.

بعد شهر من مكالمة واغون، تلقيت مكالمة من إدى لانسر. كان غاضباً. قال:

- يا ميرلين، إنهم يبدلون النص كي يحرموك من الإقرار لك. إن ذلك الفتى فرانك ريتشتى يكتب حواراً جديداً كله، مجرد يعيد ترتيب مفرداتك. إنهم يغيرون الأحداث بما يكفى لأن تبدو مختلفة عن مشاهدك وقد سمعتهم يتحدثون، واغون وبيلفورت وريتشتى، عن كيف سيحرمونك من الإقرار بمساهمتك ونسبتك. إن أولاد الحرام لا يهتمون حتى لى. فقلت:

- لا تقلق. أنا من كتب الرواية وأنا من كتب السيناريو الأصلى. ولقد دققته مع نقابة الكتاب، وما من طريق لحرمانى من الإقرار بمساهمتى ولو جزئيا فى الأقل، وذلك ينقذ نسبتى. قال إدى لانسر:

- لا أدرى، إننى أحذرك فقط مما سيفعلون. أرجو أن تحمى نفسك. فقلت له:

- شكراً. وماذا عنك؟ كيف يتقدم الفيلم؟. فقال:

- إن ذلك الفرانك ريتشتى البائس لهو أمىٌّ تعس، ولا أدرى من هو الكديش الأكبر، واغون أم بيلفورت. قد يصير هذا واحداً من أسوأ الأفلام التى صُنعت. لابد من أن مالومار المسكين يتلوى فى قبره. فقلت:

- نعم، مالومار المسكين. لقد كان يخبرنى دائماً كم هى عظيمة هوليود، وكم يمكن للناس فيها أن يكونوا مخلصين وفنانين. أتمنى لو أنه حى الآن. قال إدى:

- إى. اسمع، فى المرة التالية التى تأتى فيها إلى كاليفورنيا تلفن لى فنتناول العشاء معاً. قلت:

- لا أظننى سأجيء إلى كاليفورنيا مرة أخرى. إذا ما جئت أنت إلى نيويورك تلفن لى.

- حسناً، سأفعل، قال لانسر.

بعد سنة ظهر الفيلم. حصلت على إقرار بمساهمتى عن الكتاب ولكن لم أحصل على الاعتراف بى كاتباً للسيناريو. منح اعتبار كتابة السيناريو إلى إدى لانسر

وسيمون بيلفورت. طلبت تحكيمًا فى نقابة الكتاب، ولكننى خسرت. كان ريتشتى وبيلفورت قد قاما بعمل جيد فى تغيير النص، وهكذا فقد خسرت نسبتى. ولكن ذلك لم يكن ذا شأن. لقد كان الفيلم كارثة، وكان أسوأ ما هناك أن دوران رود أخبرنى أن الرواية جرى لومها فى المهنة على فشل الفيلم. لم أعد منتوجًا يباع فى هوليود، وكان ذلك هو الأمر الوحيد، فى الموضوع كله، الذى أبهجنى.

كان أحد الاستعراضات القاسية التى أجريت للفيلم قد كتبته كلارا فورد. ولقد قتلته من الألف إلى الياء، حتى أداء كيلينو. وهكذا فإن كيلينو لم يكن قد أدى عمله على نحو جيد مع كلارا فورد. ولكن هولينان قام بمحاولة أخيرة معى. لقد وضع قصة على إحدى خدمات البرقيات تحت عنوان رواية ميرلين تفشل فيلمًا. وعندما قرأت ذلك، لم أفعل غير أن هززت رأسى إعجابًا.

- ٤٩ -

بعد أن ظهر الفيلم بقليل كنت فى قاعة كارنيجى أحضر مؤتمر تحرير المرأة الوطنى مع أوزانو وشارلى براون. وقد أبرز المؤتمر أوزانو بوصفه المتحدث الذكر الوحيد.

قبل ذلك كنا قد تناولنا العشاء معًا لدى (بيرل)، حيث أدهشتْ شارلى براون النادل بأن أكلت إوزة، وصحن سرطان محشو بلحم الخنزير، ومحاراً فى صلصة لوبيا سوداء، وسمكة ضخمة، ثم مسحت ما كنت وأوزانو قد أبقيناه فى صحوننا دون حتى أن تلوث أحمر شفتيها.

عندما خرجنا من سيارة الأجرة أمام قاعة كارنيجى، حاولت أن أقنع أوزانو بأن ينطلق أمامنا ويتركنى ألحقه وشارلى براون فى ذراعى كى يظن النسوة أنها فى معيتى. كانت تبدو كثيراً كالمومس الأسطورية التى يمكن أن تغيظ اليساريات فى المؤتمر. ولكن أوزانو كان، كالمعتاد، عنيداً. لقد أرادهن جميعًا أن يعرفن أن شارلى براون امرأته. وهكذا، فعندما مشينا مجتازين الممر إلى المقدمة، سرت خلفهما. وفيما فعلت ذلك، رحت أدرس النساء فى القاعة. كان الأمر الوحيد الغريب فيهن كونهن جميعًا نساء، وأدركت أننى كنت معتاداً، فى كثير من الأوقات: فى الجيش، وفى ملجأ الأيتام، وفى ألعاب الكرة، على رؤية رجال فقط أو رجال فى الأكثر. كانت رؤية نساء فقط هذه المرة صدمة، كما لو أننى كنت فى بلد غريب.

كانت تتم تحية أوزانو من قبل مجموعة من النساء، وقيادته إلى المنصة. جلسنا أنا وشارلى براون فى الصف الأول. كنت أتمنى لو أننا كنا فى المؤخرة، كى أتمكن من الخروج بسرعة فائقة. كنت قلقًا جدا بحيث إننى كدت لا أسمع الخطابات الافتتاحية، ثم تم اقتياد أوزانو فجأة إلى المنبر وجرى تقديمه. وقف أوزانو برهة ينتظر التصفيق الذى لم يأت أبداً.

كان كثير من النساء الحاضرات مستاءات من مقالاته المتسمة بالشوفينية الذكورية فى المجلات الذكورية قبل سنوات. وكان بعضهن مستاءات لأنه كان واحداً من أهم كُتَّاب جيلهن فكن يحسدن إنجازه. ثم كان بعض المعجبات به اللائى صفقن على نحو خاب جدا تلافيًا لاحتمال تلقى خطاب أوزانو بالسخط من جانب المؤتمر.

وقف أوزانو عند المنبر، هيكلاً ضخمًا ثقيلاً لرجل. انتظر دقيقة طويلة، ثم مال نحو المنصة بغطرسة وقال ببطء، مؤكدًا كل كلمة:

ـ سأحاربكن أو أنكحكن .

ارتجَّت القاعات بأصوات الاستهجان، وصيحات الازدراء وهسهسات الاستهزاء. حاول أوزانو أن يواصل. لقد كنت أدرى أنه استعمل تلك العبارة لمجرد أن يستحوذ على انتباههن. سيكون خطابه فى صالح تحرر النساء، ولكنه لم يحظ أبدًا بفرصة إلقائه. ارتفعت الصيحات والهسهسات صوتًا، وفى كل مرة حاول أوزانو أن يتكلم كانت تبدأ مجددًا حتى أدى أوزانو انحناءة محكمة وسار منتصبًا لينزل عن المسرح. تبعناه فى الممر وإلى خارج أبواب قاعة كارنيجى. تحولت الصيحات والهسهسات إلى هتافات تهليل وتصفيق، لتخبر أوزانو بأنه فعل ما كنَّ يردنه أن يفعل: أن يتركهن.

لم يرد لى أوزانو أن أذهب معه إلى البيت تلك الليلة. كان يريد أن يبقى وحيداً مع شارلى براون. ولكن فى الصباح التالى تلقيت اتصالاً هاتفيًا منه. كان يريدنى أن أصنع له معروفًا.

قال أوزانو:

ـ اسمع. إننى نازل إلى جامعة (ديوك) فى كارولينا الشمالية إلى عيادة حمية الأرز التابعة لهم. يفترض أنها أفضل مزرعة تنحيف فى الولايات المتحدة كما أنهم يؤمِّنون سلامة المرء صحيا. إن علىَّ أن أفقد وزنًا ويبدو أن الطبيب يفكر فى أن الشرايين ربما تكون منسدَّة وذلك ما تعالجه حمية الأرز. ثمة شىء واحد فقط خطأ. تريد شارلى أن تأتى معى. أيمكنك أن تتصور تلك الفتاة المسكينة تأكل الأرز لشهرين؟ وهكذا فقد

أخبرتها أنه ليس بمقدورها أن تأتى. ولكن علىَّ أن آخذ سيارتى إلى هناك وأريدك أن تقودها لى. يمكننا أن نجلبها معًا ونتسكع معًا بضعة أيام ولربما نلنا بعض الضحكات.

فكرت فى الأمر دقيقة ثم قلت:

- بالتأكيد. اتفقنا على موعد فى الأسبوع التالي. أخبرت فاليرى أننى سأتغيب لمدة ثلاثة أيام أو أربعة فقط. أننى سأقود سيارة أوزانو معه، وأقضى بضعة أيام فقط مع أوزانو حتى يستقر، ثم سأطير عائدًا. فقالت فاليرى:

- ولكن لمَ لا يستطيع أن يقود السيارة بنفسه؟. قلت:

- إنه لا يبدو سالمًا حقا. لا أظنه سليمًا بحيث يقوم بذلك النوع من القيادة. إنها تستغرق ثمانى ساعات على الأقل.

بدا ذلك مقنعًا لفاليرى، ولكن كان لا يزال ثمة شىء واحد يقلقها. لمَ لا يريد أوزانو أن يستخدم شارلى سائقة له؟ كان سيتمكن من شحنها فى طريق العودة بمجرد وصولهما إلى هناك، وهكذا فإن العذر الذى أعطانيه عن عدم رغبته فى أن تأكل أرزًا كان عذرًا زائفًا. ثم فكرت أنه ربما يكون تعب من شارلى فكان يتخلص منها بهذه الطريقة. لم أقلق كثيرًا جدا عليها. كان لديها كثير من الأصدقاء الذين سيعنون بها.

وهكذا فقد قدت لأوزانو هابطًا إلى مستوصف جامعة ديوك فى سيارته الكاديلاك التى تعود لأربع سنوات سابقة، وكان أوزانو فى هيئة جيدة تمامًا. حتى إنه بدا أفضل قليلاً بدنيا. قال أوزانو عندما صرنا فى الولايات الجنوبية:

- إننى أعشق الطريقة التى يديرون بها شغل عيسى المسيح هناك، إنها تشبه تقريبًا كل مدينة صغيرة فيها مخزن عيسى المسيح الخاص بها، فيها مخازن عيسى المسيح ماما وبابا وهى تحقق معيشة جيدة وصداقات متعددة. واحدة من أعظم الأشغال فى العالم. عندما أفكر فى حياتى، أتمنى فقط لو أننى كنت زعيمًا دينيا بدلاً من كاتب. أى وقت أفضل كان سيكون لى.

لم أقل شيئًا، اكتفيت بالإصغاء. كنا نعلم كلانا أن أوزانو لم يكن ليمكنه أن يصير إلا كاتبًا وأنه إنما كان يتابع تحليقًا خصوصيا من الفانتازيا. قال أوزانو:

- إي. كنت سأحصل على جوقة عظيمة وكنت سأسميها راكلى الروث من أجل المسيح. إننى أحب الطريقة التى هم فيها متواضعون فى دينهم وصارمون وفخورون جدا فى حياتهم اليومية. إنهم يشبهون قردة فى حجرة تدريب. لم يتلازم العمل بنتيجته، ولكننى أظن أن بمقدورهم أن يقولوا ذلك عن الدين. ماذا عن أولئك الهيبيات (*) التعساء فى إسرائيل؟ إنهم لا يدعون الحافلات والقطارات تسير فى الأيام المقدسة وهنا هم يحاربون العرب. ثم أولئك المؤمنون التعساء فى إيطاليا بالبابا التعس خاصتهم. إننى لأتمنى بالتأكيد لو كنت أدير الفاتيكان. كنت سأضع شعارًا: كل قس لص. كان ذلك سيصير شعارنا. كان ذلك سيكون هدفنا. إن مشكلة الكنيسة الكاثوليكية هى أن ثمة قليلاً من القساوسة قد بقوا وأنهم يلخبطون كل شىء.

بقى فى الشأن الدينى طوال الخمسين ميلاً التالية. ثم انتقل إلى الأدب، ثم انطلق نحو السياسة و- أخيرًا، قرب نهاية رحلتنا - تحدث عن تحرير النساء. قال:

- أتدرى أن المسألة المضحكة هى أننى مؤيد تمامًا لهن حقا. لقد كنت أعتقد دائمًا أن النساء يحظين بصفقة خاسرة، حتى عندما كنت أنا من يقدمها لهن، ومع ذلك فإن تينك النساء، إنهن لم يسمحن لى حتى أن أنهى خطابى. تلك هى مشكلة النساء. ليس عندهن على الإطلاق حس فكاهة. ألم يكنّ يعرفن أننى كنت أمزح؟ أننى سأقلبها بعدئذ فى صالحهن؟. فقلت له:

- لمَ لا تطبع الخطاب وبتلك الطريقة سيعرفن؟ إن مجلة (اسكواير) ستأخذه، ألن تفعل؟. قال أوزانو:

- بالتأكيد. ربما عندما أقيم فى مزرعة التنحيف سأشتغل عليه كى يبدو جيداً وهو مطبوع.

(*) Hebe : فى الميثولوجيا اليونانية هى إلهة الشباب السرمدى ، لها قدرة على إعادة جمال الشباب إلى المسنين والمسنات.

انتهيت بأن قضيت أسبوعًا كاملاً مع أوزانو فى مستوصف جامعة ديوك. خلال ذلك الأسبوع رأيت أشخاصًا بدينين ، وأنا أتكلم عن جماعة من أصحاب المائتين وخمسين إلى ثلاثمائة وخمسين باونًا ، أكثر مما رأيت طوال حياتى بأجمعها. منذ ذلك الأسبوع لم أعد أثق أبدًا بأية فتاة ترتدى كابًا (*) لأن كل فتاة سمينة تزيد عن المائتين باون تظن أن بمقدورها أن تخفى ذلك بإسدال نوع ما من البطانية المكسيكية على بدنها أو معطف جندرمة فرنسيا. الأمر الذى كان يجعل الواحدة منهن تبدو مثل هذه الكتلة الضخمة المهددة الهابطة إلى الشارع، سوبرمان أو (زورو) ما محتقن بالدم بشكل شنيع.

لم يكن مركز ديوك الطبى عملية تنقيص تقوم على التجميل بأية حال من الأحوال، لقد كان محاولة جادة لإصلاح الضرر الذى توقعه بالجسد البشرى الفترات الطويلة من زيادة الوزن. كان كل زبون جديد يعرَّض لأيام لكل أنواع فحص الدم والأشعة السينية. وهكذا فقد بقيت مع أوزانو وتأكدت من كونه يذهب إلى المطاعم التى تقدم وصفة الأرز.

أدركت للمرة الأولى كم كنت محظوظًا. أننى مهما كانت كمية ما آكل لم يكن وزنى ليزداد رطلاً واحداً. كان الأسبوع الأول شيئًا لن أنساه أبدًا. رأيت ثلاث فتيات من ذوات الثلاثمائة باون يقفزن على منصة الترامبولين. ثم رجلاً وزنه أكثر من خمسمائة باون يساق إلى محطة السكة الحديد ويتم وزنه على جهاز وزن البضائع. كان ثمة شىء محزن حقا فى ذلك الشكل الضخم الماشى متثاقلاً إلى الغسق، مثل فيل ما يمضى نحو مقبرة يدرى أنه سيقضى نحبه فيها.

كان لأوزانو جناح من الغرف فى (الهوليداى إن) المجاور لمبنى مركز ديوك الطبى. كان كثير من المرضى يقيمون هناك ويتجمعون للمشى أو لألعاب الورق أو يجلسون معًا فقط محاولين أن يبدأوا شأنًا ما. كان ثمة كثير من الشائعات. كان فتى ذو مائتين وخمسين باونًا قد أخذ فتاته ذات الثلاثمائة والخمسين باونًا إلى موعد خلوى فى نهاية

(*) Cape رداء خارجى بلا كمين يطرح على الكتفين.

الأسبوع. كانت المطاعم لسوء الحظ فى نيو أورليانز عظيمة جدا بحيث إنهما قضيا اليومين يأكلان فعادا أثقل بعشرة باونات. وما صدمنى بوصفه غريبًا أن كسب عشرة باونات قد عومل على أنه خطيئة أكبر من لا أخلاقيتهما المفترضة.

ثم ذات مرة، فى الساعة الرابعة صباحًا، أجفلنا ، أنا وأوزانو ، صراخ رجل فى سكرة الموت. ممددًا على المرج خارج نافذة غرفة نومنا كان واحد من المرضى الذكور الذى تمكن أخيرًا من النزول بنفسه إلى مائتى باون. كان واضحًا أنه يحتضر أو بدا كذلك. كان الناس يندفعون نحوه وأطباء المستوصف قد حضروا سلفًا. تم أخذه فى سيارة إسعاف. وفى اليوم التالى اكتشفنا ما جرى. كان المريض قد أفرغ جميع ماكينات أصابع الشكولاته فى الفندق. ولقد عدوا الأغلفة على المرج، فكانت مائة وستين. لم يبدُ على أحد أنه يعتبر ذلك غريبًا، ولقد تعافى الرجل واستمر على البرنامج. قلت لأوزانو:

- ستتمتع بوقت رائع هنا. العديد من المواد. فقال أوزانو:

- لا! يمكنك أن تكتب مأساة عن ناس نحيفين، ولكن ليس بمقدورك أبدًا أن تكتب مأساة عن ناس بدينين. أتتذكر كم كان الدرن الرئوى شعبيًا؟ لقد كان بإمكانك أن تبكى على كاميليا، ولكن كيف يمكنك البكاء على كيس ينطوى على ثلاثمائة باون من السمن؟ إنه أمر مأساوى، ولكنه لن يبدو صحيحًا. ليس ثمة إلا هذا القدر مما يستطيع الفن أن يفعله.

كان اليوم التالى يومًا نهائيا فى فحوص أوزانو، وقد خططت أن أطير عائدًا تلك الليلة. كان أوزانو قد تصرف على ما يرام تمامًا. كان قد حافظ على وصفة الأرز وكان يشعر شعورًا طيبًا لأننى كنت قد رافقته. عندما ذهب أوزانو إلى المركز الطبى ليأخذ نتائج فحوصه، حزمت حقائبى فيما كنت أنتظر عودته إلى الفندق.

لم يظهر أوزانو إلا بعد أربع ساعات. كان وجهه حيًا بالانفعال. كانت عيناه الخضراوان تتراقصان وقد لاح فيهما تألقهما ولونهما القديمان. قلت:

- أظهر أن كل شيء على ما يرام؟. فقال أوزانو:

- لك أن تراهن على قفاك.

لثانية واحدة فقط لم أصدقه. كان يبدو جيدا جدا، سعيداً جدا.

- كل شيء على ما يرام، لا يمكن أن يكون أفضل. يمكنك أن تطير عائداً الليلة وعليَّ أن أقول إنك صديق حقيقي. ما كان أحد ليفعل ما فعلت، تأكل ذلك الأرز يوماً بعد يوم، والأسوأ من ذلك أيضاً: تراقب هؤلاء النسوة ذوات الثلاثمائة باون يمضين وهن يهززن مؤخراتهن - مهما تكن الخطايا التي ارتكبتها ضدي أغفرها لك. وبلحظة صارت عيناه لطيفتين جدا، جادتين جدا. كان ثمة تعبير رقيق على وجهه. قال:

- أغفر لك. تذكر ذلك، إنك للعين مذنب إلى حد أنني أريدك أن تعرف ذلك.

ثم لواحدة من المرات القلائل منذ أن تعرفنا على أحدنا الآخر، عانقني. كنت أدري أنه يكره أن يُمس من غير جانب النساء وكنت أعرف أنه يكره أن يكون عاطفيا. دهشت، ولكنني لم أتساءل عما عناه بغفرانه لي لأن أوزانو كان حاداً جدا. لقد كان حقا أذكى بكثير جدا من أي إنسان آخر سبق لي أن عرفته بحيث إنه عرف، على نحو ما، السبب الذي جعلني لا أحصل له على العمل على نص الثقافات الثلاث/ جيف واغون. كان قد غفر لي وكان ذلك رائعًا، كان ذلك يشبه سجية أوزانو. لقد كان رجلاً عظيماً حقا. والمشكلة الوحيدة هي أنني لم أكن قد غفرت لنفسي بعد.

غادرت جامعة ديوك تلك الليلة وطرت إلى نيويورك. بعد أسبوع تلقيت مكالمة هاتفية من شارلي براون. كانت تلك المرة الأولى التي أكلمها فيها على الهاتف. كان لها صوت حلو ناعم، بريء، كصوت الأطفال، وقالت:

- يا ميرلين، عليك أن تساعدني. فقلت:

- ماذا جرى؟. وقالت:

- أوزانو يحتضر، إنه في المستشفى. أرجوك، أرجوك تعال.

كانت شارلى قد أخذت أوزانو مسبقًا إلى مستشفى سانت فنسنت، وهكذا فقد اتفقنا على أن نلتقى هناك. عندما وصلت إلى هناك، كان أوزانو فى غرفة خاصة وكانت شارلى معه، جالسة على السرير حيث يستطيع أوزانو أن يضع يده فى حضنها. تركت شارلى يدها تستريح على بطن أوزانو، التى كانت عارية من الأغطية أو من قميص. فى الحقيقة، كانت منامة أوزانو الخاصة بالمستشفى ترتمى فى قصاصات على الأرضية. ولابد من أن ذلك العمل قد أدخل إليه مزاجًا طيبًا لأنه كان يجلس فى الفراش مبتهجًا. وبالنسبة لى لم يبدُ لى حقا على ذلك القدر من سوء الحال. كان يبدو، فى الواقع، أنه فقدَ بعض الوزن.

تفحصت غرفة المستشفى سريعًا بعينىَّ. لم يكن ثمة خلفيات من أنابيب وريدية، لا ممرضات خاصات يمارسن عملهن، وقد شاهدت وأنا أسير قاطعًا الدهليز أنها لم تكن قط وحدة عناية مركزة. ولقد دهشت من حجم الارتياح الذى أحسسته، من أن شارلى لابد وأنها قد أخطأت وأن أوزانو لم يكن، بعد كل شىء، يحتضر.

قال أوزانو ببرود:

- هَىْ، ميرلين، لابد من أنك ساحر حقيقى. كيف اكتشفت أننى هنا؟ يفترض أن يكون هذا سرا.

لم أكن أريد أى عبث أو أى نوع من الهراء، لذلك قلت بصراحة:

- شارلى براون أخبرتنى، ربما لم يكن مفروضًا بها أن تخبرنى، ولكننى لم أحب أن أكذب.

واكتفت شارلى بالابتسام أمام تقطيب أوزانو. قال لها أوزانو:

- لقد قلت لك إن الأمر بينى وبينك فقط، أو يخصنى فقط. كيفما شئت. لا أحد آخر. فقالت شارلى ذاهلة تقريبًا:

- أدرى أنك تريد ميرلين. فتنهد أوزانو، وقال:

- حسنًا. لقد كنت هنا طوال اليوم يا شارلى. لمَ لا تذهبى إلى السينما أو تحصلى على مواقعة أو تتناولى مثلج الشوكولاته بالصودا أو عشرة أطباق صينية؟ على أية حال، تمتعى بإجازة هذه الليلة وسأراك فى الصباح. فقالت شارلى:

- حسنًا، ونهضت عن السرير. وقفت قريبًا جدا من أوزانو فوضع يده - بحركة ليست داعرة حقًا، ولكن كأنما ليذكِّر نفسه بالملمس - تحت ثيابها ولامس باطن فخذيها، ثم أمالت رأسها على السرير لتقبله.

وعلى وجه أوزانو، فيما كانت يده تلامس اللحم الدافئ تحت اللباس، حلت نظرة سلام وارتواء كما لو أنه استعاد الثقة فى إيمان مقدس ما.

عندما تركت شارلى الغرفة تنهد أوزانو ثم قال:

- صدقنى يا ميرلين. لقد كتبت كثيرًا من الهراء فى كتبى ومقالاتى ومحاضراتى. سأخبرك بالحقيقة الصحيحة الوحيدة. الفرج هو حيث تبدأ كل الأمور وحيث تنتهى. الفرج هو الشىء الوحيد الجدير بالحياة من أجله. كل شىء آخر زائف، تزوير ومجرد هراء.

جلست قريبًا من السرير، وقلت:

- ماذا عن السلطة؟ لقد كنت دائمًا تحب السلطة والمال كثيرًا جدا. قال:

- نسيت الفن. فقلت:

- حسنًا. لنضع الفن هناك. ماذا عن المال والسلطة؟. قال أوزانو:

ـ لا بأس بها. لن أستبعدها. ستكون مجزية. ولكنها ليست ضرورية حقا. إنها مجرد تجمُّد على الكعكة.

وعندئذ كنت عند لقائى الأول مع أوزانو وظننت أننى كنت أعرف الحقيقة فيما يتعلق به آنذاك، عندما لم يكن يعرفها. وهو الآن يخبرنى بها وأننى أتساءل ما إذا كانت صحيحة لأن أوزانو كان يحب تلك الأمور جميعًا. وما كان يقوله حقا هو أن الفن والمال والشهرة والسلطة لم تكن ما يأسى على هجره. أخبرت أوزانو:

ـ إنك تبدو خيرًا من آخر مرة رأيتك فيها. لماذا أنت فى المستشفى؟ تقول شارلى براون إن الأمر خطير حقا هذه المرة. ولكنك لا تبدو على هذا السوء. قال أوزانو، وكان مسرورًا:

ـ بلا مداهنة؟ ذلك عظيم. ولكنك تعرف أننى تلقيت الأخبار السيئة فى مزرعة التنحيف عندما أخذوا كل تلك الاختبارات. سأبلغك بالأمر مختصرًا وحلوًا. لقد لخبطت الأمور عندما كنت أتناول أقراص البنسلين تلك كلما واقعت، وهكذا فقد أصابنى السفلس ولكن الأقراص غطته، ولكن الكمية لم تكن قوية بما يكفى لتزيله. أو ربما وجدت تلك البكتريات اللعينة طريقًا لتتجاوز الدواء. لابد من أن ذلك جرى قبل خمسة عشر عامًا. فى هذه الأثناء، افترست تلك البكتريات الهرمة دماغى، وعظامى وقلبى. إنهم يخبروننى الآن أن لدى ستة أشهر أو سنة قبل الذهاب منحدرًا إلى الشلل، ما لم يتداعَ قلبى أولاً.

ذهلت. لم أستطع حقا أن أصدق ذلك. كان أوزانو يبدو مرحًا جدا. كانت عيناه الخضراوان المراوغتان ذكيتين جدا. سألته:

ـ ليس ثمة ما يمكن عمله؟. قال أوزانو:

ـ لا شيء. ولكن الأمر ليس مرعبًا إلى ذلك الحد. سأرتاح هنا بضعة أسابيع وسيحقنوننى كثيرًا ثم سيكون عندى ما لا يقل عن شهرين أقضيهما فى المدينة، وهناك يأتى دورك.

لم أكن أدرى ما أقول. لم أكن أدرى حقا ما إذا كان ينبغى أن أصدقه. كان يبدو خيراً مما رأيته فى أوقات كثيرة. فقلت:

ـ حسنًا. قال:

ـ إليك فكرتى. تزورنى فى المستشفى بين وقت وآخر وتساعد فى أخذى إلى البيت. لا أريد أن أجازف بأن أصير خرفًا، وهكذا فعندما أظن الوقت قد حان، سأتحاسب وأخرج. فى اليوم الذى أقرر فيه ذلك أريدك أن تأتى إلى شقتى وتبقى فى رفقتى. أنت وشارلى براون. ثم يمكنك أن تعنى بالضجة التالية كلها. كان أوزانو يحدق إلىَّ فى تركيز، قال:

ـ لست مجبراً على القيام بذلك. صدقته الآن. قلت:

ـ بالتأكيد سأفعله. إننى مدين لك بمعروف. أسيكون عندك ما تحتاج إليه؟. قال أوزانو:

ـ سأحصل عليه. لا تقلق بشأن ذلك.

أجريت بعض اللقاءات مع أطباء أوزانو، وقد أخبرونى بأنه لن يغادر المستشفى لمدة طويلة. وربما لن يغادر أبداً. فأحسست إحساس ارتياح.

لم أخبر فاليرى بأى شىء جرى أو حتى بأن أوزانو كان يحتضر. بعد يومين ذهبت لزيارة أوزانو فى المستشفى. سبق أن سألنى أن أجلب له عشاء صينيا فى المرة التالية التى أزوره فيها. وهكذا فقد كانت معى أكياس ورقية سمراء ملآى بالطعام عندما اجتزت الدهليز وسمعت صراخًا وزعيقًا قادمين من غرفة أوزانو. لم أدهش. وضعت الأكياس أرضاً خارج باب غرفة نوم خاصة لمريض آخر وركضت هابطًا الدهليز.

كان فى الغرفة طبيب وممرضتان ومشرفة تمريض. كانوا يصرخون جميعًا على أوزانو. وقفت شارلى تراقب فى زاوية من الغرفة. نمش وجهها الجميل مجفَّل على شحوب بشرتها، والدموع فى عينيها. كان أوزانو جالسًا على جانب السرير، عاريًا تماماً ويصرخ راداً على الطبيب:

- هات لى ملابسى! إننى خارج من هذا المكان اللعين.

وكان الطبيب يكاد يصرخ:

- لن أكون مسئولاً إن غادرت المستشفى. لن أكون مسئولاً. فقال له أوزانو، ضاحكًا:

- أيها الهراء الأبله، إنك لم تكن مسئولاً أبدًا. هات لى ملابسى فقط.

قالت المشرفة على التمريض، وهى امرأة رهيبة المنظر، غاضبة:

- إننى لا أبالى أبدًا بمقدار شهرتك: لن تستخدم مستشفانا ماخورًا!.

فبحلق أوزانو مغضبًا فيها. قال:

- اخرجى من هذه الغرفة عليك اللعنة. و- عاريًا تمامًا ، نهض عن السرير، فتمكنت عندئذ أن أرى كم كان مريضًا حقا. قام بخطوة مترنحة فسقط بدنه متهاويًا. خفَّت المرضة سريعًا لتساعده، هادئة الآن، وقد تملكتها الشفقة، ولكن أوزانو قاوم منتصبًا. أخيرًا رآنى أقف عند المدخل فقال بهدوء تام:

- أخرجنى من هنا يا ميرلين. لقد صعقنى سخطهم. من المؤكد أنهم قد فاجأوا مرضى يتواقعون قبلاً. ثم درست ملامح شارلى براون. كانت تلبس تنورة قصيرة ضيقة من الواضح أنه لم يكن تحتها شىء. كانت تبدو مثل مومس طفلة. وجسد أوزانو الضخم المتفسخ. كان انفجار غضبهم، بلا وعى، ناتجًا عن منشأ جمالى، لا أخلاقى.

وقد لاحظنى الآخرون أيضًا الآن. فقلت للدكتور:

- سأقوم بإجراءات إخراجه وسأتحمل أنا المسئولية.

بدأ الدكتور بالاحتجاج، يكاد يكون متوسلاً، ثم عاد إلى المشرفة وقال:

- اجلبى له ملابسه. وزرق أوزانو حقنة وقال:

- ستجعلك هذه أكثر ارتياحًا أثناء الرحلة.

وكان ذلك بهذا اليسر. دفعت القائمة وأخرجت أوزانو. تلفنت لوكالة سيارات ليموزين، وأخذنا أوزانو إلى البيت. وضعته أنا وشارلى فى السرير فنام برهة ثم نادانى إلى غرفة النوم وأخبرنى بما كان جرى فى المستشفى. أنه كان قد جعل شارلى تتعرى وتدخل معه السرير لأنه كان يشعر على نحو بالغ السوء بحيث ظن نفسه سيموت.

أشاح أوزانو برأسه قليلاً. قال:

- أتدرى، إن أرهب شىء فى الحياة العصرية هى أننا جميعًا نموت بمفردنا فى السرير. فى المستشفى حيث كل أفراد عائلتنا حولنا، لا أحد يعرض دخول السرير مع المحتضر. لو كنت فى بيتك، فإن زوجتك لن تعرض أن تدخل السرير عندما تحتضر.

أدار أوزانو وجهه نحوى ومنحنى تلك الابتسامة العذبة التى كانت ترتسم أحيانًا على وجهه:

- وهكذا، فهذا حلمى. أريد شارلى معى فى الفراش عندما أحتضر، فى اللحظة إياها، وعندئذ أحس أننى حزت أفضلية، إنها لم تكن حياة سيئة وليست بالتأكيد نهاية سيئة. ورمزية كالجحيم، صحيح؟ مناسبة لروائى ولنقاده. قلت:

- متى يمكنك أن تعرف بتلك اللحظة الأخيرة؟. قال أوزانو:

- أظن الوقت قد حان. لا أظن حقا أننى سأنتظر بعد.

الآن، كنت مصعوقًا حقا ومرتعبًا. قلت:

- لمَ لا تنتظر يومًا؟ ستشعر أفضل غدًا. لا يزال عندك مزيد من الوقت. إن ستة أشهر ليست أمرًا سيئًا. فقال أوزانو:

- ألديك أية مخاوف بشأن ما سأفعل؟ التحفظات الأخلاقية المسبقة، المألوفة؟. فهززت رأسى:

- فقط لمَ العجلة؟.

نظر أوزانو إليَّ متأملاً. قال:

ـ كلا. تلك السقطة عندما حاولت الخروج من السرير أبلغتني الرسالة. اسمع. لقد سميتك وصيي الأدبي، إن قراراتك قطعية. لم يتبقَّ مال، مجرد حقوق نشر وهي تذهب إلى زوجاتي السابقات، فيما أظن، وأطفالي. لا تزال كتبي تباع جيداً. وهكذا فليس لي أن أقلق بشأنهم. لقد حاولت أن أفعل شيئًا لشارلي براون، ولكنها لا تسمح لي وأظنها ربما تكون محقة. فقلت شيئًا ما كنت لأقوله عادة:

ـ العاهرة ذات قلب الذهب. كما في الأدب تمامًا. أغلق أوزانو عينيه:

ـ أتدري، إن أحد الأمور التي أحببتها فيك أكثر من أي شيء آخر، يا ميرلين، هو أنك لم تلفظ أبدًا كلمة عاهرة، وربما كنت أنا قلتها، لكنني لم أفكر بها. فقلت:

ـ حسنًا. أتريدني أن أقوم ببعض الاتصالات الهاتفية أو هل تريد أن ترى بعض الناس؟ أو هل تريد أن تتناول شرابًا؟. فقال أوزانو:

ـ كلا. لقد نلت كفايتي من كل هذا الروث. إن عندي سبع زوجات، وتسعة أطفال. إن عندي ألفي صديق وملايين المعجبين. لا يستطيع أحد أن يساعدني ولا أريد أن أرى أي لعين منهم. وكشَّر نحوي:

ـ وانتبه: لقد عشت حياة سعيدة. وهزَّ رأسه:

ـ إن الناس الذين تحبهم أكثر من غيرهم يصيبونك بالجنون.

جلست قرب السرير وتحدثنا ساعات عن الكتب المختلفة التي قرأناها. حدثني عن كل النساء اللائي مارس معهن الحب، وحاول أوزانو، لبضع دقائق، أن يتذكر قبل خمس عشرة سنة، الفتاة التي أصابته. ولكنه لم يستطع اقتفاء الأثر، فقال:

ـ شيء واحد، كن جميعًا حسناوات. كن جميعًا جديرات. آه، إلى الجحيم، ما الفرق؟ إن ذلك كله حدث طارئ.

مدَّ أوزانو يدًا فصافحتها وضغطت عليها وقال أوزانو:

- قل لشارلى أن تأتى إلى هنا وانتظر أنت فى الخارج. وقبل أن أنصرف، صاح من ورائى:

- هَىْ، اسمع. إن حياة الفنان ليست بالحياة المنجزة. اكتب ذلك على لوح قبرى اللعين.

انتظرت وقتًا طويلاً فى غرفة المعيشة. كان يمكننى أن أسمع فى بعض الأحيان صخبًا وتصورت مرة أننى سمعت بكاء ثم لم أسمع شيئًا. ذهبت إلى المطبخ وأعددت بعض القهوة ووضعت قدحين على طاولة المطبخ. ثم دخلت غرفة المعيشة وانتظرت أيضًا. ثم لا صرخة، ولا طلب مساعدة، ولا حتى محزونًا، سمعت صوت شارلى، عذبًا وواضحًا جدا، ينادى اسمى.

دخلت غرفة النوم. على طاولة الليل كانت العلبة التيفانى الذهبية التى كان يستخدمها للاحتفاظ فيها بأقراص بنسلينه. كانت مفتوحة وفارغة. كانت الأنوار موقدة، وكان أوزانو ممددًا على ظهره، عيناه تحدقان إلى السقف. حتى فى الموت كانت عيناه الخضراوان تبدوان وكأنهما تبرقان. مستكينًا تحت ذراعه، مضغوطًا على صدره، كان رأس شارلى الذهبى. كانت قد سحبت الأغطية إلى أعلى كى تغطى عريهما. قلت لها:

- سيتعين عليك أن تلبسى.

نهضت على أحد مرفقيها ومالت إلى جنب كى تقبِّل أوزانو فى فمه. ثم وقفت تحدق نحو الأدنى إليه وقتًا طويلاً. قلت:

- سيتعين عليك أن تلبسى وتغادرى. ستكون ثمة ضجة كبيرة وأظن ذلك أحد الأعمال التى كان أوزانو يريدنى أن أفعلها: إبقاءك خارج أية ضجة.

ثم ذهبت إلى غرفة المعيشة. انتظرت. أمكننى أن أسمع انطلاق الدُش، ثم ، بعد خمس عشرة دقيقة ، دخلتْ إلى غرفة المعيشة. قلت:

- لا تقلقى بشأن أى شىء. سأهتم بكل أمر. تقدمت نحوى ووضعت نفسها بين ذراعىَّ. كانت المرة الأولى التى أحس فيها بجسدها، فكان بمقدورى أن أفهم جزئيا

لماذا عشقها أوزانو هذا الوقت الطويل. كانت تنبعث منها رائحة طازجة نظيفة بشكل جميل. قالت شارلى:

ـ كنت الوحيد الذى أراد أن يراه. أنت وأنا. هل ستتلفن لى بعد الجنازة؟. قلت نعم، إننى سأفعل، ثم خرجتْ وتركتنى وحيداً مع أوزانو.

انتظرت حتى الصباح، ثم تلفنت للشرطة وأخبرتهم أننى قد وجدت أوزانو ميتًا. وأن من الواضح أنه قد انتحر. كنت تأملت برهة فى أن أخفى الانتحار، وأخفى علبة الأقراص. ولكن أوزانو ما كان ليهتم حتى لو كان بمقدورى أن أجعل الصحافة والسلطات يتعاونان. أخبرتهم كم كان أوزانو رجلاً مهمًا لكى تتهيأ سيارة إسعاف للتو. ثم تلفنت لمحامى أوزانو وعهدت له بمسئولية إعلام كل الزوجات وكل الأبناء. تلفنت لناشرى أوزانو لأننى كنت أدرى أنهم سيريدون أن يصدروا نشرة صحفية وينشروا إعلانًا فى النيويورك تايمز، للذكرى. لسبب ما أردت لأوزانو أن يحظى بذلك النوع من الاحترام.

كان لدى الشرطة ونائب المدعى العام فى المنطقة كومة من الأسئلة يسألونها كما لو كنت مشتبهًا بى فى القتل. ولكن ذلك سرعان ما انمسح تمامًا. يبدو أن أوزانو كان قد أرسل ملحوظة انتحار إلى ناشره يخبره أنه لن يكون قادرًا على تسليم روايته نظرًا لحقيقة أنه كان يخطط لقتل نفسه.

كان ثمة تشييع عظيم فى الهامبتونز (*) . جرى دفن أوزانو بحضور زوجاته السبع، وأطفاله التسعة، ونقاده الأدبيين من النيويورك تايمز، ومن مجلة استعراض نيويورك للكتب، ومن كوكنترى، ومن مجلة هارير والنيويوركر. جاء حمل حافلة من الناس مباشرة من محل إيلاين (**) فى نيويورك. كان أصدقاء أوزانو يصطحبون، وهم يعرفون أنه سيوافق، برميل جعة ومقصفًا محمولاً فى الحافلة. وصلوا سكارى للجنازة. لابد من أن أوزانو سيحس الابتهاج.

(*) Hamptons .

(**) Elane .

فى الأسابيع التالية كُتبت مئات الألوف من الكلمات عن أوزانو بوصفه الشخصية الأدبية الإيطالية العظيمة الأولى فى تاريخنا الثقافى. كان ذلك سيسبب إزعاجًا كبيرًا لأوزانو. ما كان ليعتبر نفسه أمريكيا/ إيطاليا. ولكن شيئًا واحدًا كان سيسعده. لقد قال كل النقاد إنه لو كان عاش حتى ينشر روايته قيد الكتابة فإنه كان سيفوز بالتأكيد بجائزة نوبل.

بعد تشييع أوزانو بأسبوع تلقيت اتصالاً هاتفيا من ناشره يطلب أن أذهب إلى الغداء فى الأسبوع التالى. فوافقت.

كانت دار نشر (أركانيا) تعتبر واحدة من دور النشر الراقية، الأدبية فى الأغلب، فى البلاد. وكان على قائمتها السوداء نصف دزينة من الفائزين بجائزة نوبل ودزينات من الفائزين ببوليتزر والفائزين بجوائز أدبية أخرى. كانت مشهورة بكونها أكثر اهتمامًا بالأدب منها بالأكثر مبيعًا. وكان يمكن أن يتصور المرء رئيس تحريرها، هنرى ستايلز، عميدًا لإحدى كليات أوكسفورد. ولكنه انكب على العمل بنشاطٍ مهنىٍّ مخلص. قال:

- يا سيد ميرلين، إننى معجب برواياتك كثيرًا جدا. أرجو أن نضيفك ذات يوم إلى قائمتنا. فقلت:

- لقد راجعت مواد أوزانو، بوصفى وصيه. فقال السيد ستايلز:

- حسنًا. قد تدرى أو لا تدرى، ما دامت هذه النهاية المالية لحياة السيد أوزانو، بأننا قد أعطيناه مقدمًا مائة ألف دولار على روايته قيد التحرير. وهكذا فلنا حق المطالبة الأول بذلك الكتاب. لا أريد إلا أن أتأكد من أنك تستوعب ذلك. قلت:

- بالتأكيد. وأنا أعرف أن رغبة أوزانو كانت أن تنشروها. لقد قمتم بعمل عظيم فى نشر كتبه.

كانت ثمة ابتسامة امتنان على وجه ستايلز. ارتخى فى مقعده. قال:

- إذن، فلا مشكلة هناك. أتصور أنك استعرضت ملاحظاته وأوراقه فوجدت المخطوطة. قلت:

ـ حسنًا، تلك هى المشكلة. لا توجد مخطوطة، لا توجد رواية، مجرد خمسمائة صفحة من الملاحظات.

ارتسمت نظرة مصعوقة، ومرتعبة على وجه ستايلز، ووراء ذلك المظهر عرفت كيف كان يفكر: كتاب لعينون، مقدمات من مائة ألف دولار، كل تلك السنوات وكل ما لديه هو ملاحظات! ولكنه عندئذ تمالك نفسه، فقال:

ـ أتعنى أنه لا توجد ولا ورقة من المخطوطة؟. فقلت:

ـ كلا. كنت أكذب. ولكنه لن يعرف. كان ثمة ست صفحات. قال ستايلز:

ـ حسنًا، ليس هذا شيئًا نفعله عادة، ولكن دور نشر أخرى قد فعلته. إننا ندرى أنك قد ساعدت السيد أوزانو ببعض مقالاته، تحت رءوس أقلامه، وأنك كنت تقلد أسلوبه على نحو جيد جدا. لابد من أن يكون ذلك سرًا، ولكن لِمَ لا تستطيع أن تكتب كتاب السيد أوزانو فى فترة ستة أشهر وتنشره تحت اسم السيد أوزانو؟ يمكننا أن نحقق قدرًا عظيمًا من المال. أنت تدرك أنه لا يمكن إظهار ذلك فى أى عقد بيننا، يمكننا أن نوقع عقدًا مستقلاً سخيا جدا لكتبك القادمة.

الآن، هو الذى أدهشنى. دار النشر الأكثر احترامًا فى أمريكا تفعل شيئًا لا يمكن أن تفعله إلا هوليود، أو فندق من فنادق فيجاس؟ لماذا كنت مدهوشًا، علىَّ اللعنة؟. أخبرت السيد ستايلز:

ـ كلا. بوصفى وصيه الأدبى لدى السلطة والصلاحية بأن أمنع نشر كتاب من تلك الملاحظات. إذا ما أردت أن تنشر الملاحظات ذاتها، فإننى سأمنح موافقتى. فقال السيد ستايلز:

ـ حسنًا، فكِّر فى الأمر. سنتحدث فى الأمر ثانية. فى هذه الأثناء، إنه لمن دواعى سرورى أننى قابلتك. وهزَّ رأسه بحزن:

ـ كان أوزانو عبقريا. يا للأسف.

لم أخبر السيد ستايلز قط أن أوزانو كان كتب بعض صفحات روايته، الصفحات الست الأولى. وكانت معها ملاحظة موجهة لى.

ميرلين:

هذه هى الصفحات الست من روايتى. إننى أعطيك إياها.

لنرَ ما يمكنك أن تفعل بها. انسَ الملاحظات، إنها هراء.

أوزانو

كنت قد قرأت الصفحات وقررت أن أحتفظ بها لنفسى. وعندما وصلت إلى البيت، قرأتها مرة أخرى ببطء شديد، كلمة كلمة.

استمع لى. سأخبرك الحقيقة عن حياة إنسان. سأخبرك الحقيقة عن حبه للنساء. إنه لا يكرههن أبدًا. إنك منذ الآن تظننى على الطريق الخطأ. ابق معى. حقا ، إننى أستاذ فى السحر.

أتظن أن بمقدور رجل أن يحب امرأة حقا ويخونها باستمرار؟ لا عليك بالناحية الجسدية، ولكن يخونها فى ذهنه، فى شِعر روحه بالذات. حسنًا، ليس ذلك يسيرًا، ولكن الرجال يفعلونه باستمرار.

أتريد أن تعرف كيف يمكن للنساء أن يحببنك؟ يطعمنك ذلك الحب عمدًا ليسممن جسدك وذهنك ببساطة لكى يحطمنك؟ وبسبب الحب العاطفى يخترن ألا يحببنك بعد أبدًا؟ وفى الوقت نفسه يربكنك بنشوةِ أبله؟ مستحيل؟ ذلك هو الجزء الهيِّن.

ولكن لا تهرب. فهذه ليست قصة حب.

سأجعلك تشعر بالجمال المؤلم لطفل، والصلابة الحيوانية للذكر المراهق، والكآبة المتلهفة الانتحارية للأنثى الشابة. وعندئذ (وهنا

الجزء الصعب) أريك كيف يدير الزمن الرجل والمرأة حول دائرة تامة وقد جرى تبادلهما في الجسد والروح.

وثمة بالطبع الحب الحقيقي. لا تبتعد! إنه موجود أو إنني أجعله موجودًا. فأنا لست أستاذًا في السحر عبثًا. أهو يستحق ما يكلفه؟ وماذا عن الإخلاص الجنسي؟ أهو ناجح؟ أهو الحب؟ أهو حتى إنساني، ذلك الهوى المنحرف لأن يكون المرء مع شخص واحد معين فقط؟ وإن لم ينجح ذلك، أفيبقى عندك بعدئذ مجال للمحاولة؟ أفيمكن أن ينجح على النحوين؟ بالطبع لا، ذلك يسير. ومع ذلك...

إن الحياة أمر هازل، وليس ثمة أكثر إضحاكًا من الحب مارًّا عبر العصور. ولكن أستاذ سحر حقيقيا يمكن أن يجعل مشاهديه يضحكون ويبكون في الوقت عينه. الموت مسألة أخرى. لن أقوم بالمزاح مع الموت. إنه خارج طاقتي. في موازاة الموت، الحب شأن متعب، وطفولي، مع أن الرجال يؤمنون بالحب أكثر منهم بالموت.

أنا متيقظ دائمًا للموت. إنه لا يضللني. إنني أميزه للتو. إنه يحب أن يأتي في ذراع تطويله الريفي التنكري، وهي ثؤلولة هزلية تنمو وتنمو فجأة؛ خالٌ مشعر يمد جذوره حتى العظم ذاته، أو يختفي وراء تورد لطيف خفيف لحمّي. ثم فجأة تظهر تلك الجمجمة المكشرة لتفاجئ الضحية. ولكن ليس أنا قطعًا. فأنا أنتظره. إنني أتخذ احتياطاتي.

النساء قصة أخرى. إن لهن سرا قويا. إنهن لا يأخذن الحب جديًّا، ولا يأخذنه أبدًا.

ولكن مرة أخرى، لا تبتعد. مرة أخرى، ليست هذه قصة حب. انس الحب. سأريك كل امتدادات القوة. أولاً حياة كاتب فقير

مكافح، حساس، موهوب، ربما عبقرى نوعًا ما حتى. سأريك الفنان يُركل حتى الإعياء من أجل فنه. ولماذا يستحق ذلك حقا. ثم سأعرضه مجرمًا ماكرًا وعنده كل وقت الدنيا. آه، أية بهجة يحسها الفنان الحقيقى عندما يصير، أخيرًا، محتالاً. إنها مكشوفة فى العراء الآن: كل طبيعته الجوهرية. لا مزيد من المزاح هنا وهناك عن شرفه. إن ابن العاهرة مخادع. متواطئ. عدو للمجتمع على المكشوف تمامًا بدلاً من الاختفاء وراء فرجه العارى المدعو فنا. أية راحة. أية متعة. يا للبهجة الماكرة. ثم كيف صار إنسانًا شريفًا مرة أخرى. إن كون المرء محتالاً لإجهادٌ مرعب.

ولكنه يساعدك على قبول المجتمع والغفران لإخوتك البشر. ما إن يتم عمل ذلك حتى لن يكون أحد محتالاً ما لم يكن محتاجًا إلى المال حقا.

ثم إلى واحدة من أكثر قصص النجاح فى تاريخ الأدب إثارة للدهشة. بواطن حيوات عمالقة ثقافتنا. ونغل واحد منهم بشكل خاص. العالم الراقى. وهكذا، فعندنا الآن العالم الفقير العبقرى المكافح، والعالم الملتوى وعالم الأدب الراقى. كل هذا ملفوف بكثير من الجنس، ببعض الأفكار المعقدة التى لن تنضرب على رأسك بها والتى قد تجدها حتى مثيرة للاهتمام وأخيرًا، إلى نهاية منتهية بكامل طاقتها فى هوليود مع بطلنا وهو يزدرد كل جوائزها، ومالها، وشهرتها، ونسائها الجميلات. و... لا تبتعد - لا تبتعد - كيف تستحيل جميعًا إلى رماد.

ليس هذا كافيًا؟ لقد سمعت بذلك كله من قبل؟ ولكن تذكر أننى أستاذ فى السحر. يمكننى أن أسوق هؤلاء البشر جميعًا أحياء. أستطيع أن أريك ما الذى يفكرون فيه حقا ويشعرون. ستبكى من

أجلهم، من أجلهم جميعًا. أعدك بهذا. أو ستضحك فقط. على أية حال، ستنال قسطًا كبيرًا من المرح، وتتعلم شيئًا عن الحياة، الأمر الذى لا فائدة كبيرة فيه.

آه، أعرف بمَ تفكر: ذلك النغل المتملق يحاول أن يجعلنا نقلب الصفحة. ولكن انتظر، إنها مجرد حكاية أريد أن أحكيها. ما الأذى؟ حتى لو كنت آخذها جديًّا، ليس عليك أن تفعل. تمتع فقط.

أريد أن أخبرك بقصة، لا حيلة أخرى عندى. أنا لا أرغب فى النجاح أو الشهرة أو المال. ولكن ذلك هيِّن، فإن أغلب الرجال، وأغلب النساء، لا يريدون، لا يريدون حقا. وحتى أفضل من ذلك، أنا لا أريد الحب. عندما كنت شابا، أخبرتنى بعض النساء أنهن يُحببننى من أجل أهدابى الطويلة. وقد صدقت. وبعدئذ كان السبب ظرفى. ثم قوتى ومالى. ثم موهبتى. ثم عقلى ، عميق.. حسنًا، يمكننى أن أعالج ذلك كله. إن المرأة الوحيدة التى تخيفنى هى التى تحبنى من أجل نفسى فقط. عندى خطط لها. عندى سموم وخناجر وقبور مظلمة فى كهوف لإخفاء رأسها. لا يمكن السماح لها بالحياة. خاصة إذا ما كانت مخلصة جنسيا ولا تكذب أبدًا وتضعنى دائمًا أمام كل شيء وكل شخص.

سيكون ثمة الكثير عن الحب فى هذا الكتاب، ولكنه ليس كتاب حب. إنه كتاب حرب. الحرب القديمة بين الرجال الذين هم أصدقاء حقيقيون. الحرب العظيمة الجديدة بين الرجال والنساء هى قصة قديمة بالتأكيد، ولكنها معروضة بشكل مكشوف الآن. يظن المحاربون من أجل (حرية المرأة) أن عندهم شيئًا جديدًا، ولكنها مجرد جيوشهم العائدة من تلال غوارهم. لقد كانت النساء الحلوات يصطدن الرجال بالكمائن دائمًا: عند مهودهن،

وفـي المطبخ، وغرفـة النوم، وعند قبور أطفالهن، أفـضل مكان لعدم سماع التماس الرحمة.

آه، حـسنًا، إنك تـظن أن عندى شكوى ضـد النسـاء، ولكننـى لم أكرهـهن أبدًا. وسيظهرن، بشرًا، خيرًا من الرجال، سترى. ولكن الحقيقة هى أن النسـاء فقط تمكنّ من أن يجعلننى غير سـعيد، وقد فعلن ذلك منذ المهد فما بعد. ولكن بمقدور بعض الرجـال أن يقولوا ذلك. ولا يوجد ما يمكن فعله.

يا للهدف الذى أعطيتـه هنا. أدرى ، أدرى ، كم يبدو عصـيا على المقـاومـة. ولكن الزم الحـذر. إننـى راوى قـصـص ذو حـيل. لست مـجرد واحـد من فنانيك سريعى العطب الحسـاسـين. ولقد اتخذت احتياطاتى. وما زالت عندى بعض المفاجآت مخبوءة.

ولكن يكفى. دعنى أشرع بالعمل. دعنى أبدأ ودعنى أنتهى.

وكانت تلك رواية أوزانو العظيمـة، الكتـاب الذى سيضـمن جائزة نوبل، ويسـتعيد عظمته. أتمنى لو أنه كان كتبه.

كـونـه كان فنانًا حجة عظيمًا، كما تبين هذه الصـفحات، كان أمرًا غير ذى ربط. أو ربما جـزء من عـبقريتـه. لقد أراد أن يشـارك عوالمه الداخلية مع العـالم الخارجى، كـان هذا كل مـا هناك. والآن أعطانى، بوصف ذلك مـزحتـه الأخيـرة، آخر صـفـحـاته. مـزحة لأننـا كنا كاتبين مـختلفين للغاية. كان سخيا للغاية. وأنا ـ كما أدركت الآن ، غير سخى بالمرة.

لم أكن أبدًا شـديد الإعـجـاب بعـمله. لا أدرى مـا إذا كنت أحـبـه حـقـا كإنسـان. ولكننى كنت أحـبه كاتبًا. وهكذا فقد قررت، ربما من أجل الحظ، ربما من أجل القوة، وربما لمجرد الأهمـية، أن أسـتـخـدم صـفـحـاته بوصـفـهـا صـفـحـاتى. كـان علىّ أن أبدل سطرًا واحدًا. فقد طالما فاجأنى الموت.

لا تـاريخ لـدىَّ. هذا هو الشىء الذى لم تفـهمـه جانيل أبدًا. أننى بدأت بنفسـى. أنه لا أجداد عندى ولا أبوين، لا أعمـام ولا خـالات، لا أصدقـاء عائلة ولا أولاد عمـومـة. أنه ليس عندى ذكـريات طفـولة عن أى بيت خـاص، أو مطبخ خـاص. أنه ليس عندى أية مـدينة أو بلدة أو قـرية. أننى بدأت تاريـخى بنفسـى وبأخى، آرتى. وأننى عندما وسَّعت نفسـى بفـاليرى والأطفال وعائلتـها وعشت معـهـا فى بيت بالمدينة، عندمـا صـرت والدًا وزوجًا، صـاروا واقعى وخـلاصى. ولكن ليس علىَّ أن أقلق بشـأن جانيل بعـد. لم أرها منذ أكثر من سنتين، وقد مضت ثلاث سنوات على وفاة أوزانو.

لا أستطيع أن أتحمل ما يخص آرتى، وعندمـا أفكر مجرد تفكير باسمـه، أجد الدموع تتدفق من عينىَّ، ولكنه الشخص الوحيد الذى بكيته.

لقد كنت أجلس طوال السنتين الماضيتين فى مكتب عمل ببيتى، أقرأ، وأكتب، وأصير الأب الكامل والزوج الكامل. فى بعض الأحيان أذهب إلى العشاء مع أصدقاء، ولكننى أحب أن أفكر أننى قد صرت أخيرًا جدِّيًّا، ومخلصًا. أننى سأحيا الآن حياة دارس. أن مغامراتى انتهت. باختصار، إننى أصلى كى لا تنطوى الحياة على مفاجآت أخـرى. مـأمـونًا فى هذه الغـرفـة، ومـحـاطًا بكـتـبى السـحـرية: أوستن، وديكنز، ودوستـويفسكى، وجـويس، وهمـينجـواى، ودرايزر، و ، أخـيـرًا ، أوزانـو، أحس إرهاق حيوان كان قد هرب عدة مرات قبل أن يصل سماءه.

تحـتى فـى البـيت إلى أسـفل، البـيت الذى هـو تاريخـى الآن، أعـرف أن زوجـتى مشغولة فى المطبخ تعد عشاء الأحد. كان أطفالى يشاهدون التليفزيون ويلعبون الورق فى الوكر، ولأننى كنت أدرى أنهم هناك، فقد كان الحزن محتملاً فى هذه الغرفة.

قرأت كل كتب أوزانو مرة أخرى، وكان كاتبًا عظيمًا فى البداية. حاولت أن أحلل فشله فى حياته التالية وعدم قدرته على إنجاز روايته العظيمة. لقد انطلق مندهشًا بأعاجيب العالم من حوله والناس الذين فيه. وقد انتهى يكتب عن أعاجيب نفسه. كان اهتمامه، كما يمكنك أن ترى، منصبا على خلق أسطورة من حياته الخاصة. كان يكتب للعالم أكثر مما يكتب لنفسه. فى كل سطر كان يصرخ من أجل الانتباه لأوزانو أكثر مما لفنه. كان يريد أن يعرف الجميع كم كان حاذقًا، وكم كان ذكيا. وأنه حتى تأكد من أن الشخصيات التى خلقها لن تحصل على إقرار بألمعيته. كان مثل متكلم من البطن يصير غيوراً من دميته بسبب الضحكات التى تفوز بها. وكان ذلك شائنًا. ومع ذلك فأنا أفكر فيه بوصفه رجلاً عظيماً. إنسانيته المرعبة، وحبه المرعب للحياة، كم كان ألمعيا وكم كان رائعًا للمرء أن يكون معه.

كيف يمكن أن أقول إنه كان فنانًا أصابه الضعف عندما تبدو إنجازاته، رغم كونها متصدعة، أعظم بكثير من إنجازاتى؟ أتذكر استعراضى لأوراقه، بوصفى وصيه الأدبى، والدهشة التى راحت تغمرنى عندما لم أتمكن أن أجد أثرًا من روايته قيد الإنجاز. لم أستطع أن أصدق أنه كان زائفًا إلى هذا الحد، وأنه كان يتظاهر بأنه كان يكتب طوال تلك السنوات بينما لم يكن إلا يعبث بالملاحظات. الآن أدركت أنه قد احترق. وذلك الجزء من النكتة لم يكن نكتة حقوداً ولا ماكرة، وإنما - ببساطة - نكتة سرِّته. والمال.

لقد كتب بعض أفضل النثر، وخلق بعض أقوى الأفكار، فى جيله، ولكنه كان يبتهج فى كونه فضائحيا. قرأت كل ملحوظاته، أكثر من خمسمائة صفحة منها على صفحات صُفر طويلات. كانت ملحوظات لمّاحة. ولكن الملحوظات لا شىء.

وجعلتنى معرفة ذلك أفكر فى نفسى. أننى قد كتبت كتبًا فانية. ولكننى، محظوظًا أكثر من أوزانو، حاولت أن أعيش بلا أوهام وبلا مجازفة. إننى لم يكن عندى أىٌ من حبه للحياة وإيمانه بها. فكرت فى أوزانو يقول إن الحياة كانت دائمًا تسعى إلى أن تجنن المرء. وربما كان هذا هو السبب فى كونه عاش بتلك الوحشية، وكافح بذلك الجهد ضد الصفعات والإذلالات.

قبل زمن طويل سحب جوردان زناد المسدس على رأسه. وقد عاش أوزانو الحياة ملآى، وأنهى تلك الحياة عندما لم يكن ثمة خيار آخر. وأنا، حاولت أن أهرب لابسًا قبعة سحرية مخروطية. فكرت فى شيء آخر كان أوزانو قد قاله: إن الحياة لتعترض الطريق على الدوام. وعرفت ما كان يعنى. إن الحياة بالنسبة للكاتب تشبه واحدًا من تلك الأشباح الشاحبة التى تصير، مع تقدم العمر، أشحب وأشحب، وربما كان هذا هو السبب فى أن أوزانو قد تخلى عن الكتابة.

كان الجليد يساقط ثقيلاً خارج نوافذ غرفة عملى. كان البياض يغطى جذوع الأشجار الرمادية الجرداء، والبنيةَ والخضرةَ الباليتين لعشب الشتاء. لو أننى كنت عاطفيًا ومستسلمًا جدا، لكان يسيرًا أن أستحضر وجهى أوزانو وآرتى وهما ينجرفان مبتسمين عبر نُدف الجليد المدوَّمة هذه. ولكن هذا ما رفضت فعله. لم أكن عاطفيا إلى هذا الحد ولا مطلقًا لأهوائى العنان بهذا المقدار ولا مشفقًا على الذات إلى هذا المدى. كان بمقدورى أن أحيا من دونهما. لن يضعف قدرتى موتهما، كما ربما كانا يأملان أن يفعل.

كلا، لقد كنت فى أمان هنا فى غرفة عملى. دافئًا مثل خبز محمص. فى أمان من الريح الثائرة التى كانت تقذف ندف الجليد على نافذتى. لن أغادر هذه الغرفة، هذا الشتاء.

فى الخارج، كانت الطرق مثلجة، وكان بمقدور سيارتى أن تزلق وبمقدور الموت أن يهرسنى. كان يمكن لإصابات زكام مسممة فيروسية أن تحدث التهابًا فى عمودى الفقرى وفى دمى. أوه، كان ثمة مخاطر لا تحصى إلى جانب الموت. ولم أكن غير مدرك للجواسيس الذين يمكن للموت أن يدسهم إلى المنزل وحتى إلى دماغى أنا. لقد أقمت دفاعات ضدهم.

كانت لى رسوم بيانية منصوبة على حيطان غرفتى. رسوم بيانية لعملى، لخلاصى، لدروعى. كنت قد أجريت بحثًا لرواية عن الإمبراطورية الرومانية كى أنسحب إلى الماضى. وأجريت بحثًا لرواية تقع فى القرن الخامس والعشرين إذا ما أردت أن أختبئ فى المستقبل. مئات الكتب مصفوفة كى تقرأ، لتحيط بذهنى.

سحبت كرسيا كبيراً لينًا إلى النوافذ كى أتمكن من مشاهدة الجليد المتساقط مرتاحًا. رن الجرس من المطبخ. كان العشاء جاهزًا. ستكون عائلتى فى انتظارى، زوجتى وأطفالى. ما الذى كان يحدث لهم بحق الجحيم بعد كل هذا الزمن؟ راقبت الجليد، الذى صار عاصفة جليدية الآن. كان العالم الخارجى أبيض تمامًا. رن الجرس ثانية، بإلحاح. لو أننى كنت حيا، فإننى سأنهض وأنزل إلى غرفة الطعام البهيجة وأتناول عشاءً سعيداً. راقبت الجليد. مرة أخرى رن الجرس.

دقّقت مخطط العمل. كنت كتبت الفصل الأول من رواية الإمبراطورية الرومانية وعشر صفحات من الملاحظات للرواية المتعلقة بالقرن الخامس والعشرين. فى تلك الدقيقة قررت أننى سأكتب عن المستقبل.

مرة أخرى رن الجرس، طويلاً وبإلحاح. أقفلت أبواب غرفة عملى ونزلت إلى البيت ومنه إلى غرفة الطعام، وما إن دخلتها أطلقت تنهدة ارتياح.

كانوا جميعًا هناك. الأطفال وقد كبروا تقريبًا وجاهزون للرحيل. فاليرى بديعة فى لباس منزل وصدرية وشعرها البنى المحبوب مشدود بقسوة إلى وراء. كانت محمرة الخدين، ربما من حرارة المطبخ، وربما لأنها ستخرج بعد العشاء لملاقاة عشيقها؟ أكان ذلك ممكنًا؟ لا وسيلة عندى لمعرفة الأمر. وحتى إن كان كذلك، أفليست الحياة جديرة بصيانتها؟

جلست عند رأس المائدة. تمازحت مع الأطفال. أكلت. ابتسمت لفاليرى وامتدحت الطعام. بعد العشاء سأذهب عائداً إلى غرفتى وأشتغل وأعمل وأكون حيا.

يا أوزانو، مالومار، أرتى، جوردان، إننى أفتقدكم. ولكنهم لن يوقعونى فى الجنون. كل أحبائى حول هذه المائدة قد يفعلون ذات يوم، وعلىَّ أن أقلق بشأن ذلك.

أثناء العشاء تلقيت مكالمة من كولى كى ألاقيه فى المطار فى اليوم التالى. كان قادمًا إلى نيويورك فى عمل. كانت تلك المرة الأولى خلال أكثر من سنة التى أسمع فيها من كولى، وعرفت من صوته أنه كان فى ورطة.

كنت مبكراً على طائرة كولى، ولذلك فقد اشتريت بعض المجلات وقرأتها، ثم تناولت قهوة وشطيرة. وعندما سمعت الإعلان عن هبوط طائرته، هبطت إلى منطقة الأمتعة حيث كنت أنتظره دائماً. وكما هو مألوف فى نيويورك، استغرق نزول الأمتعة من قناة التفريغ نحو عشرين دقيقة. فى هذه الأثناء كان أغلب المسافرين يتحركون ملتفين حول الشريط الناقل الذى كانت القناة تفرغ الأمتعة إليه، ولكننى كنت لا أرى كولى بعد. بقيت أفتش عنه. بدأ الحشد يخف، وبعد برهة لم يعد ثمة إلا قليل من الحقائب على الشريط الناقل.

تلفنت للبيت وسألت فاليرى إن كانت وصلت أية مكالمة هاتفية من كولى، فأجابت بلا. ثم تلفنتُ لاستعلامات رحلة (طيران عبر العالم) وسألت إن كان كولى كروس قد كان على الطائرة. أخبرونى بأنه أجرى حجزاً ولكنه لم يظهر. تلفنت فندق كسانادو فى فيجاس وكلمت سكرتيرة كولى. قالت نعم، إنها بقدر ما تعرف، قد طار إلى نيويورك. كانت تعرف أنه لم يكن فى فيجاس وأنه ليس منتظراً أن يعود قبل بضعة أيام. لم أقلق. قدرت أن شيئًا لابد قد وقع. لقد كان كولى على الدوام يطير إلى كل أنحاء الولايات المتحدة والعالم فى أعمال فندقية. لابد من أن طارئًا حصل فى آخر دقيقة جعله يغير طريقه وكنت متأكداً أنه سيتصل بى. ولكن عميقًا فى ذهنى كان ثمة وعى ينق بأنه لم يسبق له أن زرعنى من قبل، وأنه كان يخبرنى دائماً بتغيير خططه وأنه كان، بطريقته الخاصة، شديد الملاحظة بحيث لا يتركنى أذهب إلى المطار وأنتظره ساعات عندما لا يكون قادماً. ومع ذلك فقد استغرقنى نحو أسبوع من عدم السماع منه وعجزى عن اكتشاف مكانه قبل أن أتلفن إلى غرونيفيلت.

كان غرونيفيلت مسروراً لسماعه منى. بدا صوته قويا جدا، وسالمًا جدا. أخبرته بالقصة وسألته أين يمكن أن يكون كولى وأخبرته أننى فكرت فى أية حال أننى ينبغى أن أُشعره. قال غرونيفيلت:

- ليس هذا بالأمر الذى أستطيع أن أتكلم عنه على التليفون. ولكن لمَ لا تأتى لبضعة أيام فتكون ضيفى هنا فى الفندق وأريح ذهنك؟.

- ٥٢ -

عندما تلقى كولى استدعاء إلى جناح غرونيفيلت الإدارى، أجرى اتصالاً بميرلين.

كان كولى يعرف ما يريد غرونيفيلت أن يراه من أجله، وكان يعرف أيضًا أن عليه أن يبدأ التفكير فى بوبب هروب. على الهاتف أخبر ميرلين أنه سيأخذ طائرة الصباح التالى إلى نيويورك وطلب من ميرلين ملاقاته. وأخبر ميرلين أن ذلك مهم جدا، وأنه يحتاج إلى مساعدته.

عندما مضى كولى أخيرًا إلى جناح غرونيفيلت، حاول أن يقرأ غرونيفيلت، ولكن كل ما أمكنه أن يراه هو كم تغير الرجل خلال السنوات العشر التى عمل أثناءها له. لقد خلفت الجلطة القلبية التى عانى منها غرونيفيلت عروقًا حمراء دقيقة فى بياض عينيه، على خديه، وحتى على جبينه. وبدت العينان الزرقاوان القديمتان مجمدتين. لم يبد طويلاً جدا، وكان أكثر هشاشة. رغم هذا كله، كان كولى لا يزال يخشاه.

كالعادة، جعل غرونيفيلت كولى يعد لهما معًا شرابًا، الويسكى المعتاد. ثم قال غرونيفيلت:

- سيطير جونى سانتاديو واصلاً إلى هنا فى الصباح. لا يريد إلا أن يعرف شيئًا واحدًا. هل ستوافق هيئة المقامرة على إجازته بوصفه أحد مالكى هذا الفندق أم لا؟. قال كولى:

- إنك تعرف الجواب. قال غرونيفيلت:

- أنا أعرفه. أدرى ما قلته لجونى، إن الموافقة أكيدة. ولكن الأمر أقفل تمامًا. أعرف ذلك كله. فقال كولى:

ـ لن يحصل عليها. لم أستطع تدبرها. فهز غرونيفيلت رأسه:

ـ لقد كان تفسيراً فظا لكلمة امض، آخذين بنظر الاعتبار خلفية جونى. ماذا عن مائة ألف دولاره؟. قال كولى:

ـ إننى محتفظ له بها فى الصندوق. يمكنه أن يأخذها متى ما يريد. قال غرونيفيلت:

ـ جيد. جيد. سيسر بذلك.

اتكأ كلاهما إلى الوراء ورشفا شرابيهما. كانا يتهيئان كلاهما للمعركة الحقيقية، السؤال الحقيقى. ثم قال غرونيفيلت ببطء:

ـ أنت وأنا نعرف لماذا يقوم جونى برحلة خاصة إلى هنا فى فيجاس. لقد وعدته بأن بمقدورك أن تتدبر الأمر بحيث يصدر القاضى بريانكا حكمًا معلقًا على ابن أخيه فى تهمة التزوير وضريبة الدخل تلك. بالأمس تلقى ابن أخيه حكمًا يصل إلى خمس سنوات. أرجو أن يكون لديك جواب على هذه المسألة. قال كولى:

ـ لا جواب لدىّ. لقد أعطيت القاضى بريانكا الأربعين ألفًا التى أعطانيها السيد سانتاديو. كان ذلك كل ما بوسعى أن أفعله. هذه المرة الأولى التى خيبنى فيها القاضى بريانكا. ربما أمكننى أن أسترد المال منه. لا أدرى. لقد كنت أحاول أن أتصل به، ولكننى أظنه يتفادانى. قال غرونيفيلت:

ـ أنت تعرف أن لدى جونى الكثير مما يقوله بشأن ما يجرى فى هذا الفندق، وإذا ما قال إن من المهم أن أدعك ترحل، فسيتعين علىّ أن أصرفك. أنت تعرف، يا كولى، أننى لست فى وضع قوتى السابق منذ أصابتنى تلك الجلطة. فضحك كولى:

ـ اللعنة، إننى حتى غير قلق بشأن فصلى. إننى قلق فقط خوفًا من القتل. قال غرونيفيلت:

ـ أوه، لا، لا! ليس الأمر بتلك الخطورة. وابتسم نحو كولى كما يمكن لوالد أن يبتسم لولده:

- أظننت حقا أن الأمر بتلك الخطورة؟.

للمرة الأولى ارتخى كولى ورشف جرعة كبيرة من الويسكى. أحس ارتياحًا عظيمًا. قال:

- سأسلم بتلك الصفقة منذ الآن، أن أفصل فقط.

ضربه غرونيفيلت خفيفًا على ظهره، وقال:

- لا تسلم بهذه السرعة. إن جونى يعرف بالعمل العظيم الذى قمت به من أجل هذا الفندق فى السنتين الأخيرتين منذ جلطتى. لقد قمت بعمل مذهل. لقد أضفت ملايين الدولارات إلى العائد المنصبِّ هنا. ثم إنك ارتكبت غلطتين. الآن، على أن أعترف أنهم ناقمون جدا، خاصة بشأن ذهاب ابن الأخ إلى السجن وبالأخص لأنك قلت لهم ألا يقلقوا. إن لديك السلطة التامة على القاضى بريانكا. إنهم لم يستطيعوا أن يفهموا كيف أمكنك أن تقول شيئًا كهذا ثم لا يتحقق لهم.

هزَّ كولى رأسه، وقال:

- لا أستطيع حقا أن أفهم ذلك. لقد كان بريانكا فى جيبى طوال السنوات الخمس الماضية، وخاصة عندما جعلت تلك الشقراء الصغيرة شارلى تعمل عليه. فضحك غرونيفيلت:

- نعم، أتذكرها. فتاة بديعة. قلب طيب. قال كولى:

- نعم. كان القاضى مجنونًا بها. لقد اعتاد أن يأخذها على يخته إلى المكسيك لصيد السمك مدة أسبوع فى كل مرة. كان يقول إنها رفقة رائعة على الدوام. فتاة صغيرة ممتازة.

وما لم يقله كولى لغرونيفيلت هو كيف أن شارلى اعتادت أن تقص عليه قصصًا عن القاضى. كيف كانت تذهب إلى حجرة القاضى فى المحكمة وتنكب ، وهو فى روبه الرسمى لا يزال ، عليه قبل أن يخرج ليدير محاكمة. ابتسم كولى قليلاً، متذكرًا، ثم وعى أن غرونيفيلت كان يواصل. قال غرونيفيلت:

ـ أظن لدىَّ طريقة لك تمكنك من معادلة وضعك. علىَّ أن أعترف أن سانتاديو حامى الرأس. إنه يغلى، ولكن بمقدورى أن أبرده. كل ما عليك أن تفعله هو أن تخرج سالمًا محققًا عملاً حاسمًا كبيرًا، الآن بالضبط، وأظننى أمتلكه. ثمة ثلاثة ملايين أخرى تنتظر فى اليابان. إن حصة جونى من ذلك مليون دولار. إذا أمكنك أن تجلب المبلغ، كما فعلت مرة من قبل، فإننى أظن أن جونى سيسامحك لقاء مليون دولار. ولكن تذكر هذا فقط: إن الأمر أخطر الآن.

فوجئ كولى، ثم تيقظ تمامًا. كان السؤال الأول الذى ألقاه هو:

ـ أسيعرف السيد سانتاديو أننى ذاهب؟. ولو كان غرونيفيلت قال نعم، لكان كولى قد رد الصفقة. ولكن غرونيفيلت قال، وهو ينظر إليه فى عينه مباشرة:

ـ إنها فكرتى، واقتراحى لك هو ألا تخبر أحدًا، لا أحد، بأنك ذاهب. خذ رحلة العصر إلى لوس أنجلوس، تعلق بالرحلة اليابانية وستصير فى اليابان قبل أن يصل جونى إلى هنا ثم عندئذ سأكتفى بأن أخبره بأنك خارج المدينة. عندما تكون فى الطريق، سأقوم بكل الإجراءات اللازمة لتسليمك المال. لا تقلق بشأن الغرباء لأننا نمضى عبر صديقنا القديم فوميرو. وكان ذكر اسم فوميرو هو ما أذاب كل شكوك كولى. قال:

ـ حسنًا. سأفعل ذلك. الأمر الوحيد هو أننى كنت ذاهبًا إلى نيويورك كى أرى ميرلين، وسيقابلنى عند الطائرة، وهكذا فعلىَّ أن أتلفن له. قال غرونيفيلت:

ـ لا. إنك لا تدرى من ربما يكون يستمع على الهاتف أو من الذى سيخبره. دعنى أعالج ذلك. سأخبره بألا يقابلك على الطائرة. وحتى لا تلغ حجزك. سيضلل ذلك الناس عن الطريق. سأخبر جونى بأنك ذهبت إلى نيويورك. سيكون لك غطاء جيد. حسن؟. قال كولى:

ـ حسن.

صافحه غرونيفيلت وضربه على الكتف، وقال:

- ادخل واخرج بأسرع ما يمكنك، إذا ما جئت به إلى هنا فإننى أعدك بأنك ستتعادل مع جونى سانتاديو. لن يكون عندك ما تقلق بشأنه.

فى الليلة التى سبقت مغادرة كولى إلى اليابان تلفن لفتاتين كان يعرفهما. مومستين محدودتى النشاط. كانت إحداهما زوجة رئيس ركن فى فندق أدنى الشريط. كان اسمها كريستن ليسو. قال:

- يا كريستن، أأنت فى مزاج تحبين معه أن تُجلدى. فقالت كريستن:

- بالتأكيد. كم ستشطب من معداداتى؟.

كان كولى يضاعف الأجر عادة عند الجلد، مما كان يعنى مائتى دولار. وفكر، ثم ماذا؟ إننى ذاهب إلى اليابان، ومن يدرى ما الذى سيقع؟ قال كولى:

- سأشطب خمسمائة.

كان ثمة شهقة صغيرة على الجانب الآخر من السلك. قالت كريستن:

- يا للمسيح. لابد من أن هذا سيكون جلداً حقيقيا. من الذى سأدخل معه الحلبة، أهو غوريلا ما؟. فقال كولى:

- لا تقلقى. لقد كنت تنالين وقتًا طيبًا على الدوام، أليس كذلك؟. فقالت كريستن:

- متى؟. قال كولى:

- فلنجعل ذلك مبكراً. علىَّ أن ألحق طائرة صباح الغد. أهذا يناسبك؟. قالت كريستن:

- بالتأكيد. أتصور أنك لن تعطينى عشاء؟. قال كولى:

- كلا. إن عندى كثيراً من الأشياء أفعلها. لن يتاح لى الوقت.

بعد أن أغلق الهاتف، فتح كولى جرار المكتب وأخرج رزمة من قصاصات بيضاء: كانت معدادات كريستن، يبلغ مجموعها ثلاثة آلاف دولار.

تأمل كولى فى غموض النساء. كانت كريستن فتاة حسنة المظهر فى حوالى الثامنة والعشرين ولكنها مقامرة مدمنة حقا. كانت قد تورطت فى مديونية أكثر من عشرين ألف دولار قبل سنتين. كانت قد تلفنت لكولى طالبة موعداً فى مكتبه، وعندما دخلت، قدمت له اقتراحاً بأن تشتغل مومساً حتى تمسح العشرين ألفًا. ولكنها لن تقبل المواعيد إلا من كولى مباشرة بأقصى سرية، بسبب زوجها.

كان كولى قد حاول إقناعها بالانصراف عن الفكرة. قال:

- لو عرف زوجك، فإنه سيقتلك. فقالت كريستن:

- لو أنه عرف بشأن معداداتى البالغة عشرين ألف دولار سيقتلنى. فما الفرق إذن؟ وبالإضافة إلى ذلك، فأنت تعرف أننى لا أستطيع الكف عن القمار وأظن أنه، فوق الأجر الذى أستطيع أن آخذه، يمكننى أن أجعل هؤلاء الرجال يعطوننى نفحة أو يقدمون لى فى الأقل مبلغًا أراهن به.

وهكذا فقد وافق كولى. وبالإضافة، فقد أعطاها عملاً كسكرتيرة لمسئول الطعام والشراب فى فندق كسانادو. كان قد انجذب إليها، فكانا يذهبان مرة فى الأسبوع على الأقل إلى الفراش معًا فى العصارى فى جناحه بالفندق. بعد فترة عرفها على الجلد وقد أحبته.

سحب كولى واحداً من معدادات الخمسمائة دولار ومزقه. ثم بعد هاجس مفاجئ مزق كل معدادات كريستن وألقى بها فى سلة مهملاته. عندما يعود من اليابان، سيتعين عليه أن يغطيها ببعض العمل الورقى، ولكنه سيفكر فى ذلك فيما بعد. لقد كانت كريستن بنتًا طيبة. لو أن شيئًا جرى له، فإنه يريد لها أن تكون طليقة.

أمضى الوقت فى تنظيف الجزئيات على مكتبه ثم نزل إلى جناحه. طلب شمبانيا مثلجة وتلفن لشارلى براون.

ثم أخذ دشًا ولبس بيجامته. كانت بيجاما بالغة التزويق. حرير أبيض، ومسجفة بالأحمر، مع الحروف الأولى من اسمه على جيب الجاكتة.

جاءت شارلى براون أولاً وأعطاها بعض الشمبانيا ثم جاءت كريستن. جلسوا معًا وجعلهما تشربان الزجاجة كلها قبل أن يقودهما إلى غرفة النوم.

كانت الفتاتان مستحيتين قليلاً إحداهما من الأخرى، مع أنهما سبق أن التقيتا هنا وهناك فى المدينة. أمرهما كولى أن تتعريا وخلع هو بيجامته.

دخل ثلاثتهم الفراش عراة جميعًا، وتحدث إليهما برهة. ممازحًا إياهما، منكتًا، ومقبلاً إياهما عرضيا ولاعبًا بأثدائهما. ثم ضغط، بذراع حول عنق كل منهما، فجمع وجهيهما معًا. عرفتا ما كان منتظرًا منهما. قبَّلت المرأتان إحداهما الأخرى، مختبرة، على الشفتين.

رفع كولى شارلى براون الأنحف، انزلق تحتها، بحيث صارت المرأتان إلى جنب بعضهما. أحس بجيشان الانفعال الجنسى.

أحس هدوءًا مفاجئًا وهو يراقب المرأتين تمارسان الغرام مع إحداهما الأخرى. كان ذلك بالنسبة له، مع كل سخريته القاسية عن النساء والحب، أجمل شىء يمكن أن يرجو مشاهدته. كان لكلتيهما جسد مشهٍّ ووجه بديع، وكانت كلتاهما عاطفيتين حقا كما لم تكونا معه قط. كان يستطيع أن يتفرج على ذلك إلى الأبد.

فيما واصلتا، نهض كولى عن السرير وجلس فى أحد المقاعد. كانت المرأتان تزدادان انفعالاً. راقب جسديهما يتدفقان فى الأنحاء ويعلو أحدهما الآخر أو ينزل عنه حتى كان ثمة ذروة عليا من التقلب العنيف وتمددت المرأتان بين ذراعى إحداهما الأخرى هادئتين ساكنتين.

مضى كولى إلى السرير وقبلهما برقة. ثم تمدد بينهما وقال:

- لا تفعلا شيئًا. لننم قليلاً فقط.

غفا، وعندما استيقظ، كانت المرأتان فى غرفة معيشته، لابستين وتهذران معًا.

أخرج خمسة أوراق من ذوات المائة دولار، خمسة زنابير عسل، من محفظته، وأعطاها لشارلى براون.

قبلته مودعة وتركته وحيداً مع كريستن.

جلس على الكنبة ووضع ذراعه حول كريستن. منحها قبلة رقيقة. قال:

ـ مزقت معداداتك. ليس عليك أن تقلقى بشأنها بعد اليوم، وسأخبر الصندوق بأن يعطيك ما قيمته خمسمائة دولار من الفيش كى تتمكنى من أن تلعبى قليلاً الليلة. فضحكت كريستن وقالت:

ـ يا كولى، لا أستطيع أن أصدق ذلك. لقد صرتَ أخيراً ضحية خداع. قال كولى:

ـ كل إنسان ضحية، ولكن ثم ماذا! لقد كنت رفيقة طيبة خلال هاتين السنتين الماضيتين. أريد أن أخرجك من الشص.

منحته كريستن عناقًا وارتخت على كتفه ثم قالت بهدوء:

ـ يا كولى، لماذا تسميه جلداً؟ أعنى، عندما تضعنى سوية مع فتاة ما؟. فضحك كولى:

ـ كل ما هنالك أننى أحب فكرة الكلمة. إنها تصف الأمر على نحو ما. قالت كريستن:

ـ إنك لا تحتقرنى من أجل ذلك، أتفعل؟. فقال كولى:

ـ كلا. إنه بالنسبة لى أجمل شىء رأيته.

عندما انصرفت كريستن، لم يستطع كولى النوم. أخيراً، نزل إلى الكازينو. وجد كريستن على مائدة البلاك جاك. كان أمامها كوم من فيش المائة دولار السوداء.

لوحت له كى يأتى إليها. منحته ابتسامة مبتهجة. قالت:

- يا كولى، هذه ليلة سعدى. إننى متقدمة باثنى عشر ألف دولار.

رفعت صفًا من الفيش ووضعته فى يده. قالت:

- هذه لك. أريدك أن تأخذها.

عدها كولى. كانت عشرًا منها. ألف دولار.

ضحك وقال:

- حسنًا. سأحتفظ بها لك، ستحتاجين ذات يوم إلى مال للمقامرة. وتركها وصعد إلى مكتبه ورمى الفيش فى أحد جرارات مكتبه. وفكر مرة أخرى بأن يتلفن لميرلين ولكنه قرر ضد ذلك.

نظر فى أطراف المكتب. لم يكن تبقى له شىء يفعله، ولكنه كان يحس كما لو أنه ينسى شيئًا. كما لو أنه عد تنازليا حاوية ورق تعوزها بعض الأوراق المهمة. ولكن الوقت كان متأخرًا جدا الآن. خلال ساعات قليلة سيصير فى لوس أنجلوس، ويركب الطائرة المتجهة إلى اليابان.

فى طوكيو أخذ كولى سيارة أجرة إلى مكتب فوميرو. كانت شوارع طوكيو مزدحمة، والعديد من الناس يضعون أقنعة شاش جراحية بيضاء تحرسهم من الهواء المثقل بالشوائب. حتى عمال البناء بجاكتاتهم الحمراء البراقة وخوذهم البيضاء كانوا يضعون أقنعة جراحية. لسبب ما كان منظرهم يعطى كولى إحساسًا مغثيًا. ولكنه أدرك أن ذلك سبب كونه عصبيا من الرحلة كلها.

حياه فوميرو بمصافحة قلبية وابتسامة عريضة. قال فوميرو:

- جيد جدًا أن أراك، يا سيد كروس. سنحرص أن تكون سفرتك جيدة، وقتًا طيبًا فى بلادنا. دع فقط مساعدى يعرف ما تطلب.

كانا فى مكتب فوميرو الحديث المصنوع على النمط الأمريكى، وكان بمقدورهما أن يتكلما بأمان. قال كولى:

- إن حقيبتى فى الفندق ولا أريد إلا أن أعرف متى ينبغى أن أجلبها إلى مكتبك.

قال فوميرو:

- الاثنين. ففى عطلة الأسبوع لا يمكن القيام بشىء. ولكن ثمة حفلة فى بيتى مساء الغد أنا متأكد أنك ستمتع نفسك فيها. قال كولى:

- أشكرك كثيراً جدا. ولكننى أريد أن أرتاح فقط. إننى لا أشعر بأننى على ما يرام تماماً، ولقد كانت رحلتى طويلة. قال فوميرو:

- آه، نعم، إننى أفهم. عندى فكرة جيدة. ثمة فندق ريفى فى يوغاوارا. إنه لا يبعد غير قيادة ساعة عن هنا. سأرسلك فى الليموزين خاصتى. إنها أجمل بقعة فى اليابان. هادئة ومريحة. عندك فتيات تدليك وسأرتب أن تلاقيك فتيات أخريات هناك. الطعام ممتاز. طعام يابانى، بالطبع. إنه المكان الذى يجلب إليه كل رجال اليابان الكبار عشيقاتهم فى إجازات قصيرة، وهو منعزل. يمكنك أن ترتاح هناك بلا أية هموم ويمكنك أن تعود يوم الاثنين نشطاً تماماً وسأكون قد هيأت لك المال.

فكر كولى فى الأمر. لن يكون فى خطر حتى يكون المال معه، ولقد راقت له فكرة الارتياح فى نزل ريفى.

قال لفوميرو:

- يبدو ذلك عظيماً. متى يمكنك أن تجعل الليموزين تأخذنى؟. قال فوميرو:

- ازدحام المرور فى مساء الجمعة رهيب. اذهب صباح الغد. ارتح جيداً الليلة وأثناء عطلة الأسبوع، وسأراك الاثنين.

وكعلامة تكريم خاص أوصله فوميرو من المكتب إلى المصعد.

استغرق الطريق أكثر من ساعة بالليموزين إلى يوغاوارا. ولكن عندما وصل كولى إلى هناك، سر لأنه قام بالرحلة. كان نزلاً ريفيا جميلاً، على النمط اليابانى.

كان جناح غرفه عظيماً. والخدم يطفون عبر القاعات كالأشباح، لا يكادون يُرون. ولم تكن ثمة علامة على وجود نزلاء آخرين.

فى إحدى الغرف كان ثمة حوض استحمام من الخشب الأحمر. وحوض الاستحمام نفسه مجهز بكل أنواع الشفرات ومحاليل الحلاقة ومواد تجميل النساء. كل ما قد يحتاجه أى امرئ.

ملأت فتاتان شابتان دقيقتان، لا تكادان تبلغان سن الزواج، حوضه وغسلتاه حتى النظافة قبل أن يدخل إلى الماء الساخن المعطر. كان الحوض من الضخامة بحيث كان يستطيع تقريبًا أن يسبح فيه. وعميقًا جدا بحيث كان الماء يوشك أن يرتفع فوق رأسه. أحس بالتعب والتوتر يغادران عظامه، ثم رفعته الفتاتان الصغيرتان أخيراً من الحوض وقادتاه إلى بساط فى الغرفة الأخرى. وتركهما تدلكانه، وهو ممدد، أصبعًا فأصبع، أصبع قدم فأصبع قدم، طرفًا فطرف، وما بدا وكأنه كل طاقة مفردة من شعر رأسه. كان ذلك أعظم تدليك ناله فى عمره.

أعطتاه فوتابا، وهى وسادة صغيرة صلبة مربعة ليريح رأسه عليها. فغرق فى النوم للتو. نام حتى وقت متأخر من العصر، ثم تمشى فى الريف.

كان النزل على سفح تل يطل على واد، وكان بمقدوره أن يرى المحيط، وراء الوادى، أزرق واسعًا صافيًا كالبلور. تمشى حول بحيرة جميلة مرصعة بالأزهار التى بدت تناظر مظلات متشابكة من البسط والأراجيح الشبكية على رواق النزل. أبهجته كل الألوان البراقة، وأنعش الهواء النقى الصافى ذهنه. لم يعد مهمومًا ولا متوترًا. لن يحدث شىء. سيأخذ المال من فوميرو، الذى هو صديق قديم. وعندما يصل هونج كونج ويودع المال، سيصفى حسابه مع سانتاديو فيمكنه أن يعود بأمان إلى لاس فيجاس. سينجح الأمر كله. سيصير فندق كسانادو له، سيعنى بغرونيفيلت كما ولدٌ بأبيه عند تقدم عمره.

تمنى للحظة لو أمكنه أن يقضى بقية حياته فى هذا الريف الجميل. الساكن الصافى إلى هذا الحد. الهادئ كما لو أنه كان يعيش قبل خمسمائة سنة. لم يسبق أن تمنى لو أنه كان ساموراييا، ولكنه فكر الآن كم كانت حروبهم بريئة.

كان الظلام قد بدأ يخيم، وراحت قطرات دقيقة من المطر تنقر سطح البحيرة. عاد إلى حجراته فى النزل.

لقد أحب نمط المعيشة اليابانى. لا أثاث. مجرد حشايا. الأبواب الورقية ذات الأطر الخشبية، المنزلقة، التى تفصل الغرف وتقلب غرفة معيشة إلى غرفة نوم. كانت تبدو له معقولة جدا وحاذقة جدا.

على بعد كبير كان بمقدوره أن يسمع جرسًا يدق مع قعقعات فضية، وبعد ذلك بدقائق انفرجت الأبواب الورقية ودخلت فتاتان شابتان، تحملان طبقًا بيضويا هائلاً يبلغ طوله نحو خمسة أقدام، يمكن أن يكون سطح مائدة. كان الطبق مليئًا بكل نوع من السمك يمكن للبحر أن يجهزه.

كان ثمة الحبار (*) الأسود والسمك ذو الذيل الأصفر، ومحار لؤلؤى، وسرطانات رمادية الأظهر، وقطع مرقطة من لحم السمك تشف عن لحم وردى مفعم حيوية تحتها. كان قوس قزح من الألوان، وكان ثمة من الطعام أكثر مما يستطيع خمسة رجال أن يأكلوه. نصبت المرأتان الطبق على مائدة خفيفة، ورتبتا له الوسائد كى يجلس عليها. ثم جلستا إلى كل من جانبيه وأخذتا تطعمانه لقمًا من السمك.

دخلت فتاة أخرى حاملة صينية من نبيذ الساكى وكئوسًا. صبت النبيذ ووضعت الكأس عند فمه كى يتمكن من الشرب.

كان ذلك كله لذيذًا. عندما انتهى كولى، وقف ينظر عبر النافذة إلى وادى أشجار الصنوبر والمحيط من ورائه. كان يمكنه أن يسمع وراءه النسوة يحملن الطعام والأبواب الخشبية الورقية تنغلق. كان وحيداً فى الغرفة، يحدق إلى البحر.

استعرض مرة أخرى كل شىء فى ذهنه، عاداً بشكل تنازلى حاوية الظروف والفرص. سيأخذ يوم الاثنين المال من فوميرو وسيركب الطائرة إلى هونج كونج وفى هونج كونج سيتعين عليه أن يصل إلى المصرف. حاول أن يفكر أين يمكن أن يكمن

(*) Squid حيوان رخوى رأسى الأرجل.

الخطر، إن كان ثمة من خطر. فكر فى غرونيفيلت. إن غرونيفيلت يمكن أن يخونه، أو سانتاديو، أو حتى فوميرو. لماذا خانه القاضى بريانكا؟ أيمكن أن يكون غرونيفيلت قد هندس ذلك؟ ثم تذكر ليلة كان يتناول فيها العشاء مع فوميرو وغرونيفيلت. كانا غير مرتاحين نوعًا ما لوجوده. أكان فى ذلك شيء ما؟ ورقة غير معروفة فى الحاوية؟ ولكن غرونيفيلت كان رجلاً مريضًا عجوزًا ويد سانتاديو الطويلة لا تبلغ الشرق الأقصى. وكان فوميرو صديقًا حميمًا.

ولكن كان ثمة دائمًا حظ سيئ. على أية حال، ستكون هذه مجازفته الأخيرة. وفى الأقل، سيكون له يوم آخر من السلام هنا فى يوغاوارا.

سمع الأبواب الخشبية الورقية تنفرج منفتحة وراءه. كانت الفتاتان الدقيقتان تقودانه ثانية إلى حوض الخشب الأحمر.

مرة أخرى غسلتاه. مرة أخرى غطستاه فى مياه الحوض المعطرة الواسعة.

انتقع، ومرة أخرى رفعتاه خارجًا وأنامتاه على البساط ووضعتا وسادة الفوتابا تحت رأسه. مرة أخرى دلكتاه أصبعًا فأصبعًا. والآن، وقد ارتاح تمامًا، أحس جيشان الرغبة الجنسية. مدّ يده نحو إحدى الفتاتين، ولكنها ردته بلطف بالغ بوجهها ويديها. ثم أشارت إلى أنها سترسل فتاة أخرى. أن ذلك لم يكن وظيفتهما. ثم رفع كولى أصبعين ليخبرهما أنه يريد فتاتين. قهقهتا معًا على ذلك، وتساءل ما إذا كانت الفتيات اليابانيات يتجالدن.

راقبهما تختفيان وتغلقان الأبواب المؤطرة وراءهما. غاص رأسه فى الوسادة المربعة الصغيرة. ارتخى جسده باغتلام. غفا فى نومة خفيفة. على البعد سمع انفراج الأبواب الورقية. فكر: آه، إنهما قادمتان. و- متطلعًا ليرى كيف كانتا تبدوان، وما إذا كانتا جميلتين، ماذا تلبسان - رفع رأسه فرأى لدهشته رجلين يغطى قناعا جراحين من الشاش وجهيهما، يقتربان منه.

فكر في البدء أن الفتاتين قد أساءتا الفهم. أنه، لكونه جاهلاً بشكل مضحك، قد طلب تدليكًا أشد. ثم أفزعه قناعا الشاش حتى الرعب. عبَرَ ذهنه إدراكُ أن هذه الأقنعة لم تكن تلبس في الريف. ثم قفز ذهنه إلى الحقيقة، ولكنه صرخ:

- لم آخذ المال. لم آخذ المال!. وحاول أن ينهض عن البساط، وكان الرجلان فوقه.

لم يكن موجعًا أو مرعبًا. بدا أنه يغوص ثانية تحت البحر، تحت المياه المعطرة لحوض الخشب الأحمر. غطت عينيه غشاوة. ثم صار هادئًا على البساط، ووسادة الفوتابا تحت رأسه.

لفَّ الرجلان جسده بالمناشف وحملاه بهدوء إلى خارج الغرفة.

على بعد كبير عبر المحيط، أدار غرونيفيلت أجهزة السيطرة لتضخ أوكسجينًا صافيًا إلى كازينوه.

الفصل الثامن

- ٥٣ -

وصلت فيجاس فى وقت متأخر من المساء ودعانى غرونيفيلت إلى تناول العشاء فى جناحه. تناولنا بعض كئوس الشراب ثم جلب النادل مائدة عليها العشاء الذى طلبناه. لاحظت أن طبق غرونيفيلت فيه كميات صغيرة جدا. بدا أسنَّ وأكثر خموداً. كان كولى قد أخبرنى بجلطته، ولكننى لم أستطع أن أرى أى دليل عليها غير أنه، ربما، كان يتحرك ببطء أكبر ويستغرق وقتًا أطول فى الإجابة علىَّ عندما يتكلم.

رمقت لوحة السيطرة وراء ظهره، التى كان يستخدمها لضخ الأوكسجين الخالص إلى الكازينو. قال غرونيفيلت:

- أخبرك كولى عن هذه؟ ما كان مفروضًا أن يفعل. فقلت:

- إن بعض الأشياء أجود من ألا تقال. ثم إن كولى يعرف أننى ما كنت لأنبع ذلك هنا وهناك.

ابتسم غرونيفيلت، وقال:

- صدِّق أو لا تصدق، إننى أستخدمها كعمل من أعمال الشفقة. إنها تمنح كل أولئك الخاسرين أملاً طفيفًا ومحاولة أخيرة قبل أن يذهبوا للنوم. إننى أكره التفكير بخاسرين يحاولون النوم. إننى لا أعبأ بالرابحين. يمكننى أن أعيش مع الحظ، المهارة هى ما لا أستطيع أن أهضمه. انظر، إنهم لا يستطيعون أن يدحروا النسب وأنا عندى النسب. ذلك صحيح فى الحياة كما هو صحيح فى المقامرة. إن النسبة لتطحن المرء إلى ذرات.

كان غرونيفيلت هائمًا، يفكر فى موته هو المقترب. قال:

- إن عليك أن تثرى فى الظلام. إن عليك أن تحيا مع النسب. انس الحظ، فذلك سحر خائن جدا. هززت رأسى موافقًا. بعد أن أنهينا طعامنا وكنا نشرب البراندى، قال غرونيفيلت:

- لا أريدك أن تقلق على كولي، ولذلك سأخبرك بما جرى له. أتتذكر تلك الرحلة التي قمت بها معه إلى طوكيو وهونج كونج لجلب ذلك المال؟ حسنًا، لأسباب تخصه هو قرر كولي أن يقوم بمحاولة أخرى عليها. لقد حذرته ضد ذلك. أخبرته أن النسب سيئة، وأنه كان محظوظًا في تلك السفرة الأولى. ولكن لأسباب تخصه، لا أستطيع أن أخبرك بها ولكنها كانت مهمة ونافذة، بالنسبة له في الأقل، قرر أن يمضي. قلت:

- كان لابد من أن تُصدر الموافقة. قال غرونيفيلت:

- نعم. كان في مصلحتي أن يذهب إلى هناك. فسألت غرونيفيلت:

- ما الذي حدث له إذن؟. قال غرونيفيلت:

- لا ندري. لقد أخذ المال في حقائبه المزخرفة، ثم اختفى، هكذا. إن.فوميرو يظن أنه في البرازيل أو كوستاريكا يعيش مثل ملك. ولكنك وأنا نعرف كولي خيرًا من ذلك. ليس بمقدوره أن يحيا في أي مكان عدا فيجاس. وسألت غرونيفيلت ثانية:

- ما الذي تظنه جرى إذن؟.

ابتسم غرونيفيلت نحوي:

- أتعرف قصيدة ييتس؟ إنها تبدأ، كما أظن، بالقول يرقد جند وبحارة كثر، بعيدًا عن السماوات المألوفة (*)، وذلك ما جرى لكولي. أفكر فيه ربما في إحدى تلك البحيرات الجميلة وراء بيت من بيوت الغيشا في اليابان ممددًا في القعر. ولكم كان ليكره ذلك. كان يريد أن يموت في فيجاس. قلت:

- أفعلت شيئًا بصدد ذلك؟ هل أخبرت الشرطة أو السلطات اليابانية؟. فقال غرونيفيلت:

- كلا. ليس ذلك ممكنًا، وأظن أنك لا ينبغي أن تفعل. فقلت:

- إن ما تقوله كاف جدا بالنسبة لي. قد يظهر كولي ذات يوم. ربما سيدخل الكازينو مع مالك كأن شيئًا لم يحدث أبدًا. قال غرونيفيلت:

(*) Yeates .

ـ هذا غير ممكن. أرجوك لا تفكر على هذا النحو. إننى أكره إن أحسستُ أننى تركتك ولديك بعض الأمل. تقبل الأمر فقط. فكر فيه بوصفه مقامراً آخر طحنته النسبة إلى ذرات، وتوقف ثم قال بنعومة:

ـ لقد أخطأ وهو يعدُّ الحاوية، وابتسم.

عرفت الآن جوابى. ما كان غرونيفيلت يخبرنى به حقا هو أن كولى قد أرسل فى مهمة هندسها غرونيفيلت وكان غرونيفيلت هو من صمم نهايتها الأخيرة. ولقد عرفت، وأنا أنظر إلى الرجل الآن، أنه فعل ذلك غير مدفوع بأية قسوة حاقدة، لا من أجل أية رغبة فى الانتقام، وإنما بسبب ما كان بالنسبة له أسباباً جيدة وقوية. أن الأمر كان بالنسبة له، ببساطة، جزء من شغله.

وهكذا فقد تصافحنا وقال غرونيفيلت:

ـ ابق بقدر ما تحب. كله مدفوع. فقلت:

ـ شكراً. ولكننى أظننى راحل غداً. قال غرونيفيلت:

ـ أستقامر الليلة؟. قلت:

ـ أظن ذلك. قليلاً فقط. قال غرونيفيلت:

ـ حسناً، أتمنى أن تكون محظوظاً.

قبل أن أغادر الغرفة، سار بى غرونيفيلت إلى الباب وضغط ضمة من فيش مائة دولار السوداء فى يدى. قال غرونيفيلت:

ـ كانت هذه فى مكتب كولى. إننى واثق من أنه كان ليود أن تأخذها من أجل محاولة أخيرة واحدة على المائدة. ربما كانت مالاً محظوظاً، وتوقف برهة:

ـ إننى آسف على كولى، إننى أفتقده. فقلت:

ـ وأنا أيضاً. وانصرفت.

- ٥٤ -

كان غرونيفيلت قد أعطانى جناحًا، غرفة المعيشة فيه مزينة بألوان بنية غامقة، وكانت الألوان أكثر من منسجمة حسب الأسلوب الفيجاسى المألوف. لم أحس رغبة فى المقامرة وكنت أكثر تعبًا من أن أذهب إلى السينما. عددت الفيش السوداء، إرثى من كولى. كان ثمة عشر منها، ألف دولار بالتمام. فكرت كم سيكون كولى سعيداً لو أننى حشرت الفيش فى حقيبة ملابسى وغادرت فيجاس دون أن أخسرها. فكرت أننى قد أفعل ذلك.

لم أستغرب ما حدث لكولى. لقد كان فى بذرة شخصيته تقريبًا أن يمضى أخيراً ضد النسبة. كان كولى، فى قلبه، مقامراً، رغم كونه وُلد محتالاً. ما كان ليستطيع أبداً، لإيمانه بعدّه التنازلى، أن يكون ندا لغرونيفيلت. غرونيفيلت مع نسبه البكر الحديدية التى تسحق كل شىء حتى الموت.

حاولت أن أنام لكننى لم أوفق. كان الوقت متأخراً جدا على مخابرة فاليرى، الواحدة صباحًا على الأقل فى نيويورك. رفعت جريدة فيجاس التى كنت اشتريتها فى المطار، ورأيت، وأنا أورّقها، إعلانًا عن فيلم جانيل الأخير. كان دورها هو النسوى الثانى، دوراً ساندًا، ولكنها كانت عظيمة جدا فيه بحيث فازت بالترشيح لجائزة الأكاديمية. كان قد جرى افتتاحه فى نيويورك قبل شهر فقط وكنت أنوى مشاهدته، وهكذا فقد قررت أن أذهب الآن. مع أننى لم أكن قد رأيت جانيل أو كلمتها أبداً منذ تلك الليلة التى تركتنى فيها فى غرفة الفندق.

كان فيلمًا جيداً. راقبت جانيل على الشاشة ورأيتها تفعل كل الأشياء التى سبق أن فعلتها معى. على تلك الشاشة الكبيرة كان وجهها يعبر عن كل الرقة، وكل الود،

وكل الاشتهاء الحسى التى سبق أن أظهرتها فى السرير ونحن معًا . وفيما كنت أراقب، تساءلت ما كان الواقع؟ كيف كانت تشعر حقا فى الفراش معى، كيف كانت تشعر حقا هناك على الشاشة؟ فى أحد أجزاء الفيلم حين يسحقها نبذ عشيقها، كان على وجهها الابتسامة المنكسرة ذاتها التى حطمت فؤادى عندما ظننت أننى كنت قاسيًا عليها . ولقد دهشت من مدى دقة مجاراة أدائها لعواطفنا الأكثر حدة وسرية. أكانت تمثل معى، تحضيرًا لهذا الدور، أم أن تمثيلها ناشئ عن الألم الذى تشاطرناه معًا؟ ولكننى أوشكت أن أقع فى حبها ثانية من مجرد مشاهدتها على الشاشة، وكنت سعيداً لأن كل شىء انتهى على خير بالنسبة لها . أنها تحظى بنجاح كبير، وأنها تفوز بكل شىء أرادته، أو ظننت أنها كانت تريده، من الحياة. وتصورت أن تلك هى نهاية القصة. ها أنا ذا، العاشق التعس المسكين على بعد، يراقب نجاح معشوقته، وسيشعر الجميع بالأسف لى، سأكون البطل لأننى كنت حساسًا جدا ويمكن الآن أن أعانى وأعيش وحيداً، كاتبًا متفرداً يصنع الكتب، فيما تلمع هى فى عالم السينما المتألق. وهكذا أريد أن أترك الأمر. كنت وعدت جانيل بأننى لو كتبت عنها، فإننى لن أظهرها أبداً شخصًا مهزومًا أو شخصًا يرثى له. ذات ليلة كنا قد ذهبنا لمشاهدة قصة حب فتملكها الغضب. قالت:

ـ يا لكم من ملعونين أيها الكُتَّاب، إنكم دائمًا تجعلون الفتاة تموت فى النهاية. أتدرى لماذا؟ لأن تلك أيسر طريقة للتخلص منهن. تتعبون منهن ولا تريدون أن تكونوا الأجلاف. وهكذا فأنتم تكتفون بقتلهن ثم تبكون ثم يصير واحدكم البطل اللعين. إنكم لمنافقون بائسون. تريدون دائمًا أن تتخلصوا من النساء بالمكر، واستدارت إلى وعيناها متسعتان، بنيتان ذهبيتان تستحيلان سوداوين من الغضب:

ـ لا تقتلنى، يا ابن المرأه. فقلت:

ـ إننى أعد. ولكن ماذا عن قولك الدائم لى إنك لن تعيشى أبدًا حتى الأربعين؟ إنك ستحترقين؟.

كانت دائمًا تلقى على بذلك الهراء. كانت تحب دائمًا أن تصور نفسها بأقصى ما يمكن من دراماتيكية. قالت:

- ليس ذلك من شأنك. لن يكون أحدنا محدثًا الآخر عن ذاك.

تركت دار السينما وبدأت أمشى طريق العودة الطويل إلى الكسانادو. كانت مسيرة طويلة. بدأت من قعر الشريط واجتزت فندقًا بعد فندق، عبرت شلالاتها من أضواء النيون وبقيت أسير نحو جبال الصحراء المعتمة التى كانت تقف حارسة على قمة الشريط. وفكرت فى جانيل. كنت قد وعدتها أننى لو كتبت عنها فإننى لن أظهرها كشخص مهزوم، شخص يستحق الشفقة، ولا حتى شخصًا ينبغى الحزن عليه. لقد طلبت ذلك الوعد، وقد منحتها إياه، كل ذلك مزاحًا.

ولكن الحقيقة مختلفة. لقد رفضت أن تبقى فى ظلال ذهنى كما فعل آرتى وأوزانو ومالومار بلياقة. لم يعد سحرى يفعل فعله.

لأنها، فى الوقت الذى كنت أراها فيه على الشاشة، حية وملأى بالعاطفة إلى هذا الحد، بحيث وقعت فى حبها مرة أخرى، كانت ميتة أصلاً.

عملت جانيل، التى كانت تستعد لحفلة عشية رأس السنة، ببطء شديد على زينتها. أمالت مرآة زينتها المكبرة وراحت تعمل على ظلال عينيها. عكست زاوية المرآة العليا الشقة من خلفها. كانت فوضى حقًا؛ الملابس متناثرة هناك، والأحذية غير مركونة فى محلها، وبعض الصحون والأكواب القذرة على طاولة القهوة، والفراش غير مرتب. كانت ستلاقى جويل عند الباب ولن تدعه يدخل. الرجل صاحب الرولز رويس، كما كان ميرلين يدعوه دومًا. كانت تنام مع جويل عرضًا، ولكن ليس كثيرًا جدا، وكانت تعرف أنه سيتعين عليها أن تنام معه الليلة. فقد كانت عشية رأس السنة بعد كل شىء. وهكذا، فقد كانت استحمت جيداً، وعطرت نفسها، واستخدمت مزيل روائح مهبل. كانت مستعدة. فكرت فى ميرلين وتساءلت ما إذا كان سيتلفن لها. لم يكن قد تلفن منذ سنتين. فكرت لدقيقة بالاتصال به، ولكنه سيرتعب، الجبان. كان يخاف جدا من تخريب حياته العائلية. ذلك البناء الهرائى الكامل الذى كان بناه على مدى السنوات التى استعملها كعكازة. ولكنها لم تفتقده حقا. كانت تعرف أنه ينظر إلى خلف نحو نفسه

باحتقار لكونه مغرماً، وأنها تنظر إلى وراء ببهجة مشعة لأن ذلك وقع. لم يكن يهمها أنهما قد جرحا بعضهما على نحو فظيع. كانت قد سامحته منذ زمن طويل. ولكنها كانت تعرف أنه لم يسامحها. كانت تعرف أنه قد ظن بحماقة أنه قد فقدَ شيئًا من نفسه، وهى تعرف أنه لم يكن صريحاً مع أى منهما.

توقفت عن وضع زواقها. كانت متعبة وتحس صداعًا. وقد شعرت أيضًا بكآبة، ولكنها كانت تشعر على ذلك النحو فى عشية رأس السنة دومًا. كانت تلك سنة أخرى تمضى، سنة أخرى تصير أكبر بها، ولقد كانت تفزع من الكبر. فكرت فى مخابرة أليس، التى كانت تقضى العطلة مع أمها وأبيها فى سان فرانسيسكو. سترتعب أليس من الفوضى فى الشقة، ولكن جانيل كانت تعرف أن بمقدورها أن تنظفها دون أن توبخها. ابتسمت عندما فكرت بما قاله ميرلين، من أنها تستخدم عشيقاتها باستثمار وحشى لا يجرؤ عليه إلا الأزواج الأكثر شوفينية. أدركت الآن أن ذلك حقيقى إلى حد ما. من جرارٍ أخرجت قرطى الياقوت اللذين كان ميرلين أعطاهما إياها كأول هدية، ولبستهما. كانا يبدوان جميلين عليها. كانت تحبهما.

ثم رن جرس الباب فذهبت وفتحته. أدخلت جويل. لم تبالِ أبداً بأن يرى الفوضى فى الشقة أو لا. كان صداعها أسوأ، فذهبت إلى الحمام وأخذت بعض البيركودان قبل أن يخرجا. كان جويل لطيفًا وفاتنًا كالمعتاد. فتح لها باب السيارة ومضى إلى الجانب الآخر. فكرت جانيل فى ميرلين. لقد كان ينسى أن يفعل ذلك دائمًا وفى الأوقات التى كان يتذكر فيها كان يبدو محرجًا. إلى أن قالت له، أخيراً، أن يترك الأمر، مقلعة عن أساليب فاتنات الجنوب التى كانت تستخدمها.

كانت حفلة رأس السنة المألوفة فى منزل ضخم مزدحم. كانت باحة وقوف السيارات مزدحمة بخدم ذوى جاكتات حمر يتسلمون سيارات الميرسيدس، والرولز رويس، والبنتلى، والبورش. كانت جانيل تعرف الكثير من الناس هناك. وكان ثمة كثير من المغازلات والمراودات، استجابت لها بمرح مطلقة النكات عن قرارها الخاص برأس السنة فى أن تبقى طاهرة لمدة شهر على الأقل.

فيما كان منتصف الليل يقترب، كانت مكتئبة حقا ولاحظ جويل ذلك. أخذها إلى إحدى غرف النوم وأعطاها بعض الكوكايين. سرعان ما أحست كونها أفضل ومنتعشة. اجتازت سلسلة حركات منتصف الليل المتكررة؛ وتقبيل كل أصدقائها، ثم أحست فجأة بصداعها يعود ثانية. كان أسوأ صداع سبق لها أن عانته، وعرفت أن عليها أن تبلغ بيتها. وجدت جويل وأخبرته بأنها مريضة. ألقى نظرة على وجهها فعلم أنها كانت كذلك. قالت جانيل:

- إنه مجرد صداع. سأكون بخير. فقط أوصلني إلى البيت.

قاد بها جويل السيارة وأراد أن يدخل معها. كانت تعرف أنه يريد أن يبقى آملاً أن يزول الصداع فيمكنه على الأقل أن يقضي نهاراً لطيفًا غدًا في الفراش معها. ولكنها كانت تحس نفسها مريضة حقا. قبلته وقالت:

- أرجوك لا تدخل. إنني آسفة حقا لتخييب رجائك، ولكنني أحس المرض حقا. أحسني مريضة بشكل رهيب.

وقد ارتاحت لأن جويل صدقها. سأل:

- أتريدين أن أحضر لك طبيباً؟. وقالت:

- لا. سأكتفي بتناول بعض الأقراص، وسأكون على ما يرام.

بقيت تراقب حتى صار خارج باب شقتها.

مضت على الفور إلى الحمام لتأخذ مزيدًا من البيركودان، وتبلل منشفة وتلفها حول رأسها مثل عمامة. كانت في طريقها إلى الحمام، ماضية عبر المدخل، عندما أحست ضربة ساحقة رهيبة على مؤخر عنقها. أوشكت أن تقع. فكرت للحظة أن شخصًا كان مختبئًا في الغرفة قد لطمها، ثم فكرت بأنها قد صدمت رأسها بشيء ناتئ من الجدار. لكن ضربة هارسة أخرى هبطت بها إلى ركبتيها. عرفت عندئذ أن شيئًا رهيبًا كان يجري لها. تدبرت أن تزحف إلى الهاتف جنب السرير ولم تستطع إلا

أن تبلغ اللصيقة الحمراء التى كانت مثبتة على رقم الإسعاف. كانت أليس قد ألصقتها هناك عندما كان ابنها فى زيارة لهما، من باب الاحتياط فقط. أدارت الرقم فأجاب صوت امرأة. قالت جانيل:

- إننى مريضة. لا أدرى ما الذى يحدث، ولكننى مريضة. وأعطت اسمها وعنوانها وتركت الهاتف يسقط. نجحت فى جر نفسها إلى أعلى السرير، وأحست ، بمزيد من الدهشة ، أنها أفضل. كادت تحس الخجل لأنها تلفنت، لم يكن بها شىء سيئ حقا. ثم بدا أن ضربة أخرى ناشت بدنها كله. ضعف وضاق إلى ساحة محدودة. مرة أخرى تعجبت ولم تستطع أن تصدق ما كان يقع لها. كان يمكنها أن ترى بصعوبة خارج امتدادات الغرفة. تذكرت أن جويل كان أعطاها بعض الكوكايين وكان لا يزال بحوزتها فى حقيبة يدها فمضت متعثرة إلى غرفة المعيشة كى تتخلص منه، ولكن جسدها أصيب، فى وسط غرفة المعيشة، بضربة رهيبة أخرى. ارتخت عضلة شرجها، وخلال ضبابية ما يقرب من فقدان الوعى، أدركت أنها أفرغت أمعاءها. بجهد بالغ خلعت لباسها الداخلى ومسحت الأرضية وألقت به تحت الكنبة ثم تحسست القرطين اللذين كانت تلبسهما، لم تكن تريد أن يسرق أحدٌ القرطين. استغرقها خلعهما ما بدا لها وقتًا طويلاً، ثم تعثرت إلى المطبخ ودفعتهما بعيداً إلى وراء على سقف الخزانة حيث كان متربًا وحيث ما كان أحد ليبحث أبدًا.

وهى لا تزال واعية عندما جاء طاقم الإسعاف، كانت تدرك بشكل أغبش بأنه كان يجرى فحصها وأن أحد الأطباء يبحث فى حقيبة يدها فيجد كوكايينها. كان أحد المسعفين يستجوبها:

- كم استعملت من المخدرات الليلة؟. فقالت، بتحدٍ:

- أبداً. وقال الطبيب:

- هيا، إننا نحاول أن ننقذ حياتك.

وكانت تلك الكلمات هى ما أنقذ جانيل حقا. ذهبت إلى دور معين مثلته، استخدمت عبارة كانت تستعملها عادة لازدراء ما كان الآخرون يثمنونه. قالت: أوه،

أرجوك. أوه، أرجوك ، بنغمة محتقِرة لتبين أن إنقاذ حياتها كان أدنى مشاغلها وشيئًا لا يجدر، فى الحقيقة، حتى حسبانه.

كانت تعى الركوب فى سيارة الإسعاف إلى المستشفى وتعى وضعها فى سرير فى غرفة المستشفى البيضاء، ولكن بحلول هذا الوقت كان ذلك لا يحدث لها. كان يحدث لشخص خلقته ولم يكن الأمر حقيقيا. كان يمكنها أن تبتعد عن هذا حينما ترغب. كانت فى أمان الآن. فى تلك اللحظة أحست ضربة رهيبة أخرى وفقدت الوعى.

فى اليوم التالى لرأس السنة تلقيت النداء الهاتفى من أليس. دهشت قليلاً لسماع صوتها؛ لم أميزه فى الحقيقة حتى ذكرت لى اسمها. كان أول شيء برق فى ذهنى أن جانيل كانت فى حاجة إلى العون على نحو ما. قالت أليس:

- يا ميرلين، أظنك تريد أن تعرف. لقد مضى زمن طويل، ولكننى أظن أنه يجب علىَّ أن أخبرك بما جرى.

توقفت، وصوتها غير واثق. لم أقل شيئًا، وهكذا، فقد واصلت:

- إن عندى أخباراً سيئة عن جانيل. إنها فى المستشفى. أصيبت بنزيف دماغى.

لم أفهم حقا ما كانت تقول، أو أن ذهنى رفض الوقائع. سجل الأمر بوصفه مرضًا فقط. سألت:

- كيف حالها؟ أكان سيئًا جدا؟.

مرة أخرى كان ثمة وقفة، ثم قالت أليس:

- إنها تعيش على الآلات. الفحوص لا تشير إلى أى نشاط دماغى.

كنت هادئًا جدا، ولكننى لم أكن قد أدركت الأمر حقا بعد. قلت:

- أأنت تخبرينى بأنها على وشك الموت؟ أهذا ما تقولينه لى؟. فقالت أليس:

- لا، أنا لا أخبرك بهذا. فهى ربما ستشفى، ربما أمكنهم أن يبقوها حية. إن عائلتها قادمة وهى التى ستتخذ القرار. أتريد أن تأتى؟ يمكنك أن تنزل فى بيتى. فقلت:

ـ كلا، لا أستطيع. ولم أكن أستطيع حقا:

ـ أتتلفنين لى غداً وتخبرينى بما يجرى؟ سأجىء إن كان بمقدورى أن أساعد، ولكن لا من أجل شىء آخر.

كان ثمة صمت طويل، ثم قالت أليس، وصوتها محطم:

ـ يا ميرلين، لقد جلست جنبها، إنها تبدو رائعة الجمال، كأن شيئًا لم يقع لها. أمسكت يدها وكانت دافئة. تبدو كما لو أنها نائمة فقط. ولكن الأطباء يقولون إنه لم يتبق من دماغها شىء. أيمكن أن يكونوا على خطأ، يا ميرلين؟ أيمكن أن تشفى؟.

وفى تلك اللحظة شعرت مؤكداً أن ذلك كله كان غلطة، أن جانيل ستشفى. كان كولى قد قال مرة إن المرء يستطيع أن يقنع نفسه بنفسه بأى شىء، وكان ذلك ما أفعله:

ـ يا أليس، الأطباء يخطئون أحيانًا، ربما ستتحسن. لا تفقدى الأمل. قالت أليس:

ـ حسنًا. كانت تبكى الآن:

ـ أوه، يا ميرلين، إنه لرهيب جدا. إنها ممددة هناك على السرير نائمة مثل أميرة خرافية ما وأنا أفكر بأن سحراً ما سيقع، وأنها ستكون بخير. لا أستطيع التفكير بالعيش بدونها. ولا أستطيع أن أتركها على هذه الحال. إنها لتكره أن تحيا على هذا النحو. إن لم يسحبوا القابس، فسأفعل أنا ذلك. لن أدعها تعيش على هذا النحو.

آه، يا للفرصة المتاحة لى كى أكون بطلاً. أميرة خرافية ميتة فى عملية سحر وميرلين الساحر يعرف كيف يوقظها. ولكننى لم أعرض حتى المساعدة فى سحب القابس. قلت:

ـ انتظرى لترى ما يحدث. تلفنى لى، ها؟. قالت أليس:

ـ حسنًا. كل ما هنالك أننى تصورت أنك كنت تريد أن تعرف. تصورت أنك ربما ستريد أن تأتى. فقلت:

- إننى لم أرها ولم أكلمهـا حـقـا منذ زمن طويل. وتذكـرت جـانيل تسـأل: هل ستنبذنى؟ وأنا أقول ضاحكًا: من كل قلبى. قالت أليس:

- لقد عشقتك أكثر مما عشقت أى رجل آخر. ولكنها لم تقل من أى شـخص آخر، فكرتُ. لقد استثنت النساء. قلت:

- ربما ستصير على ما يرام. هل ستتلفنين ثانية؟. قالت أليس:

- نعم. كان صوتها أهدأ الآن. كانت قد بدأت تدرك نبذى وكان يذهلها:

- سأتلفن لك بمجرد حدوث شىء. ثم أغلقت الهاتف.

وضـحكتُ. لا أدرى لماذا ضـحكت، ولكننى ضـحكت، فـقط. لم أسـتطع أن أصـدق الأمر. لابد من أنها تخيلته وهكذا فقد أعدت هذه التمثيلية التحزيرية الصغيرة. وكنت أعرف شـيئًا واحـدًا، أننى لن أنظر أبدًا إلى وجـهـها الفـارغ، إلى جمـالها وقد أفـرغه الدماغ الذى خلفه. لن أنظر إليه أبدًا، أبدًا لأننى سأسـتـحيل عندئذ إلى حـجر. لم أحس بأى حزن أو أشعر بأية خسارة. كنت أكثر احتراسًا من ذلك. كنت مـاكرا جدا. تمشيت فى الأنحاء طوال النهار، هازا رأسى. ضـحكت مـرة أخرى وفيمـا بعد فـاجـأت نفسى ووجـهى ينقبض فى نوع من الابتسام المتكلف، مثل شـخص عنده رغبـة سـرية مـجرمة تحققت، أو شـخص قد وقع أخيرًا فى الفخ إلى الأبد.

تلفنت لى أليس فى وقت متأخر من اليوم التالى. قالت:

- إنها على ما يرام الآن.

وللحظة تصـورتهـا تعنى ذلك، أن جـانيل قـد تعـافت، أن الأمـر كلـه كان غلطة. ثم قالت أليس:

- لقد سحبنا القابس. لقد خلعناها عن الآلات وقد ماتت.

لم يقل أحدنا شيئًا لوقت طويل، ثم سألتْ:

ـ أستأتى من أجل الجنازة؟ سنقيم قداساً تذكاريا فى المسرح. جميع أصدقائها قادمون. ستكون حفلة بالشمبانيا ويلقى كل أصدقائها كلمات عنها. أستأتى؟. فقلت:

ـ كلا. سأجىء بعد بضعة أسابيع لأراك إن لم تكونى تمانعين. ولكننى لا أستطيع المجىء الآن. كان ثمة وقفة طويلة أخرى كما لو كانت تحاول السيطرة على غضبها، ثم قالت:

ـ قالت لى جانيل مرة أن أثق بك، وهكذا فأنا أفعل. أنِّى أردت أن تأتى فسأراك. ثم أغلقت الهاتف.

لاح فندق الكسانادو أمامى، وأغرق سرادقه ذو المليون دولار من الأنوار البراقة التلالَ المتفردة إلى وراء. سرت عبرها، حالمًا بتلك الأيام والشهور والسنوات السعيدة التى قضيتها فى رؤية جانيل. منذ وفاة جانيل كنت أفكر فيها كل يوم تقريباً. فى بعض الصباحات كنت أستيقظ من النوم مفكرًا فيها، متصوراً كيف تبدو، كيف يمكنها أن تكون بهذا التعلق وبهذا الهياج الغاضب فى الوقت عينه.

فى تلك الدقائق القليلة الأولى من اليقظة كنت أتصور دائمًا أنها كانت حية. كنت أتصور مواقف فيما بيننا عندما نلتقى ثانية. وكان يستغرق منى خمس دقائق أو عشراً لأتذكر أنها كانت ميتة. لم يحدث هذا أبداً مع أوزانو أو آرتى. فى الحقيقة، كنت نادراً ما أفكر فيهما الآن. هل أهتم لأمرها أكثر؟ ولكن، إذا كنت أفكر هكذا بشأن جانيل، فما السبب فى ضحكتى العصبية عندما أخبرتنى أليس بالأنباء على الهاتف؟ لماذا ضحكت، أثناء النهار الذى سمعت فيه بموتها، مع نفسى ثلاث مرات أو أربع؟ وإننى أدرك الآن أن ذلك ربما كان لأننى كنت غاضباً عليها لموتها. لو أنها كانت قد عاشت، لكنتُ سأنساها بمرور الوقت. لكنها بحيلتها ستظل تسكننى طيلة حياتى.

عندما رأيت أليس بعد وفاة جانيل ببضعة أسابيع، علمت أن النزيف الدماغى نشأ عن عيب ولادى ربما كانت جانيل عارفة به.

تذكرت كم كنت أغضب عندما كانت تتأخر، أو المرات القلائل التى كانت تنسى فيها اليوم الذى كان مقرراً أن نلتقى فيه. كنت واثقًا جدا من أنها كانت هفوات

فرويدية، ورغبتها غير الواعية فى رفضى. ولكن أليس أخبرتنى أن هذا كان غالبًا ما يحدث مع جانيل. ولقد صار أسوأ قبيل وفاتها. كان مرتبطًا بالتأكيد بتمدد الأوعية الدموية الانتفاخى، والتسرب المميت إلى دماغها. ثم تذكرت تلك الليلة الأخيرة معها عندما سألتنى ما إذا كنت أحبها فأجبتها بفظاظة شديدة. ولقد فكرت لو أن بمقدورها فقط أن تسألنى الآن، فكم سيكون الأمر مختلفًا. أن يكون بمقدورها أن توجد وأن تقول وتفعل كل ما كانت تتمناه. أننى سأقبل كل شىء تريد أن تكونه. أن مجرد فكرة أن بمقدورى أن أراها، أنها موجودة فى مكان ما يمكننى أن أذهب إليه، أن أتمكن من سماع صوتها أو سماع ضحكتها سيكون ما يمكن أن يجعلنى سعيدًا. كان بمقدورى أن أسمعها تسأل، مسرورة ولكن غاضبة أيضًا: أوه، إذن، أفهو أهم شىء بالنسبة لك؟. كانت تريد أن تكون أهم شىء لى ولأى شخص تعرفه وحتى - إن أمكن - لكل شخص فى العالم. كان عندها جوع هائل إلى المحبة. فكرت فى تعليقات مريرة منها تطلقها علىَّ فيما كانت تتمدد فى السرير، وذهنها مشظى فيما أنظر إلى أسفل نحوها بأسى. كانت تقول: أليست تلك هى الطريقة التى أردتنى عليها؟ أليست هى الطريقة التى يريد الرجالُ النساء عليها؟ إننى لأظن أن هذا مثالى لك. ولكننى أدركت عندئذ أنها ما كانت لتكون أبدًا بهذه القسوة أو بهذا الابتذال. ثم أدركت شيئًا آخر قديمًا. لم تكن ذكرياتى عنها تشمل أبدًا ممارستنا الحب.

أدرى أننى أحلم بها عدة مرات فى الليلة، ولكننى لا أتذكر تلك الأحلام أبدًا. كل ما هنالك أننى أستيقظ مفكرًا فيها وكأنها لا تزال حية.

كنت على الذروة العليا من الشريط، فى ظل جبال نيفادا، أطل على عش النيون الضخم الذى كان قلب فيجاس. سأقامر الليلة وفى الصباح الباكر سآخذ طائرة إلى نيويورك. وفى مساء الغد سأنام مع عائلتى فى بيتى أنا وأشتغل على كتبى أنا فى غرفتى الخاصة. سأكون فى أمان.

دخلت أبواب كازينو الكسانادو. أحسست البرد من الهواء الجامد. سارت مومسان كاسحتان معًا ذراعًا فى ذراع، ولُمَّتاهما المجعدتان الكثيفتان تتلألآن،

إحداهما شوكولاتية داكنة، والأخرى بنية بحلاوة. ثم مومسات بيضاوات يلبسن جزمات طويلة وبنطلونات قصيرة تعرض أفخاذًا ببياض اللؤلؤ، ولكن بشرة وجوههن شبحية، تعرض عظامًا هيكلية رققها نور الثريات وسنوات الكوكايين. وعند أدنى وقاء اللباد الأخضر لموائد البلاك جاك كان صف طويل من الموزعين يرفع أيديه ويغسلها في الهواء.

مضيت عبر الكازينو نحو ركن الباكاراه. وفيما اقتربت من المحوطة ذات الدرابزون الرمادي، انفرط الحشد أمامي لينتشر حول ركن الزهر فرأيت ركن الباكاراه واضحًا.

كان أربعة قديسين بربطات عنق سوداء ينتظرونني. رفع مدير اللعبة الذي كان يدير اللعبة يده اليمنى ليوقف تحرك اللعبة مع الحاوية. رماني بنظرة سريعة وابتسم علامة على المعرفة. ثم ترنم ويده ما زالت مرفوعة:

- ورقة للاعب. انحنى حارسا المنضدة، وهما يهوديان شاحبان، إلى أمام فتساءلت إن كان غرونيفيلت الخرف، المعوق في غرفته المنعزلة قد ضغط أزراره السحرية ليبقى كل هؤلاء الناس صاحين. وماذا لو أنه ضغط الزر لكولي وكل الآخرين ليموتوا؟

وأنا واقف ساكنًا بشكل مطلق في ركن الكازينو، رحت أبحث عن منضدة محظوظة أبدأ عليها.

- ٥٥ -

إننى أعانى، ولكننى مع ذلك لا أزال أحيا. إننى س فى معادلة لا تحل. أنا نوع من شبح فى الحياة فقدَ كل بداية وكل نهاية.

قرأت ذلك فى الملجأ عندما كنت فى الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من عمرى، وأظن أن دستويفسكى كتبه ليبين اليأس اللامتناهى للجنس البشرى وربما ليغرس الرعب فى قلب كل امرئ ويقنعه للإيمان بالله. ولكن قديماً جداً، وأنا طفل عندما قرأته، كان حزمة ضوء. لقد أراحنى، لم يفزعنى أن أكون شبحًا. تصورت أن س ومعادلته العصية على الحل كان ترسًا سحريًا. والآن وقد بقيت حيًا بهذه الحصافة، فى قذف نفسى إلى أمام فى الزمان. لم أعد أستطيع أن أستخدم الحيلة القديمة فى قذف نفسى إلى أمام فى الزمان. لم تعد حياتى ذاتها بذلك الإيلام ولم يكن بمقدور المستقبل أن ينقذنى. كنت محاطًا بما لا يعد ولا يحصى من موائد الحظ ولم أكن تحت أى وهم. إننى أعرف الآن الحقيقة المفردة من أننى مهما خططت بعناية، مهما كنت ماكراً، وقمت بأكاذيب أو أعمال جيدة، فليس بمقدورى أن أربح حقًا.

أخيراً تقبلت حقيقة أننى لم أعد ساحراً بعد. ولكن ليكن. كنت لا أزال حيًا وذلك أكثر مما أستطيع أن أقوله عن أخى، آرتى، أو عن جانيل أو أوزانو. وكولى ومالومار وجوردان المسكين. كان الأمر بسيطًا جداً. كانت الحياة كثيرة جداً عليه. ولكن ليس علىَّ. فلا يموت إلا الحمقى.

أفكنت وحشًا إذن لأننى لا أحزن، لأننى كنت أتمنى كثيراً أن أبقى حيًا؟ لأننى تمكنت أن أضحى بأخى الوحيد، بدايتى الوحيدة، ثم بأوزانو وجانيل وكولى ولا أحزن، مجرد حزن، عليهم ولا أبكى إلا علىَّ؟ لأننى قدرت أن أرتاح بالعالم الذى بنيته بنفسى؟

كم نضحك على الإنسان البدائى لقلقه وفزعه من كل الحيل المشعوذة للطبيعة، وكيف نرتعب نحن أنفسنا من المخاوف والذنوب التى تصخب فى رءوسنا. إن ما نفكر فيه بوصفه حساسيتنا ليس إلا التحرك الأعلى من الفزع فى وحش أبكم مسكين. إننا نعانى من أجل لا شىء. إن أمنية موتنا بالذات هى مأساتنا الحقيقية الوحيدة.

ميرلين، يا ميرلين. لقد مرت ألف سنة بالتأكيد وعليك أخيرًا أن تبقى مستيقظًا فى كهفك، مرتديًا قبعتك المخروطية المغطاة بالنجوم لتمشى خلال عالم جديد غريب. ويا أيها النغل البائس، بسحرك البارع، أفينفعك أى نفع أن تنام تلك الألف سنة، وساحرتك فى قبرها، وقد استحال كلا أرثرانا إلى غبار؟

أم أن لديك رُقية سحر أخيرة وحيدة يمكن أن تعمل؟ رمية طويلة رهيبة، ولكن ما هى تلك بالنسبة لمقامر؟ ما زال عندى كوم من الفيش السود وحكة للفزع.

إننى أعانى، ولكننى ما أزال أحيا. صحيح أننى قد أكون نوعًا من شبح فى الحياة، ولكننى أعرف بدايتى وأعرف آخرين، صحيح أننى س فى معادلة لا تحل، الـ س الذى سيفزع الجنس البشرى فيما يتجول عبر مليون مجرة. ولكن لا يهم. ذلك الـ س هو الصخرة التى أقف عليها.

- المؤلف فى سطور :

ماريو پوزو

- ١٩٢٠ : ١٩٩٩

- كاتب أمريكى درس العلوم الاجتماعية فى جامعة كولومبيا بعد أن خدم فى الحرب العالمية الثانية .

- أشهر رواياته "الأب الروحى" .

- كتب عدة سنياريوهات من بينها الزلزال (١٩٧٤) وسوبر مان (١٩٧٨) بالإضافة إلى سنياريوهات أفلام "الأب الروحى" الثلاثة .

- أصدر هذه الرواية "الحمقى يموتون" عام ١٩٧٨

المترجم فى سطور

سليم عبد الأمير حمدان

ولد سنة ١٩٤٠ فى مدينة الكاظمية، شمال العاصمة العراقية بغداد، وفيها أتم دراستيه الابتدائية والإعدادية .

أثناء دراسته الجامعية ترجم مادة نقاش نظرية نشرتها مجلة «الثقافة الجديدة» – وهى أرقى مجلة ثقافية فكرية عراقية آنذاك – مما شجعه على ترجمة كتاب «فوضوية أم اشتراكية» ، الذى يعده كثيرون عمل ستالين الفكرى الوحيد ذا القيمة. لم تنشر الترجمة نظراً للموقف العام تجاه ستالين، ولكنها أهلت المترجم للاشتغال محرراً للأخبار الخارجية فى جريدة «اتحاد الشعب» التى كانت تصدر فى بغداد آنذاك.

درس فى قسم اللغة العربية فى كلية آداب جامعة بغداد، وتخرج منها سنة ١٩٦١ .

اختار وترجم عدداً من قصص مارك توين، اختار لها اسم «مذكرات آدم وحواء وقصص أخرى»، نشرتها له دار الفارابى فى لبنان نحو منتصف السبعينيات، وفى الفترة ذاتها عمل محرراً للشئون الخارجية فى يومية «طريق الشعب»، التى ورثت «اتحاد الشعب».

ترجم روايتى «قصة جاويد» و «آلام سياوش» للكاتب الإيرانى إسماعيل فصيح، ضمن سلسلة المشروع القومى للترجمة. ونشرت له «دار المدى» فى دمشق ترجمته لـ «نداء البداءة» لجاك لندن سنة ٢٠٠٠، و «مكان سلوچ الخالى» لمحمود دولت آبادى سنة ٢٠٠٢، ثم «كأس من ذهب» لجون شتاينبك سنة ٢٠٠٣ .

له عدد آخر من الترجمات ستصدر عن وزارة الثقافة السورية التى ستنشر له أيضاً دراسة مكتوبة عن الرواية الفارسية.

إضافة إلى كتابته الدراسات والمقالات الفكرية والسياسية، فقد كتب مقدمات لعدد من الكتب أيضاً.

شارك فى تحرير مجلتى «المدى» و «النهج» الصادرتين فى دمشق.

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	جيرار جينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف أحمد عتمان
١٧-	مختارات	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مقالات	نخبة
٢٨-	رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روس	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر آلن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد
٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم

الرقم	العنوان	المؤلف	المترجم
٣٨-	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الإغريق والحسد	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحي ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكي
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانوبيا وخ. م بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى .
٦٣-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	ألان وود	رمسيس عوض .
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض .
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين . ب . تومكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	حسن بيومى
٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	عبد المقصود عبد الكريم

٧٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨- العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩- شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠- بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمري
٨١- الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوي
٨٢- مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	محمود السيد علي
٨٣- مختارات	غوتفريد بن	خالد المعالي
٨٤- موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	عبد الحميد شيحة
٨٥- منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	عبد الرازق بركات
٨٦- طول الليل	جمال مير صادقي	أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧- نون والقلم	جلال آل أحمد	ماجدة العناني
٨٨- الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩- الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠- وسم السيف	ميجل دي ثربانتس	محمد إبراهيم مبروك
٩١- المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢- أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣- محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤- الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوي
٩٥- مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦- ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	إدوار الخراط
٩٧- هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
٩٨- الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	نخبة	أشرف الصباغ
٩٩- تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠- مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحي
١٠١- النص الروائي (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢- السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبي	عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣- قبر ابن عربي يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤- أوبرا ماهوجني	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوي
١٠٥- مدخل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦- الأدب الأندلسي	ماريا خيسوس روبييرامتي	أشرف علي دعدور
١٠٧- صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة	محمد عبد الله الجعيدي
١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	محمود علي مكي
١٠٩- حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠- النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١- المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢- الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	إكرام يوسف
١١٣- راية التمرد	سادي بلانت	أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلي
١١٥- غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	سمية رمضان

١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: روف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	نخبة من المترجمين
١٢١- الدليل الصغيرعن الكاتبات العربيات	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نينل ألكسندر وفنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥- التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦- فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨- الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وأخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١- مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- پارسيڤال	ريشارد فاجنر	مصطفى ماهر
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	عدلى السمرى
١٤٤- صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥- موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦- الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	على عبدالروف البمبى
١٤٧- خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨- القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠- التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان
١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	محمد محمد الخطابى
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت

١٥٥-	الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦-	المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	مى التلمسانى
١٥٧-	خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩-	الإيديولوچية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠-	آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١-	من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢-	تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣-	موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤-	شامبليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥-	حكايات الثعلب	أ. ن أفانا سيفا	سهير المصادفة
١٦٦-	العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبو غدير
١٦٧-	فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨-	دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩-	إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	شكرى محمد عياد
١٧٠-	الطريق	ميغيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١-	وضع حد	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢-	حجر الشمس	مختارات	محمد محمد الخطابى
١٧٣-	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤-	صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥-	التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦-	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧-	أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨-	مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩-	حكايات أيسوب	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠-	قصة جاويد	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١-	النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢-	العنف والنبوءة	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣-	چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	فتحى العشرى
١٨٤-	القاهرة... حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥-	أسفار العهد القديم	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦-	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧-	الأرضة	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨-	موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب
١٨٩-	العمى والبصيرة	بول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠-	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١-	الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	مصطفى حجازى السيد
١٩٢-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود سلامة علاوى
١٩٣-	عامل المنجم	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد

١٩٤-	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكي	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥-	شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦-	المهلة الأخيرة	فالتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧-	الفاروق	شمس العلماء شبلي النعماني	جلال السعيد الحفناوي
١٩٨-	الاتصال الجماهيري	ادوين إمري وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩-	تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية	يعقوب لانداوي	جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠-	ضحايا التنمية	جيرمي سيبروك	فخري لبيب
٢٠١-	الجانب الديني للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصاري
٢٠٢-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣-	الشعر والشاعرية	الطاف حسين حالي	جلال السعيد الحفناوي
٢٠٤-	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد محمود هويدي
٢٠٥-	الجينات والشعوب واللغات	لويجي لوقا كافاللي- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦-	الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	علي يوسف علي
٢٠٧-	ليل أفريقي	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨-	شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩-	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠-	مثنويات حكيم سنائي	سنائي الغزنوي	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١-	فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدي عبد الغني
٢١٢-	قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣-	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد علي الناصري
٢١٤-	قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع	أنتوني جيدنز	محمد محمود محي الدين
٢١٥-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغي	محمود سلامة علاوي
٢١٦-	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧-	مسرحيتان طليعيتان	ص. بيكيت	نادية البنهاوي
٢١٨-	لعبة الحجلة (رايولا)	خوليو كورتازار	علي إبراهيم منوفي
٢١٩-	بقايا اليوم	كازو ايشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠-	الهيولية في الكون	باري باركر	علي يوسف علي
٢٢١-	شعرية كفافي	جريجوري جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢-	فرانز كافكا	رونالد جراي	نسيم مجلي
٢٢٣-	العلم في مجتمع حر	بول فيرابنر	السيد محمد نفادي
٢٢٤-	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥-	حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦-	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد علي البربري
٢٢٧-	المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	موسى ماردينا ديف بوركي	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨-	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩-	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمري
٢٣٠-	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣١-	الدرافيل	خايمي سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢-	ما بعد المعلومات	توم ستينر	مصطفى إبراهيم فهمي

٢٣٣-	فكرة الاضمحلال	أرثر هومان	طلعت الشايب
٢٣٤-	الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥-	ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦-	الولاية	ميشيل تود	أحمد الطيب
٢٣٧-	مصر أرض الوادى	روبين فيرين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨-	العولمة والتحرير	الانكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩-	العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠-	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	صلاح عبدالعزيز محجوب
٢٤١-	فى انتظار البرابرة	ج . م كويتز	ابتسام عبدالله سعيد
٢٤٢-	سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن عبدالنبى
٢٤٣-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	على عبدالرءوف البمبى
٢٤٤-	الغليان	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥-	نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	توفيق على منصور
٢٤٦-	مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧-	الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر إرمبريست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨-	حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩-	لغة التمزق	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠-	علم اجتماع العلوم	دومنيك فينيك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردن مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢-	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣-	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوڤا	حسن بيومى
٢٥٤-	الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥-	أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦-	ديكارت	ديف روبنسون وكريس جرات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧-	تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨-	الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩-	مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	اقلام مختلفة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردن مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١-	رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢-	مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣-	الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	على يوسف على
٢٦٤-	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض
٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم سويلم
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية	توماس سى. باترسون	شوقى جلال

٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	س. س والترز	إبراهيم سلامة
٢٧٣-	الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان أر. لوك	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا	رومولو جلاجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س إليوت شاعرًا وناقدًا وكاتبًا مسرحيًا	أقلام مختلفة	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	فرانك جوتيران	عبد القادر التلمسانى
٢٧٧-	الجينات: الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد
٢٨١-	الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق	خوان رولفو	على البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنونًا	يوريبيدس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	سمير عبد الحميد
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود سلامة علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	انتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	نخبة من المترجمين
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت صالح
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦-	مكبث	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوانى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣-	بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤-	ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥-	الجلد	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦-	الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧-	الشعور	ديفيد بابينو	محمود محمد أحمد
٣٠٨-	علم الوراثة	ستيف جونز	ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩-	الذهن والمخ	أنجوس چيلاتى	جمال الجزيرى
٣١٠-	يونج	ناجى هيد	محيى الدين محمد حسن

٢١١-	مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٢١٢-	روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	أسعد حليم
٢١٣-	أمثال فلسطينية	خايير بيان	عبدالله الجعيدى
٢١٤-	الفن كعدم	جينس مينيك	هويدا السباعى
٢١٥-	جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	كاميليا صبحى
٢١٦-	محاكمة سقراط	أ.ف. ستون	نسيم مجلى
٢١٧-	بلا غد	شير لايموفا- زنيكين	أشرف الصباغ
٢١٨-	الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	أشرف الصباغ
٢١٩-	صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٢٢٠-	لمعة السراج فى حضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٢٢١-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	نخبة من المترجمين
٢٢٢-	وجهات غربية حديثة فى تاريخ الفن	دبليو يوجين كليناور	خالد مفلح حمزة
٢٢٣-	فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم سليمان
٢٢٤-	اللعب بالنار	أشرف أسدى	محمود سلامة علاوى
٢٢٥-	عالم الآثار	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٢٢٦-	المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	حسن صقر
٢٢٧-	مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٢٢٨-	يوسف وزليخا	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	عبد العزيز بقوش
٢٢٩-	رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٢٣٠-	كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٢٣١-	عندما جاء السردين	ستيفن جراى	سامية دياب
٢٣٢-	القصة القصيرة فى إسبانيا	نخبة	على إبراهيم منوفى
٢٣٣-	الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	بكر عباس
٢٣٤-	لقطات من المستقبل	أرثر.س كلارك	مصطفى فهمى
٢٣٥-	عصر الشك	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٢٣٦-	متون الأهرام	نصوص قديمة	حسن صابر
٢٣٧-	فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٣٨-	نظرات حائرة (وقصص أخرى من الهند)	نخبة	جلال السعيد الحفناوى
٢٣٩-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	على أصغر حكمت	محمد علاء الدين منصور
٢٤٠-	اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	فخرى لبيب
٢٤١-	قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٢٤٢-	سلامان وأبسال	نور الدين عبدالرحمن بن أحمد	عبد العزيز بقوش
٢٤٣-	العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٢٤٤-	الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	سمير عبد ربه
٢٤٥-	الركض خلف الزمن	بونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦-	سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٢٤٧-	الصبية الطائشون	جان كوكتو	بكر الحلو
٢٤٨-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩-	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدرون وآخرون	أحمد عمر شاهين

٣٥٠-	بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	عطية شحاتة
٣٥١-	مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٣٥٢-	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣-	الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة الهندسية)	باسيليو بابون مالدوناند	على إبراهيم منوفى
٣٥٤-	الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة النباتية)	باسيليو بابون مالدوناند	على إبراهيم منوفى
٣٥٥-	التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	محمود سلامة علاوى
٣٥٦-	الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٣٥٧-	متون هيرميس	نصوص قديمة	عمر الفاروق عمر
٣٥٨-	أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٣٥٩-	محاورات بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٣٦٠-	أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٣٦١-	التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وأمال شاور
٣٦٢-	تلميذ بابنبيرج	هاينرش شبورال	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣-	حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٣٦٤-	حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥-	سأم باريس	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦-	نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧-	القلم الجرىء	نخبة	البرّاق عبدالهادى رضا
٣٦٨-	المصطلح السردى	جيرالد برنس	عابد خزندار
٣٦٩-	المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٣٧٠-	الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢-	عاش الشباب	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣-	كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٣٧٤-	اليوم السادس	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥-	الخلود	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦-	الغضب وأحلام السنين	نخبة	إدوار الخراط
٣٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	على أصغر حكمت	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨-	المسافر	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٧٩-	ملك فى الحديقة	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠-	حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١-	أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢-	تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣-	هدية الحجاز	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤-	القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥-	مشترى العشق	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦-	دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧-	أغنيات وسوناتات	چون دن	بهاء چاهين
٣٨٨-	مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور

٣٨٩-	من الأدب الباكستاني المعاصر	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠-	الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١-	الحافلة الليلكية	مايف بينشي	منى الدروبي
٣٩٢-	مقامات ورسائل أندلسية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣-	في قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيري
٣٩٤-	القوى الأربع الأساسية في الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥-	ألام سياوش	إسماعيل فصيح	سليم حمدان
٣٩٦-	السافاك	تقي نجاري راد	محمود سلامة علاوي
٣٩٧-	نيتشه	لورانس جين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨-	سارتر	فيليب تودي	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩-	كامي	ديفيد ميروفتس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠-	مومو	مشيائيل إنده	باهر الجوهري
٤٠١-	الرياضيات	زيادون ساردر	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢-	هوكنج	ج. ب. ماك ايفوى	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣-	ربة المطر والملابس تصنع الناس	توبور شتورم	عماد حسن بكر
٤٠٤-	تعويذة الحسي	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥-	إيزابيل	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦-	المستعربون الإسبان في القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧-	الأدب الإسباني المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	طلعت شاهين
٤٠٨-	معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوي
٤٠٩-	انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامي عمارة
٤١٠-	خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوي بغورة
٤١١-	همس من الماضي	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفي بروفنسال	نخبة
٤١٣-	أغنيات المنفى	ناظم حكمت	محمد البخاري
٤١٤-	الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥-	صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦-	مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	مصطفى بدوي
٤١٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية	جين هاثواي	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبي للإسكندرية	جون مايو	نسيم مجلي
٤٢٠-	مكرو ميجاس	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة	روى متحدة	أشرف محمد كيلاني
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	نخبة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبدالرحمن الجامي	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعي	محمودد سلامة علاوي
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية	باي إنكلان	ثريا شلبي

٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك	محمد أمان صافى
٤٢٩-	هيجل	ليود سبنسر وأندرزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	كانط	كرستوفر وانت وأندرزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	ماكيافللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤-	الرومانسية	دونكان هيث وجودن بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندى فى بلاد الشرق	شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	نظرية الكم	ج. ب. ماك إيڤوى	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨-	علم نفس التطور	ديلان إيڤانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩-	الحركة النسائية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجناترى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل
٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسنى	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	مرثيدس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزبرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة محمود

٤٦٧-	التفكير السياسى	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	نخبة	محمد السيد التنة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	نخبة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩-	المقهـــى (مسرحية صينية)	لاوشه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠-	تساى ون جى (مسرحية صينية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١-	عباءة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة محمود
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسِّرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	هُسِّرل	محمود رجب
٤٩٠-	أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد
٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥-	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوابو بانولى	نخبة
٤٩٧-	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلىّ	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والجنس	نخبة	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	فى طفولتى (دراسة فى السيرة الذاتية العربية)	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	أرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	هدى الصدّة	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق

٥٠٦-	ربما كان قديساً	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضى الجميل	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان فى عهد سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقَّع	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان فى شفاء الإدمان	أرنولد واشنطون وودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠-	الولع بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	أرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣-	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤-	الملك لير	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥-	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون رزيفز	نادية رفعت
٥٢٦-	علم السياسة البيئية	ستيفن كرول وليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧-	كافكا	ديفيد زين ميروفتس ورويرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨-	تروتسكى والماركسية	طارق على وفِلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٥٣١-	ما الذى حَدَثَ فى «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	جاك دريدا	صفاء فتحى
٥٣٢-	المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٣٣-	تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد الشرقاوى
٥٣٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥-	مخزن الأسرار	نظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون	شوقى جلال
٥٣٧-	للحب والحرية	نخبة	عبدالغفار مكاوى
٥٣٨-	النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	محمد الحديدى
٥٣٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحى
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١-	هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤-	ميلانى كلاين	نخبة	حمدى الجابرى

٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧-	بارت	فيليب ثودى وآن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨-	علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدى الجابرى
٥٤٩-	علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠-	شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدى الجابرى
٥٥١-	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	على عبد الرءوف البمبى
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦-	چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدى الجابرى
٥٥٧-	الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	الدراسات الثقافية	زيودين ساردار وبورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس	نخبة	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١-	جناح جبريل	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤-	عُش الغريب	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا. ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧-	الوطن المغتصب	مايكل رايس .	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر
٥٦٩-	موقع الثقافة	هومى. ك. بابا	ثائر ديب
٥٧٠-	دول الخليج الفارسى	سير روبرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١-	تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣-	فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤-	مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين عبد العزيز السباعى
٥٧٥-	الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الرءوف
٥٧٩-	تشرمسكى	چون ماهر وچودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠-	دائرة المعارف الدولية (جـ١)	جون فيزر وبول سيترجز	محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١-	الحمقى يموتون	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٦٠٥٦ / ٢٠٠٣